مورد الصفا في محاذاة الشفا

للفقيه العلامة القاضي الشيخ
سيدي أحمد سكيرج الخزرجي الأنصاري

قبر العلامة القاضي
سيدي أحمد سكيرج
ضريح القاضي عياض

تحقيق

ذ. محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني

مورد الصفا في محاذاة الشفا

للعلامة القاضي العارف بربه
أبي العباس سيدي أحمد سكيرج
الخزرج الأنصاري

دراسة وتحقيق
محمد الراضي كنون

تقديم

إن التاريخ الفكري والثقافي لأية أمة هو المقياس الناجح والأداة الفعالة لوزن وقياس مدى رقيها ونموها بين مصاف الدول المتحضرة. كما أنه الكفيل بمواكبة إسهاماتها وما أدته من دور في تشييد معالم الحضارة الإنسانية عبر القرون.

والتاريخ، كما هو معروف، حلقات مضيئة. تتعاقب واحدة منها تلو الأخرى. والمجتمع طبقات مرتبطة بعضها يلي بعضا. وبين هذين الفاعلين سلسلة ممتدة متماسكة. لا تنتهي من جيل حتى يستمسك به الآخر.

والناس اليوم بحاجة ماسة أكثر من أي وقت آخر للوقوف على بعض مفاخر رجالات هذا الوطن (المغرب) ممن حملوا نهضته العملية والأدبية. وعملوا على إثراء حركته الفكرية والثقافية، واسهموا في إبراز الشخصية المغربية، وتوقفوا بفضل تضافر جهودهم إلى المضي بوطنهم نحو مهيع الرقي والتقدم المنشود.

ومن هؤلاء الذين ذكرناهم العلامة القاضي المؤرخ أبو العباس أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، ذلك الرجل الفد الموسوعي الثقافة، ذو العراقة والأصالة المشهودة، إذ هو أحد الذين حافظوا على سلامة الشخصية المغربية في أصولها المتجذرة وجواهرها العميقة، كما أنه ذلك الرجل الأبي المتفتح البصير بشؤون وقته، السابق لعصره في منهجه وأسلوبه وطريقة كتابته، وكيف لا وقد أثرى خزانة بلاده بعشرات المؤلفات القيمة التي ذبجها يراعه النشيط.

والحق أنها مؤلفات نفيسة، عديمة النظير في بعضها، تختلف ما بين تاريخ وترجمة وتصوف وشعر ورحلة وعروض وفقه وحديث، وهو تراث عظيم يجب على الأجيال الصاعدة أن تعرفه وتطلع عليه، لترى ما أنجزه الأجداد وما بذلوه من جهود جبارة عبر التاريخ في سبيل إخصاب الحضارة العربية الإسلامية، وإبراز مكوناتها مشرقا ومغربا.

ويعد صديقنا الباحث الثبت الأستاذ محمد الراضي كنون واحدا ممن اعتنوا بتراجم هؤلاء الأسلاف الكرام، لاسيما ما يتعلق منها بالعلامة المؤرخ أحمد سكيرج، في جزئين، وهو كتاب ممتع شيق، ذكر مؤلفه المذكور أنه في ثمانية أجزاء، والحق أنه عمل جبار مضني، لا يقدر قدره إلا من عانى مشاق التأليف وتحمل وعورة طريقه وشعابه الطويلة.

ثم يعود نفس الأستاذ ليتحفنا اليوم بكتاب آخر في الموضوع نفسه، وهو تحقيقه لكتاب: مورد الصفا في محاذاة الشفا. وهو نظم للعلامة سكيرج في 7747 بيتا، نظم فيه كتاب: الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، للفقيه العلامة الشهير أبي الفضل عياض اليحصبي رمه الله.

وقد أصحب المحقق هذا الكتاب بترجمة وافية للعلامة أحمد سكيرج، استدرك فيها بعض ما فاته ذكره توخى طريقة جديدة في التعريف بأهم مراحل حياته وجلائل أعماله، مع تحليل شخصيته ودراسة عصره بجميع ظروفه وملابساته، كل ذلك في

أسلوب أدبي رفيع، أضفى على هذا الكتاب صبغة مميزة دقيقة، وجعله يمثل جملة من القيم الإيجابية الحميدة.

ولعل من أبرز هذه القيم على الإطلاق قيمة الوفاء، وما أشد ما أصبحنا نحتاج إلى هذه القيمة الجليلة، لاسيما بعد أن تناكر الناس بعضهم لبعض وجهل بعضهم حق بعض.

وترافقك وأنت تقرأ هذا الكتاب صور حية من هذا الجهد الذي بذله المحقق في تجميع مادته، ذلك الجهد الذي انسرب إلى الأعماق ليقدم لنا تلك الثمرة الطيبة والنتاج القيم.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أنوه مرة أخرى بأخينا الأستاذ محمد الراضي كنون، الذي لو شئت أن أذكر ما أعلمه عنه من خلق حسن واستقامة وإيمان وصدق وإخلاص لذكرت الكثير، بيد أني أعلم أنه لا يرغب في المدح والإطراء، بل يأباه ويكرهه.

وعموما فإني أرجو أن يسهم هذا الكتاب في زيادة الحس التاريخي لدى كل من اهتم به وطالعه، كما أرجو أن يسبل مولانا عميم رحماته على روح العلامة المترجم له (أحمد سكيرج) وأن يعيننا على أن نتابع بمثل خطاه في عزيمة أشد وإيمان أقوى، وفي توفيق ويقظة تتيح لنا أن نأخذ ما نأخذ عن بينة وأن نترك ما نترك عن بينة.

د. عبد الهادي التازي

عضو الأكاديمية الملكية المغربية

مقدمة

يبدو جليا لكل مطلع على تاريخ المغرب ما لهذا التاريخ من عظمة مشهودة. وجلالة مذكورة. ليس بما فيه من جليل الأعمال والوقائع فقط. بل أيضا لما يضمه من رجال أفذاذ متميزين. ساهموا في مجريات أحداثه بما يملكون من طاقات وإبداعات وغيرها. فمنهم العالم. ومنهم المؤرخ. ومنهم الأديب. ومنهم المجاهد والفنان. وما إلى ذلك من النعوت والتخصصات الكثيرة.

ومن هؤلاء الأفاضل دون منازع أديبنا الشهير العلامة الصوفي القاضي سيدي الحاج أحمد سكيرج رضي الله تعالى عنه. فهو ذو شخصية فريدة من نوعها . لها جلالها ووقارها. كما لها هيبتها القوية التي أكسبتها ما به احتلت المكانة الكبيرة المرموقة.

ومن المؤسف أن هذا الرجل الذي أثرى الخزانة المغربية بعشرات المؤلفات والدواوين الشعرية. لم ينل من اهتمام المؤرخين المعاصرين والمحدثين إلا قليلا لا يناسب قدره. ولا يقوم مقام فضله ومكانته. وكيف لا وهو ذو المنزلة العلمية السامية. التي لا يجحدها إلا جاهل. ولا تنكر وجودها إلا مقله عمياء.

ولهذا اخترت أن اجمع في هذا الكتاب مقتطفات يسيرة عن هذا العالم الجليل. عسى أن يكون ذلك حافزا لتسليط الضوء عما ينبغي تسليطه من أعماله ونفائسه الفريدة.

ولا أعد نفسي في هذا الصدد أنني قد أحطت بالموضوع. أو أنني قد عملت شيئا باهرا يذكر. غير أني على يقين بأنني قد حركت بذلك بعض الهمم القوية القادرة على خوض غمار هذا المجال الحميد. العميق الأغوار. الكثير الأطوار. فتعد حوله الدراسات والبحوث الكافية. وتقام له الندوات والملتقيات المفيدة.

أما أنا العبد المذنب فأعلن جهرا عن عجزي التام عن الإحاطة بأخبار هذا الرجل الجليل.وما يتعلق به من علم ومعرفة وآداب ونزاهة وغيرها. لكوني ذو بضاعة مزجاة. بل لا بضاعة لي أصلا ولا زاد. فالأولى بذلك هم أهل المعرفة لا غير. فهم الأجدر بخوض مثل هذه البحور العظيمة الأمواج. التي لا يسبح فيها إلا ذووا المعرفة بأحوالها.ممن لا أستحق أن أكون تربة تطأها أقدامهم. فضلا على أن أذكر بينهم.

علاقتي بالعلامة سكيرج

لست أدري ما الذي دفع بي للكتابة عن هذا العالم المؤرخ الفاضل. الموسوعي الثقافة. الذي جمع بين علوم وفنون عديدة. قلما تجمع بين يدي رجل واحد.

لقد بدأت عنايتي بشخصه الكريم منذ أكثر من ثلاثين سنة ولت. أي منذ أول قدم وضعته في الطريقة الأحمدية التجانية. حيث كنت مشغوفا بقراءة كتبها ومؤلفاتها. سواء منها المنظوم أو المنثور. إذ ذاك اشتريت نسخة من كتابه: كشف الحجاب. عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب. ثم كتابه الآخر: رفع النقاب. الذي هو في أربعة أجزاء من الحجم المتوسط.

وقد انهمكت في قراءة الكتابين المذكورين مدة طويلة. كنت خلالها مشدودا لبلاغة هذا الرجل وفصاحته العالية. أضف إلى ذلك تحقيقاته الدقيقة التي كانت تخرج بي إلى فوائد من التاريخ. وفرائد من الأدب. وباقات من الأشعار. وطرائف من المقامات. وتحف من السير والأخبار. فكنت أقف مندهلا أمام عقلية هذا الرجل الفنان. السابق لعصره. ذي الرؤية البعيدة. والنظرة الشمولية التي تفيض كالبحر المتلاطم الأمواج. وتضيء لمن أم ساحتها كالكوكب الوهاج.

وما كان أروع إعجابي به وهو يصف لنا بأمانته العلمية بعضا من أخبار الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه. مع ما يحيط به من علوم ومعارف وآداب. وأخلاق وصفات وكرامات وغيرها. فقد كان في ذلك جامعا واعيا محققا. حريصا على إعطاء الموضوع حقه من الجلالة والوقار. دون غلو أو تزييف للحقائق.

وقد شكل لي هذا الإعجاب دافعا قويا للبحث عن أخبار صاحبنا المذكور. وتقصي ما يمكن تقصيه حوله من معلومات. حيث كنت أجهل عنه كل شيء. باستثناء ما أسمعه من ترديد اسمه على ألسن بعض مريدي الطريقة التجانية ومقدميها. لاسيما الأفاقيين منهم من أهل القارة الإفريقية السمراء.

وبناء عليه أخذت في البحث عما يشفي غليلي من مصنفاته وتقاييده. خصوصا بعدما عرفت أنه من ذوي التآليف الكثيرة. وأن جزءا لاباس به منها قد تمت طباعته.

فانطلقت أسأل عن كتبه هنا وهناك. وبقيت على هذه الحالة إلى أن جمعت قسطا وافرا منها. بيد أن ذلك لم يكن كافيا بالنسبة لي. لاسيما وقد وجدت في نفسي رغبة أكيدة في أن أزداد معرفة بهذا الرجل الفاضل. وفي أن أكتب عنه إذا وفقني الله لذلك.

ومهما يكن من أمر فقد كنت أجهد في جمع هذه الكتب. كما كنت أصرف الرغبة في التوجه إلى كل من تبث عندي أن لديه بعضا منها.

وعموما فمنها ما أخذته من الخزانة العامة بالرباط. ومنها ما أعطانيه بعض أهل النسبة من الفقراء. ومنها ما عثرت عليه في بعض الخزانات والمكتبات القديمة. كما أن منها ما دخل يدي من هنا وهناك.

وكان من فضل الله سبحانه علي التقائي بحفيد مترجمنا المذكور. الأستاذ الأديب الفاضل سيدي محمد الكبير سكيرج. فرحب بي وأكرمني غاية الكرم. كما أمدني بكتب جده ومختلف كنانيشه. ولم يبخل علي بشيء منها. وتلك كرامة فريدة لا أنساها له.

نسبه

ذهب العلامة سكيرج على أن نسب أسرته منحدر من قبيلة الخزرج الأنصارية. وأن أجداده هاجروا من الجزيرة العربية إبان اتساع الفتوحات الإسلامية بشمال إفريقيا. فاستوطنوا بلاد الأندلس. حيث نزلوا بجبل مطل على مدينة غرناطة. يدعى (سكيري) ومنهم من يسميه (شلير) وهو جبل عظيم. شديد البرودة. تتراكم الثلوج على قمته طيلة فصول السنة تقريبا.

وفي وصف برودة هذا الجبل قال بعض شعراء الأندلس:

لظى تشتهى هذا النهار فإنهـــا   أرق علينا من (شلير) وأرحـــم
لئن كان ربي مدخلي لجهنـــم   ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

وعموما فالعلامة سكيرج يشير إلى أن أجداده نزلوا بهذا الجبل واستوطنوه. فنسبوا إليه بالجيم بدلا عن الياء. وهي لغة شادة في كلام العرب. فيقال في سكيري سكيرج. ولم يكن العلامة سكيرج أول من نادى بهذا النسب داخل أسرته. بل سبقه إليه قريبه الشاعر الشهير محمد بن الطيب سكيرج[1] المتوفى عام 1194هـ. أي قبل ازدياد مترجمنا بقرن كامل. حيث نجد لهذا الأخير كلاما جامعا في هذا الإطار. منه قوله من قصيدة يفاخر بها شاعر البلاط الملكي إذ ذاك أحمد بن محمد ابن الونان[2].

فأما اكتساب المجد من عهد يعرب   فما هو عن أسلافنا ببعيـــد

---

[1] - محمد بن الطيب سكيرج. أديب شاعر فقيه فاضل. من جلة كتاب المغرب في عصره. وهو من مواليد فاس عام 1122هـ. كان عالما وجيها مقتدرا. صاحب أشعار نفيسة. ذات مستوى عال من الإتقان والجودة. نعته معاصره العلامة المؤرخ سليمان الحوات في كتابه : ثمرة أنسي في التعريف بنفسي بقوله: كاتب الأوامر السلطانية. المفتخر به في تلك الدولة. أبو عبد الله محمد بن الطيب سكيرج. إهـ...
وعموما فقد كان المترجم على درجة عالية من العلم والوعي . وهو الكاتب الأول للسلطان المولى محمد بن عبد الله العلوي. ويذكر أنه كان راكبا معه يوما بالمركب الملكي بوادي أبي رقراق. بين ثغري سلا ورباط الفتح. فقال فيه يمدحه:

ولما رأيت البحر في الجود آيـــة   ومن جوده الدر النضيد المقلد
سألته من في الناس علمك النـــدى   فقال أمير المؤمنين محمـــد

وله مشاركة في مجال التأليف. لاسيما في علم العروض. فقد كان فيه آية في الدراية والإتقان. ومن آثاره فيه أرجوزة طويلة سماها : الشافي. في علم العروض والقوافي. قال في مطلعها:

حمدا لمن بسط أبحر النعـــم   ومن مديد طوله يوتي الحكـــم
ثم على خير الورى صلاتـــي   و آله وصحبه الهـــــداة
والتابعين نهجهم على الـــدوام   ما مدحه صيغ بنثر ونظـــام
وبعد فالشعر له ميـــــزان   به يلوح النقص والرجحـــان

إلى آخرها. وقد شرحها العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج في مجلد ضخم سماه: منهل الورود الصافي. والهدف من فتح الكافي. في شرح الشافي. في علمي العروض والقوافي.
توفي بالوباء في شهر جمادى الأولى عام 1194هـ - ماي 1780 م . انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب لحجي 7: 2418.

[2] - أبو العباس أحمد بن محمد بن الونان الملوكي الفاسي، من أكابر أدباء المغرب في عصره ، وهو صاحب القصيدة المشهورة بالشمقمقية ، وعدد أبياتها 275 بيتا ، وتحتوي على كثير من الفنون الأدبية والأغراض الشعرية، ومطلعها :

يا سيدي سبط النبـــي   أبـــو الشمقمق أبـــي

وتوفي رحمه الله عام 1187هـ ، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان ج 3 ص 344 وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 316 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 243.

وأما العلا فاسأل ترا فضل أهلنـــا   فكم حملوا للمصطفى من بنـود

إلى أن يقول منوها بسمو نسبه ومكانة أسرته:

وأما الندى فانظر بعينك حينـــــا   فإن عيون المرء خير شهيــــد
تخبرك الأيام عني حقيقـــــة   بأني من لخم أعز وليــــد

وإلى جانب مترجمنا العلامة سكيرج كان أخوه الفقيه المؤرخ محمد (فتحا) سكيرج غالبا ما يصرح بهذا النسب . ويقرره ويقوله. بيد أنه لم يكن يكتبه على ظهر غلاف تآليفه وكتبه. وذلك بخلاف أخيه مترجمنا المذكور. إذ نجد على ظهر معظم تآليفه قوله: تأليف خديم الحضرة المحمدية. الفقيه العلامة الحاج أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الخزرجي الأنصاري.

وحول هذا الصدد قال الأديب الشاعر عبد الغني بن عبد الخالق سكيرج (ابن أخ المترجم) كانت هذه النسبة تثير في نفسي الشك والارتياب والقلق. فأقف طويلا عندها للتأمل واستجلاب العبرة. ثم أتساءل مع نفسي من أين عرف الشيخ (يعني به عمه العلامة أحمد سكيرج) هذه النسبة؟ وكيف وصل إليها ؟ إلى أن تجرأت عليه مرة. وأنا يومئذ طالب بكلية القرويين بفاس العامرة. فسألته عن هذه النسبة كيف وصلت إلينا من الأنصار. ونحن أبعد ما نكون عنهم بمآت السنين. وتفصل بيننا وبينهم مسافة طويلة من الزمن.

فلم يرقه ذلك. وكان لا يستطيع أحد أن يجرأ عليه فيسأله مثل هذا السؤال. أو يناقشه في مسألة مسلمة لديه. قال إيه. ألم يعجبك هذا؟ ألا يروقك أن تكون عائلتك من الأنصار؟ فلما قال ذلك علمت أنه لا يريد أن يدخل معي في حوار ونقاش في شأن هذه النسبة. خاصة إذا قال ذلك في شدة وحدة. وقطب بين حاجبيه الأشهبين. إهـ...

وإذا أردنا الرجوع إلى معاجم اللغة فإننا نجد أن أقرب شيء لهذا اللفظ هو اسم السكرجة. بضم السين والكاف والراء المشددة. وقد ورد هذا الاسم في عدة أحاديث نبوية صحيحة. والمراد بالسكرجة الصحن أو الإناء الذي يوضع فيه نوع من الطعام.

ومن هذا القبيل ذهب بعضهم على أن لفظ سكيرج آت من كلمة السكرجة. بمعنى أن صانع تلك الأواني والصحون يسمى بالسكرجي. ويقال له أيضا سكيرجي على وزن التصغير.

وانطلاقا من هذه المعطيات فقد نحا هؤلاء منحى اللغة في تحديد هذا النسب العاطر. فرأوا أن هذا الاسم آت عن أحد الحيثيتين. إما من حيث اشتهار هذه الأسرة بصنع هذا النوع من الصحون والأواني. وإما من حيث كثرة استعمالها له.

وكثيرا ما كان هذا الاسم (سكيرج) محل استفسارات بالنسبة لمترجمنا رضي الله عنه. حيث غالبا ما كان يجيب عن تساؤلات ومطارحات في شأنه . وفي كتبه وتصانيفه نماذج واضحة حول هذا الباب. من ذلك ما جاء في كتابه الرحلة الحبيبية الوهرانية. أن امرأة من أهل الجزائر (العاصمة) سألته عن سبب تسميته بهذا الاسم. مشيرة على أنه اسم مذموم عند أهل البلاد المذكورة. أي في لهجتهم الدارجة. بحيث لا يذكرونه إلا في حالة إلحاق العيب بشخص. أو إهانته وتنقيصه. فأجابها العلامة سكيرج بقوله:

وقائلة أهل الجزائر كل مـــــن   يعيبونه يدعونه بالسكيرجـــي
فمن أين هذا الإسم جاءك قل لنا   فقلت لها سكر بحب النبي يجي

وإلى جانب ما ذكرناه نجد العلامة سكيرج ينسب نفسه في بعض تقاييده وكتبه للصحابي الجليل شاعر الإسلام والمسلمين سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه. ولمن يريد الوقوف على حقيقة ذلك فلينظر مسامرته التي تحمل عنوان : كرامة الأولياء أمام عجائب المخترعات. وهي من مسامراته التي أدرجناها ضمن كتابنا: رسائل العلامة القاضي سيدي الحاج أحمد سكيرج.

والمعروف عن نزاهة العلامة سكيرج أنه ما كان ليقدم على ذلك لولا تمكنه من معلومات قاطعة تثبت صحة نسبه للصحابي المذكور. لاسيما وقد كانت هذه المعلومات متوفرة لدى أفراد الأسرة الأوائل. كمحمد بن الطيب سكيرج ومن سبقه.

التعريف بوالده الحاج العياشي سكيرج

هو الفاضل البركة الحاج العياشي بن عبد الرحمان[1] بن الحاج أحمد البرنوصي بن محمد بن حمو سكيرج.

ولد بفاس عام 1259هـ. وبها نشأ تحت ظلال المروءة والتقوى. ومجانبة اللهو واللعب. مع الإقبال على العبادة. والتحلي بالشيم والأخلاق الفاضلة.من صدق وإخلاص ووفاء واستقامة وكرم.

وقد درس بالقرويين مدة غير قصيرة. كان خلالها كثير التردد على مجالس علماء وقته. من أضراب العلامة سيدي محمد المدني كنون. وشقيقه سيدي التهامي كنون. وسيدي إبراهيم اليزيدي العلوي. ومحمد بن الهاشمي الجبلي. وعلى يد هذا الأخير تخرج. وهو عمدته. وبه كان أكثر انتفاعه.

وكان وفيا لشيوخه المذكورين. ينوه بهم بين كل فينة وأخرى. مستدلا بقول الشاعر الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وكان من وفائه لهم إكثاره من ذكرهم. مع الدعوة لهم بالرحمة والغفران وتعداد سرد مناقبهم وكراماتهم.كما كان يرجع كل قول أو تقرير أو حكاية إلى صاحبها منهم. وقوفا مع الأمانة العلمية من ناحية. والتزاما بالحق من ناحية ثانية.

---

[1] - الحاج عبد الرحمان سكيرج كان معاصرا للشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه. محبا فيه متمسكا بطريقته. عاضا عليها بالنواجد . لكنه لم يأخذ عنه الورد مباشرة لصغر سنه وقتذاك. بل أخذه بعد وفاته عن بعض الخاصة من المقدمين بفاس المحروسة. وقد ترجم له حفيده الحاج أحمد سكيرج في كتابه كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب. ص 239 فقال في حقه بعد كلام ما نصه: وكان يدعو كثيرا لمن تسبب له في الدخول في هذه الطريقة ويجازيه بالخير. ويقول له : قد كنت في غفلة عن هذا الخير العظيم الذي أنعم الله به على هذه الأمة. والآن أحمد الله تعالى وأشكره على أن وفقني للدخول فيها. وكان يذكر في كل يوم صلاة الفاتح لما أغلق أزيد من 3000 . مرة إلى أن توفي رحمه الله وفاة الصالحين. بعدما قرأت عليه الوظيفة الشريفة. وهو يقرأها. وعند فراغها قال لأهله: أين الكاس الذي أتاني من عند الإله. وصار يبحث فوق الفراش عنه. حتى أخذوا كاسا ودفعوه له. فقال لهم : سبحان الله إنه سقط ولم يهرق. ثم شربه فبمجرد شربه اضطجع وتشهد وخرجت روحه رحمه الله تعالى في 7 ذي الحجة الحرام عام 1311هـ وعمره يناهز 90 سنة. ودفن بأعلى يسار خارج باب عجيسة بفاس قرب سور البلد رحمه الله. انظر ترجمته في كتابنا رسائل العلامة القاضي احمد سكيرج 1 : 6.

وهو ممن أوتي موهبة في الدراسة والتحصيل. مع ذكاء ونباهة وفطنة زائدة. بيد أنه انقطع عن القراءة في سن شبابه. ليتفرغ بعد ذلك لمزاولة بعض الأعمال والحرف الحرة.

ومهما يكن من أمر فقد كان لا يدع فرصة للانتفاع والاستفادة إلا اغتنمها لئلا تفوته. فما إن يسمع بفقيه أو صالح نزل بفاس إلا ويقصده. وقد ربط في هذا النطاق صداقات وصلات مع الكثير من مشاهير العلماء. سواء على مستوى المدينة المذكورة أو غيرها.

وعموما فقد كان صاحبنا المذكور صواما قواما. يخاف الله عز وجل. كثير البكاء من خشيته. لا يغضب إلى له. كما كان بارا بوالديه وأقاربه. يصلهم في كل حين باستمرار[1]

وكان إلى جانب هذا وذاك رجلا وسيما. جميل الصورة. وضيء الوجه. أبيض اللون مشربا بحمرة. ذاهيبة ووقار . لا يأتي مجلسا إلا ويجلس منه جانبا. فإن قدم امتثل. ولا يتكلم إلا إذا طلب منه. وهو ممن أعطي القبول عند الناس. سواء من أهل العلم أو غيرهم. فكانوا يقربونه ويحترمونه.

ومما يكتب لمترجمنا بمداد الذهب جهاده البطولي في حرب تطوان. ما بين عامي 1276هـ - 1278هـ. 1859م – 1861م. فقد شارك في هذه الحرب وهو شاب يافع دون العشرين من عمره. فقاتل فيها قتالا شديدا. غيرة على دينه. ودفاعا عن أمته ووطنه. وظل يحتفظ بعد انصرام هذه الحرب ببندقيته التي كان يحارب بها. وكان فخورا بهذه البندقية. يطلع عليها أحبابه وأصدقائه. ويصف لهم بعض وقائع هذه الحرب. وما أبلاه فيها صحبة رفاقه المجاهدين من شجاعة وبسالة وقوة.

ومن هذا القبيل ما ذكره عن نفسه مما معناه. أنه حضر صبيحة اليوم الذي تم فيه توقيع الصلح بين الطرفين المغربي والاسباني. وكانت لا تزال ببندقيته إذ ذاك

---

[1] - ذكر العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب ص 217 ما نصه: وقد وقع لوالدي غمرني الله في رضاه ، وأحسن إليه في دنياه وأخراه ، أنه كان ملازما لقراءة دلائل الخيرات كل ليلة جمعة واثنين ، مع جماعة في مسجد مجاور لدار سكناه، فاتفق له أن لم يخرج في بعض الليالي، بل بقي بداره، وهم يقرؤون وهو يقرأ بقراءتهم حتى غلبه النوم، فبينما هو نائم إذ رأى أحد الجماعة مقبلا وهو يقول له: قم لترى النبي صلى الله عليه وسلم، فها هو ذا مار من هنا، ودخل ذلك الرجل لمسجد القراءة مسرعا، قال: فوقفت في طريقه متأدبا ، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم مقبل هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال : فلما رأيته صلى الله عليه وسلم رميت نفسي عليه وصرت أقول له: أريد أن أمتع الملامح يا رسول الله، وصرت أكررها عليه، وأردت بذلك رؤية الخاتم، قال : فصار أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لي: إن هذا الموضع مريض، ويشير لموضع الخاتم ويقول لي : لا تقربه قال: فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم وقال له: دعه عنك حتى يمتع ملامحه، ثم حل صلى الله عليه وسلم طوقه الشريف، ورمى شملته عن كتفيه، وقال لي انظر ، قال : فرأيت خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم، وصورتها مثل كف يد بين الكتفين، والأصابع إلى أسفل مضموم بعضها إلى بعض، وفي منتهاها دارة الخاتم الشريف كالطابع المعمر ، ولونها أحمر، قال: فصرت أقبلها وأضع عيني عليها ، إلى أن قال لي صلى الله عليه وسلم : يكفيك، فرفعت رأسي، وسد صلى الله عليه وسلم رداءه الشريف ، ولما ذهبت ناداني صلى الله عليه وسلم وقال لي: أتسمع؟ قال فقلت له نعم يا سيدي يا رسول الله، فقال أنت ممن رأوا محمدا حقا، قال: فلما سمعت منه ذلك حصل لي فرح عظيم حتى استيقظت من أجله، فوجدت الجماعة الذين يقرؤون في ذلك المسجد بلغوا إلى قول صاحب دلائل الخيرات رضي الله عنه اللهم صل على صاحب الحسن والجمال والبهاء والكمال إلخ.. قال فقمت وتوضأت وذهبت إليهم وأخبرتهم بهذه الرؤيا، فتحققوا أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما جاء ليحضر للختم، وفرحوا غاية الفرح بذلك، وحصل لهم نشاط في المواظبة على القراءة بعد أن كان بعضهم يتراخى في الحضور ، إلى أن أذن الله بفراق الجماعة بموت غالبهم، والبقاء لله الواحد القهار.

رصاصة واحدة. فأطلقها على أحد الجنود الإسبان المتواجدين هناك. وذلك قبل إمضاء الهدنة بوقت قصير. فأصابت الرصاصة مكانها من الجندي المذكور. فقتلته حينا. فكان بذلك آخر جندي يسقط في هذه الحرب.

وقد أصيب هو الآخر بجراح بليغة خلال اليوم الأخير من هذه الحرب. فايس من حياته جل أصحابه. نظرا للنزيف الحاد الذي وقع فيه. فعدوه لذلك من جملة الأموات. فتركوه في ساحة القتال يتخبط في دماءه. إلى أن جاء والده (الحاج عبد الرحمان سكيرج) للساحة المذكورة قصد البحث عنه. فوجده ملقى بين الشهداء وجرحه ينزف. وهو في حالة جد خطيرة. فحمله فورا لبيته. حيث امتثل للشفاء بعد ذلك[1].

ولمن أحب الزيادة في التعريف بهذا الرجل المجاهد الكريم فليطالع منظومة نجله العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. التي تحمل عنوان : الغنيمة الباردة. في ترجمة سيدنا الوالد وسيدتنا الوالدة. فقد أجاد فيها ناظمها غاية الإجادة. وتقع في 470 بيتا.

توفي رحمه الله بتاريخ يوم الأحد 4 جمادى الثانية عام 1328هـ - 13 يناير 1910م. ودفن بجبل زعفران خارج باب عجيسة[2] بفاس. وكان نجله (العلامة سيدي أحمد سكيرج) حينئذ بمدينة طنجة. حيث توصل هناك من والده المذكور برسالة مؤرخة قبل تاريخ وفاته بيومين فقط. قال في آخرها :

ونعلمك بخالتك آمنة كيرانة. زوجة السيد الحاج المكي بن كيران. عظم الله أجرك فيها. وقد توفيت قبل تاريخه بثلاثة أيام.فالله يلحقنا بها مسلمين آمين. وأما ما كان من أمر أخيك عبد الخالق فإنه قد نزل من الحانوت ودخل القرويين. هذا ما علي. وأنا مسافر للآخرة.اهـ...

وقد كتب العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج بهامش هذه الرسالة ما يلي:

---

[1] - عن هذه الظروف المذكورة قال العلامة سكيرج في كتابه : الغنيمة الباردة. في ترجمة سيدنا الوالد وسيدتنا الوالدة. ص 5.

وجاهد الوالد في الاسبان ... عام خروجه إلى تطوان
ولم يقصر في مطاردتهم ... ومنهم كم قاد من قاداتهم
ما زال يلقاهم بكل معترك ... وفيهم كم من مصائب ترك
وقد أصيب بين من أصيبوا ... وكلهم في نصره مصيب
وبعدما أصابه جراح ... وعظمت من فقده الأتراح
جاء إلى مواقع القتلى أبوه ... مع فتية من قومه فطلبوه
فوجدوه بينهم كالميت ... فحملوه وهو في تثبت
ثم شفاه الله بعد مده ... وكان ما كان لديهم بعده
والأمر لله الذي كل الأمور ... بيده لدى الورود والصدور
وكم تعاهده برء جرحه ... بألم حتى ارتقى فيه صرحه

[2] - ملحوظة: يدفن معظم متوفي الأسرة السكيرجية بجبل زعفران. خارج باب عجيسة بفاس. وقد تساءلت كثيرا مع نفسي عن سبب ذلك. إلى أن وقفت على بطاقة صغيرة للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. ذكر فيها أن السبب الدافع لذلك يعود بالدرجة الأولى لما احتوته الروضة المذكورة من قبور لبعض أكابر مقدمي الطريقة التجانية.كالشريف البركة سيدي الطيب السفياني وأبنائه. وسيدي أحمد العبدلاوي وآخرين.

واعتبارا لما في معاشرة الصالحين ومجاورتهم من مزايا عظيمة. فقد كان أهل هذه الأسرة يحبذون دفن موتاهم بجانب هؤلاء السادات الأفاضل. اغتناما لبركاتهم من جهة. وانتفاعا بقربهم وطيب نفحاتهم من جهة ثانية.

توفي سيدنا الوالد رضي الله عنه بعدما كتب هذا الكتاب بيومين. عبارتان اثنتان جاءتا في هذه الرسالة. وكأن صاحبها كان ينظر من وراء حجاب إلى ما سيقع في القريب العاجل. فالأولى منهما : أنا مسافر للآخرة. فكانت كلمة صادقة. والثانية فالله يلحقنا بها مسلمين. كانت دعوة مستجابة. اهـ...

وللعلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج قصائد عديدة في رثاء والده المذكور. منها قوله:

طاب أنسي وكنت في إيحاشي   وإلى من هويت طال انحياشي
لم أخف بعد قربه من بعاد   عن حماه وفي حماه انتعاشي
يالقومي هل تعلمون بأني   متفان في والدي العياشي
لي من حبه بقلبي وجد   صار صبري من بعده في تلاشي
منذ فارقته تفارق شملي   وببعدي عنه زال هشاشي
كان لي والدا شفوقا ولكن   عنده طاب في الهناء معاشي
بذلا جهده لنفعي ودفع الضر   عني في الأنس والإيحاش
لم أشاهد مثيله في زماني   كيف والفضل منه في فاس فاشي
فهو بين الورى تقدم في الفضل   وهم من ورائه كالحواشي
وهو يوم الوغى تصدر في الجيش   وفيها قد صار ثابت جاش
فلتسل عنه حرب تطوان كم دا   فع عنها من سطوة الأوباش
كان عنها مدافعا وله كم   من مدافع همة لا تدهاشي
وأصيب بوقعة كان فيها   برصاص من العدا رشاش
لم يزل جرحه يعاهده من   بعده بانتفاخه وانتفاش
ثم حين احتضاره انفجر الجرح   فكان الشهيد فوق الفراش
قدس الله روحه في جنان   وحباه ما فيه كل انتعاش

التعريف بوالدته السيدة
فروح التازي

أما والدته فهي السيدة الجليلة الصالحة. القانتة الطيبة. فروح بنت السيد الفاضل البركة سيدي عبد الوهاب بن محمد التازي[1]. أحد جلة أصحاب ومريدي الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه. سماها والدها المذكور بفروح على اسم والدة الخليفة المعظم. مؤلف كتاب جواهر المعاني. سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي رضي الله عنه.

وهي امرأة عفيفة. متمسكة بالدين وأحكامه. عديمة النظير في النسك والعبادة والتقوى. هادئة الطبع. وقورة. تتحلى بمختلف الصفات الحميدة. من نزاهة واستقامة. وصبر ويقين. ورضا وصلاح. كما أنها امرأة جميلة الخلق والخلقة. هادئة الحديث. متفانية في أعمال البر والطاعة. لا يفتر لسانها عن ذكر الله وتحميده وتقديسه. بالإضافة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. حيث كانت من المواظبات عليها. ترددها باستمرار طيلة يومها. فإن ناداها أحد أجابته ثم عادت لترديدها من جديد.

وكان زوجها (الحاج العياشي سكيرج) يحبها كثيرا. نظرا لصفاتها الجليلة المذكورة. كما كان يحترمها ولا يرد لها طلبا. أما هي فكانت تبادله نفس الشعور. لعلمها بصلاحه وتقواه. فكانت تبره وتحافظ عليه وعلى صحته. أضف إلى ذلك أنها كانت تستأذنه في كل صغيرة وكبيرة. وكان هو معها كذلك.

وكانت إلى جانب ما ذكرناه امرأة محسنة. تنفق وتتصدق وتكرم الآخرين. وقلما كان بيتها يخلو من الضيوف. ويذكر عنها أنها كانت حريصة على تربية أبنائها. تحملهم على الاستقامة. وتوجههم إلى الصدق والإخلاص. كما كانت قريبة منهم على اختلاف أعمارهم. تؤنسهم وتلاطفهم. وتربيهم على المحافظة على أداء الفرائض. والتأدب بآداب الشريعة. مع تعظيم أهل الله. سواء منهم الأحياء والأموات. ودوام المحبة والاعتقاد فيهم.

وخلاصة القول فيه امرأة جليلة فاضلة. نذرت نفسها للعمل الجاد النافع. فدأبت عليه في صمت وتواضع وخشوع. عازفة عن البهرج الزائف والمظاهر الخداعة. لا تتطلع إلى شهرة. ولا تستهويها زينة الحياة الدنيا وبهجتها.

توفيت رحمها الله بفاس صبيحة يوم الاثنين 24 رمضان المعظم عام 1345 هـ - 28 مارس 1927 م. وقد حزن عليها ابنها العلامة سيدي أحمد سكيرج كثيرا. فرثاها بقصائد عديدة. منها قوله:

أوالدتي بفقدك إني في وجـــدي   أكابد فيه ما أكابده وحـــدي
تناءيت مني واستقر بك النـــوى   وكنت بقربي لا تميلي إلى بعـدي
فهل أنت تنوين الرجوع إلي عن   قريب أو الأمر الذي لم يكن عندي

---

[1] ـ سيدي عبد الوهاب بن محمد التازي. هو احد إخوته السبعة الذين أخذوا الطريقة التجانية عن صاحبها القطب الشهير سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه. وكان ذلك مباشرة عنه بدون واسطة وهو رضي الله عنه من مريدي الطريقة الواصلين. الآخذين بالجد والاجتهاد. توفي رحمه الله سنة1277هـ وترجم له حفيده العلامة الحاج أحمد سكيرج في كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب ص 238. وفي رفع النقاب لنفس المؤلف أيضا ج 4 ص 77- 80. وفي نخبة الإتحاف للعلامة الفقيه الحجوجي رقم الترجمة 71.

حبيبة قلبي ما ظننت بأننـــــي   أراك قد استبدلت ودي بالضـــد
وكنت أظن القرب منك مسرمدا   وظني أن تبقى وتخلفني بعـــدي
ولما رآني الدهر فيك مولهـــا   وحبك لي يزداد أصبح من ضدي
فأقصاك عني بعد طول تقـرب   تقر به عيناي في القرب والبعـــد
عهدتك عندي في رخاء وشـدة   رقيقة قلب منك في الحل والشـــد
تروحين في هم لأجلي وربمـــا   تقطع حبل الصبر منك بما أبـدي
وتغذين في هم لأجلي عديمـــة   لصبرك مما قد دهاك من الوجد
ولازلت مني تحملين نوائبـــا   بكل اهتمام بي لأظفر بالقصـــد
وتخفين عني ما تلاقين من عنا   مخافة أن ألقاك في الألم المـردي
وتبدين لي ما الله يعلم أنـــــه   من اللطف بي والقلب عندك في وقد
وعاملتني في كل حال برأفـــة   على ما أنا أبديه في الأخذ والـــرد
وما كنت لي وحدي بلطفك جنـة   ولكن لكل الناس أكثرت في الـــود
رأيت لكل الناس أما ومـــا أرى   مثيلك أما في الحنانة والرفـــــد
إذا قال منهم واحد آه مـــــرة   جزعت وأكثرت الدعاء بلا حـــد
أوالدتي والصبر عنك فقدتــــه   فهل جزعي من بعد موتك لي يجدي
فقدت أناسا كنت أفنى بحبهـــم   ولم أرى قبل اليوم مثلك من فقـــد
فها القلب مني في اضطراب يزيدني   تنوع كرب من تواريك في اللحـــد
بفقدك عندي قد فقدت أحبتـــي   وبعدك عنهم فيه لي غاية البعـــد
أأبكي دماء والبكا غير نافـــع   لو دام طول الدهر يجري على خذي
ومالي أرى عنك اصطبارا عهدته   وإن اصطباري عنك فيه انقضى جهدي
فوا أسفاه هل يفارقني الأســـى   وما لي آس فيه بالهزل والجـــد
لقد قام بي ما لا أقوم بحملـــه   من الحزن حتى صرت في منتهى الحد
فها أنا ذا مستسلم فيك للقضـــا   وليس لما يقضي به الحق مـــن رد
وفيك أعزي النفس مني معزيا   جميع أحبائي وأكثر في الحمـــــد
ولله ما أعطى وإني عبـــده   لراض بما يقضي على الحر والعبـــد
وأسأل منه أن يحفك بالرضـــا   إلى أن تنالي السؤل في جنة الخلـــد

التعريف بإخوته

للعلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج خمسة إخوة ذكور. وهم محمد فتحا المدعو حماد. وعبد الوهاب. ومحمد فتحا. وعبد الخالق. وعبد الرحمان. أما البنات فله منهن ثلاث أخوات لا غير. وهن راضية. وزينب. وعائشة.

ولا بأس أن نضع في هذا المحل تعريفا عن إخوته الذكور عسى أن نتطرق إلى ذلك بتفصيل في مناسبة أخرى.

سيدي محمد (فتحا) بن الحاج العياشي سكيرج

يعرف بين كافة أفراد أسرته ب حماد. وهو أخ غير شقيق للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. ولد بفاس بتاريخ شهر ربيع الأول عام 1292 هـ - 1875 م. وبها نشأ وتعلم. حيث تلقى دراسته على يد ثلة من مشاهير علماء القرويين. قبل أن ينتقل لمدينة طنجة عام 1319هـ. وذلك باستدعاء من طرف ابن عمه المهندس الشهير سيدي الزبير سكيرج[1]. فعمل بدار النيابة بطنجة مدة طويلة. كان حينها مواظبا على إلقاء سلسلة من الدروس العلمية بمساجد المدينة المذكورة. خصوصا منها بالزاوية التجانية والمسجد الأعظم.

ثم عهد له بعد ذلك بوظائف سامية. لا تسند عادة إلا لذوي الحنكة والتجربة من العلماء الكبار. وهو فقيه فاضل جليل. عميق الفهم. على درجة من الورع والتقوى والثبات على الحق. وقد عرف بالفضل وحسن الخلق. مع الأدب والتأنق بالمظهر. أضف إلى ذلك جمال طلعته. وحسن ملبسه. وطيب رائحته.

وكان كثير الملازمة للزاوية التجانية بمدينة طنجة. لاسيما عند ذكر الوظيفة بها بعد صلاة العصر. وهو من أكابر علماء هذه الطريقة بالمدينة المذكورة. كما كان كثير المواظبة على مطالعة تصانيفها الشهيرة. خصوصا منها كتاب جواهر المعاني. وبلوغ الأماني. في فيض الشيخ سيدي أحمد التجاني. للعلامة للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي. وحول هذا الكتاب كان يقول رحمه الله : به بدأت السلوك وبه أنتهي.

وله اعتناء واسع بمجال التأليف. حيث تفوق كتبه مؤلفا . منها كتابه الشهير : رياض البهجة في أخبار طنجة. وهو كتاب قيم. حافل بالفوائد والمعلومات العديمة النظير في غيره. يقع في سبعة أجزاء. توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط.

ومن كتبه أيضا: الدرر اللآلي. في ثبوت الشرف البقالي. طبع على الحجر بفاس عام 1337هـ-1917 م. وهو باكورة أعماله حسبما أظن.وقد أجاد فيه كثيرا. حيث رد على ادعاءات بعض من ينكر هذا النسب ويطعن في أهله. وكان رده كما هي عادته كافيا شافيا محكما.

ومن باب الجزاء على هذا العمل المشكور أنه لما توفي رحمه الله. واحتار أهله ومحبوه في انتقاء بقعة لدفنه. بادر الشرفاء البقاليون إلى دفنه عندهم. داخل ضريح جدهم الولي الصالح سيدي محمد الحاج البقالي. الشهير ب بوعراقية.

---

[1] - الزبير بن عبد الوهاب سكيرج المهندس الفقيه الأديب الرياضي، ازداد بفاس عام 1270هـ ، وهو ابن عم العارف بالله العلامة الحاج أحمد سكيرج. كان من جملة البعثة الحسنية التي وجهت لأروبا قصد دراسة العلوم العصرية فيها ، فتلقى في إنجلترا علوم الرياضيات من حساب وجبر ومقابلة، وتلقى كذلك علم الهندسة والجغرافية وغير ذلك من العلوم الحديثة العهد وقتذاك، وبعد رجوعه للمغرب اشتغل في عدة مناصب هامة، وله رحمه الله تأليف في علم الهندسة سماه: تحفة الإخوان بتخطيط البلدان، أخذ الطريقة الأحمدية التجانية عن العلامة الحاج أحمد سكيرج وكان مواظبا على حضور ذكر الوظيفة بالزاوية التجانية بحومة الغرسة الكبيرة بتطوان. توفي بنفس المدينة بتاريخ يوم السبت 13 شوال عام 1351هـ 9 فبراير 1933 م ، انظر ترجمته في رياض السلوان، للعلامة سكيرج 37- 39. وفي قدم الرسوخ، لنفس المؤلف ت 37. وفي إيقاظ القرائح لتقييد السوانح ، للمؤلف نفسه أيضا 5- 6. وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي 8 : 3019 وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 38.

وكانت وفاته رحمه الله بتاريخ 4 محرم الحرام عام 1385هـ - 5 ماي 1965م. وقد رثته نخبة من علماء وقته. لاسيما منهم بعض أدباء موطنه (طنجة) كالأستاذ عبد الله كنون. وشقيقه محمد بن عبد الصمد كنون. وأبو بكر اللمتوني. ومما قاله فيه هذا الأخير:

لم تنوء أرض ولم تأت سماء بمصاب مثل فقد العلماء
هم أساة الروح فينا كلما نال منا الداء جاءوا بالدواء
رحم الله أبا لم أراه غير بش الوجه محمود اللقاء
يخلع النور عليه هالة من هدى العلم وسيما الصلحاء
ودع المحراب نضوا شفه أرق الليل وأضناه البكاء
إن أوى الناس إلى مضجعهم رفع الصوت لديه بالدعاء
وبكى الطلاب درسا عامرا سلقي النهج صوفي اللواء
بوركت أسراره كم مرة فتحت فيه لنا باب السماء
أيها الراحل خذ ما ابتغته من شذا الذكر ومن حسن الجزاء
إن نأى وجهك عن أعيننا فهذي روحك عنا غير ناء

صورة للعلامة الأديب سيدي محمد (فتحـ) سكيرج.

عبد الوهاب بن الحاج العياشي سكيرج

هو أول أشقاء العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. حيث لا يصغره سوى بخمس سنوات فقط. وبناء عليه فهو من مواليد فاس عام 1300هـ . وبها نشأ وتعلم. فحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا. ثم أخذ قسطا لابأس به من العلوم والفنون المعتمدة إذ ذاك.

بيد أنه كان ميالا لمجال الأعمال والتجارة. وذلك من أهم الأسباب التي دفعته للانقطاع عن مواصلة دراسته وتعليمه.

ويذكر عنه أنه كان رجلا فاضلا.حسن الأخلاق. لطيف الروح. خفيف الظل. عذب الحديث. رائع النكتة. نقي القلب. يألف ويؤلف. وهو الذي ناب عن أخيه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج في نظارة الأحباس بفاس الجديد. خلال سفر هذا الأخير لبلاد الحجاز. قصد تهنئة ملكها باستقلال بلاده. وكان ذلك بتاريخ عام 1334هـ - 1916م.

وهو من المتقلدين بالطريقة التجانية. حيث أخذها منذ السنين الأولى من شبابه. وذلك على يد العلامة المقدم الشهير سيدي محمد (فتحا) كنون الحسني الإدريسي. وكان شديد الاهتمام بشؤون هذه الطريقة. يحترم علمائها. ويقدم أهل الفضل والخيارة منها. و ظل مواظبا على ذلك إلى حين وفاته رحمه الله.

ومن مميزات صاحبنا المذكور أنه كان فطنا نبيها. وافر الذكاء. ثاقب الفهم. غزير المعرفة بأعمال التجارة والصناعة. ويذكر عنه في هذا الإطار أنه شغل منصب ممثل لإحدى الشركات الأمريكية بالمغرب. وهو إلى جانب هذا صاحب أولويات عديدة. منها أنه أول من أدخل آلة الخياطة والتطريز للبلاد. وأول من برع في فن التطريز التقليدي. ومعظم الذين يعملون الآن في هذه الصناعة إنما هم تلامذة لتلامذته.

وله رحمه الله ثلاثة أبناء. أكبرهم محمد ابن سالم. سماه على لقب شيخه أبي العباس التجاني رضي الله عنه. ثم بعده عبد العزيز. فعبد الحميد. وكلهم توفوا في مرحلة الشباب. ولم يعقب منهم أحد.

توفي المترجم في شهر محرم الحرام عام 1346هـ - يوليوز 1927م. وكان عمره لدى وفاته 46 سنة.

سيدي محمد (فتحا) بن الحاج العياشي سكيرج

أحد الإخوة الأشقاء للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. ولد بفاس عام 1302هـ - 1884م. وبها نشأ وتعلم. وكان صاحب ذكاء وفطنة. مع فهم ثاقب. وذاكرة حافظة تسعفه حين اللزوم. وذلك من الأسباب التي ساعدت على تفوقه في مجال التحصيل.

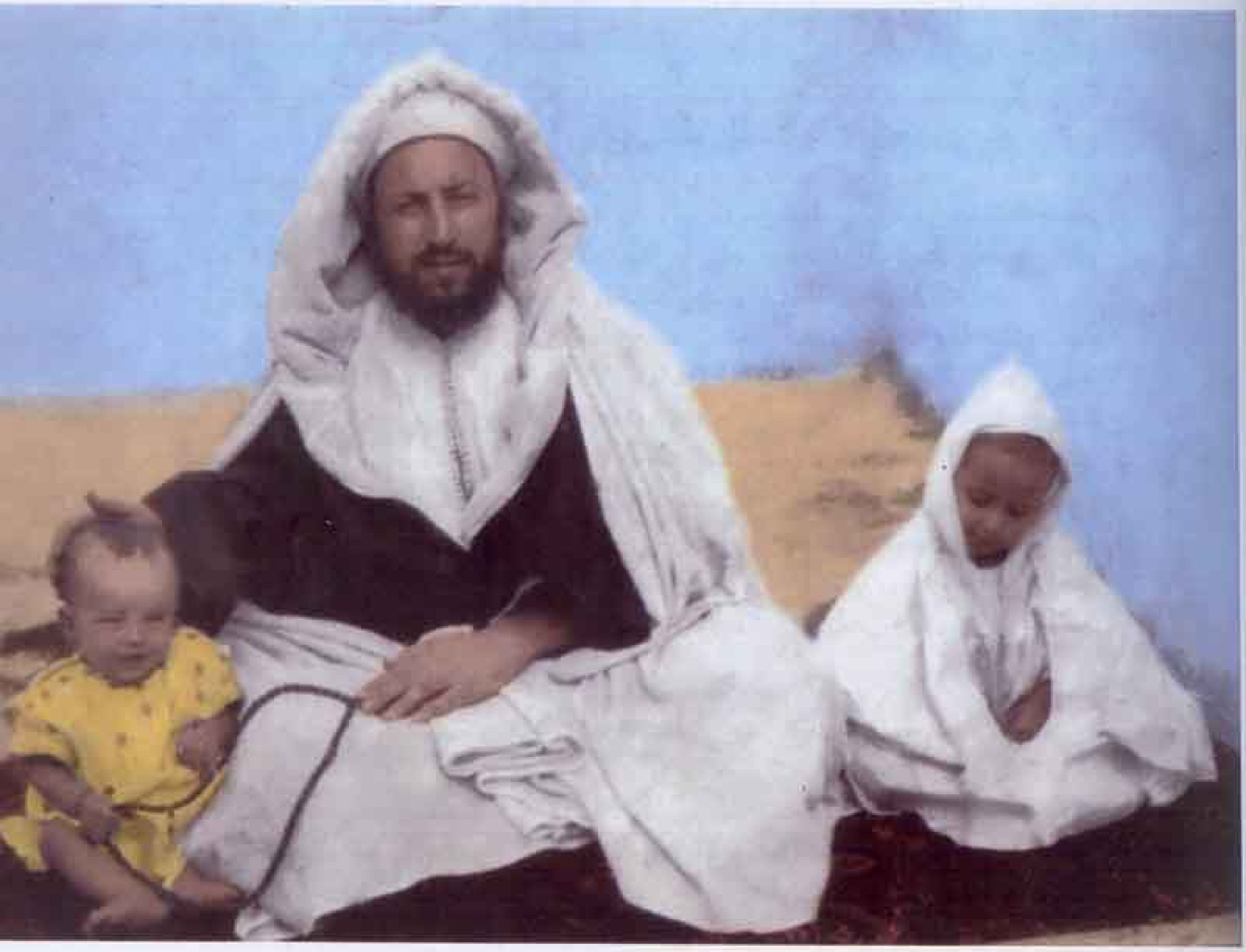

صورة للفقيه المرحوم عبد الوهاب سكيرج
مع ابنيه محمد ابن سالم وعبد العزيز

حيث رسخت معرفته بعلوم عديدة. من تفسير وحديث وفقه. ونحو وإعراب وسيرة ومنطق.

وقد أسهم في تكوينه ثلة من صفوة علماء القرويين. من أضراب العلامة التهامي كنون. وعثمان بن محمد الحبابي[1].أضف إلى ذلك شقيقه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج وآخرين.

وكان إلى جانب ما ذكرناه شابا نشيطا. دؤوبا على المطالعة. مقبلا على ما يعنيه. ممتازا على كثير من أقرانه بما كان يتحلى به من أخلاق وصفات حسنة.

وهو صوفي فاضل. من عداد مريدي الطريقة التجانية. التي له فيها أياد بيضاء في خدمة المنتسبين لها. من مقدمين وفقراء وغيرهم.

وكان تمسكه بالطريقة التجانية على يد العلامة الشهير المقدم سيدي محمد (فتحا) كنون. بيد أنه توفي عقب أخذها بأشهر قليلة. ولم يتعدى عمره إذ ذاك 22 سنة. وعن سبب وفاته قال شقيقه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج :

توفي وصار إلى رحمة الله أخونا الطالب الأنجد. السيد محمد (فتحا) بن العياشي سكيرج في الساعة الأولى من نهار السبت 5 جمادى الثانية عام 1324هـ. بعد جلوسه في فراشه بمرض الحمى نحو 14 يوما. وقد مات والحمد لله موتة الصالحين. وصلي عليه بعد صلاة العصر في مسجد الشرابليين. في جماعة بالخصوص. وحمل من الدار إلى المسجد. ثم إلى قبره بين يدي إخواننا التجانيين. ولم يتركوه لأصحاب النعش. حيث حصل منهم تأخير عن وقت الحمل. وكانت جنازته حافلة. ودفن بجنب جدنا بباب عجيسة. رحم الله الجميع آمين وألحقنا به مسلمين. إهـ...

عبد الخالق بن الحاج العياشي سكيرج

هو رابع إخوة العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. ولد بفاس عام 1307هـ. وبها نشأ وشب. فحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم. قبل أن يلج جامعة القرويين. حيث تلقى بها قسطا وافرا من تعليمه. بيد أنه توقف عن الدراسة بها لأسباب قاهرة. وذلك عقب وفاة والده عام 1328هـ. فاشتغل إذ ذاك في بعض الأعمال الحرة إلى حين عام 1332هـ. وهو العام الذي عين فيه شقيقه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج ناظرا لأحباس فاس الجديد. فعمل بجانب أخيه في الوظيفة المذكورة. بعدما اتخذ له سجلا يدون فيه مداخيل الأحباس باليوم والشهر والسنة.

ثم تخلى عن هذه الوظيفة مباشرة لدى انتقال أخيه لخطة القضاء بمدينة وجدة. لكنه عاد ليعمل بجانبه من جديد حين تعيينه على رأس القضاء بمدينة الجديدة. فكان كاتبا

---

[1] ـ عثمان بن محمد الحبابي. فقيه مدرس. من أولاد الحبابي المعروفين بفاس. ولد عام 1282هـ. أخذ عن نخبة من علماء القرويين. كمحمد بن التهامي الوزاني. وعبد المالك العلوي الضرير. ومحمد (فتحا) القادري. وعبد الله البدراوي وآخرين.

وهو أحد العلماء الذين لهم عناية بمجال التأليف. وله مجموعة من التصانيف المفيدة. لاسيما في ميدان الفقه. وقد طبع بعضها.

توفي بموطنه بفاس بتاريخ يوم الجمعة 4 ذي الحجة الحرام عام 1343هـ - 26 يونيه 1925م. انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب لحجي 8 : 2944. وفي الأعلام للزركلي 4: 214.

له. ينسخ الرسوم العدلية بخطه الأنيق. بيد أنه ما لبث أن تخلى عن هذه الوظيفة. وذلك لدى انتقال أخيه للقضاء بمدينة سطات.

وبناء على ما سبق عاد مترجمنا لمدينة فاس. فعمل بها في مجال إصلاح الساعات.

وعن هذا المجال يقول ابنه الشاعر الشهير عبد الغني سكيرج:

كنت عندما أخرج من القرويين. وأنا يومئذ أدرس بها أصعد عنده إلى دكانه الواقع بالطالعة الكبرى. فأقف عنده الساعة والساعتين. وهو يقلب الساعة وينظر فيها بمنظاره الصغير. ليقف على عيبها ويصلحها. فأقلق أنا وأمتعض. وأتعجب من طول أناته وصبره. وأقول إنه من السهل علي أن أضرب بهذه الساعة الجدار أو الأرض وأودي لصاحبها ثمنها. دون أن أتحمل كل هذه المشقة والتعب في إصلاحها. ولكن الوالد الخير الصبور المحتاط لرزقه الحلال كان يصبر ويصبر. إلى أن تسير الساعة وتستقيم في دورانها وضبط توانيها .اهـ...

وهو إلى جانب ما ذكرناه واحد من جلة مريدي الطريقة التجانية في وقته. تمسك بها

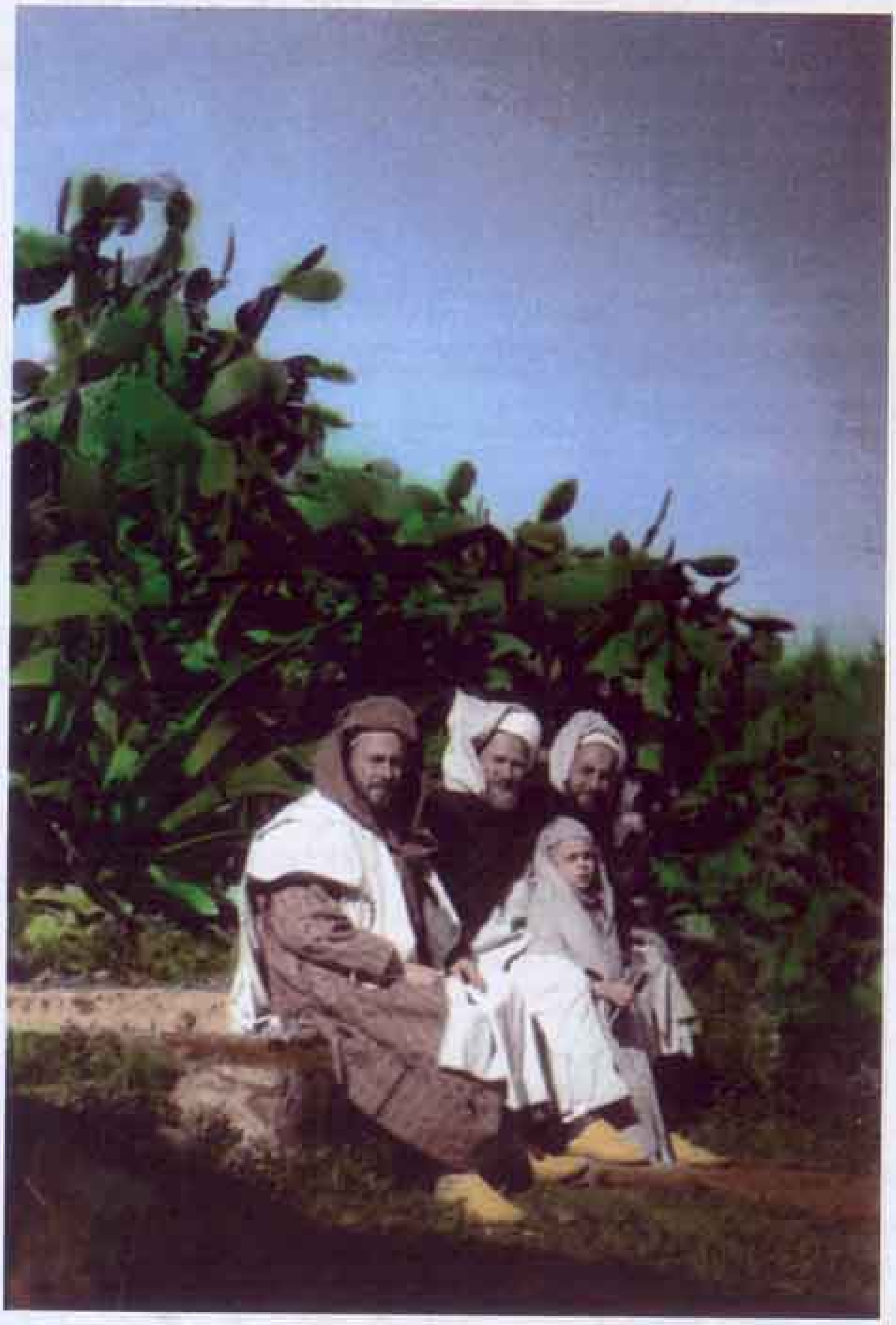

صورة للعلامة الفاضل احمد سكيرج يتوسط

شقيقيه عبد الخالق وعبد الرحمان

منذ السنين الأولى من شبابه. وذلك على يد المقدم الشريف سيدي الطيب السفياني[1].
ومما يذكر عنه في هذا الصدد أنه كان شديد الاهتمام بالزاوية التجانية الكبرى بفاس. حريصا على أداء ذكر الوظيفة بها بعد صلاة المغرب من كل يوم. كما كان يصلي بها معظم صلواته الأخرى. وهو علاوة على ذلك رجل محبوب. على جانب من حسن الخلق والخلقة. مجبول على محبة الخير. دائم الابتسامة. مشرق الوجه. عذب الكلام. حسن المعاملة. يتحلى بذكاء وفطنة زائدة.
وقد أثنى عليه شقيقه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج في كتابه : تاج الرؤوس في التفسح بنواحي سوس. فقال في حقه:

وأخي الشقيق الذاكر المشكــورعبـــــد الخالق المحمود في الأقران
سلك الطريقة للحقيقة فارتوى   من وردها بل سرها الحقانـــــــي
لولا مزيد تشدد في دينـــــه   لشهدت فيه بأنه فردانـــــــــي
فسد الزمان فساد فيه بهمـــــة   رقته في العليا على كيــــــوان[2]

توفي صبيحة يوم الخميس 25 ربيع الثاني عام 1361هـ - 16 أبريل 1943م. على إثر مرض لم يتمكن من التغلب عليه. إذ لم يمهله أكثر من أسبوع واحد. وذلك من جراء المجاعة والوباء الذي عم مجموع أرض الوطن إذ ذاك. بسبب مضاعفات الحرب العالمية الثانية ونتائجها الوخيمة.

عبد الرحمان بن الحاج العياشي سكيرج

هو أصغر إخوة العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج. ولد بفاس عام 1311هـ. وبها نشأ في عفاف وصون وطهارة. وما إن بلغ سن التمييز حتى دفع به والده إلى

---

[1] - المقدم الجليل سيدي الطيب بن أحمد بن الطيب السفياني. مقدم الزاوية التجانية الكبرى بفاس. سماه العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح ب سيدي الطيب الثاني. وهو رجل فاضل بركة. ذو أخلاق حميدة. وصفات حسنة. ولد عام 1261هـ - 1845م. وله في الطريقة التجانية أسانيد عديدة. ومعتمده فيها سنده عن العلامة العارف بربه سيدي الحاج الحسين الإفراني. عن لسان الطريقة الفقيه سيدي محمد أكنسوس. عن الأركان الأربعة. عن مولانا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه.
توفي بموطنه بفاس يوم الأربعاء 26 ذي القعدة الحرام عام 1359هـ - 26 دجنبر 1940م. عن 98 سنة.
ورثاه تلميذه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج بقصيدة رائية قال في مطلعها:

أأحباب قلبي هل تعيرون لي صبرا   على حمل ما في اليوم ضقت به صدرا
فقد فقدت نفسي اصطبارا عهدتـــــه   لديها إذا ما غيرها وجد الصبـــــــرا
فقدت الرضى السفياني الطيب الذي   بأفق طريق الشيخ كان بدا بـــــــدرا

إلى أن قال:

هو الطيب الأرضى المقدم في العلا   لنفع مريدي الخير بالذكر والذكـــرى
على فقده فليبك من كان باكيـــــا   ولم يعتذر في حقه من بطن الدهــرا

إلى أن قال في ختامها :

لئن كانت الأحباب واروه في الثرى   فإني في صدري جعلت له قبـــــرا
عليه من الرحمان نفحة رحمـــــة   بها سائر الأكوان قد ضمخت عطرا

انظر ترجمته في قدم الرسوخ. فيما لمؤلفه من الشيوخ . للعلامة سكيرج ت. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج 1: 42. وفي نسمات القرب والإفضال المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال (إجازة) للعلامة سيدي محمد الحجوجي ص 35 – 38.

[2] - انظر تاج الرؤوس في التفسح بنواحي سوس للعلامة سكيرج ص

(الكتاب) قرب صابة مسجد الطرافين من المدينة المذكورة. وبه حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا. على يد الفقيه المدرر عبد السلام الخمسي.

ثم اهتم بعد ذلك بطلب العلم وتحصيله. لاسيما ما يتعلق منه بعلوم الشرع والآلة. حيث أخذ منها بقسط وافر على يد شقيقه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. كما درس اللغة الفرنسية وأجادها غاية. بعدما تلقى فيها دروسا مكثفة عن المعلم عبد الرحمان التلمساني الجزائري. وهو من عداد المعلمين الأكفاء. الذين كانت تجلبهم سلطات الحماية الفرنسية من مدن جزائرية مختلفة. كوهران وتلمسان ومغنية وسطيف وغيرها. وذلك بغية تلقين اللغة الفرنسية لأبناء المغرب. مع العلم أن ذلك كان مجانا دون مقابل.

ولدى تعيين شقيقه (الحاج أحمد سكيرج) ناظرا لأحباس مدينة فاس. سارع مترجمنا إلى العمل بجانب أخيه المذكور. الذي كان يقربه إليه كثيرا ويحترمه. وخير دليل على ذلك مصاحبته له خلال سفارته اليوسفية إلى شريف مكة. الملك الحسين بن علي عام 1334هـ - 1916 م.

ثم اتجه بعد ذلك للعمل في مجال الصحة العمومية. فعمل كمراقب لها بمدينة فاس. لكن سرعان ما انتقل من جديد للعمل بجانب أخيه المذكور. وذلك إبان تعيينه قاضيا بمدينة الجديدة. فاشتغل معه هناك في نطاق نسخ الرسوم وتسجيلها.

ولدى انتقال أخيه (العلامة الحاج أحمد سكيرج) لمدينة سطات. انتقل مترجمنا بدوره صحبته. بيد أنه لم يعمل بجانبه في مجال النسخ والتسجيل كما سبق في مدينتي الجديدة وفاس. بل فضل مزاولة التجارة والأعمال الكبيرة. وظل وفيا لاتجاهه المذكور إلى حين نشوب الحرب العالمية الثانية. حيث حالت بينه وبين تجارته ما فرضته سلطات الحماية الفرنسية من قيود وحصار على أموال التجار بالبنوك.

وهو إلى جانب ما ذكرناه رجل هادئ وقور. عالي الهمة. طيب الخلق والمعاملة. صادق القول. متواضع. لطيف الحديث. هين لين. يقول الحق ولو على نفسه. ولا يواجه أحدا بما يكره.

وهو من جملة مريدي الطريقة التجانية. بل من مقدميها حسبما وقفت عليه من نصوص إجازاته. أخذها عن شقيقه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. وهو عمدته و مقدمه فيها.

توفي بمدينة الرباط يوم الأربعاء متم شهر ذي الحجة الحرام عام 1404هـ - 26 شتنبر 1984 . و دفن بضريح الولي الصالح سيدي عبد الله بن حسون بمدينة سلا. بجانب قبر زوجته التي توفيت قبله.

وقد خلف من بعده خمسة أولاد ذكور وهم: العياشي. والطاهر. وعمر. وأبو بكر. وعثمان. وكلهم من ذوي المكانة العالية والوظائف السامية. أضف إلى ذلك ما يتميزون به من صدق وتواضع وحسن خلق وغيره.

ترجمة العلامة القاضي العارف بربه سيدي الحاج أحمد سكيرج

من مواليد مدينة فاس خلال منتصف شهر ربيع الثاني عام 1295هـ- أبريل 1877م. وبها نشأ وشب بين أحضان أسرة فاضلة ذات علم وجلال وصلاح. وقد نبغ من هذه الأسرة جماعة من علية ذوي الفكر. من علماء وأدباء ومدرسين وقضاة وغيرهم.

وبمسقط رأسه المذكور تلقى مترجمنا تربية عالية حسنة. وفق تقاليد وأعراف أسرته المحافظة. وكان والده حريصا على تعليمه وتكوينه أحسن تكوين. إذ هيأ له كافة الظروف المواتية لتوجيهه وتهذيبه. كما انتقى لتحفيظه القرآن الكريم نخبة من المدررين الأكفاء. لاسيما منهم الفقيه البركة محمد بن الهاشمي الكتامي. إذ على يده ختمه مرات عديدة. مع ما له من ضبط وتجويد وشروط وآداب. وكان الفقيه المذكور رجلا صالحا. صاحب سيرة محمودة. ونباهة واستقامة. وهو ممن تخرجت بهم أفواج غفيرة من حملة كتاب الله ومجوديه.

وبعد أن استتم حفظه للقرآن الكريم ولج مترجمنا جامعة القرويين من بابها العريض. فأخذ بها عن جماعة من جلة فقهاء فاس. من ذوي المكانة العلمية المرموقة. كالفقيه محمد (فتحا) كنون. وعبد المالك الضرير العلوي. وعبد الله البدراوي. والحبيب الداودي. وإدريس عمور. ومحمد بن حعفر الكتاني. وأحمد بن المامون البلغيثي. وعبد الله بن خضراء السلاوي. ومحمد بن عبد القادر ابن سودة . وإبراهيم بن محمد اليزيدي. والفاطمي الشرادي. وعبد الكريم بن العربي بنيس. وعبد السلام بن الحسن بناني. وأحمد بن الخياط. ومحمد (فتحا) بن قاسم القادري وآخرين[1].

ومما تجدر الملاحظة به ما كان يتمتع به صاحبنا المذكور من ذكاء خارق وفطنة زائدة. فقد كان عجبا في سرعة الاستحضار. قوي الملكة. متين الحافظة. ذا قدرة بالغة على استيعاب كافة المواد والدروس التي كان يتلقاها.

وخلاصة القول فقد كان محبا للعلم. شغوفا بتحصيله. دؤوبا على المضي في دربه وسبيله. إلى أن تسلق سائر مراحل تكوينه بامتياز وتفوق. مظهرا في ذلك من المواهب والطاقات ما جلب له المزيد من تشجيع أساتذته وشيوخه.

وغالبا ما كان يمضي ساعات طوالا داخل غرفته. محاطا بكتبه ودفاتره. لا يبالي بما يجري على الساحة العامة من أحداث ومستجدات. بل كان مقبلا بكليته على الدراسة. تستهويه مطالعة التصانيف الصعبة المنال. لاسيما منها كتب الأدب واللغة. والتاريخ والتراجم وما إلى ذلك.

وانطلاقا من هذا غدا إذا مترجمنا بحرا غزيرا من العلم والنباهة والإطلاع. فلا تسأل عن حفظه وإتقانه. ولا عن استيعابه وفهمه. فقد كان ضليعا في الفقه. متمكنا من الحديث. ذا اهتمام واسع بالأدب وشؤونه.

---

[1] ـ عرفنا بهؤلاء العلماء بما فيه الكفاية في كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي الحاج أحمد سكيرج 1: 25- 46.

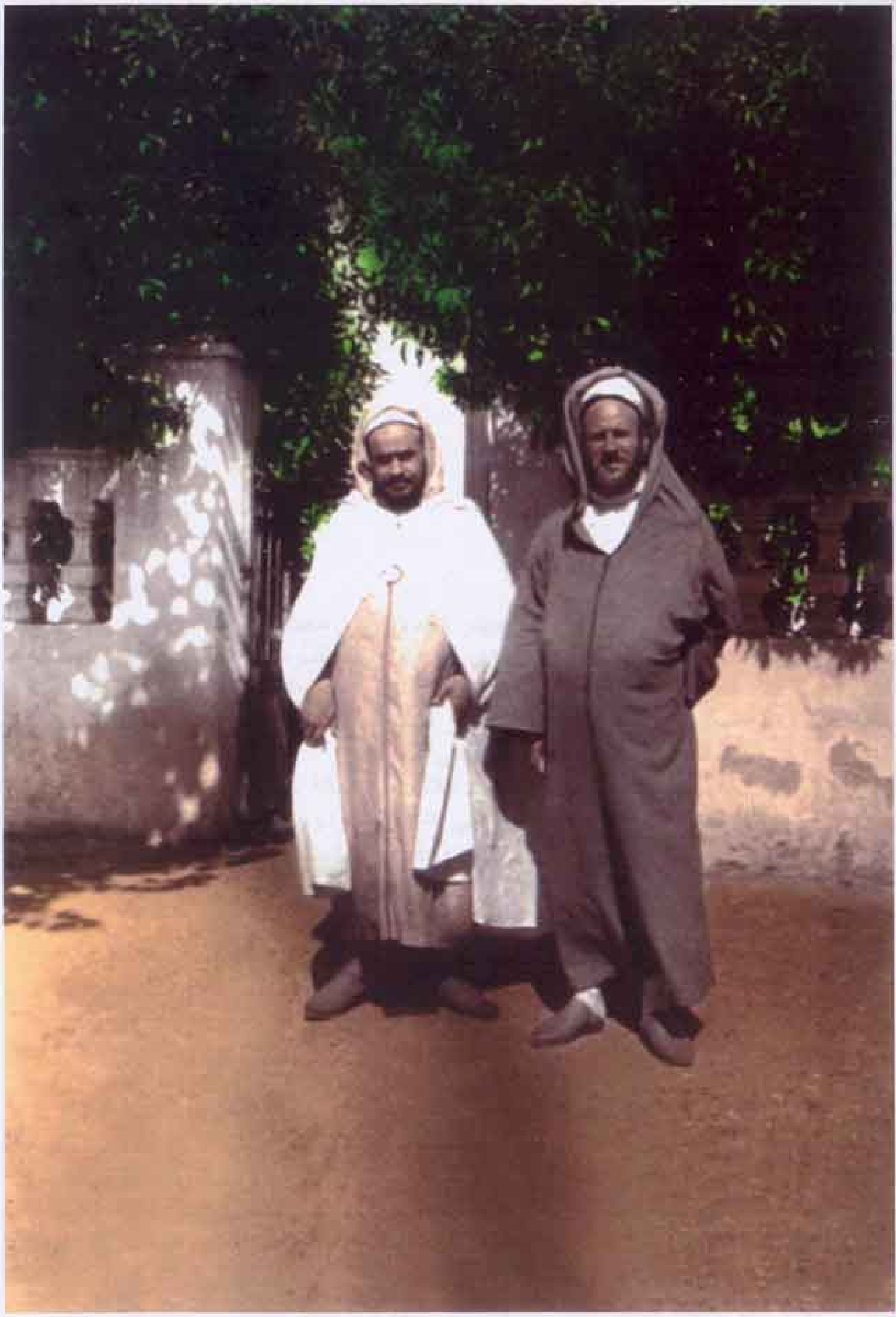

صورة للعلامة الفاضل أحمد سكيرج بجانب العلامة الأديب
محمد بن علي دينية الرباطي مؤلف كتاب مجالس الانبساط

وكان اجتماعه بالفقيه المقدم سيدي أحمد العبدلاوي[1] بمثابة نقطة انطلاق حقيقية لهذا الاهتمام. حيث خصه هذا الأخير بمعارف وأسرار دقيقة لم يشرك معه فيها غيره.

وبناء عليه فقد تحول مترجمنا إلى رجل آخر. ذي آداب وصفات عالية. حيث أشاح بمحياه عن صخب العالم وضجيجه العارم. ملتفتا بكل جوارحه للمجاهدات والطاعات التي حببت إليه وأصبحت شغله الشاغل.وكان هذا الشيخ معجبا بما يتميز به مترجمنا من مؤهلات ومواهب. مع أخلاق فاضلة واستقامة ونزاهة. ولهذا كان شغوفا به. معجبا بنشاطه. يثني عليه غاية الثناء.

وفي الوقت نفسه كان مترجمنا شديد الاهتمام بمحبة شيخه المذكور. لا يقطع أمرا إلا بمشورته. وقد لازمه إلى حين وفاته عام 1328هـ. كما مدحه بقصائد عديدة.

ولا يفوتنا هنا أن نشير أن القسم الأكبر من تحصيل مترجمنا كان على يد العلامة

---

[1] ـ الفقيه البركة المقدم سيدي أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي بن محمد بن عبد المومن بن بلقاسم بن الولي الصالح سيدي عبد الله الشريف دفين باب سيدي عبد الله من الحاضرة التونسية، ولد رضي الله عنه في شهر شعبان الأبرك عام 1230 هـ قبل وفاة الشيخ سيدي أحمد التجاني بشهرين، بقرية العلية بالصحراء من عمالة توكورت، قرب تامسين، وحضر لسابع ولادته جمع من أفاضل أصحاب الشيخ رضي الله عنه، من بينهم القطب الخليفة سيدي الحاج علي التماسيني.

حفظ رحمه الله القرآن الكريم في صغره بقرية اولاد جلال، من عمالة بسكرة بالقطر الجزائري، وكان ملازما لسيدنا محمد الحبيب نجل الشيخ التجاني رضي الله عنه سفرا وحضرا لا يفارقه إلا قليلا، وكان لديه أخا وصديقا، وحبيبا ورفيقا، فهو خزانة أسراره ، وجليسه في المذاكرة والمسامرة في ليله ونهاره، إلى أن توفي سيدنا محمد الحبيب وهو راض عنه. وفي سنة 1288هـ ارتحل سيدي أحمد العبدلاوي عن قرية عين ماضي ليستقر نهائيا بفاس.

وفي حقه قال العلامة اكنسوس في رسالة وجهها لأبي المواهب سيدي محمد العربي بن السائح ما نصه بعد كلام: وقد أتحفتمونا بورود هذا السيد الجليل القدر ، المبني دينه وجميع أموره على أثبت جدر ، سيدي أحمد العبدلاوي، فإننا ما ورد علينا مثله من تلك النواحي، وقد أحيا الله به قلوبنا بعد مناهزة الممات، وأفادنا من الفوائد والمعارف ما تنتعش بها العظام الرفات، إلخ.....

وفي حقه قال العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 3 ص 203: وقد لازم الجلوس بداره مدة، وكان مع كبر سنه الذي ناهز فيه المائة سنة سالم الذات، من جميع العاهات، حتى أنه كان يقرا الخط الرقيق بلا نظارتين، ويقول لي ما قاله بعض العارفين: جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الحق علينا في الكبر. ودخلت عليه مرة فقال لي: إن ملك الموت جاء إلي وهو لابس للباس أزرق، وأعطاني سبحة حباتها من جهتي الشاهد ضعيفة، حتى كأنها ليست من جنس الحبات الآخر ، فعرفت بذلك أني أناهز المائة. والحبات الضعيفة هي أول العمر وآخره. وكان عمره عند وفاته 98 سنة، ودفن رحمه الله بروضة سيدي الطيب السفياني بباب عجيسة بفاس، ورثاه تلميذه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

فقد الأحبة من أدهى المصيبات   والصبر عنهم أراه هادم الـــذات
كأنه هادم اللذات بعدهـــــــــم   قد حل عند الصبور في الرزيات

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 9، وفي كشف الحجاب لنفس المؤلف ص 200 وفي رفع النقاب للمؤلف نفسه ج 3 ص 201 وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 93 . وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 27 . وفي كتابنا رسائل معلمة معالم سوس الفقيه سيدي محمد أكنسوس 1:

الأديب عبد الكريم بن العربي بنيس[1]. إذ هو شيخه وأستاذه و معتمده. كما أنه ذلك الموجه المقتدر الرشيد الذي مكنه من إحراز ما كان يصبو إليه من علم ومعرفة وفضيلة.

وكان مترجمنا قوي المحبة في شيخه المذكور. يقر بالعجز عن وفاء الإحسان نحوه بمثله. وكان كثيرا ما يردد بين أصحابه ما يراه له من الفضل العظيم عليه. ويذكر حديثه وسيرته. ومواعظه ونصائحه.

وخير شاهد على هذه المحبة وفرة ما بعثه إليه من رسائل تدل على شغفه العظيم بهذا الشيخ وعمق مودته له. ومن ذلك هذه الأبيات الحميمية التي بعثها له من إحدى حمامات مدينة فيشي الفرنسية:

ولقد ذكرتك والبحار تلاطمـت   أمواجها وأنا بداج مظلـم
والماء من تحتي ومن فوقي ومن   عيني جرى من فرط شوقي المضرم
وذكرت جهلي والجهالة دائمـا   من صار فيها فهو ذو قلب عمـي
وذكرت علمك حالة الإملا ولكـ   ـن بحرك الطامي عظيم الأنعـم
فنشلتني من وحلتي ومنحتنـي   فضلا سأشكره بقلبي والفـم
فالفضل منك أناله وأنالـه   في شكره عبد الكريم المنعـم
ما كان هذا الموج في جنب الذي   تمليه إلا نقطة لم تعظـم

ونظرا للأحداث المؤلمة التي كانت تعيشها فاس إبان عهد السلطان المولى عبد الحفيظ. فقد ارتأى مترجمنا أن يغادرها صوب مدينة طنجة عام 1327هـ. فعمل بها موظفا بدار النيابة. وكان أول يوم بدأ فيه العمل هو يوم الأربعاء فاتح ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة. بيد أنه وجد بهذه المدينة أجواء مغايرة للأجواء التي كان يعيشها بفاس. اعتبارا لاختلاف عادات أهلها من جهة. ولغلبة الطابع الأوروبي داخل الحياة العامة بها من جهة ثانية.

---

[1]- الفقيه العلامة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس. الفاسي دارا ومنشأ. الأندلسي نسبا. ولد بالعقبة الزرقاء بفاس في شهر ذي القعدة الحرام عام 1267هـ. وبها نشأ وشب. فحفظ القرآن الكريم حفظا متقنا. ثم تعاطى لطلب العلوم. فأخذ عن جماعة من اكابر علماء القرويين. كوالده العلامة الحاج العربي بن محمد بنيس. وسيدي محمد بن المدني كنون. واحمد بن سودة. والهادي الصقلي. ومحمد التدلاوي. وأحمد ابن الخياط. وجعفر الكتاني وآخرين.
وله رحمه الله تآليف كثيرة منها: نظمه للحكم العطائية المسمى: بواضح المنهاج بنظم ما للتاج. ومنظومة في علم التجويد. في أكثر من خمسمائة بيت. وفتح الجليل في بيان مجادلة الخليل. والنفحة السرية في مدح البرية. ورفع الشجب عمن ذكر رجب. وبردة المديح من الهمزية. في 459 بيتا. والأنوار الوهبية من الأحاديث النبوية المقتطفة من الأدعية. وتقييد في السواك. وعقد اللآلئ الوامض بدرر من جملة الفرائض. ودرة التاج وعجالة المحتاج. وغير ذلك من الفتاوي والرسائل العلمية المفيدة.
أخذ الطريقة التجانية عام 1316هـ. على يد العلامة المقدم سيدي محمد (فتحا) كنون. وكان عمره إذ ذاك 49 سنة. ثم أخذها بعد ذلك على وجه التبرك عن جماعة من الأفاضل الآخرين. كالعارف بربه سيدي العربي العلمي اللحياني. والولي الصالح سيدي أحمد العبدلاوي. والشريف المقدم سيدي الطيب السفياني. توفي رحمه الله في الساعة التاسعة من صبيحة يوم الاثنين 1 جمادى الأولى عام 1350هـ - 14 شتنبر 1931 . وصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع القرويين. ودفن خارج باب الفتوح بفاس. انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج ت 45. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية. بذكر بعض رجال الطريقة التجانية للفقيه سيدي محمد الحجوجي 7: 262-263. وفي فتح الملك العلام. بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام. لنفس العلامة بتحقيقنا عليه ت 165. وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي 8: 3004. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج 1: 40.

وقد شكلت هذه العوامل قلقا وانزعاجا لمترجمنا الذي كان إذ ذاك حديث عهد بأسوار فاس وتقاليدها وأصالتها القديمة. فلم يألف ذلك النمط الجديد من العيش. ولم يتأقلم معه إلا بصعوبة ومشقة. ولذا قال لدى اليوم الأول من عمله المذكور. مباشرة لدى جلوسه على كرسي مكتبه:

على جميع شجوني		يا رب أنت معيني
فاحفظ بفضلك ربي		عقلي وذاتي وديني

وكانت هذه الأسباب من أهم العوامل التي دفعت مترجمنا للعودة لفاس عام 1329هـ. غير أنه ما لبث أن آب لمدينة طنجة من جديد. وذلك بعد سنتين من التاريخ المذكور. حيث عمل بها كاتبا لدى صديقه الحميم باشا المدينة محمد الزكاري[1]. لكن سرعان ما انقلب لمسقط رأسه في خضم السنة نفسها. حيث عين هناك ناظرا لأحباس فاس الجديد. وظل يزاول هذا المنصب مدة أربع سنوات. من عام 1332 هـ إلى حدود عام 1336هـ.

وخلال هذه الفترة اختارته الحكومة الشريفة للنيابة عنها في تهنئة الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز باستقلال بلاده. وكان ذلك خلال موسم الحج من عام 1334هـ. فزار في طريقه دولا عديدة. كفرنسا وتونس ومصر. إلى أن وصل إلى البقاع المقدسة التي أثارت في نفسه ذكريات خالدة لا تمحى.

وكان أثناء هذه الرحلة مبعوثا من طرف السلطان المولى يوسف بظهير شريف للملك المذكور قال فيه:

اغتنمنا الفرصة لتوجيه أحد أعيان علماء العاصمة الفاسية. المنتخب من ذوي الأفكار الحسنة والأخلاق المرضية. وهو الفقيه السيد أحمد سكيرج. لرفيع حضرتكم نائبا عن جنابنا العالي بالله. في تجديد الروابط الودية. وتمثين العلائق الإخائية. والتذكار فيما سلف لسلفنا الطاهر من سلفكم الصالح. من المصاهرة التي مازالت آثار بركتها ظاهرة وبادية. وعززناه برئيس إدارة التشريفات بأعتابنا العالية. الطالب عبد القادر ابن غبريط. وكلفناهما بالمذاكرة مع جنابكم المحبوب في كيفية ما شرح الله إليه صدرنا من تأسيس وقف عندكم. اقتداء بأسلافنا الكرام. ورغبة فيما أعد الله لفاعل ذلك من الثوبة والإكرام. إلى آخر ما صدر به الظهير الشريف المذكور المؤرخ في 12 شوال عام 1334هـ.

وبحلول عام 1337هـ تولى مترجمنا منصب القضاء بمدينة وجدة ونواحيها. فقضى هناك ثلاث سنوات كاملة. كان خلالها آية في النزاهة والعدل. مستقيما على الشريعة. متبعا للسنة. حريصا على إعلاء شعائر الدين. واقفا عند الحدود. لا يبرح عنها ولا يزيغ.

---

[1]- سيدي محمد فتحا الزكاري التطواني، فقيه، أديب، صوفي، باشا مدينة طنجة، قال في حقه العلامة سكيرج في مقدمة كتابه فتح الباري: العارف الذي ارتدى برداء الخمول، والغارف من بحر المعارف بين أهل الوصول، فعامل أهل الظاهر بظواهر الأمور، وأهل الباطن بغير الباطل من الظهور، ولكن بما يشفي الصدور، شيبة الحمد، الراقي في مراقي المجد، البدر الساري الرباني، أبو البركات سيدي الحاج محمد الزكاري التطواني، إلخ.... وكانت وفاته رحمه الله قرب فجر يوم الاثنين 17 ذي القعدة عام 1339هـ.

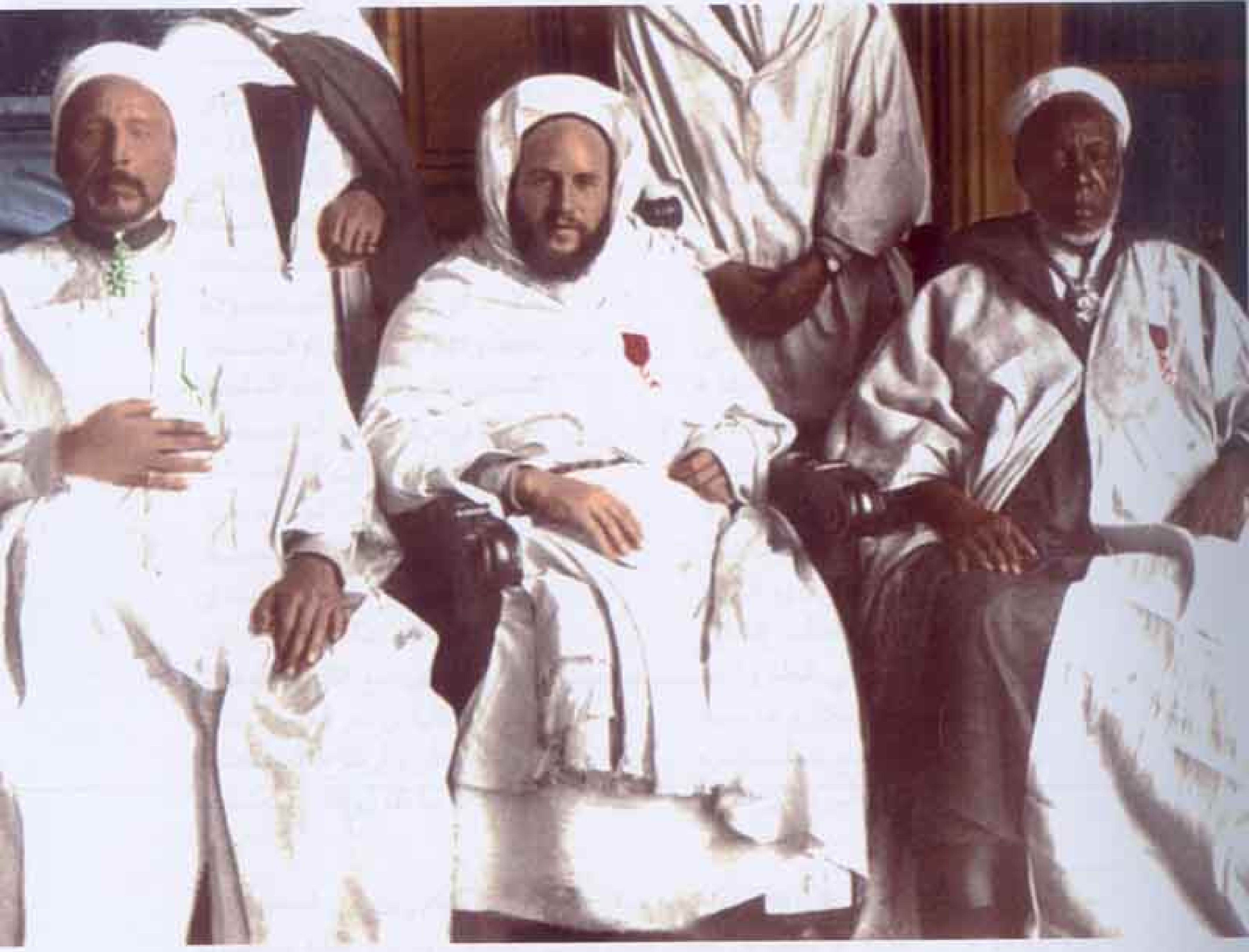

صورة للعلامة الفاضل أحمد سكيرج إبان رحلته الحجازية عام 1334هـ - 1916 م

وإلى جانبه العلامة القاضي

عبد الحميد عبد كن التجاني، وفاضل آخر

بيد أنه لم يجد هناك ما كان يؤمله من تشجيع وتقدير. لاسيما في بعض مقاصده العلمية التي كان يتوخاها. إذ لم يلفى ثمة مساعدا على الحق ولا معينا عليه[1]. مما اضطره إلى طلب استقالته من الحضرة السلطانية الشريفة. فأرسل في صدد ذلك قصيدة لوزير العدلية الشيخ أبي شعيب الدكالي[2]. ونصها:

شد المطية للإمام الأوحد   وببابه احطط ثقل حملك تسعد
لا تعد عنه فإنه يكفي العنا   وبه تعلق فهو يأخذ باليد
ما شئت من خير فمنه تناله   فإذا اهتديت له فأنت المهتدي
ما البحر يشبهه لأن علومه   تزداد فيضا وهو أحلى مورد
ما الشمس تشبهه لأن سناءه   ينفي ظلام الجهل والظلم الردي
ما البدر يشبهه لأن له ارتقت   أوج القلوب منازل بتعدد
ما الليث يشبهه لأن الليث في   آجامه يخشاه دون تفند
أكرم به فأبو شعيب مفرد   متفرد في عصره بالسؤدد
تربت به الأمثال بين الناس في   حفظ وفهم في كمال توقد
لله من شيخ عظيم قدره   أضحى عديم المثل عند المقصد
يا أيها الوزر الوزير المرتضى   المرتدي برداء عز أحمدي
إني إليك شددت رحلة طالب   يرجو تخلصه لنيل المقصد
إن القضاء قضى علي بوجدة   يا ليت وجدة أو أنا لم توجد
إني بها قد ضقت ذرعا والفضا   قد ضاق بي فيها لفقد المسعد
فلقد عدمت مساعدي فيها فلم   أرى مستفيدا أو مفيدا يحتدي
قد ضاع علمي إن أطلت إقامتي   من بينهم فتلاف ذا التلف الردي
فالله زادك بسطة في العلم والـ   ـجسم الجميل مع الكمال المفرد
ولقد جمعت من المكارم ما به   تزداد مرتقيا برغم الحسد
تزداد حسن تواضع بتأدب   وسواك يبطره ارتفاع المصعد
وإذا أبت رتب للعلى أن يرتقي   أحد بها يوما تقول لك اصعد

---

[1] مما قاله العلامة سكيرج حول فترة قضائه بمدينة وجدة ونواحيها: كنت أحكم وبين يدي المسدس.

[2] شيخ الإسلام. وزير العدلية أبو شعيب بن عبد الرحمان الدكالي الصديقي، ولد بدار الفقيه ابن الصديقي بدكالة في 25 ذي القعدة عام 1296هـ، وكان رحمه الله آية في الفهم والحفظ، فقد حفظ القرآن كله إلا خمسة أجزاء منه في سنة واحدة، وحفظ الأجرومية في يوم واحد، وألفية بن مالك في عشرة أيام، ومتن الشيخ خليل في خمسة أشهر، واستكمل رحمه الله القرآن الكريم برواية السبع عن شيخه الأستاذ سيدي محمد بن المعاشي.

ثم تعاطى بعد ذلك لطلب العلوم، فأخذ عن عشرات الشيوخ، منهم الفقيه العلامة السيد الطاهر قاضي الحضرة المراكشية والعلامة سيدي محمد بن عزوز والفقيه سيدي محمد بن أبي شعيب والعلامة سيدي الطاهر بن قدور وغيرهم، وفي سنة 1314 هـ رحل للمشرق العربي فأقام بمصر ست سنوات، ثم رحل للحجاز بطلب من أمير مكة الشريف عون الرفيق، وذلك لإقراء العلم بها، وفي سنة 1327هـ رجع للمغرب فانتخب قاضيا بمراكش عام 1329هـ ثم وزيرا للعدلية عام 1330هـ وتوفي رحمه الله ليلة السبت 18 جمادى الأولى عام 1356هـ ورثاه العلامة سكيرج بميمية قال في مطلعها:

الدهر قاض نافذ الأحكام   حتى على الحكماء والحكام
من ذا الذي في الحكم عانده ولم   يقضي عليه بعاجل الإعدام

انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 3 وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 2 ص 141 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 167. وفي قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 46.

ومحاول في ذا المجال لحاقها   قعد المحال به مقاعد مقعد
وأميرنا والله يرعى قدره   بسط اليدين بنعمة لم تنفد
ولأنت خير وساطة في الخير لا   تخشى انتقاص الورد منك لورد
فلتنه للعلم الشريف بأنني   من اصدق الخدام رهن تودد
فعساه أن يرضى أكون خديمه   فخديمه عن فضله لم يبعد
واقبل بفضلك بكر فكر قد أتت   تبغي القبول وفيه غاية مقصد
لازلت من بين العوالم ناشرا   علم العلوم وفي الهدى بك نقتدي.

فاعفي من خطة القضاء بمدينة وجدة في شهر ذي الحجة الحرام عام 1340هـ. لينتقل عقب ذلك لمدينة الرباط. حيث عين بها عضوا ثانيا بالمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة. وظل يزاول هذه المهمة إلى حدود شهر شعبان سنة 1342هـ. وهي السنة التي عهد له فيها قضاء مدينة الجديدة. فقضى برحاب هذه المدينة خمس سنوات تامة. كان خلالها نشيطا ذا حركة وفعالية.

وقد سافر ضمن هذه الفترة نحو الديار الفرنسية. حيث كان من أوائل العلماء المغاربة المدعوين لحضور تدشين مسجد باريس. وذلك في صيف عام 1344 هـ 1926-م. وهو الذي خطب وصلى بالناس خلال أول جمعة بالمسجد المذكور. كما أنه صاحب القصائد والأبيات الشعرية التي نقشت به[1]. ومن بين ذلك داليته البديعة التي كتبت في دائرة صحن المسجد نفسه.

وقد قال في مطلعها:

متع لحاظك في محاسن معهد   يسبي العقول بحسنه المتعدد
هو معهد لكنه في زينة   وفخامة في غيره لم تعهد
هو بهجة للناظرين وروضة   تحي القلوب بروحها المتورد
هو مشهد للواردين وملجأ   للزائرين وجنة للعبد

وبحلول شهر ذي القعدة الحرام عام 1347هـ - 1928م . تولى صاحبنا المذكور خطة القضاء بمدينة سطات. وظل يزاول هذه المهمة إلى حين وفاته رحمه الله.

والمعروف عن سبب انتقاله من مدينة الجديدة لسطات. ما وقع من خلاف حاد بينه وبين المراقب المدني الفرنسي. الذي حاول أن يلزمه الإمضاء على رسم فيه بعض الزور. فأبى العلامة سكيرج أن يوقع عليه. اعتبارا لما فيه من ظلم وإخلال بالحق والمسؤولية. فهدده المراقب الفرنسي. الذي كان يظن أن قوته وصلاحياته تسمح له بكل ما يريده. وأنه لا يسوغ للمسؤولين المغاربة إلا الركوع له وتلبية أوامره. بيد أن العلامة سكيرج كان صارما معه إلى حد بعيد. فلم يأبه بكلامه وتهديده. وقد بلغ هذا النزاع غايته. واكتسى من الخطورة ما اكتساه. مما دفع وزير العدلية المغربية إذ ذاك الشيخ شعيب الدكالي لنقل العلامة سكيرج لقضاء مدينة سطات. مكان قاضيها العلامة المؤرخ العباس بن إبراهيم التعارجي. مؤلف كتاب الإعلام. الذي تم تحويله بدوره لقضاء مدينة الجديدة.

والمعروف عن مترجمنا أنه كان رجلا جليل الهيئة. ظاهر الوضاء. كريم النفس. دائم البشر. عظيم الوقار. صاحب ابتسامة ووجه مشرق. ولطافة روح. كما كان أبعد

---

[1] تطرقت لذلك بإسهاب في كتابنا : رسائل العلامة القاضي سيدي الحاج احمد سكيرج 1 : 77- 83.

الناس عن الفحش والرذيلة. محبا للحق والفضيلة. لا يغضب لنفسه. ولا يتغير لغير ربه. وقد عرف لدى الناس بجرأته وصرامته. فلا يقول إلا الحق. ولا يلتفت إلا إليه. لا يخشى في ذلك لومة لائم. مما يدل على مثانة إيمانه. وطهارة نفسه. واطمئنان قلبه. وكانت له إلى جانب ذلك مواقف شجاعة في دنيا الكرم والعطاء. فلا تسأل عن كمية الهدايا والصدقات التي وزعها من حوله. سواء لإغاثة الفقراء والمساكين. أو للمساهمة في المشاريع الخيرية التي تعود بالنفع على الصالح العام.

وهو إلى جانب ما ذكرناه واحد من مشاهير أعلام الطريقة التجانية بالمغرب. لدرجة أنه لا تذكر هذه الطريقة إلا ويذكر معها. اعتبارا لما له فيها من تآليف قيمة وإسهامات متميزة لم يسبقه إليها عالم أو باحث آخر.

ومهما يكن من أمر فقد ابتدأت علاقته بهذه الطريقة منذ العقد الأول من عمره. حيث كان يرافق جده عبد الرحمان سكيرج لصلاة المغرب وتأدية ذكر الوظيفة بعدها بالزاوية الكبرى بفاس. ورغم الوفاة المبكرة لجده المذكور عام 1311هـ. فإنه ظل يتردد على الزاوية مرة بعد مرة. لاسيما صحبة والده الفقيه الحاج العياشي.

وكان تمسكه بهذه الطريقة على يد جماعة من جلة أعلامها. وصفوة رجالاتها. في

صورة للعلامة سكيرج بجانب الشريف النقيب السيد الطيب.
بن علي حفيد الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه

مقدمتهم العلامة سيدي محمد (فتحا) كنون[1]. وأحمد العبدلاوي[2]. والطيب السفياني[3]. وحميد بناني[4] وآخرين.

ومما هو جدير بالذكر والتنويه ما دبجه يراع مترجمنا من تآليف كثيرة. ذات أغراض مختلفة. إذ تتنوع بين علوم عديدة. كالأدب والفقه. والسيرة والتصوف والحساب. والعروض والتاريخ والترجم وغيرها.

والثابث لدينا أنها تفوق مائة وستين تصنيفا. منها ما طبع. ومنها ما لم يزل كامنا في مسودته يحتاج للطبع.

وبقليل من التأمل في هذا الكم الهائل من التآليف يتضح للمطالع ما لهذا الرجل من مواهب جمة. ونبوغ فريد. وحنكة عالية.

---

[1] ـ العلامة الشهير، والمقدم الكبير، سيدي محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام بن أحمد بن عبد الله كنون الحسني، نسبة للولي الصالح سيدي أحمد (دفين مدشر بوبريح بقبيلة بني زروال بمنطقة جبالة الواقعة شمال غرب بلاد المغرب) بن يوسف بن كنون بن عمران بن عبد الرحمان بن سليمان بن الحسن ابن عمران بن محمد بن أحمد بن كنون بن أحمد بن مولانا إدريس الأزهر باني مدينة فاس.

ولد بفاس عام 1270هـ، وبها حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم أخذ العلم عن جماعة من خيرة الفقهاء، منهم سيدي احمد بناني كلا، والفقيه سيدي احمد العلمي السريفي، وابن عمه العلامة سيدي محمد التهامي كنون، والفقيه سيدي محمد بن العباس العراقي وهو عمدته، وغيرهم، وتقلد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد أكابر جماعة من أعلامها، في مقدمتهم : الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، والعلامة البركة سيدي احمد محمود، دفين البحيرة بقبيلة الرحامنة، والعلامة الفقيه سيدي أحمد بناني كلا وغيرهم.وله مصنفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون، وقد ذكرت منها 46 مصنفا عند تحقيقي لكتابه الصواعق المرسلة إلى من أنكر الجهر في الفريضة بالبسملة.

وفي حقه قال العلامة سيدي محمد الحجوي: كانت العلوم اندرست أو ضعفت فأحياها، ونفخ روحا جديدة في طلابها، فابتهج محياها، درس علم التجويد بعدما درس، وأحيا قراءة التخليص بمطول السعد بعدما بعد عهد هذه الديار، بتهاطل تلك الأمطار، وذلك كله عطل بموته، وأحيا قراءة التفسير بالبيضاوي، ولكن القاصرين لم يرق ذلك في أعينهم، فزعموا أنه يتسبب عنه موت السلطان، فشغلوه بولاية قضاء آسفي، ويا أسفي على العلم قضى عليه الحسد، وأذهب الروح وترك الجسد، لكن لم يلبث إلا نحو سنة، ثم استعفى فأعفي، مشوقا إلى ما تعود من نشر العلم، طاهر الذليل، قائما بحقوق العدل، فرجع لدروسه، تاركا التفسير في دروسه، إلخ.....

وتوفي رحمه الله بعد عصر يوم الجمعة 27 شعبان الأبرك عام 1326هـ ، وصلي عليه بعد صلاة المغرب بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، ودفن بضريح الولي الصالح سيدي أبي غالب، عن يسار الداخل للقبة، وقبره متصل برجل الولي المذكور، ورثي بقصائد كثيرة منها مرثية للعلامة سكيرج قال في مطلعها:

رزء أصيب به الطلاب للديـن   بموت عالمنا ذي الفتح كنــون

ورثاه تلميذه مولاي عبد السلام المحب العلوي بقصيدة قال في مطلعها:

الكون اصبح ظاهر الأوصاب   والدهر جرعنا كؤوس الصاب

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة ج 1 ص 46 ، وفي فتح الملك العلام لنفس العلامة بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 124، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 372 – 374 رقم الترجمة 819، وفي معجم المطبوعات لسركيس 717 ، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 77 ، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 49 – 52 ثم ج 2: 128 ، وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي ج 7 ص 2753. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1 : 26.

[2] ـ سبق التعريف به في ص

[3] ـ سبق التعريف به في ص

[4] ـ انظر ترجمته في كتابنا : رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج 1: 31 .

والمعروف عن كتبه أنها سابقة لأوانها. اعتبارا لما تمتاز به من دقة وتحقيق وتمحيص سليم. أضف إلى ذلك ما تتمتع به من طابع أدبي رفيع. وأسلوب محكم ومنهج سديد[1]. ومن عداد تآليفه المعروفة لدينا :

الفقه ونوازله

إرشاد المتعلم والناسي . في صفة أشكال القلم الفاسي
إفادة أهل الحرث. بعدم وجوب الزكاة في الحب المعروف في المغرب بكوكو وفي السودان بكرث
تنوير الأفهام. بختم تحفة الحكام
الثغر الباسم. من حلي المعاصم
حسن الوسائل في الأجوبة عن بعض النوازل
الروضة اليانعة. والثمرة النافعة. في شرح الفدلكة الجامعة. في صرف الجامعة.
رفع الإشكال عن وجوب الزكاة في الحرطال
وقاية العطب. ببعض الخطب
الراية المنشورة. في الجواب عن الأسئلة المنوطة بالصداق والشورة
شرح رجز أبي زيد الفاسي في العمل الفاسي
طرق المنفعة. بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة
الفتح المبين. في ختم المرشد المعين
محاذاة نظم ابي زيد الفاسي لبعض المسائل من الأحكام التي جرى بها العمل بفاس
مجموع النوازل الفقهية
نظم الجمان. في شرح نظم ابن كيران

النحو واللغة

الأجوبة المرضية. عن الألغاز النحوية
استخراج تراجم النحو من البسملة
الجوهر المنظوم. في ختم مقدمة ابن أجروم
القول المفهوم. في ختم ابن أجروم
النكات الجلية والمخفية. في أبيات من الكافية أحسن من أبيات في الألفية

الحديث

الدراري. المنوطة بالشعر المذكور في صحيح البخاري
شفاء الأحزان. في حديث الراحمون يرحمهم الرحمان
كشف الغمة. على حديث الرحمة
ينبوع السلسل. في بعض ما ورد في الحديث المسلسل

---

[1] تطرقت للتعريف بتآليفه بإسهاب في كتابنا : رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج فلينظره من أراده.

السيرة النبوية

الذهب الخالص. في محاذاة كبرى الخصائص
كمال الفرح والسرور. بمولد مظهر النور
مورد الصفا. في محاذاة الشفا

التاريخ والتراجم

الإمداد . برجال الإسناد
تحفة الأنام. بتراجم من خمس أبياتا حفظتها في المنام
الترصيف بما لمؤلفه من التصنيف
الجوهر النفيس. فيما استفدناه من العلامة بنيس
جنة الجاني. بتراجم بعض أصحاب السيخ التجاني
حديقة أنسي. في التعريف بنفسي
حسن المرائي. فيما رأيته من المرائي
دائرة الخيال. في تراجم سادة تعرفت بهم في دائرة الخيال.
الدر الثمين. من فوائد الأديب بلامينو الأمين
الدر النفيس. من نظم العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس
الدر العزيز. الموجه إلى القاضي الشيخ بناني عبد العزيز
رسالة الثناء الأحمدي التجاني. على مظهر الفتح مولانا فتح الله بناني
رياض السلوان. بمن اجتمعت به من الأعيان
شحد الأذهان. فيما رايته بوهران ومستغانم وأبي العباس وتلمسان
طيب الأنفاس. ببعض ما وجد منقوشا على بعض مباني فاس
الغنيمة الباردة. بترجمة سيدنا الوالد مع سيدتنا الوالدة
الظل الوريف. في محاربة الريف
فهارس الشيوخ. لصاحب قدم الرسوخ
قدم الرسوخ. فيما لمؤلفه من الشيوخ
نزهة الخاطر. باضمحلال الثائر

الجغرافية

طيب الأنفاس. بجغرافية فاس.

القراءات

طرف النفع. في تراجم من أخذنا عنهم الفاتحة بقراءة البدور السبع

التصوف

بستان المعارف. فيما أورده الوارد من اللطائف عند بعض المواقف
شراب أهل الاختصاص. من بحر البسملة بين الخواص
طرب الحي. في كون الأخذ عن الشيخ المنتقل إلى دار البقاء أفضل من الأخذ عن الحي.

العبرة. بطول العبرة
العهود
غنية المحتاج. في شرح واضح المنهاج
فتح الباري. بشرح الحكم بالمذاكرة مع عمي الحاج الزكاري
القول الجلي. الموجه إلى العارف الشيخ محمد بن علي
مفتاح الفتوحات المكية

العروض

منهل الورود الصافي. والهدى من فتح الكافي. في شرح الشافي في علمي العروض والقوافي.

المجال التربوي

الأنباء. بنصح الأبناء
أسنى المطالب. فيما يعتني به الطالب
تشطير قصيدة: نهج اليمين في إرشاد البنين للعلامة الأديب محمد المعمري الزواوي
تشطير قصيدة: الأديب الأليوري
تشطير قصيدة: حفظ الرمق في التربية والتهذيب للعلامة محمد الحجوي الثعالبي
رفع الغموم. في شرح نفع العموم
نصيحة الإخوان. في سائر الأوطان
نظم النقاية. ومنهج الدراية في نظم النقاية
الوصية الشافية

الرحلات

البعثة المكية
تاج الرؤوس. بالتفسح في نواحي سوس
الرحلة الزيدانية
الرحلة الحبيبية الوهرانية. الجامعة للطائف العرفانية
الرحلة لتدشين مسجد باريس
شبه رحلة إلى جزائر
غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود

مذكرات

إيقاظ القرائح. لتقييد السوانح
النتائج اليومية. في السوانح الفكرية

الأدب

أمثال العامة
نيل الأرب. في أدب العرب

يتيمة الدر. في قرض الشعر

الكنانيش

تطبيب النفوس. بما كتبته من بعض الدروس والطروس
ثمرة الفنون. في فوائد تقر بها العيون
الجواهر الغالية. المهداة لذوي الهمم العالية
خزانة أدبية. وفوائد علمية
كنز المعارف
المنتخبات
المختارات

طب وروحانيات

- البدر المنير. في الطب التجاني المرفوع لمولانا الكبير
- الروض المنيف. في الجواب عن أسئلة أمين محمود الشريف
- كفاية العاني. بالطب التجاني

نيل الأماني. في الطب الروحاني والجثماني. المروي عن الشيخ التجاني

بقية الكتب المتعلقة بالطريقة التجانية

الإيمان الصحيح. في الرد على مؤلف الجواب الصريح
الاغتباط. في الجواب عن الأسئلة الواردة من الأغواط
الإجادة. على الإفادة
البلاغ. الموجه إلى الشيخ عبد العزيز الدباغ
تيجان الغواني. في شرح جواهر المعاني
تنبيه الإخوان. على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان.
ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان.
الجواهر المنتثرة. في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة.
جناية المنتسب العاني. بما نسبه بالكذب للشيخ التجاني
حضرة التداني. من شرح أبيات الختم التجاني
الحجارة المقتية. لكسر مرءاة المساوئ الوقتية
الحق المبين. في انتصار التجانيين على علماء القرويين
الدر المكنون. في الأجوبة عن أسئلة الفقيه السيد محمد شاشون
رفع النقاب. بعد كشف الحجاب. عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب
رسالة الإمتنان والرحمة. إلى سائر الأمة
السر الباهر. بما انفرد به الجامع عن الجواهر
زوال الحيرة بقاطع البرهان. بالجواب عما نشرته جريدة الزهرة تحت عنوان : أين حماة القرآن
زهر الأفانين. في الجواب الأسئلة الثلاثين
سبيل الرشاد. في المحاورة بين ذوي الإنتقاد والاعتقاد

السر الرباني. في رد ترهات ابن مايابى العاني. التي تبجح بها في تأليفه مشتهى الخارف الجاني
السحر البابلي. الموجه للعارف التادلي
الشطحات السكيرجية
الشمائل التجانية
الصراط المستقيم. في الرد على مؤلف المنهج القويم
عقد المرجان. الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان
العقد المنظم. فيما يتعلق من الجواهر بالإسم الأعظم
عقد اللآل. في إعراب جوهرة الكمال
الفيوضات العرفانية. في الرد على الإفريقي مؤلف الأنوار الرحمانية
القول المصيب. في بيان ما خفي على مدير جريدة الفتح محب الدين الخطيب
القطوف الدانية. بشرح الجامعة العرفانية. للسلطان المولى عبد الحفيظ
قرة العين. في الجواب على اسئلة مؤلف خبيئة الكون
كشف الحجاب. عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب
الكوكب الوهاج. لتوضيح المنهاج. في شرح درة التاج وعجالة المحتاج
كنز الأسرار. في الكلام على دور الأنوار
كشف البلوى. في رد الفتوى. المنشورة بمجلة التقوى
مطالع الأسرار. لمدارك الأحرار
مورد الوصول. لإدراك السول
نور السراج. في شرح إضاءة الداج
النفحة العنبرية. في الأجوبة السكيرجية
نهج الهداية. في ختم الولاية
النفحة الوهبية. في شرح الصلاة الغيبية
النور الواضح. في شرح صلاة الفاتح
اليواقيت الأحمدية العرفانية. واللطائف الربانية. في الأجوبة عن بعض الأسئلة في الطريقة التجانية.

المسامرات

نفع العموم. بالمسامرة ببعض العلوم
هدية الزائر. لنادي الترقي بالجزائر
الهدية السارة. بالمسامرة ببعض الفنون النافعة والفنون الضارة

النظم والشعر

الترصيع. في تضمين البردة على نوع بديع من فن البديع
تفريج الشدة. بتشطير البردة
الجوهر المنظوم. من كلام القطب المكتوم
حسن الخاتمة. بمحبة فاطمة
حور المغاني. في نظم جواهر المعاني
حياة القلب الفاني. بمدح القطب التجاني

الحوض المورود. في مدح سيد الوجود
الذخيرة. للآخرة
الزرابي المبثوثة
السحر الحلال. في مدح سيد الرجال
شرب المدام. بتخميس أبيات رأيتها في المنام
ضوء الضلام. في مدح خير الأنام
العدة. من إنشاء همزية من البردة
الفتح الرباني. بما مدح به القطب التجاني
الكافية. بتضمين الهمزية في كاملية كافية
المجموعة السكيرجية
معارضة مقصورة ابن دريد
النفحات الربانية. في الأمداح التجانية
نسمات الأسحار. في نظم الأشعار
الوردة. في تخميس البردة
يواقيت المعاني. في مذهب الشيخ التجاني

التعريف بأبنائه

خلف العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج رحمه الله ورضي عنه ثلاثة أبناء. وهم على الترتيب: عبد الكريم. ثم محمد. فمريم.
ولا بأس أن نتطرق في هذا المحل لذكر مقتطفات من حياة هؤلاء الثلاثة الكرام. فأقول:

1) عبد الكريم بن العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج

من ذا الذي لم يتعرف من قريب أو من بعيد على ذلك الرجل الفاضل العفيف. المترفع عن صغائر الأمور. صاحب النفس المرحة. والروح الخفيفة. الذي كان كتلة من الحيوية والنشاط. ومثالا من الشهامة والغيرة والاستقامة. المعروف بصراحته وصدقه. الجواد الكريم. الذي ما تكلم بفحش. ولا تحدث بسوء. ولا اغتاب شخصا. ولا أخلف وعدا. ولا قطع رحما.
أبصر نور الحياة بمدينة فاس ليلة الثلاثاء 15 ربيع الأول عام 1322هـ. بيد أنه لم يمكث طويلا بهذه المدينة. بل انتقل صحبة والده لمدينة طنجة. وهو إذ ذاك دون سن التمييز. ومنها للعاصمة الرباط. قبل أن يعود لفاس. فوجدة. ثم الجديدة وسطات. وهي المدن التي عهد لوالده فيها بوظائف سامية. سواء في خطة القضاء أو غيرها.
نشأ مترجمنا داخل وسط علمي متفتح على جميع القيم والثقافات الأخرى. فتربى تربية بيتية راقية. اقبل خلالها على تحصيل مبادئ اللغتين العربية والفرنسية. فبرع في استيعابهما بشكل ملفت. كما انهمك في مطالعة كتب التاريخ ومعاجم اللغة ودواوين الشعر وغيرها. فتكونت له ملكة أدبية قوية. نظرا لما اشتهر به من ذكاء وقاد وفطنة زائدة.

وخلاصة القول فقد حببت إليه المطالعة والإستفادة من كتب الحضارة الإسلامية. وآداب اللغة العربية ومصادر أبحاثها وفنونها. من قصة وشعر ونقد وتمثيل ورسم وخط.

وبناء عليه كان صاحبنا المذكور فنانا على مستوى عال. لاسيما في مجال الخط. حيث كان له اطلاع واسع على كافة النماذج الخطية العربية. فكان ينقش لوحات عديدة. وزخارف لأغلفة بعض الجرائد والمجلات المشهورة.

والمعروف عنه أيضا أنه كان رجلا وضيء الوجه. أبيض اللون مشربا بحمرة. ذاهبية ووقار. كما أنه جميل الملبس. بهي المنظر. حسن الطلعة. يواظب على ارتداء الملابس العصرية الأنيقة. من معطف. وسروال طويل. ورابطة عنق. وحذاء. وما إلى ذلك.

توفي رحمه الله بمدينة الدار البيضاء صبيحة يوم الإثنين 10 شعبان الأبرك عام 1403 هـ - 22 ماي 1983. وكان عمره إذ ذاك 81 سنة. ودفن بمقبرة سيدي مسعود خارج مدينة الدار البيضاء . وقد رثاه ابن عمه الشاعر عبد الغني بن عبد الخالق سكيرج بقصيدة تحت عنوان: عاش كما شاء وقضى كما أراد. قال في مطلعها :

إن فاتني يوم الرحيل عزائي   فلقد حملت اليوم فيك رثائي
أرثي أبا وأخا وخلا رائقـــا   غضا عطوفا نير الأحشاء

قلت : زرت قبر هذا الرجل الكريم مرة صحبة ولديه سيدي محمد الكبير وسيدي عبد الحي. وقد أخبرني هذا الأخير بأن والده دفن في هذه المقبرة تحت وصية منه. والسبب في ذلك أنه ذهب مرة لاشتراء بعض الأواني من سوق مجاور للمقبرة المذكورة. فصعد ربوة عالية هناك. فراقه جمال منظرها. فقال لبعض من كان معه من أبنائه : أود إذا مت أن أدفن هنا. فكان الأمر وفق ما شاء. ودفن ثمة نزولا عند وصيته.

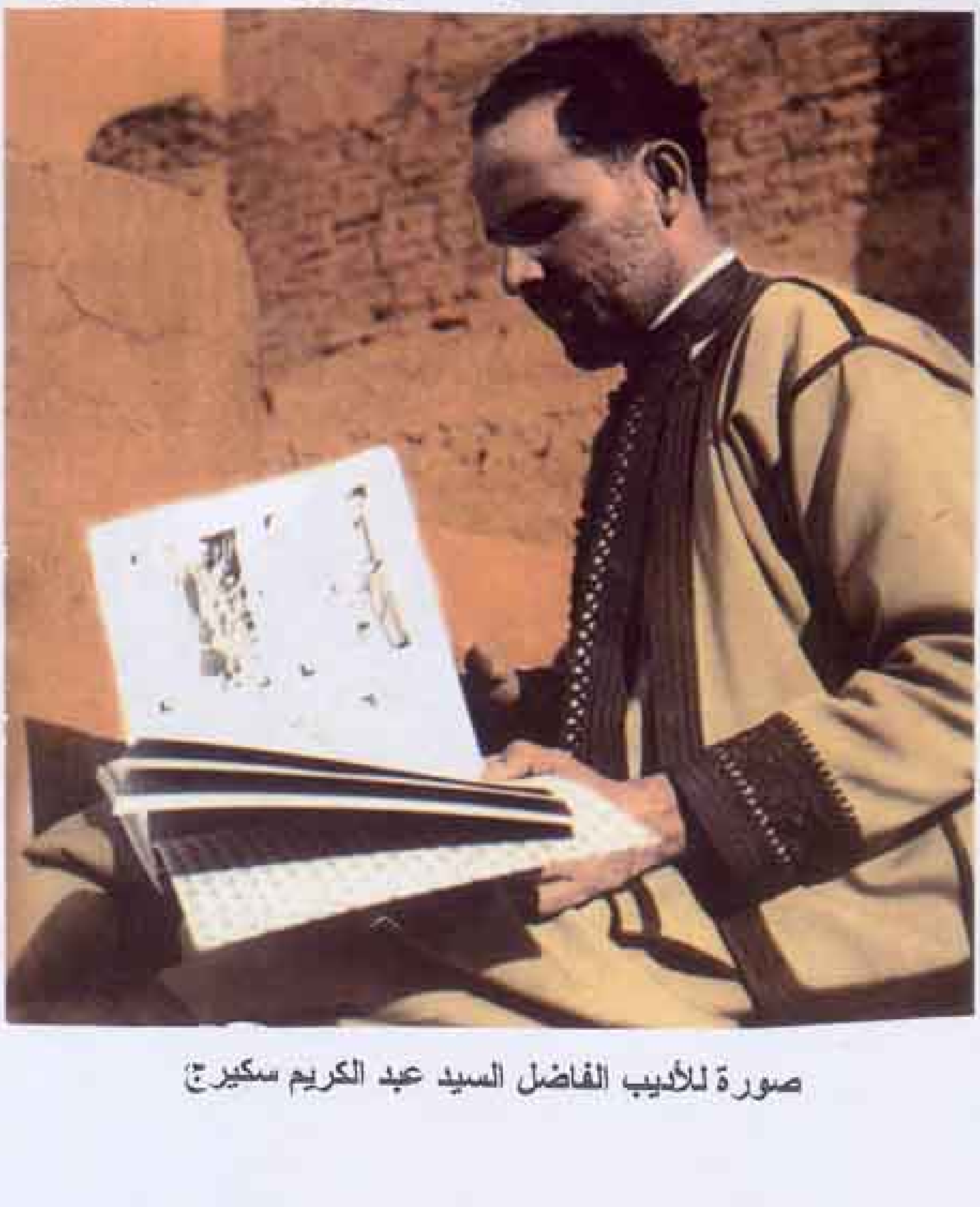

صورة للأديب الفاضل السيد عبد الكريم سكيرج

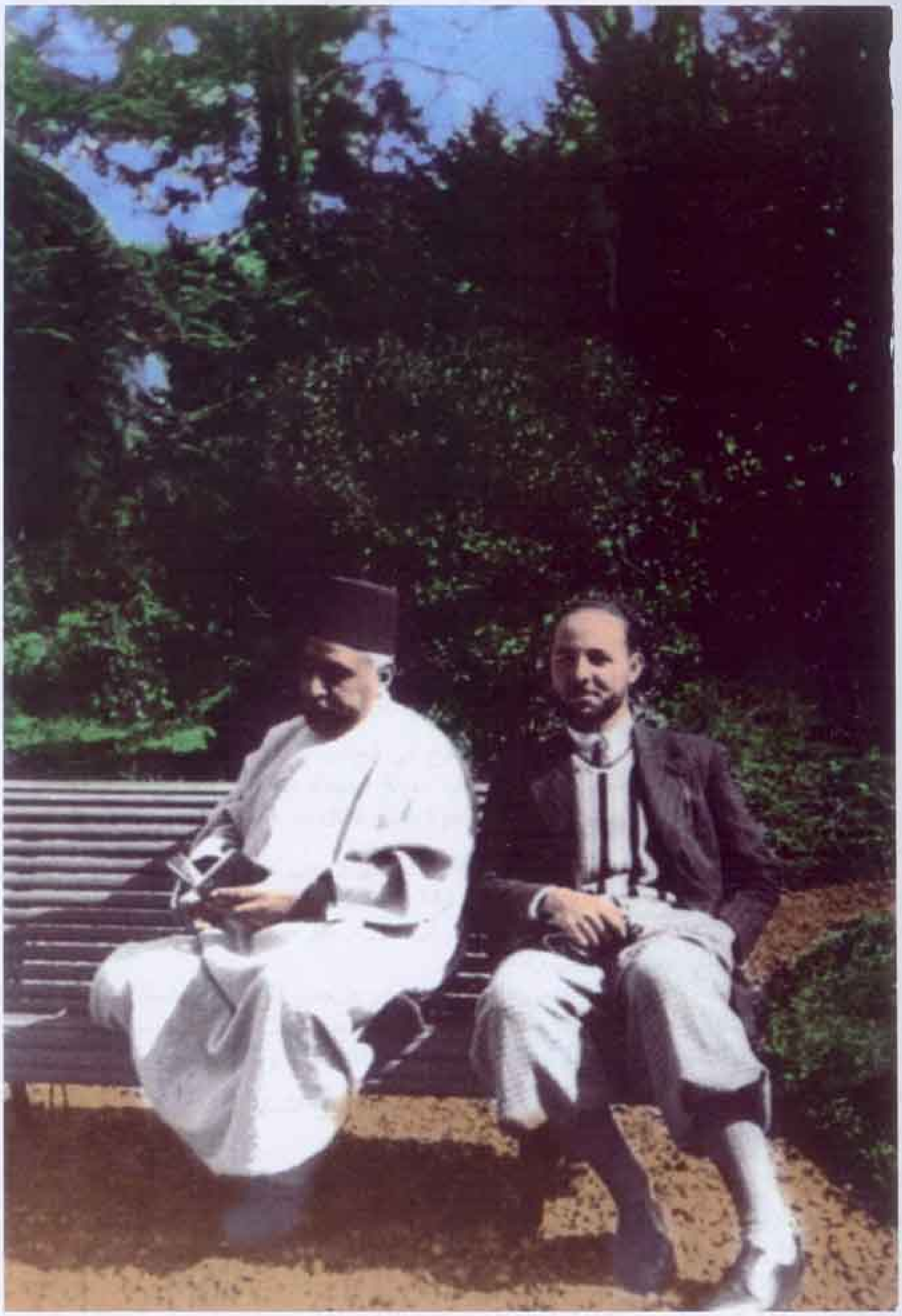

صورة أخرى للأديب السيد عبد الكريم سكيرج إلى جانب السلطان الأسبق
المولى عبد الحفيظ إبان إقامة هذا الأخير بفرنسا

وقد خلف رحمه الله تسعة ذكور. وهم مرتبون على الشكل الآتي: محمد الحبيب[1]. محمد البشير[2]. محمد الكبير[3]. محمد الصغير[4]. عبد الحي[5] . محمد علي[6]. محمد رضا[7]. المكي[8]. الطيب[9].

2) محمد بن العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج

هو الابن الثاني للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. ولد بتطوان بتاريخ يوم الأحد 7 جمادى الثانية عام 1329هـ - 4 يونيه 1911م. من أم سكيرجية . وهي كريمة المهندس العلامة الفاضل سيدي الزبير سكيرج. بيد أن الحياة الزوجية بين والديه لم يكتب لها أن تستمر أكثر من سنة واحدة.
وبناء عليه نشأ مترجمنا بمدينة تطوان. تحت رعاية جده لأمه (الزبير سكيرج) الذي لم يقصر في الاعتناء بتربيته وتوجيهه. حيث ألحقه بإحدى الكتاتيب القرآنية بالمدينة المذكورة. وبه حفظ كتاب الله حفظا جيدا متقنا. كما حفظ جملة من المتون اللغوية والشرعية وغيرها. أضف إلى ذلك ما كان يتلقاه من دروس بيتية مكثفة من طرف جده المذكور. لاسيما في مادتي الحساب والجبر.
وعموما فقد حصل على شهادة الباكلوريا من الأكاديمية الإسبانية بتطوان. التي كانت تدعى حينئذ ب لاخينيرال.

---

[1] - سماه جده على اسم سيدي محمد الحبيب. نجل الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه. ولد بتاريخ 30 جمادى الثانية عام 1340 هـ. وتوفي بالدار البيضاء في 30 شوال عام 1406هـ.

[2] - سماه جده على اسم سيدي محمد البشير. حفيد الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه. وهو رجل فاضل. التقينا به وتبركنا بمجالسته. وهو من مواليد مدينة الجديدة بتاريخ 16 رمضان المعظم عام 1342هـ . يقطن حاليا بمدينة الرباط. ولنا به مودة وأخوة متينة. أطال الله عمره ومتعه بصحته.

[3] - سماه جده على اسم سيدي محمد الكبير. حفيد الشيخ التجاني رضي الله عنه. ولد بمدينة الجديدة في يوم وليلة مباركة. وهي ليلة القدر 27 رمضان عام 1344 هـ . وهو رجل فاضل مستقيم. طيب النفس. جميل الخلق والخلقة. هادئ الحديث. جم الأدب. معتدل في أموره. غير متعصب في دينه. كريم الضيافة. رابط الجأش. راجح العقل. ذو نشاط علمي واسع.
وهو الذي أتحفنا بخزانة جده العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. حيث فتح لنا باب المطالعة والاستفادة من ذخائرها ومحتوياتها. وقد عاشرناه مدة طويلة. كان خلالها نعم الرجل النزيه المتواضع. ذي الهمة العالية والذكاء المتوقد. يقطن حاليا بمدينة الدار البيضاء . أطال الله عمره ومتعه بصحته وعافيته.

[4] - سماه جده على اسم سيدي محمد الصغير. نجل الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه ولد بمدينة الجديدة بتاريخ 15 شوال عام 1346 هـ . وتوفي بالدار البيضاء عام

[5] - سماه جده على اسم الحافظ المحدث الشهير عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. حيث صادفت ولادته قدوم هذا العالم لزيارة منزل الفقيه القاضي سيدي أحمد سكيرج بمدينة سطات. وكان ذلك بتاريخ 5 محرم الحرام عام 1361هـ . وهو رجل متخلق. يتحلى بذكاء وفطنة ونباهة . يقطن حاليا بمدينة الدار البيضاء. وهو محافظ للأملاك العقارية بالمدينة المذكورة. ولنا به صداقة ومودة حميمة. فقد جالسناه وتبركنا به. كما سافرنا صحبته على متن سيارته خلال زيارة خاصة لمدينة سطات.

[6] - محمد علي. من مواليد 27 ربيع الأول عام 1373 هـ . 5 دجنبر 1953م.

[7] - محمد رضا. من مواليد 12 جمادى الثانية عام 1376هـ . 14 يناير 1957 م.

[8] - المكي. من مواليد 7 ذي القعدة الحرام عام 1381 هـ . 12 أبريل 1962م.

[9] - الطيب. من مواليد 13 شعبان عام 1384 – 18 دجنبر 1965م.

ثم شد رحاله بعد ذلك نحو مدينة غرناطة. بغية الالتحاق بكلية الطب بها. وكان ذلك في خضم عام 1354 هـ - 1935 م. بيد أن ظروف الحرب الأهلية الإسبانية حالت بينه وبين تحقيق أمنيته المذكورة. فعاد لمسقط رأسه (تطوان) فمكث بها مدة وجيزة. انتقل على إثرها لدراسة الطب ببلاد مصر. بيد أنه وجد صعوبات كثيرة هناك. بحكم أن الطب كان لا يدرس بمصر سوى باللغة الإنجليزية. وهي لغة غريبة عنه لا معرفة له بها.

ولدى انتهاء الحرب الأهلية الإسبانية التحق مترجمنا بمدينة غرناطة من جديد. وبها ولج كلية الطب. ليتخرج منها بعد سنوات قليلة. فتح على إثرها عيادة له بمدينة تطوان. وبها زاول عمله بحيوية ونشاط إلى حين عام 1384هـ - 1964 م. وهو العام الذي انتقل فيه للإقامة والسكن بمدينة طنجة.

وله إلى جانب ما ذكرناه مشاركة في مجال التأليف. ومن ذلك كتابه المعنون بالطفل. ألفه حين عمله بمستشفى الأطفال بتطوان. كما له كتاب آخر يحمل عنوان: مرض السكري. توفي رحمه الله عام 1421هـ.

وقد خلف ولدان وهما معا طبيبان الزبير:[1] واحمد[2] .

**صورة للعلامة سكيرج بجانب ولده سيدي محمد
وبن عمه العلامة المهندس سيدي الزبير سكيرج**

---

[1] سماه على اسم جده من أمه المهندس الشهير الزبير سكيرج. وهو من مواليد تطوان بتاريخ 9 صفر عام 1366هـ - 2 يناير 1947م. توفي إثر حادثة سير مؤلمة بتاريخ 24 جمادى الثانية عام 1396 هـ - 5 غشت 1972م

[2] سماه على اسم والده العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. وهو من مواليد تطوان بتاريخ 17 رمضان عام 1367 هـ - 24 يوليوز 1948م.

3 مريم بنت العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج

هي البنت الوحيدة للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. كما أنها أصغر أبناءه الثلاثة. بل يوجد في حفدته من هم أكبر منها سنا. كمحمد الحبيب. ومحمد البشير. ومحمد الكبير. وكلهم من أبناء شقيقها الأديب الفاضل سيدي عبد الكريم سكيرج.

أبصرت نور الحياة بمدينة الجديدة بتاريخ 22 ربيع الثاني عام 1346هـ . وبها نشأت وتربت أحسن تربية. قبل أن يزوجها والدها بالشاب الفاضل سيدي محمد الكبير بن الوزير الصدر الأعظم السابق المدني الأكلاوي. فأقامت رفقة زوجها المذكور بمراكش مدة طويلة. قبل أن تنتقل لمدينة الرباط. التي لازالت تقطنها منذ عقود عديدة.

وهي امرأة فاضلة عفيفة. مخلصة للتعاليم الإسلامية الصحيحة. حريصة كل الحرص على الامتثال إليها بكل دقة ومسؤولية. كما أنها محسنة كريمة. تكرس معظم جهودها لأعمال الخير والبر. وما إلى ذلك من جود وإحسان وغيره.

وكيف لا وذلك الغصن من تلك الشجرة. فهي الآن سائرة على منوال والدها. متخلقة بالكثير من أخلاقه. لطيفة عفيفة. متواضعة. ذات أدب جم وحياء رفيع.

اجتمعت بها مرات عديدة. وذلك بعد فراغي من كتابة تأليف حول والدها سميته : رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. وقد رحبت بي في منزلها غاية الترحيب. حيث استقبلتني بوجه بشوش. ورقة ولطافة وليونة. ولقد رأيت فيها ما رايته من وقار وعفة ونقاوة قلب. مع نفس سمحة وكرم وفضل وغيره.

تلامذته

للعلامة سكيرج تلامذة كثيرون. لا يحصون عددا. اشتهر منهم نفر كبير من العلماء والأدباء والأفاضل. فكانوا رجال زمانهم علما وعملا. ولا غرابة في ذلك. فقد سعى إليه طلاب العلم والتصوف والطريقة التجانية من كل صوب. وتوجهت إليه الأنظار. وآلت إليه أسرار الطريقة المذكورة وعلومها ومعارفها العظيمة. لاسيما بعد وفاة جماعة من علماءها الكبار. من أضراب سيدي العربي العلمي اللحياني[1]. وسيدي محمد (فتحا) كنون[2]. وسيدي أحمد العبدلاوي[3]. وسيدي الحاج الحسين

---

[1] - الولي الصالح العلامة الشهير سيدي العربي بن إدريس بن محمد بن العربي بن عمر العلمي اللحياني، ولد بفاس وبها نشأ. ثم انتقل منها لقبيلة زرهون، فاستقر بقرية موساوة، وبها لقي الله تعالى في ليلة السبت 15 جمادى الثانية عام 1320هـ ، وشيوخه في العلم كثيرون منهم: أبو عبد الله سيدي محمد بدر الدين الحمومي، وسيدي محمد الأمين الزيزي الحسني العلوي، وابو الحسن سيدي علي التسولي، وسيدي علي المريني، وسيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي الحجرتي، وسيدي محمد الطالب بن حمدون بن الحاج، وسيدي أبو بكر بن كيران، وسيدي الحاج الطالب بن عبد الرحمان السراج، وسيدي إدريس بن عبد الله الحسني الودغيري الملقب بالبكراوي، وغيرهم.

وهو رحمه الله من أكابر المقدمين في الطريقة الأحمدية التجانية، أخذها عن البركة المقدم سيدي بوعزة بن الخليفة المعظم الحاج علي حرازم برادة الفاسي، كما أجازه فيها آخرون، وانتفع كثيرا بصحبة الولي الصالح أبي المواهب سيدي محمد العربي بن السائح، حيث نال منه فوائد وفرائد وأسرار عالية. وله عدة مصنفات أشهرها: رسالة الترغيب والترهيب، في جزءين، حول الطريقة التجانية، ومنها كذلك أرجوزة في نفس الموضوع سماها : منحة الإخوان، مشتملة على 1913 بيتا، ومنها قصيدة عينية جميلة في نفس الموضوع، وتقييد في آل البيت سماه: العتب والزجر لمن واجه بعض أهل البيت بالسب والبجر، وتقييد في الرد على المنكرين للطريقة التجانية، ومن أهم كتبه تصنيف نفيس في علم القرءات، في بيان مخرج الضاد المعجمة والتاء الفوقية سماه: القول النافع والجواب القامع، وغير ذلك من الرسائل والتقاييد المهمة.

انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 45، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 5، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف كذلك رقم الترجمة 139 وفي نيل المراد لنفس المؤلف ج 1 ص 86، وفي الصفحتين الأخيرتين من كتابه الترغيب والترهيب. حيث عرف به فيهما تلميذه الفقيه العلامة سيدي محمد الحسن بن عمر مزور. وقد خصصته بتأليف تحت عنوان حديقة المنى والأماني في ذكر بعض أخبار سيدي العربي العلمي اللحياني.

[2] - سبق التعريف به في ص

[3] - سبق التعريف به في ص

الإفراني[1]. وآخرين.

وعموما فقد كان حريصا على العناية بتلاميذه. لا يبخل عليهم بالتربية والتكوين الجاد. ولابالتوجيه والنصح. فقد كان لهم بمثابة الأب المشفق الصالح. يتعهدهم ويرعاهم. ويحنو عليهم. ويعين محتاجهم. ويصحبهم معه في مختلف شؤونه.

وتلامذته كثيرون جدا. متفرقون في أصقاع العالم. لا تخلو منهم مدينة ولا قرية أو بلد. ويتعذر علينا ضمن هذا الكتاب أن نلم بجميع أسماء هؤلاء التلاميذ. فقد بات ذلك من الصعوبة بمكان. ورغم معلوماتي الضعيفة في هذا المجال. فإني على علم وثيق بأسماء ما يفوق خمسمائة منهم. تختلف مستوياتهم بين علماء وفقهاء ومقدمين ومريدين وأفاضل.

ومع ذلك فلا بأس أن نورد أسماء بعض مشاهير هؤلاء التلامذة. مكتفين في ذلك بعدد قليل منهم. آملين أن تتاح لنا فرصة أخرى للإسهاب في هذا الموضوع وإعطاءه ما يستحقه من عناية واهتمام[2].

السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ
الأمير عمر بن السلطان المولى الحسن الأول
محمد امغارة
البشير أفيلال
محمد بن علي التزروالتي السوسي

---

[1] العلامة العارف بربه أبو علي سيدي الحاج الحسين بن الحاج أحمد بن بلقاسم بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الكريم بن علي بن عمارة الإفراني الحسني الإدريسي، فقيه ، محدث، أديب، صوفي، أحد أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بالمغرب، ولد بتانكرت بمنطقة سوس عام 1248هـ ، وبها أخذ مبادئ الفقه والحديث واللغة، ثم انتقل لفاس ومراكش فأخذ بهما عن جماعة من أكابر الفقهاء، ثم رجع لمنطقة سوس فأقبل بها على الإفتاء والتدريس في مدارسها العتيقة، خصوصا بتازروالت وأيت رخا وسيدي بو عبدلي، وكانت تحت يده كتب نفيسة نادرة بقرية السوق (تانكرت) ، فنهبت منها حوالي 1600 كتاب، فكان ذلك سببا لانتقاله لمدينة تزنيت حيث أقطعته الحكومة المخزنية دارا امضى فيها ما بقي من حياته، كما أنشأ بجوارها مقرا للزاوية الأحمدية التجانية.

وله رحمه الله مؤلفات عديدة منها : ترياق القلوب في أدواء الغفلة والذنوب، وكشف الغطا فيمن تكلم في الشيخ التجاني بالخطا، وإظهار الحق والصواب، والخواتيم الذهبية على الأجوبة القشاشية، ومصب الرحمات على طلاب المسرات، وقمع المعارض المفتري الفتان فيمن نسب ما لا ينبغي لأهل الفضل من البهتان، وتحفة الأكياس فيما ينسب لسيد الناس، وكتاب في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وتعليق على فروق القرافي، والمجالس المحبرة الفائضة من بحر الختمية الفائضة، وتفسير سورة الإخلاص.

ولأخذ رحمه الله الطريقة الأحمدية التجانية عن الفقيه العلامة أكنسوس عام 1292هـ ثم أجازه فيها الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح عام 1304 هـ ، وأجازه فيها كذلك العلامة المقدم سيدي أحمد بناني كلا الفاسي، وتوفي رحمه الله ضحوة يوم السبت 4 شوال عام 1328هـ وتولى الصلاة عليه العلامة الجليل سيدي مصطفى ماء العينين، ودفن بالزاوية التجانية بمدينة تزنيت، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه سيدي محمد الحجوجي، بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 112، وفي المعسول للمختار السوسي ج 4 ص 26- 83 ، وفي سوس العالمة لنفس المؤلف ص 203 ، وفي رجالات العلم العربي في سوس لنفس المؤلف كذلك ص 182 ، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 232 ، وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي ج 8 ص 2860. وفي تآليفنا المسك الفائح في ترجمته سيدي محمد العربي بن السائح، وفي تآليفنا رسائل معلمة معالم سوس الفقيه سيدي محمد أكسوس 1: وخصصه بالترجمة العلامة الحاج علي الإيسيكي وهو من جملة تلامذته الآخذين عنه.

[2] سبق لنا التعريف بمعظم هؤلاء السادات الأفاضل في كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج فلينظرها من أراد.

أحمد بن الحسين الدويراني
محمد بن محمد ابن شاشون الطنجي
أحمد بن علي السوسي الكشطي
أحمد بن محمد اللواجري التجاني
عبد الله بن الهاشمي الوزاني الطنجي
عبد الله بن العباس الجراري
محمد هيدرو
ادريس بن العابد العراقي
الحبيب بن عبد المالك الوهراني
مصطفى بن الحاج الصادق القسنطيني
الأخضر المنصوري
أحمد الشرايبي
معاوية التميمي
محمد الحافظ التجاني المصري
محمد سعيد علي افندي
حسين أحمد الشيخ
الطيب مونه
مرزوق الأنصاري
عبد العزيز بن محمد الدباغ
مدثر إبراهيم
ابراهيم بن عبد الله الكولخي
محمد بن عبد الله الكولخي
محمد زينب بن عبد الله الكولخي
محمد المختار الوداني
ميكائيل بن عثمان الفلاني
محمود بن الشيخ محم السلاني الفوتي الطوري
صنب جلو

بعض ما قيل فيه من أشعار

سأعرض ضمن هذا الباب بعضا من الأشعار التي قيلت في حق مترجمنا العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. فقد جرت عادة الباحثين انهم إذا تناولوا ترجمة شخص ما. أن يلقوا ضوءا كاشفا حول ما قيل فيه. سواء من إشادة وإعجاب وتنويه. أو غيره من لوم و ذم وتوبيخ. والهدف من ذلك كله هو تعبيد الطريق نحو المعرفة بذلك الشخص المراد دراسته. والإلمام بما يمكن من جوانب حياته من تربية وسلوك وغيره.

وعموما فقد كان صاحبنا المذكور موضع ثقة لدى العلماء والفضلاء. يحبونه ويجلونه ويحترمونه ويعظمونه. وكيف لا وهو ذلك الرجل الكريم المتواضع. الهين اللين. ذو اللطف والبشاشة . الذي ما بحث عن شهرة ولا سعى إليها. بل هي التي سعت إليه وأتته راغمة.

وقد خصصت في كتابي: رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج باب في هذا الاتجاه تحت عنوان (آراء العلماء فيه) حيث أدرجت هناك نماذج من تعريف المؤرخين والعلماء به. بيد أنني لم أتوسع في مجال الأشعار التي قيلت في التنويه بشخصه. ولهذا أحببت أن أستدرك هذا الجانب ضمن هذا الكتاب. راجيا بذلك أن أسلط بعض الضوء على مكانة هذا الرجل العالم المؤرخ الفذ.

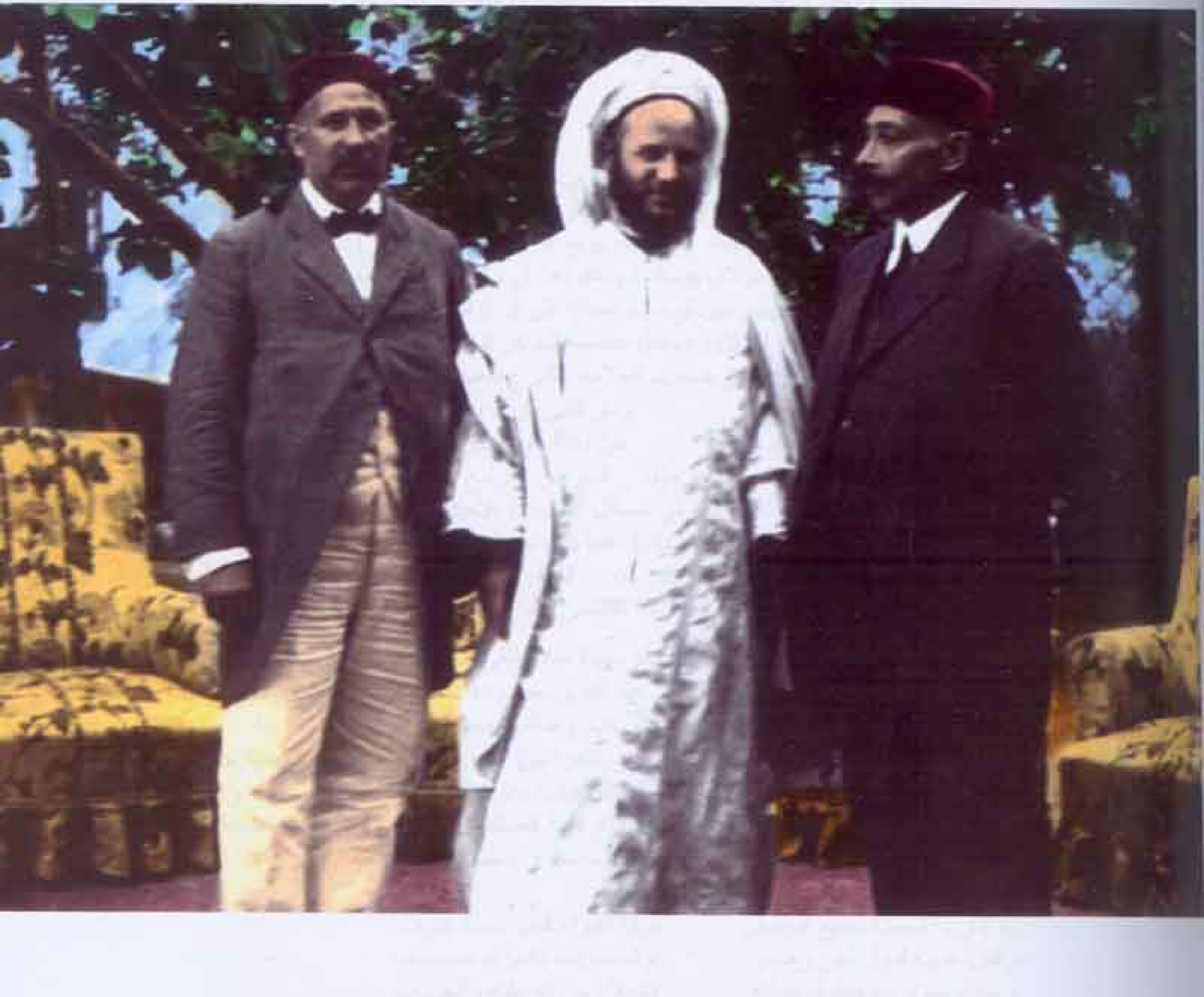

صورة للعلامة الفاضل أحمد سكيرج يتوسط الوزير العلامة الشاذلي العقبي

عن يمينه وعن يساره الجنرال ابن الخوجة التونسي

فمما قيل في حقه رضي الله عنه قول السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ[1] في أرجوزته المسماة: الجامعة العرفانية. في شروط وجل فضائل أهل الطريقة التجانية:

وشيخنا الحبر الهمام من عـــــلا   بالعلم والصلاح طيب الحـــــلا
أحمد نجل نخبة الأنصـــــــــار   من حبه كحبهم شعـــــــــاري
قد وصفوه بالسكيرج ومــــــا   ألذ هذا السكر عند الحكمـــا

وفي حقه أيضا قال العلامة الأديب الجليل سيدي الطيب عواد السلاوي[2]:

وافتكم تمشي على استحيـــــــاء   عذراء ترفل في مروط حيـــــاء
هيفاء لميا لا تريد سواكــــــم   جرت على حي رداء بهــــــاء
وافت لحيكم لا حيا ودكـــــم   فكأنها وفد من الشفعـــــــاء
إن كان يجدي في السفارة مرسـل   فألوكتي تغني عن السفــــراء
وافت تؤدي ما عليها منكـــــم   من بعض حقكم بحســـن أداء

---

[1] - شريف العلماء وعالم السلاطين، مولانا عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان العلوي، سلطان المغرب الأسبق، ولد بفاس سنة 1280 هـ ونشأ وترعرع بقبيلة بني عامر (في الجنوب الغربي من مراكش) وهو من أكابر علماء وأدباء المغرب، بويع له بالحكم سنة 1325هـ فقضى فيه خمس سنوات، ثم تنازل عن العرش لأخيه مولاي يوسف، وذلك بعد أن وقع معاهدة الحماية مرغما للفرنسيين عام 1330 هـ ، ثم بعد ذلك أقام بالمهجر بين فرنسا وإسبانيا إلى أن توفي بباريز بعد زوال يوم الأحد 22 محرم 1356هـ موافق 4 أبريل سنة 1937م ، ونقل جثمانه الطاهر لبلاده المغرب، حيث احتفل بدفنه في مهرجان كبير ، ورثاه عدد من الشعراء من ضمنهم العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

دمع أفاضته عيني بعدما جمدت   ونار قلبي ثارت بعدما خمـــدت
الله في مهجتي فقد ألم بهــــــا   عن بغتة ألم وصبرها فقـــدت

ولمولانا عبد الحفيظ رحمه الله تآليف كثيرة منها : الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع، والعذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل ، وياقوتة الحكام في مسائل القضاء والأحكام، ونيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح، وله في الطريقة الأحمدية التجانية عدة كتب منها : الجامعة العرفانية في شروط وجل فضائل أهل الطريقة التجانية، انظر ترجمته في الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 118. وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 277 . وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج 1: 126.

[2] - الطيب بن أحمد عواد السلاوي، من خيرة أدباء مدينة سلا، تلقى العلم عن جماعة من العلماء، منهم المؤرخ أحمد بن خالد الناصري، والعلامة سيدي عبد الله بن خضراء السلاوي، والولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، وتلقد رحمه الله عدة وظائف مخزنية بالموانئ المغربية ، كالدار البيضاء، والرباط ، والعرائش، وعلاوة على هذا كان تاجرا من أكابر تجار سلا، ولهذه الغاية جال في الكثير من الدول ، كالشرق الأوسط، وبلدان شمال إفريقيا ، وتركيا ، واليونان، وغيرها ، وهو من المقدمين البارزين في الطريقة الأحمدية التجانية، وله فيها قصائد وأشعار ، ومساجلات لطيفة. ومن شعره هذه الأبيات الثلاثة التي قالها عند توديع الشريف سيدي محمود التجاني لما كان متأهبا للرحيل للأقاليم الجنوبية ونصها:

مولاي ذا الجمل البديع اليوسفي   بردا القبول العبد عبدك شرف
واقبل هديته قبول أخي رضـــى   والسمع منه بالمزايا شنـــف
واسمح بما يرجوه طول حياته   فضلا ومن به عليه وأتحـــف

ولمترجمنا المذكور مؤلفات وتقاييد مهمة. معظمها في مجال الأدب والشعر. منها: المقامة الحجازية. والمقامة المغربية. والمقامة التونسية. والمقامة التجارية. بالإضافة لديوان شعري حافل بالقصائد الجيدة. ذات المستوى العالي والطراز الرفيع.

وكانت وفاته رحمه الله صبيحة يوم السبت متم شهر رجب عام 1336هـ ، عن 59 سنة، ودفن بالزاوية القادرية بمدينة سلا، انظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 313 ، وفي إتحاف الوجيز لمحمد بن علي الدكالي ص 180.

وافت وما وفت بما أنتم له   أهل ولكن خفية الرقباء
ما ذا عساها أن تقول وقدركم   فوق الثناء المحض والإطراء
بالله غضوا الطرف عن تقصيرها   بالفضل منكم يا أخا الإغضاء
فلأنت أهل لذاك وغيره   والغض أضحى شيمة الفضلاء
ولقد دعتها بنت فكركم التي   تفدي لطافتها بخير فداء
جاءت تذكرنا زمانا قد مضى   في عفة ونزاهة وهناء
لله ما أحلى مناطقها التي   تستبدل الضراء بالسراء
أتت الديار تجر ذيل وصالها   من حي فاس البلدة الغراء
ملكت محبتها الجوارح كلها   واستحكمت في داخل الأحشاء
دم يا أبا العباس حلف أخوة   وفتوة وسماحة وصفاء
يا ابن الكرام المقتدى بسناهم   والسالكين مسالك البلغاء
لازال خدنكم على العهد الذي   لا ينتهي إلا ليوم لقاء
فلك البلاغة والإجادة تنتمي   أو لست حامل راية الأدباء
من لي بأن أحصي مزاياك التي   أربت على التقدير والإحصاء
وأنا الجدير بقولهم اطرق كرا   إن النعام لفي قرى الشعراء
بين الغباوة والذكاء مراحل   لا كالتي بين السهى وذكاء
لكنه ما ليس يمكن كله   فببعضه يقضي على الغرماء
وإليكها فكرية متياهة   وأراك عنها في كمال غناء
ختمت بما فتحت به ثم انثنت   وأتتكم تمشي على استحياء[1]

وفي حقه أيضا قال العلامة الأديب سيدي عمر الرياحي التونسي[2]:

ألا ليت هل أفوز يوما بآمالي   وأحضى بضبي فاتن حسنه عالي
وانظره في ربعه متبخترا   كما دمية صيغت بأحسن تمثال
فلا عجب إذ أخجل الورد خده   وقامته أزرت بأملد ميال
وأما إذا يرمي بأسهم لحظه   يريك الظبا صرعى برمية نبال
ومنطقه عذب بهي كأنه   جواهر درس من فصاحة قوال
هو الماجد الأرضى سكيرج أحمد   أبو اللطف والآداب والمطمح العالي

---

[1] - قالها مجيب عن قصيدة للعلامة سكيرج كان قد بعثها له من حضرة فاس. قال في مطلعها :
سلا في سلا عمن سلا قلبهم عنا   وبوحا بما شاهدتما في الجوى منا
إلى أن قال في ختامها :
أبا أحمد هل أنت راع عهودنا   فنفرح أو أعرضت بعد النوى عنا
فإن تك وفق الظن فيك مراعيا   لذلك فالبشرى تحف لنا منا
وإن تكن الأخرى ولا كان ذاك في   زمان فنحن لا نزال كما كنا
فبالله لا تقطع حبال مودة   بها بكمال الود منك تعلقنا
ودم في كمال الحفظ للود حافظا   محوطا بإجلال يديم لك الأمنا

[2] - سيدي عمر بن محمد بن علي بن العارف بربه العلامة سيدي ابراهيم الرياحي التونسي. فقيه أديب مؤرخ فاضل. من أعلام الطريقة التجانية في بلده. كان عديم النظير في الصلاح والعبادة والتقوى . من بين مؤلفاته كتاب: تعطير النواحي في ترجمة سيدي ابراهيم الرياحي. وهو أديب وشاعر مفلق. ذو اطلاع واسع واستحضار عجيب. له بالعلامة سكيرج صداقة وعهود مثينة. تشهد لها وفرة ما دار بينهما من رسائل وأجوبة ومساجلات. وقد أدرجت جانبا منها في الجزء الأخير من كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي الحاج أحمد سكيرج. وهو جزء خاص بما توصل به العلامة المذكور من رسائل. ولهذا سميناه : إتحاف السائل بما توصل به العلامة سكيرج من أجوبة ورسائل.

مروته زينت بحسن أرومة   فهيهات أن يلفى إليه بأمثال
ويكفيك منه أن غدا متفانيا   بسيدنا المكتوم يا له من والي
أعاد عليه الله من بركاته   وأسعده منه بأسعد إقبال
لكي ما يرى في خفض عيش مرفعا   بأحسن حالات وأكمل منوال
وثم صلاة الله تترى على النبي   وأصحابه من بعد ساداتنا الآل
مدا الدهر ما فجر تطلع صادقا   عقيبا لبدر هل ليلية إكمال[1]

وقال فيه نفس العلامة أيضا:

يا من سما بمحاسن وسداد   يا أحمد الممزوج فيه ودادي
يا أيها العز الفقيه سكيرج   يا عالم الأدباء والأمجاد
إني وحقك دائما أدعو لكم   بالعز والإقبال والإرشاد
سيما لدى جدي إذا ما جئته   أتلو وأذكر عنده أورادي
أبقاك ربي بالغا كل المنى   في النفس والأهلين والأولاد[2]

وفي حقه أيضا قال العلامة الأديب سيدي الطاهر بن محمد التامنارتي[3] :

يا راكبا يفدي الفلا إذ يدلج   يهديه نفح للصبا متأرج
عرج على سطاطة متأدبا   واخلع نعالك خاضعا إذ تدرج

---

[1] لما وقف العلامة سكيرج على هذه القصيدة فرح بها غاية. وأجاب صاحبها قائلا :

قد أتاني كتاب كهف الأنام   عمر المرتضى سليل الكرام
من له في العلاء رفعة شان   لم يصلها من الأكابر سام
كدت والله أن أطير سرورا   حين وافى كتابه بسلام
ثم إني قبلته عوضا عن   يده آتيا بكل احترام

[2] من رسالة بعثها إليه بتاريخ 9 ذي القعدة الحرام عام 1339هـ ، 15 يوليوز 1921م . وكان العلامة سكيرج إذ ذاك متوليا لخطة القضاء بمدينة وجدة ونواحيها.

[3] العلامة الأديب الشهير سيدي الطاهر بن محمد بن ابراهيم الإفراني التامانرتي. من ذرية الولي الصالح سيدي محمد بن ابراهيم. دفين تامانرت ببلاد سوس. ونسب هذا الأخير ثابت معروف. ينتهي للصحابي الجليل الخليفة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وهو من مواليد عام 1270هـ بأتكرت. من وادي يفرن. حفظ القرآن الكريم في سن مبكر من عمره. ثم اشتغل بطلب العلم. فأخذه عن جماعة وافرة من علماء وقته. كمحمد بن عبد الله بن صالح الألغي. وأخيه علي بن عبد الله الألغي. واحمد الجيشتيمي التملي وآخرين.

وهو أحد أكابر أعلام الطريقة التجانية في وقته. أخذها على يد المقدم الجليل محمد الولتيتي الروداني. ثم عن العارف العلامة الشهير الحاج الحسين الإفراني. ثم عن الولي الصالح البركة سيدي محمد أوتلضي. ثم عن الشريف العارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. ومن مؤلفاته: نظم على الحكم العطائية. ونظم لجزء من مختصر خليل. وديوان شعري مرتب على الحروف الهجائية. في مجلدين. ونظم في رسالة العضد. ووسيلة الجاني إلى القطب التجاني. إلى غير ذلك من التقاييد والأجوبة والأشعار الكثيرة. وكانت له بالعلامة سكيرج صداقة ومحبة قوية. والدليل على ذلك وفرة ما مدحه به من قصائد. فقد وقفت على ما يفوق العشرة منها. وهي في غاية الجودة والإتقان.

توفي في آخر شهر رمضان المعظم عام 1374 هـ - شهر ماي 1955 م . بعدما تجاوز عمره القرن بأربع سنوات. انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 40. وفي المعسول للمختار السوسي 7: 69 – 237. وفي سوس العالمة لنفس المؤلف 209. وفي كتابنا : حديقة المنى والأماني في ذكر بعض أخبار سيدي العربي العلمي اللحياني ص 16. وفي كتابنا : خلاصة المسك الفائح بترجمة سيدي محمد العربي بن السائح. وفي الأعلام للزركلي 3 : 223. وفي الأدب العربي في المغرب الأقصى للقباج 1: 19 – 30. وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي 9: 3300.

واعلم بأنك قد أتيت حمى بها   علم الهدى بدر الكمال سكيرج
سلم عليه مقبلا كفا بها   توشي المهارق حكمة وتبرج
وأجل لحاظك في محياه الذي   هو بالجلالة والبهاء متوج
وقل السلام عليك من ذي غلة   يشكو النوى وغرامه يتأجج
يرجو دعاك وأنت أنت بأن ينال المرتجى ويروج منه البهرج
فاصرف إليه عناية تولي المنى   وتفك عنه عقاله وتفرج
لازلت مطمح عين كل مؤمل   فندى يمينك بحره متموج
وعليك ألف تحية يزهو بها   ذاك الجناب المستنير الأبلج
من صادق الود الصريح الطاهر السوسي من في الحب لا يتلجلج

وقال في حقه نفس الأديب:

أحقا دنا منا الإمام سكيرج   وإلا فماهذا الشذا المتأرج
بلى هذه أنفاسه وفناؤه   فيا طالبي نيل المعارف عرجوا
ومدوا أكف المستميحين للندا   فهذا هو البحر الروا المتموج
وحيوا بآداب وقولوا حدا بنا   لمغناك حادي الشوق والشوق محرج
فمن بإقبال على ضيفك الذي   إذا بهرجت أهل الهوى لا يبهرج
بقيت لإسداء المكارم كلما   تضايق بالعاني الخناق تفرج
عليك سلام طيب النشر ما سرى   على كاهل الشوق المبرح مدلج[1]

وقال في حقه نفس العلامة أيضا (الطاهر بن محمد التامانرتي) يمدحه وبنوه بكتابه تاج الرؤوس. في التفسح بنواحي سوس. وتعد هذه القصيدة واحدة من أعظم ما مدح به العلامة سكيرج. اعتبارا لما احتوته من معان عميقة. وألفاظ شيقة. وعبارات متناسقة. وهي تفوق المائة بيت. وقد أبدع فيها صاحبها غاية الإبداع. مظهرا بين قوافيها ما يكنه للمدوح (العلامة سكيرج) من محبة عظيمة ووداد عميق. ونصها:

(تاج الرؤوس) زها على التيجان   يجني لطائف ما جناها جان
هي رحلة البدر المنير إلى ربا   (سوس) فبشرى تلكم الأوطان
فخرت معالم (سوس) الأقصى بها   فخرا تتيه به على كيوان
فخرت بشمس العلم والعمل الرضا   فخرت ببدر قلادة العرفان
فخرت ببحر قد ظمت أمواجه   فتقاذفت بالدر والمرجان

---

[1] - لما توصل العلامة سكيرج بهذه القصيدة أجابه عنها بقوله:

نعم بشذاك الربع منا مؤرج   وقد طاب نفسا حين جئت سكيرج
فامسى قرير العين مما بدا له   من الصدر من حب به أنت تلهج
لقد كان في شوق إليكم وعندما   رءاكم غدت أشواقه تتأجج
تزايدت الأشواق منذ تسعرت   بصدر وقد كادت بها النفس تحرج
فيا طاهر النفس الرفيع مقامه   بقلبي وقلبي نوره منك مسرج
ويا ظاهر الفضل المزين بالتقى   وفضل سواه في معاليه مدرج
علي أمارات الذي قمت أدعي   به ودعاوي الصدق للخير تنتج
فكن واثقا بي في وثاق محبتي   بحبل وداد منه رأسي متوج
وعش راعيا عهدي بغير تكلف   ومثلي فقير منك للود أحوج
ربطت بحبل الحب فيك حبائلي   وصدري بحب فيك والله مثلج
فدم والذي بيني وبينك دائم   وعني وعنك الهم لاشك يفرج

بالعالم العلم الإمام المقتدى   بالكامل ابن الكامل الرباني
جماع أشتات العلوم شريعة   وحقيقة وفريد هذا الشان
من طار صيت سنائه وسناه من   (سوس) إلى (بغداد) و(السودان)
فرد الجلالة والسيادة والندى   شيخ الشيوخ وفارس الميدان
ذاك الإمام الشيخ سيدنا أبو العباس أحمد قامع العدوان
ب(سكيرج) يدعى ونسبته إلى الأنصار لا تخفى على الأذهان
منشأه (فاس) ولكن قام في   زطاطهم يقضي برغم الشاني
لازال يرتق فتق هذا الدهر في   يمن وإسعاد وطول زمان
ويكف عادية الجهالة سالكا   مثلى الطريق ومنهج الإحسان
ومنافحا عن حوزة الشيخ التجاني باليراعة أو سنان لسان
هذا ولم أر مثلها من رحلة   حازت على لفظ وحلو معان
وحوت من النكت الحسان فوائد   ما خلتها طرقت حمى الآذان
وتضمنت أسماء بلدان سمت   وتشرفت بأفاضل السكان
وزهت بما يزهو به القرطاس من   أسماء أعلام من الأعيان
من كل صنديد وشهم سيد   أو كل مطعام القرى مطعان
أو عالم متضلع أو عابد   متورع أو زاهد في الفاني
لله در قريحة نظمته تا   جا يزدري بقلائد العقيان
لفظ كما اطرد الزلال سلاسة   وبديع معنى في بليغ بيان
وبديهة يعنو لها سحبان إذ   عانا ويعيا دونها الصادان
كادت لرقتها وسحر بيانها   تسبي التغزل أعين الغزلان
وأهالها من رحلة لو أنها   مدت أعنتها إلى (إفران)
فتفوز بلدتنا بحظ من جنى   ذاك السنا والحسن والإحسان
ما ضرها لو أنها جادت لنا   بسويعة تحيي بها جثماني
ولو أنها تشرى لما استغليتها   بنفيس ما يهدى من الأثمان
ما ضرها لو أنها جادت على   بغت وعدتنا من الإخوان
وحكت بمنتها الجميلة فعل مو   لانا أبى زيد الرضا الزيداني
لما أتانا زائر في ساعة   أنست لدي ذنوب كل زمان
نفي الفؤاد به مقلد منة   جلت فأعيا شكرها أركاني
وافى على ظمأ فاحيانا كما   يحيي الخمائل عارض النسيان
وتعطرت أرجاؤنا بذرور نعليه فناب لها عن الريحان
قد قيل لا عار على مولى عز   يز زار منزل أرذل العبدان
فوحقه لقد استرق ببره   نفسي كما أحيا فؤادي العاني
فالله يحفظه كما حفظ الودا   د لنا ويرضيه كما أرضاني
هذا وما قصدي بهذا كله   عتب الإمام بل الزمان الجاني
لكنني متأسف جدا على   ما فات من وصل شهي دان
ورأيت ذلك من ذنوب جمة   تستدفع الأرباح بالخسران
أيه نسيم صبا الصبابة حي عن   قلبي منازل رامة والبان
واعطف على صب غلت أحشاؤه   بلظى هوى أنسى هوى غيلان
فإذا مررت على حمى (زطاطة)   فأشفع لروحي عند روحي الثاني

واربع على ربع الإمام (سكيرج)   متأدبا في السر والإعلان
وقل السلام عليك يا بدر الدجا   من رق نعمتك الخديم (فلان)
واسأله همته إلى مغنى الهوى   (فاس) محط رحال كل تهاني
حيث الندى حيث الهدى حيث الهنا   حيث السنا يعشي عيون الراني
حيث القصور الشم تجري تحتها   أنهارها بالعدل والميزان
حيث الجلالة حيث زاوية بها   قطب الوجود وغوثه الصمداني
فإذا وصلت رحابها فلتخلع النعـــلين وادخلها بالاستيذان
واعمد إلى ذاك الضريح مسلما   واجلس حذا شباكه النوراني
وقل السلام عليك يا غوثي ويا   قطب الوجود ويا ملاذ الجاني
حياك ربك ثم زادك رفعة   وأحلنا بك جنة الرضوان
فهناك تشهد كل سر ظاهر   وتحط عن جنبيك ثقل الران
واعلم بأنك قد أويت إلى حمى   يحمي ويولي الضيف كل أمان
ويجير من ريب الزمان ومن أذى   شر الحسود ونزعة الشيطان
فاسأل وألحف ما استطعت ولا تخف   ردا فإن الشيخ ذو سلطان
يعطي بلا من ويعلي قدر من   وافى ويكرم مقدم الضيفان
فإذا قضيت مهم شأنك كله   فارجع فقد قرت لك العينان
واجعل مرورك إن مررت على حمى   (زطاط) حيث الريء للظمئان
واشكر وسيلتك الإمام (سكيرجا)   واسأله لا يسلو ولا ينساني
فأنا الغليل إلى ارتشاف زلاله   وأنا الفقير بل الأسير العاني
وإذا مررت بدارة (البيضا) فعج   لمحل أنسي بل سرور جناني
مثوى مقدمها الإمام محمد بـــن على السوسي رجا اللهفان
فهو المقدم في الحقيقة إنه الســباق للغايات دون توان
فمحله مأوى الإمام وربعه   مغنى العفاة ومقصد الأعيان
لله درك يا مقدم من فتى   جاز المدى فردا بدون مدان
كم نعمة لك لا تزال حميدة   يثنى عليك بها مدى الأزمان
قلدت كاهل كل خل منة   شهدت بها لك جلة الإخوان
مني السلام عليك عن ود صفا   ما عشت ليس يشاب بالنقصان
فلقد شكرتك حينما أظهرت لي   (تاج الرؤوس) المحكم الإتقان
فاسلم ودم في نعمة مغبوطة   ودوام أمن في أعز مكان
وعلى جلالتك التحية ما سرت   ريح الصبا وتعاقب الملوان
وعلى (سكيرج) الإمام ومن حوى   مغناه من أهل ومن ولدان
وخصوصا البر النجيب سليله   عبد الكريم فلي به حبان
حب لوالده وحب فيه لـــلأ   دب الذي أرقاه في الشبان
واخص ستي (مريما) بتحية   تعلو بها شرفا على النسوان
وجميع (زطاط) التي قلبي بها   مغرى لأن السر في السكان
يا أيها المولى (سكيرج) إن في   ترداد ذكرك لذة النشوان
هذي عجالة فكرة أذوت نضا   رتها رياح الهم والأحزان
من غربة ما بين قوم لا خلا   ق لهم ومن نكد الزمان الثاني
خدمت بها (تاج الرؤوس) محبة   فيها فإن قبلت فذاك كفاني

إن الكرام وأنت أكرمهم أجـــــــــــــــــل من أن يردوا تحفة الإخوان
فالعي أفحم والقصور وعاجـز من رام حصر القطر بالحسبان
والله أرجو أن يساعد باللقـــا في نعمة ومسرة وأمـــــان
ويديل من هذي النوى وصلا به ينسى المشوق مرارة الهجـران
فوسيلتي الشيخ التجاني من لــه أشكو فيكشف كل ما عنانـــي
وبجاه مولانا رسول الله مــــن نرجو النجاة به من النيـــران
صلى عليه الله ما هبت صبـــا سحرا فأذرت عارض الأجفـان
وعلى أبي بكر وصاحبه أبـــي حفص ومشهور الحيا عثمـــان
وعلى أبي الحسن الوصي وزوجه الــــــــــــزهراء يتلو ذكرها السبطـان
وعلى جميع الصحب من نصروا ومن هجروا كذا متبونو الإيمـــان
ما حن مشتاق إلى نجد ومـــا غنى الحمام على غصون البـان

وفي حقه كذلك قال العلامة الأديب الشهير مولاي أحمد بن المامون البلغيثي[1]:

وافت توفي للمعنى وصلـــه من بعد ما قاسى بعادا قبلـــه
عطفت فرق جمالها من بعد مطــــــل ما لأرى لكثير عزه مثلـــه
يا ما ألذ خطابها لما انثنــت تثني تهني الخل ترجو وصلـه
يا ما أحيلى لهجة في قولهـــا وفد الحبيب وكنت مشتاقا لـــه
هاتيك خود من بنات اللب من حر أديب قد عرفنا نيلــــه
فاق السوى فينا بحسن طويـة يولي محبته الرسول وأهلــه
يا أيها الحب الصفي أخا الوفا أبشر فما تبغيه تبلغ نيلـــه
ما خاب قط العبد من غـدا وده في المصطفى سر الوجود وأصله

---

[1] ـ العلامة الفقيه سيدي أحمد بن المامون البلغيثي العلوي، من مواليد شهر رمضان عام 1282 هـ بفاس، وبها تلقى العلم عن جماعة من جهابذة الفقهاء بالقرويين، وعمدته فيهم العلامة الكبير سيدي الحاج محمد بن المدني كنون، ومن الذين أخذ عنهم كذلك العلامة سيدي محمد بن قاسم القادري، والقاضي مولاي أحمد بن محمد العلوي، والعلامة سيدي أحمد بن الخياط ، والعلامة سيدي محمد بن التهامي الوزاني ، وغيرهم.
ورحل للديار المشرقية ثلاث مرات، فحج وزار والتقى بجماعة من الأعلام كالشيخ عبد الجليل برادة، والشيخ أبي الحسن علي ظاهر الوتري، والشيخ عثمان الداعستاني المدني، وغيرهم ممن أجازوه في فنون مختلفة.ومن الوظائف التي تولاها خطة القضاء بمدينة الصويرة ، ثم بالدار البيضاء، ثم بمدينة مكناس، وله رحمه الله مؤلفات كثيرة منها: الإبتهاج بنور السراج، والدرر الطيبة المهداة للحضرة الحسنية، في ثلاثة أجزاء، والدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر السلطان مولانا الحسن، في أحد عشر جزءا، وتنسم عبير الأزهار بتبسم ثغور الأشعار ، وحسن النظرة في أحكام الهجرة، وتحبير طرسي بعبير نفسي ، ترجم فيه لنفسه، ومجلى الحقائق فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق، وتشنيف السماع في أحكام الجماع، والنوازل الفقهية، في ثلاثة أجزاء، وغيرهم من التصانيف الأخرى.
وأخذ الطريقة الأحمدية التجانية بمدينة الصويرة لما كان قاضيا بثغرها عن المقدم العلامة سيدي محمد بن يحيى الولاتي الشنجيطي.وكانت وفاته رحمه الله ليلة الأربعاء 9 رجب الفرد الحرام عام 1348هـ ، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بجامع القرويين، ودفن خارج باب الفتوح بفاس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها:

هو الموت إن الموت ما فيه شافـــع وقد صوبت للخلق منه مدافـــع
هو الموت إن تصطف يوما جنوده بدا منه ما تصطك منه المسامع

انظر ترجمته في نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 40 – 43 ، وفي فتح الملك العلام لنفس المؤلف بتحقيقنا عليه ت 166. وفي قدم الرسوخ للعلامة سكيرج ت 33. وفي شجرة النور الزكية لمخلوف 437 ت 1719. وفي الأعلام للزركلي 1: 201 وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج 1 : 35.

أو ليس قال وقوله الصدق الذي   ما شابه بين يفند قوله
أنت المصاحب للذي أحببته   بشراك يا من هو فيه قوله
فالله يسعدنا وإياكم به   وينيلنا طرا نداه وفضله
صلى عليه الله خير صلاته   من يمنها يلقى المؤمل سوله
والآل والصحب الكرام ومن غدا   نيل الكمال لدينه مامولـه[1]

ومن ذلك قول العلامة الأديب محمد عال بن محمدو بن فتى العلوي الشنجيطي[2]:

إلى الإمام سراج الدين صارمه   شمس المعارف بحر العلم والعمل
ذاك العياشي أبو العباس أحمد من   إلى وصول ذاره منتهى أملي
أزكى سلام يحاكي حسن شيمته   كما سأنشد فيه قولة الرجل
سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد   ملئ المسامع والأفواه والمقل

ومن ذلك أيضا قول العلامة الأديب باشا مدينة سلا محمد الصبيحي[3]:

يا نخبة الأدباء يا بدر العلا   يا من بطيب الوصل كان تفضلا
وافت تودع بالبدائع قطعة   من شعركم عذبا زلالا سلسلا
وافت تقرر ودها عن وامق   ما قط يسلو عن سلا أو قد سلا
فاشتد من إبداعها إعجابنا   واجتل من توديعها أسف الجلا
ولقد قبلنا في التنقل عذركم   لو كان شأن البين أن يتحملا
فعليك من تلك التي لم تجفها   أزكى سلام ترتضيه لذي الولا
ولئن رحلت إلى الرباط فعندنا   فيك اغتباط لم يزل مستوسلا

---

[1] - قالها مجيبا عن قصيدة للعلامة سكيرج في نفس الوزن والقافية. بعثها إليه بتاريخ شهر جمادى الأولى عام 1329هـ. بمناسبة رجوعه من فريضة الحج. ومطلعها:

وفد الحبيب وكنت مشتاقا له   وفدته نفسي حين حل محله
قد عاد بعد مغيبه فأعاد لي   روحا تود بأن تقبل رجله
ولطالما استعطفت دهري أن أرى   قبل الوفاة وفاءه أو وصله
واليوم لي جاد الزمان بقربه   فرأيته في روض أنس حله

إلى أن قال في ختامها :

فلتهن دام لك الهناء بلا عنى   ببلوغ ما قد رام قلبك نيله
والله يملأه بكل مسرة   والله يجمع بالأحبة شمله.

[2] - محمد عال بن محمدو بن فتى العلوي الشنقيطي. فقيه أديب. من أعلام الطريقة التجانية ببلاد شنقيط. كان شاعرا مفلقا. ملما بدواوين الشعراء القدامى. ذا اهتمام واسع بها. مديم النظر فيها. وهو إلى جانب ذلك فقيه فاضل. له بالتصوف خبرة كبيرة. لا يسأل عن مسألة اويجري ذكرها في مجلسه إلا ويبدىء فيها ويعيد. وله بالعلامة سكيرج صداقة ومودة قديمة. ويبدو ذلك جليا من خلال الرسائل الكثيرة التي دارت بينهما.

[3] - محمد بن الطيب بن محمد الصبيحي. فقيه أديب. من مواليد مدينة سلا عام 1299هـ . أخذ العلم عن جماعة من علماء بلده. كالعلامة أحمد الجريري. وعلال الثغراوي. وعلي بن محمد (فتحا) عواد السلاوي. ومحمد بن إدريس المنصوري وآخرين. ثم شد الرحلة بعد ذلك إلى العاصمة (فاس) حيث تتلمذ بها لثلة من فقهاء القرويين. من أضراب محمد (فتحا) كنون. وأحمد ابن الخياط الزكاري. ومحمد (فتحا) بن قاسم القادري. وخليل الخالدي وسواهم. ولدى تخرجه أسندت له باشوية مدينة سلا عام 1322هـ . وهي الوظيفة التي زاولها على مدى 45 سنة. إلى أن أعفي منها بتاريخ8 جمادى الثانية 1376هـ - 10 يناير 1957م.
وله مؤلفات وتقاييد وأشعار نفيسة. من ذلك كتابه الذي يحمل عنوان : انبلاج الفجر. عن المسائل العشر. توفي رحمه الله بموطنه سلا يوم الأحد 10 صفر الخير عام 1389هـ - 28 ابريل 1969م. انظر ترجمته في إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين 190 – 194. وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي 9 : 3411 – 3413.

ما في سلا راء يصدك وقعها　　　كلا فزرها واصلا متفضـــــلا[1]

ومن ذلك أيضا قول العلامة الشهير الفاطمي الشرادي[2]:

إني صبوت لعاشق ولهـــــان　　　حكم القضاء بحبه لجـــنـــان
يشكو القطيعة للأحبة معلنـــا　　　حرق الجفاء وآفة الهجــــران
ظن القلوب بغيره تسلو وقـــد　　　ملأ الجوانح حبه بعيــــان
كيف السلو عن الذي جمع الصفا　　　ء مع الوفاء وحلة الخـــلان
صان العهود من العقود بعـــزة　　　وبعفة وأمانة الإخــــوان

---

[1] - كانت تجمع بين العلامتين سيدي أحمد سكيرج والباشا محمد الصبيحي صداقة حميمية قوية. لاسيما إبان عمل العلامة سكيرج بالمحكمة العليا للأعتاب الشريفة بالرباط. ما بين عامي 1341 هـ - 1342هـ. وكان خلال هذه الفترة يقطن بمدينة سلا. بمنزل غير بعيد من منزل صديقه المذكور. حيث أقام هناك مدة سنة ونصف. كانت كلها مواسم أفراح ومسرات. عامرة بمختلف المسامرات والملتقيات العلمية الجادة.
وغالبا ما كان منزل الأديب الباشا الصبيحي محلا لهذه الملتقيات. يجتمع فيه فضلاء علماء العدوتين (الرباط وسلا) فيمضون هناك وقتا طويلا في اقتطاف أزهار العلوم والمعارف. وما إلى ذلك من الفوائد والفرائد وغيرها.
وكان للعلامة سكيرج بين هؤلاء العلماء قدر ومكانة سامية. اعتبارا لما له من قدم راسخة في فنون الأدب واللغة والتاريخ وغيره. ولهذا أقبل عليه علماء وأدباء العدوتين. ففرحوا به وأجلوه. ووضعوه في مكانته التي هو أهل لها. من علم وحفظ واطلاع وذكاء وفطنة. وعموما فقد شاع خبره بين جل أهل المدينتين المذكورتين. فبادروا إلى زيارته والالتقاء به. وأكثروا من استدعائه إلى بيوتهم. فانتفعوا بمجالسه ومذاكراته. وأحبوه واعتنوا به. ومالوا إليه. بل كان منهم من لا يفارقه. وكان الباشا محمد الصبيحي من جملة هؤلاء. يحبه وينوه به ويمدحه. وهذه القصيدة هي واحدة من عداد قصائد عديدة بعثها إليه. وهي كافية للتعبير عما كان يكنه له من تقدير وإعجاب عميق.

[2] - الفقيه العلامة سيدي محمد الفاطمي بن محمد الشرادي، ولد بمدينة فاس عام 1285هـ ،وبها أخذ العلم عن جملة من علماءها. من بينهم سيدي قاسم الرايس.، وسيدي محمد بن العربي الصقلي ، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني، وسيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، وسيد أحمد بن الخياط وسيد محمد بن قاسم القادري، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني، وغيرهم، وكانت له بالعلامة سكيرج محبة عميقة، وروابط أخوية عريقة، وقد وقفت على عدة قصائد للعلامة سكيرج في مدح صاحبه المذكور، منها قصيدة نونية قال في مطلعها:

هلا مررت على أبي غزوان　　　فهناك تلفي مرتع الغزلان

ومدحه كذلك بنونية أخرى قال في مطلعها :

ماذا ترى في عاشق ولهـــان　　　حكم القضاء عليه بالهجران

ومدحه كذلك بقصيدة فائية جميلة قال في مطلعها:

رعى الله دهرا كان بالوصل مسعفي　　　وأسعدني بالقرب دون تكلف

ومدحه كذلك بدالية من بحر البسيط قال في مطلعها:

إني لراض بما أحبتي فعلوا　　　ولا أبالي بمن في حبهم عذلوا

ومدحه كذلك بقافية من بحر الطويل قال في مطلعها:

خليلي حبلي في هواك وثيق　　　وعقلي ببحر الفكر فيك غريق

ومن تآليفه : النسيم الصيفي والروح اليوسفي، وهو حول رحلته للأعتاب الشريفة بمراكش. حيث عين قاضيا بمدينة تارودانت، ذكر فيه ما رآه وشاهده. ومن اجتمع به أيام خطته ذهابا وإيابا، ومنها حاشية على الشيخ التاودي على التحفة، ومنها شرح لألفية ابن مالك، وتأليف في الذكاة، وغيرهم. وهو رحمه الله من المقدمين لتلقين أوراد الطريقة التجانية، وسنده فيها عن العلامة سيدي الحاج محمد كنون، وكذلك عن البركة سيدي محمد بن العربي العلوي الزرهوني، وله سند أخر عن العلامة القاضي سيدي حميد بناني. وتوفي رحمه الله يوم الأربعاء 19 صفر الخير عام 1344هـ ودفن مع شيخه سيدي أحمد بن الخياط في زاوية سيدي يحيى بالرميلة بفاس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها:

أفي كل يوم تعتريك نوائب　　　وأنت بها عما نوت بك غائب

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 32 وفي رياض السلوان لنفس المؤلف ص 122. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي الحاج أحمد سكيرج 1 : 35.

ذاك السكيرج عزنا وفخارنــــا   ونشاطنا وسرورنا المتدانـــي
قد حل أوج الجديدة طالعــــا   يا فوز ذاك الثغر بالفرســـان
سعدت به تلك العمالة وازدهت   وتجسمت بطلوعه اليمنـــان
فاقت الحواضر والبوادي إذ غدا   لقضائها متطوق العقيـــان
يارب زده كرامة ومهابـــة   وفخامة باليمن والإيمـــان

ومن ذلك أيضا ما مدحه به صديقه العلامة المؤرخ العباس بن إبراهيم التعارجي المراكشي[1]

ـا أدامك الله في عز وتمكيـــــن   وكنت صدرا لدى دست الأواويـن
حمد حاط الإله جنابكم ورفعكـــم   على الدوام بنيل خير تجينـــي[2]
مفتور قولك اضحى في الورى مثلا   ونظمك المنتقى عال بتحسيـــن
دبجت تقريضك الأبهى ففاق علـى   در ثمين غدا في لبة العيـــن
سكير سست الأمور ورضت كل معضلـة   جلينها ببراعة وتبييـــن
كسوت كل دروس أنت تدرسهــا   وشيا وحليا بتحقيق و تزييـــن
ينساب مجلسك الأسنى تلامـــذة   فيظفرون بما رجوا بتلقيـــن
رأيت منك براعة مفصلـــــة   قد جزتها بارعا من غير تخميـن
ج جناك من زهرات العلم يانعهــا   شذاه أعطر من ورد ونسريـــن
ا ألفت كتبا حوت غر الفوائـــد إذ   حسنتها بقواعد وتحصيـــن
لف لازلت تطلع في أرجائنا قمـــرا   شهاب نور لإحراق الشياطيـــن
فأنت أفكارك الغراء قد كشفـــت   عن كل معنى بديع في الدواويـن
أزلت عنه حجابا ساترا فغـــدا   للعالمين موضحا بتعييـــن
سي سلوت كل قريض غير شعركـــم   به أرن بأبدع التلاحيـــن
يزداد فضلك ما در الشروق ومـــا   أدامك الله في عز وتمكيـــن[3]

---

[1] ـ العباس بن محمد بن ابراهيم السملالي التعارجي المراكشي. مؤرخ فقيه قاض. ولد بمراكش عام 1294هـ. وبها نشأ وتعلم. فتولى مناصب هامة. كعضوية مجلس الاستئناف الشرعي بالرباط عام 1333 هـ - 1915م. ثم أسندت له بعد ذلك خطة القضاء. فتولاها بمدن مختلفة. كسطات والجديدة. وأخيرا بمراكش بمحكمة المنشية عام 1348هـ - 1929م. وهو صاحب تآليف عديدة : ابرزها كتابه : الإعلام . بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام . في عشر مجلدات. وإظهار الكمال. في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال. والأجوبة الفقهية مع الأحكام المسجلة. في أربعة أجزاء. وديوان شعري مرتب على حروف المعجم. وغير ذلك من تصانيف أخرى. توفي بموطنه مراكش يوم الأربعاء 19 شوال عام 1378هـ - 28 أبريل 1959م. انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب. لحجي 9: 3339 – 3340. وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة ض 16 ع 19. وفي أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب، للمكناسي ص 21. وفي معجم المطبوعات ، لسركيس 1724. وفي الأعلام للزركلي3: 265–266.

[2] ـ يشير بلفظ (تجيني) للطريقة التجانية. بمعنى اسأل الله أن يمنحك من خير هذه الطريقة وبركتها.

[3] ـ أجاب بها عن قصيدة للعلامة سكيرج . قالها في تقريض كتابه : إظهار الكمال. في تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال. ومطلعها: وافت مهفهفة الأطراف تسقيني   رجا به من جراح الطرف تشفيني
وأقبلت في بساط الأنس رافلــة   تجر ذيل دلال كاد يفنينـــــي

إلى أن قال في ختامها:

أكرم به من كتاب لست أبلغ ما   قد استحق بتقريضي وتأبينـــي
وكيف أقدر يوما أن أوفيـــه   و كيف مدحي له والعجز يثنينـي
لكنني أسأل الرحمان يمنحـــه   من فضله كل ما يرجوه في الحين
وأن يتوجه تاج القبول علـــى   رغم الحسود ويعطى سر تحصين
وأن يومنه دنيا وآخـــرة   مع المحبين في كمال تأميـــن

وقد أجابه العلامة سكيرج بقصيدة في نفس الوزن والقافية ونصها:

سما مقامك في الدنيا وفي الدين . ودام قدرك في عز وتمكيـــن
يا ابن السراة الذين جل فضلهم بالعلم والحلم والإحسان والدين
دانت له في الورى السادات وابتهجت دنياهم بهم بين السلاطيـــن
يحل بين ذوي العلياء قدرهـم لما غدوا بهجة صدر الدواوين
إن يفتخر أحد كان الفخار لهـم بما لهم من مزايا في الميادين
لهم مساكن في الإحسان قد قصدت أبوابها الأقويا مع المساكيـن
عنت برتبتهم أهل العــلا وإذا أتوا إليهم ينالوا القصد في الحين
بهم تباهى العلا وأنت بينهـم بدر محوط بتحسين وتحصيـن
أبنت يا سيدي العباس نهج هدى للعالمين بإيضاح وتبييـــن
سلبت منهم بإظهار الكمال نهى لما تناهى لديك سر تلقيـــن
به تفتحت الأزهار وازدهــرت فصار في العلم من أبهى البساتين
نور الفنون به أضحى بطيب شذى أشهى إلى النفس من شم الرياحين
أتيت بالدر من علم ومن حكـم وجئت بالسحر في تنويع تلويـن
بهرت أهل النهى بما أتيت بــه من الخوارق في إحكام تدويـن
رفعت فيه منار الحق فانشرحت به الصدور على رغم الشياطين
أبديت فيه لنا جواهرا نظمــت ثمينة القدر عند كل تثميـــن
هذا وعمرك لا أفي مدائحــه ولو ملأت بها كل الدواويـــن
يكفيك أن الوفا بمدحه عجـزت عنه الفحول وعجزي عنه يكفيني
من لي بعارضة في مدحه رجحت فيه على غيره بها موازينـــي
أم كيف أبلغ ذاك وهو قلدنـــي بفضله مننا منه توافينـــــي
لو قلت ما قلت كي أحصي محامده لم أستطعها على طول الأحايين
ماذا أقول ونطقي فيه ذو حصر ومدحه ظاهر بالحق يشفينـــي
رفعت شكري له يوما ليقبلـــه فقابلتني أياديه تكافينـــــي
أهدت إلي من الوصف الجميل ثنا وتوجتني بتاج العز في الحيـن
كيف السبيل إلى الوفا بمدحتــه والعجز عن درك ما استحق يثنيني
شرحت عجزي له عن الوفاء به عساه يقبل تأبيني لتأمينـــي
يا سيدي حفظ المولى جنابك مـا سما مقامك في الدنيا وفي الحيـن

وفي حقه أيضا قال العارف بربه الأديب سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي[1]:

تسربل أو تقمص أو تقبــا   فلست تزيد عندي بعد حبا
تملك بعض حبك كل قلبي   فإن ترد الزيادة هات قلبــا

وفي حقه كذلك قال العلامة الأديب الفاضل سيدي عبد الله التادلي الرباطي[2]:

تحية كالمسك والعنبـــــــر   لمستحق الصدر والمنبــر
يسقيك من تسنيمها ما كفى   كفاية الرواء بالكوثـــــــر
وأنت يا أحمد ساقيهـــــــم   في نهجة من وجهك الأنور

---

[1] - الولي الصالح البركة، المقدم الجليل، أديب الزمان، سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، وهو أحد خاصة رفاق العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وكانت تربطهما صداقة متينة، وعهود مواثيق أمينة، بحيث كانا لا يتفارقان إلا نادرا قليلا، فيقضيان الوقت في الذكر والمذاكرة الجادة نهارا وليلا، وقد شكلت وفاة الولي المذكور ثقلا كبيرا بالنسبة إليه، وذلك نظرا لعوامل متعددة، منها أنه أستاذه وسنده ومربيه.

ومما يدل على اتساع عارضة هذا الرجل الصالح ما تطايرت به الأخبار عنه من استقامة ونزاهة وعدل، ومروءة وجلالة وفضل، مع ما عرف به من الفتح الخارق، ومن شعره في هذا الصدد قوله:

نشرت هوى المحبوب بزا يمانيا   وقد كان في ظل الضلوع شاميا
وما بحت بالسر الذي سكن الحشا   صبيحة نلت من رضاه الأمانيا
فجاد بمفتاح الكنوز لعبـــــده   وزاده تقريبا له وتدانيا
فحزت من السر المصون كنوزه   ونلت من الفتح المبين المعاليا
فقل لملوك الأرض تجهد جهدها   فتنزع ملكا في الصدور سماويا

وله في مدح أستاذه الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح عدة قصائد منها حائية قال في مطلعها:

جبت بلاد الشرق والغرب علـى   مثل الإمام العربي بن السائح
نجم الهدى القطب العلا أستاذنـا   مدد كل جامد وصادح

وله في رثائه قصيدة قال في مطلعها :

سكب الدموع على الأطلال أضناكا   أو حر نار الأسى والبين أفناكا

وكانت وفاته رحمه الله في 4 جمادى الأولى عام 1333هـ ، ودفن بمسجد سيدي محمد الضاوي بالرباط، انظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي أعلام الفكر المعاصر للجراري ج 2 ص 231 –233، وقد خصصه العلامة سكيرج بتأليف سماه: الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين.

[2] - الولي الصالح المقدم البركة العلامة سيدي عبد الله بن محمد التادلي الرباطي، فقيه، أديب، صوفي جليل، أحد تلامذة العارف بربه سيدي محمد العربي بن السائح، وهو الذي أجازه في تلقين أوراد الطريقة الأحمدية التجانية لمن طلبها منه، وله في أستاذه الولي الصالح المذكور أشعار رقيقة، ومن مصنفاته: أرجوزة في علم البديع نظم فيها أنواع المحسنات التي استقرأها صفي الدين وأوصلها إلى مائة ونيف وخمسين، يقول في مطلعها:

علم البديع حصرت أقسامه   ونشرت بين الورى أعلامه
أوصلها الحلي صفي الدين   لعدد في الرمز ذي تمكين

وكان مولده بمدينة الرباط في 12 ربيع الثاني عام 1266هـ ، أما وفاته فكانت بتاريخ 10 جمادى الثانية عام 1336هـ ، عن 70 سنة ، ودفن بضريح سيدي أبي الأنوار بمدينة الرباط، انظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي الاغتباط لبوجندار ص 390، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد الله الجراري ج 2 ص 324- 326.

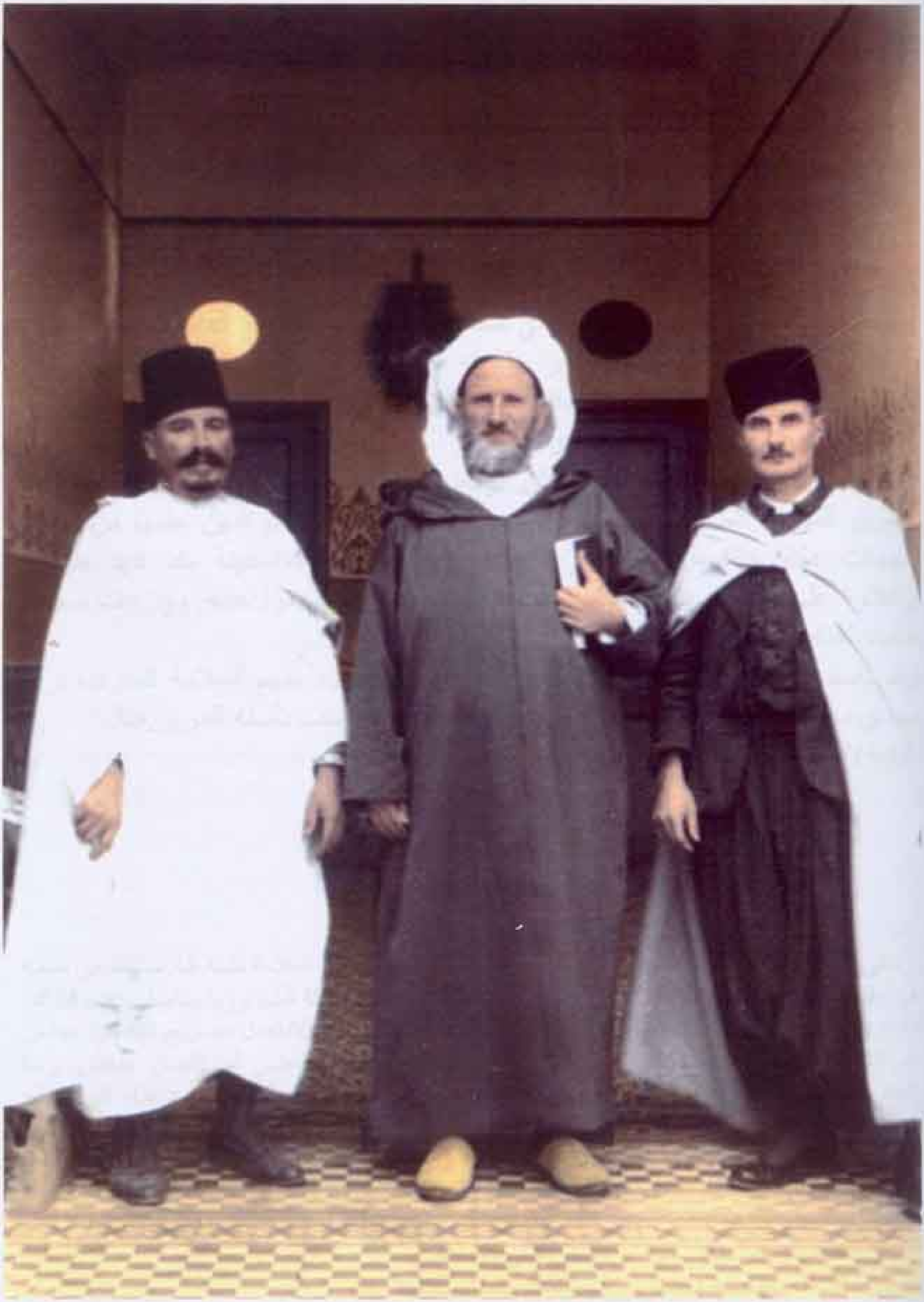

صورة للعلامة الفاضل أحمد سكيرج التقطت له بمدينة بلعباس الجزائرية
إبان حضوره لمؤتمر حول الطرق الصوفية هناك عام 1941م
وبجانبه فاضلين من تلامذته بالمدينة المذكورة

وفاته

كان العلامة سكيرج رحمه الله مصابا بداء السكري. وكان يعاني منه كثيرا في بعض الأحيان. مما يضطره لمراجعة طبيب خاص بالمرض المذكور بمدينة الدار البيضاء. وكثيرا ما كان هذا الطبيب ينصحه بالإخلاد للراحة والابتعاد عن التعب والإرهاق. وما إلى ذلك من مسببات المرض الكثيرة

وعموما فقد ساءت صحته خلال الأسبوع الأخير من حياته. فحمل فورا من مدينة سطات صوب مراكش. حيث أدخل هناك لإحدى المصحات المختصة. فنصح له بإجراء عملية جراحية سريعة. أجريت له بموافقة ابنه عبد الكريم. غير أنه لم يحتمل مضاعفات العملية الجراحية المذكورة. فلحق بربه بعدها بقليل. وذلك يوم السبت 23 شعبان عام 1363هـ - 12 غشت 1944م.

وشيعت جنازته في اليوم الموالي. في محفل رهيب إلى ضريح القاضي أبي الفضل عياض[1]. وقد قدمت الناس لحضور جنازته من سائر مدن المغرب. من فاس والدار البيضاء وسطات والجديدة والرباط وغيرها. فذهبوا بها في موكب حافل. تتقدمه جماعات من رجال العلم والفضل والصلاح.

وخلاصة القول فقد ارتجت مراكش لوفاة هذا العالم أيما ارتجاج. حيث امتلأت الطرق المؤدية للضريح المذكور. وغصت بجموع الناس الوافدين عليها من جميع الجهات. فكان ذلك الازدحام فريدا من نوعه. لم تشهده المدينة منذ عهد طويل. وعلاوة على هذا فقد تبرك الناس بنعشه رحمه الله. وازدحموا عليه. ووزعت سجادة كانت تحته خيوطا بين الحاضرين.

وقد تأسف على وفاته الكثير من علية العلماء والأفاضل. منهم العلامة العارف بربه سيدي محمد (فتحا) بن عبد الواحد النظيفي. فسأل عن سبب تأسفه المرير فقال:

كيف لا أتأسف . إنه العلم قد دخل إلى باطن الأرض.

---

[1] - في دفنه رحمه الله بهذا الضريح كرامة عجيبة. مفادها ما تبث عن العلامة نفسه أنه استيقظ من منامه في وقت متأخر من الليل، فطلب من زوجته أن تحضر له قلما وورقة ليقيد رؤيا منامية رآها وقتذاك، وفحوى الرؤية المذكورة أنه شاهد نفسه في مجمع للعلماء والسادات الأفاضل بضريح القاضي عياض بمراكش وكان من جملة الحاضرين فيه صاحب الضريح العلامة القاضي أبو الفضل عياض، ولما انفض المجلس وأراد العلامة سكيرج أن ينصرف منه، رأى الأبواب قد أقفلت عليه داخله، فلم يستطع الخروج.

وكتب العلامة سكيرج بهذه الرؤيا إلى بعض أصدقائه ومحبيه، منهم العلامة البركة سيدي ابراهيم انياس الكولخي، من خلال آخر رسالة بينهما ، حيث ذكر له نص هذه الرؤيا وختمها ببيتين من شعره قال فيهما رحمه الله:

كم سائل عن حالتي   من خارج وداخل
قلت له سفينة العمر   رست بالساحل

قال العلامة سيدي إبراهيم انياس رحمه الله : فهمت من تلك الرؤيا المشار إليها ومن البيتين الذان ختم بهما رسالته أنه ينعي نفسه رضي الله عنه. وهكذا تحققت هذه الرؤيا العجيبة. ليدفن القاضي بجانب القاضي ، وليرقد ناظم الشفا بجانب مؤلفها، فرحم الله الجميع ورضي عنهم وأسكنهم فسيح جناته.

سكيرج الصوفي

التصوف كما معروف ليس علما أوفنا مكتسبا يستطيع المرء أن يستوعبه بالدراسة والتحصيل. ولو أفنى في سبيله سائر عمره. ولكنه ذوق وحال. لا ينال سوى بالتربية الجادة والسلوك المتزن والتهذيب القويم. وهو ثمرة مجموعة من المجاهدات والأذكار والتقربات النافعة. ولابد لمريد ذلك من شيخ واصل. بصير عارف بقواعد الطريق ومتطلباتها الكثيرة.

وكانت للعلامة سكيرج رغبة كبيرة في عالم التصوف. واهتمام واسع بشؤونه وقضاياه. ولهذا قرأ في بدايته العديد من مختلف تصانيف هذا العلم. كالفتوحات المكية. وفصوص الحكم. والرسالة القشيرية. والإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. والحكم العطائية وغيرها.

بيد أنه لم يدخل حلبة التصوف من بابها الكبير إلا عند اجتماعه بالمقدم البركة مولاي أحمد العبدلاوي[1] عام 1316هـ . فهو الذي عبد له الطريق ومهد له شتى شعابها الوعرة. كما فتح عينيه على خفايا الحقائق والمعارف الربانية. فبلغ من المدارك فيها ما لم يكن له في حسبان. وأدرك من عالي المراتب ما لم يكن يخطر له في خلد.

وكان لتمسكه بالطريقة التجانية الأثر الواضح على مسار شخصيته وحياته. لاسيما في مجال التصوف. حيث أتاحت له فرصة التعرف على جماعة من جلة أهل الله تعالى. فضلا عن مقدمه السابق ذكره. فتمرس بآدابهم. وتخلق بجميل آثارهم. وكان محبوبا لدى كل من عرفه منهم. اعتبارا لما لمسوه فيه من نجابة وفطنة وتواضع وانكسار.

وخلاصة القول فقد كان صاحبنا المذكور تلميذا فطنا نبيها. أدرك كيفية الاستفادة من شيوخه ومقدميه. فانتفع بتوجيهاتهم وإرشاداتهم. ما كان له أثره الطيب المحمود فيما وصل إليه من علوم وفهوم.

ومن إسهاماته في مجال التصوف كتابه: بستان المعارف. فيما أورده الوارد من الطائف عند بعض المواقف. وهو كتاب ذو أهمية بالغة. عبر فيه عن كل أذواقه واحساساته. فسجل فيه بدقة مجموعة من عيون الفوائد. وباقات من لطائف الفرائد. حيث تناول فيه بعض الآيات القرآنية بالدراسة والتحليل. مع التفسير والشرح السليم. والاستنباط اللائق والإشارات الجلية.

ومن أعماله في التصوف أيضا كتابه: قرة العين في الجواب عن أسئلة مؤلف خبيئة الكون[2].

ومن أعماله في التصوف أيضا كتابه: قرة العين في الجواب عن أسئلة مؤلف خبيئة الكون. وهو كتاب جليل. ابان فيه عن مؤهلات عالية في هذا المجال. إذ تناول فيه

---

[1] - سبق التعريف به في ص

[2] - حول هذا الكتاب قال العلامة سيدي محمد الحافظ التجاني المصري. في ترجمته للعلامة سكيرج، عند خاتمة كتاب : جناية المنتسب العاني. فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني. ما نصه : ثم ظهر في القرن الرابع عشر بعض الصالحين في فاس، وقال إن أسئلة الحكيم الترمذي دين في عنق التجانيين، حيث لم ينقل أن الشيخ سيدي أحمد التجاني أجاب عن هذه الأسئلة، وذلك لا يتأتى إلا إذا اتصل بعض أصحاب الشيخ بروحانيته رضي الله عنه، ويغترق من بحره، ويجيب عن تلك الأسئلة، وقد حصل لسيدي أحمد سكيرج أعلى الله منزله ذلك، فأخذ عن روحانية الشيخ رضي الله عنه أجوبة هذه الأسئلة وابرزها في ذلك الكتاب.

العديد من دقائق المعارف. التي ليس من الممكن فهمها بسهولة سوى من طرف أفذاذ أهل التصوف وجلة ممارسيه. وليس من الهين إعطاء فكرة ولو بسيطة عن هذا الكتاب. بيد أننا نستطيع القول بأنه من ألطف ما ألف في بابه. لاسيما خلال عصر مؤلفه. ويمكن لمطالعه إدراك ذلك بوضوح تام. نظرا لما اشتمل عليه من لطائف الإشارات. وجليل العبارات. وقوة الدليل. ومثانة البرهان والحجة.
وله في التصوف تآليف مفيدة أخرى. لا تقل قيمة عن هذين العملين المذكورين. وقد تكلمنا عليها بما فيه الكفاية ضمن كتابنا : رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 84- 116.

سكيرج الأديب

سوف يطول بنا الحديث كثيرا إن أردنا أن نستعرض الحياة الأدبية للعلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج. اعتبارا لما له في مجال القريض من سبق مشهود وسمعة طنانة. وهو ما شهدت له به نخبة من أدباء المغرب وشعرائه.ممن عاصروه والتفوا حوله. وتتلمذوا عليه. وطارحوه الشعر وطارحهم.
وإن ننسى فلا ننسى أنه من مواليد مدينة فاس. وهي محل نشأته ودراسته وشبابه. تلك المدينة الباهية الجميلة. ذات الطبيعة الخلابة. والجو المعتدل. والمناخ الحسن. والتربة الخصبة. أضف إلى ذلك وفرة مياهها. وكثرة أنهارها وعيونها .وورونق القمم الجبلية المطلقة عليها. مع ما تميز به أهلها من أعراف وتقاليد وعادات موروثة. وهذا بقطع النظر عن فنون صنائع أهلها. وامتلاء أسواقها. ورواج اقتصادها. وما إلى ذلك من مميزات كثيرة أخرى. مما جعلها مكان إبداع وطرب العديد من الشعراء. ممن تغنوا بجمالها الباهر وحسنها الأخاذ.
ومن هذا المنطلق كانت هذه البيئة محلا مناسبا لتكوين ثلة من الشعراء الكبار. من الذين استولى عليهم جمال تلك الطبيعة. وافتتنوا بمستواها الساحر الخلاب.
وكان من عداد هؤلاء الشعراء مترجمنا العلامة الأديب العارف بربه سيدي أحمد سكيرج. الذي هيأته الظروف المذكورة ليصبح واحدا من جلة شعراء وقته. حيث كان له الحظ الوافر في قرض الشعر. بصيرا باللغة وآدابها. يتمتع بقريحة جيدة. وملكة قوية. وتمييز صائب.
ومن أهم العوامل التي ساعدت على نمو مواهبه الشعرية تتلمذه لزمرة من أكابر أدباء القرويين. ممن كانوا يتذوقون الشعر ويتلذذون به ويقولونه. ومن هؤلاء الشيخ

إبراهيم اليزيدي العلوي[1]. والحبيب الداودي[2]. عبد الكريم بن العربي بنيس[3] وآخرين. ويضاف لما سبق انكبابه رحمه الله على مطالعة كثير من كتب الشعر وشؤونه وقضاياه. مع مواكبة تامة لكل ما جد في عالمه من دواوين ودراسات وغيرها. ومن هذا القبيل إعجابه الكبير بشعر بعض أدباء المشرق العربي. كأمير الشعراء أحمد شوقي. ومحمود سامي البارودي. ومطران خليل مطران. ومعروف الرصافي. وسواهم من عمالقة الشعر العربي إذ ذاك.

ومما يشهد لهذا رثاؤه لأمير الشعراء أحمد شوقي لدى وفاته عام 1351هـ- 1932م. حيث قال

ليث شعري قل لي فماذا وراءه   فلماذا فينا أطال بكاءه
كلما صبروه زاد نحيبا   قائما قاعدا صباحا مساءه
أحقيقا قد مات شوقي فأبكى الـ   ـشرق والغرب قومه ونساءه
إن يكن مات فالبكاء قليل   بل على الجفن أن يسيل دماءه
بل على النفس شقها القلب في الصـ   ـدر أسى إن تنفست صعداءه
أي صبر منا يحق عليه   وذووا العز قد أطالوا عزاءه
قد تمنى في الناس كل مفدى   من ذوي الفضل لو يكون فداءه
كان بالأمس للنفوس يسلي   والتسلي من بعده لن نشاءه

وكذلك رثاؤه للأديب الشهير شاعر النيل حافظ إبراهيم. بقصيدة تائية طويلة قال في مطلعها:

إنه الموت هادم اللذات   قد سقى الناس أكؤس السكرات
إن سلا المرء مرة من مصاب   منه أسقاه مرها مرات

---

[1] - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عمر بن اليزيد العلوي، فقيه ، أصولي، أديب، أخذ العلم عن جماعة من فقهاء فاس، وعمدته فيهم العلامة سيدي الحاج محمد بن المدني كنون.
وهو أول من أجاز العلامة سكيرج من الفقهاء، وله تقاريض على بعض كتب العلامة سكيرج، منها تقريضه على كتاب منها الورود الصافي بقصيدة قال في مطلعها :

شرح الصدر شرح شاف يوافي   من بديع العروض صنع القوافي

وللعلامة سكيرج في مدح شيخه المذكور عدة قصائد قال في مطلع إحداها :

أما والهوى مالي إلى غيرك الميل   ولازال يغريني على عشقك العذل
أتزعم أن أسلو وأنت جفوتني   وأي فتى بعد التفرق قد يسلو
سلبت الكرى عن مقلتي وكسوتني   رداء نحول ما الجفا في الهوى سهل

ولهذا العالم الجليل شرح نفيس على صلاة جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال، وهو من أهل الطريقة الأحمدية التجانية، انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 13.

[2] - العلامة سيدي الحبيب بن الحاج الداودي التلمساني ، فقيه، محدث ، أديب ، كانت له خبرة كبيرة بعلم أسرار الحروف، وهو من أكبر أساتذة وشيوخ العلامة سكيرج، توفي رحمه الله قرب الساعة العاشرة من نهار يوم السبت فاتح شهر شوال عام 1325هـ ، بعد غيبوبة دامت أربعة أيام، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

علام الدمع من عينيك يجري   ويحكي في التلاطم موج بحر
ونفسك في أنين وانزعاج   كأنك قلب قلبك فوق جمر
أمن فقد الحبيب أطلت حزنا   نعم والله فيه فقدت صبري

انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 14، وترجمته واسعة في كتاب حديقة أنسي في التعريف بنفسي للعلامة سكيرج، انظر كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 29.

[3] - سبق للتعريف به في ص

إلى أن قال :

إيه هل مات شاعر النيل والنـــــــاس له يحفظون كم آيـــــات
لم يمت حافظ وكم حافظ في النــــــاس يتلو آياته المحكمـــــات
إن يمت حافظ فما مات منه الـــــــشعر وهو يرى من المعجزات
مبدع القول نافث الروع فـــي روع عداه مسكن الروعـــات

إلى أن قال في ختامها:

حاش والله أن يخيب منه الــــظن والله غافر الــــزلات
حقق الله ظنه فيه حتـــــى يرتقي في أعلى علا الجنـــات
وحبانا وأهل مصر عليـــــه أجر صبر لا ينتهي حسنـــات

وخلاصة القول فالعلامة سيدي أحمد سكيرج أديب متمكن. عالج قرض الشعر طيلة حياته المباركة. وقد ترك لنا دواوين شعرية في غاية الأهمية. قيلت في مجالات متنوعة. كالمدح والرثاء. والوصف والغزل. والدعوة إلى التعلم والتعليم والوعظ والحماسة. بالإضافة للإخوانيات والوطنيات. وغيرها من مختلف أغراض الشعر وضروبه.

وهذا التنوع إن دل على شيء فإنما يدل على سعة أفق. وجودة قريحة. وبعد نظر. وقوة إدراك. وحنكة ودراية وخبرة. أضف إلى ذلك حضور بديهته ودقة ملاحظته وعمق تفكيره إلى غير ذلك من سماته الفاضلة التي لا يمكن الإحاطة بها أو حصرها بين طيات هذه الصفحات.

وعلى كل حال فلا يمكننا أن نعرف قيمة هذا الرجل ومستواه الأدبي دون أن نطلع على ثرواته الأدبية الكبيرة. المشتملة فيما تركه لنا من عشرات الدواوين الشعرية ومآت القصائد.

ولا يفهم من كلامي هذا أنه محاولة مني لإعطاء هذا الأديب منزلة أرفع مما وضعه فيها معاصروه وأقرانه. بل مبتغاي هو تسليط الضوء حول رجل أديب متمكن .دقيق المعنى. عميق التعبير. دخل مجال الأدب من بابه الكبير. فعركه وخاض غماره. وركب صعابه وأهواله. كما سلك به كافة الاتجاهات الشكلية التي استعملها أدباء وقته. وهذا كله بقطع النظر عما كان يتمتع به صاحبنا المذكور من فصاحة واقتدار على الارتجال. إذ هو من أقدر الفقهاء في هذا المنوال. وكيف لا وقد كانت خطبه ومسامراته تعدو عفو الخاطر من باب السليقة. لا تصنع فيها. ولا تكلف ولا تقطيع . وهذه مزية فريدة قلما تمتع بها أديب أو فقيه غيره.

ولا بد لنا خلال هذه العجالة أن نلقي نظرة ولو سطحية عن بعض الأغراض التي تناولها شعر أديبنا المذكور. وإن كان الكلام عليها لا يتسع له مقال أو مقالات. بحكم اتساع آفاقها. وبعد مراميها. ومثانة أثرها. وسأذكر مجال المدح النبوي في آخرها. اعتبارا لكونه جوهر هذا البحث ويتيمة عصماءه.

مجال الوصف

منه قوله في وصف مدينة مكناس وسورها العظيم:

أرى مكناسة الزيتون كهفا يؤمن من بها مما يخـــاف
وقال لنا لسان الحال منها أنا الدنيا وهذا السور قاف

ومنه أنه كان جالسا في بساط مع جماعة من أدباء مدينة مكناس. في بيت المؤرخ الأديب عبد الرحمان بن زيدان[1]. وكانت بجانب ذلك البساط خصة ماء (نافورة) فطلب منه الحاضرون أن يقول فيها شعرا. فقال:

يقول لسان الحال من خصة بدت   لنا في بساط فيه تشفي السقيمـــا
هلموا هلموا إن جودي يعمكـــم   فمن شاء منكم يأت كي يستقي ما

ومنه أنه كان في نزهة بوادي الجواهر. خارج مدينة فاس. رفقة نخبة من علماء القرويين وأدباءها الكبار[2]. وكان الفصل إذ ذاك ربيعيا. مع برودة جو. وهبوب رياح قوية. فقال الفقيه العلامة سيدي عبد الكريم بنيس يصف ذلك :

أنظر إلى نسق الربيع تمايلت   في خضرة وترونق وتنمق

فأجابه العلامة سكيرج بقوله :

فإذا نظرت لها رايت كتائبـــا   خضراء قد هزمت بريح مخفق
ماجت كبحر قد تلاطم موجـه   في عين ناظره مديم ترقـــرق
تزداد حسنا كلما قد زدتهـــا   نظرا وتعطي الطيب للمستنشق

فقال العلامة عبد الكريم بنيس :

أرجو لها مطرا غزيرا طيبـــا   بسلامة يأتي برعد مبرق

فأجابه العلامة سكيرج بقوله :

وانظر إلى وادي الجواهر حولها   يجري على صفح اللجين المشرق
قد غار منها عندما لبست بـــه   ثوب اخضرار في اللباس الأزرق
فكأنها من جنة قد أخرجـــت   وكأنه أوج السما للمرتقـــي
وانظر إلى شمس السماء فإنها اصـــفرت من الحسد الذي فيها بقـــي

---

[1] ـ العلامة الأديب مولاي عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن زيدان بن السلطان الشهير مولانا إسماعيل، هو نقيب الشرفاء العلويين بمدينتي مكناس وزرهون، ولد في شهر ربيع الثاني عام 1295هـ بمكناسة الزيتون، وبها حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بفاس حيث أخذ عن كبار فقهاء القرويين بها، فبرع في الأدب والتاريخ والبلاغة والفقه والحديث والسيرة وغيرها من العلوم الأخرى، وشيوخه رحمه الله كثيرون، منهم قاضي مكناس العلامة سيدي محمد بن القصري المكناسي، والعلامة الشيخ سيدي أحمد بن الخياط الزكاري، والفقيه سيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري، والعلامة سيدي محمد بن قاسم القادري وغيرهم، كما أجازه من خارج المغرب عدة شيوخ من الحجاز ومصر والشام والهند وتونس والجزائر.

وتقلد رحمه الله بعهد الطريقة الأحمدية التجانية عن العارف بربه العلامة سيدي العربي العلمي اللحياني الموساوي، أما وظائفه: فقد انتخب من بين علماء وقته مدرسا لتلامذة المدرسة الحربية بمكناس، ثم مديرا للمدرسة المذكورة، وله رحمه الله مصنفات كثيرة منها:

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، وإرشاد المستفيد لما للأئمة من التفصيل في طبقات أهل التقليد، والدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، والعز والصولة في معالم نظم الدولة، والمناهج السوية في تاريخ الدولة العلوية، والنهضة العلمية في عهد الدولة العلوية، والنور اللائح بمولد الرسول الخاتم الفاتح، وبلوغ الأمنية في مدح خير البرية. وله غير ذلك من التآليف والرسائل والتقاييد، وكانت وفاته رحمه الله سنة 1365هـ - 1946م، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 3 ص 335 وفي الأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن عباس القباج ج 1 ص 81، وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة المري ص 13 رقم 2.

[2] ـ نذكر منهم الفقيه أحمد بن الخياط الزكاري. ومحمد (فتحا) القادري. والفاطمي الشرادي. والفاطمي الحمودي وآخرين.

فتسربلت تحت السحاب وأطلعت   بين الخلال شعاعها في رونق
فازداد عندئذ سرور بساطنا   رغما على أنف الحسود السهوق
فالله أسأل أن يدوم سرورنا   بسلامة في الجمع دون تفرق

مجال الغزل

منه قوله :

قف وقفة بين باب الدير والدور   وانظر هناك إلى الغزلان والحور
ما بين غانية قد أخجلت قمرا   بوجهها إذ جلته غير مستور
تقدم الرجل في الدخول وهي لأخـــــراها تؤخر خلف الستر والسور
حتى إذا دخلت جثت على ركب   تشكو بقلب عظيم الكرب مذعور
جاءت تبث لرب الدير ما كتمت   وقد رأت ما جنته غير مغفور

ومنه قوله مخاطبا نفسه من جهة. ومنوها باستقامة ونزاهة باشا مكناس أحمد السعيدي من جهة ثانية. وذلك بعد خروجهما معا من مسرح الأوبيرا بباريس عام 1344 هـ - 1926م :

أذكرت وقت تبرج الفتيات   في مهرجان عد للفرجات
فرأيتهن مجردات في الهوى   يلعبن لعبتهن مجتمعات
هذي تعاند هذه ولهذه   تهتز هذه أطرب الهزات
هذي تجر ذيولها في زينة   وتريك منها أحسن الهيئات
هذي تناغي هذه وبهذه   وصف بديع في عجيب صفات
ما كنت أحسب في بني الإنسان من   إنسية تاتي بتي اللعبات
فكأنني بك قد فقدت شعورك الـــــعالي بكشف شعورهن العاتي
أو ما تراه مقبلا أقدامهـــــن وهن فيه يزدن في الحركات
أتريد تكتم ما رأيت ومن رأى   ما قد رأيت صبا إلى الفتيات
ما كنت تضمر عندما شاهدت من   هيئاتهن ومن جمال الذات
فكأنني بك قد فقدت تصبرا   وبذلت ما لك منك في الشهوات
وهناك تغدو دائما متهتكا   وهناك تدعى صاحب الخودات
أحليف ودي هل سلمت من الهوى   لما دخلت لهذه الحضرات
ما أنت نفسك كالسعيدي إذ غدا   محفوظ نفس وهو في اللذات
أتظن أنك مثله ولنفسه   هو مالك وأراك في حسرات
تبا لنفسك إن حضرت ولم تكن   تملك زمام النفس في الخلوات
كن كالسعيدي إن غدوت لفرجة   إن السعيدي طيب الحالات
هو أحمد والعود أحمد عنده   لا عند نفسك في اتباع جناة
إن السعيدي رافقته سعادة   فإذا سعدت فمل إلى الحسنات
لا تتبع شهوات نفسك إنها   ترمي لتهلكة مدى الأوقات
فالنفس إن ساعدتها لم تنتفع   يوما بها في الحال بل والآتي

ومنه قوله مخاطبا لممثلة فرنسية لعبت دور البطولة في مسرحية بعنوان : حيلة الرجل أكبر من حيلة المرأة. وقصة هذه المسرحية من تأليف العلامة الأديب عبد

القادر ابن غبريط. وقد تم عرضها بإحدى مسارح باريس إبان افتتاح المعهد الإسلامي بها عام 1344هـ - 1926م . وقد راقت هذه المسرحية مترجمنا العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج فقال مخاطبا للممثلة المذكورة :

أمليكة ملكت فؤاد العاشـــق   وسبته باللطف البديع الرائـــق
لك منظر سلب العقول بحسنـــه   والحسن يلعب دائما بالعاشـــق
أقتلت سيف الدين ثم قتلت مـــن   حضروا لديك ورمت قلب حقائقي
جردت من غمد الجفون مهنـــدا   تفري به قلب الشجي الوامـــق
وغدوت ترفل في الدلال خصيفة   الأطراف لاهية بقدر راشـــق
ياربة التيه التي زادت بـــه   حرق المعنى راقبي في خالقـــي
ألعبت ويحك بابن غبريط الذي   قد راد فيك بديع حسن فائـــق
لو لم تكوني أنت طوع بنانـــه   ما كنت في باريز فتنة عاشـــق
فالفضل في تهذيب خلقك لم يكن   إلا له في سابق أو لاحـــق
لتعانقيه فإنه هو وحـــــده   أبدى جمالك في عفاف رائـــق

مجال الوعظ

منه قوله:

قالوا مصاهرة الرجال قرابـة   فاختر مصاهرة القريب الأقـرب
فأجبتهم بعد التجارب أننـــي   أختار قربا لا أراه يضر بـــي

ومنه قوله:

انظر لوجهك في المرآة تلف بـــه   ما لست تعهده في حالة الصغـــر
طورا تراه اكتسى بعد الصفا شعرا   وبعده حلة البياض في الكبـــر

ومنه قوله :

بليت بدا الزمان بفخر قـــوم   بآباء لهم كانوا عظامـــا
فقلت لهم دعوا فخرا بقـــوم   مضوا وجميعهم صاروا عظـــاما

ومنه قوله:

ما الخير للمـــرء إلا   في الاشتغال بنفسـه
لاشيء للمـــرء إلا   من نفسه عند رأسـه
فلا يخالط سواهـــا   إن رام إذهاب نحسـه
فهي القريبة منـــه   في جنسه قبل رمسـه
وليس يفلح يومـــا   مخالط غير جنسـه

ومنه قوله :

إن الحسود وإن أرضاك ظاهره   فإن باطنه يرميك بالشـــرر
قد سعرت ناره عليك من حســد   ولو تمكن منك صرت في خطر

ومنه قوله :

عجبت لمن قد أبصر الموت مقبلا   عليه ولم يعمل لما بعد موتـه
تغالطه في الموت قوة صحـة   لديه وقد مرت حلاوة قوتـه

ومنه قوله :

قال لي خلي عظنـي   واختصر في الوعظ غاية
قلت فاسمع يا حبيبـي   إن في الموت لآيـة

مجال الحث على التعلم والتعليم

له في هذا المجال قصائد كثيرة جدا. منها قوله :

علموهم فالعلم مصباح نـور   قد أنار دجى جميع الأمـور
كل أمر يرام من دون علـم   فهو أمر يدعو لكل ثبـور
علموهم فالعلم أشرف شـيء   حصلته الصدور بين الصدور
هم بنوكم فعلموهـم وإلا   فهم لكم مجالي الفجـور
لن تروا منهم مع الجهل خيـرا   غير سوء في غيبة وحضـور
كيف يرجى خير مع الجهل يوما   ومن الجهل كان كل الشـرور
علموهم إن رمتم الخير منهـم   ومن الخير نيلكم للأجـور
علموهم فإننا قد رأينا الـ   ـجهل في الناس قاصما للظهور
علموهم يقابلوكم بما تـ   ـرضونه منهم بكل بـرور
علموهم علما صحيحا فكم علـ   ـم به ضر حامليه ضـروري
علموهم حتى يروا أن بحر الـ   ـعلم بحر أمد كل البحـور
لا يروا أنهم أحاطوا بعلـم   وهم من جهالة في غـرور
لا تلومهم إذا عاملوكـم   مع جهل بجفوة ونفـور
لا تلومهم إذا قابلوكـم   مع جهل بكل وجه جسـور
وإذا ما علمتموهم ففي العلـ   ـيا بهم تسكنون أعلى القصـور
إنما الفضل والتقدم بالعلـ   ـم وفي الجهل كم يرى من قصور
إنما العز والرقي مع العلـ   ـم وما في جهالة من ظهـور
أو ما تنظرون ما العلم أمضـ   ـاه على الجهل من قديم العصور
حلف العلم أن يكون له الجهـ   ـل خديما على ممر الدهـور
فغدا الجهل عاثرا في ذيول الـ   ـذل يرتاح في بساط الغـرور
وغدا العلم آمرا وله الجهـ   ـل مطيع بالقهر غير غيـور
لا يبالي بما ابتلاه به الدهـ   ـر وهل للجهل الغبي من شعـور
وإذا الجهل ساد يوما فما سـ   ـاد بحق ولو غدا في الصـدور
ما لجهل تقدم للمعالـي   ولو احتل فوق أوج البـدور
إنما العلم سيد كيف ما كـ   ـان وما الجهل غير عبد فخـور

وله في نفس الإطار تشطير فريد لقصيدة وزير المعارف الإسلامية إذ ذاك العلامة محمد الحجوي[1]. وعددت أبيات هذا التشطير 69 بيتا . قال في مطلعه:

قم يا فتى واحفظ نصيحة من نصح   فالنصح إن يحفظ به الصدر انشرح
فاخرج عن الجهل المضيق رحبه   ولج المدارس فالمجال لك انفسح

وله في نفس هذا الإطار أيضا تشطير لقصيدة العلامة الأليوري. وعدد أبيات هذا التشطير 224 بيتا. قال في مطلعه:

تفت فؤادك الأيام فتا   أطلت حبال صبرك أوقصرت
فإن العصر تنجبه الليالي   وتنحت جسمك الساعات نحتا

وله فيه كذلك قصيدة في الحث على تعليم الفتاة وتكوينها. قالها عند ازدياد ابنته مريم[2] بتاريخ 22 ربيع الثاني عام 1346 هـ - ونصها :

تركوا الفتاة بحيز الإهمال   وتوهموا منها صلاح الحال
أو يبتغون نجاحها بجهالة   والخير لا يأتي من الجهال
هل للفتاة سوى الذي تعتاده   في قومها في الحل والترحال
ظلموا الفتاة وللفتاة فتوة   قد هيجت بلبالها بالبال
إن كان خيرا فهو خير دائم   أو كان شرا فهو في استعجال
ما بال قومي أهملوها بينهم   فغدت كأعمى ظل في الأعمال
قد فرطوا وسواهم قد أفرطوا   فيما يحق لها بلا إخلال
لا لا أحب بأن تخوض مع الرجال ولا رجى لي عندها في مال
فعلام قد حرموا الفتاة تفننا   فيه الحجا بحجابها ذو بال
ظلموا الفتاة بتركها في جهلها   فاصابها ضرب من العقال
لم تدر أين مقرها ومفرها   مما ألم بها من الأهوال
لم تدر ترتيب الشؤون ببيتها   وشؤونها مع زوجها المفضال
لم تدر معنى الدين كيما تهتدي   بسنائه في ظلمة الأوحال

---

[1] - محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي أصلا الفاسي دارا ومنشأ ، ولد بفاس عام 1291هـ فحفظ القرآن الكريم على الشيخين الجليلين سيدي محمد بن عمر بن سودة، وسيدي محمد بن الفقيه الورياجلي، ثم اشتغل بطلب العلم بالقرويين منذ عام 1307 هـ ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلامة سيدي محمد بن التهامي الوزاني، والعلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، والعلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، والعلامة سيدي عبد السلام الهواري، والعلامة سيدي أحمد بن الجيلالي الفيلالي الأمغاري، والعلامة سيدي أحمد بن الخياط، والعلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي وغيرهم.

وبعد تخرجه زوال التدريس بجامعة القرويين، ثم بعد ذلك أسندت إليه سفارة المغرب بالجزائر على مدى سنتين ابتداء من عام 1321هـ ، ثم عين وزيرا للعدل ، وبعدها وزيرا للمعارف الإسلامية في عهد الحماية الفرنسية بالمغرب، وكانت وفاته بالرباط سنة 1376هـ - 1956م، ونقل لفاس حيث دفن ببعض مساجدها ، وله رحمه الله تآليف كثيرة منها : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، والبرهان في الفرق بين الألوهية والنبوة، والمحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية، والصورة الجمالية في تاريخ إفريقيا الشمالية، وإتحاف الزائر بمشاهدة أرض الجزائر، والرحلة الأوروبية فيما شاهدته بأراضي فرنسا وإنجلترا من التقدمات العصرية ، ومستقبل تجارة المغرب ، والتعاضد المتين بين العقل والعلم والدين ، وغير ذلك من التآليف الأخرى. انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 146 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 96. وفي العز والصولة لعبد الرحمان بن زيدان ج 2 ص 53. وفي مقدمة كتابه الفكر السامي ج 1 ص 9- 23.

[2] - سبق التعريف بها في ص

لم تدر ما الدنيا لتحفظ ما لها   أو مالها في حالة الإقلال
لم تدر غير تزين وتنافس   مع جارة في الجر للأذيال
يا ويل زوج قد غدا يأوي لها   ما عاش في الإدبار والإقبال
لم تدر تربية البنين وأنهم   من هديها نسجوا على منوال
هي أمهم أموا بها طرق نسله   وبنوه هم آباء الاستقبال
والعلم يحي قلب صاحبه ولو   قعدت جوارحه عن الأفعال
والعلم يحي المرء بعد وفاته   ويزيد في الأعمار والأعمال
والعلم يرفع أهله لمراتب   تعلو بهم في ذروة الإجلال
والعقل رأس المال عند ذوي النهى   وبدون علم ضاع رأس المال
يا قوم قوموا قومة لطلابه   ولتنهضوا من رقدة الجهال
ولتبذلوا فيه النفيس وأنفس   الأنفاس إن العلم در غال
ولتعتنوا ببنيكم وبناتكم   فبالإعتناء بهم صلاح الحال
لا تحسبوا أن البنين بجهلهم   ينجون طول الدهر من أوحال
فالجهل مرتع سلبهم راحاتهم   والجهل يهدم كل مجد عال
فبعيشكم رقوا لحال بنيكم   وارقوا بهم من حيز الإهمال

إلى غير ذلك من المجالات الكثيرة الأخرى التي لا يمكننا حصرها في مجلدات فصلا عن مجلد واحد.

اهتمامه بالسيرة النبوية

الحديث عن اهتمام العلامة سكيرج بمجال السيرة النبوية هو حديث طويل وعريض. لا يتسع له مقال أو مقالات. اعتبارا لكونه من المجالات التي نشط فيها صاحبنا المذكور وتعددت فيها كتاباته وأراجيزه.

ويتضح تفوقه في هذا الميدان جليا بشهادة كافة أقرانه ومعاصريه . من علماء وأدباء وغيرهم. ويمكننا أن نعزو ذلك لأسباب عديدة. تنحصر في القيمة العلمية الكبيرة التي كان يتمتع به مترجمنا الكريم. أضف إلى ذلك اقتداره على الكتابة بالأسلوب الأمثل الذي يجري وراءه فرسان البيان. من بلغاء وخطباء وغيرهم. إلى جانب ضميره الحي المتفتح. الذي حتم عليه العناية بهذا المجال. وإعطاءه ولو جزءا بسيطا مما يستحقه.

وإن ننسى لا ننسى أنه الشخص الذي نظم كتاب الخصائص الكبرى للإمام السيوطي. وهي سابقة فريدة من نوعها . لم يسبق إليها حسب علمي من أي عالم أو أديب آخر. ويقع هذا النظم فيما يناهز عشرين ألف بيت. سماه الذهب الخالص. في محاذاة كبرى الخصائص[1]. وقال في مطلعه :

الحمد لله الذي أطلع في   سما النبوة سنى لا ينطفي
أطلع من أحكام دوحة الرسول   ثمار خيرات تفي بكل سول
تبارك اسمه وتمت كلمته   وعم فضله وجمت حكمه
قلمه جرى بما قد كانا   أو ما يكون طبق ما استبانا

---

[1] انظر كاتبنا رسائل العلامة لقاضي الحاج أحمد سكيرج 1: 92.

فأوجد الأنام من طي العدم   وجعل الضياءمذهب الظلم
وخلق القلم واللوح وما   قدره وفق الذي قد علما

ومن ذلك أيضا اهتمامه بكتاب ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج. للعارف بربه الولي الصالح سيدي محمد المعطي بن صالح العمري الشرقاوي[1]. وهو كتاب ضخم. يحتوي على ما يفوق السبعين مجلدا من الحجم الكبير.
واعتبار لمكانة هذا الكتاب وحرمته. مع موضوعه الجليل المذكور. فقد كان العلامة سكيرج يوليه عناية خاصة . حيث لم تكن تروقه القراءة إلا فيه. ولا يعجبه التأمل إلا بين طيات صفحاته. وقد قرضه بقوله :

إن شئت أن تحظى بحسن علاج   وترى قضايا العز في إنتاج
وإن أردت أن ترقي لأشرف منصب   وتحله نزلا حلول مناجي
وتقوم عن كل الأنام بواجب   وترى وحقك سالك المنهاج
قم باتباع الرسل وانهج سبله   واتبع أوامره تتبع راج
واجعل شعارك مدح أكرم مرسل   قد خص بالرؤيا وبالمعراج
وإذا عجزت ولم تجل في مدحه   قدحا تنال به حصول حجاج
وبقيت محتاجا لنيل مؤمل   فالزم هديت ذخيرة المحتاج
إن عاينت عيناك ما ظفرت به   نلت المؤمل من قضاء الحاج
وهدتك للصوب الحميد ونورت   غور البلاد بليلة محراج
قد وشحت بفرائد وفوائد   من أي أحمد ذي اللوا والتاج
ولقد حوت من كل مجد ما حوت   وغدت تصول بحسنها الوهاج
وفنون علم بالمواهب توجت   ما حاكاها في منتقاه الباج
ومحسنات بالمعاني طرزت   وقد أفرغت في قالب منهاج
تأليف قطب العارفين إمامنا   المعطي السري الأروع الدباج
بحر المعارف والفضائل والتقى   نجم الهداة وغنية الملتاج
بحر بإمداد العناية زاخر   لكنه قد صار غير أجاج
لا تعجبوا بجواهر من بحرها   خرجت وما أسناه من إخراج
غيث العباد وغوثهم أبدا إذا   خطب ألم بسابغ الإزعاج
فبه رست أرض المغارب إذ بدت   فيها الزلازل تصطلي بعجاج
من فاق إدراك الرشيد وبذل   يحيى وابنه ودراية الزجاج
ما إن يشق غباره ذو منطق   ولو ارتدى بفصاحة العجاج
ورث الولاية والدا عن والد   وغدا لأهل الأرض خير سراج
من غر أسلاف وأكرم معشر   من حل أرضهم سما بالناج
فإذا خفا نجم بدا خلف له   يهدي الضليل لدى الظلام الداج
لم لا يكون القطب منه وجدهم   نصر النبي فخاض كل فجاج
أكرم به من بضعة عمرية   شرفت بتأييد ولين حجاج

---

[1] العارف بربه سيدي محمد المعطي بن صالح بن محمد المعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن الشيخ الشهير سيدي محمد الشرقي. من مشاهير شيوخ القرن الثاني عشر الهجري. أفرده بالتآليف غير واحد من العلماء. توفي يوم الخميس 11 محرم الحرام عام 1180هـ. ودفن بداره بمدينة أبي الجعد . انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب. لحجي 6 : 2234و 7 : 2387. وفي الأعلام لزركلي 7 : 2387.

أكرم به من عالم علم بدا   وسما بهمته على الحلاج
وقد اختصرت حلا له وطويتها   وجعلتها في غاية الإدماج
يا كعبة الأفضال والمجد التي   لا تنقضي أبدا من الحجاج
هذا المحب سكيرج وافاكم   بفريدة في النظم والديباج
يممت باب حماكم ورواحلي   تشكوا السرى من شدة الإدلاج
وأتيت مكسور الجناح وفكرتي   مصباحها يحتاج للإسراج
وارى الزمان الصعب شيب مفرقي   وسطا علي كسطوة الحجاج
فامنن علي بدعوة أسمو بها   وتحلني في مرتقى إدراج
فأصبح من فرط السرور معردا   ونلت المنى إذ فزت بالأفلاج
ولرفقتي ولكل من ولاهم   ولجيرتي ولبلدتي ونتاج
ولأهلها ولقهرمن ناواهم   ولمن بها من عالم محجاج
فقلد أتوك وكلهم مستمطر   يسعون بالأفراد والأزواج
لازلت شمسا في سماء سعادة   تعلو وتسمو أشرف البراج
بنبينا سر الوجود محمد   والآل والأصحاب والأزواج
والتابعين لهديه وسبيله   ما فاح نشر عاطر الآراج

اهتمامه بكتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض

يمكنني أن أقول أن اهتمام العلامة سكيرج بهذا الكتاب لم يكن وليد الصدفة يوما. بل كان اهتماما طبيعيا. نشأ معه مند السنين الأولى من عمره. إبان تعرفه على الزاوية التجانية الكبرى بفاس. حيث كان يحضر مجالس علماء هذه الزاوية. وهم من هم من أهل الفضل والمعرفة العالية.

وكانت لهذا الكتاب منزلة مرموقة لدى هؤلاء العلماء. يهتمون بنصوصه وقواعده. ويعتنون بمقرراته وشواهده. كما يواظبون على قراءته وسرده. مع ما يتطلبه ذلك من شرح لألفاظه. وتحليل لمعانيه. وتحقيق لعباراته. وتدقيق لمراميه.

وغالبا ما كان العلامة سكيرج يحضر هذه المجالس بانتظام. وقد جادت قريحته مرارا بقصائد عديدة. تصف لنا الأجواء التي كانت تحيط بعلماء هذه الزاوية ومريديها. حين اجتماعهم على ختم هذا الكتاب الجليل. فقد كانوا يحتفلون بذلك احتفالا خاصا. توزع فيه الحلويات المختلفة الأشكال. وتدار فيه كؤوس الأتاي. مع الطيب والبخور وماء الزهر. وما إلى ذلك من مشاعر البهجة والفرح الكبير.

ولابأس أن نذكر في هذا المحل قصيدة لعلامتنا المذكور. قالها لدى حفل ختم هذا الكتاب المبارك. وذلك بالزاوية المذكورة. وكان السارد إذ ذاك هو العلامة الشهير سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس[1] :

أتت تختال في حلل البهاء   وأعرت وجهها عند اللقاء
فصرنا في محاسنها أسارى   نكاد بها نذوب من الفناء
واهدت من سلافتها كؤوسا   بها عنا نفت كل العناء

---

[1] - سبق التعريف به في ص

وقالت فاشربوا كأسي هنيئـــا   مريئا إنه عين الشفـــــاء
شفاء لا يغادر من سقـــام   لطلاب الدواء لكـــل داء
يدار عليكم في روض أنـــس   وساقية لكم بدر السمـــاء
فأما الروض فهو مقام شيخـي   إمام العارفين الأصفيـــاء
ملاذ الخلق سيدنا التجانـــي   ومن فيها أروم له التجـــاءي
فروضته بها الأنوار حقـــا   أضاءت للورى نهج اهتـــداء
فمن وافى لها أضحى سعيـدا   محوطا بالضمان من الشقـــاء
وأما الكأس فهو شفاء قـــاض   قضى بالحق بين ذوي القضـاء
شفا القاضي عياض من تجلى   على رتب العلا في الأوليـــاء
كتاب جامع درر المعانـــي   بتنظيم تناسق في سنـــاء
يجل بأن نوافي في البرايـــا   بما منا استحق من الثنـــاء
وحاصل ما نقول فإن فيـــه   علوما أعجزت أهل المـــراء
وإن من أدار الكأس منهـــا   علينا فهو بدر ذوي العـــلاء
كبير القدر في فضل وعلـــم   ومن أضحى إماما لاقتـــداء
محل الفضل في الدنيا ونجل الـــــرضى عبد الكريم مزيل داءي
علينا ربنا يرقي عـــلاه   ويجزيه لنا خير الجـــزاء
ونسأل ربنا عفوا عظيمـــا   ويمنحنا جميعا بالعطـــاء
ونسأل ربنا غفران ذنـــب   ويحفظنا من أنواع العـــذاء
بجاه المصطفى خير البرايا   عليه تحية دون انتهـــاء
ويشمل آله كلا وصحبـــا   وكل التابعين على الـــولاء

وخلاصة القول فقد كانت بداية نظمه لهذا الكتاب بمدينة الجديدة. بتاريخ 15 صفر الخير عام 1344هـ. وقد استغرق نظمه له مدة ست سنوات تقريبا . حيث كان فراغه منه بمدينة سطات. بتاريخ 21 ربيع الأول عام 1350هـ.

والحق أنه عمل جبار. بذل فيه ناظمه جهدا مشكورا. تحمل فيه وعورة الطريق. وصبر على مشاقها. وذلك بما منحه الله تعالى من إيمان راسخ. وعقيدة صادقة. وهمة فياضة. وأنا أطالع هذا النظم المبارك. فقد لمست فيه ما لا يترك مجالا للشك على أنه سعي نافع. وعمل جاد. ذو أفق واسع. وبناء مفيد. يستمتع القراء الكرام بثمرات غرس لا محالة. اعتبارا لأسباب عديدة منها :

1) سهولة حفظه واستظهاره
2) دقة تعبيره وحسن اختياره للألفاظ المناسبة
3) وضوح مقاصده وأبوابه
4) جاذبية التشويق بين فصوله وأبياته
5) قيمته العلمية ذات الجودة العالية
6) الارتباط المحكم بين مواضيعه وقضاياه
7) ما يعلوه من مسحة أدبية رفيعة.

وهو إلى جانب ما ذكرناه عمل صالح مقبول. جمع بين الجودة والإتقان من جهة. وبين البركة والخير والنماء والفتح من جهة ثانية. فمن هذا القبيل ما ذكر العلامة

الناظم نفسه لدى تمامه لهذه المنظومة. في آخر صفحة من الجزء السادس منها. حيث قال:

بحمد إلاهي تم نظمي للشفـــا   وأرجو به من سيد الرسل جائزه
وماهي عندي غير نظرة وجهه   فنفسي إن تنظره لاشك فائـــزه

ثم كتب تحتها بخطه الجميل : قال ناظمها عفا الله عنه : قد أجازنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجائزة التي رجوناها منه. فرأيت وجهه الشريف. في مشهد منيف. وهو يبتسم في وجهي عليه السلام. والحمد لله رب العالمين ! إهـ ..

وله رحمه الله في التنويه بهذا النظم والتماس بركته أبيات ومقطعات عديدة . غالبا ما تجدها على هامش نسخته الخطية للمنظومة المذكورة. من ذلك قوله :

بالشفا أشتفي من الألم المـــــــردي وأضحى السليم من كل داء
بالذي اشتملت عليه من الأســــرار أدعو المولى يجيب دعائـــي
فلقد طال بي الذي قد عراني   وأنا لم أجد منيل شفائـــــــي
ثم وفقت أن دعوت إلى اللـــــه بسر الشفا فنلت رجائـــــي
يا لها من كرامة قد شهدنـــــاها أزاحت عنا جميع البـــلاء

ومن ذلك أيضا قوله:

إن نظمي للشفا فيه الشفـــا   حاز والله الشفا من قـــرأه
فلتطالعه وأتقن منك فـــي   سرده ولتجتهد أن تقـــرأه

ومن ذلك كذلك قوله :

قرأت الشفا لما وقفت على شفـا   فشاهدت سر اللطف من بركاتهـا
وكم للشفا بين الورى من كرامة   وأصغرها كون الشفا من صفاتها

ومن ذلك قوله :

إن الشفا جربت لكل معضلـــة   حار الأطباء فيها كلما قرئـــت
فهي الشفاء الحقيقي عند طالبها   وهي الجلاء لنفس الذات إن صدأت

ومن ذلك أيضا قوله :

أرجو شفاء مرضـــي   بجاه مقدار الشفـــا
فإنني في سقـــم   أوقفني على شفـــا

شكل النسخة الأصلية من الكتاب وحجمها

تتكون النسخة الأصلية لهذا الكتاب من خمسة أجزاء. موزعة على 13 بابا. أما مجموع فصولها فهو 163 فصلا. ويتكون الجميع من 7747 بيتا. ضمن مجلد من 370صفحة. وتفصيل هذا حسب الأجزاء كما يلي :

يتكون الجزء الأول من أربعة أبواب . تشتمل على 79 فصلا. أما عدد أبياته فهو 1700 بيت. يقع في 83 صفحة.

يتكون الجزء الثاني من أربعة أبواب. تشتمل على 28 فصلا . أما عدد أبياته فهو 1580 بيتا. يقع في 76 صفحة.

يتكون الجزء الثالث من بابين . يشتملان على 23 فصلا . أما عدد أبياته فهو 1500 بيت. يقع في 68 صفحة.

يتكون الجزء الرابع من بابين. يشتملان على 20 فصلا. أما عدد أبياته فهو 1519 بيتا. يقع في 73صفحة.

يتكون الجزء الخامس من باب واحد. يشتمل على 13 فصلا. أما عدد أبياته فهو 1448 بيتا. يقع في 70 صفحة.

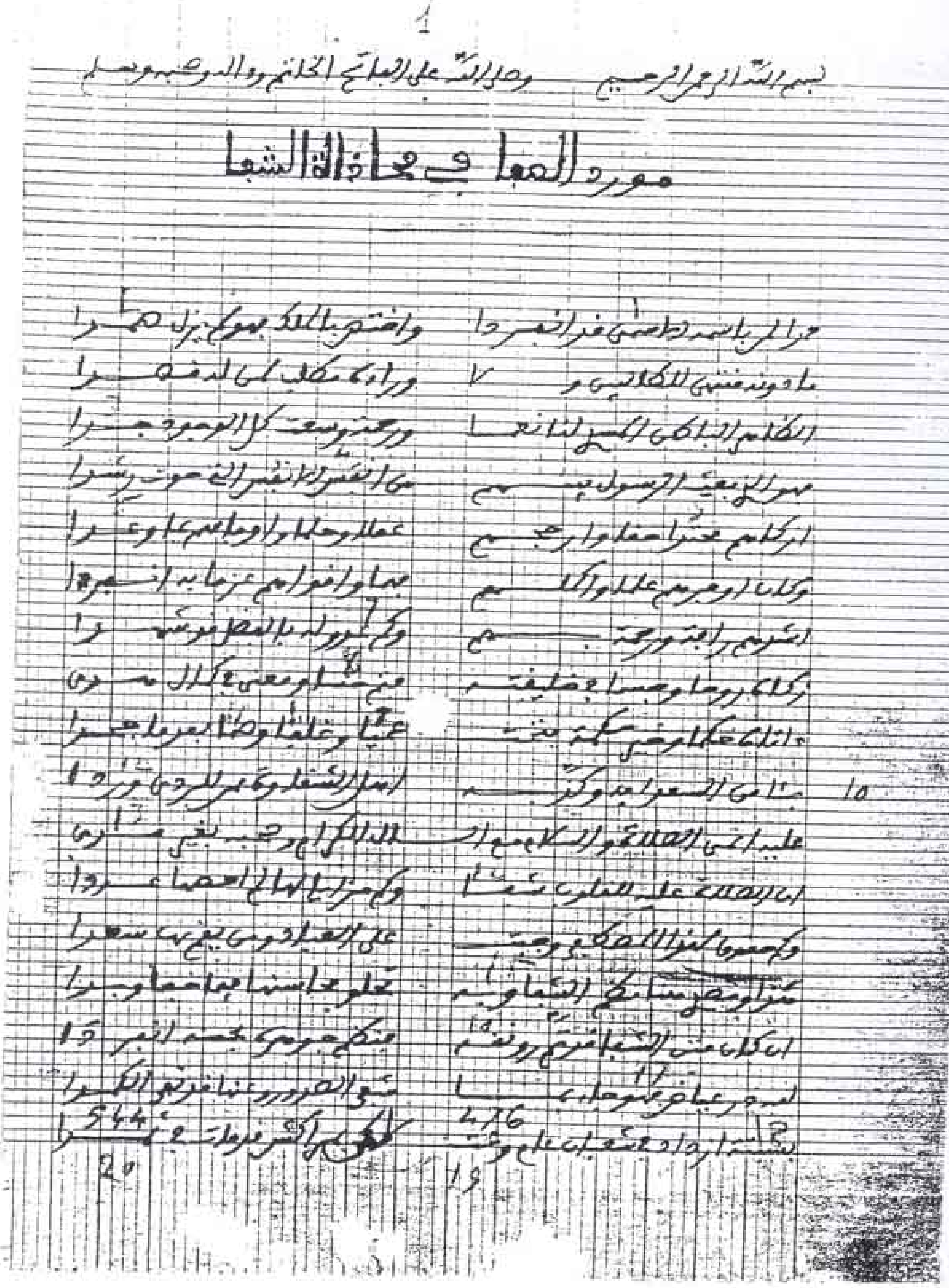

1

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على الفاتح الخاتم وآله وصحبه وسلم

مورد الصفا في محاذاة الشفا

الصفحة الأولى من الجزء الأول

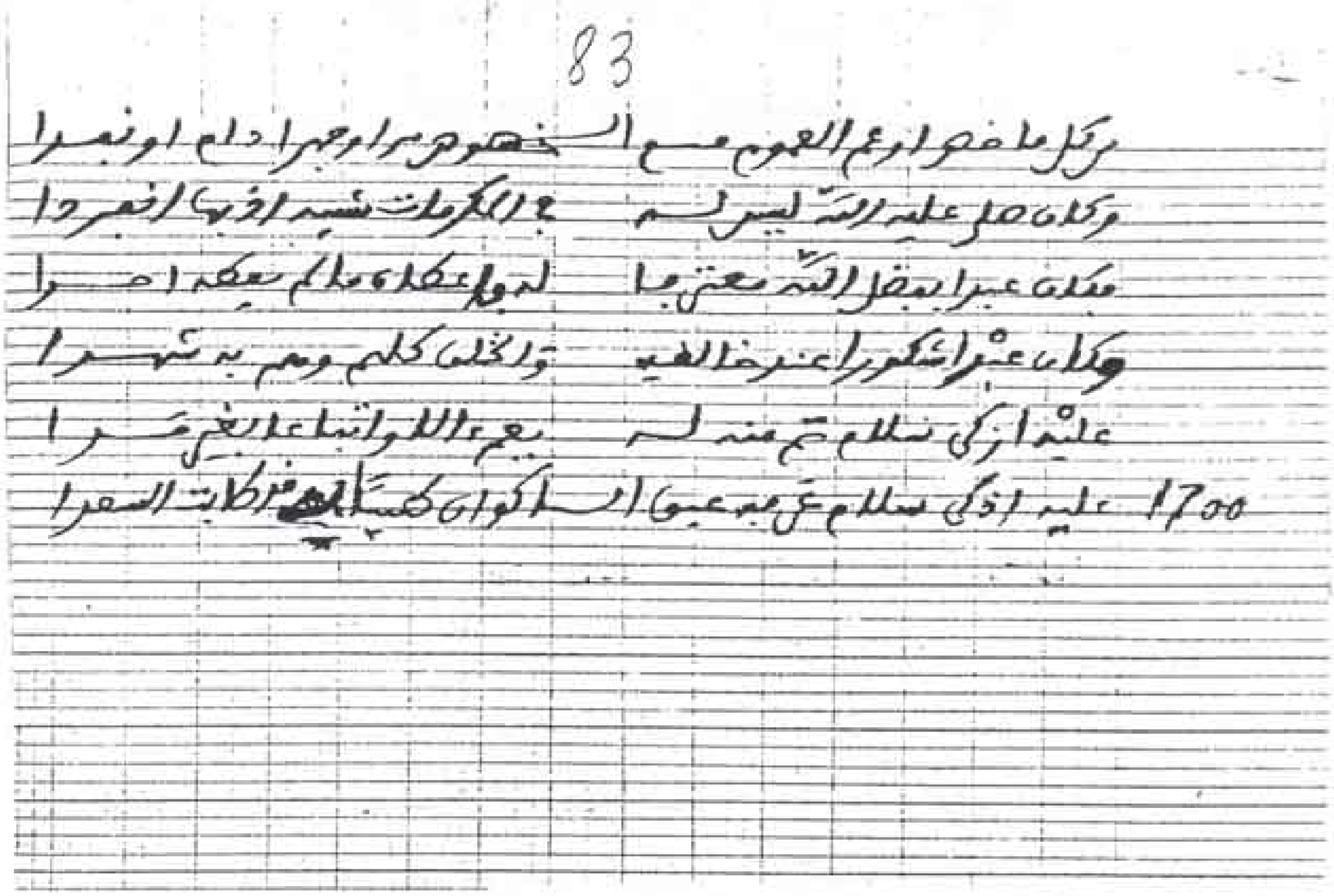

وكل ما خص او عم العموم مع الـ   خصوص سرا وجهرا دائم او نفسرا
وكان صلى عليه الله ليس له   في الكرمات شبيه اذ به انفردا
فكان عبدا بفضل الله معتزما   لديه عتكله ما لم يعكه اصرا
وكان عبدا شكورا عند خالقه   والخلق كلهم وهم به شهرا
عليه ازكى سلام ثم منه له   يعم الال والاتباع الغر منتشرا
1700 عليه ازكى سلام ثم منه عبق الاكوان كمسكه من كتابت الشعرا

الصفحة الأخيرة من الجزء الأول

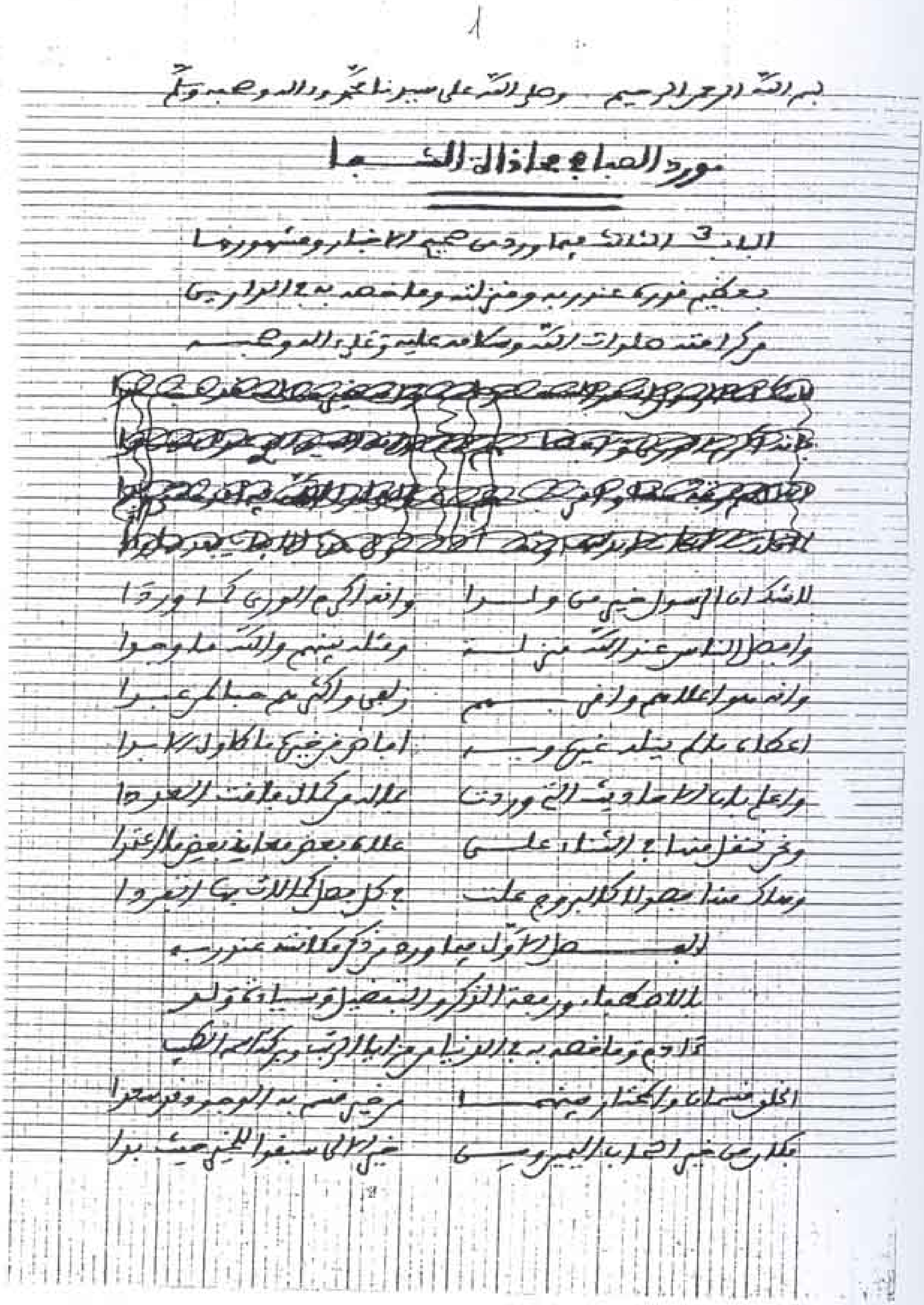

1

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مورد الصفا في محاذاة الشفا

الباب 3 الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها

بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين

من كرامته صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه

~~[illegible]~~

لاشك ان الرسول خير من ولدا وانه اكرم الورى كما وردا
وافضل الناس عند الله من نسم ومثله بينهم والله ما وجدوا
وانه سيد الاعلام والامم واتقى واكثرهم صالحا عبدا
اعطاه ما لم ينله غيره ومنه اما من خيرها كالوسيلة الاسرا
واعلم بأن لها معان التي وردت على السمو لكل ما فقت العددا
ونحن ننقل هنا في الشفاء على علاء بعض معانيه بعض ما اختبرا
وهكذا هنا فصول لكل الابواب على في كل فصل لكل الاثنين انفردا

الفصل الأول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه

والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد

آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب

الكل فضله والمختار منهما من خير نسل به الوحي وقد سطرا
مكلف من خير الخلائق النبي وسما خير الالى سبقوا الخلق حيث بدا

الصفحة الأولى من الجزء الثاني

76

ازال نسيانه الذي اليه تشكى — مصارعا حينه بالحكمة منجرا
دعا الذي لجرير بالشبابة فسلم — يزل يرى بالشبابة في الوغى ابصرا
وكم ذميم لبس الوجه منه لسه — فصار من احسن الوجوه في الشعرا
ومثل هذا كثير من مناقبه — وما الاسرع لحصر تلاو ردا
ثم الصلاة على النبي اختم — منزا النفصال ثم على اتباعه الشعرا
مع السلام الذي تسلو القلوب به — على الجميع سلاما كاملا ولا ابترا 1380

الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني

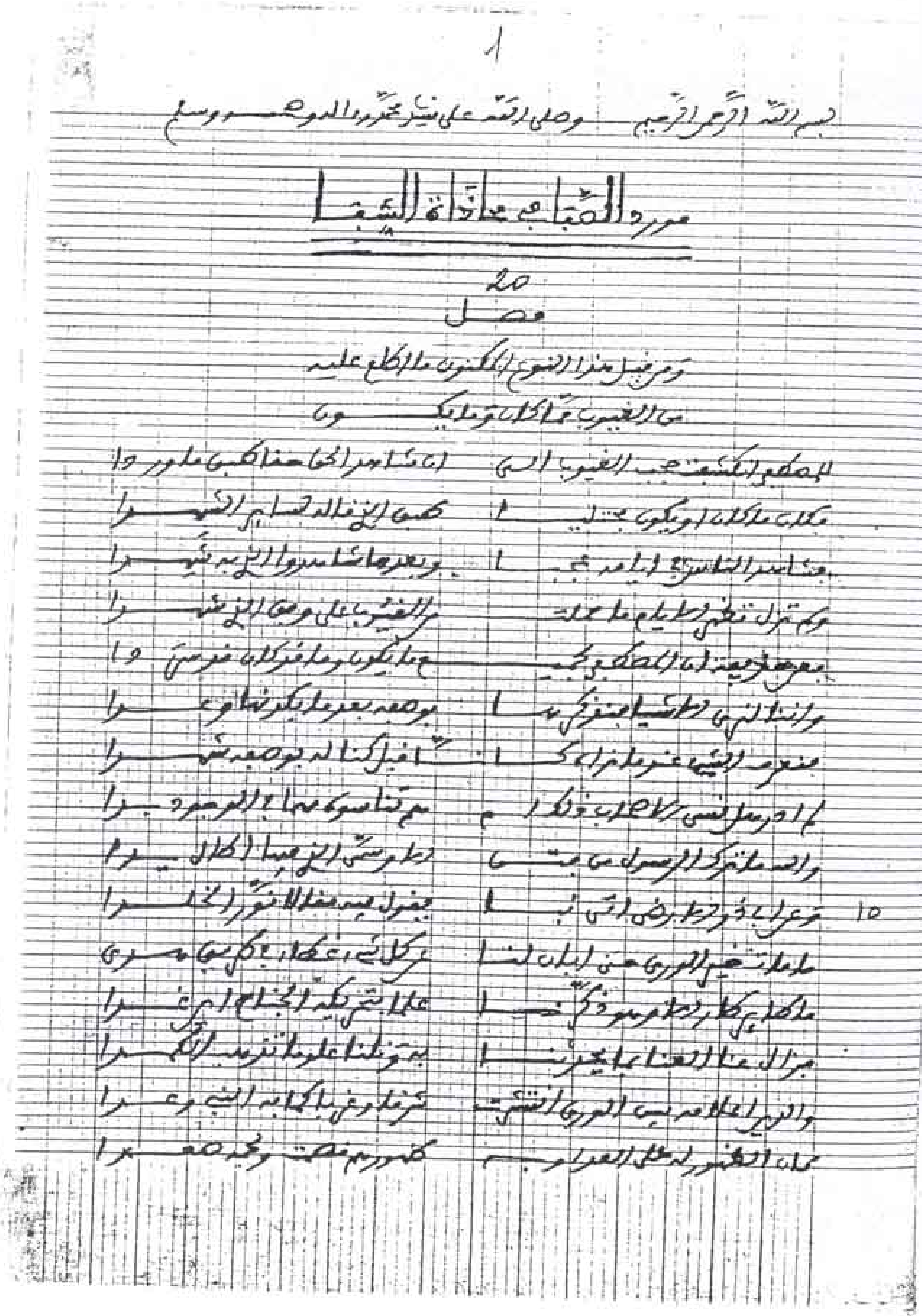

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم

مورد الصفا بعادات الشرفا

20

فصل

ومن قبيل هذا النوع المكنون ما اطلع عليه
من الغيوب مما كان وما يكون

الصفحة الأولى من الجزء الثالث

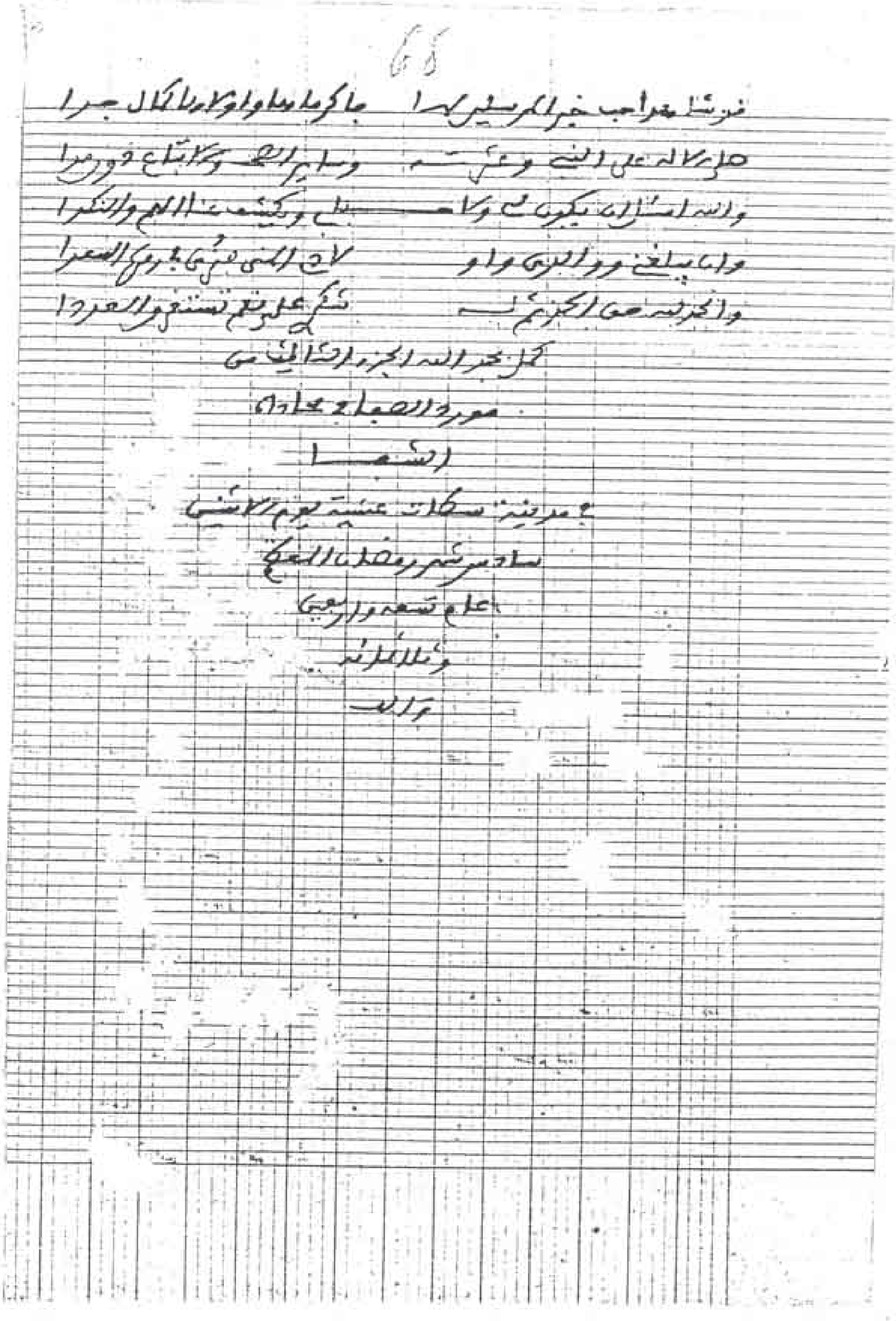

65

فمن شاء معراج خير المرسلين بها   جا كرما بها وأوا لما تكال جرا
صلى الاله على النبي وعترته   وسائر الصحب والاتباع فوز مرا
والله أسأل أن يكون لي وكاسـ   ـطلي ويكشف عنا الهم والنكرا
وأن يبلغني والقاري ومن أو   لاني المنى فيه جزيل الشعرا
والحمد له حمد الكريم لـ   شكر على نعم تستغرق العددا

كمل بحمد الله الجزء الثالث من
مورد الصفا في محاذاة
الشفا
في مدينة سكاكا عشية يوم الاثنين
سادس من شهر رمضان المعظم
عام تسعة وأربعين
وثلاثمائة
وألف

الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث

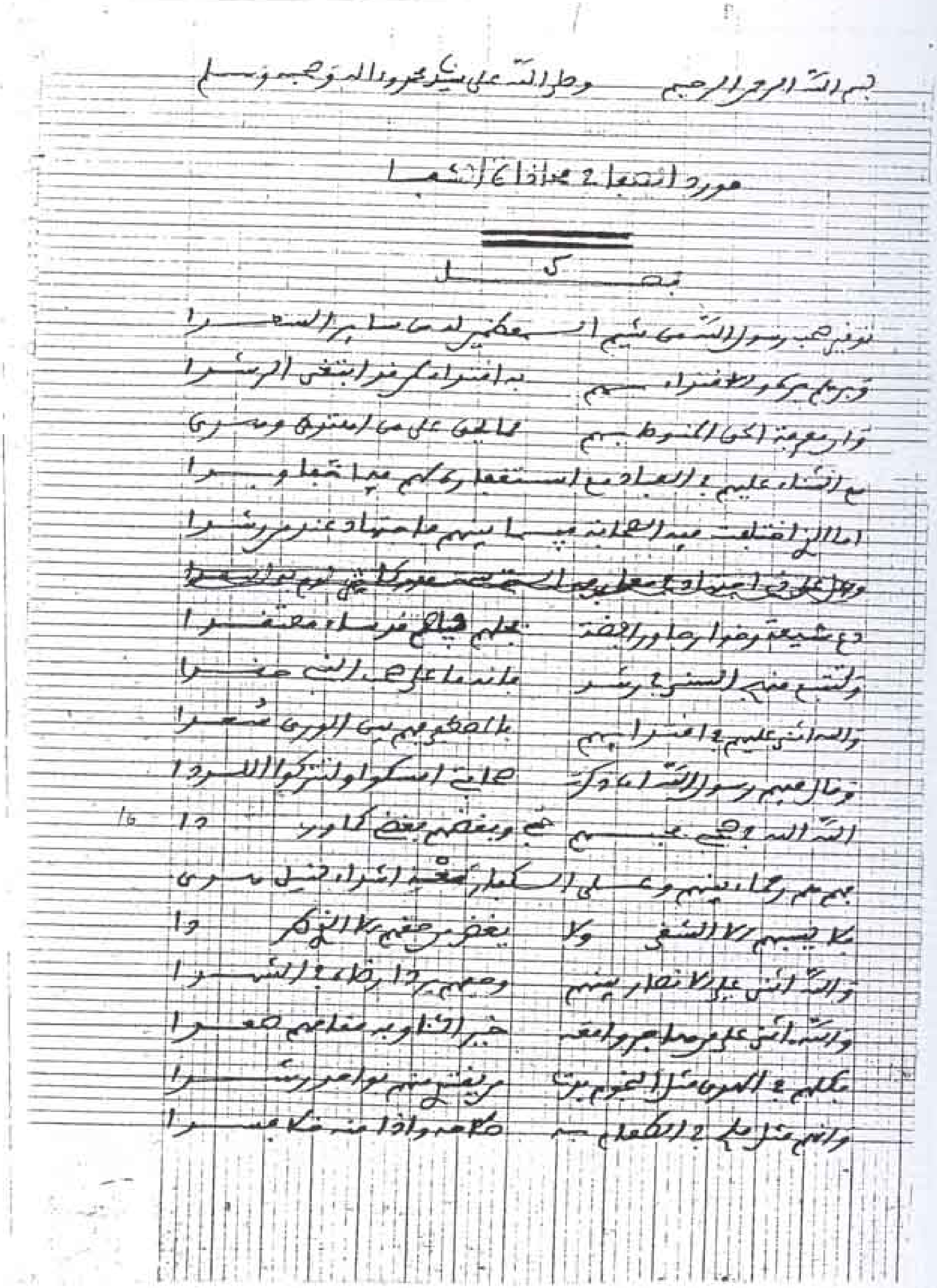

بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مورد الشفا في محاذاة الشفا

فصل

توقير صحب رسول الله من شيم   المستكملين [illegible] الشعرا
وبرهم بركم والاقتداء بهم   به اقتداء لكم فيما ابتغى [illegible]
وان معرفة الحق المنوط بهم   كما يلوح على من اعتنى [illegible]
مع الثناء عليهم في العباد مع استغفار ربكم فيما [illegible]
اما الذي اختلفت فيه الصحابة فيما بينهم فاجتهاد عذر من [illegible]
~~[illegible]~~
في شيعة رضوا [illegible]   عليهم [illegible] مغتفرا
[illegible] السني في [illegible]   ما بينهما على صحب النبي [illegible]
والمثني عليهم في اخبار بهم   بالصدق فيهم نبي الورى شعرا
وقال فيهم رسول الله اذ ذكر   صحابتي امسكوا ولتتركوا الكدرا
الله الله في صحبي [illegible]   [illegible] ومبغضهم مبغض كما وردا   16
بهم هم رحماء بينهم وعلى   الكفار [illegible] اشداء [illegible]
ما يسبهم الا الشقي ولا   يبغض من صحبهم الا [illegible]
والله اثنى على الانصار بينهم   وصحبهم [illegible] في [illegible]
والله اثنى على من صاحبوا معه   خير [illegible] [illegible]
مثلهم في [illegible] مثل النجوم [illegible]   من يقتدي منهم [illegible] [illegible]
وانهم مثل ملح في الطعام بهم   صلاح [illegible] واذا منه [illegible]

الصفحة الأولى من الجزء الرابع

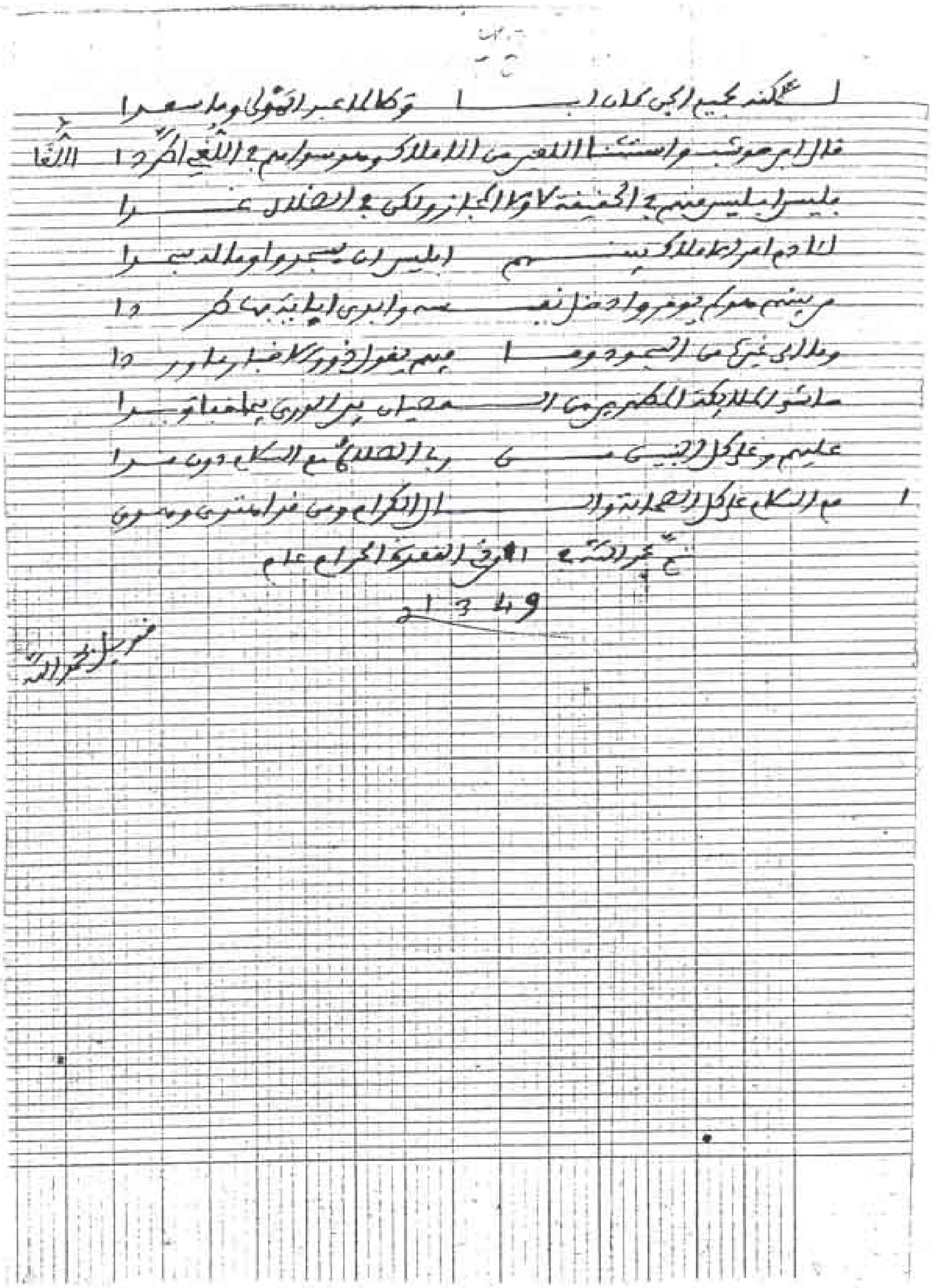

لكنه بجميع الجن كان ابـــا وكان للاعبر الجوفي وما سعرا

قال ابن حبيب واستثنا اللعين من الاملاك وهو سواهم في اللغى الكبر دا الألغا

بليس ابليس منهم في الحقيقة لا ولا الجان ولكن في الضلال غـــبرا

الا ادم امر الاملاك يسجـــدهم ابليس ان يسجدوا وما لديه جبرا

من بينهم حوكم جوفير وادخل نفسـه وابدى ابايته حين كبر دا

وما الى غير ما السجود وما جنهم يقول في خبر كاخبار عا وردا

ما شئ للملائكة المطهرين من الــعصيان بين الورى باجمعها ويسرا

عليهم وعلى كل النبيين مـــن ربنا الصلاة مع السلام دون مرا

مع السلام على كل الصحابة والـــآل الكرام ومن قرا مقترى ومحررى ا

تم بحمد الله في الاربعاء الشهر الحرام عام

1349

الصفحة الأخيرة من الجزء الرابع

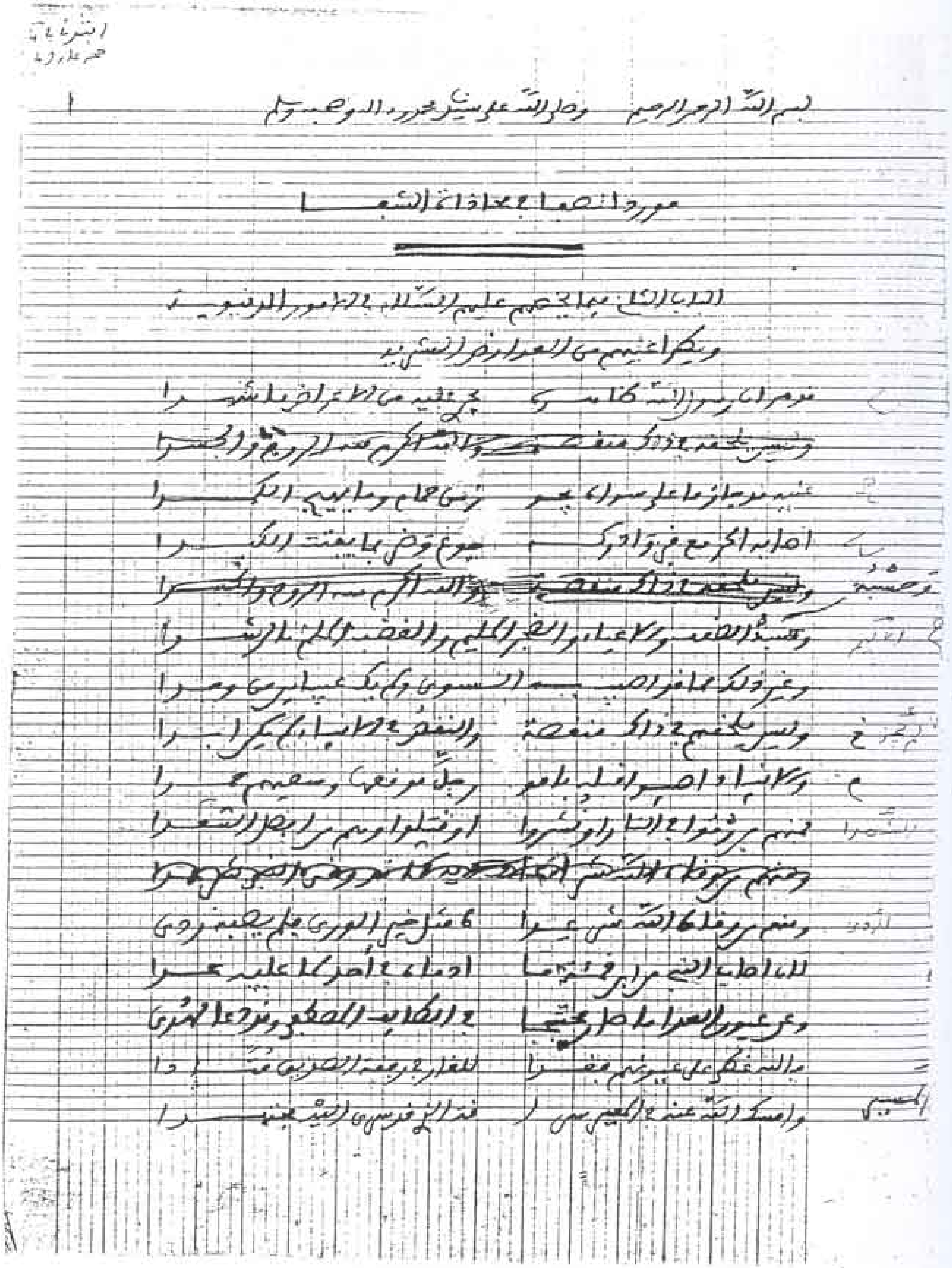

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم   1

مورد الصفا في محاذاة الشفا

الباب الثاني فيما يخصهم عليهم السلام في الأمور الدنيوية
ويطرأ عليهم من العوارض البشرية

فهم أنبياء الله كانوا بشرا   يجري عليهم من الأعراض ما [illegible]
~~وليس يقدح في ذاك منقصة   في الأنبياء الكرام [illegible]~~
عليهم من جائز ما على سواهم يجري   [illegible]
أصابه الجرح في [illegible]   [illegible]
~~وليس يقدح في ذاك منقصة   في الأنبياء الكرام [illegible]~~
[illegible]
وغير ذلك [illegible]
وليس يقدح في ذاك منقصة   والنقص في الأنبياء لم يكن [illegible]
[illegible]
فمنهم من [illegible]   [illegible] الشعرا
~~[illegible]~~
ومنهم من [illegible]   [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الصفحة الأولى من الجزء الخامس

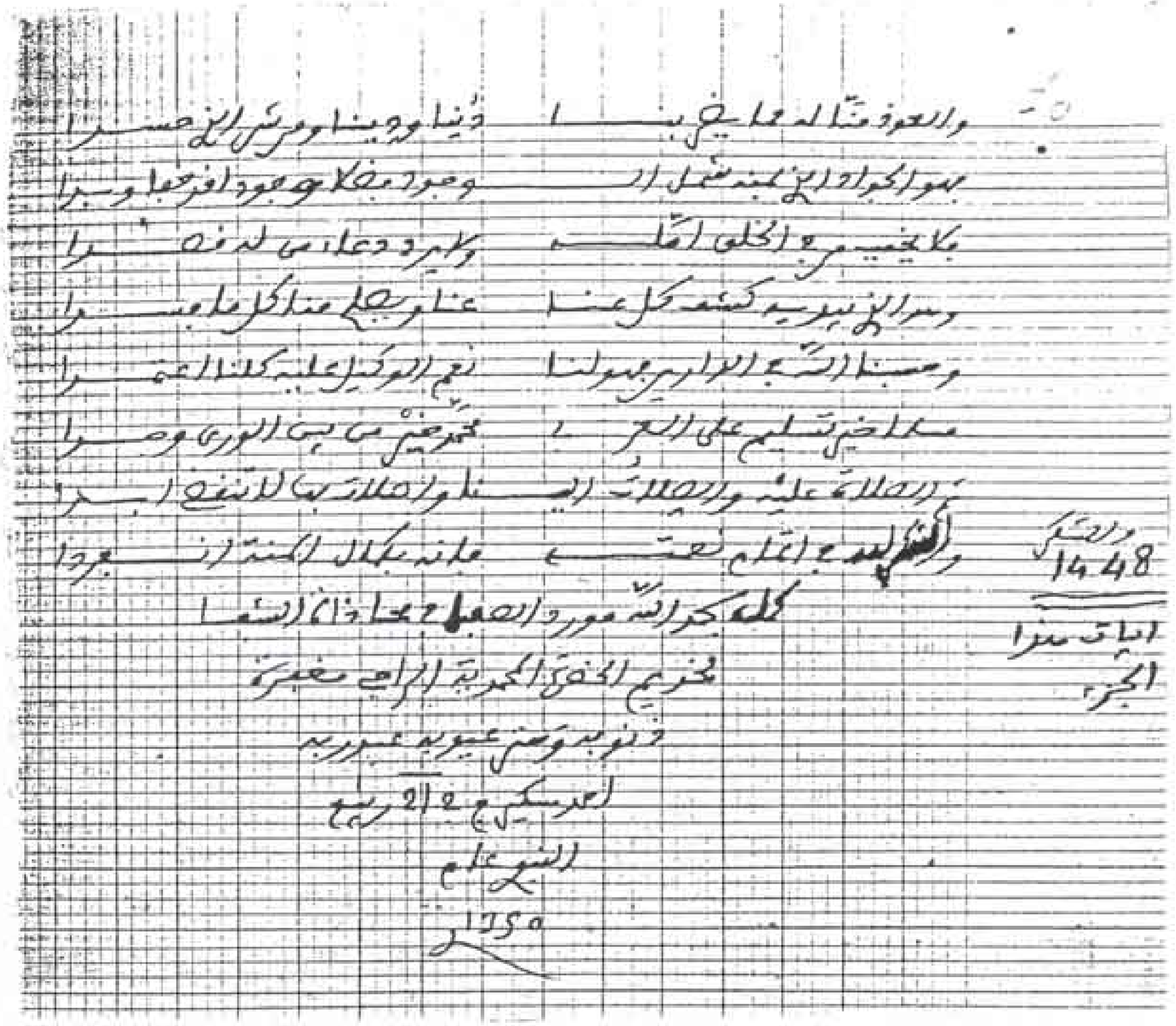

والعفو منه لما يخفى بنا دنيا وديناً ومن ذا الذي حسرا

بجود الجواد الذي عمت شمائله وجوده مثلا وجوده أغزر وبرا

بما يخفى من الخلق أكمله وكم رد دعا من له فقرا

ومن الذي يرجى كشف كل عنا عنا ويجلي عنا كل ما عسرا

وحسبنا الشفيع الوارد يوم لنا نعم الوكيل عليه كلنا اعتمرا

صلى الإله تسليم على العرب محمد خير من في الورى وصرا

ثم الصلاة عليه والصلاة إلى [illegible] الصلاة بها لا تنقضي أبدا

والشكر لله في إتمام نعمته علينا بكمال المنة إذ سعدا

كمله بحمد الله مؤلفه [illegible] ذا الشفا

تحزيم الحفيد الحمدية الراجي مغفرة

ذنوبه وستر عيوبه من ربه

أحمد سكيرج في 21 ربيع

الثاني عام

1350

وعددها
1448
أبيات هذا
الجزء

الصفحة الأخيرة من الجزء الخامس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

و صلى الله على الفاتح الخاتم، و آله و صحبه و سلم.

مورد الصفا بمحاذاة الشفا

للفقيه العلامة القاضي الشيخ
سيدي أحمد سكيرج

تحقيق د : محمد الراضي كنون
أستاذ باحث بمديرية
الوثائق الملكية

حَمْداً لِمَنْ بِاسْمِهِ الأَسْمَى قَد انْفَرَدَا   وَ اخْتَصَّ بِالْمُلْكِ فَهْوَ لَمْ يَزَلْ صَمَدَا
مَا دُونَهُ مُنْتَهَى لِلطَّالِبِينَ وَ لاَ   وَرَاءَهُ مَطْلَبٌ لِمَنْ لَهُ قَصَدَا
الظَّاهِرِ البَاطِنِ المُسْدِي لَنَا نِعَماً   وَ رَحْمَةً وَسِعَتْ كُلَّ الوُجُودِ جَدَا
فَهْوَ الَّذِي بَعَثَ الرَّسُولَ بَيْنَهُمُ   مِنْ أَنْفَسِ الأَنْفُسِ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
أَزْكَاهُمُ مَحْتَداً حَقّاً وَ أَرْجَحُهُمْ   عَقْلاً وَ حِلْماً وَ أَوْفَاهُمْ بِمَا وَعَدَا
وَ كَانَ أَوْفَرَهُمْ عِلْماً وَ أَكْمَلَهُمْ   فَهْماً وَ أَقْوَاهُمُ عَزْماً بِهِ انْفَرَدَا
أَشَدَّهُمْ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً بِهِمُ   وَ كَمْ عَدُوٍّ لَهُ بِالفَضْلِ قَدْ شَهِدَا
زَكَّاهُ رُوحاً وَ جِسْماً فِي خَلِيقَتِهِ   فَتَمَّ حِساً وَ مَعْنَى فِي كَمَالِ هُدَى
آتَاهُ حُكْماً وَ خَيْرَ حِكْمَةٍ فتحتْ   عُمْياً وَ غُلْفاً وَ صُمّاً بَعْدَمَا جَحَدَا
فَآمَنَ السُّعَدَا بِهِ وَ كَذَّبَهُ   أَهْلُ الشَّقَاوَةِ مِمَّنْ لِلرَّدَى وَرَدَا
عَلَيْهِ أَنْمَى الصَّلاَةِ وَ السَّلاَمِ مَعَ ا   لاَ لِ الكِرَامِ وَ صَحْبِهِ بِغَيْرِ مَدَى
إِنَّ الصَّلاَةَ عَلَيْهِ لِلقُلُوبِ شِفَا   وَ كَمْ مَزَايَا لَهَا لَمْ أُحْصِهَا عَدَدَا
وَ كَمْ حُقُوقٍ لِهَذَا المُصْطَفَى وَجَبَتْ   عَلَى العِبَادِ وَ مَنْ يَقُمْ بِهَا سَعِدَا
هَذَا وَ قَصْدِي هُنَا نَظْمُ الشِّفَا وَ بِهِ   تَجْلُو مَحَاسِنُهَا فِيمَا خَفَى وَ بَدَا
إِنْ كَانَ مَتْنُ الشِّفَا قَدْ تَمَّ رَوْنَقُهُ   فَنَظْمُ جَوْهَرِهِ بِحُسْنِهِ انْفَرَدَا
لِلَّهِ دَرُّ عِيَاضٍ فَهْوَ جَاءَ بِمَا   شَفَى الصُّدُورَ وَ عَنْهَا قَدْ نَفَى كَمَدَا
بِسَبْتَةَ ازْدَادَ فِي شَعْبَانَ عَامَ وَعَتْ   لَكِنْ بِمَرَاكُشَ قَدْ مَاتَ فِي ثَمَدَا
476   544
وَ شَبَّ فِي الفَضْلِ حَتَّى شَابَ وَ هْوَ غَدَا   مُتَوَّجاً بِقَبُولٍ نُورُهُ اتَّقَدَا
فَكَانَ بِالعِلْمِ عَامِلاً وَ جَادَ بِهِ   لِطَالِبِيهِ وَ أَوْلاَهُمْ جَدَا وَ هُدَى
بِهِ تَآلِيفُ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ هُنَا   تَفَتَّحَتْ بِفُنُونٍ تُثْمِرُ الرَّشَدَا
وَ قَدْ أَتَى بِالشِّفَا لِلنَّاسِ فَابْتَهَجَتْ   نُفُوسُهُمْ بِالَّذِي فِيهَا لَهُمْ وَ فَدَا
ضَمَّنْتُهَا هَا هُنَا كَمَا أَرَدْتُ وَ قَدْ   حَذَفْتُ فِي الغَالِبِ التِّكْرَارَ وَ السَّنَدَا

آتِي بِجُلِّ مَعَانِي مَا أَطَالَ بِهِ   وَلَمْ يَفُتْنِي سِوَى مَا نَظْمُهُ شَرَدَا
وَرُبَّمَا سُقْتُ فِيمَا كَانَ مُخْتَصَراً   فِي مَوْضِعٍ مِنْهُ مَا أُطِيلُ فِيهِ يَدَا
آتِي بِمَا هُوَ كَالتَّتْمِيمِ مُتَّضِحاً   بِمَا يَكُونُ مَعَ التِّكْرَارِ مُعْتَمَدَا
وَقَدْ أُقَدِّمُ مَا أَرَاهُ أَخَّرَهُ   وَعَكْسُهُ لَمْ يَكُنْ فِي النَّظْمِ مُنْتَقَدَا
وَمَا أُبَالِي بِإِبْطَاءٍ تَضَمَّنَهُ   فَصْلَانِ أَوْ قِصَّتَانِ فِيهِمَا اتَّحَدَا
وَمَا الْتَزَمْتُ طَرِيقَ نُسْخَةٍ رُوِيَتْ   عَنِ الْمُؤَلِّفِ حَيْثُ خلفهَا وُجِدَا
وَمَا ادَّعَيْتُ (بِمَوْرِدِ الصَّفَا بِمُحَاذَاةِ الشِّفَا) أَنَّنِي بِهِ بَلَغْتُ مَدَى
بَلْ جِئْتُ فِيمَا نَظَمْتُ بِالَّذِي سَمَحَتْ   بِهِ الْقَرِيحَةُ مِنْهُ كَيْفَمَا وَرَدَا
فَإِنْ يَرُقْ فِي عُيُونِ النَّاظِرِينَ فَقَدْ   يَجُودُ لِي بِالدُّعَا مِنْهُمْ فَتًى رشَدَا
وَقَدْ قَصَدْتُ بِهِ مَدْحَ النَّبِيِّ وَمَنْ   وَافَى بِمَدْحِ النَّبِي يَحْظَى بِمَا قَصَدَا
وَالظَّنُّ فِي الْمُصْطَفَى أَنْ لَا يُخَيِّبَنِي   مِنْ نَيْلِ خَيْرِ الأَمَانِي هَا هُنَا وَغَدَا
فَقَدْ تَعَوَّدَ مِنْهُ الخَيْرَ سَائِلُهُ   وَكَمْ وَكَمْ دُونَ مَسْؤُولٍ حَبَاهُ جَدَا
وَمَادِحُوهُ لَهُمْ مِنْهُ جَوَائِزُ فِي   سِرٍّ وَجَهْرٍ بِسِرٍّ عَمَّهُمْ مَدَدَا
لِذَاكَ فِي مَدْحِهِ تَنَافَسَ الشُّعَرَا   وَلَمْ يَصِلْ أَحَدٌ فِي مَدْحِهِ الأَمَدَا
وَلَمْ يُقَصِّرْ عِيَاضٌ فِي شِفَاهُ بِمَدْ   حِ جَانِبِ الْمُصْطَفَى بِرَغْمِ مَنْ جَحَدَا
أَجَابَ سَائِلَهُ بِهَا وَقَدْ شَهِدَتْ   لَهُ بِحُسْنِ الصَّنِيعِ سَائِرُ الشُّهَدَا
لَمْ يَكْتُمِ العِلْمَ عَمَّنْ جَاءَ يَسْأَلُهُ   وَجَدَّ فِي نَفْعِ كُلِّ النَّاسِ وَاجْتَهَدَا
أَسْدَى الجَمِيلَ بِهَا لِمَنْ يُطَالِعُهَا   وَلَمْ يَكُنْ مَنْعُهُ لِلخَيْرِ عُدَّ سُدَى
فَمُنْفِقُ الخَيْرِ لَمْ يَعْدَمْ مجَازِيَهُ   يَوْماً وَلَوْ بِدُعَاءٍ غَابَ أَوْ شَهِدَا
بَنَى شِفَاهُ عَلَى أَقْسَامٍ أَرْبَعَةٍ   بِهَا أَنَارَ طَرِيقَ الحَقِّ لِلسُّعَدَا
أَبْوَابُ أَوَّلِهَا فِي العَدِّ أَرْبَعَةٌ   فِي كُلِّ بَابٍ فُصُولٌ تُذْهِبُ الكَمَدَا
وَعَدُّ أَبْوَابِ ثَانِيهَا كَذَلِكَ وَالْفُصُولُ فِيهَا أَبَانَتْ حِكْمَةً وَهُدَى
وَقِسْمُهَا الثَّالِثُ انْطَوَى عَلَى الغَرَضِ الَّذِي بِهِ أَنْجَزَ التَّأْلِيفُ مَا وَعَدَا
وَفِيهِ بَابَانِ قَدْ أَحْيَتْ فُصُولُهُمَا الْقُلُوبَ حَقّاً بِمَا فِي ضِمْنِهَا نُضِدَا
وَقَدْ أَتَى رَابِعُ الأَقْسَامِ مُتَّضِحاً   وَفِيهِ بَابَانِ مَعْ خَتْمٍ سَنَاهُ بَدَا
فُصُولُ سَائِرِهَا سِتُّونَ مَعْ مِائَةٍ   عِنْدَ الَّذِي عَدَّهَا وَتَابَعَ العَدَدَا
وَهَا أَنَا ذَا بِحَوْلِ اللهِ أَشْرَعُ فِي   مَا رُمْتُهُ طَالِباً مِنْ فَضْلِهِ الرَّشَدَا

القسم الأول

في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى صلى الله عليه و سلم قولا و فعلا

اللهُ عَظَّمَ جَاهَ المُصْطَفَى فَغَدَا   مَلَاذَ كُلِّ الوَرَى مَنْ جَاءَهُ سَعِدَا
وَ خَصَّهُ بِالفَضَائِلِ الَّتِي كَمُلَتْ   فِيهَا مَنَاقِبُ فَاقَ عَدُّهَا العَدَدَا
مِنْهَا الَّذِي هُوَ فِي نَصِّ الكِتَابِ أَتَى   يُنَبِّهُ الخَلْقَ عَمَّا فِي عُلَاهُ غَدَا
أَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءَاتٍ مُنَاسِبَةً   لِقَدْرِهِ وَ مَقَامُ قَدْرِهِ صَعِدَا
أَخْلَاقُهُ كَرُمَتْ آدَابُهُ كَمُلَتْ   أُصُولُهُ طهرتْ وَ فَرْعُهُ مَجُدَا
وَ اللهُ حَضَّ عَلَى التِزَامِ جَانِبِهِ   سِرّاً وَ جَهْراً وَ أَنْ تَخْتَارَهُ سَنَدَا
فَهْوَ الَّذِي قَدْ حَبَاهُ مَا حَبَاهُ بِهِ   لَوْلَاهُ مَا حُمِدَ المَوْلَى وَ لَا عُبِدَا
وَ مِنْ كَمَالَاتِهِ تَأْيِيدُ حَضْرَتِهِ   بِالمُعْجِزَاتِ الَّتِي مَا مِثْلُهَا وُجِدَا
وَ قَدْ رَآهَا الَّذِينَ كَانَ عَاصَرَهُمْ   فَعَانَدَ الأَشْقِيَا وَ سَاعَدَ السُّعَدَا
قَدْ شَاهَدُوا نُورَهَا وَ نَحْنُ بَعْدَهُمُ   عَلَى يَقِينٍ وَ تَصْدِيقٍ بِهَا شُهِدَا
أَنْوَارُهَا غَشِيَتْنَا فَانْجَلَتْ ظُلَمُ الشُّكُوكِ عَنَّا فَلَمْ نَرْتَبْ بِهَا أَبَدَا
وَ كَيْفَ لَا وَرَسُولُ اللهِ مُبْتَهِجٌ   بِهِ الوُجُودُ وَ نُورُ الحَقِّ مِنْهُ بَدَا
قَدْ كَانَ فِي لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ مَظْهَرُهُ   عَلَى البُرَاقِ الَّذِي بِهِ سَمَا وَعَدَا
قَدْ جَاءَهُ مُلْجَماً وَ مُسْرَجاً وَ لَهُ   جِبْرِيلُ قَادَ وَ فِي أَوْجِ العُلَى صَعِدَا
وَ قَالَ جِبْرِيلُ يَا بُرَاقُ نِلْتَ هَنَا   بِحَمْلِ أَحْمَدَ فَهْوَ خَيْرُ مَنْ حَمِدَا
وَ لَيْسَ أَكْرَمَ مِنه فِي الوَرَى أَحَدٌ   عَلَى الَّذِي خَصَّهُ بِمَا بِهِ انْفَرَدَا
فَارْفَضَّ مِنْهُ البُرَاقُ عِنْدَهُ عَرَقاً   وَ طَارَ يَخْتَرِقُ الطِّبَاقَ مُجْتَهِدَا
حَتَّى دَنَا فَتَدَلَّى فِي مَقَامِ عُلَا   وَ فِي بِسَاطِ رِضَى الإِلَهِ قَدْ سَجَدَا
هُنَاكَ قَدْ نَالَ مَا قَدْ نَالَ مُشْتَمِلَاً   رِدَا الرِّضَاءِ الَّذِي لَمْ يَخْشَ فِيهِ رَدَى
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي نَادَاهُ تَكْرِمَةً   لَهُ فَلَبَّى النِّدَا فَنَالَ مِنْهُ جَدَا

الباب الأول

في ثناء الله تعالى عليه، و إظهار عظيم قدره لديه، صلى الله عليه و سلم

أَعْظِمْ بِآيَاتِ حَقٍّ فِي الرسولِ أَتَتْ   ضِمْنَ الكتابِ العزيزِ وَ هْوَ فِيهِ هُدَى
بِمَدْحِهِ وَرَدَتْ بِالحَقِّ مُفْصِحَةً   لَنَا بِتَنْوِيهِ قَدْرِهِ الَّذِي مَجُدَا
كَثِيرَةِ العَدِّ لاَ تُحْصَى مَحَاسِنُهَا   لِمَنْ تَتَبَّعَ مِنْهَا مَا سَنَاهُ بَدَا

الفصل الأول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح و الثناء و تعداد المحاسن

اللهُ أَعْطَى الرَّسُولَ اسْمَيْنِ مِنْهُ لَهُ   كَرَامَةً ظَهَرَتْ مَا فَضْلُهَا جُحِدَا
هُمَا الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ جَلَّ قَدْرُهُمَا   وَ سِرُّ مَعْنَاهُمَا بِذَاتِهِ اتَّحَدَا
بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَأْفَةً عَظُمَتْ   وَ هْوَ الرَّحِيمُ الَّذِي قَدْ عَمَّهُمْ مَدَدَا
مِنْ أَنْفَسِ المؤْمِنِينَ جَاءَهُمْ وَ لَهُمْ   مِنَ الإِلَهِ رَسُولاً بِالهُدَى وَرَدَا
أَكْرِمْ بِهِ مِنْ رَسُولٍ فَهْوَ أَنْفَسُهُمْ   وَ كُلُّهُمْ بِكَمَالِ فَضْلِهِ شَهِدَا
فِي أَهْلِ مَكَّةَ بَلْ فِي العُرْبِ أَجْمَعِهِمْ   بَلْ فِي جَمِيعِ الوَرَى قَدْ جَاءَهُمْ بِهُدَى
هُمْ يَعْرِفُونَ عُلاَهُ مَعْ مَكَانَتِهِ   فِي الصِّدْقِ بَيْنَهُمُ وَ سَاوَمُوهُ رَدَى
وَ لَمْ يَزَلْ بِكَمَالِ اللُّطْفِ يُرْشِدُهُمْ   إِلَى النَّجَاةِ التي فَازَتْ بِهَا السُّعَدَا
وَ كَابَدَ المصطفَى مَا لاَ يُكَابِدُهُ   سِوَاهُ حِرْصاً عَلَيْهِمْ فَتَّتَ الكَبِدَا
مَا كَانَ أَرْأَفَهُ بِهِمْ وَ أَرْحَمَهُ   وَ مَا أَشَدَّهُمُ عَلَيْهِ قَدْ وَرَدَا
وَ طَهَّرَ اللهُ أَصْلَهُ فَلَيْسَ بِهِ   يُرَى سِفَاحٌ وَ لاَ نَقْصٌ يُرَى أَبَدَا
لَمْ يَفْعَلُوا مِنْ أُمورِ الجَاهِلِيَّةِ مَا   يَمُسُّهُمْ فِيهِ وَ صْمٌ عِنْدَ مَنْ عَبَدَا
وَ فِي تَقَلُّبِهِ فِي السَّاجِدِينَ لَهُ   عَظِيمُ فَخْرٍ وَ فِيهِ سِرٌّ مَنْ سَجَدَا
فَمِنْ نَبِيٍّ إِلَى وَلِيٍّ أَخْرَجَهُ ا   لإِلَهُ حَتَّى لَنَا غَدَا نَبِيَّ هُدَى

يَكْفِيكَ مِنْهُ بِأَنَّ اللهَ أَلْبَسَهُ   مِنْ نَعْتِهِ حُلَلاً بِهَا الجَمَالُ بَدَا
بَدَا بِأَكْمَلِ سُورَةٍ وَ صُورَتُهُ   قَدْ أَكْمَلَ اللهُ فِيهَا الرُّوحَ وَ الجَسَدَا
أَقَامَهُ اللهُ بَيْنَ الخَلْقِ وَاسِطَةً   وَ بَيْنَهُ لِيَنَالُوا الهَدْيَ وَ الرَّشَدَا
فَكَانَ مِنْ لُطْفِهِ أَنْ جَاءَهُمْ بَشَراً   أَلْقَى عَلَيْهِ مِنَ القَبُولِ خَيْرَ رِدَا
وَ كَوْنُهُ رَحْمَةً لِلعَالِمِينَ كَفَى   فِي قَدْرِهِ رِفْعَةً فِي أَوْجِهَا صَعِدَا
وَ كَوْنُهُ رَحْمَةً حَتَّى شَمَائِلُهُ   وَ ذَاتُهُ رَحْمَةٌ مَنْ نَالَهَا سَعِدَا
مِنْ كُلِّ سُوءٍ نَجَا مَنْ نَالَ رَحْمَتَهُ   فِي دَارِ دُنْيَا وَ أُخْرَى مِنْ رَدَى وَعِدَا
حَيَاتُهُ رَحْمَةٌ لِلعَالَمِينَ وَ فِي   مَمَاتِهِ رَحْمَةٌ تَعُمُّ مَنْ وُجِدَا
كِلاَهُمَا فِيهِ خَيْرٌ جَلَّ مَوْقِعُهُ   لَكِنَّنَا لَيْتَنَا كُنَّا لَدَيْهِ فِدَا
غَدَا لِأُمَّتِهِ مِنْ قَبْلِهَا فَرَطاً   وَ ذَاكَ مِنْ خَيْرِ مَا تُثَابُ عَنْهُ غَدَا
فَهْوَ الأَمَانُ الَّذِي قَدْ حَاطَ أُمَّتَهُ   مِمَّا أَصَابَ سِوَاهَا مِنْ بَلاَ وَرَدَا
يَقُولُ جِبْرِيلُ كُنْتُ خِفْتُ عَاقِبَةً   حَتَّى أَمِنْتُ بِمَا فِي الذِّكْرِ مِنْهُ بَدَا
أَثْنَى الإِلَهُ عَلَيْهِ فِيهِ حُسْنَ ثَنَا   وَ ضِمْنَهُ مُدْمَجٌ مَدْحُ النَّبِيِّ غَدَا
فَاخْتُصَّ جبريلُ مِنْ عُمُومِ رَحْمَتِهِ   بِمَا بِهِ دَائِماً بَيْنَ الوَرَى حُمِدَا
وَ فِي سَلاَمٌ لأصحابِ اليمينِ وَ قَدْ   أَثْنَى الإِلَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلُهُ شُهِدَا
لِأَجْلِهِ وَقَعَتْ حَقّاً سَلاَمَتُهُمْ   فَلاَ يَرَى فِيهِمُ مَا سَاءَهُ أَبَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ ضَارِباً لِنُورِهِ مَثَلاً   وَ نُورُ أَحْمَدَ كَالمِشْكَاةِ قَدْ وَقَدَا
فَكَانَ مُسْتَوْدَعاً فِي السَّاجِدِينَ وَ هُمْ   مِشْكَاتُهُ مِثْلَ مَا فِي الذِّكْرِ قَدْ وَرَدَا
مِصْبَاحُهَا قَلْبُهُ غَدَتْ زُجَاجَتُهُ   صَدْراً لَهُ فِي الصَّفَا وَ النُّورُ مِنْهُ بَدَا
كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّي تَوَقَّدَ فِيهِمُ لِمَا فِيهِ مِنْ سِرٍّ نَفَى الكَمَدَا
فَكَادَ فِي النَّاسِ أَنْ تَبْدُو نُبُوَّتُهُ   مِنْ قَبْلِ تَصْرِيحِهِ بِهَا لِمَنْ سَعِدَا
مِنَ الخَلِيلِ أَبِيهِ كَانَ مَطْلِعُهُ   لِلّهِ أَصْلٌ وَ فَرْعٌ فِي العُلَى صَعِدَا
و اللهُ سَمَّاهُ نُوراً فِي الكِتَابِ وَ لَمْ   يَزَلْ سِرَاجاً مُنِيراً فِي الدُّجَى اتَّقَدَا
فِي شَرْحِ صَدْرِهِ كَانَتْ كُلُّ مَصْلَحَةٍ   وَ حِكْمَةٍ تُصْلِحُ الأَمْرَ الَّذِي فَسَدَا
وَ شَرْحُهُ كَانَ بِالإِيمَانِ مِنْ صِغَرٍ   وَ مَلْؤُهُ رَحْمَةً وَ حِكْمَةً وَ هُدَى
وَ اللهُ طَهَّرَ قَلْبَهُ فَضَاءَ بِهِ   نُورُ الرِّسَالَةِ فَاهْتَدَى بِهِ السُّعَدَا

لَمْ يُلْفَ فِي قَلْبِهِ مَحَلٌّ وَسْوَسَةٍ   وَ هَلْ تَرَى فِي الَّذِي قَدْ قُلْتُهُ فَنَدَا
وَوَسَّعَ اللهُ صَدْرَهُ لِيَحْمِلَ مَا   بِهِ قَد اخْتَصَّ مِنْ جَدًى لَهُ وُجِدَا
و اللهُ قَدْ حَطَّ عَنْهُ الوِزْرَ فهو بَرِي   وَلَيْسَ ذَنْبٌ لَهُ بَيْنَ الوَرَى أَبَدَا
أَدَّى الَّذِي اللهُ بَيْنَ الخَلْقِ حَمَّلَهُ   وَبَلَّغَ الأَمْرَ حَتَّى أَوْضَحَ الجُدُدَا
زَادَتْهُ عِصْمَتُهُ مَحَاسِناً كَمُلَتْ   وَلَسْتَ فِيهَا تَرَى أَمْتاً وَلَا أَوَدَا
و اللهُ عَظَّمَ بَيْنَ الخَلْقِ رِفْعَتَهُ   فَصَارَ يُذْكَرُ مَهْمَا ذِكْرُهُ شُهِدَا
فَكَانَ فِيهِ لَهُ كَمَالُ تَزْكِيَةٍ   دُنْيَا و أُخْرَى بِتَنْوِيهٍ بِهِ انْفَرَدَا
مَنْ يَحْمَدِ المُصْطَفَى بِخَيْرِ مَحْمَدَةٍ   فَإِنَّمَا هُوَ لِلإِلَهِ قَدْ حَمِدَا
فَلَا شَهَادَةَ لَمْ يُذْكَرْ بِهَا مَعَهُ   وَ كُلُّ مَنْ لَمْ يَلُذْ بِجَاهِهِ طُرِدَا
و اللهُ قَدْ أَمَرَ الوَرَى بِطَاعَتِهِ   وَ كُلُّ مَنْ لَمْ يُطِعْهُ فَهْوَ قَدْ عَنَدَا
وَ مَنْ يُعَانِدْهُ يَضِلُّ فِي عَمَهٍ   سَيَّانَ فِي ذَاكَ مَنْ سَهَا وَ مَنْ عَمَدَا
وَ مَنْ عَصَاهُ عَصَى الإِلَهَ خَالِقَهُ   وَ مَنْ أَطَاعَ هُدَاهُ فَهْوَ قَدْ رَشَدَا
فَلَا مَحَبَّةَ عِنْدَ المُدَّعِينَ لَهَا   بِلَا اتِّبَاعٍ لَهُ لَوْ أَظْهَرُوا اللَّدَدَا
و اللهُ صَلَّى عَلَيْهِ مَعْ مَلَائِكَةٍ   وَ الأَمْرُ مِنْهُ بِهَا لِلمُؤْمِنِينَ بَدَا
فَتَمَّ تَخْصِيصُهُ بِعَطْفَةٍ كَمُلَتْ   بِوَاوِ عَطْفٍ بِأَيٍّ سِرُّهَا شَرَدَا
وَ هْوَ الصِّرَاطُ القَوِيمُ المُسْتَقِيمُ فَلَا   وُصُولَ لِلْخَيْرِ إِلَّا مِنْهُ قَدْ وُجِدَا
وَ إِنَّهُ العُرْوَةُ الوُثْقَى لِمَاسِكِهَا   نَيْلُ النَّجَاةِ وَ لَا يَخْشَى بِهَا أَحَدَا
وَ إِنَّهُ النِّعْمَةُ الَّتِي تُعَدُّ فَلَا   تُحْصَى مَآثِرُهَا وَ فَاقَتِ العَدَدَا
وَ هْوَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ الَّذِي عَظُمَتْ   آيَاتُهُ وَ عَلَيْهِ صَارَ مُعْتَمِدَا
بِهِ القُلُوبُ اطْمَأَنَّتْ مِنْ تَقَلُّبِهَا   وَ كُلُّ قَلْبٍ بِهِ اطْمَأَنَّ نَالَ هُدَى
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِ مَا أَقَامَ صَلَا   ةً مَنْ لِمَوْلَاهُ فِي عِبَادِهِ عَبَدَا
وَ آلِهِ وَ جَمِيعِ التَّابِعِينَ لَهُ   مَا قَامَ عَبْدٌ بِهِ لِلَّهِ أَوْ قَعَدَا

الفصل الثاني

في وصفه له تعالى بالشهادة و ما يتعلق به من الثناء و الكرامة

اللهُ أَرْسَلَ فِينَا سَيِّدَ الشُّهَدَا   مُبَشِّراً وَ نَذِيراً دَاعِياً لِهُدَى
بِإِذْنِهِ هُوَ نَاهِينَا وَ آمِرُنَا   وَ هْوَ السِّرَاجُ المُنِيرُ فِي الوُجُودِ بَدَا
أَدَّى الأَمَانَةَ طِبْقَ الأَمْرِ دُونَ مِرَا   وَ هْوَ الشَّهِيدُ الَّذِي لِنَفْسِهِ شَهِدَا
وَ مِنْهُ قَدْ قُبِلَتْ فِينَا شَهَادَتُهُ   وَ نَحْنُ مِنْ أَجْلِهِ عَلَى السِّوَى شُهَدَا
بِذَا أَتَى نَصُّ قُرْآنٍ وَ جَاءَ بِهِ التَّوْرَاةُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ مَا بِهِ انْفَرَدَا
وَ أَنَّهُ هُوَ حِرْزُ الأُمِّيِّينَ وَ لَمْ   يَكُنْ غَلِيظاً وَ لَكِنْ أَمْرُهُ حُمِدَا
سَمَّاهُ بِالمُتَوَكِّلِ الإِلَهُ فَلَمْ   يَكُنْ عَلَى غَيْرِهِ فِي الخَلْقِ مُعْتَمِدَا
مُنَزَّهٌ عَنْ جَمِيعِ مَا يُشَانُ بِهِ   قَوْلاً وَ فِعْلاً وَ حَالاً قَامَ أَوْ قَعَدَا
مَا كَانَ يَنْطِقُ بِالخَنَا وَ لاَ بِبَذَا   وَ لَمْ يَكُنْ صَخِباً وَ مَا ابْتَغَى لَدَدَا
أَكْرِمْ بِهِ فَلِبَاسُهُ سَكِينَتُهُ   وَ كُلُّ خُلْقٍ كَرِيمٍ فِيهِ قَدْ وُجِدَا
فَاللهُ قَدْ جَعَلَ الوَفَا طَبِيعَتَهُ   وَ العَدْلَ سِيرَتَهُ فَلَمْ يَجُرْ أَبَدَا
شِعَارُهُ البِرُّ وَ المَعْقُولُ حِكْمَتُهُ   وَ خُلْقُهُ العَفْوُ وَ المَعْرُوفُ وَ الرَّشَدَا
وَ الهَدْيُ مِنْهُ أَمَامَهُ وَ مِلَّتُهُ الإِ   سْلاَمُ و الحَقُّ شَرْعُهُ لَدَى السُّعَدَا
و اللهُ قَدْ جَعَلَ التَّقْوَى الضَّمِيرَ لَهُ   وَ خَصَّهُ بِجَمِيلٍ فِيهِ كُلُّ جَدَا
يَهْدِي بِهِ اللهُ مِنْ بَعْدِ الضَّلاَلَةِ مَنْ   أَحَبَّهُ وَ بِهِ وَقَاهُ كُلَّ رَدَى
بِهِ يُعَلِّمُ مِنْ بَعْدِ الجَهَالَةِ مَنْ   أَرَادَ خَيْراً بِهِ فَلاَ يُسَاءُ غَدَا
بِهِ غَدَا رَافِعاً بَعْدَ الخَمَالَةِ مَنْ   أَرَادَ رِفْعَتَهُ لِمَنْصِبٍ مَجُدَا
بِهِ يُسَمِّي بُعَيْدَ نُكْرَةٍ وَ تَرَى   مَنْ لَسْتَ تَعْرِفُ مِنْهُ اسماً وَ لاَ جَسَدَا
بِهِ يُكَثِّرُ بَعْدَ قِلَّةٍ وَ بِهِ   يُغْنِي وَ يَجْمَعُ بَعْدَ الفُرْقَةِ القِدَدَا
بِهِ يُؤَلِّفُ بَيْنَ كُلِّ مُخْتَلِفٍ   حَتَّى غَدَا الكَوْنُ بِالنَّبِيِّ مُتَّحِدَا
أَكْرِمْ بِهِ فَلَدَيْهِ أُمَّةٌ كَرُمَتْ   أَثْنَى عَلَيْهَا الإِلَهُ فِي الَّذِي وَرَدَا
فِي الخَلْقِ لِلّهِ حَمَّادُونَ كُلُّهُمُ   وَ بَيْنَهُمْ أَحْمَدُ المُخْتَارُ قَدْ حُمِدَا

هُمْ أُمِّيونَ وَ لَكِنْ فِي الهُدَى وَرِثَتْ   أَعْلَامُهَا الأَنْبِيَا وَ كُلُّهُمْ رَشَدَا
هُمُ قَد اتَّبَعُوا الأُمِّيَ وَ هْوَ رَسُو   لُ اللهِ حقاً فَصَارُوا كُلُّهُمْ سُعَدَا
وَ هْوَ الَّذِي وَصْفُهُ التَّوْرَاةُ جَاءَ بِهِ   مُوَضِّحاً وَ بِهِ الإِنْجِيلُ قَدْ شَهِدَا
فَقَالَ بَعْدِيَ يَأْتِي أَحْمَدٌ وَ أَنَا   بِهِ أُبَشِّرُكُمْ رَغْماً لِمَنْ جَحَدَا
وَ أَفْصَحَتْ بِاسْمِهِ التَّوْرَاةُ مُخْبِرَةً   بِأَنَّهُ أَحْمَدٌ بِمَكَّةٍ وُلِدَا
وَ دَارُ هِجْرَتِهِ مَدِينَةٌ شَرُفَتْ   بِهِ وَ طَابَتْ بِهِ وَ يَالَهَا بَلَدَا
مِنْ وَصْفِهِ أَنَّهُ بِالعُرْفِ يَأْمُرُهُمْ   حقاً وَ يَنْهَاهُمُ عَنْ مُنْكَرٍ عُهِدَا
يُحَلِّلُ الطَّيِّبَاتِ كُلَّهَا وَ يُحَرِّ   مُ الخَبَائِثَ مُنْذُ جَاءَهُمْ بِهُدَى
وَ عَنْهُمُ يَضَعُ الأَغْلَالَ مِنْ كُلَفٍ   كَانَتْ عَلَيْهِمْ مَعَ الإِصْرِ الَّذِي عُقِدَا
وَ المُفْلِحُونَ بِلَا شَكٍّ مَنِ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي مَعَهُ وَ هُمْ هُمُ السُّعَدَا
قَد آمَنُوا بِجَمِيعِ مَا أَتَى لَهُمُ   بِهِ وَ مَا أَحَدٌ مِنْهُمْ لَهُ عَنَدَا
بِرَحْمَةٍ اللهِ مِنْهُ لَانَ جَانِبُهُ   لِلْخَلْقِ حَتَّى هَدَى الجَمِيعَ مُتَّئِدَا
مَا كَانَ فَظّاً وَ لَا بِقَلْبِهِ غِلَظٌ   بَلْ فِيهِ عَفْوٌ وَ حِلْمٌ أَذْهَبَا النَّكَدَا
مِنْ لُطْفِهِ أَنَّهُ فِي الحَقِّ شَاوَرَهُمْ   و الحَقُّ شَدَّ لَهُ فِي أَمْرِهِ العَضُدَا
فَاعْرِفْ بِهَا أُمَّةً صَارَتْ بِهِ وَسَطاً   فَقَدْ غَدَوْا شُهَدَا عَلَى الَّذِي جَحَدَا
وَ ذَاكَ مِنْ أَعْظَمِ التَّنْوِيهِ جَاءَ بِهِمْ   حَتَّى غَدَوْا حُجَّةً عَلَى العِبَادِ غَدَا
بِهِمْ رَسَتْ قَدَمُ الصِّدْقِ الَّذِي انْتُصِبُوا   بِهِ عَلَى مَنْصِبِ الفَخْرِ الَّذِي صَعِدَا
وَ قَدْ عَلَا بِمُحَمَّدٍ مَقَامُهُمُ   وَ هْوَ الشَّهِيدُ الَّذِي بِصِدْقِهِمْ شَهِدَا
وَ هُمْ بِهِ أُوجِرُوا مِنْ بَعْدِمَا فَقَدُوا   شُهُودَهُمْ فِي الشُّهُودِ وَ هْوَ مَا افْتُقِدَا
فَهْوَ الشَّفِيعُ لَنَا وَ رَحْمَةٌ سَبَقَتْ   لَنَا مِنَ اللهِ وَ هْوَ أَفْضَلُ الشُّهَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي بِالفَضْلِ خَصَّصَهُ   وَ عَمَّمَ الخَلْقَ مِنْهُ دَائِماً مَدَدَا
مَعَ السَّلَامِ الأَتَمِّ وَ السَّلَامِ عَلَى   آلٍ وَ صحْبٍ وَ مَنْ لِلحَقِّ قَدْ سَجَدَا

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه إياه مورد الملاطفة و المبرة

مَا مِثْلُ أَحْمَدَ يُلْفَى فِي الوَرَى أَبَدَا   وَ كَيْفَ يُوجَدُ أَوْ يَكُونَ قَدْ وُجِدَا
وَ اللهُ خَاطَبَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى   تَخْصِيصِهِ بِكَمَالَاتٍ بِهَا انْفَرَدَا
مِنْ ذَاكَ إِخْبَارُهُ بِالعَفْوِ عَنْهُ وَ لَمْ   يَكُنْ مُعَنِّفَهُ فِيمَا لَهُ انْتَقَدَا
وَ فِي عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمْ أَذِنْتَ لَهُمْ   مُخَاطِباً لِلنَّبِي سِرٌّ لَدَيْهِ بَدَا
لَوْ كَانَ فِي إِذْنِهِ بِالعَتْبِ فَاتَحَهُ   مِنْ قَبْلِ إِخْبَارِهِ بِالعَفْوِ لَارْتَعَدَا
لَكِنْ بِإِخْبَارِهِ أطْمَأَنَّ خَاطِرُهُ   وَ كَانَ مِنْهُ لَهُ إِنْجَازُ مَا وَعَدَا
لَا ذَنْبَ لَا عَتْبَ إِن حَقَّقْتَ مَوْقِعَهُ   وَ إِنَّمَا ذَاكَ بَسْطٌ لَمْ يَدَعْ كَمَدَا
لَا سِيَمَا وَ رَسُولُ اللهِ كَانَ هُنَا   فِي إِذْنِهِمْ مِنْهُ مُخْتَاراً قَد اجْتَهَدَا
دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ جَلَّ عُلَى   فَأذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ هْوَ قَدْ وَرَدَا
وَ مَنْ يَنَلْ فِي مَقَامِ العَتْبِ مَكْرُمَةً   فَعَتْبُهُ فِي بِسَاطِ القُرْبِ قَدْ حُمِدَا
عَلَى جَلَالَتِهِ دَلَّتْ كَرَامَتُهُ   وَ فِيهِ مَا لَيْسَ يَخْفَى مِنْ عَظِيمِ جَدَى
وَ السِّرُّ قَدْ بَانَ مِنْ إِذْنِ النَّبِيِّ لَهُمْ   بِأَنَّهُ هُوَ سِتْرُ حَالِ مَنْ قَعَدَا
لَوْ لَمْ يُسَاعِدُهُمْ بَانَتْ فَضِيحَتُهُمْ   لَدَى تَخَلُّفِهِمْ عَنْ حِزْبِهِ السُّعَدَا
وَ مَا أَضَرَّ بِهِ عَنْهُ تَخَلُّفُهُمْ   وَ هْوَ عَلَى رَبِّهِ لَازَالَ مُعْتَمِدَا
وَ مَا أَتَى مِثْلُ هَذَا فِي الكِتَابِ فَقَدْ   أَتَى يُعَلِّمُنَا الآدَابَ حَيْثُ بَدَا
وَ خُلُقُ المُصْطَفَى القُرْآنُ كَانَ وَ قَدْ   أَحْيَا قُلُوباً بِهِ قَدْ أَحْرَزَتْ رَشَدَا
فَاعْرِفْ بِقَدْرِ الكِتَابِ فَهْوَ مُعْجِزَةٌ   مَا وَرَدَتْ مِثْلُهَا قَبْلُ وَ لَنْ تَرِدَا
وَ مِنْ مَبَرَّتِهِ اعْتِنَاءُ خَالِقِهِ   بِهِ فَأَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدَا
طَوْراً يُعَاتِبُهُ طَوْراً يُلَاطِفُهُ   وَ فِي كِلَا المَشْهَدَيْنِ رَحْمَةٌ وَ هُدَى
فَكَانَ تَنْبِيهُهُ فِي الأَمْرِ قَبْلَ وُقُو   عِهِ لِيَحْتَاطَ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَرِدَا
فَاعْرِفْ بِهِ فَهْوَ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى أَحَدٍ   سِوَى الإِلَهِ فَكَيْفَ يَنْزَوِي لِعِدَا
وَ اللهُ ثَبَّتَهُ فَلَا يَمِيلُ لَهُمْ   وَالعَتْبُ قَبْلَ الرُّكُونِ مِنْهُ غَيْرُ سُدَى

بَلْ عَتْبُهُ فِيهِ أَسْرَارٌ وَ أَقْرَبُهَا   لِلْفَهْمِ خَوْفٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِلَّ رَدَى
فِي طَيِّ تَخْوِيفِهِ تَأْمِينُهُ وَلَدَى   أَثْنَاء عَتْبٍ بَرَاءَةٍ بِهَا اعتضدَا
وَ مِنْ مَبَرَّاتِهِ تَنْزِيهُ سَاحَتِهِ   فِي النَّاسِ مِنْ نِسْبَةِ الأَعْدَا لَهُ الفَنَدَا
وَ بَيْنَهُمْ قَدْ تَحَقَّقَتْ أَمَانَتُهُ   فَهْوَ الأَمِينُ بِرَغْمِ كُلِّ مَنْ جَحَدَا
وَ ذُو الجَهَالَةِ قَالَ لاَ نُكَذِّبُهُ   لَكِنْ نُكَذِّبُ مَا لَنَا بِهِ وَفَدَا
فَأَنْزَلَ اللهُ مَا عَنْهُ أَتَاحَ بِهِ   حُزْناً وَ أَوْدَعَهُمْ مِن أَجْلِهِ كَمَدَا
وَ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لَهُ وَ تَزْكِيَةٌ   وَ مَا بِهِ قد تَسَلَّى زَادَهُمْ حَرَدَا
فَهُمْ هُمُ عَانَدُوهُ وَ هْوَ عِنْدَهُمُ   مُصَدَّقٌ وَ عَجِيبٌ فِعْلِ مَنْ عَنَدَا
فَهُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ الجَاحِدُونَ بِمَا   أَتَى بِهِ مِنْ هُدَى إِلى النَّجَاةِ هَدَى
وَ مِنْ خَصَائِصِهِ وَ بِرِّ بَارِئِهِ   بِهِ لَدَيْهِ نِدَاؤُهُ بِخَيْرِ نِدَا
نَادَاهُ بِالوَصْفِ تَحْقِيقاً لِرُتْبَتِهِ   بَيْنَ النَّبِيئِينَ تَنْوِيهاً بِهِ انْفَرَدَا
فَقَالَ يَا آدَمُ يَا نُوحُ ثُمَّتَ فِيهِ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّبِي كَمَا وَرَدَا
فَذِكْرُهُ بِجَمِيلِ الوَصْفِ بَيْنَهُمُ   وَذِكْرُهُمْ بِاسْمِهِمْ مَقَامُهُ مَجُدَا
فَاعْرِفْ بِهِ وَ بِهِمْ فَكُلُّهُمْ كَمُلَتْ   أَوْصَافُهُمْ وَ النَّبِي بَيْنَهُمْ صَعِدَا
صَلَّى عَلَيْهِمْ منيل فَضْلِهِ لَهُمُ   مَعْ تَابِعِيهِمْ بِحَقٍّ مَا الهَزَارُ شَدَا

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره

اللهُ فِي مُحْكَمِ القُرْآنِ أَقْسَمَ بِالنَّبِيِّ أَحْمَدَ تَعْظِيماً لَهُ مَجُدَا
وَ لَمْ يَكُنْ مُقْسِماً فِي ذِكْرِهِ بِحَيَا   ةِ غَيْرِهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ أَبَدَا
وَ ذَاكَ مِنْ غَايَةِ التَّكْرِيمِ مِنْهُ لَهُ   ليقدرَ الخَلْقُ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْهُ بَدَا
عَلَى رِسَالَتِهِ بِالحَقِّ أَقْسَمَ فِي   يَاسِينَ وَ هْوَ الَّذِي إِلى الإِلَهِ هَدَى
نَادَاهُ يَا سَيِّداً وَ يَا مُحَمَّدُ يَا   إِنْسَانَ عَيْنِ الوُجُودِ دُمْ مَنَارَ هُدَى
فَاعْرِفْ بِهِ فَهْوَ بَيْنَ المُرْسَلِينَ عَلَى   صِرَاطِ حَقٍّ وَ فِيهِ لاَ تَرَى أَوَدَا
وَ مَكَّةُ شَرُفَتْ حَقاً بِمَوْلِدِهِ   فِيهَا فَأَكْرِمْ بِهَا فَقَدْ سَمَتْ بَلَدَا

مَا مِثْلُ مَكَّةَ فِي البِلَادِ مِنْ بَلَدٍ   حَاشَا مَحَلاً حَوَى فِي طِيبَةَ الجَسَدَا
مِنْ قَبْرِهِ بَرَكَاتٌ فَاحَ أَطْيَبُهَا   بِمَكَّةٍ وَ بِهِ نُورَاهُمَا اتَّحَدَا
طَابَتْ بِهِ طِيبَةٌ وَ مَكَّةٌ شَرُفَتْ   بِهِ وَ كِلْتَاهُمَا بِهِ حَوَتْ مَدَدَا
فَاعْرِفْ بِمَكَّةَ فَهْيَ عِنْدَهُ البَلَدُ الأَ   مِينُ حَلَّ بِهَا الأَمِينُ مُتَّئِدَا
قَد أَقْسَمَ اللهُ تَنْوِيهاً بِرِفْعَتِهِ   إِذْ حَلَّ فِيهَا وَ فِيهَا قَدْ وَقَاهُ رَدَى
دُخُولُهَا دُونَ إِحْرَامٍ أُحِلَّ لَهُ   وَ لَمْ تَكُنْ قَد أُحِلَّتْ لِلسِّوَى أَبَدَا
وَ قَد أُحِلَّتْ لَدَيْهِ سَاعَةً فَسَبَى   مَنْ كَانَ فِيهَا عَتَا أَوْ قَلْبُهُ فَسَدَا
وَ بَعْدَمَا أَقْسَمَ المَوْلَى بِهَا قَسَماً   ثَنَّى فَقَالَ وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدَا
فَالوَالِدُ المُصْطَفَى وَ الوِلْدُ أُمَّتُهُ   نَفْسِي لَهُ دَائِماً بَيْنَ الأَنَامِ فِدَا
فَإِنْ يَكُنْ هُو آدَماً غَدَا فَلَكَمْ   أَسْدَى إِلَيْهِ النَّبِيُّ فِي الوُجُودِ يَدَا
وَ إِنْ يَكُنْ هُوَ إِبْرَاهِيمُ فَهْوَ لَهُ ابْنٌ وَ هُوَ بَيْنَ بَنِيهِ بِالعُلَا قُصِدَا
فَقَدْ غَدَا مُقْسِماً فِي المَوْطِنَيْنِ بِهِ   بِحَضْرَةٍ غَابَ مِنْهَا أَوْ بِهَا شَهِدَا
وَ قَارَنَ اللهُ بِاسْمِهِ اسْمَهُ مَعَهُ   جِبْرِيلُ ضِمْنَ الم وَ قَدْ مُجِدَا
حُرُوفُهَا اللهُ جِبْرِيلٌ مُحَمَّدُنَا   وَ كُلُّهَا مِنْكَ أَقْسَامٌ تُرِيكَ هُدَى
اللهُ أَنْزَلَ جِبْرِيلاً عَلَيْهِ بِقُرْ   آنٍ وَ لَاشَكَّ فِيهِ عِنْدَ مَنْ سَعِدَا
نَاهِيكَ نَاهِيكَ بِالقُرْآنِ مُعْجِزَةً   مِنْ ضِمْنِهَا اسْمُ مُحَمَّدٍ خَفَا وَ بَدَا
قَد أَقْسَمَ الحَقُّ أَنَّهُ الكِتَابُ وَ لَا   مِرَاءَ فِيهِ وَ لَا رَيْباً وَ لَا فَنَدَا
بِهِ عَلَى قَلْبِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ أَتَى   وَبَثَّ فِيهِ الَّذِي بِهِ لَهُ وَفَدَا
فَكَانَ قَافاً مُحِيطاً بِالوُجُودِ لَهُ   قَد أَقْسَمَ الحَقُّ أَنَّهُ حَوَى الرَّشَدَا
قَوَّاهُ فِي حَمْلِ مَا عَلَيْهِ أَنْزَلَهُ   حَتَّى تَقَوَّى بِهِ وَ شَاهَدَ الأَحَدَا
وَ أَنَّهُ النَّجْمُ فِي وَ النَّجْمِ قَدْ شَرُقَتْ   أَنْوَارُهُ دَائِماً وَ فِي العُلَى صَعِدَا
فَاعْرِفْ بِهِ إِذْ يَقُولُ اللهُ فِيهِ لَنَا   مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى أَبَدَا
وَ أَنَّهُ الفَجْرُ مِنْهُ قَدْ تَفَجَّرَتِ الأَسْرَارُ حَتَّى لَقَدْ عَمَّ الوَرَى مَدَدَا
عَلَيْهِ أَزْكَى سَلَامٍ فَاحَ مِنْهُ شَذَا   مَا أَنْشَدَ المُتَغَنِّي مَدْحَهُ وَ شَدَا
يَعُمُّ آلاً وَ أَصْحَاباً لَهُمْ كَمُلَتْ   بِهِ المَزَايَا الَّتِي لَمْ أُحْصِهَا عَدَدَا

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده

اللهُ رَقَّى النَّبِيَّ فِي عُلَى كَرُمَتْ   فِي ظِلِّهَا كُلُّ ذِي كَرَامَةٍ قَعَدَا
وَخَصَّهُ فِي بِسَاطِ قُرْبِهِ بِعُلَا   لَهُ عَنَا كُلُّ عَالٍ فِي العُلَى صَعِدَا
وَ أَقْسَمَ الحَقُّ رَغْماً لِلْعِدَاةِ بِهِ   بِأَنَّهُ مَالَهُ بِتَارِكٍ أَبَدَا
فَلَمْ يَدَعْهُ وَ مَا قَلَاهُ جَلَّ عُلَى   وَ كَيْفَ يُهْمَلُ مَنْ لَهُ الوَرَى وُجِدَا
أَعْطَاهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرَامَتَهُ   وَ كَمْ أَعَدَّ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ وَ جَدَا
وَ اللهُ وَاعَدَهُ بِخَيْرِ آخِرَةٍ   فَنَالَ خَيْراً مِنَ الأُولَى كَمَا وُعِدَا
وَ الخَيْرُ مُدَّخَرٌ مِنْهُ لِأُمَّتِهِ   وَ لِلْوَرَى مِنْ شَفَاعَةٍ بِهَا انْفَرَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ مُكْرِماً لَهُ لِيُرْضِيَهُ   حَتَّى يَقُولَ رَضِيتُ وَ هْوَ قَدْ سَجَدَا
وَ لَيْسَ يَرْضَى وَ وَاحِدٌ مِن أُمَّتِهِ   فِي النَّارِ خُلِّدَ أَوْ تُشْوَى لَهُ الخلَدَا
أَرْضَاهُ بِالفَتْحِ فِي الدُّنْيَا وَ نَاوَلَهُ   أُخْرَى الثَّوَابَ الَّذِي فِيهِ الهَنَاءُ بَدَا
أَهْدَى لَهُ عَمَّهُ وَ عَمَّهُ بِرِضَى   فِي حَالِ يُتْمٍ بِهِ فَلَمْ يُصِبْهُ رَدَى
أَغْنَاهُ سُبْحَانَهُ دُنْيَا وَ سَاعَدَهُ   بِمَا بِهِ قَدْ أَقَرَّ أَعْيُنَ السُّعَدَا
آوَاهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ فَانْشَرَحَتْ   بِهِ الصُّدُورُ وَ كَمْ أَهْدَى لَهَا وَ هَدَى
فَيَمْنَحُ الخَلْقَ مِمَّا اللهُ خَوَّلَهُ   مَعَ التَّحَدُّثِ بِالنعمَى الَّتِي وَجَدَا
مَا زَالَ يَشْكُرُ مَوْلَاهُ وَ يُرْشِدُهُمْ   لِشُكْرِهِ وَ الشَّكُورُ فِي الوَرَى رُشِدَا
أَمَا وَ حَقِّ عُلَاهُ وَ هْوَ فِيهِ عَلَا   لِأَنَّهُ الثَّاقِبُ النَّجْمُ الَّذِي صَعِدَا
أَوْحَى لَهُ اللهُ مَا أَوْحَى وَ عَنْهُ نَفَى   أَوْحَالَهُ فَغَدَا عَلَيْهِ مُعْتَمِدَا
وَ قَدْ رَأَى أَكْبَرَ الآيَاتِ فِي عَلَنٍ   مِنْ رَبِّهِ فَغَدَا النُّورُ الَّذِي اتَّقَدَا
وَ قَدْ أَتَاحَ لَهُ مَا اللهُ يَعْلَمُهُ   وَ العَقْلُ فِي ذِكْرِهِ يَصِيرُ مُرْتَعِدَا
وَ مَبْلَغُ الخَلْقِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ   لَمْ يَخْلُقِ اللهُ مِنْهُمْ مِثْلَهُ أَبَدَا
زَكَّاهُ ذَاتاً وَ نَفْساً فَهْوَ أَكْمَلُهُمْ   خَلْقاً وَ خُلْقاً وَ تَدْبِيراً وَ مُعْتَقَدَا
زَكَّى بَوَاطِنَهُ زَكَّى ظَوَاهِرَهُ   وَ كُلُّ شَيْءٍ جَمِيلٍ فَهْوَ مِنْهُ بَدَا
مَا كَانَ يَنْطِقُ عَنْ هَوًى وَ إِنَّ لَهُ   جَوَامِعَ الكَلِمِ الَّتِي بِهِنَّ هَدَى

وَ لَمْ يَكُنْ بِضَنِينٍ أَوْ بِمُتَّهَمٍ   فِيمَا بِهِ جَاءَ يَدْعُو الْخَلْقَ مُذْ وَرَدَا
فَهْوَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ عِنْدَ مُرْسِلِهِ   وَ هْوَ الأَمِينُ عَلَى وَحْيٍ بِهِ وَفَدَا
وَ إِنَّ جِبْرِيلَ مِنْ خُدَّامِ جَانِبِهِ   لَوْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ قَطْعاً وَ لاَ وُجِدَا
وَ هْوَ الَّذِي الْخُلُقُ الْعَظِيمُ شِيمَتُهُ   إِنْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مِنْهُ الْخَيْرَ لَنْ تَجِدَا
وَ قَدْ نَفَى اللهُ عَنْهُ مَا رَمَاهُ بِهِ   حُسَّادُهُ بِالَّذِي قَدْ زَادَهُمْ حَسَدَا
و اللهُ وَاعَدَهُ أَجْراً وَ لاَطَفَهُ   حَتَّى انْجَلَى عَنْهُ مَا عَنْهُمْ بِهِ وَجَدَا
وَ أَجْرُهُ غَيْرُ مَمْنُونٍ وَ مُنْقَطِعٍ   وَ فِيهِ دُنْيَا وَ أُخْرَى كَمْ مِنَنْ وَجَدَا
سَلاَّهُ سُبْحَانَهُ بِمَا سَيُبْصِرُهُ   فِيهِمْ وَ مَا سَيَرَوْنَ هَا هُنَا وَ غَدَا
وَ صَارَ مُنْتَصِراً لَهُ بِذَمِّ عَدُ   وِّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ فِي الدِّينِ مُلْتَحِدَا
أَبَانَ مِنْهُ عَلَى خُرْطُومِهِ سِمَةً   بِهَا يُقَادُ إِلَى مِهْوَاةِ كُلِّ رَدَى
وَ مَنْ لَهُ انْتَصَرَ الْحَقُّ الْمُبِينُ فَقَدْ   كَفَاهُ دُنْيَا وَ أُخْرَى الْهَمَّ وَ الْكَمَدَا
نَعُوذُ بِاللهِ مِمَّنْ عَانَدُوهُ وَ مِنْ   شَرِّ الأَعَادِي وَ مِنْ شَرِّ الَّذِي حَسَدَا

الفصل السادس
فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام
مورد الشفقة و الإكرام

لِلَّهِ بِالْمُصْطَفَى عِنَايَةٌ كَمُلَتْ   فَلَمْ يُصِبْهُ عَنًى فِي نَيْلِ مَا قَصَدَا
وَ كَانَ إِكْرَامُهُ لَهُ بِمَكْرُمَةٍ   مِنْ ضِمْنِهَا كُلُّ جُودٍ فِي الْوُجُودِ بَدَا
وَ هْوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ مِنْهُ لَهُ   وَ فِيهِ نَادَاهُ إِجْلاَلاً بِخَيْرِ نِدَا
فَقَالَ سُبْحَانَهُ طَهَ وَ ذَلِكَ مِنْ   تَنْوِيهِهِ بِمَقَامِهِ الَّذِي صَعِدَا
نَادَاهُ يَا طَاهِراً يَا هَادِياً لَكَ فِي   حَظَائِرِ الْقُرْبِ مِنِّي مَنْصِبٌ مَجُدَا
هِيَ هَامَةَ الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا بِرِجْلِكَ فَوْ   قَ الأَرْضِ تَرْقَى وَ لاَ تَشْقَى لِنَيْلِ جَدَا
فَأَنْتَ مُحْرِزُ مَا تَبْغِي بِلاَ تَعَبٍ   وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَرَى فَعُمَّهُمْ مَدَدَا
فَكَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ شَاكِرَهُ   يَزِيدُ شُكْراً لَهُ إِنْ قَامَ أَوْ قَعَدَا
وَ اللهُ أَشْفَقَ إِشْفَاقاً عَلَيْهِ وَ لَمْ   يَزَلْ بِهِ مُشْفِقاً إِنْ قَامَ أَوْ رَقَدَا

رَآهُ سُبْحَانَهُ مِن أَجْلِ أُمَّتِهِ   لَهُ اهْتِمَامٌ بِهِمْ يُفَتِّتُ الكَبِدَا
وَ كَادَ يَبْخَعُ نَفْسَهُ بِهِمْ أَسَفاً   مِنْ أَجْلِ تَرْكِهِمُ الإِيمَانَ وَ السَّدَدَا
وَ قَدْ تَحَمَّلَ مِنْ سُوءٍ أَضَرَّ بِهِ   مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ مَا زَادَهُ كَمَدَا
وَ قَامَ بِالأَمْرِ صَادِعاً وَ أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَ هْوَ حَقّاً عَلَى مَوْلاَهُمُ اعْتَمَدَا
سَلاَّهُ سُبْحَانَهُ بِمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ   رُسْلٍ قد اسْتُهْزِئَتْ بِهِمْ أَخَسُّ عِدَا
فَكَمْ أَهَانُوا رَسُولاً قَبْلَهُ سَفَهاً   وَ كَمْ نَبِيٍّ أَذَاقُوهُ كُؤُوسَ رَدَى
وَ كَمْ نَبِيٍّ رَمُوهُ بِالجُنُونِ وَ كَمْ   رَمَوْا بِسِحْرٍ رَسُولاً جَاءَهُمْ بِهُدَى
سَلاَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِمْ وَ أَيَّدَهُ   بِالحَقِّ وَ هْوَ بِحَقٍّ كَانَ مُعْتَضِدَا
فَأَذْهَبَ الحُزْنَ عَنْهُ بَيْنَهُمْ وَ أَرَا   هُ فِيهِمُ مَا يَسُرُّ عِنْدَهُ الخَلَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ بِمَلُومٍ فِي رِسَالَتِهِ   لَهُمْ وَ أَدَّى لَهُمْ هُدَاهُ خَيْرَ أَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ آيَةٍ لَهُ مُصَرِّحَةً   بِأَنَّهُ لاَ يَمَسُّهُ الأَذَى أَبَدَا
فَكَانَ مُسْتَسْلِماً لِلْحُكْمِ مُنْتَصِراً   بِالحَقِّ مَلْحُوظَ مِقْدَارٍ بِهِ انْفَرَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي آتَاهُ حِكْمَتَهُ   حَتَّى غَدَا مَوْرِداً لِكُلِّ مَنْ وَرَدَا
مَعَ السَّلاَمِ عَلَى أَتْبَاعِ سُنَّتِهِ   مَا قَامَ عَبْدٌ لِذِكْرِ اللهِ أَوْ سَجَدَا

الفصل السابع

فيما أخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره و شريف منزلته على الأنبياء و حظوة رتبته

اللهُ خَصَّ النَّبِيَّ المُصْطَفَى بِعُلَى   لَمْ يَرْقَ فِيهَا السِّوَى بَيْنَ الوَرَى أَبَدَا
لَهُ عَلَى الأَنْبِيَا مَوَاثِقٌ أُخِذَتْ   لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ بِرَغْمِ مَنْ جَحَدَا
فَنَوَّهَ الحَقُّ بَيْنَهُمْ بِرِفْعَتِهِ   فِي عَصْرِهِمْ وَ هْوَ بَعْدَ عَصْرِهِمْ وُجِدَا
وَ كُلُّهُمْ أَخَذُوا عُهُودَ قَوْمِهِمُ   بِنَصْرِهِ مَعَ إِيمَانٍ إِذَا وَرَدَا
فَصَارَ أَهْلُ الكِتَابِ عَارِفِينَ بِهِ   عَيْناً مَعَ اسْمٍ وَ وَصْفٍ عِنْدَهُمْ عُهِدَا
لَكِنَّهُمْ عَانَدُوا فِي الحَقِّ فَاحْتَمَلُوا   إِثْماً وَ يَا وَيْحَ مَنْ فِي الحَقِّ قَدْ عَنَدَا
إِنْ كَانَ فِي الأَنْبِيَا آخِرَهُمْ زَمَناً   فَإِنَّهُ أَوَّلٌ فِي الذِّكْرِ قَدْ سُرِدَا

وَ اللهُ فَضَّلَ بَعْضَ الأَنْبِيَاءِ عَلَى   بَعْضٍ وَ أَفْضَلُهُمْ هَذَا الَّذِي حُمِدَا
لَهُ عَلَتْ دَرَجَاتٌ فِي العُلَى رَفَعَتْ   بِهِ إِلَى حَضْرَةٍ مَقَامُهَا صَعِدَا
وَ لَمْ يَكُنْ لِسِوَاهُ خَيْرُ مَنْفَعَةٍ   إِلاَّ وَ قَدْ نَالَ مِنْ أَمْثَالِهَا عَدَدَا
بِهِ النُّبُوَّةُ و الرِّسَالَةُ أبْتَهَجَتْ   وَ هُوَ الَّذِي فِيهِمَا نُودِي بِخَيْرِ نِدَا
وَ إِنَّ مِنْ شِيعَةِ النَّبِي لإِبْرَهِمَا   فَاعْرِفْ بِهِ فَهْوَ تَنْوِيهٌ بِهِ انْفَرَدَا
عَلَيْهِ خَيْرُ صَلاَةٍ لاَ انْتِهَاءَ لَهَا   مَعَ السَّلاَمِ عَلَى الأَتْبَاعِ دُونَ مَدَا

الفصل الثامن

في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه و ولايته له و دفعه العذاب بسببه صلوات الله عليه

اللهُ أَعْلَمَ كُلَّ الخَلْقِ أَنَّ لَهُ   عِنَايَةً بِأَجَلِّ رُسْلِهِ الرُّشَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ وَ وَالاَهُ فَكَانَ بِهِ   تَدْفَعُ العَذَابِ وَ عَنْهُ قَدْ نَفَى النَّكَدَا
بِهِ لِأُمَّتِهِ كَانَ الأَمَانُ فَلَمْ   يَخْشَوا أَذًى وَرَدًى عَلَى السِّوَى وَرَدَا
فَكَانَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ الأَمَانُ بِهِ   لَهُمْ وَ حُقَّ بِهِ الأَمَانُ مُذْ وُجِدَا
وَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ كَانَ الأَمَانُ لَهُمْ   بِمَنْ بِهِ آمَنُوا وَ اسْتَغْفَرُوا الأَحَدَا
وَ بَعْدَمَا هَاجَرُوا مِنْهَا أَحَاطَ بِأَ   هْلِ الكُفْرِ فِيهَا عَذَابٌ لَمْ يَزَلْ صَعِدَا
فَأَوْرَثَ اللهُ مَا لِلْكَافِرِينَ بِهَا   فَضْلاً لِمَنْ هَاجَرُوا وَ زَادَهُمْ مَدَدَا
وَ عَادَ أَنْصَارُ خَيْرِ الخَلْقِ فِي فَرَحٍ   بِهِ إِلَى قَوْمِهِمْ وَ أَحْرَزُوا السَّدَدَا
هُوَ الأَمَانُ الحَقِيقِي بَيْنَ أُمَّتِهِ   غَدًا لَهُمْ أَمْسِ بَلْ وَ اليَوْمَ بَلْ وَ غَدَا
فَنَالَ أَصْحَابُهُ بِهِ الأَمَانِي مَعَ   سِرِّ الأَمَانِ الَّذِي فِيهِ كَمَالُ هُدَى
قَدْ كَانَ قَيْدَ حَيَاتِهِ الأَمَانُ لَهُمْ   مِنْ بِدْعَةٍ و اخْتِلاَفٍ يُنْتِجُ الحَرَدَا
وَ قَالَ إِنِّي إِذَا مَضِيتُ أَتْرُكُ الِا   سْتِغْفَارَ فِيكُمْ أَمَاناً فِيهِ خَيْرُ جَدَا
فَاقْدِرْ بِهِ قَدْرَ الاسْتِغْفَارِ وَ اعْنَ بِهِ   وَ اعْرِفْ بِحَقِّ الرَّسُولِ سَيِّدِ الشُّهَدَا
قَدْ كَانَ لِلْعَالَمِينَ رَحْمَةً شَمِلَتْ   لِسَائِرِ الأَشْقِيَا وَ سَائِرِ السُّعَدَا
وَ المُؤْمِنُونَ بِهِ مُؤَمَّنُونَ إِلَى   أَنْ يَتْرُكُوا السُّنَّةَ الَّتِي بِهَا وَفَدَا

وَ اللهُ أَظْهَرَ فَضْلَ المُصْطَفَى بِصَلَا   تِهِ عَلَيْهِ وَ فِيهَا الخَيْرُ قَدْ حُشِدَا
صَلَّى عَلَيْهِ مَعَ الأَمْلَاكِ قَاطِبَةً   وَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ حُمِدَا
وَ المُؤْمِنُونَ بِهَا قَدْ جَاءَ أَمْرُهُمُ   مَعَ السَّلَامِ بِتَأْكِيدٍ عَلَيْهِ بَدَا
وَ ذَاكَ مِنْ سِرِّ تَعْظِيمِ الإِلَهِ لَهُ   بِهَا فَأَعْظِمْ فِي صَلَاتِهِ المَدَدَا
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُهُ مِمَّا بِهِ انْفَرَدَتْ   مِنَ المَزَايَا الَّتِي بِهَا قَد انْفَرَدَا
كَفَاكَ فِيهِ بِأَنْ تَمَّتْ كِفَايَتُهُ   بِاللهِ عَنْ غَيْرِهِ فَنَالَ مَا قَصَدَا
هَدَاهُ سُبْحَانَهُ فَكَانَ مِنْهُ لَهُ   هِدَايَةٌ دَائِماً بِهَا اهْتَدَى وَ هَدَى
يُؤَيِّدُ الحَقَّ وَ المَوْلَى يُؤَيِّدُهُ   فِي الخَلْقِ بِالنَّصْرِ مَهْمَا مَدَّ مِنْهُ يَدَا
عَطَاؤُهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ وَ عِصْمَتُهُ   بِاللهِ زَادَتْهُ إِجْلَالاً بِهِ حُمِدَا
صَلَاتُهُ جَمَعَتْ كُلَّ الصِّلَاتِ لَهُ   فَجُلَّ قَدْرُ الصَّلَاةِ عِنْدَ مَنْ عَبَدَا
وَ اللهُ مَوْلَاهُ قَدْ أَوْلَاهُ نُصْرَتَهُ   عَلَى العِدَا وَ عَلَى الَّذِي عَلَيْهِ عَدَا
وَ مَنْ وَلِيُّهُ مَوْلَاهُ وَ نَاصِرُهُ   جِبْرِيلُ وَ المُؤْمِنُونَ لَمْ يَخَفْ أَبَدَا

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته عليه السلام

لِلْمُصْطَفَى المُجْتَبَى الفَتْحُ المُبِينُ بَدَا   وَ نَالَ مَا لَمْ يَنَلْهُ غَيْرُهُ أَبَدَا
فَلَمْ يُؤَاخِذْهُ مَوْلَاهُ الكَرِيمُ عَلَى   مَا كَانَ مِنْهُ وَ مَا يَكُونُ قَدْ وُجِدَا
وَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ غَيْرُ الخَيْرِ عِنْدَ ذَوِي الدِّينِ القَوِيمِ بِرَغْمِ كُلِّ مَنْ عَنَدَا
وَ قَدْ أَتَمَّ عَلَيْهِ اللهُ نِعْمَتَهُ   بِرَدْعِ كُلِّ العِدَا وَ مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
وَ حَلَّ مَكَّةَ مَغْفُوراً لَهُ وَ بِهَا   حَلَّ المَقَامَ الَّذِي بِهِ قَد انْفَرَدَا
فَصَارَ مَرْفُوعَ ذِكْرٍ فِي مَحَافِلِهِمْ   مَحَا بِهِ اللهُ شَرَّ الشِّرْكِ فِي السُّعَدَا
حَبَاهُ مِنْ نَصْرِهِ النَّصْرَ العَزِيزَ وَ لَمْ   يَزَلْ مُمِدّاً لَهُ فِيمَا خَفَى وَ بَدَا
عَلَى الصِّرَاطِ القَوِيمِ سَارَ مُهْتَدِياً   وَ هَادِياً وَ هْوَ بَيْنَ الخَلْقِ كَهْفُ هُدَى
وَ المُؤْمِنُونَ بِهِ اطْمَأَنَّ صَدْرُهُمُ   إِذْ خَصَّهُمْ بِرِضَى وَ زَادَهُمْ مَدَدَا
نَالُوا بِهِ الفَوْزَ فِي دُنْيَا و آخِرَةٍ   وَ كُلُّهُمْ نَالَ مِنْ مَوْلَاهُ مَا قَصَدَا

وَ اللهُ أَنْزَلَ بَيْنَهُمْ سَكِينَتَهُ   عَلَى قُلُوبِهِمُ فَلَمْ يَرَوْا نَكَدَا
عَنْهُمْ عَفَا اللهُ مِنْ أَجْلِ النَّبِيِّ وَ مَنْ   عَنْهُ عَفَا اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ سَعِدَا
وَ قَدْ تَحَقَّقَتِ الْبُشْرَى بِهِ لَهُمُ   بِمَا لَهُمْ بَعْدْ مِمَّا يَحْمَدُونَ غَدَا
يَرَوْنَ أَعْدَاءَهُمْ فِي سُوءِ مُنْقَلَبِ   تَقَلَّبُوا فَوْقَ جَمْرٍ دَامَ مُتَّقِدَا
وَ المُصْطَفَى لَمْ يَزَلْ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً فِيهِمُ وَ عَلَى الْجَمِيعِ قَدْ شَهِدَا
أَكْرِمْ بِهِ شَاهِداً أَدَّى رِسَالَتَهُ   وِفْقَ الَّذِي أَمَرَ المَوْلَى بِخَيْرِ أَدَا
فَقَدْ غَدَا شَاهِداً لِكُلِّ أُمَّتِهِ   فِي حُسْنِ تَوْحِيدِهِمْ لِمَنْ لَهُ عَبَدَا
مُبَشِّراً لَهُمُ بِغَفْرِ ذَنْبِهِمُ   مَعَ الثَّوَابِ الَّذِي ازْدَادُوا بِهِ رَشَدَا
وَ مُنْذِراً لِعِدَاهُ بِالعَذَابِ وَ مِنْ   نَهْجِ الضَّلَالِ مُحَذِّراً لِأَهْلِ هُدَى
فَحُقَّ تَعْزِيرُهُ مَعْ مَنْ يُوَقِّرُهُ   وَ هْوَ المُحِقُّ الَّذِي لِلحَقِّ قَدْ عَضَدَا
وَ حُقَّ تَسْبِيحُ مَنْ بِالحَقِّ أَرْسَلَهُ   لِلْخَلْقِ شُكْراً لَهُ شُكْراً بِغَيْرِ مَدَى
وَ سُورَةُ الفَتْحِ قَد أَثْنَتْ عَلَيْهِ بِمَا اسْتَحَقَّ مِنْ خَيْرِ أَمْدَاحٍ بِهَا حُمِدَا
فِيهَا لَهُ نِعَمٌ جَاءَتْ مُعَدَّدَةً   فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَظِيمُ جَدَى
مِنْهَا هِدَايَتُهُ مِنْهَا وِلَايَتُهُ   مِنْهَا نُبُوَّتُهُ مِنْهَا الَّذِي شَهِدَا
مِنْهَا مُشَاهَدَةُ الفَتْحِ المُبِينِ لَهُ   مَعْ خَيْرِ مَغْفِرَةٍ بِهَا قَد اتَّأَدَا
مِنْهَا مَحَبَّةُ مَوْلَاهُ الَّتِي ضَمِنَتْ   لَهُ دَوَامَ رِضَاهُ وِفْقَ مَا اعْتَقَدَا
مِنْهَا كَمَالُ اخْتِصَاصٍ بِالكَمَالِ فَلَمْ   يُوجَدْ مِنَ الخَلْقِ مِثْلُهُ وَ لَا وُجِدَا
مِنْهَا تَمَامُ خُصُوصِ رَحْمَةٍ شَمِلَتْ   بِهِ عُمُومَ الوَرَى فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
مِنْهَا بَرَاءَتُهُ مِنَ العُيُوبِ فَلَمْ   يَمَسَّ جَانِبَهُ أَدْنَى هَوًى أَبَدَا
مِنْهَا ارْتِقَاءُ عُلَاهُ فَوْقَ كُلِّ عُلَى   عَلَا بِهَا الخَلْقُ مِمَّنْ فِي العُلَى صَعِدَا
مِنْهَا شَرِيعَتُهُ لِغَيْرِهَا نَسَخَتْ   وَ لَيْسَ يَقْبَلُ فِيهَا الحَقُّ مُنْتَقِدَا
مِنْهَا بَدَا بَعْثُهُ لِأَسْوَدٍ وَ لِأَحْمَرٍ وَ لِلنَّاسِ طُرّاً لِلنَّجَاةِ هُدَى
مِنْهَا الغَنَائِمُ قَد حَلَّتْ لِأُمَّتِهِ   كَمَا لَهُ قَدْ أَحَلَّتْ فِي كَمَالِ هُدَى
مِنْهَا سِيَادَتُهُ عَلَى الوُجُودِ بَدَتْ   لِمْ لَا وَ فِيهِ وَ مِنْهُ الجُودُ قَدْ وَرَدَا
مِنْهَا رِضَى رَبِّهِ مُقَارَنٌ بِرِضَا   هُ حَيْثُ كَانَ يَكُونُ وَاقِياً لِرَدَى
مِنْهَا العُرُوجُ بِهِ إِلَى بِسَاطِ هَنَا   بِهِ غَدَا بِكَمَالِ الحِفْظِ مُتَّئِدَا

مِنْهَا ارْتِبَاطُ عُرَى التَّوْحِيدِ فَهْوَ بِهِ   تَمَّتْ شَهَادَةُ مَنْ لِلَّهِ قَدْ عَبَدَا
مِنْهَا شَفَاعَتُهُ فِي الخَلْقِ قَدْ قُبِلَتْ   عِنْدَ الإِلَهِ الَّذِي أَوْفَاهُ مَا وَعَدَا
فَاقْدِرْ بِقَدْرِ رَسُولِ اللهِ فَهْوَ لَهُ   مَا لَمْ يَكُنْ لِسِوَاهُ مِنْ كَمَالِ جَدَى
إِنَّ الذِينَ هُمُ قَدْ بَايَعُوهُ فَمَا   هُمْ بَايَعُوا غَيْرَ مَوْلَاهُ الَّذِي حُمِدَا
مَدُّوا لَهُ لِتَمَامِ العَهْدِ أَيْدِيهِمُ   وَ فَوْقَ أَيْدِيهِمُ المَوْلَى أَجَلُّ يَدَا
فَاعْرِفْ بِهَا مِنْ يَدٍ دَلَّتْ عَلَى شَرَفِ النَّبِي بِتَنْوِيهِ قَدْرِهِ الَّذِي مَجُدَا
فَقَدْ تَوَثَّقَ مِنْهُ حَبْلُ حُبِّهِمُ   فِيهِ وَ مَا فَسَخُوا الحَبْلَ الَّذِي عُقِدَا
جَلَّتْ بِهِ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ إِذْ شُمِلُوا   مِنَ الرِّضَى بَيْنَ كُلِّ الخَلْقِ خَيْرَ رِدَا
لِلَّهِ مِنْ بَيْعَةٍ دَلَّتْ عَلَى عِظَمِ الشَّأْنِ المَنُوطِ بِخَيْرِ الخَلْقِ فِي السُّعَدَا
فَاللهُ أَعْلَى بِهِمْ مَنَارَهُ فَعَلَا   مِقْدَارُهُمْ إِذْ بِهِ مَقَامُهُمْ صَعِدَا
قَدْ أَرْغَمُوا أَنْفَ مَنْ عَادَاهُ مُنْذُ غَدَوْا   أَنْصَارَهُ وَ أَذَلُّوا مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
وَ اللهُ أَيَّدَهُ بِهِمْ وَ أَيَّدَهُمْ   بِهِ وَ أَسْدَى إِلَيْهِمْ مِنْ نَدَاهُ يَدَا
وَ قَدْ غَدَتْ فِي الوَرَى عِدَاهُ صَاغِرَةً   وَ هَزْمُهُمْ فِي الوَغَى قَدْ صَارَ مُطَّرِدَا
وَ قَدْ رَمَى كَفُّهُ وُجُوهَهُمْ بِحَصَى   فَصَارَ جَمْعُهُمُ زَرْعاً لَهُ حُصِدَا
وَ مَا رَمَى إِذْ رَمَى وَ اللهُ عَنْهُ رَمَى   فِي قَلْبِهِمْ جَزَعاً فِي عَيْنِهِمْ رَمَدَا
فَلَا تَرَى غَيْرَ مَقْتُولٍ وَ مُنْهَزِمٍ   مِنْهُمْ وَ غَيْرَ أَسِيرٍ عِنْدَهُ رفدا
فَاعْرِفْ بِسَطْوَةِ مَوْلَاهُ فَإِنَّ لَهُ   بِهِ اعْتِنَاءٌ بِهِ كَفَاهُ شَرَّ عِدَا
عَلَيْهِ مِنْهُ تَحِيَّاتٌ مُبَارَكَةٌ   تَعُمُّ آلاً وَ أَصْحَاباً بِغَيْرِ مَدَى

الفصل العاشر

فيما أظهره في كتابه العزيز من كرامته عليه و مكانته عنده و ما خصه به

لِلْمُصْطَفَى الفَضْلُ بَيْنَ العَالَمِينَ بَدَا   وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ كَمَالَاتٍ بِهَا انْفَرَدَا
وَ آيُهُ لَيْسَ يُحْصِي عَدَّهَا أَحَدٌ   وَ كَيْفَ تُحْصَرُ وَ هْيَ فَاقَتِ العَدَدَا
مِنْهَا أَتَتْ قِصَّةُ الإِسْرَاءِ وَ هْيَ لَهُ   مِنَ المَزَايَا الَّتِي مِنْهَا سَنَاهُ بَدَا

قَدِ انْطَوَتْ فِي مَجَالِيهَا عَلَى عَجَبِ العُجَابِ مِمَّا يَزِيدُ المُهْتَدِينَ هُدَى

قَدْ شَاهَدَ الحَقَّ حَقّاً فِي مَشَاهِدِهِ   مِنْ غَيْرِ حَجْبٍ وَ لاَ كَيْفٍ لِمَا شَهِدَا
وَ مِنْ كَرَامَاتِهِ كَمَالُ عِصْمَتِهِ   مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَهْمَا صَارَ مُنْفَرِدَا
كَمْ حَاوَلُوا قَتْلَهُ وَ اللهُ حَافِظُهُ   مِنْهُمْ وَ مِمَّنْ عَلَيْهِ بَيْنَهُمْ حَقَدَا
وَ كَمْ بِهِ مَكَرُوا وَ المَكْرُ حَاقَ بِهِمْ   فِي دَارِ نَدْوَتِهِمْ وَ شَيْخُهُمْ طُرِدَا
قَدْ جَاءَ شَيْخُهُمُ النَّجْدِي بِنَصْحِهِمُ   فَتَابَعُوا رَأْيَهُ وَ مَا رَأَوْا رَشَدَا
فَهُمْ هُمُ قَدْ تَحَزَّبُوا عَلَيْهِ إِلَى   أَنَ اخْرَجُوهُ لِأَرْضٍ مَا بِهَا وُلِدَا
وَ اللهُ أَنْجَاهُ مِنْهُمْ وَ صَاحِبَهُ   وَ الحِفْظُ صَاحَبَهُ فِي الغَارِ مُتَّئِدَا
قد اقْتَفُوا إِثْرَهُ حَتَّى انْتَهُوا لِحِمًى   ثَوَى الحَمَامُ بِهِ وَ مَا رَأَوْا أَحَدَا
وَاهاً عَلَيْهِمْ فَقَدْ ضَلُّوا السَّبِيلَ وَ مَا   نَالُوا مُنَاهُمْ وَ عَادُوا نَافِضِينَ يَدَا
وَ هَاجَرَ المُصْطَفَى وَ مَا جَرَى لَهُمُ   مِنْ بَعْدِ هِجْرَتِهِ يَكْفِيهِمْ كَمَدَا
وَ حِينَ سَارَ سَرَى سُرَاقَةٌ حَنَقاً   عَلَيْهِ يَطْلُبُهُ وَ عَادَ مُرْتَعِدَا
نَادَاهُ رُحْمَاكَ يَا مُحَمَّدُ فَأَنَا   لَدَيْكَ لِي رَحِمٌ لَمْ تَنْسَهَا أَبَدَا
تَلاَفَ أَمْرِي فَإِنِّي صِرْتُ فِي تَلَفٍ   وَ قَدْ وَرِدْتُ بِمَا أَرَدْتُ شَرَّ رَدَى
وَ هَا أَنَا تَائِبٌ مِمَّا جَنِيتُ وَ لاَ   أَعُودُ مِنْ بَعْدِهَا مِمَّنْ عَلَيْكَ عَدَا
وَ بَعْدَ ذَا لَفَظَتْهُ الأَرْضُ وَ هْوَ بِهَا   قَدْ كَانَ غَاصَ وَ لَوْلاَهُ لَمَاتَ سُدَى
وَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَذَلَّ شَانِئَهُ   وَ حَطَّ مِنْ شَأْنِهِ إِذْ شَأْنُهُ حَسَدَا
وَ مِنْ كَرَامَاتِهِ أَنْ فَاضَ كَوْثَرُهُ   لَهُ بِخَيْرٍ كَثِيرٍ مَا لَدَيْهِ مَدَى
وَ اللهُ أَعْطَاهُ فِيهِ كُلَّ أُمْنِيَةٍ   وِفْقَ الَّذِي فِيهِ بَيْنَ خَلْقِهِ اعْتَقَدَا
آتَاهُ حَوْضاً جَمِيعُ الوَارِدِينَ لَهُ   يَحْظُونَ مِنْهُ بِمَا سَيَحْمَدُوهُ غَدَا
وَ خَصَّهُ بِشَفَاعَةٍ مُنَاسِبَةٍ   لِقَدْرِهِ فِي مَقَامَاتٍ بِهَا حُمِدَا
وَ فِي نُبُوَّتِهِ أَتَمَّ مُعْجِزَةٍ   فِي ضِمْنِهَا مِنْهُ هَذَا الكَوْنُ قَدْ وُجِدَا
وَ اللهُ أَعْطَاهُ قُرْآناً فَنَالَ بِهِ   كَمَالَ مُعْجِزَةٍ مَا مِثْلُهَا شُهِدَا
آتَاهُ سَبْعَ مَثَانٍ لاَ نَظِيرَ لَهَا   وَ كَمْ أَمَانٍ بِهَا يُرَى وَ خَيْرُ جَدَى
فاعْرِفْ بِهَا فَمِنَ القُرْآنِ مَظْهَرُهَا   وَ كَمْ مَعَانٍ بِهَا لِذِي النُّهَى قَصَدَا
مِنْهَا النُّبُوَّةُ وَ هْيَ خَيْرُ مَنْقَبَةٍ   وَلاَ تُنَالُ بِكَسْبِ العَبْدِ مَا عَبَدَا

مِنْهَا الوِلَايَةُ وَ هْيَ خَيْرُ مَكْرُمَةٍ   بِهَا أَمَدَّ الإِلَهُ المُتَّقِي المَدَدَا
مِنْهَا السَّكِينَةُ وَ هْيَ خَيْرُ مَنْزِلَةٍ   مَا نَالَهَا أَحَدٌ إِلَّا وَ قَدْ سَعِدَا
مِنْهَا الشَّفَاعَةُ وَ هْيَ خَيْرُ مَوْهِبَةٍ   خَصَّ الإِلَهُ بِهَا النَّبِيَّ فِي السُّعَدَا
مِنْهَا لَهُ أَكْمَلُ التَّعْظِيمِ دُونَ مِرَا   دُنْيَا وَ أُخْرَى بِهِ قَدْ صَارَ مُنْفَرِدَا
مِنْهَا كَمَالُ الهُدَى فِي حَقِّ جَانِبِهِ   إِذْ كَانَ مُهْتَدِياً بِهِ اهْتَدَى وَ هَدَى
مِنْهَا تَخَلُّقُهُ بِرَحْمَةٍ شَمِلَتْ   كُلَّ الوُجُودِ وَ كُلُّ الجُودِ مِنْهُ بَدَا
آتَاهُ قُرْآنَهُ لِكَيْ يُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ إِذْ هُوَ نُورٌ يُشْرِقُ الخَلَدَا
فَقَامَ فِيهِمْ مُبَيِّناً مَا تَضَمَّنَهُ   مُبَايِناً لِلضَّلَالِ دَاعِياً لِهُدَى
وَ مِنْ خَصَائِصِهِ مَوْلَاهُ أَرْسَلَهُ   لِلنَّاسِ طُرّاً فَكَانَ فِيهِمُ سَنَدَا
وَ قَالَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ جِئْتُكُمُ   مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ حِّدُوا الأَحَدَا
فَفَازَ وَ اللهِ مَنْ آوَى إِلَيْهِ وَ مَنْ   بِهِ تَعَلَّقَ حَازَ الخَيْرَ و الرَّشَدَا
وَ كَانَ بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ نُفُوسِهِمُ   أَوْلَى فَأَوْلَاهُمُ مِنْ فَضْلِهِ مَدَدَا
وَ قَدْ تَحَكَّمَ فِيهِمُ بِحِكْمَتِهِ   وَ سِرُّهُ نَافِذٌ فِيهِمْ وَ مَا نَفَدَا
أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ لَهُنَّ بِهِ   عَلَى الجَمِيعِ يَدٌ بِيضَا تَفُورُ نَدَى
أَكْرِمْ بِهِنَّ فَهُنَّ الغَانِيَاتُ بِهِ   لَهُنَّ أَعْظَمُ حُرْمَةٍ كَمَا وَرَدَا
عَلَيْهِمُ بَعْدَهُ حُرِّمْنَ تَكْرِمَةً   لَهُ وَ مَا أَحَدٌ لَهُنَّ مَدَّ يَدَا
فَاعْرِفْ بِحَقِّ النَّبِيِّ فَهْوَ عَلَّمَهُ   مَوْلَاهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمْهُ مُنْذُ بَدَا
وَ نَالَ فَضْلاً عَظِيماً لَا تُكَيِّفُهُ العُقُولُ وَ هْوَ عَدِيمُ المِثْلِ لِلشُّهَدَا
كَفَاكَ فِيهِ بِأَنْ رَأَى الإِلَهَ وَ مَا   رَأَى الإِلَهَ سِوَاهُ فِي الوَرَى أَبَدَا
عَلَيْهِ مِنْهُ تَحِيَّاتٌ أَنَالُ بِهَا   مِنْهُ كَمَالَ الأَمَانِي اليَوْمَ بَلْ وَ غَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى أَتْبَاعِ سُنَّتِهِ   وَ مَنْ لِسُنَّتِهِ بِالحَقِّ قَدْ عَضَدَا

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا و خلقا و قرانه جميع الفضائل الدينية و الدنيوية فيه نسقا صلى الله عليه و سلم

إِنَّ الكَمَالَ الَّذِي فِي الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ   أَعْلَى عُلَاهُ بِذَاتِ المُصْطَفَى اتَّحَدَا
قَدْ أَكْمَلَ اللهُ فِيهِ الحُسْنَ أَجْمَعَهُ   خَلْقاً وَ خُلْقاً لَهُ فِيمَا خَفَى وَ بَدَا
فَلَا فَضِيلَةَ إِلَّا وَ هْيَ مِنْهُ بَدَتْ   دُنْيَا وَ أُخْرَى وَ فِيهِ الخَيْرُ قَدْ حُشِدَا
وَ كُلُّ مَنْ هُوَ مِنْ نَوْعِ الكَمَالِ وَ مِنْ   نَوْعِ الجَلَالِ فَمِنْهُ كَانَ مَا حُمِدَا
سِيَّانَ كَانَ ضَرُورِياً وَ مُكْتَسَباً   دُنْيَا و دِيناً بِهِ أَسْمَاهُمَا انْفَرَدَا
فَفِيهِ مِمَّا يُعَدُّ غَيْرَ مُكْتَسَبٍ   أَعْلَى وَ أَغْلَى وَ أَبْهَى كُلَّ مَا صَعِدَا
كُلُّ المَحَاسِنِ قَد حَلَّتْ بِصُورَتِهِ   وَ طَيُّ سُورَتِهِ فَوْقَ الَّذِي عُهِدَا
لَوْ كَانَ خُيِّرَ فِي تَقْوِيمِ خِلْقَتِهِ   مَا اخْتَارَ أَجْوَدَ مِمَّا فِيهِ قَدْ وُجِدَا

فصل

في تعداد خصال حميدة اختصت بها ذاته السعيدة مجملة و تذكر فيما بعده من الفصول العديدة مفصلة مقتبسة من الكتاب و السنة

مَاذَا يُصَاغُ مَدِيحاً لِلنَّبِيِّ وَ قَدْ   تَضَاءَلَ الخَلْقُ عَنْ سَنَاهُ مُنْذُ بَدَا
وَ لَا مَقَالَ يَفِي بِحَقِّ رُتْبَتِهِ   وَ لَا يُعَبِّرُ عَنْهَا نَاطِقٌ أَبَدَا
وَ فِيهِ كُلُّ خِصَالِ الفَضْلِ قَدْ جُمِعَتْ   سرّاً وَ جَهْراً بِهَا طُولَ المَدَى حُمِدَا
مَنْ نَالَ مِنْ هَذِهِ الخِصَالِ وَاحِدَةً   يُجَلُّ قَدْراً فَكَيْفَ مَنْ لَهَا حَشَدَا
مِنْهَا نُبُوَّتُهُ الَّتِي عَلَتْ رُتَباً   مِنْ دُونِهَا كُلُّ مَنْ فِي الفَضْلِ قَدْ صَعِدَا
مِنْهَا رِسَالَتُهُ للخَلْقِ وَ هْوَ لَهُمْ   بِالحَقِّ جَاءَهُمُ يَهْدِي لِخَيْرِ هُدَى
مِنْهَا تَرَى الخُلَّةَ الَّتِي سَمَتْ شَرَفاً   وَ نَالَ فِيهَا اخْتِصَاصَهُ بِكُلِّ جَدَا
مِنْهَا مَحَبَّتُهُ الَّتِي صَفَتْ وَ بِهَا   قَد ارْتَدَى مِنْ رِضَا مَوْلَاهُ خَيْرَ رِدَا

مِنْهَا كَمَالُ اصْطِفَاءِ اللهِ جَلَّ لَهُ   وَ ضِمْنَهُ كُلُّ مَا فِي رَبِّهِ اعتقَدَا
مِنْهَا تَعَالِيهِ بِالإِسْرَاءِ فَوْقَ عُلَى   فِيهَا قَد اخْتَصَّ بِالَّذِي بِهِ انْفَرَدَا
مِنْهَا تحققُ رُؤْيَاهُ وَ رُؤْيَتِهِ   لِلْحَقِّ حَقّاً وَ لاَ كَيْفٌ لِمَا شَهِدَا
مِنْهَا الدُّنُوُّ دُنُوُّ رِفعَةٍ وَ عُلَا   وَ القُرْبُ مِنْ رَبِّهِ قُرْباً بِغَيْرِ مَدَى
مِنْهَا مَفَازَتُهُ بِالوَحْيِ ثُمَّ وَ قَدْ   تَمَّتْ أَمَانِيهِ طِبْقَ مَا بِهِ وُعِدَا
مِنْهَا شَفَاعَتُهُ العُظْمَى الَّتِي انْفَرَدَتْ   بِهِ وَ خُصَّ بِهَا مِنْ سَائِرِ السُّعَدَا
مِنْهَا وَ سِيلَتُهُ الَّتِي لَهُ طُلِبَتْ   وَ لَمْ تكُنْ تَنْبَغِي لِغَيْرِهِ أَبَدَا
مِنْهَا فَضِيلَتُهُ الَّتِي يَزِيدُ بِهَا   أَجَلَّ مَنْقَبَةٍ رَغْماً لِمَنْ حَسَدَا
مِنْهَا لَهُ الرُّتْبَةُ الرَّفِيعُ مَنْصِبُهَا   مَعَ المَقَامِ الَّذِي فِي الخلقِ قَدْ حُمِدَا
مِنْهَا البُرَاقُ الَّذِي بِهِ سَرَى وَ عَلَا   وَ كَانَ مِعْرَاجُهُ لِمَنْصِبٍ صَعُدَا
مِنْهَا الصَّلَاةُ بِكُلِّ الأَنْبِيَاءِ وَ هُمْ   مِنْ خَلْفِهِ وَقَفُوا وُقُوفَ مَنْ رَشَدَا
مِنْهَا شَهَادَتُهُ لِلأَنْبِيَاءِ عَلَى   مَنْ أُرْسِلُوا لَهُمُ وَ قَدْ سَمَا الشُّهَدَا
مِنْهَا سِيَادَتُهُ عَلَى العَوَالِمِ مِنْ   إِنْسٍ وَ غَيْرِهِمُ إِذْ عَمَّهُمْ مَدَدَا
مِنْهَا لِوَا الحَمْدِ بَيْنَ الخَلْقِ فِي يَدِهِ   يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْشُورٌ لِمَنْ سَعِدَا
مِنْهَا بِشَارَتُهُ مِنْهَا نذَارَتُهُ   مِنْهَا الهِدَايَةُ إِذْ بِهَا اهْتَدَى وَ هَدَى
مِنْهَا أَمَانَتُهُ وَ طَاعَةٌ كَمُلَتْ   مِنْهَا المَكَانَةُ عِنْدَ اللهِ قَدْ وَجَدَا
مِنْهَا شُمُولُ الوَرَى طُرّاً بِرَحْمَتِهِ   وَ أَنَّهُ الرَّحْمَةُ المُسْدَاةُ لِلسُّعَدَا
مِنْهَا الرِّضَى وِفْقَ مَا يَرْضَى وَ كَوْثَرُهُ وَ نَيْلُهُ سُؤْلَهُ طِبْقَ الَّذِي قَصَدَا
مِنْهَا سَمَاعُ المَقَالِ فِي شَفَاعَتِهِ   حَقّاً وَ إِتْمَامُ نِعْمَةٍ بِهَا انْفَرَدَا
وَ العَفْوُ مِنْهَا وَ وَضْعُ الوِزْرِ عَنْهُ وَ شَرْحُ الصَّدْرِ حَقّاً وَ رَفْعُ الذِّكْرِ مُنْذُ بَدَا
وَ عِزَّةُ النَّصْرِ مِنْهَا مَعْ نُزُولِ سَكِينَةٍ عَلَيْهِ وَ تَأْيِيدٍ بِهِ اتَّأَدَا
وَ هْوَ الَّذِي أُوتِيَ الكِتَابَ مُبْتَهِجاً   بِهِ وَ أُعْطِيَ حِكْمَةً بِهَا اعتضَدَا
نَالَ المَثَانِيَ وَ القُرْآنَ فِي رشدٍ   وَ كُلُّ مَنْ بِهِمَا اهْتَدَى فَقَدْ رَشَدَا
وَ نَالَ تَزْكِيَةً مَعَ الدُّعَاءِ إِلَى المَوْ   لَى وَ نَالَ صَلَاةَ الحَقِّ فِي السُّعَدَا
وَ نَالَ حُكْماً بِمَا أَرَاهُ خَالِقُهُ   وَ وَضْعَ إِصْرٍ وَ أَغْلَالٍ وَ دَفْعَ رَدَى
وَ اللهُ أَقْسَمَ بِاسْمِهِ وَ خَوَّلَهُ   إِجَابَةَ الدَّعْوَةِ الَّتِي لَهَا وَفَدَا

وَ كَلَّمَتْهُ جَمَادَاتٌ وَ خَاطَبَهُ   عَجْمُ الدَّوَابِ الَّذِي بِفَضْلِهِ شَهِدَا
أَحْيَ بِدَعْوَتِهِ المَوْتَى وَ أَسْمَعَ صُمَّ   الصُّمِّ وَ النَّصْرُ كَانَ حِلْفَهُ أَبَدَا
وَ المَاءُ قَدْ فَاضَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ   حَقّاً وَ تَكْثِيرُهُ القَلِيلَ مِنْهُ غَدَا
وَرُدَّتِ الشَّمْسُ مَعْ حَالِ الغُرُوبِ لَهُ   وَ شَقَّ إِيمَاؤُهُ البَدْرَ الَّذِي صَعِدَا
وَ هْوَ الَّذِي قَلَّبَ الأَعْيَانَ مُطَّلِعاً   حقّاً عَلَى غَيْبِ غَيْبِ الغَيْبِ مُنْفَرِدَا
وَ ظَلَّلَتْهُ الغَمَامُ فِي مَشَاهِدَ إِذْ   مَشَى وَشَمْسُ الضُّحَى حَرٌّ لَهَا اتَّقَدَا
فِي كَفِّهِ سَبَّحَ الحَصَى وَ قَدْ سَمِعَ التَّسْبِيحَ قَوْمٌ هُمُ مِن أَفْضَلِ الشُّهَدَا
وَ كَمْ عُضَالٍ مِنَ الأَسْقَامِ أَبْرَأَهُ   وَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَ قَاهُ شَرَّ عِدَا
فَكَانَ فِي النَّاسِ مَعْصُوماً وَ عِصْمَتُهُ   حِسّاً وَ مَعْنًى تَزِيدُ العَالَمِينَ هُدَى
هَذِي المَحَاسِنُ بَعْضٌ مِنْ مَحَاسِنِهِ   وَ حُسْنُهُ لَوْ بَدَا لَهُ الوَرَى سَجَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ مَقَامَاتٍ لَهُ ارْتَفَعَتْ   وَ لَمْ تَزَلْ فِي ارْتِقَاعٍ مَا لَدَيْهِ مَدَى
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ كَرَامَاتٍ قَد ادُّخِرَتْ   لَهُ بِدَارِ البَقَاءِ فَاقَتِ العَدَدَا
وَ كَمْ أَعَدَّ لَهُ مَوْلَاهُ مِنْ مِنَحٍ   حَسْبُ النُّهَى العَجْزُ عَنْ تَكْيِيفِهَا أَبَدَا

فصل

في جمل من أوصافه صلى الله عليه و سلم

إِذَا نَظَرْتَ خِصَالَ الفَضْلِ أَجْمَعَهَا   وَجَدْتَ ذَاتَ النَّبِي بِهَا قَد اتَّحَدَا
تَنَاسَبَتْ سَائِرُ الأَعْضَاءِ مِنْهُ كَمَا   قَدْ صَحَّ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ قَدْ وَرَدَا
فَلَوْ تَجَسَّدَ كُلُّ الحُسْنِ فِي جَسَدٍ   بَيْنَ الوَرَى لَغَدَا لِرُوحِهِ جَسَدَا
يَقُولُ نَاعِتُهُ بِالحَقِّ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَ لاَ بَعْدَهُ مَثِيلَهُ أَبَدَا
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ مِنْ جَبِينِهِ طَلَعَتْ   وَ نُورُهَا مِن مُحَيَّاهُ وَ قَدْ وَ قَدَا
إِذَا تَبَسَّمَ خِلْتَ البَرْقَ يَلْمَعُ بِالسَّنَا وَ أَسْنَانُهُ تَخَالُهَا بَرَدَا
إِذَا تَكَلَّمَ رِيءَ النُّورُ يَخْرُجُ مِنْ   بَيْنَ ثَنَايَاهُ فِي المَلاَ وَ كَمْ شُهِدَا
وَ مَنْ يَرَاهُ يَهَبْهُ عَنْ بَدِيهَتِهِ   وَ بِالمَحَبَّةِ فِيهِ عَمَّرَ الخَلَدَا

مَنْ خَالَطُوهُ تَفَانَوا فِي مَحَبَّتِهِ وَ كَيْفَ لَا وَ هُمُ بِهَا مِنَ السُّعَدَا
مِنَ البَعِيدِ يُرَى فِي النَّاسِ أَجْمَلَهُمْ وَ مِنْ قَرِيبٍ كَمَالُ الحُسْنِ فِيهِ بَدَا
تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ تَمَّتْ شَمَائِلُهُ مَنْ لِي بِنَظْمٍ لِحُسْنِ دُرِّهَا عقدَا
فَدُرُّهَا قَدْ غَلَتْ فِي الخَلْقِ قِيمَتُهُ وَ قَدْرُهَا قَدْ عَلَتْ عُلَاهُ إِذْ صَعِدَا
قَدْ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ أَزْهَرَ لَوْ نَ مُشْرَباً حُمْرَةً جَمَالُهَا انْفَرَدَا
ضَخْمَ العِظَامَ عَظِيمَ المَنْكِبَيْنِ سَوَاء البطنِ وَ الصَّدْرِ فِيهِمَا السَّنَا اتقدَا
إِنْ كَانَ وَاسِعَ صَدْرٍ حِكْمَةً وَ تُقًى فَإِنَّهُ وَاسِعُ الكَفَّيْنِ بَحْرُ نَدَا
لَقَدْ عَلَتْ قَدَمَاهُ الوَاسِعَانِ عَلَى طُولاً وَ عَرْضاً وَ لِلّهِ العَلِي سَجَدَا
وَ كَانَ شَائِلَ أطراف و سائلها دَقِيقَ مسربةٍ أنور مَا انجرَدَا
أَبْلَجَ أَفْلَجَ أَقْنَى الأَنْفِ أَدْعَجَ أَنْجَلَا وَ أَشْكَلَ أَهْدَبَ أَزَجَّ بَدَا
ضَخْمَ الذِّرَاعَيْنِ عبلَ السَّاعِدَينِ وَ عَبلَ الفَخِذَيْنِ مَعَ السَّاقَيْنِ قَدْ عُضِدَا
مُدَوَّرَ الوَجْهِ مَعْ إِسَالَةٍ حَسُنَتْ مَعْ لِحْيَةٍ مَلَأَتْ صَدْراً لَهُ مَجُدَا
وَ لَمْ يَكُنْ بمطهمٍ و لا بِمُكَلْثَمٍ وَ قَدْ زَانَ مِنْهُ روحه الجَسَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ بِطوِيلٍ لَا وَ لَا بِقَصِيرٍ وَ هْوَ أَطْوَلُ إِنْ مَعَ الطِّوَالِ غَدَا
وَ كَانَ أَحْسَنَهُمْ جِيداً وَ أَجْوَدَهُمْ جُوداً وَ جَيِّدُهُم فِي بَذْلِ خَيْرٍ جِدَى
مَنْ لِي بِرُؤْيَاهُ كَيْ أَنَالَ نَظْرَتَهُ حَتَّى أُعَدَّ بِهَا فِي زُمْرَةِ السُّعَدَا

فصل

في نظافة جسمه و طيب ريحه و عرفه و نزاهته عن الأقذار صلى الله عليه و سلم

مِنْ عَرْفِ خَيْرِ الأَنَامِ الطِّيبُ فَاحَ شَذَا وَ لَا شَذَا فَاحَ إِلَّا مِنْهُ كَانَ بَدَا
لَا طِيبَ أَطْيَبَ رِيحاً مِنْ رَوَائِحِهِ لَوْلَاهُ مَا طَابَ طِيبٌ لَا وَ لَا وُجِدَا
يَظَلُّ طُولَ النَّهَارِ مَنْ يُصَافِحُهُ مُسْتَنْشِقاً رِيحَ كَفٍّ مَسَّ مِنْهُ يَدَا
كَأَنَّمَا يَدُهُ مِنْ جُونَةٍ خَرَجَتْ يُوَزِّعُ الطِّيبُ مِنْهَا لِلَّذِي وَرَدَا
وَ يعرفُ الشَّخْصَ بَعْدَ الإِجْتِمَاعِ بِهِ بِرِيحٍ طيبٍ لَهُ إِنْ قَامَ أَوْ قَعَدَا

وَإِنْ يَمُرَّ رَسُولُ اللهِ فِي طُرُقٍ   تَظَلُّ مَعْبُوقَةً بالطيبِ حَيْثُ غَدَا
فَيَعْرِفُ النَّاسُ مِنْ عَرْفِ الشَذَاءِ بِهَا بِأَنَّهُ مَرَّ فِيهَا يوضحُ القِدَدَا
كَمْ مِنْ مُحِبٍّ لَهُ قَد اقْتَنَى عَرَقاً   مِنْهُ اسْتَطَابَ بِهِ كَمَا استطبَّ لَدَا
قَد اسْتَطَبَّ بِهِ دَاءً وَطَابَ بِهِ   نفساً وَأَحْيَا لَدَيْهِ الرُّوحَ و الجَسَدَا
وَتَمَّ خَاتَمُهُ بِطِيبِ رَائِحَةٍ   فِي فِي مُحِبٍّ لَهُ لِلَثْمِهِ قَصَدَا
فَصَارَ مُلْتَقِماً لَهُ بِفَرْطِ جَوَى   بِشَمِّ رَائِحَةٍ عَنْهُ نَفَتْ كَمَدَا
فَاعْرِفْ بِهِ فَهْوَ قَدْ زَادَتْ نَظَافَتُهُ   نَزَاهَةً يَعْتَنِي بِهَا مُحِبٌّ هُدَى
قَدْ كَانَ مِنْهَا لَهُ خَصَائِصٌ كَمُلَتْ   بِالشَّرْعِ فِيهَا خِصَالٌ عِنْدَهُ عَدَدَا
فَإِنْ تَنَمْ عَيْنُهُ فَلَا يَنَامُ لَهُ   قَلْبٌ وَلَوْ بِغَطِيطٍ فَهْوَ مَا رَقَدَا
وَلَمْ يَفُحْ مِنْهُ غَيْرُ الطِيبِ فِي عَبَقٍ   إن كان مقتربا أو كان مبتعدا
إِذَا خَلَا بِخَلَاءٍ عِنْدَ حَاجَتِهِ   فَالأَرْضُ تَبْتَلِعُ الَّذِي لَدَيْهِ بَدَا
وَلَمْ يَجِدْ طَرْحَهُ فِيهَا سِوَاهُ وَكَمْ   فِيهَا ترصدهُ مِنْهَا وَلَنْ يَجِدَا
وَمَا يُرَى ظَاهِراً فَظَاهِرٌ وَبِهِ   وَ افْتَكَ أَخْبَارُ أَحْبَارٍ لَهُ شهدا
كَمْ مِنْ أُنَاسٍ بِفَرْطِ حُبِّهِمْ شَرِبُوا   دَماً وبَوْلاً لَهُ فَزَادَهُمْ مَدَدَا
وَقَالَ فِيهِ عَلِيٌّ طِبْتَ يَا سَنَدِي   حَيّاً وَمَيْتاً فَخُذْ نَفْسِي إِلَيْكَ فِدَا
وَقَالَ ذَاكَ أَبُو بَكْرٍ وَقَبَّلَهُ   فِي فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وَقَدْ سَعِدَا
وَأُمُّهُ وَلَدَتْهُ مَا بِهِ قَذَرٌ   بَلْ فِي أَتَمِّ نَظَافَةٍ لَهَا وُلِدَا
وَمَا رَأَى فَرْجَهُ بَيْنَ الوَرَى أَحَدٌ   لِمَا لَهُ مِنْ كَمَالِ الحِفْظِ مُتَّيِدَا
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ   فَلَا يُرَى مِنْهُ بَلْ وَلَا يرَى أَحَدَا
أَكْرِمْ بِهِ فَهْوَ خَيْرُ الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ   مَهَذَّبٌ مُصْلِحٌ لِكُلِّ مَا فسدا
مَنْ لِي بِلَثْمِ تُرَابِ نَعْلِهِ فَتُرَى   نَفْسِي من السُّعْدَا وَ قَدْرُهَا صَعِدَا

فصل

في وفور عقله و ذكاء لبه و قوة حواسه و اعتدال حركاته و حسن شمائله

لِلْمُصْطَفَى فِي مَجَالِي العَقْلِ مَرْتَبَةٌ   مِنْ دُونِهَا عَقْلُ عَقْلِ سَائِرِ الرُّشَدَا
فَقَدْ تَوَفَّرَ فِيهِ مِنْ كَمَالِ ذَكَا   مَا قَدْ ذَكَا وَ زَكَا وَ جَازَ كُلَّ مَدَى
وَ كَيْفَ لَا وَ هُوَ فَاقَ الخَلْقَ دُونَ مِرَا   عَقْلاً وَ فَهْماً وَ مِنْهُ يَقْتَبِسُونَ هُدَى
فَهُوَ أَرْجَحُهُمْ عَقْلاً وَ أَفْضَلُهُمْ   رَأْياً وَ أَكْمَلُهُمْ فَهْماً لَهُ اتَّقَدَا
لَوْ يَجْمَعِ اللهُ عَقْلَ سَائِرِ العُقَلَا   مَا جَازَ أَجْمَعُهُ مَا عِنْدَهُ وُجِدَا
فِي فَهْمِهِ كُلُّ فَهْمٍ كَلَّ مُنْبَهِراً   فِيمَا يَغُوصُ عَلَيْهِ حَائِزاً رَشَدَا
لَا عَيْبَ فِي ذَاتِهِ لَا نَقْصَ يُوجَدُ فِي   حَوَاسِهِ ظَاهِراً أَوْ بَاطِناً أَبَدَا
فَانْظُرْ تَدَابِيرَهُ لِأَمْرِ ظَاهِرِهِمْ   وَ شَأْنِ بَاطِنِهِمْ تَجِدْ بِهِ السَّدَدَا
وَ انْظُرْ سِيَاسَتَهُ لِعَامَّةٍ وَ لِخَا   صَّةٍ تَجِدْ فِيهِ مَا فِي الغَيْرِ لَنْ تَجِدَا
وَ انْظُرْ لِمَا فَاضَ مِنْ أَسْرَارِهِ وَ لِمَا   أَبْدَى تَجِدْهُ بِسِرِّ العَالَمِ انْفَرَدَا
وَ لَمْ تَكُنْ بِتَعَلُّمٍ مَعَارِفُهُ   حَتَّى يُقَالَ بِهِ مَا كَانَ مِنْهُ بَدَا
بَلْ عِلْمُهُ كَانَ مِنْ مَوْلَاهُ مَوْهِبَةً   لَهُ بِهَا خَصَّهُ وَ زَادَهُ مَدَدَا
فَكَانَ مِنْ خَلْفِهِ يَرَى بِدُونِ مِرَا   كَمَا يَرَى مِنْ أَمَامٍ كُلَّ مَا شَهِدَا
وَ كَانَ يُبْصِرُ فِي الظَّلَامِ دُونَ مِرَا   كَمَا يَرَى مَنْ دَنَا فِي الضَّوْءِ أَوْ بَعُدَا
وَ كَانَ يَنْظُرُ لِلأَرْوَاحِ دُونَ مِرَا   مِنْ عَالَمِ الجِنِّ وَ الأَمْلَاكِ حَيْثُ غَدَا
وَ كَانَ يَشْهَدُ مَا قَدْ غَابَ دُونَ مِرَا   كَأَنَّهُ حَاضِرٌ لَدَيْهِ مُحْتَشِدَا
لَهُ تَبَدَّى النَّجَاشِي فِي مَشَاهِدَ إِذْ   صَلَّى عَلَيْهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُتَّئِدَا
وَ قَدْ رَآهُ عِيَاناً وَ هُوَ محتفلٌ   بِهِ وَ كَانَ بِهِ قَدْ أَحْرَزَ الرَّشَدَا
وَ قَدْ تَبَدَّى لَهُ البَيْتُ الحَرَامُ لَدَى   بِنَاءِ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِهِ صَعُدَا
وَ قَدْ تَبَدَّى لَهُ البَيْتُ المقدس حِينَ وَصْفِهِ لِقُرَيْشٍ بِالَّذِي شَهِدَا
وَ قَدْ رَأَى فِي الثُّرَيَّا أَنْجُماً أَحَدَ عَشَرَ اجْتِلَاءً بِهِ قَدْ عَدَّهَا عَدَدَا
تَبَارَكَ اللهُ مَا أَجْلَاهُ مِنْ بَصَرٍ   وَ مِنْ بَصِيرَةٍ ازْدَادَتْ سَنًى وقدا

قَوَّاهُ سُبْحَانَهُ سِرّاً وَ فِي عَلَنٍ   حَتَّى تَقَوَّى لِحَمْلِ مَا بِهِ انْفَرَدَا
قَوَّاهُ حَتَّى رَآهُ غَيْرَ مُنْحَجِبٍ   عَنْهُ فَلِمْ لَا يَرَى الَّذِي بِهِ وُجِدَا
فَالعَالِمُونَ دَرُوا بِأَنَّهُ بَشَرٌ   مَا مِثْلُهُ بَشَرٌ فِي العَالِمِينَ بَدَا
سِيَّانَ مِنْهُمْ مُحِبُّهُ وَ جَاحِدُهُ   فَكُلُّهُمْ بِكَمَالِ فَضْلِهِ شَهِدَا
أَرَا رُكَانَةَ عِنْدَ صَرْعِهِ عَجَباً   وَ فِيهِ عَاوَدَهُ فَعَادَ مُرْتَعِدَا
أَرَاهُ أَعْجَبَ مِمَّا مِنْهُ شَاهَدَهُ   إِذْ شَاهَدَ الشَّجَرَ الَّذِي لَهُ سَجَدَا
وَ كَانَ أَقْوَى زمانه وَ صَارَعَهُ   فَهَدَّهُ المُصْطَفَى وَ قَادَهُ لِهُدَى
يَمْشِي الهُوَيْنَا وَ مَنْ مَاشَاهُ فِي تَعَبٍ   إِنْ رَامَ يَلْحَقُهُ بِالمَشْيِ مُجْتَهِدَا
كَأَنَّمَا انْحَطَّ فِي مَمْشَاهُ مِنْ صَبَبٍ   مُوَجِّهاً وَجْهَهُ لِمَا لَهُ قَصَدَا
وَ الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ فِي حَالِ مِشْيَتِهِ   وَ قَدْ تايدَ فِي المَقْصُودِ مُتَّيِدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي أَتَمَّ مِنَّتَهُ   عَلَيْهِ سِرّاً وَ جَهْراً فِي كَمَالِ جَدَى

فصل

في فصاحة لسانه و بلاغة قوله في بيانه

مِنْ مَنْطِقِ المُصْطَفَى جَوَامِعُ الكَلِمِ الَّتِي أَبَانَ بِهَا لِلْعَالَمِينَ هُدَى
وَ مِنْ مُضَمَّنِهَا مَوَاقِعُ الحِكَمِ   الَّتِي بِأَحْكَامِهَا تُنَوِّرُ الخَلَدَا
نَاهِيكَ مِنْ لَفْظِهِ وَ مِنْ فَصَاحَتِهِ   وَ مِنْ بَلَاغَتِهِ الَّتِي نَفَتْ كَمَدَا
نَاهِيكَ مِنْ حُسْنِ طَبْعٍ فِي سَلَامَتِهِ   وَ مِنْ بَرَاعَتِهِ الَّتِي بِهَا انْفَرَدَا
نَاهِيكَ مِنْ قَوْلِهِ وَ مِنْ نَصَاعَتِهِ   فِي حُسْنِ إِيجَازِهِ فِي مَقْطَعٍ حُمِدَا
نَاهِيكَ مِنْ قَوْلِهِ وَ مِنْ جَزَالَتِهِ   مَعَ المَعَانِي الَّتِي فِيهَا الكَمَالُ بَدَا
يُخَاطِبُ النَّاسَ كُلّاً قَدْرَ فَهْمِهِمُ   وَ طِبْقَ مَا اعْتَادَهُ كُلٌّ بِحُسْنِ أَدَا
كَلَامُهُ مَعْ قُرَيْشٍ فَاقَ لَهْجَتَهُمْ   وَ فَوْقَ كُلِّ كَلَامٍ فِي الأَنَامِ غَدَا
كَمْ مِنْ قَيَاصِرَةٍ وَ مِنْ فَرَاعِنَةٍ   وَ غُلْفِ أَقيَالِ أَقْيَالِ إِلَيْهِ هَدَا
مَا احْتَاجَ مِنْ تُرْجُمَانٍ فِي خِطَابِهِمُ   لَهُ وَ لَا يتيمَا مَنْ قُطْرُهُ بَعُدَا
قَدْ زَادَهُمْ بِخِطَابِهِ لَهُمْ عَجَباً   قَدْ أَضْمَرُوا خَطَأً وَ أَظْهَرُوا السَّدَدَا

جَاءَتْ وُفُودُهُمُ تَتْرَى لَهُ لِتَرَى   أَحْوَالَهُ فَرَأَوْهَا فَوْقَ مَا عَهِدَا
وَافَاهُ طِهْفَةُ بَعْدَ الْفَتْحِ مِنْ يَمَنٍ   وَ قَدْ فَشَا هَدْيُهُ فَشَاهَدَ الرَّشَدَا
وَ قَدْ رَأَى مِنْهُ ذُو الْمِشْعَارِ حِينَ أَتَى   فِي مَعْشَرٍ بَعْدَ جُهْدٍ مَا بِهِ سَعِدَا
وَ جَاءَهُ قَطَنُ الْمَوْلَى ابن حَارِثَةٍ   فَنَالَ مِنْهُ دُعَاءً أَذْهَبَ النَّكَدَا
وَ جَاءَهُ وَائِلٌ فَنَالَ مِنْهُ رِضَى   بِهِ لَهُ بَسَطَ الْمُخْتَارُ خَيْرَ رِدَا
وَ جَاءَهُ الْأَشْعَثُ ابْنُ قَيْسٍ الْيَمَنِي   فَسَادَ مِنْ بَعْدِمَا قَلْبٌ لَهُ فَسَدَا
وَ جَاءَهُ غَيْرُهُمْ مِنْ حَضْرَمُوتَ وَ مِنْ   أَقْصَى الْبِلَادِ فَنَالُوا مِنْهُ خَيْرَ جِدَى
كَانُوا مِنَ الْمُتَبَجِّحِينَ وَ الْمُتَنَافِسِينَ فِي قَوْلِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ عُمَدَا
وَ كُلُّهُمْ نَكَسُوا الرُّؤُوسَ حِينَ رَأَوْا   مِنْهُ الَّذِي لَمْ يَرَوْا مِنْ غَيْرِهِ أَبَدَا
فِي حَضْرَةِ الْغَيْبِ وَ الشُّهُودِ بَيْنَهُمُ   عَلَى جَلَالَتِهِ صَارُوا مِنَ الشُّهَدَا
وَ كُلُّهُمْ بِلُغَاتِهِمْ يُخَاطِبُهُمْ   وَ مِنْ فَصَاحَتِهِ جَمِيعُهُمْ سَجَدَا
قَدْ أَغْرَبُوا فَأَتَاهُمُ بِأَغْرَب مِمَّا أَغْرَبُوا إِذْ غَدَوْا طَرَائِقاً قِدَدَا
وَ كَمْ كَتَائِبَ قَادَتْهَا مَكَاتِبُهُ   إِلَيْهِ قَادَتْهَا بِهِ اقْتَدَوْا لِهُدَى
فِي ضِمْنِهَا لَهُمُ هُدَى وَ مَوْعِظَةٌ   وَ حِكْمَةٌ هُمْ بِهَا قَدْ أَصْبَحُوا سُعَدَا
فَلَوْ عَلَى جَبَلٍ رَسَا رَسَائِلُهُ   مِنْ بَيْنِهِمْ تليت لَلَانَ وَ ارْتَعَدَا
فَانْظُرْ إِلَى مَا إِلَى هَمْدَانَ وَجَّهَهُ   تَجِدْ بِهِ مَا بِهِ يَسْلُو الَّذِي وَجَدَا
وَ انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ مَعَ الدُّعَا لِبَنِي   نَهْدٍ تَجِدْ جَوْهَراً غَلَا وَ قَدْ نُضُدَا
وَ انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ لِوَائِلٍ فَلَقَدْ   شَفَى الْأَوَائِلَ فِيهِ بِالَّذِي سَرَدَا
كَلَامُهُ مَعَهُمْ جَرَى عَلَى اللُّغَةِ الَّتِي بِهَا فَخْرُ مَنْ رَأَوْهُ مُعْتَمَدَا
فَأَيْنَ هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ لَهُمُ   مِنْ قَوْلِهِ لِابْنِ مَالِكٍ وَ قَدْ وَرَدَا
مَا ذَاكَ إِلا لِتَبْيِينِ الْهُدَى لَهُمُ   فَيَفْهَمُوهُ وَ كَمْ شَخْصٍ بِذَاكَ هَدَى
أَعْطَى عَطِيَّةَ السَّعْدِي أَجَلَّ عَطَا   وَ قَالَ إِنَّ يَدَ الْمُنْطِي تَجِلُّ يَدَا
وَ قَالَ لِلْعَامِرِي سَلْ عَنْكَ حِينَ أَتَى   إِلَيْهِ كَيْ مَا يُفِيدُهُ بِمَا قَصَدَا
وَ قَوْلُهُ كُلُّهُ جَوَاهِرٌ نُظِمَتْ   بِهَا يُبَاهِي الْمُبَاهِي قَامَ أَوْ قَعَدَا
نَاهِيكَ مِنْ قَوْلِهِ وَ مَا تَضَمَّنَهُ   مِنْ حِكْمَةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْكَمَالِ مَدَى
فَاعْرِفْ بِهِ وَ اقْتَبِسْ مِنْ نُورِهِ قَبَساً   إِنْ كُنْتَ مُهْتَدِياً بِهِ تَزِيدُ هُدَى

يَا لَيْتَ لِي عُمُراً بِهِ أُعَمِّرُهُ   فَاقْتَنِي مَا بِهِ يَمُدُّنِي مَدَدَا
فَإِنَّهُ بَحْرُ سِرٍّ لَا انْتِهَاءَ لَهُ   فِي مَدِّهِ وَ هْوَ قَدْ حَلَا لِمَنْ وَرَدَا
مَا شِئْتَ مِن خُطَبٍ وَ مِنْ مُخَاطَبَةٍ   وَ مِنْ مُحَاضَرَةٍ فِيهَا الجَمَالُ بَدَا
مَا شِئْتَ مِنْ آيَةٍ تُتْلَى وَ أَدْعِيَةٍ   وَ مِنْ عُهُودٍ وَ أَقْوَالٍ بِهَا انْفَرَدَا
وَ الكُلُّ دَلَّ عَلَى أَنْ حَلَّ مَرْتَبَةً   لَمْ يَرْقَ فِيهَا سِوَاهُ فِي الوَرَى أَبَدَا
مَنْ مِثْلُهُ قَالَ إِنَّ المُسْلِمِينَ تَكَا   فَأَتْ دِمَاؤُهُمُ وَ هُمْ بِهِ سُعَدَا
يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمُ وَ هُمُ   يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمُ كَمَا وَرَدَا
وَ النَّاسُ فِي الحُكْمِ قَدْ عُدُّوا سَوَاسِيَةً   وَ هُمْ كَأَسْنَانِ مُشْطٍ عِنْدَ مَنْ عُبِدَا
و النَّاسُ بَيْنَ الوَرَى مَعَادِنٌ كَمَعَا   دِنِ اللُّجَيْنِ وَ عَسْجَدٍ لِمَنْ نقدَا
خِيَارُهُمْ قَبْلَ إِسْلَامٍ خِيَارُهُمُ   إِذَا هُمُ فقهُوا مِنْ بَعْدِهِ رَشَدَا
وَ المَرْءُ مَعْ مَنْ أَحَبَّ حَيْثُ كَانَ يَكُنْ   فَكُنْ مُحِبّاً لِأَهْلِ الخَيْرِ مُتَّئِدَا
لَا خَيْرَ يُوجَدُ فِيمَنْ لَا يَرَى لَكَ مَا   تَرَى لَهُ مِنْ حُقُوقٍ وَ هْوَ عَنْكَ عَدَا
وَ لَيْسَ يُهْلِكُ مَنْ فِي النَّاسِ يَعْرِفُ قَدْرَهُ فَكُنْ عَارِفاً بِمَا مَلَكَتْ يَدَا
وَ المُسْتَشَارُ غَدَا فِي النَّاسِ مُؤْتَمَناً   فَكُنْ أَمِيناً تَكُنْ بَيْنَ الوَرَى سَنَدَا
وَ اللهُ يَرْحَمُ مَنْ فِي النَّاسِ قَالَ مَقَا   لَ الخَيْرِ أَوْ صَارَ سَاكِتاً فَقَدْ رشدَا
أَسْلِمْ لِتَسْلَمَ وَ اسْتَسْلِمْ لِيُؤْتِيَكَ   الرَّحْمَانُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فِي السُّعَدَا
فَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ خَيْرِ الوَرَى فِئَةٌ   أَخْلَاقُهُمْ حَسُنَتْ حَتَّى يَرَوْهُ غَدَا
وَ لَا تَكُونُ وَجِيهاً عِنْدَ خَالِقِهِ   مَنْ كَانَ فِي النَّاسِ ذَا وَجْهَيْنِ حَيْثُ غدَا
وَ قَدْ نَهَى اللهُ عَنْ قِيلَ وَ قَالَ وَ عَنْ   إِضَاعَةِ المَالِ فِيمَا قَدْ خَفَى وَ بَدَا
وَ قَدْ نَهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ وَ عَنْ   وَ أْدِ البَنَاتِ وَ عَنْ مَنْعٍ وَ هَاتِ سُدَى
نَهَاكَ عَنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ مِنْكَ فَلَا   تُكْثِرْ سُؤَالَكَ مِنْكَ لِلسِّوَى أَبَدَا
وَ لْتَتَّقِ اللهَ حَيْثُ كُنْتَ مِنْهُ تَرَى   لُطْفاً يَقِيكَ بِهِ فِي الخَلْقِ كُلَّ رَدَى
إِنَّ السَّعِيدَ يُرَى بِالغَيْرِ مُتَّعِظاً   فَلْتَتَّعِظْ بِالسِّوَى تَكُ امْرُأً سَعِدَا
خَيْرُ الأُمُورِ مَدَى الأَيَّامِ أَوْسَطُهَا   فَكُنْ بِهَا وَسَطاً وَ لْتَمْشِ مُتَّئِدَا
أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَاهُ يَكُو   نَ مبغضاً لَكَ يَوْماً مَا وَ قَدْ شَرَدَا
وَ الظُّلْمُ فِي الحَشْرِ ظُلُمَاتٌ يَسِيرُ بِهَا   الظُّلَّامُ إِيَّاكَ مِنْ أَنْ تَظْلِمَنْ أَحَدَا

فَهَذِهِ حِكَمٌ مِنْهُ تُسَرُّ بِهَا   إِنْ كُنْتَ تَابِعَ مَنْ إِلَى النَّجَاةِ هَدَى
وَ الْمُصْطَفَى خَيْرُ مَتْبُوعٍ مُؤَيِّدُهُ   مَوْلَاهُ بِالْوَحْيِ وَهْوَ زَادَهُ مَدَدَا
وَ لَا يُحِيطُ بِسِرِّ عِلْمِهِ بَشَرُ   لَا لَا وَ لَا غَيْرُهُ مِنْ كُلِّ مَا وُجِدَا
فَاسْأَلْ بِهِ اللهَ تُعْطَ مَا سَأَلْتَ بِهِ   وَ قُلْ إِلَاهِي بِهِ جُدْ لِي بِخَيْرِ جَدَى
رَبَّ الْبَرِيَّةِ هَبْ لِي مِنْكَ مَرْحَمَةً   تُهْدِي بِهَا الْقَلْبَ مِنِّي فِي طَرِيقِ هُدَى
أَصْلِحْ بِهَا غَائِبِي يَا خَيْرَ مُعْتَمَدٍ   وَ ارْفَعْ بِهَا شَاهِدِي يَا خَيْرَ مَنْ شَهِدَا
و اجْمَعْ بِهَا سَيِّدِي أَمْرِي وَ زَكِّ بِهَا   بَيْنَ الْوَرَى عَمَلِي يَا مُسْتَجِيبَ نِدَا
وَ لم لِي شَعَثِي بَيْنَ الْأَنَامِ بِهَا   وَ كُنْ بِهَا نَاصِرِي عَلَى جَمِيعِ عِدَا
وَ لْتَكْفِنِي كُلَّ سُوءٍ بِالدَّوَامِ بِهَا   وَ كُنْ بِهَا مُلْهِمِي لِأُحْرِزَ الرَّشَدَا
وَ لْتُعْطِنِي الْفَوْزَ فِي الْقَضَا وَ مَنْزِلَةَ   الشَّهِيدِ يَا سَيِّدِي وَ عِيشَةَ السُّعَدَا
بِجَاهِ هَذَا النَّبِيِّ وَ هْوَ خَيْرُ نَبِي   أَتَى بِرُشْدٍ وَ مَنْ بِهِ اقْتَدَى رَشَدَا
سَلِّمْ عَلَيْهِ وَ صِلْهُ بِالصَّلَاتِ عَلَى   مَرِّ الزَّمَانِ مَعَ الصَّلَاةِ دُونَ مَدَى
وَ اشْمَلْ إِلَاهِي جَمِيعَ آلِهِ بِرِضَى   وَ حُفَّنِي مَعَ صَحْبِهِ بِخَيْرِ رِدَا

فصل

في شرف نسبه و كرم بلده
و منشأه صلى الله عليه و سلم

لِلْمُصْطَفَى نَسَبٌ قَدْ زَانَهُ حَسَبٌ   أَبًا وَ أُمًّا وَ مَا نَظِيرُهُ وُجِدَا
فَاخْتَارَهُ اللهُ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ لَهُ   فَكَانَ أَكْمَلَ مُخْتَارٍ غَدَا سَنَدَا
مِنْ خَيْرِ خَيْرِ الْقُرُونِ كَانَ مَبْعَثُهُ   وَ خَصَّهُ بِكَمَالَاتٍ بِهَا انْفَرَدَا
قَدْ شَرَّفَ اللهُ نَوْعَ الْآدَمِيِّ بِهِ   لَوْلَاهُ مَا كَانَ نَسْلُ آدَمٍ أَبَدَا
فَإِنَّهُ الْعَلَمُ الْمَرْفُوعُ بَيْنَهُمُ الْمَخْصُوصُ بِالرَّفْعِ فِي مَقَامِ كُلِّ نِدَا
آبَاؤُهُ كُلُّهُمْ نَالُوا بِهِ شَرَفًا   دُنْيَا وَ أُخْرَى وَ هُمْ مِنْ أَسْعَدِ السُّعَدَا
لَهُمْ بِهِ الشَّرَفُ الطِّينِي مَعَ الشَّرَفِ الدِّينِي وَ فَضْلُهُمُ فِي الْعَالَمِينَ بَدَا
بِالْمُصْطَفَى شُرِّفُوا بِالْمُصْطَفَى عُرِفُوا   بِالْمُصْطَفَى عَرَفُوا مَوْلَاهُمُ الْأَحَدَا

أَكْرِمْ بِهِ مِنْ سُلَالَةٍ مُطَهَّرَةٍ   أَصْلاً وَ فَرْعاً وَفِيهِمْ نُورُهُ شُهِدَا
قَدْ كَانَ نُوراً مُسَبِّحاً لِخَالِقِهِ   مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الوَرَى حَقّاً لَهُ عَبَدَا
وَ سَبَّحَتْ تَبَعاً لَهُ المَلَائِكَةُ الكِرَ   امُ وَ هُوَ لِأَرْوَاحِ الأَنَامِ هُدَى
مَا زَالَ يَسْبَحُ فِي الأَنْوَارِ وَ هُوَ يُسَبِّحُ   الإِلَهَ مَعَ الأَمْلَاكِ مُجْتَهِدَا
فِي طَاعَةِ اللهِ قَدْ أَحْيَ بِهِمْ زَمَناً   مُعَمِّراً عُمْرَهُ بِالشُّكْرِ حَيْثُ غَدَا
حَتَّى أَرَادَ الإِلَهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى   مَرِّ الدُّهُورِ مَعَ الظُّهُورِ كهف هُدَى
أَلْقَاهُ فِي صُلْبِ آدَمِ فَكَانَ بِهِ   خَلِيفَةً جَمَعَ الأَسْرَارَ وَ المَدَدَا
يَجِلُّ فِي مَجْمَعِ الأَمْلَاكِ مَشْهَدُهُ   وَ لَمْ يَكُنْ مَلَكٌ إِلَّا لَهُ سَجَدَا
وَ حِينَ أَهْبَطَهُ لِلأَرْضِ أَهْبَطَهُ   فِي صُلْبِهِ مَعَهُ وَ نُورُهُ اتَّقَدَا
وَ قَدْ غَدَتْ مَعَهُ حَوَاءُ فِي شَغَفٍ   بِهِ وَ مَا قَدْ حَوَاهُ أَذْهَبَ الكَمَدَا
وَ حِينَ أَوْدَعَهَا إِيَاهُ زَادَ لَهَا   حُبّاً وَ كَانَ لَدَيْهَا مِنْهُ خَيْرُ جَدَى
نَالَتْ بِهِ هِبَةَ اللهِ الَّتِي شَمِلَتْ   هَذَا الوُجُودَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وُجِدَا
فَجَاءَ شِيتٌ وَ مَا قَدْ شِئْتَ صِفْهُ بِهِ   فَإِنَّهُ بِاحْتِمَالِ نُورِهِ انْفَرَدَا
وَ بَانَ مِنْهُ إِلَى بَنِيهِ وَ احْتَفَظُوا   عَلَيْهِ وَ السِّرُّ بَانَ فِيهِمُ وَ بَدَا
لَمْ يَلْتَقِي أَبَوَاهُ قَط عَلَى عَنَتِ السِّفَاحِ وَ الكُفْرِ رَغماً لِلْذِي عَنَدَا
إِنْ لَمْ يَكُونُوا جَمِيعاً أَنْبِيَاءَ فَهُمْ   مِنْ نُخْبَةِ الأَوْلِيَاءِ الأَصْفِيَا السُّعَدَا
كَفَاهُمُ حَمْلُهُمْ لِسِرِّ خَيْرِ نَبِي   وَ حَامِلُ السِّرِّ مِنْهُ فِي الوَرَى سَعِدَا
مَا زَالَ مُنْتَقِلاً مِنْ صُلْبِ خَيْرِ أَبٍ   لِخَيْرِ وَالِدَةٍ قَدْ أَحْرَزَ الرَّشَدَا
حَتَّى انْتَهَى سِرُّ حَمْلِهِ لِآمِنَةٍ   فَجَاءَهَا وَلَداً وَ يَالَهُ وَلَدَا
فَكَانَ فِي العَرَبِ ازْدِيَادُهُ وَ لَهُمْ   حُقَّ الهَنَاءُ بِهِ إِذْ فِيهِمُ وُلِدَا
فِي مَكَّةٍ قَدْ أَبَانَ اللهُ مَوْلِدَهُ   أَكْرِمْ بِهِ وَلَداً وَ اعْرِفْ بِهِ بَلَدَا
قَدْ رَفَعَ اللهُ قَدْرَهَا وَ شَرَّفَهَا   وَ زَادَهَا شَرَفاً بِهِ بِغَيْرِ مَدَى
عَلَيْهِ خَيْرُ صَلَاةٍ مِنْهُ فِيهِ لَهُ   قَدْ عَمَّمَتْ آلَهُ وَ صَحْبَهُ الرُّشَدَا

فصل

فيما له صلى الله عليه و سلم مما يتمدح بقلة من ضرورة الحياة

لِلْمُصْطَفَى عِيشَةٌ فِي النَّاسِ مَرْضِيَةٌ   أَكْلاً وَ شُرْباً وَ نَوْماً لَمْ تَكُنْ رَغَدَا
عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ دَاعِي الحَيَاةِ غَدَا   وَ لاَ تَكَلَّفَ مِنْهُ فِي غذا وغدا
مَا كَانَ يَمْلأُ بَطْنَهُ بِشَهْوَتِهِ   وَ لَمْ يَكُنْ هَمُّهُ فِي بَطْنِهِ أَبَدَا
خَيْرُ الطَّعَامِ إِلَيْهِ مَا يَكُونُ عَلَى   كَثِيرِ أَيْدٍ بِهِ مَوْلاَهُ قَدْ حمدَا
وَ لَمْ يَكُنْ أَبَداً يَأْكُلُ مُتَّكِئاً   بَلْ كَانَ مُسْتَوْفِزاً فِيهِ إِذَا قَعَدَا
مَا كَانَ فِي أَهْلِهِ يَوْماً بِسَائِلِهِمْ   عَنِ الطَّعَامِ وَ حَسْبُهُ الَّذِي وَجَدَا
لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُهُ مِنْ أَكْلِهِ شَبَعاً   وَ لَمْ يمُدَّ إِلى غَيْرِ الحَلاَلِ يَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ يَتَشَهَّاهُ بِحَضْرَتِهِمْ   وَ لاَ بِغَيْبَتِهِمْ إِنْ كَانَ أَوْ فُقِدَا
وَ مَا أَتَى فِي الحَدِيثِ عَنْ بَرِيرَةَ مِنْ   سُؤَالِهِ فَهْوَ فِيهِ يظْهرُ الرَّشَدَا
فَقَالَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ هُوَ لَهَا   صَدَقَةٌ وَ لَنَا هَدِيَّةٌ وَجِدَا
وَ اللهِ مَا كَانَ أَكْلُهُ وَ مَشْرَبُهُ   إِلاَّ لِتَبْيِينِهِ لَنَا طَرِيقَ هُدَى
وَ حَضَّ أُمَّتَهُ فِي الإِقْتِدَاءِ بِهِ   فِي ذَاكَ إِذ ذاكَ مِمَّا يُشْرِقُ الخَلَدَا
فَقَالَ مَا مَلأَ ابْنَ الآدَمِيِّ وِعَا   شَرّاً مِنَ البَطْنِ إِذْ يَجُرُّهُ لِرَدَى
حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِيمُ بِهَا   صُلْباً وَ زَائِدُ ثُلْثَيْ مِلْءَ بَطْنِهِ دَا
وَ قَدْ أَبَانَ لَنَا عَنْ حِكْمَةِ الحُكَمَا   وَ سِر طِبِّ الأَطِبَّا مِنْهُ مَا وَرَدَا
فَكُلُّهُمْ أَجْمَعُوا أَنَّ التَّقَلُّلَ مِنْ   أَكْلٍ وَ شُرْبٍ وَ نَوْمٍ يُكْثِرُ المَدَدَا
قَدْ قَالَ سُفْيَانُ فِي حَثٍّ عَلَى سَهَرٍ   بِقِلَّةِ الأَكْلِ يَمْلِكُ الفَتَى السُّهُدَا
وَ النَّوْمُ كَثْرَتُهُ لِلقَلْبِ مَفْسَدَةٌ   وَ لَيْسَ يَنْجَحُ سَعْيُ القَلْبِ إِنْ فَسَدَا
وَ قَالَ لُقْمَانُ يَا بني مَنْ مُلِئَتْ   معاه نَامَ لَهُ الفِكْرُ الَّذِي اتَّقَدَا
وَ تَخْرُسُ الحِكْمَةُ الَّتِي لَهُ نَطَقَتْ   بِمِلْئٍ فِيهَا وَ لَمْ يَنَلْ بِهَا رَشَدَا
وَ عَنْ عِبَادَتِهِ الأَعْضَا بِهِ ثَقُلَتْ   وَ بِالَّذِي يَعْتَرِيهِ إِنْ يَقُمْ قَعَدَا
وَ قَالَ سحنُونُ إِنَّ العِلْمَ عِنْدِيَ لَمْ   يَصْلُحْ لِمَنْ أَكَلُوا وَ يَشْبَعُوا أَبَدَا

وَ المُصْطَفَى عِنْدَهُ فِي النَّوْمِ خِفْتَتُهُ   وَ إِنْ تَنَمْ عَيْنُهُ فَالقَلْبُ مَا رَقَدَا
وَ كَانَ بِالجَانِبِ الأَيْمَنِ ضَجْعَتُهُ   مُسْتَظْهِراً قِلَّةَ النَّوْمِ الَّتِي قَصَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الإِلَهُ فَهْوَ مَانِحُهُ   بِمَا يَشَاءُ وَ أَعْطَاهُ كَمَالَ هُدَى
مَعَ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ وَ ذُرِّيَّةٍ   لَهُ وَ أَصْحَابُهُ طُرّاً بِغَيْرِ مَدَى

فصل

فيما له صلى الله عليه و سلم مما يتمدح بكثرته و الفخر بوفوره مما تدعو ضرورة الحياة إليه

قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ أَنَّ قُوَّةَ الرَّجُلِ اعْتِبَارُهَا فِيهِ مِنْ كَمَالِهِ شهدا
وَ قُوَّةُ الوَطْءِ صَحَّتْ عَنْ ذُكُورِيَةٍ   صَحِيحَةٍ أَمْرُهَا فِي النَّاسِ قَدْ حُمِدَا
مَا زَالَتِ النَّاسُ طُرّاً يَفْخَرُونَ بِهَا   وَ الشَّخْصُ إِنْ يَخْلُ عَنْهَا عُدَّ مضطهدا
لِذَاكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُنَوِّهَ بِالمُخْتَارِ وَ هْوَ مَدِيحٌ هَا هُنَا عقدا
أَجَلُّ ذِي الأُمَّةِ الرَّفِيعِ مَنْصِبُهَا   أَكْثَرُهَا نِسْوَةً أَكْرِمْ بِهِ سَنَدَا
قَدْ قَالَ فِي حَثِّهِ تَنَاكَحُوا فَأَنَا   بِكُمْ مُبَاهٍ وَ كُونُوا تَابِعِينَ هُدَى
مَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَهُ طَوْلٌ وَ دَاعِيَةٌ   لِلْوَطْءِ فَلْيَتَزَوَّجْ عَلَّ أَنْ يَلِدَا
مَا زَالَ خَيْرُ الوَرَى يَحُثُّ أُمَّتَهُ   عَلَيْهِ وَ هْوَ لَهُمْ قَدْ بَيَّنَ السَّدَدَا
وَ قَدْ رَأَى العُلَمَاءُ الزُّهْدَ فِيهِ خَطَا   وَ مَنْ رَأَى الزُّهْدَ فِيهِ فَهْوَ مَا زَهِدَا
قَدْ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ حُبِّبَ لِلنَّبِي النِّسَاءُ وَ مَا فِيهِنَّ قَدْ زَهِدَا
فَكَيْفَ يَزْهدُ فِيهِنَّ أمْرُؤٌ بَشَرِي   وَ لَمْ يَنَلْ عِصْمَةً بَلْ رُبَّمَا فَسَدَا
أَمَّا الحَصُورُ النَّبِي يَحْيَى فَعِصْمَتُهُ   تَحَقَّقَتْ مَا لَدَيْهِ شَهْوَةٌ أَبَدَا
كَفَاهُ مَوْلَاهُ مَا تَدْعُو النُّفُوسُ لَهُ   طَبْعاً فَلَمْ يَهْوِ فِي مَهْوَى هَوَى وَرَدَا
أَمَّا ابْنُ مَرْيَمَ فَهْوَ فِي مُجَاهَدَةٍ   لِلنَّفْسِ مَعْ عِصْمَةٍ بِهَا اهْتَدَى وَ هَدَى
وَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ نَقْصٌ مِنْ رُجُولِيَةٍ   بِزُهْدِهِ وَ هْوَ فِي العِبَادَةِ اجْتَهَدَا
أَمَّا النَّبِيُّ فَلَمْ تَشْغَلْهُ نِسْوَتُهُ   عَنْ رَبِّهِ حَيْثُ أَدَّى الحَقَّ حَقَّ أَدَا

قَدْ كَانَ تَحْصِينُهُنَّ مِنْ عِبَادَتِهِ   لِلَّهِ وَ هُوَ أَجَلُّ مَنْ لَهُ عَبَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ حُظُوظِ شَهْوَتِهِ   لِنَفْسِهِ بَلْ لِحَظِّ غَيْرِهِ وُجِدَا
دَلِيلُنَا قَوْلُهُ إِلَيَّ حُبِّبَ مِنْ   دُنْيَاكُمُ مَا إِلَيْهِمْ عَدَّهُ عَدَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ مِنْ دُنْيَاهُ حَيْثُ نَمَاهُ فِيهِمُ لَهُمُ وَ زَادَهُمْ مَدَدَا
وَ قَوْلُهُ جُعِلَتْ لَدَيَّ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ أَبَانَ عَنْ عَظِيمِ جَدَى
وَ قَدْ دَعَتْهُ إِلَى التَّكْثِيرِ قُوَّتُهُ   وَ قُوَّتُهُ لَمْ يَكُنْ كَمَا مَضَى رَغَدَا
قَدْ دَارَ فِي سَاعَةٍ عَنْ كُلِّ نِسْوَتِهِ   وَ هُنَّ مَنْ هُنَّ إِحْدَى عَشْرَةً عَدَدَا
وَ قَالَ بَعْضُ الصِّحَابِ أن قُوَّتَهُ   قِوَى ثَلَاثِينَ أَوْ عَنْ أَرْبَعِينَ عَدَا
وَ هَكَذَا الأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ فَلَهُمْ   قِوَى وَ ذَلِكَ مِمَّنْ يُبْهِرُ الشُّهَدَا
قَدْ كَانَ عِنْدَ سُلَيْمَانٍ قِوَى مِائَةٍ   وَ عَدُّ نِسْوَتِهِ أَلْفٌ بِهِ انْفَرَدَا
أَبُوهُ دَاوُدُ قَدْ كَانَتْ لَهُ مِائَةٌ   تَمَّتْ بِزَوْجَةِ أُورِيَا لَهَا وُلِدَا
فَانْظُرْ إِلى هَذِهِ القِوَى الَّتِي وُجِدَتْ   فِي الأَنْبِيَاءِ وَ قَدْ قَامُوا بِحَقِّ هُدَى
مَا ذَاكَ إِلاَّ لِتَحْقِيقِ الرُّجُولِيَةِ الَّتِي الكَمَالُ بِهَا بَيْنَ الرِّجَالِ غَدَا
لَهُمْ مِنَ الجَاهِ عِنْدَ الجَاهِلِينَ وَ عِنْدَ العَارِفِينَ وَ عِنْدَ اللهِ مَا حُمِدَا
وَ الجَاهُ يُحْمَدُ عَادَةً لَدَى العُقَلاَ   وَ صَاحِبُ الجَاهِ فِي القُلُوبِ قَدْ صَعِدَا
وَ إِنْ أَضَرَّ بِبَعْضِ النَّاسِ جَاهُهُمُ   فَالأَنْبِيَا جَاهُهُمْ مَا ضَرَّهُمْ أَبَدَا
فَانْظُرْ إِلَى وَصْفِ عِيسَى فِي الكِتَابِ فَقَدْ أَتَى وَجِيهاً وَ فِي الدَّارَيْنِ قَدْ سَعِدَا
وَ المُصْطَفَى فَاقَ غَيْرَهُ بِأَرْبَعَةٍ   شَجَاعَة قُوَّة البطش الجماع نَدَا
فَكَانَ فِي قَوْمِهِ رَفِيعَ مَنْزِلَةٍ   سِيَّانَ فِي ذَاكَ أَحْبَابٌ لَهُ وَ عِدَا
عَظِيمُ جَاهٍ عَدِيمُ المِثْلِ بَيْنَهُمُ   بَلْ مِثْلُهُ بَيْنَ كُلِّ الخَلْقِ مَا وُجِدَا
لَهُ غَدَتْ فِي القُلُوبِ حِشْمَةٌ وَ مَكَا   نَةٌ بِكُلِّ مَكَانٍ فِيهِ قَدْ شُهِدَا
فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنْ قَبْلِ النُّبُوَّةِ بَلْ   وَ بَعْدَهَا قَدْرُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ صَعِدَا
هُمْ يَقْصِدُونَ أَذَاهُ خُفْيَةً فَإِذَا   رَأَوْهُ عَادُوا وَ عَادُوا مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
يَقْضُونَ حَاجَتَهُ مَتَى يُوَاجِهُهُمْ   لِمَا لَهُ مِنْ جَلَالِ الجَاهِ حَيْثُ بَدَا
وَ كَانَ يَبْهَتُ مَنْ لَمْ يَعْرِفُوهُ إِذَا   رَأَوْهُ إِلاَّ وَ نُورُهُ قَد اتَّقَدَا
كَمْ مِنْ أُنَاسٍ رَأَوْهُ مُقْبِلاً فَرَقُوا   مِنْهُ وَ كَمْ وَاحِدٍ رَآهُ فَارْتَعَدَا

حَازَ العُلَى كُلَّهُ فَصَارَ مَظْهَرَهُ   جَازَ العُلَى كُلَّهَا فَسَار مُنْفَرِدَا
وَ لَمْ يَزَلْ وَحْدَهُ مُخَصَّصاً بِعُلَى   تَعْلُو بِهِ وَ بِهَذَا مَنْ عَلَا شهِدَا
مَا العَقْلُ يَدْرِي وَ لا يَدْرِي حَقِيقَتَهُ   دُنْيَا وَ أُخْرَى وَ لَمْ يُدْرِكْ لَهُ أَمَدَا
هَلْ مِنْ مَجَالٍ لِعَقْلٍ فِي مَدَارِكِهِ   وَ كُلُّ عَقْلٍ يَرُومُ دَرْكَهُ صُفِدَا
فَاعْرِفْ بِسَيِّدِ ولْدِ آدمٍ فَلَهُ   جَاهٌ وَ مَجْدٌ وَ فَضْلٌ مَا لَدَيْهِ مَدَى
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي بِالحَقِّ أَرْسَلَهُ   لِلْخَلْقِ طُرّاً فَلَوْلَاهُمْ كَمَالَ جِدَى
مَعْ آلِهِ وَ صِحَابِهِ وَ مَنْ لَهُمُ   قد اقتدى دائما و فيهم اعتقدا

فصل

فيما له صلى الله عليه و سلم مما تختلف الأحوال في التمدح به و التفاخر بسببه و التفضيل لأجله مما تدعو ضرورة الحياة إليه

قَدْ أُوتِيَ المُصْطَفَى مَا لَمْ يَكُنْ لِغَنِي   مِنَ المَفَاتِحِ وَ هْوَ فِيهِ قَدْ زَهِدَا
مَا قَالَ يَوْماً لِمَالٍ نَالَهُ أَحَدٌ   وَ لَوْ تَجَاوَزَ قَدْرُ وَزْنِهِ أُحُدَا
وَ رَاوَدَتْ نَفْسَهُ الجِبَالُ مِنْ ذَهَبٍ   فَرَدَّهَا وَ حَبَاهَا من له وردا
وَ لَمْ يَزَلْ بَاذِلاً لِلْخَيْرِ يُنْفِقُهُ   فِي المُسْتَحِقِّ الَّذِي عَلَيْهِ قَدْ حُمِدَا
مَا سَرَّهُ أَنْ يَبِيتَ عِنْدَهُ نَشَبٌ   إِلاَّ الَّذِي خَصَّهُ لِدِينٍ أَوْ لِجِدَى
أَتَتْهُ مَرَّةً أَمْوَالٌ فَفَرَّقَهَا   لَكِن بَقِي مِنْهُ نَحْوُ سِتَّةٍ عَدَدَا
فَحَازَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ لَدَيْهِ فَلَمْ   يَنَمْ إِلَى أَنْ حَبَاهُ مَنْ لَهُ قَصَدَا
وَ قَالَ الآنَ إِسْتَرَحْتُ وَ هْوَ مُعْتَمِدٌ   عَلَى الَّذِي لَمْ يَزَلْ بِيَدِهِ مَدَدَا
وَ مَعْ فُتُوحَاتِهِ وَ مَا يُسَاقُ لَهُ   لَمْ يَسْتَبِدَّ بِشَيْءٍ جَاءَهُ أَبَدَا
بَلْ كَانَ يَصْرِفُ ذَاكَ فِي مَصَارِفِهِ   مِمَّا يُقَوَّى بِهِ الإِسْلَامُ فِي السُّعَدَا
وَ كَانَ مُقْتَصِراً لَدَى ضَرُورَتِهِ   عَمَّا دَعَتْهُ إِلَيْهِ فِيهِ مُقْتَصِدَا
وَ كَانَ يَلْبَسُ مَا لَهُ تَيَسَّرَ مِنْ   نَوْعِ المَلَابِسِ فِي المَلاَ الَّذِي وُجِدَا
وَ لَمْ يَكُنْ فِي الثِّيَابِ يَنْتَقِي حَسَناً   لَهُ وَ كَمْ خَشِنٍ مِنْهَا ارْتَدَاهُ رِدَا
يَكْسُو بِأَقْبِيَةِ الدِّيبَاجِ حَاضِرَهُ   وَ مستحقُّ الصِّحَابِ حقه رصدا

وَ قَدْ أَتَى أَنَّهُ أَتَاهُ مخرمةٌ   يَوْماً وَ كَانَ لَهُ المُخْتَارُ قَدْ فَقَدَا
فَأَخْرَجَ المُصْطفَى مِنْ خَيْرِ أَقْبِيَةٍ   لَهُ قِبَاءٌ وَ قَالَ ذَا إِلَيْكَ جِدَا
وَ كَانَ خَبَّأَهَا لَهُ لِغيبَتِهِ   فَحَازَهَا مِنْهُ وَ هْوَ فِي رِضَاهُ غَدَا
فَانْظُرْ لِهَذَا النَّبِيِّ كَيْفَ عَامَلَ مَنْ   وَافَى إِلَيْهِ وَ كَمْ أَهْدَى لَهُمْ وَ هَدَى
وَ انْظُرْ إِلَى خُلْقِهِ العَظِيمِ فَهْوَ يُرَى   عَدِيمَ مِثْلٍ بِمَا بِهِ قَد انْفَرَدَا
لَهُ تَيَسَّرَتِ الأُمُورُ أَجْمَعُهَا   وَ شَأْنُهُ كُلُّهُ فِي الخَلْقِ قَدْ حُمِدَا
فَإِنَّهُ لَمْ يَمِلْ عَنِ الهُدَى وَ لَهُ   مَالٌ تَأَتَّى لَهُ وَ مَا بِهِ فَسَدَا
وَ الفَضْلُ فِي النَّاسِ كُلُّ الفَضْلِ تَرْكُ هَوَى نَفْسٍ وَ صَاحِبهَا لِلْمَالِ قَدْ وجدَا
وَ مَا التَّمَدُّحُ بِالدُّنْيَا لِمَالِكِهَا   يَتِمُّ حَتَّى يُرَى بِهَا نَفَى الكَمَدَا
وَ المُصْطفَى قد أَتَتْهُ وَ هْيَ رَاغِمَةٌ   وَ قَدْ حَبَاهَا لِمَنْ إِلَيْهِ مَدَّ يَدَا
يُعْطِي عَطَاءَ الَّذِي لَدَيْهِ كُلُّ غِنَى   وَ لَيْسَ يَخْشَى لَهُ فَقْراً بِهِ قَعَدَا
وَ مَعْ غِنَاهُ بِمَا النُّهَى بِهِ انْبَهَرَتْ   قَدْ مَاتَ وَ هْوَ عَلَيْهِ الدَّيْنُ قَدْ وُجِدَا
مَضَى وَ دِرْعٌ لَهُ قَدْ كَانَ رَاهَنَهَا   لَدَى أَبِي شحمَةٍ وَ الرَّهْنُ مَا انْتُقِدَا
إِنْفَاقُهُ قَدْ قَضَى بِرَهْنِهَا وَ عَلَى   أَصْحَابِهِ لَمْ يَكُنْ مُضَيِّقاً أَبَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي بالحَقِّ أَرْسَلَهُ   للخَلْقِ حقّاً وَ مِنْهُ أَحْرَزُوا الرَّشَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى الآلِ الَّذِينَ هُمُ   أَهْلُ العُلَى وَ عَلَى الأَصْحَابِ دُونَ مَدَا

فصل

فيما له صلى الله عليه و سلم من الأخلاق
الحميدة و الخصال المكتسبة الجليلة السعيدة

مَا خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الفَضْلِ قَدْ حُمِدَتْ   إِلاَّ وَ لِلمُصْطَفَى مِنْهَا الَّذِي مَجُدَا
وَ لاَ كَمَالَ غَدَا لِلخَلْقِ مُكْتَسَباً   إِلاَّ وَ كَانَ الأَتَمَّ فِيهِ محتشدَا
وَ لاَ جَمَالَ يُرَى فِي الكَوْنِ مُكْتَمِلاً   إِلاَّ وَ فِي خَلْقِهِ فِي الخلْقِ قَدْ شُهِدَا
فِي غَايَةِ المُنْتَهَى مِمَّا يَكُونُ بِهِ   للخَلْقِ حُسْنُ اتِّصَافٍ فِيهِ قَدْ وجدا
وَ إِنَّهُ لَعَلَى الخُلْقِ العَظِيمِ أَتَى   عَدِيمَ مِثْلٍ يُرَى فِيمَا خَفَى وَ بَدَا

بِذَلِكَ اللهُ قَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ وَفِي   ثَنَائِهِ جَلَّ مَا بِهِ قَد انْفَرَدَا
فَكَانَ مِنْ خُلْقِهِ الْقُرْآنُ وَ هْوَ بِهِ يَرْضَى وَ يَسْخَطُ عَمَّنْ لَمْ يَنَلْهُ هُدَى
فَهْوَ المتممُ فِي خَلق مكارم آخْلَاقِ بِمَا اللهُ قَدْ حَبَاهُ فِي السُّعَدَا
فَكَانَ أَحْسَنَ كُلِّ الْخَلْقِ فِي خُلُقٍ   دُونَ اكْتِسَابٍ بِهِ قَدْ صَارَ مُتَّحِدَا
بَلْ كَانَ ذَلِكَ مَجْبُولاً عَلَيْهِ بِأَصْلِ فِطْرَةٍ مِثْلَ مَا فِي الأَنْبِيَاءِ غَدَا
فَهُمْ عَلَيْهِمْ سَلَامُ اللهِ قَدْ جُبِلُوا   عَلَى الْكَمَالِ وَ مَا لِمَا حَوَوْهُ مَدَا
فَاللهُ آتَى لِيَحْيَ الْحُكْمَ وَ هْوَ صَبِي   حَتَّى لِعِيسَى بِبَطْنِ أُمِّهِ سَجَدَا
وَ ذَا ابْنُ مَرْيَمَ نَادَاهَا وَ قَالَ لَهَا   لَا تَحْزَنِي وَ بِمَهْدٍ نُطْقُهُ وَرَدَا
وَ مِنْ سُلَيْمَانَ صَحَّ الْحُكْمُ وَ هْوَ صَبِي   فَصَارَ وَالِدُهُ عَلَيْهِ مُعْتَمِدَا
وَ شَدَّ مُوسَى لِحَى فِرْعَوْنَ وَ هْوَ صَبِي   وَ الْجَمْرُ فِي فِيهِ قَدْ وَقَاهُ مِنْهُ رَدَى
وَ اللهُ آتَى لِإِبْرَاهِيمَ وَ هْوَ صَبِي   كَمَالَ رُشْدٍ بِهِ مَقَامُهُ صَعِدَا
وَ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَ اللهِ وَ هْوَ صَبِي   وَ عِنْدَ إِلْقَائِهِ فِي النَّارِ مَا ارْتَعَدَا
قَد اسْتَدَلَّ عَلَى مَوْلَاهُ وَ هْوَ صَبِي   مِنْ بَعْدِ مَا كَسَّرَ الأَصْنَامَ مُتَّئِدَا
وَ كَانَ عُمْرُ ابْنِهِ الذَّبِيحِ سَبْعَ سِنِينَ وَ هْوَ فِيهِ ابْتِلَاءٌ زَادَهُ رَشَدَا
وَ اللهُ أَوْحَى لِيُوسُف وَ كَانَ صَبِي   وَ عِنْدَ إِلْقَائِهِ فِي الْجُبِّ مَا ابْتَعَدَا
وَ الْمُصْطَفَى وَلَدَتْهُ السِّتُّ آمِنَةٌ   وَ قَدْ رَأَتْ مِنْهُ مَا عَنْهَا نَفَى النَّكَدَا
إِلَى الْعُلَى مُومِناً بِطَرْفِهِ وَلِأَرْ   ضٍ بَاسِطاً لِيَدَيْهِ وَ هْوَ قَدْ سَجَدَا
إِلَيْهِ بُغِّضَتِ الأَوْثَانُ مُنْذُ نَشَا   وَ لَمْ يَزَلْ مُرْشِداً لِمَنْ لَهَا عَبَدَا
وَ لَمْ يَهُمَّ بِشَيْءٍ كَانَ يُفْعَلُ عِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ حَمِدَا
وَ هَمُّهُ كَانَ مَرَّتَيْنِ فِي صِغَرٍ   إِلَى سَمَاعِ الْغِنَاءِ ثُمَّ لَمْ يَعُدَا
فَانْظُرْ لِمَا اللهُ أَعْطَى الأَنْبِيَاءَ وَ مَا   عَلَيْهِ قَدْ جُبِلُوا فِي فِطْرَةٍ أَبَدَا
وَ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ تَوْفِيقِ خَالِقِهِمْ   وَ صَوْنِ جَانِبِهِمْ وَ هُمْ هُمُ الرُّشَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ شَأْنُهُمْ بِرَغْمِ شَانِئِهِمْ   يَعْلُو وَ مَا شَانَهُمْ تَشْيِينُ مَنْ جَحَدَا
حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الأَشُدَّ تَمَّ لَهُمْ   حِفْظُ الإِلَهِ وَ كَانُوا أَكْبَرَ الشُّهَدَا
وَ قَدْ يَنَالُ سِوَاهُمْ دُونَ خُلْقِهِمُ   بَعْضَ السَّجَايَا الذِي لَدَيْهِمُ وَجِدَا
وَ يُدْرِكُ الْبَعْضُ مِنْهُمْ بِالتَّخَلُّقِ مَا   يُرَى بِهِ فِي الْخَوَاصِ وِفْقَ مَا اجْتَهَدَا

وَ المُؤْمِنُونَ بِكُلِّ خلَّةٍ وُصِفُوا   إِلا الخِيَانَةَ بَيْنَ الخَلْقِ وَ الفَنَدَا
وَ قَدْ أَتَى فِي حَدِيثٍ قَالَهُ عُمَرٌ   خَيْرُ الغَرَائِزِ فِي النَّبِي قَدْ شُهِدَا
وَكُلُّ شَخْصٍ مُيَسَّرٌ بِدُونِ مِرَا   لِمَا لَهُ خُلِقَ انْهِمَاكاً أَوْ رَشَدَا
وَالنَّاسُ خَيْرُهُمُ مَنْ للنَّبِي تَبِعُوا   وَ كُلُّ مَنْ يَهْتَدِي بِهَدْيِهِ سَعِدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي أَحْيَا القُلُوبَ بِهِ   مَعَ التَّحَايَا الَّتِي تَدُومُ دُونَ مَدَا

فصل

في بيان أصول الأخلاق الحميدة و تحقق وصفه صلى الله عليه و سلم بها كلها تصريحا و تلويحا و توضيحا

العَقْلُ فِي الخَلْقِ حقّاً خَيْرُ مَوْهِبَةٍ   بِهَا قَد اكْتَمَلَ الإِنْسَانُ مُنْذ بَدَا
لَوْلاَ سَنَا العَقْلِ مَا اسْتَنَارَ هَيْكَلُهُ   وَ صَارَ فِي الحَيَوَانِ مَا اهْتَدَى وَ هَدَى
فَالعَقْلُ مِنْهُ انْبِعَاثُ كُلِّ مَعْرِفَةٍ   وَ كُلُّ عِلْمٍ وَ لَوْلاَ العَقْلُ مَا وُجِدَا
وَ كَمْ تَفَرَّعَ عَنْهُ مِنْ مُجَاهَدَةٍ   وَ مِنْ مَصَالِحَ وَ اقْتِنَاءِ خَيْرٍ جِدَا
بِقَدْرِ مَا مِنْهُ عِنْدَ الشَّخْصِ يُعْظَمُ فِي   أُولِي العُلَى قَدْرُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
وَ كُلُّ عَقْلٍ وَ إِنْ سَمَتْ مَعَارِفُهُ   فِي قَدْرِ عَقْلِ النَّبِيِّ مِثْلُ قَطْرِ نَدَى
وَ دُونَ أَدْنَى المَدَارِ مِنْ مَدَارِكِهِ   عَقْلُ العُقُولِ فَلَمْ تُدْرِكْ إِلَيْهِ مَدَى
وَ قَدْ أَحَاطَ بِعِلْمِ الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ   وَ اللهُ قَدْ زَادَ فِي عُلُومِهِ مَدَدَا
وَ لَمْ أُبَالِغْ إِذَا مَا قُلْتُ أَنَّ لَهُ   إِحَاطَةُ العِلْمِ بَيْنَ الخَلْقِ مُنْفَرِدَا
فَعِلْمُهُ حَادِثٌ يَحْكِي إِحَاطَتَهُ   وَ قَدْ تَنَاهَتْ كَمَالاً فَوْقَ مَا عُهِدَا
وَ مَنْ تَتَبَّعَ بَيْنَ الخَلْقِ سِيرَتَهُ   تَحَقَّقَ الحَقَّ فِيمَا قُلْتُ مُطَّرِدَا
فَانْظُرْ لِأَحْوَالِهِ فَكُلُّهَا أَدَبٌ   فِي الخلْقِ وَ هْوَ بِهَا لِرَبِّهِ حَمِدَا
فَفِي أَحَادِيثِهِ وَ فِي حَوَادِثِهِ   بَدَائِعٌ ضِمْنُهَا شَرْحُ الصُّدُورِ بَدَا
مِنْ عِلْمِهِ مَا بِهِ التَّوْرَاةُ جَاءَ وَ مَا الإِ   نْجِيلُ جَاءَ بِهِ وُ كُلُّ مَا وَرَدَا
وَ حِكْمَةُ الحُكَمَاءِ بَعْضُ حِكْمَتِهِ   وَ كُلُّهُمْ بِالَّذِي شَاهَدْتُهُ شُهَدَا
أَلَمْ يَكُنْ مُخْبِراً بِالأَوَّلِينَ وَ حَا   لِ الآخِرِينَ كَأَنَّهُ لَهُمْ شَهِدَا

أَلَمْ يَكُنْ مُنْبِئاً بِحَالِ سِيرَتِهِمْ   سِرّاً وَ جَهْراً وَ كُلُّ قَوْلِهِ اعْتُمِدَا
فَكَانَ فِي كُلِّ فَنٍّ قَوْلُهُ حُجَجاً   قَوِيَّةً قَدْ غَدَتْ لِأَهْلِهَا سَنَدَا
مَا شِئْتَ مِنْ عِبَرٍ فَفِي عِبَارَتِهِ   مَا أَشْبَلَ العبر الَّتِي جلت جلدا
رُؤْيَاهُ جَاءَتْ كَمِثْلِ الفَجْرِ فِي فَلَقٍ   وَ حُسْنُ تَعْبِيرِهِ لَهُ الحِجَا سَجَدَا
لَهُ الأَطِبَّاءُ أَذْعَنُوا وَ كَانَ لَهُمْ   بِهِ اقْتِدَا فِي العِلَاجِ بِالدَّوَاءِ لِدَا
وَ فِي الحِسَابَاتِ قَدْ عَنَتْ لَهُ النُّبَهَا   إِذْ مِنْهُ مَا لَيْسَ فِي حُسْبَانِهِمْ وُجِدَا
وَ مِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ نَسَّابَةً أَخَذَ الأَنْسَابَ عَنْهُ الأُلَى فِيهَا غَدُوا عُمَدَا
وَ فِي سِيَاسَتِهِ بَدَتْ سِيَادَتُهُ   وَ لَيْسَ يُخْفِي سَنَاهَا مَنْ لَهُ جَحَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ مِنْهُ عَنْ مدارَسَةٍ   بَلْ ذَاكَ مِنْ رَبِّهِ عَلَيْهِ قَدْ وَرَدَا
نَاهِيكَ بِالعَرَبِي الأُمِّيِّ إِذْ غَمَرَتْ   عُلُومُهُ الخَلْقَ ثُمَّ عَمَّهُمْ مَدَدَا
فِي قَوْمِهِ لَمْ يَكُنْ بِالعِلْمِ مُشْتَهِراً   حَتَّى بَدَا أَمْرُهُ لَمَّا دَعَا لِهُدَى
وَ اللهُ عَلَّمَهُ مَا لَيْسَ يَعْلَمُهُ   سِوَاهُ مِمَّنْ لَدَى التَّعَلُّمِ اجْتَهَدَا
حَارَتْ عُقُولُ الوَرَى فِيمَا حَبَاهُ بِهِ   وَ كَيْفَ تُدْرِكُهُ وَ مَا لَدَيْهِ مَدَى
وَ لَيْسَ يَبْلُغُ وَصْفَ قَدْرِهِ أَحَدٌ   وَ لَوْ أَطَالَ مَدِيحاً طَاوَلَ الأَبَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي يُعْطِي الصِّلَاتِ لِمَنْ   صَلَّى عَلَيْهِ فَيَرْقَى مَنْصِباً صَعَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى الآلِ الَّذِينَ بِهِ   حَازُوا المَزَايَا الَّتِي لَمْ أُحْصِهَا عَدَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى الصَّحْبِ الهُدَاةِ وَ مَنْ   بِهِمْ بِنَهْجِ الهُدَى قَد اهْتَدَى وَ هَدَى

فصل

في الحلم و الاحتمال و العفو مع المقدرة
و ما له صلى الله عليه و سلم من ذلك

الحِلْمُ وَ العَقْلُ فِي ذَاتِ النَّبِي اتَّحَدَا   وَ مِنْهُمَا اتَّخَذَ الوَرَى هُدَى وَ يَدَا
فَكَمْ عَفَا عَنْ عِدَاهُ بَعْدَ مَقْدِرَةٍ   مَعَ احْتِمَالِ أَذَاهُمْ وَ هُوَ مَا حَقَدَا
فَكَانَ مُؤْتَمِراً بِمَا يُطَابِقُ خُذْ   بِالعَفْوِ وَ أْمُرْ بِعُرْفٍ فِي كَمَالِ هُدَى
يَعْفُو وَ يَصْفَحُ عَمَّنْ كَانَ يَظْلِمُهُ   وَ يُوصِلُ الحَبْلَ مِمَّنْ قَاطَعُوهُ سُدَى

وَ كَانَ يَمْنَحُ مَنْ قَدْ كَانَ يَمْنَعُهُ   وَ لَمْ يَزَلْ مُرْشِداً لِمَنْ لَهُ جَحَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ لِأَلِيمِ السُّوءِ مُحْتَمِلاً   بِمَا لَهُ مِنْ جَمِيلِ الصَّبْرِ مُنْذُ بَدَا
فَكَانَ فِي الرُّسْلِ أُولِي العَزْمِ مُتَّصِفاً   بِحُسْنِ صَبْرٍ بِهِ قَدْ نَالَ مَا قَصَدَا
وَ لَمْ يَزِدْ غَيْرَ حِلْمٍ بَيْنَ مَنْ جَهِلُوا   عَلَيْهِ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ فِيهِ لَنْ يَجِدَا
شَجَّتْ أَعَادِيهِ مِنْهُ الوَجْهَ فِي أُحُدٍ   وَ مَا عَلَيْهِمْ دَعَا بَلْ قَالَ مُتَّئِدَا
لاَ هُمَّ فَلْتَهْدِ لِي قَوْمِي فَإِنَّهُمُ   لاَ يَعْلَمُونَ وَ أَلْهِمْهُمْ لَكَ الرَّشَدَا
فَانْظُرْ إِلى صَفْحِهِ عَنْهُمْ وَ رَأْفَتِهِ   بِهِمْ وَ مَا زَالَ عَنْهُمْ يكشف الكمدا
وَ قَدْ نَهَى صَحْبَهُ عَنْ قَتْلِ قَرْبُصَ حِينَ قَالَ فِيهِمْ لَهُ اعْدِلْ وَ اشْهَدِ الأَحَدَا
وَ جَاءَهُ غَوْرَثُهَا وَ السَّيْفُ فِي يَدِهِ   صَلْتٌ وَ قَالَ لَهُ مَنْ مَانِعُوكَ رَدَى
أَتَى لَهُ وَ هُوَ قَائِلٌ فَقَالَ لَهُ   اللهُ يَمْنَعُنِي مِنْ كُلِّ مَا وَرَدَا
وَ عِنْدَ ذَلِكَ طَاحَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ   وَ مَا اسْتَطَاعَ بِأَنْ يَمُدَّ فِيهِ يَدَا
فَقَامَ خَيْرُ الوَرَى وَ قَدْ تَنَاوَلَهُ   وَ قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنْ رَدَى وَفَدَا
فَقَالَ كُنْ خَيْرَ آخِذٍ فَقَالَ لَهُ   عَفَوْتُ عَنْكَ وَ سَارَ عَنْهُ مُرْتَعِدَا
وَ سَارَ يَعْدُو لِقَوْمِهِ وَ قَالَ لَهُمْ   أَتَيْتُكُمْ مِنْ أَجَلِّ النَّاسِ وَ السُّعَدَا
وَ لَمْ يُؤَاخِذْ لَبِيداً لاَ وَ لاَ ابْنَ أُبَي   وَ لاَ اليَهُودِيَّةَ الَّتِي بِهَا فئدا
مَا كَانَ وَاخَذَهَا بِحَقِّ أُكْلَتِهِ   لَكِنْ بِمَنْ هُلِكُوا قِصَاصُهَا وُجِدَا
وَ كُلُّ مَنْ عَنْهُمُ عَظَائِمُ نُقِلَتْ   فِي جَنْبِهِ لَمْ يُؤَاخِذْ مِنْهُمُ أَحَدَا
إِلَيْهِ قَدْ جَاءَ أَعْرَابِي وَ قَالَ لَهُ احْمِلْ لِي عَلَى جَمَلِيَّ دِينَ خير جِدَا
فَأَنْتَ مَا لَكَ مَالٌ كُنْتَ تَمْلِكُهُ   وَ إِنَّمَا المَالُ مَالُ اللهِ حَيْثُ بَدَا
وَ شَدَّ شَدّاً قَوِيّاً مِنْهُ يَجْذِبُهُ   إِلَيْهِ حَتَّى لَقَدْ آذَاهُ طَرْف رِدَا
فَقَالَ مَالِيَ مَالُ اللهِ أعرِفُهُ   وَ أَنْتَ لاَبُدَّ مِنْكَ آخِذُ القَوَدَا
فَقَالَ لاَ قَالَ لِمْ فَقَالَ إِنَّكَ لاَ   تُكَافِئُ السُّوءَ بِالسُّوءِ الَّذِي وَرَدَا
فَعِنْدَ ذَاكَ تَبَسَّمَ الرَّسُولُ وَ أَعْطَاهُ المُنَى فَوْقَ مَا قَدْ رَامَهُ وَ غَدَا
وَ قَالَتِ السِّتُّ ذَاتُ الفَضْلِ عَائِشَةٌ   مَا كَانَ خَيْرُ الوَرَى فِي حَالَةٍ حَرِدَا
لَمْ يَضْرِبَنْ خَادِماً يَوْماً وَ لاَ امْرَأَةً   مَا لَمْ يُجَاهِدْ فَفِي الأَعْدَا يَمُدُّ يَدَا
وَ لَنْ تَرَاهُ لِحَظِّ النَّفْسِ مُنْتَصِراً   بَلْ أَمْرُهُ فِي الوَرَى وَ نَهْيُهُ حُمِدَا

إِلَيْهِ جِيءَ بِشَخْصٍ ثُمَّ قِيلَ لَهُ   هَذَا لِقَتْلِكَ يَا خَيْرَ الوَرَى عَمَدَا
فَرَدَّ عَنْهُ وَ قَالَ لا تُرَاعَ وَ لَوْ   أَرَدْتَ ذَلِكَ لَمْ تَصِلْ لَهُ أَبَدَا
وَ جَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ ابْنُ سَعْنَةَ مَا   لَهُ وَ أَغْلَظَ فِي قَوْلٍ وَ جَرَّ رِدَا
وَ قَالَ إِنَّكُمُ مُطْلٌ فَقَامَ لَهُ   مُشَدِّداً عُمَرٌ بِالحَالِ مُنْتَقِدَا
فَقَالَ خَيْرُ الأَنَامِ وَ هُوَ مُبْتَسِمٌ   لَوْ كُنْتَ يَا عُمَرُ آمَرْتَنَا بِأَدَا
وَ بِالتَّقَاضِي الجَمِيلِ كُنْتَ تَأْمُرُهُ   فَالخَيْرُ فِي ذَاكَ مِنْ قَوْلٍ يَكُونُ سُدَى
وَ لْتَقْضِهِ دِينَهُ إِذَا انْقَضَى أَجَلٌ   وَ زِدْهُ عِشْرِينَ صَاعاً تُذْهِبِ الحَرَدَا
فَكَانَ ذَلِكَ فِي إِسْلامِهِ سَبَباً   بَعْدَ التَّحَقُّقِ أَنَّهُ نَبِيُّ هُدَى
وَ قَالَ مِنْ بَعْدِ إِسْلامٍ أَتَيْتُ بِمَا   بِهِ أَتَيْتُ لِسِرٍّ مَا بِهِ انْفَرَدَا
فَقَدْ رَأَيْتُ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِيهِ كُلَّهَا طِبْقَ مَا فِي الكُتْبِ قَدْ وَرَدَا
إِلاَّ اثْنَتَيْنِ فَلَمْ أَخْبُرْهُمَا فَلِذَا   أَتَيْتُهُ بِالجَفَا فَنِلْتُ مِنْهُ جِدَا
فَالحِلْمُ يسبقُ مِنْهُ جَاهِلِيهِ وَ قَدْ   سَمَتْ مَرَاتِبُ حِلْمِهِ لِكُلِّ مَدَى
وَ أَنَّهُ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ كَابَدَ مَا   بِهِ تَذُوبُ القُلُوبُ فِي الوَرَى نَكَدَا
كَادُوا يَمُوتُونَ خَوْفاً حِينَ أَظْهَرَ   هُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ سَيِّداً سَنَدَا
فَقَالَ يَا قَوْمِ مَاذَا تَزْعَمُونَ بِأَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
قَالُوا سَتَفْعَلُ خَيْراً غَيْرَ مُلْتَفِتٍ   إِلَى الإِسَاءَةِ مِنَّا مِثْلَ مَا عُهِدَا
فَقَالَ إِنِّي أَقُولُ مِثْلَ قَوْلِ أَخِي   وَ أَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ وَ حِّدُوا الأَحَدَا
فَأَسْلَمَ المُفْلِحُونَ مِنْهُمُ وَ رَأَوْا   مَا سَرَّهُمْ وَ الجَحُودُ فِي عَمَاهُ غَدَا
فَانْظُرْ إِلَى لُطْفِهِ بِهِمْ وَ مَا فَعَلُوا   بِهِ وَ ذَلِكَ مِنْ فِعَالِ شَرٍّ عِدَا
أَتَى ثَمَانُونَ شَخْصاً مُزْمِعِينَ عَلَى   قَتْلِ النَّبِي وَ لَهُ جَمِيعُهُمْ رَصَدَا
جَاءُوا إِلَيْهِ مِن التَّنْعِيمِ عِنْدَ صَلاَ   ةِ الصُّبْحِ فَانْخَذَلُوا وَ اسْتوصلُوا عَدَدَا
وَ بَعْدَ أخذهم فِي الحِينِ أَعْتَقَهُمْ   وَ لَمْ يُؤَاخِذْ بِسُوءٍ مِنْهُمُ أَحَدَا
وَ سِيقَ يَوْماً إِلَى خَيْرِ الأَنَامِ أَبُو   سُفْيَانَ مِنْ بَعْدِمَا أَسَاءَ مُلْتَحِدَا
وَ كَانَ جَاءَ بِأَحْزَابٍ مُحَزَّبَةٍ   عَلَى النَّبِيِّ عَسَى أَنْ يُورِدُوهُ رَدَى
وَ مَثَّلُوا بِسَرَاةٍ مِنْ صَحَابَتِهِ   وَ أَظْهَرُوا فِيهِمُ مَا فَتَّتَ الكَبِدَا
حَتَّى لَقَدْ قَتَلُوا عَمَّ النَّبِيِّ وَ قَدْ   عَفَا النَّبِي عَنْهُمُ وَ عَمَّهُمْ مَدَدَا

فَعِنْدَ ذَاكَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ أَنَا   أَفْدِيكَ يَا أَحْلَمَ العِبَادِ خَيْرَ فِدَا
وَ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ أَسْرَعَ كُلِّ النَّاسِ عَفْواً وَ أَبْعَدَ الوَرَى حرَدَا
مَا كَانَ أَحْلَمَهُ مَا كَانَ أَوْصَلَهُ   مَا كَانَ أَكْرَمَهُ بِجَيِّدٍ وَجِدَا
فَانْظُرْ إِلَى صَفْحِهِ عَمَّنْ أَسَاءَ لَهُ   وَ كَمْ حَدِيثٍ بِهِ بَيْنَ الوَرَى وَرَدَا

فصل

في الجود و الكرم و السخاء و السماحة و ما له صلى الله عليه و سلم من ذلك

مَنْ ذَا يُشَابِهُ خَيْرَ الخَلْقِ فِي كَرَمٍ   وَ جُودُهُ فِي الوُجُودِ طَاوَلَ الأَبَدَا
فَلاَ يُوَازِيهِ شَيْءٌ فِي مَكَارِمِهِ   وَ لاَ يُبَارِيهِ فِيهَا مَنْ أَطَالَ يَدَا
فَإِنَّهُ البَحْرُ قَدْ حَلاَ لِوَارِدِهِ   وَ لَمْ يَزَلْ مَوْرِداً لِمَنْ لَهُ وَرَدَا
مَا قَالَ لاَ لِامْرِئٍ أَتَاهُ يَسْأَلُهُ   لَوْلاَ التَّشَهُّدُ لَمْ يَنْطِقْ بِلاَ أَبَدَا
وَ كَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَا   نَ وَ هُوَ مَنْبَعُ بَحْرِ الجُودِ مُنْذُ بَدَا
وَ كَانَ أَجْوَدَ مِنْ رِيحِ الصَّبَا بِفُيُوضِ الخَيْرِ إِنْ كَانَ جِبْرِيلٌ لَهُ وَفَدَا
أَتَاهُ صَفْوَانُ يَوْماً سَائِلاً فَحَبَاهُ مَا بِهِ قَدْ غَدَا عَيْشٌ لَهُ رَغَدَا
وَ جَاءَ أَقْوَامَهُ وَ قَالَ جِئْتُكُمُ   مِنْ عِنْدِ مَنْ جُودُهُ عَمَّ الوُجُودَ جِدَا
يُعْطِي العَطَاءَ الجَزِيلَ مِنْهُ فَوْقَ عَطَا مَنْ لَيْسَ يَخْشَى افْتِقَاراً قَامَ أَوْ رَقَدَا
أَعْطَى لَهُ غَنَماً كَثِيرَةً مَلأَتْ   فَسِيحَ وَادٍ وَ مِنْهُ أَحْرَزَ الرَّشَدَا
أَعْطَى لَهُ مَائِةً مِنْ بَعْدِهَا مِائَةً   مِنْ بَعْدِهَا مَائَةً مِنْ أَيْنُقٍ عَدَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ وَاحِدٍ أَعْطَى لَهُ مِائَةً   مِنْ أَيْنُقٍ مِنْ أَحِبَّاءٍ لَهُ وَ عِدَا
وَ هَذِهِ حَالُهُ مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ   وَ بَعْدَهُ لَمْ يَدَعْ مِنْ فَضْلِهِ أَحَدَا
لَهُ خَدِيجَةُ قَالَتْ وَ هْيَ شَاهِدَةٌ   وَ اللهِ لَمْ يُخْزِكَ اللهُ العَلِي أَبَدَا
وَ قَدْ أَتَتْ لابْنِ نَوْفَلٍ بِهِ وَ لَهُ   قَدْ قَالَ مَا قَالَهُ وَ قَوْلُهُ وَرَدَا
عَلَى هَوَازِنَ رَدَّ مَالَهَا وَ سَبَا   يَاهَا وَ عَنْ كُلِّهِمْ قَدْ أَذْهَبَ النَّكَدَا
وَ قَدْ حَبَا عَمَّهُ العَبَّاسَ مِنْ ذَهَبٍ   مَا لَمْ يَطِقْ حَمْلَهُ وَ عَمَّهُ مَدَدَا

إِلَيْهِ تِسْعُونَ أَلْفاً مِنْ دَرَاهِمَ قَدْ   سِيقَتْ فَأَعْطَى جَمِيعَ مَنْ لَهُ قَصَدَا
مَا رَدَّ سَائِلَ شَيْءٍ جَاءَ يَسْأَلُهُ   مِنْهَا وَوَزَّعَهَا وَ لَمْ يَدَعْ أَحَدَا
وَ جَاءَ يَسْأَلُهُ شَخْصٌ فَقَالَ لَهُ   مَا عِنْدَنَا لَكَ شَيْءٌ نَصْطَفِيهِ جِدَا
لَكِن لَكَ ابْتَعْ عَلَيْنَا مَا تُؤَمِّلُهُ   وَ نَحْنُ نَقْضِيهِ عَنْكَ كَيْفَمَا وُجِدَا
فَقِيلَ لاَ تَتَحَمَّلْ يَا مُحَمَّدُ مَا   لَمْ تَقْدِرَنَّ عَلَيْهِ وَ لْتَعِدْهُ يَدَا
وَ حِينَهُ كَرِهَ النَّبِيُّ ذَاكَ إِلَى   أَنْ نَفَّسَ الصحْبُ عَنْهُ بَعْضَ مَا وَجَدَا
فَقَالَ شَخْصٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَا سَنَدِي   أَنْفِقْ وَ لاَ تَخْشَ إِقْلاَلاً تَجِدْ سَدَدَا
وَ عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ المُصْطَفَى لَهُمُ   بِذَا أُمِرْتُ وَ بِشْرُ الوَجْهِ مِنْهُ بَدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّهِ خَدِيمُهُ أَنَسٌ   لَمْ يَدَّخِرْ لِغَدٍ شَيْئاً وَ لَوْ لِغَدَا
إِلَيْهِ أَهْدَى ابْنُ عَفْرَاءَ عَلَى طَبَقٍ   قِثَّاءَ مَعْ رُطَبٍ لَدَيْهِ قَدْ نضدَا
فَعَمَّرَ المُصْطَفَى كَفَّيْهِ مِنْ ذَهَبٍ   وَ كَفَّ عَنْهُ الأَذَى مِمَّنْ عَلَيْهِ عَدَا
وَ جَاءَهُ سَائِلٌ يَوْماً يُسَائِلُهُ   فَاسْتَسْلَفَ المُصْطَفَى لَهُ الَّذِي وَجَدَا
فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ مسلفُهُ   فَزَادَهُ نِصْفَ وَسْقٍ وَ هْوَ حُسْنُ أَدَا
وَ هَكَذَا كَانَ يجْزِي مَنْ يُعَامِلُهُ   وَ يغمرُ الطَّالِبِينَ مِنْهُ بَحْرَ نَدَى
وَ جُودُهُ فِي الوُجُودِ لَسْتُ أُحْصِرُهُ   وَ لَوْ أَطَلْتُ الثَّنَا عَلَيْهِ مُجْتَهِدَا
وَ كَيْفَ لاَ وَهْوَ قَدْ فَاضَتْ مَنَابِعُهُ   بِكُلِّ خَيْرٍ وَجُودٍ فِي الوُجُودِ بَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي بِالجُودِ أَوْجَدَهُ   فَكَانَ وَاسِطَةً فِي كُلِّ مَا وُجِدَا
مَعَ السَّلاَمِ عَلَى آلٍ وَ مَنْ لَهُمُ   مِنَ المَوَالِي عَلَى طُولِ الدَّوَامِ غَدَا

فصل

في الشجاعة و النجدة و ماله
صلى الله عليه و سلم من ذلك

لِلْمُصْطَفَى نَجْدَةٌ تَعْنُو الرُّؤُوسُ لَهَا   بَيْنَ الوَرَى فِي الوَغَى يُسْبِي بِهَا الأَسَدَا
فِي حَلْقِ كُلِّ العِدَا شَجَى شَجَاعَتِهِ   غَدَتْ وَ حُزْنُهُمُ بِحَرْبِهِ اتَّقَدَا

تَرَاهُ ثَابِتَ جَأْشٍ فِي مَوَاقِفِهِ   إِنْ كَرَّ أَوْ فَرَّ عَنْهُ مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
سَلْ عَنْهُ أَعْدَاءَهُ وَ سَلْ أَحِبَّتَهُ   وَ سَلْ حُنَيْناً وَ سَلْ بَدْراً وَ سَلْ أُحُدَا
فَفِي حُنَيْنٍ رَمَى أَعْدَاءَهُ فَغَدُوا   فِي الحِينِ مُنْهَزِمِينَ فِي سَبِيلِ رَدَى
وَ بَعْدَمَا المُسْلِمُونَ أَدْبَرُوا فِرَقاً   و فُرِّقُوا فِرَقاً وَ المُصْطَفَى انْفَرَدَا
لَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِوَى ثَلَاثَةٌ وَقَفُوا   بِجَنْبِهِ وَقَفُوْهُ فِي طَرِيقِ هُدَى
عَمُّ النَّبِي وَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنٍ وَ أَبُو   سُفْيَانَ هُمْ لَازَمُوا رِكَابَهُ رَشَدَا
وَ قَدْ أُصِيبَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنٍ وَ لَهُ   قَدْ كَانَ جنة خَيْبَرٍ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ المُصْطَفَى مُتَقَدِّمٌ بِبَغْلَتِهِ   وَ بِاللِّجَامِ أَبُو سُفْيَانُ قَدْ قَعَدَا
عَلَيْهِ قَدْ خَافَ مِنْ إِسْرَاعِهَا فَيَنَا   لَ مِنْهُ أَعْدَاؤُهُ المُرَادَ مُنْفَرِدَا
وَ قَالَ فِي الحَالِ يَا لَلْمُسْلِمِينَ وَ قَدْ   نَادَى بِذَا مِثْلَهُ العَبَّاسُ خَيْرَ نِدَا
وَ قَالَ خَيْرُ الوَرَى شَاهَتْ وُجُوهُهُمُ   فَشَتَّتَ اللهُ شَمْلَهُمْ كَمَا قَصَدَا
وَ قَالَ إِنِّي أَنَا النَّبِي لَا كَذِب   فَلْتَعْبُدُوا اللهَ فَهْوَ لَمْ يَزَلْ أَحَدَا
وَ أَقْبَلَ المُسْلِمُونَ عِنْدَ ذَاكَ وَ أَدْ   بَرَ العِدَا وَ لَهُمْ قَدْ خلفُوا العُدَدَا
وَ المُصْطَفَى لَا يُرَى أَشَد مِنْهُ عَلَى الكُفَّارِ فِي حَالَةِ الكُفْرِ الَّذِي انْتُقِدَا
مَا كَانَ يغضبُ لِلدُّنْيَا النَّبِيُّ وَ إِنْ   يَغْضِبْ لِحَقٍّ بِهِ لَمْ يَعْرِفَنْ أَحَدَا
وَ لَمْ يَقُمْ فِيهِ شَيْءٌ عَنْهُ يَدْفَعُهُ   حَتَّى يَرَى الحَقَّ مَنْصُوراً وَمُعْتَضِدَا
مَا كَانَ أَجْوَدَ مِنْهُ فِي الوُجُودِ وَ لَا   أَرْضَى وَ أَشْجَعَ مِنْهُ فِي الشُّهُودِ بَدَا
قَدْ كَانَ فِي النَّاسِ عِنْدَ البَأْسِ أَقْرَبَ مَا   يَكُونُ مِنْهُمْ إِلَى العِدَاةِ مُتَّئِدَا
كَانُوا بِهِ يَتَّقُونَ البَأْسَ إِنْ حَمِيَتْ   وَ طِيسُهُ وَ تَدَانَى الشَّرُّ أَوْ بَعُدَا
إِنَّ الشُّجَاعَ الشَّجَاعَ مِنْ صَحَابَتِهِ   مَنْ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُ إِنْ غَدَا لِعِدَا
وَ لَمْ تَثُرْ هَيْعَةٌ إِلَّا وَ طَاوَلَهَا   وَ اسْتَبْرَأَ الخَبَرَ الَّذِي لَهُ قَصَدَا
فِي لَيْلَةٍ فَزِعَتْ أَهْلُ المَدِينَةِ مِنْ   صَوْتٍ دَعَاهُمْ وَقَدْ دَهَاهُمُ بِنِدَا
فَسَارَعَ النَّاسُ نَحْوَ الصَّوْتِ فِي فِرَقٍ   وَ قَدْ تَلَقَّاهُمُ المُخْتَارُ مُنْفَرِدَا
وَ قَالَ مِنْ بَعْدِ سبرِ الصَّوْتِ قبلهم   رِفْقاً بِكُمْ لَنْ تُرَاعُوا فَادْخُلُوا البَلَدَا
وَ قَالَ عِمْرَانُ مَا لَقَى كَتِيبَةَ إِلَّا   كَانَ أَوَّلَ مَنْ فِيهَا يَمُدُّ يَدَا

وَ لَمْ يُهَدِّدْ عَلَيْهِ مُعْتَدٍ فَنَجَا   مِنْهُ وَ لَوْ فِي السَّمَاءِ بُرْجُهُ صَعِدَا
أَتَى أُبَيٌّ إِلَيْهِ وَ هُوَ فِي أُحُدٍ   يَقُولُ أَيْنَ مُحَمَّدٌ وَ قَدْ حَرِدَا
وَ قَدْ دَعَا لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا وَ أَتَى   وَ السَّيْفُ فِي يَدِهِ مِنْ غَمْدِهِ جَرَدَا
وَ كَانَ مِنْ قَبْلُ هَدَّدَ النَّبِيَّ بِأَنَّهُ سَيَقْتُلُهُ وَ ظَلَّ ملتحدا
فَقَالَ خَيْرُ الوَرَى دَعُوا الشَّقِيَّ فَقَدْ   أَتَى لِأَشْقِيهِ بَيْنَ القَوْمِ كَأْسَ رَدَى
وَ انْفَضَّ مُنْتَفِضاً بِحَرْبَةٍ طَعَنَتْ   نَحْرَ الشَّقِيِّ الَّذِي بِهَا الرَّدَى وَرَدَا
وَ عَادَ خَيْرُ الوَرَى فِي الحِينِ مُنْبَسِطاً   وَ سَارَ ذَاكَ الشَّقِي يَعْدُو لِشَرٍّ عِدَا
أَبْغِضْ بِهِ إِذْ يَقُولُ وَ هُوَ فِي أَلَمٍ   يَا قَوْم قَاتِلُهُ مُحَمَّدٌ كَمَدَا
لَوْ كَانَ مَا بِي بِكُلِّ النَّاسِ يَقْتُلُهُمْ   أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لِي أُرْدِيكَ دُونَ فِدَا
وَ اللهِ لَوْ بَصَقَ النَّبِي عَلَيْهِ لَمَا   تَ بَيْنَهُمْ وَ غَدَا فِي الحِينِ مُفْتَقَدَا
وَ مَاتَ فِي سَرِف بِهَا بِلَا شَرَفٍ   يَا وَيْلَهُ حَيْثُ لَمْ يَأْوِي لَهُ أَبَدَا
لَوْ كَانَ أَوَى إِلَى النَّبِي لَفَازَ وَ لَكِنَّ المُسِيءَ لِخَيْرِ الخَلْقِ مَا سَعِدَا
صَلَّى الإِلَهُ عَلَى هَذَا النَّبِي وَ عَلَى   آلٍ وَ صَحْبٍ وَ مَنْ بِهِ اهْتَدَى وَ هَدَى

فصل

في حيا ئه صلى الله عليه و سلم و إغضائه و ماله من ذلك

إِنَّ النَّبِيَّ أَشَدُّ العَالَمِينَ حَيَا   وَ أَجْمَلُ النَّاسِ إِغْضَاءً بِهِ انْفَرَدَا
طُولَ الحَيَاةِ مِنَ العَذْرَا أَشَدُّ حَيَا   فِي خِدْرِهَا كَانَ بَيْنَ الخَلْقِ حَيْثُ غَدَا
وَ قَدْ تَحَمَّلَ مِنْ فَرْطِ الحَيَاءِ أَذَى   فِي السِّرِّ وَ الجَهْرِ وَ هُوَ يُظْهِرُ الجَلَدَا
وَ اللهُ أَدَّبَ صَحْبَهُ لِيَجْتَنِبُوا   مَا كَانَ يُؤْذِيهِ حَيْثُ قَامَ أَوْ قَعَدَا
فِي وَجْهِهِ عَرَفُوا مَا كَانَ يَكْرَهُهُ   وَ لَا يُوَاجِهُهُمْ بِمَا لَهُ وَجَدَا
مِنْ لُطْفِ رِقَّةِ مَاءِ وَجْهِهِ وَصَفَا   إِنَائِهِ فِيهِ مَا فِي القَلْبِ مِنْهُ بَدَا
فَلَمْ يُشَافِهْ بِمَا قَدْ كَانَ يَكْرَهُهُ   مِنْ صَحْبِهِ أَوْ سِوَاهُمْ دَائِماً أَحَدَا
لَمْ يُثْبِتِ البَصَرَ الشَّرِيفَ مِنْهُ بِوَجْهِ غَيْرِهِ مِنْ حَيَائِهِ الَّذِي حُمِدَا
تَقُولُ عَائِشَةٌ وَ اللهُ يَرْحَمُهَا   مَا رِيتُ فَرْجَ الرَّسُولِ لَا وَ لَا شُهِدَا

وَ كَانَ عَنْ كُلِّ مَا اضْطَرَّ الكَلَامُ لَهُ   وَ كَانَ يَكْرَهُهُ يَكْنِي كَمَا وَرَدَا
وَ إِنْ تَصِلْهُ أُمُورٌ وَ هْوَ يكرهُهَا   عَن امْرِئٍ لَمْ يُشَافِهْهُ بِهَا أَبَدَا
لَكِنَّهُ دُونَ تَعْيِينٍ يُؤَدِّبُهُ   إِنْ لَمْ يُؤَدِّ بِهِ تَأْدِيبُهُ لِرَدَى
يَقُولُ مَا بَالُ قَوْمٍ يَصْنَعُونَ كَذَا   وَ لَا يُسَمِّي الَّذِي بِقَوْلِهِ قَصَدَا
وَ جَاءَهُ مَرَّةً شَخْصٌ بِهِ أَثَرٌ   مِن صُفْرَةٍ مَا ارْتَضَاهَا مِنْهُ فِي الرُّشْدَا
فَقَالَ لَوْ قُلْتُمُوا لَهُ فَيَغْسِلَهَا   وَ لَمْ يُوَاجِهْهُ بِالَّذِي لَهُ انْتَقَدَا
وَ هَكَذَا حَالُهُ سِرّاً وَ فِي عَلَنٍ   يُغْضِي حَيَاءً وَ لَكِنْ إِنْ يَكُنْ سَدَدَا
وَ لَا حَيَاءَ لَدَى انْتِهَاكِ حُرْمَتِهِ   إِنَّ الحَيَا فِي انْتِهَاكِ الحَقِّ لَنْ يَرِدَا
وَ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ يَصْفَحُ عَنْ   مَنْ قَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِ أَوْ عَلَيْهِ عَدَا
يَعْفُو وَ لَمْ يَجْزِ بِالسُّوءِ المُسِيءَ لَهُ   وَ إِنَّهُ مُنْجِزٌ لِكُلِّ مَا وَعَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ فَاحِشاً فِي مَنْطِقٍ وَ عَنِ الفَحْشَاءِ نُزِّهَ بَيْنَ الخَلْقِ مُذْ وُجِدَا
وَ لَمْ يكن سَخَباً فِي السُّوقِ مُنْذُ نَشَا   وَ لَمْ يَزَلْ بِجَمِيلِ السَّمْتِ مُتَّئِدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي فِي الخَلْقِ أَدَّبَهُ   فَنَالَ فِي أَحْسَنِ التَّأْدِيبِ خَيْرَ جِدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى أُولِي المَحَبَّةِ فِي   جَنَابِهِ وَ مَنِ اهْتَدَى بِهِ وَ هَدَى
وَ أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحِفَّنَا بِرِدَا   رِضَائِهِ وَ يَقِينَا شَرَّ كُلِّ رَدَى
وَ يَغْفِرُ اللهُ لِي وَ وَالِدَيَّ وَ مَنْ   يَدْعُو لَنَا بِبُلُوغِ فَوْزِنَا بِهُدَى
وَ يَخْتِمُ اللهُ لِي بِحُسْنِ خَاتِمَةٍ   فِيهَا كَمَالُ الأَمَانِي بَيْنَ مَنْ سَعِدَا

فصل

في حسن عشرته صلى الله عليه و سلم و أدبه و بسط خلقه مع أصناف الخلق

إِنَّ النَّبِيَّ يُرَى فِي الخَلْقِ أَوْسَعَ كُلِّ النَّاسِ صَدْراً وَ قد أَمَدَّهُمْ مَدَدَا
وَ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ أَكْرَمَهُمْ   بَيْنَ الوَرَى عِشْرَةً وَ قَدْرُهُ صَعَدَا
وَ أَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً وَ أَلْيَنَهُمْ   عَرِيكَةً وَ عَلَيْهِمْ قَدْ أَفَاضَ جِدَا
وَ لَا يُنَفِّرُهُمْ مِنْهُ وَ يُكْرِمُهُمْ   بِقَدْرِ إِمْكَانِهِ بِمَا لَهُ وُجِدَا

وَ كَانَ فَرْداً وَحِيداً فِي تَوَاضُعِهِ   بِمَا بِهِ كَانَ يُرْضِي الوَاجِدَ الفَرَدَا
قَدْ قَالَ يَوْماً لِقَيْسٍ حِينَ أَصْحَبَهُ   أَبُوهُ سَعْدٌ مَعِي ارْكَبْ قَيْسُ أَوْ فَعُدَا
فَعَادَ قَيْسٌ إِلى أَبِيهِ حِينَ أَبَى   مِنَ الرُّكُوبِ تَأَدُّباً بِهِ سَعِدَا
يَجِلُّ فِي كُلِّ قَوْمٍ قَرْمَهُمْ وَ عَلَيْهِمُ يُوَلِّيهِ حَيْثُ يُحْرِزُ الرَّشَدَا
وَ يَحْذَرُ النَّاسَ حَزْماً وَ هْوَ مُحْتَرِسٌ   مِنْهُمْ وَ يُعْطِي لِمَنْ يَأْتِيهِ مَا قَصَدَا
يُعْطِي لِجُلَّاسِهِ مِنْهُ نَصِيبَهُمُ   وَ لَيْسَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ حَقِّهِمْ أَبَدَا
قَدْ صَارَ بَيْنَهُمُ أَباً لَهُمْ فَهُمُ   فِي الحَقِّ أَضْحُوا سَوَاءً عِنْدَهُ سُعَدَا
وَ كَانَ دَائِمَ بِشْرٍ مَعْ تَغَافُلِهِ   عَنْ كُلِّ مَا لَيْسَ فِيهِ الإِثْمُ قَدْ وُجِدَا
قَدْ عَمَّمَ النَّاسَ طُرّاً بَسْطُهُ فَصُدُو   رُهُمْ بِهِ انْشَرَحَتْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
يَظُنُّ كُلُّ جَلِيسٍ كَانَ جَالَسَهُ   بِأَنَّهُ وَحْدَهُ بِوُدِّهِ انْفَرَدَا
وَ لَنْ يَزَالَ مُصَابِراً يُلَاطِفُهُ   حَتَّى يَعُودَ قَرِيرَ العَيْنِ حَيْثُ غَدَا
مَا كَانَ فِي النَّاسِ مَدَّاحاً وَ لَمْ يَكُ عَيَّاباً وَ مَا أَحَدٌ بِهِ رَأَى لَدَدَا
لَوْ كَانَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ مَا تُلِيَتْ   فِي حَقِّهِ آيُ حَقٍّ نُورُهَا شُهِدَا
يُجِيبُ دَاعِيَهُ وَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ يُدَافِعُ مَنْ قَدِ اعْتَدَى وَعَدَا
وَ لِلْهَدِيَّةِ كَانَ بِالقَبُولِ وَ لَوْ   كَانَتْ كُرَاعاً مُقَابِلاً بِنَهْجِ هُدَى
وَ كُلُّ مَنْ جَاءَهُ بِهَا يُكَافِئُهُ   حِيناً عَلَيْهَا وَ يُولِيهِ عَظِيمَ جِدَا
وَ فِي إِجَابَةِ دَاعِيهِ يَقُولُ لَهُ   لَبَّيْكَ إِنْ كَانَ مِمَّنْ وَحَّدَ الأَحَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ تَعْنِيفٌ لِخَادِمِهِ   فِي فِعْلِهِ الشَّيْءَ أَوْ فِي تَرْكِهِ أَبَدَا
وَ كَانَ يَقْبَلُ عُذْرَ كُلِّ مُعْتَذِرٍ   وَ رُبَّمَا بَسَطَ النَّبِّي إِليهِ رِدَا
وَ يَبْدَأُ النَّاسَ بِالسَّلَامِ مُحْتَمِلاً   أَذَاهُمُ وَ هْوَ مَا عَلَيْهِمُ وَجَدَا
يَعُودُ مَرْضَاهُمُ لِطِيبِ أَنْفُسِهِمْ   مُنَفِّساً كُرْبَ مَنْ تَنَفَّسَ الصُّعَدَا
يَزُورُهُمْ مَرَّةً فَمَرَّةً وَ لَهُمْ   يَأْتِي بِخَيْرٍ وَ لَوْ مَكَانُهُمْ بَعُدَا
مُمَازِحاً صَحْبَهُ بِمَا تَزِيدُهُمُ   فِيهِ اعتقاد جميل زَادَهُمْ رَشَدَا
وَ مَزْحُهُ ضِمْنَهُ جِدٌّ يُؤَيِّدُهُ   حَقٌّ عَلَيْهِ الَّذِي يَبْغِي الهُدَى اعْتَمَدَا
يُحِبُّ صِبْيَانَهُمْ طَبْعاً وَ يُجْلِسُهُمْ   فِي حِجْرِهِ وَ هْوَ فِي بَسْطٍ بِهِ انْفَرَدَا
وَ يَبْدَأُ الصَّحْبَ مِنْهُ بِالمُصَافَحَةِ الـبَدْءَ الَّذِي فِيهِ مِنْهُ الإِعْتِنَاءُ بَدَا

يصْغِي إِلى قَوْلِ مَنْ غَدَا يُحَادِثُهُ   وَ لَوْ أَطَالَ عَلَيْهِ فِي الَّذِي سَرَدَا
وَ لَا يُرَى قَاطِعاً عَلَيْهِ قَوْلَتَهُ   سِيَّانَ فِي مَجْمَعٍ أَوْ كَانَ مُنْفَرِدَا
وَ آخِذُ اليَدِ مِنْهُ لَيْسَ يَنْهَرُهُ   يقبضها عَنْهُ حَيْثُ قَامَ أَوْ قَعَدَا
مَا مَدَّ رِجْلَيْهِ بَيْنَ صَحْبِهِ وَ إِلَيْهِمْ كَانَ يُوثِرُ بِالَّذِي لَهُ وَسَدَا
وَ إِنْ أَبَى مَنْ بِهَا قَدْ كَانَ آثَرَهُ   يَعْزِمْ عَلَيْهِ وَ لَمْ يَدَعْهُ مُبْتَعِدَا
وَ إِنْ يَكُنْ وَ هْوَ فِي الصَّلَاةِ جَاءَ لَهُ   شَخْصٌ يُخَفِّفُهَا لِأَجْلِهِ سَدَدَا
حَتَّى إِذَا مَا قَضَى المَطْلُوبَ مِنْهُ لَهُ   يَعُودُ حِيناً إِلَى الصَّلَاةِ مُتَّئِدَا
قَدْ طَابَ نَفْساً وَ طَابَ فِي الوَرَى نَفَساً   وَ لَا يُرَى فِي انْقِبَاضٍ كُلَّمَا شُهِدَا
إِلَّا إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ أَوْ خَطَبَ الأَ   قْوَامَ فَهْوَ لَدَيْهِ البَسْطُ قَدْ فُقِدَا
قَدْ كَانَ يَجْبُرُ بَيْنَ الصَّحْبِ خَاطِرَهُمْ   بِقَدْرِ إِمْكَانِهِ بِالجِدِّ مُجْتَهِدَا
يَدْعُوهُمُ بِأَحَبِّ الإِسْمِ عِنْدَهُمُ   رَغْماً بِتَكْرِمَةٍ لِأَنْفِ مَنْ عَنَدَا
وَ كَانَ يَقْصِدُهُ خُدَّامُهُمْ بِأَوَا   نِيهِمْ لِيَغْمِسَ فِيهَا فِي الغَدَاةِ يَدَا
و يقصدُونَ بِهِ تَبَرُّكاً لَهُمُ   مُؤَمِّلاً مِنْهُ فِيهِ الكُلُّ مَا اعْتَقَدَا
وَ رُبَّمَا كَانَتِ الغَدَاةُ بَارِدَةً   وَ يُدْخِلُ اليَدَ فِي مَاءٍ بِهَا جَمَدَا
وَ لَيْسَ يَنْهَرُهُمْ وَ لَيْسَ يقهرُهُمْ   بِخَيْبَةِ القَصْدِ فِيهِ مِنْهُمُ أَبَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي أَعْطَاهُ مِنْهُ مَحَا   سِناً بِهَا قَدْ مَحَا دُجَى الهَوَى بِهُدَى
مَعَ السَّلَامِ عَلَيْهِ مِنْهُ يَشْمَلُ كُلَّ التَّابِعِينَ لَهُ وَ لَيْسَ فِيهِ مَدَى

فصل

في شفقته صلى الله عليه و سلم ور أفته ورحمته بسائر الخلق

إِنَّ الرَّسُولَ عَزِيزٌ لاَ نَظِيرَ لَهُ   وَ كَيْفَ لاَ وَ هْوَ فِي العُلْيَا قَدِ انْفَرَدَا
قَدْ جَاءَ لِلنَّاسِ مِنْ نَفِيسِ أَنْفُسِهِمْ   وَ صَارَ أَنْفَسَهُمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
يَسُوءُهُ مَا يَسُوءُ المُؤْمِنِينَ وَ لَمْ   يَزَلْ حَرِيصاً عَلَيْهِمْ فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ إِنَّهُ لَرَؤُوفٌ دَائِماً بِهِمُ   وَ هْوَ الرَّحِيمُ الَّذِي قَدْ عَمَّهُمْ مَدَدَا
وَ إِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ أَتَى   مِنْ رَبِّهِ مُرْسَلاً يَهْدِي بِهِ السُّعَدَا
قَالَ ابْنُ فُورَكَ إِنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ   بِاسْمَيْنِ ضِمنهُمَا سِرُّ الهُدَى اتَّحَدَا
فَكَانَ أَرْأَفَ خَلْقِ اللهِ بِالضُّعَفَا   وَ كَانَ بِالأَقْوِيَاءِ سَالِكاً سَدَدَا
وَ كَمْ عَدُوٍّ لَهُ أَلْقَى السِّلاَحَ بِمَا   أَلْفَى لَدَيْهِ مِنَ الفَضْلِ الَّذِي شَهِدَا
حَتَّى أَقَرَّ العِدَا بِفَضْلِهِ عَلَناً   وَ الفَضْلُ مَا كَانَتِ الأَعْدَا بِهِ شُهَدَا
قَدْ قَالَ صَفْوَانُ إِنِّي كُنْتُ أُبْغِضُهُ   وَ كَانَ بُغْضِي لَهُ لِفَضْلِهِ حَسَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ بِي يُوَلِّينِي مَكَارِمَهُ   حَتَّى غَدَوْتُ بِحُبِّي فِيهِ مُنْفَرِدَا
وَ جَاءَهُ سَائِلٌ يَوْماً فَمَدَّ لَهُ   شَيْئاً وَ قَالَ أَلَمْ أُحْسِنْ إِلَيْكَ يَدَا
فَقَالَ لاَ لاَ وَ لاَ أَجْمَلْتَ فَانْقَبَضَ الصَّحْبُ الَّذِينَ هُمُ رَأَوْهُ قَدْ جَحَدَا
وَ قَامَ بَعْضُهُمُ لَهُ لِيَقْتُلَهُ   فَلَمْ يَدَعْهُ لَهُ يَمُدُّ فِيهِ يَدَا
وَ زَادَهُ المُصْطَفَى شَيْئاً وَ قَالَ لَهُ   مَا قَالَهُ أَوَّلاً فَقَالَ دُمْ سَنَدَا
نَعَمْ بَسَطْتَ مِنَ الإِحْسَانِ لِي نِعَماً   فَاللهُ يَجْزِيكَ مِنْ مَوْلَى عَظِيمَ جِدَا
فَقَالَ لَوْ قُلْتَ فِي صَحْبِي مَقَالَكَ ذَا   أَذْهَبْتَ مَا فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْكَ غَدَا
فَقَالَ سَوْفَ أَقُولُ الحَقَّ بَيْنَهُمُ   يَا سَيِّداً سَعْيُهُ بَيْنَ الوَرَى حُمِدَا

وَ جَاءَ و المُصْطَفَى لَدَيْهِ قَدْ حَضَرُوا   وَ قَالَ قَوْلَتَهُ وِفْقَ الَّذِي وَعَدَا
وَ قَالَ خَيْرُ الوَرَى إِنِّي أَرَى مَثَلِي   وَ مِثْلُ ذَا جَمَلٌ عَنْ رَبِّهِ شَرَدَا
فَزَادَهُ نَفَرٌ مِمَّنْ قَد اتَّبَعُوا   لَهُ نُفُوراً وَقَالَ فَاتْرُكُوهُ سُدَى
يَا قَوْمِ خَلُّوا لِي السَّبِيلَ عَنْ جَمَلِي   فَإِنَّ رِفْقِي بِهِ يَأْتِي وَ إِنْ طَرَدَا
وَ قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَ فِي يَدِهِ   قُمَامُ أَرْضٍ بِهِ إِلَيْهِ قَدْ وَفَدَا
وَ قَدْ أَتَى مُذْعِناً لَهُ بِغَيْرِ عنا   مِنْ بَعْدِمَا أَتْعَبَ الأَقْوَامَ حِينَ عَدَا
أَلَمْ يَكُ الرِّفْقُ فِي الأُمُورِ أَلْيَقُ مِنْ   خُرْقٍ بِهِ صَالِحُ الأَشْيَاءِ قَدْ فَسَدَا
فَلَوْ تَرَكْتُكُمُ مُذْ قَالَ قَوْلَتَهُ   قَتَلْتُمُوهُ وَ صَارَ فِي شَقَاءِ رَدَى
فَانْظُرْ لِخَيْرِ الأَنَامِ كَيْفَ لَاطَفَهُ   حَتَّى غَدَا مُذْعِناً لِلْحَقِّ مُتَّئِدَا
وَ ذَاكَ مِنْ رِفْقِهِ وَ فَرْطِ رَحْمَتِهِ   بِالخَلْقِ بَلْ هُوَ عَيْنُ اللُّطْفِ مُنْذُ بَدَا
وَ قَدْ نَهَى صَحْبَهُ عَنْ أَنْ يُبَلِّغَهُ   عَنْ بَعْضِهِمْ بَعْضُهُمْ شَيْئاً بِهِ وَجَدَا
وَ قَالَ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُلَاقِيَكُمْ   وَ القَلْبُ مِنِّي سَلِيمٌ وَ هْوَ مَا حَقَدَا
وَ انْظُرْ لِإِشْفَاقِهِ مِنْ ضُعْفِ أُمَّتِهِ   فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لَهُمْ يُرَى عَضُدَا
وَ لَمْ يَزَلْ عَنْهُمُ مُخَفِّفاً ثِقَلاً   مُسَهِّلاً كُلَّ صَعْبٍ فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِهِمُ   أَمْراً وَ نَهْياً بِكُلِّ مَا بِهِ وَرَدَا
وَ كَانَ يَكْرَهُ أَشْيَاءَ مَخَافَةَ أَنْ   تَصِيرَ فَرْضاً عَلَيْهِمْ طِبْقَ مَا شَهِدَا
مِثْلَ السِّوَاكِ كَذَا الوِصَالِ ثُمَّ صَلَا   ةِ اللَّيْلِ مِثْل دُخُولِ كَعْبَةٍ وُجِدَا
وَ قَدْ دَعَا اللهَ أَنْ تَصِيرَ دَعْوَتُهُ   وَ سَبُّهُ رَحْمَةً لِمَنْ بِهَا قَصَدَا
فَانْظُرْ لِرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ كَيْفَ دَعَا   عَلَى العِدَا وَ هْوَ يَرْجُو دَفْعَ كُلِّ رَدَى
أَمَّا الَّذِينَ أَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ   فِيهِمْ فَهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ أَبْعَدِ البُعَدَا
شَفَى بِإِبْعَادِهِمْ صُدُورَ مَنْ سَعِدُوا   لِتَقْرَحَ الأَشْقِيَا وَ تَفْرَحَ السُّعَدَا
وَ كَانَ يَسْمَعُ وَ هْوَ فِي الصَّلَاةِ بُكَا   الصَّبِي فَيُسْرِعُ فِيهَا قَاصِداً رَشَدَا
وَ ذَاكَ مِنْ رَأْفَةٍ بِوَالِدَيْهِ فَلَا يَشْغَلُ قَلْبَيْهِمَا مِنَ الصَّبِيِّ نِدَا
وَ جَاءَهُ جِبْرَائِيلُ حِينَ كَذَّبَهُ القَوْمُ الَّذِينَ أَتَاهُمُ بِخَيْرِ هُدَى
وَ قَالَ مُرْ مَلَكَ الجِبَالِ يَمْتَثِلُ   الأَمْرَ الَّذِي شِئْتَهُ بِهِمْ بِغَيْرِ فِدَا
فَقَالَ أَرْجُو مِنَ الرَّحْمَانِ يُخْرِجُ مِنْ   أَصْلَابِهِمْ مَنْ لَهُ بِالحَقِّ قَدْ عَبَدَا

فَحَقَّقَ اللهُ فِيهِمْ ظَنَّهُ فَأَتَى   مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْهُمُ مَنْ وَحَّدَ الأَحَدَا
فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ كَمَالِ رَأْفَتِهِ   بِهِمْ وَ تَحْقِيقِهِ بِمَا بِهِ وُعِدَا
وَ كَانَ يَخْتَارُ فِي الأُمُورِ أَيْسَرَهَا   وَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالرِّفْقِ الذِي حُمِدَا
وَ كَانَ فِي صَحْبِهِ مُخَوِّلاً لَهُمُ   خَوْفَ السَّآمَةِ بِالوَعْظِ الَّذِي اعتمدَا
كَلاَمُهُ كُلُّهُ يُشْفِي الصُّدُورَ بِمَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ النُّورِ الَّذِي اتقدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي شَفَى الصُّدُورَ بِهِ   دُنْيَا وَ أُخْرَى وَ عَنْهُمْ أَذْهَبَ النَّكَدَا

فصل

في خلقه صلى الله عليه و سلم في الوفاء
و حسن العهد و صلة الرحم

إِنَّ النَّبِيَّ عَظِيمُ الخَلْقِ جَلَّ بِأَنْ   يُحْكَى بِمِثْلٍ وَ هَلْ مِثْلُهُ وُجِدَا
لَهُ مَكَارِمُ أَخْلاَقٍ عَلَتْ وَ عَلَى   مَدَارِهَا دَارَ هَذَا الكَوْنِ دُونَ مَدَى
فَإِنَّهُ وَسِعَتْ أَخْلاَقُهُ كَرَماً   أَهْلَ الجَفَا وَ حَبَاهُمْ مِنْهُ خَيْرَ جَدَا
وَ لَمْ يُؤَاخِذْهُمُ بِمَا بِهِ فَعَلُوا   وَ لَمْ يُقَابِلْهُمُ بِفِعْلِهِمْ أَبَدَا
فَانْظُرْ لِقِصَّتِهِ الَّتِي مَعَ ابْنِ أَبِي الحَمْسَاءِ كَانَتْ وَ فِيهَا الخَيْرُ مِنْهُ بَدَا
فَقَالَ بَايَعْتُهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ فِي   شَيْءٍ وَ قُلْتُ انْتَظِرْ وَ سِرْتُ مُتَّئِدَا
وَ مَا تَذَكَّرْتُ مِيعَادِي لِأُوفِيَهُ   وَ مَا ظَنَنْتُ بِأَنْ يَبْقَى لِوَقْتِ أَدَا
وَ جِئْتُ بَعْدَ ثَلاَثٍ وَ هْوَ مُنْتَظِرِي   هُنَاكَ وَ هْوَ بِحُسْنِ عَهْدِهِ انفَرَدَا
وَ قَالَ لِي يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ هَاهُنَا مُذْ ثَلاَثٍ ظَلْتُ مُنْفَرِدَا
وَ مَا رَأَيْتُ جَفَا مِنْهُ وَ لاَ ضَجَرَا   مِمَّا فَعَلْتُ وَ مِنْهُ العَفْوُ قَدْ عُهِدَا
وَ كَانَ مِنْ حُسْنِ عَهْدِهِ إِذَا ذُكِرَتْ   خَدِيجَةٌ زَوْجُهُ يَدْعُو لَهَا الصَّمَدَا
يَدْعُو لَهَا بِعَمِيمِ رَحْمَةٍ وَ إِلَى   أَحْبَابِهَا لَمْ يَزَلْ يهْدِي أَجَلَّ هِدَا
يَقُولُ كَانَتْ فُلاَنَةٌ صَدِيقَتُهَا   وَ كَانَ قَلْبُ فُلاَنَةٍ بِهَا وجدا
كَانَتْ فُلاَنَةٌ تَأْتِيهَا بِقَيْدِ حَيَا   تِهَا وَ فِيهَا حَيَا بِهِ حَوَتْ رَشَدَا
أُعطُوا لِهَذِي وَ هَذِي مِنْ هَدِيَّتِنَا   وَ مِنْ هِدَايَتِنَا لَهَا نَمُدُّ يَدَا

وَ اسْتَأْذَنَتْ أُخْتُهَا يوماً عَلَيْهِ فَكَا   نَ مِنْهُ حُسْنُ ارْتِياحِهِ لَهَا شَهِدَا
وَ كَانَ وَاصِلَ أَرْحَامٍ بِهِ اتَّصَلَتْ   مِنْ غَيْرِ إِيثَارِهَا عَمَّنْ علاه يَدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّ أَقْوَامٍ لَهُمْ رَحِمٌ   بِهِ أَنَا سَأَبُلُّهَا بِخَيْرِ نَدَا
فبلها بِبَلَالِهَا وَ أَطْفَأْ نَا   رَ البُعْدِ بِالقُرْبِ مِنْهُ عِنْدَ مَنْ سَعِدَا
وَ أَمَّ بِالنَّاسِ وَ هْوَ حَامِلٌ بِنْتَ بِنْتِهِ وَ يَتْرُكُ حَمْلَهَا إِذَا سَجَدَا
وَ قَامَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ يَخْدُمُ وَفْداً لِلنَّجَاشِي الَّذِي مِنْهُ لَهُ وَفَدَا
فَقَالَ أَصْحَابُهُ نَكْفِيكَ خدمتهُمْ   فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ خِدْمَةَ السُّعَدَا
هُمْ أَكْرَمُوا صَحْبَنَا فَنَحْنُ نكرمهُمْ   جَزَاءَ إِكْرَامِهِمْ لَهُمْ كَمَا وَرَدَا
وَ قَدْ أَتَتْ أُمُّهُ مِنَ الرَّضَاعِ لَهُ   فَقَامَ مُحْتَفِلاً لَهَا بِبَسْطِ رِدَا
كَمَا أَتَاهُ مِنَ الرَّضَاعِ وَالِدُهُ   أَيْضاً فَأَجْلَسَهُ عَلَيْهِ مُتَّئِدَا
وَ قَامَ لَمَّا أَتَى أَخُوهُ مِنْهُ لَهُ   مِنْ أَجْلِ إِجْلَالِهِ الَّذِي لَهُمْ شهدَا
وَ فِي سَبَايَا هَوَازِنَ تَعَرَّفَتِ الشَّيْمَا لَهُ لِيَخُصَّهَا بِخَيْرِ فِدَا
فَحَفَّهَا بِرِضَاهُ ثُمَّ قَالَ لَهَا   إِنْ أَنْتِ رُمْتِ المَقَامَ نِلْتِ خَيْرَ هُدَى
وَ إِنْ تُرِيدِي الرُّجُوعَ نِلْتِ مَكْرَمَةً   و بالأَمَانِ يَقِيكِ اللهُ كُلَّ رَدَى
وَ أَحْرَزَتْ مِنْهُ مَا تَرْجُو وَزَوَّدَهَا   عِنْدَ الرجوعِ الذي اخْتَارَتْهُ خَيْرَ جَدَا
وَ كَانَ يَبْعَثُ بَعْدَ هِجْرَةٍ لِثُوَيْبَةَ صِلَاتٌ بِهَا صَلَتْ قُلُوبُ عِدَا
وَ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ بَاقِي قَرَابَتِهَا   مِنْ بَعْدِهَا لِيَمُدَّ جَمْعَهُمْ مَدَدَا
فَلَمْ يَجِدْ أَحَداً مِنْهُمْ وَ ذَلِكَ مِنْ   كَمَالِ إِحْسَانِهِ الذي بِهِ انْفَرَدَا
وَ صَحَّ مِنْ قَوْلِ أُمِّ المؤمنينَ لَهُ   وَ اللهِ لَمْ يُخْزِكَ اللهُ العَلِي أَبَدَا
فَأَنْتَ فِي القُرْبِ وَ النَّوَى المُعِينُ عَلَى   نَوَائِبِ الحَقِّ لاَ تَخْشَى بِهِ أَحَدَا
وَ أَنْتَ تَقْرِي الضُّيُوفَ أَنْتَ وَاصِلُ أَرْ   حَامٍ بِخَيْرِ صِلَاتٍ تُذْهِبُ الكَمَدَا
تَكْسِي وَ تَكْسِبُ مَعْدُوماً وَ كُلُّهُمُ   تَحْمِي وَ تَحْمِلُ كُلًّا طِبْقَ مَا شهدَا

فصل

في تواضعه صلى الله عليه و سلم مع علو منصبه ورفعة رتبته

كَانَ الرَّسُولُ أَشَدَّ النَّاسِ بَيْنَهُمُ   تَوَاضُعاً لَمْ يَكُنْ فِي غَيْرِهِ شُهِدَا
وَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ كِبْرٌ و هو في رتب   مَقَامُهَا فِي كَمَالِ العِزِّ قَدْ صَعِدَا
يَكْفِيكَ فِيهِ بِأَنَّ اللهَ خَيَّرَهُ   بَيْنَ العُبُودَةِ وَ المُلْكِ الَّذِي مجدا
فاخْتَارَ خَيْرُ الوَرَى بِأَنْ يَكُونَ لَهُ   عَبْداً نَبِياً لِمَوْلَاهُ الَّذِي عبدا
وَ صَارَ وِفْقَ اخْتِيَارِهِ نَبِيَّ هُدَى   وَ أَفْضَلَ الخَلْقِ بِالإِطْلَاقِ فِي السُّعَدَا
وَ صَارَ أَوَّلَ شَافِعٍ وَ أَوَّلَ مَنْ   تَنْشَقُّ لِلْبَعْثِ عَنْهُ الأَرْضُ مُنْفَرِدَا
وَ مِنْ تَوَاضُعِهِ تَرْكُ التَّصَنُّعِ فِي   أُمُورِهِ كُلِّهَا إِنْ غَابَ أَوْ شهدا
عَنِ القِيَامِ لَهُ نَهَى وَ قَالَ أَنَا   عَبْدٌ وَ أَفْعَلُ فِعْلَ العَبْدِ إِنْ حصدا
وَ مِنْ تَوَاضُعِهِ رُكُوبُهُ لِحِمَا   رِهِ وَ يُرْدِفُ خَلْفَهُ كَمَا وَرَدَا
يُجَالِسُ الفُقَرَاءَ فِي مَجَالِسِهِمْ   وَ حَيْثُمَا مَجْلِسٌ بِهِ انْتَهَى قَعَدَا
يُجِيبُ دَعْوَةَ عَبْدٍ قَدْ دَعَاهُ وَ لَوْ   إِلَى كراع وَ عَنْهُ يُكْشِفُ الكَمَدَا
وَ كَانَ يُدْعَى إِلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ فَلَمْ   يَدَعْ إِجَابَةَ مَنْ دَعَا وَ لَوْ بَعُدَا
وَ لِلمَسَاكِينِ عَادَ فِي مَسَاكِنِهِمْ   وَ فِي عِيَادَتِهِمْ إِرْغَامُ أَنْفِ عِدَا
وَ كَانَ يَنْهَى عَنِ الإِطْرَاءِ فِي سُبُلِ الثَّنَا عَلَيْهِ وَ يُولِي المَادِحِينَ جِدَا
وَ مَرَّةً قد أَتَتْهُ فِي المَلَا امْرَأَةٌ   فِي عَقْلِهَا كَانَ شَيْءٌ يشغل الخَلَدَا
قَالَتْ لَهُ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ وَ أَنَا   أُرِيدُهَا مِنْكَ وَ هْيَ تُظْهِرُ الجَرَدَا
وَ قَالَ إِنِّي سَأَقْضِيهَا وَ لَاطَفَهَا   حَتَّى غَدَتْ بَعْدَمَا عَنْهَا نَفَى الكَمَدَا
وَ حَجَّ عَاماً على الرَّحْلِ الرَّثِيثِ وَ مَا   سَاوَتْ قَطِيفَتُهُ دَرَاهِماً عَدَدَا
وَ قَالَ فَاجْعَلْهُ حَجّاً لَا رِيَا مَعَهُ   يَا رَبُّ وَ هْوَ عَلَيْهِ أَكْثَر المَدَدَا
أَهْدَى مِنَ البُدْنِ وَ هْوَ هَكَذَا مِائَةً   وَ كَمْ بِحَالَتِهِ هَدْيٌ هَدَى لِهُدَى
وَ حِينَ مَا فُتِحَتْ عَلَيْهِ مَكَّةُ وَ هْوَ فِي جُيُوشٍ لَهُ قَدْ أَكْمَلُوا العَدَدَا
عَنَى عَلَى رَحْلِهِ بِالرَّأْسِ مِنْهُ عَلَى   تَوَاضُعٍ وَ لِمَوْلَاهُ العَلِي سَجَدَا
وَ قَدْ نَهَى الصَّحْبَ عَنْ تَفْضِيلِ حَضْرَتِهِ   عَن ابن مَتَّى وَ مُوسَى طِبْقَ مَا وَرَدَا

وَ مِنْ تَوَاضُعِهِ أَنْ قَالَ نَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِمَ رُشْدَا
وَ لَوْ لَبِثْتُ بِقَعْرِ السِّجْنِ مُدَّةَ سِجْنِ يُوسُفٍ لَأَجَبْتُ مَنْ دَعَا فَنَدَا
نَادَاهُ شَخْصٌ مُخَاطِباً إِلَيْهِ بِهَا   خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِبْقَ مَا قَدِ اعْتَقَدَا
فَقَالَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ وَ هُوَ تَوَاضُعٌ بِهِ انْفَرَدَا
وَ جَاءَ عَنْ بَعْضِ صَحْبِهِ كَعَائِشَةَ اتِّصَافُهُ بِصِفَاتٍ أَمْرُهَا حُمِدَا
فَقَالَ قَدْ كَانَ يَفْلِي ثَوْبَهُ أَدَباً   وَ كَانَ يَحْلِبُ شَاتَهُ مَعَ الشُّهَدَا
وَ كَانَ يَرْقَعُ ثَوْبَهُ وَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَ يَخْدِمُ نَفْسَهُ بِمَا وَجَدَا
وَ كَانَ يَعْلِفُ نَاضِحاً لَهُ وَ يَقُمُّ الْبَيْتَ وَ الْعَقْلُ لِلْبَعِيرِ مِنْهُ بَدَا
وَ كَانَ يَحْمِلُ فِي الأَسْوَاقِ حَاجَتَهُ   بِنَفْسِهِ لِمَحَلِّهِ مَعَ الرُّشَدَا
فَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةٍ مَعَهُ   لَمَّا اشْتَرَى لِسَرَاوِيلٍ لَهَا قَصَدَا
وَ رَامَ يَحْمِلُهَا عَنْهُ فَقَالَ لَهُ الأَحَقُّ بِالْحَمْلِ رَبُّ الشَّيْءِ حَيْثُ غَدَا
وَكَانَ يَأْكُلُ مَعْ أَهْلٍ وَ خَادِمَةٍ   وَ كَانَ يَعْجِنُ مَعْهَا مُذْ غَدَا سَنَدَا
وَ مِنْ تَوَاضُعِهِ مَا قَالَهُ أَنَسٌ   وَ قَوْلُهُ طَابَقَ الأَمْرَ الَّذِي شَهِدَا
فَقَالَ كَمْ أَمَةٌ مِنَ الإِمَاءِ أَتَتْ   لَهُ وَ مَدَّتْ لَهُ يَداً فَمَدَّ يَدَا
تَغْدُو بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ وَ هُوَ مُنْطَلِقٌ   مَعْهَا إِلَى أَنْ تَنَالَ الْقَصْدَ وَ الْمَدَدَا
وَ جَاءَهُ رَجُلٌ مَا كَانَ شاهده   وَحِينَ شَاهَدَهُ بِالْهَيْبَةِ ارْتَعَدَا
فَقَالَ هَوِّنْ عَلَيْكَ لَمْ أَكُنْ مَلِكاً   وَ لَمْ أَكُنْ بِالَّذِي قَدْ جَارَ أَوْ عَنَدَا
وَ إِنَّنِي ابْنُ الَّتِي الْقَدِيدُ مَأْكَلُهَا   فَلْتَتَبِّعْنِي وَدَعْ طَرَائِقاً قِدَدَا

فصل

في عدله صلى الله عليه و سلم
و أمانته و عفته و صدق لهجته

قَدْ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ آمَنَ كُلِّ النَّاسِ فِي الْخَلْقِ بِالأَمَانَةِ انْفَرَدَا
وَ كَانَ أَعْدَلَ كُلِّ النَّاسِ وَ هُوَ عَلَى   رَأْسِ الْعَدَالَةِ مَحْمُولٌ بِهَا لِمَدَى
وَ كَانَ أَصْدَقَ كُلِّ النَّاسِ وَ هُوَ أَعَفُّهُمْ بِمَا فِيهِ مِنْ نَزَاهَةٍ وَ هُدَى

قَدْ حَكَّمَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَ وَضْعِهِمُ   لِلْحَجَرِ الأَسْعَدِ الَّذِي لَهُ شَهِدَا
قَالُوا رَضِينَا بِهِ وَ هُوَ الأَمِينُ وَ قَدْ   أَشَادَهُ بِمَحَلِّهِ وَهُمْ شُهَدَا
غَدَا يُسَمَّى الأَمِينَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ   إِلَيْهِمُ بِرِسَالَةٍ بِهَا وَفَدَا
وَ قَالَ إِنِّي الأَمِينُ فِي السَّمَا وَ أَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ حَقّاً لَمْ يَقُلْ فَنَدَا
هَذَا أَبُو جَهْلٍ الجَافِي يَقُولُ لَهُ   لَسْنَا نُكَذِّبُ إِلاَّ مَا لَدَيْكَ بَدَا
وَ أَنْتَ غَيْرُ مُكَذَّبٍ لَدَى أَحَدٍ   وَ كَانَ فِي جَانِبِ الرَّسُولِ شَرَّ عِدَا
وَ يَوْمَ بَدْرٍ تَلاَقَى كَافِرٌ مَعَهُ   وَ قَالَ نَحْنُ هُنَا جَمِيعُنَا انْفَرَدَا
وَ قل لِي أَبَا حَكَمٍ مَاذَا تَرَى أَكَذُو   بٌ أَمْ صَدُوقٌ مُحَمَّدٌ وَ قَدْ جَحَدَا
فَقَالَ وَ اللهِ إِنَّهُ الصَّدُوقُ وَ مَا   مُحَمَّدٌ بَيْنَنَا قَد افْتَرَى أَبَدَا
وَ قَالَ فِيهِ أَبُو سُفْيَان فِي مَلَأٍ   هِرَقْلُ فِيهِ بَدَا فِي مَنْصِبٍ صَعِدَا
وَ صَارَ يَسْأَلُهُ هِرَقْلُ كَيْفَ يُرَى   مُحَمَّدٌ فِيكُمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يفدَا
أَكَانَ بَيْنَكُمُ بِالكَذِبِ مُتَّهَماً   لاَ لاَ وَ حَقِّ الَّذِي آتَاهُ مِنْهُ جَدَا
وَ قَال كَافِرٌ أَيْضاً وَ هْوَ يبغضُهُ   مُخَاطِباً لقريشٍ بِالَّذِي شَهِدَا
قَدْ كَانَ فِيكُمْ مُحَمَّدٌ نَشَا حَدَثاً   حَدِيثُهُ صَادِقٌ لاَ يَعْرِفُ الفَنَدَا
وَ إِنَّهُ لَأَمِينٌ بَيْنَكُمْ وَ لَقَدْ   شَاهَدْتُمُوهُ وَ فِيكُمْ أَمْرُهُ حُمِدَا
حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتُمُوهُ شَابَ وَجَا   ءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ كُلٌّ لَهُ عَنَدَا
قُلْتُمْ لَهُ سَاحِر لاَ لاَ وَ حَقِّكُمُ   مَا هُوَ حَقّاً بِسَاحِرٍ وَ إِنْ جَحَدَا
فَانْظُرْ إِلى مَا بِهِ الأَعَدَا لَهُ شَهِدُوا   وَ الحَقُّ مَا شَهِدَتْ بِهِ العِدَا فَبَدَا
مِنْ عَدْلِهِ أَنَّهُ مَا لاَمَسَتْ يَدُهُ   يَدَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ حَلَّتْ لَهُ أَبَدَا
وَ قَالَ يَوْماً لِأَعْرَابِي يُخَاطِبُهُ   خَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ وَ لَمْ يَزِدَا
مَا زَادَ شَيْئاً عَلَى أَنْ قَالَ ذَاكَ لَهُ   مُبَيِّناً أَنَّهُ بِالعَدْلِ قَدْ وَرَدَا
وَ فِيهِ قَالَتْ بِصِدْقِ القَوْلِ عَائِشَةٌ   وَ قَوْلُهَا فِيهِ لاَ يَزَالُ مُعْتَمَدَا
مَا كَانَ أَمْرَانِ إِلاَّ اخْتَارَ خَيْرَهُمَا   مَا لَمْ يَكُ الأَمْرُ إِثْماً فَهْوَ عَنْهُ غَدَا
مِنْ عَدْلِهِ أَنَّهُ لِلْحَقِّ مُبْتَدِرٌ   فِي كُلِّ شَيْءٍ وَ مَا عَنْهُ قد ابْتَعَدَا
مَا كَانَ يَنْظُرُ لِلدُّنْيَا وَ زِينَتِهَا   بَلْ إِنَّهُ فِي جَمِيعِ أَمْرِهَا زَهِدَا
قَالَ المُبَرِّدُ فِي كِسْرَى وَ قِسْمَتِهِ   أَيَّامُهُ أَرْبعاً وَعَدَّهَا عَدَدَا

فَيَوْمُ رِيحٍ لِنَوْمٍ صَالِحٌ وَ يُرَى   لِلصَّيْدِ يَوْماً بِهِ الغَيْمُ اكْتَسَى بَرَدَا
وَ الشُّرْبُ وَ اللَّهْوُ فِي يَوْمٍ بِهِ مَطَرٌ   وَ لِلحَوَائِجِ يَوْمُ الشَّمْسِ قَدْ مهدَا
وَبَعْدَ قَوْلَتِهِ ابْنُ خَالَوَيْهِ أَتَى   وَ قَالَ مَا كَانَ أَدْرَاهُمْ بِمَا سُرِدَا
مَا كَانَ أَعْرَفهم بِحَالِ زَهْرَتِهِمْ   سِيَاسَةً وَ عَنِ الأُخْرَى هُمُ بُعَدَا
فَيَعْلَمُونَ مِنَ الدُّنْيَا ظَوَاهِرَهَا   وَ هُمْ هُمُ غَافِلُونَ عَنْ طَرِيقِ هُدَى
لَكِنَّ خَيْرَ الوَرَى لِعَدْلِهِ قَسَمَ النَّهَارَ أَثْلَاثَ أَقْسَامٍ بِهَا اجْتَهَدَا
فَكَانَ قِسْمٌ لِرَبِّهِ اسْتَقَامَ بِهِ اسْتِقَامَةً فِي عِبَادَةٍ بِهَا انفَرَدَا
وَ قِسْمٌ آخَرَ مِنْهَا كَانَ هَيَّأَهُ   لِأَهْلِهِ وَلَهُمْ فِيهِ أَطَالَ يَدَا
وَ كَانِ قِسْمٌ لَهُ حَقّاً فَجَزَّأَهُ   بِنَفْسِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ وُجِدَا
وَ كَانَ غَالِبَ جُزْءِهِ لِخَالِقِهِ   وَ مَا غَدَا لِسِوَاهُ لَمْ يَدَعْهُ سُدَى
فَكَانَ ينهضُ حَالَ النَّاسِ وَ هْوَ لَهُمْ   هَادٍ إِلَى رَشَدٍ لِيَبْلُغُوا الرَّشَدَا
وَ قَالَ لِلصَّحْبِ أَبْلِغُوا حَوَائِجَ مَنْ   لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الإِبْلَاغَ مُجْتَهِدَا
مَنْ أَبْلَغَ الضُّعَفَا إِلَى حَوَائِجِهِمْ   يُؤَمِّنُ اللهُ مِنْهُ النَّفْسَ حَيْثُ غَدَا
مِنْ عَدْلِهِ لَمْ يُؤَاخِذْ غَيْرَ مُقْتَرِفٍ   وَ لَمْ يجاز بِقَرْفٍ وَاحِدٍ أَحَداً
وَ لَمْ يَكُنْ يَقْبَلَ الكَلَامَ فِي أَحَدٍ   إِلَّا بِحَقٍّ لِحَقٍّ فِيهِ قَدْ شَهِدَا
وَ انْظُرْ إِلَى عَدْلِهِ مُذْ كَانَ مِنْ صِغَرٍ   فِي السِّنِّ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَعْدِل لِغَيْرِ هُدَى
مَا هَمَّ يَوْماً بِشَيْءٍ كَانَ يُعْمَلُ عِنْدَ الجَاهِلِيَّةِ بَلْ عَنْهُمْ قد ابْتَعَدَا
وَ جَاءَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أَرَادَ بِأَنْ   يَمْضِي لِيَسْمُرَ لَيْلَةً لَهَا قَصَدَا
مِثْلَ الشَّبَابِ الَّذِينَ يَسْمُرُونَ وَ لَمْ   يَكُنْ يُسَامِرُهُمْ فِي لَيْلَةٍ أَبَدَا
فَزَادَ فِيهِ غلام صَارَ مُحْتَفِظاً   لَهُ عَلَى الغَنَمِ الَّتِي لَهَا رَصَدَا
فَسَارَ حَتَّى أَتَى لِمَكَّةٍ وَ بِهَا   فِي أَوَّلِ الدُّورِ عُرْسٌ عَمَّهُمْ شردَا
هُنَاكَ خَيْرُ الوَرَى قَدْ صَارَ يَنْظُرُهُمْ   بِالبُعْدِ لَكِنَّهُ فِي الحِينِ قَدْ رَقَدَا
مَا زَالَ فِي نَوْمِهِ وَ القَوْمُ فِي طَرَبٍ   حَتَّى أَفَاقَ بِمَسِّ الشَّمْسِ مُبْتَعِدَا
فَعَادَ وَهْوَ بِمَا قَدْ رَامَ مِنْ سَمَرٍ   لَمْ يَقْضِ شَيْئاً بِهِ قَدْ سَارَ مُنْفَرِدَا
وَ هَمَّ مَرَّةً أُخْرَى فَاعْتَرَاهُ كَمَا   عَرَاهُ فِي المَرَّةِ الأُولَى الَّذِي حمِدَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَهُمَّ مِنْ هِمَمٍ   لَهُ سَمَتْ فِي مَعَالٍ أَوْجُهَا صَعِدَا

فَكَانَ خَيْرُ الوَرَى المَحْفُوظَ مِنْ صِغَرٍ   مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَ لِلنَّهْجِ القَوِيمِ هَدَى
وَ كَانَ خَيْرُ الوَرَى رَفِيعَ مَنْزِلَةٍ   سِرّاً وَجَهْراً وَ بِالخَيْرَاتِ مَدَّ يَدَا
وَ كُلُّ خَيْرٍ فَمِنْهُ صَارَ مَنْبَعُهُ   وَ كُلُّ فَضْلٍ وَجُودٍ فِيهِ قَدْ وُجِدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي أَعْلَى عُلَاهُ عَلَى   سِوَاهُ وَ هُوَ بِحَضْرَةِ العَلِي سَجَدَا
وَ زَادَهُ مِنْ كَمَالِ فَضْلِهِ كَرَماً   عَمَّ الوُجُودَ بِجُودٍ لَمْ يَدَعْ أَحَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَيْهِ وَ السَّلَامِ عَلَى   آلٍ وَ صَحْبٍ وَ مَنْ عَلَيْهِمُ اعْتَمَدَا

فصل

في وقاره صلى الله عليه و سلم و صمته
و تؤدته و مرؤته و حسن هديه

لِلمُصْطَفَى مِنْ كَمَالِ السَّمْتِ مَا سَلَبَ النُّهَى بِهِ بَيْنَ أَحْبَابٍ لَهُ وَعِدَا
فَهُؤُلَاءِ لَهُمْ مِنْ سَمْتِهِ فَرَحٌ   وَ هَؤُلَاءِ لَهُمْ بِهِ عمى وَرَدَا
كُلٌّ عَلَى وِفْقِ مَا أَعْطَتْهُ صُورَتُهُ   فِي وَجْهِ مِرْآتِهِ مِنَ الجَلَا وَصَدَا
وَ كَمْ تَتَبَّعَ مَنْ رَامُوا تَنَقُّصَهُ   أَحْوَالَهُ لِيَرَوْا نَقْصاً فَمَا وُجِدَا
فَكَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ جَامِعَ كُلِّ الفَضْلِ إِذْ هُوَ فِيهِ جَازَ كُلَّ مَدَى
وَ كَانَ أَوْقَرَ كُلِّ النَّاسِ محمدةً   وَ أَوْقَرَ النَّاسِ حَيْثُ غَابَ أَوْ شَهِدَا
فَفِي مَجَالِسِهِ مَا كَادَ يَخْرُجُ مِنْ   أَطْرَافِهِ أَبَداً شَيْءٌ فَينتقدا
مَا كَانَ فِيهِ مَحَلٌّ لِانْتِقَادِهِمُ   وَ لَمْ يَفُزْ مِنْهُمُ إِلَّا مَن اعْتَقَدَا
وَ كَانَ يَجْلِسُ بَيْنَ الصَّحْبِ مُحْتَبِياً   تَوَاضُعاً فِي مَجَالِسِ بِهَا قَعَدَا
وَ قَدْ يُجَالِسُهُمْ مِثْلَ الجُلُوسِ لَدَى الصَّلَاةِ أَوْ مُتَرَبِّعاً كَمَا وَرَدَا
وَرُبَّمَا صَارَ يَرْعَى فِيهِ حَالَهُمُ   وَرُبَّمَا بَيْنَهُمْ لِلقُرْفُصَا عَقَدَا
وَ كَانَ يُعْرِضُ عَنْ لَغْوِ الحَدِيثِ وَ عَنْ   لَهْوِ الحَوَادِثِ فِي الأَحْدَاثِ مُتَّئِدَا
وَ إِنَّهُ لَكَثِيرُ الصَّمْتِ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي سِوَى حَاجَةٍ فِيهَا هُدًى وُجِدَا
وَ لَا سُكُوتَ لَهُ إِذَا المَحَارِمُ يَوْ   ماً عِنْدَهُ انْتُهِكَتْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
كَلَامُهُ الفَصْلُ لَا فُضُولَ فِيهِ وَ لَا   تَقْصِيرَ فِيهِ وَ كَمْ دُرٍّ بِهِ انْتُضِدَا

مَا كَانَ مَجْلِسُهُ إِلَّا مَجَالِسَ أَحْكَامٍ وَ عِلْمٍ وَ حِلْمٍ مَعْ حَيَا وَ هُدَى
قَدْ كَانَ مَجْلِسَ خَيْرٍ مُطْلَقاً وَ أَمَا   نَةٍ يَزِيدُ بِهِ أَهْلُ الهُدَى رَشَدَا
لَا يُرْفَعُ الصَّوْتَ فِيهِ عِنْدَهُ وَ بِهِ   لَا تُؤْبَنُ الحُرُمُ الَّتِي بِهَا وَرَدَا
وَ صَحْبُهُ كُلُّهُمْ يَصْغُوْنَ مِنْهُ لِمَا   يُمْلِيهِ فِيهِمْ وَ هُمْ هُمْ بِهِ الشُّهَدَا
كَأَنَّمَا الطَّيْرُ حَلَّ فَوْقَ أَرْؤُسِهِمْ   إِذَا تَكَلَّمَ وَ هْوَ لِلنَّجَاةِ هَدَى
سُكُوتُهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى حَذَرٍ   أَوِ التَّفَكُّرِ أَوْ تَقْدِيرٍ اعْتَمَدَا
وَ الحِلْمُ رَابِعُ أَحْوَالِ السُّكُوتِ لَهُ   أَتَى عَن ابْنِ خديجةَ الَّذِي سَعِدَا
وَ قَالَتِ السِّتُّ ذَاتُ الدِّينِ عَائِشَةٌ   حَدِيثُهُ كَادَ يُحْصَى عَدُّهُ عَدَدَا
لَوْ عَدَّهُ العَادُّ أَحْصَاهُ بِغَيْرِ عَنَا   لِحُسْنِ تَرْسِيلِهِ الَّذِي بِهِ انْفَرَدَا
يُرَتِّلُ القَوْلَ تَرْتِيلاً يَزِيدُ بِهِ   لِلحَقِّ أَكْمَلَ تَوْضِيحٍ إِذَا سَرَدَا
يُكَرِّرُ القَوْلَ تَكْرِيراً تَقِرُّ بِهِ   لِحُسْنِ تَقْرِيرِهِ عَنِ الَّذِي شَهِدَا
وَ هَدْيُهُ أَحْسَنُ الهُدَى الَّذِي وَرَدَتْ   بِهِ الهُدَاةُ فحقّ الحقّ لِلسُّعَدَا
وَ ضَحْكُهُ كَانَ حَقّاً غَيْرَ قَهْقَهَةٍ   وَ بِالتَّبَسُّمِ كَانَ يُذْهِبُ النَّكَدَا
إِذَا مَشَى كَانَ مِنْهُ المَشْيُ مُجْتَمِعاً   لَمْ يُثْنِهِ حَادِثٌ عَمَّا لَهُ قَصَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ عَاجِزاً وَ لَمْ يَكُنْ ضَجِراً   وَ لَمْ يَكُنْ لِسِوَى مَوْلَاهُ مُعْتَمِدَا
وَ كَانَ ضَحْكُ صِحَابِهِ التَّبَسُّمَ فِي   اجلالـه بِاقْتِدَاءٍ مِنْهُمُ شهدا
وَ كَانَ يَسْتَعْمِلُ الطِّيبَ الكَثِيرَ لِمَا   لَهُ مِنَ الحُبِّ فِيهِ وَ هْوَ مِنْهُ بَدَا
وَ فِيهِ حُبٌّ كَثِيرٌ لِلنِّسَاءِ كَمَا   لَدَيْهِ قُرَّةُ عَيْنٍ فِي الصَّلَاةِ غَدَا
وَ مِنْ مُرُوْءَتِهِ تَأْدِيبُ أُمَّتِهِ   بِحُسْنِ آدَابِهِ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ مِنْ فَمِهِمْ   وَ فِي الشَّرَابِ كَذَاكَ نَهْيُهُ وَرَدَا
وَ بِالسِّوَاكِ وَ إِنْقَاءِ البَرَاجِمِ وَ الرَّوَاجِبِ الأَمْرُ مِنْهُ قَدْ غَدَا سَنَدَا
وَ الأَمْرُ مِمَّا يَلِي لِأكِلٍ وَ بِهِ اسْتِعْمَالُ كُلِّ خِصَالِ الفِطْرَةِ اتَّحَدَا
فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ تُرَى لِهَدْيِهِ تَبَعاً   فَمَنْ غَدَا تَابِعاً لِهَدْيِهِ سَعِدَا
وَ اعْمَلْ عَلَى السُّنَّةِ الغَرَّاءِ فَهْيَ لِمَنْ   غَدَا بِهَا عَامِلاً يَنَالُ مَا قَصَدَا

فصل

في زهده صلى الله عليه و سلم في الدنيا و قلة مبالاته بوجودها و فقدها اعتمادا على مولاه

مَا مِثْلُ خَيْرِ الوَرَى فِي الزُّهْدِ مِنْ أَحَدٍ   قَدْ كَانَ أَوْ سَيَكُونُ فِيهِمُ أَبَدَا
فِي ذَاتِهِ كُلُّ خَيْرٍ صَارَ مُجْتَمِعاً   وَ فِي مَحَاسِنِهِ قَدْ صَارَ مُنْفَرِدَا
اللهُ أَكْمَلَ فِيهِ الحُسْنَ أَجْمَعَهُ   خَلْقاً وَ خُلْقاً فَكَانَ مِنْهُ مَا وُجِدَا
أَغْنَاهُ عَنْ خَلْقِهِ بِهِ فَكَانَ لَهُ   غِنًّى بِهِ عَمَّ مِنْهُ خَلْقَهُ مَدَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ للدُّنْيَا وَ زُخْرُفِهَا الِتفَاتُ قَلْبٍ بِهِ لَهَا يَمُدُّ يَدَا
يَكْفِيكَ مِنْ زُهْدِهِ فِي طِيبِ زَهْرَتِهَا   إِعْرَاضُهُ عَنْهُ بَعْدَمَا لَهُ حُشِدَا
فُتُوحُهَا قَدْ تَرَادَفَتْ عَلَيْهِ وَ قَدْ   سِيقَتْ إِلَيْهِ وَ عَنْهَا قَلْبُهُ شَرَدَا
وَ قَدْ تَقَلَّلَ مِنْهَا وَهْيَ حَاضِرَةٌ   لَدَيْهِ إِذْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ حَيْثُ غَدَا
غَدَا يُجُرُّ عَلَيْهَا الذَّيْلَ مُحْتَمِلاً   بِالصَّبْرِ عَنْهَا أَذَى بِهِ قَد انْفَرَدَا
وَ مَعْ تَيَسُّرِهَا لَهُ بِغَيْرِ عَنَا   قَدْ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُقَلِّلاً لِغِدَا
وَ قَدْ تُوُفِيَ وَ هُوَ دِرْعُهُ رُهِنَتْ   لَدَى يَهُودِي لِإِنْفَاقٍ لَهُمْ قَصَدَا
وَ صَارَ يَدْعُو لِآلِ البَيْتِ خَيْرَ دُعَا   وَ فِيهِمُ قَدْ أَجَابَ اللهُ مِنْهُ نِدَا
فَكُنْ لِمَا كَانَ فِيهِ خَيْرَ مُعْتَبِرٍ   يَا لَيْتَ نَفْسِي لَهُ كَانَتْ لَدَيْهِ فِدَا
فَإِنَّهُ تَرَكَ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا   وَ صَارَ يَقْنَعُ فِيهَا بِالَّذِي وَجَدَا
عَنِ الحُمَيْرَاءِ ذَاتِ الصَّوْنِ عَائِشَةٍ   قَدْ جَاءَ فِي وَصْفِهِ قَوْلٌ لَهَا سُرِدَا
قَالَتْ فَمَا شَبِعَ النَّبِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الخُبْزِ حَتَّى مَاتَ مُجْتَهِدَا
وَ لَوْ يَشَاءُ لَأَعْطَاهُ الإِلَهُ عَطَا   مَا كَانَ يَخْطُرُ فِي بَالِ الَّذِي عَنَدَا
قَالَتْ وَ مَا تَرَكَ الرَّسُولُ غَيْرَ سِلَا   حِهِ وَ بَغْلَتِهِ مَعْ مَا رَآهُ جَدَا
لَا شَاةَ لَا دِرْهَمَ وَ لَا بَعِيرَ وَ لَا   دِينَارَ خَلَّفَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدَا
قَالَتْ وَ مَاتَ وَ مَا فِي البَيْتِ غَيْرُ نَصِيبٍ مِنْ شَعِيرٍ بِرَفٍّ لِي لَنَا رُصِدَا

قَالَتْ وَ قَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَبٍ   بَطْحَاءُ مَكَّةَ وَ هْوَ فِيهِ قَدْ زَهِدَا
قَالَتْ وَ قَالَ أَجُوعُ ثُمَّ أَشْبَعُ فِي   يَوْمٍ بِيَوْمٍ وَ أَدْعُو الوَاحِدَ الأَحَدَا
فَإِنْ أَجُعْ أَتَضَرَّعْ لِلإِلَهِ وَ إِنْ   أَشْبَعْ بِيَوْمٍ أَكُنْ عَبْداً لَهُ حَمِدَا
وَ قَالَ يَارَبِّ لَا أَرْضَى بِأَجْمَعِهَا   وَ إِنَّهَا دَارُ بَلْوَى لِلَّذِي رَشَدَا
أَتَاهُ جِبْرِيلُ يَوْماً ثُمَّ قَالَ لَهُ   اللهُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ دُونَ مَدَى
وَ قَالَ هَذِي الجِبَالُ إِنْ أَرَدْتَ بِأَنْ   أُحِيلَهَا ذَهَباً طِبْقَ المُرَادِ غَدَا
فَأَطْرَقَ المُصْطَفَى وَ قَالَ مَالِيَ فِي   هَذَا مَرَامٌ وَلَا أُحِبُّهَا أَبَدَا
وَ تِلْكَ دَارٌ لِمَنْ لَا دَارَ مِنْهُ لَهُ   وَ مَالُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَالٌ لَهُ وُجِدَا
وَرُبَّ فَاقِدِ عَقْلٍ صَارَ يَجْمَعُهَا   وَ أَعْقَلُ النَّاسِ مَنْ عَنْ حُلْوِهَا ابْتَعَدَا
فَقَالَ ثَبَّتَكَ اللهُ العَلِيُّ بِقَوْ   لِ الحَقِّ وَ الحَقُّ بِالتَّأْيِيدِ فِيكَ بَدَا
قَالَتْ وَ كَانَ وَ أَهْلُهُ يَبِيتُ بِلَا   عِشَا لَيَالِيَ فِيهَا القُوتُ لَنْ يَرِدَا
مَا كَانَ يَشْبَعُ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ وَ أَهْلُهُ كَذَلِكَ مَعَهُ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ نَحْنُ آلُ مُحَمَّدٍ لنمكثُ لَا   نَسْتَوْقِدُ النَّارَ شَهْراً فِي عِشَا وَ غِدَا
وَرُبَّ شَهْرٍ يَمُرُّ لَيْسَ فِيهِ لَنَا   أَكْلٌ سِوَى التَّمْرُ وَ المَاءُ الَّذِي وَرَدَا
قَالَتْ وَ لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِي شبعاً   قَطٌّ وَ مَا بَثَّ شَكْوَى فِي الَّذِي جَهِدَا
وَ إِنَّهُ لَيَبِيتُ جَائِعاً وَ أَنَا   عَلَيْهِ آسف مِنْ جُوعٍ بِهِ ارْتَعَدَا
وَ إِنَّهُ لَيَصُومُ بَعْدَ لَيْلَتِهِ الَّتِي طَوَاهَا عَلَى جُوعٍ طَوَى الكَبِدَا
قَالَتْ وَ أَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً وَ أَقُو   لُ إِنَّ نَفْسِي لَدَيْكَ يَا حَبِيبِي فِدَا
فَلَوْ تَبَلَّغْتَ مِنْ دُنْيَاكَ قُوتَكَ مَا   قَاسَيْتَ آلَامَ جُوعٍ حَرُّهُ اتَّقَدَا
فَقَالَ مَالِي وَ لِلدُّنْيَا وَ قَدْ صَبَرَتْ   قَبْلِي مِنَ الرُّسْلِ أُولُو العَزْمِ فِي الشُّهَدَا
وَ هُمْ إِلَى رَبِّهِمْ سَارُوا بِحَالَتِهِمْ   فَأَكْرَمَ اللهُ مَثْوَاهُمْ بِكُلِّ جَدَا
لَإِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي بِيَدِ   خَشِيتُ تُقْصَرُ بِي عِنْدَ الإِلَهِ غَدَا
لَا شَيْءَ عِنْدِي أَحَبَّ مِنْ لُحُوقِيَ بِالإِ   خْوَانِ فِي حَالَةٍ قَلْبِي بِهَا وَجَدَا
فَلَمْ يُقِمْ غَيْرَ شَهْرٍ بَعْدَ قَوْلَتِهِ   حَتَّى تُوُفِّيَ وَ هْوَ أَرْشَدُ الرُّشَدَا
قَالَتْ وَ كَانَ فِرَاشُ نَوْمِهِ أَدَماً   فِي بَيْتِهِ حَشْوُهُ لِيفٌ لَهُ وطَدَا
وَ قَالَ خَادِمُهُ بَيْنَ الوَرَى أَنَسٌ   فِي وَصْفِهِ وَ هْوَ فِيهِ لَمْ يَقُلْ فَنَدَا

لَمْ يَأْكُلِ الْمُصْطَفَى لاَ فِي سُكُرُّجَةٍ   وَ لَمْ يَكُنْ أَكْلُهُ عَلَى الْخِوَانِ بَدَا
وَ لَمْ يُرَقَّقْ لَهُ خُبْزٌ وَ لاَ سُمِطَتْ   شَاةٌ لَهُ أَوْ رَآهَا سُمِطَتْ أَبَدَا
وَ جَاءَ عَنْ حَفْصَةٍ زَوْجِ النَّبِيِّ بِأَنَّ فِي فِنَا بَيْتِهِ فِرَاشُهُ اتَّحَدَا
وَ كَانَ مِنْ شَعَرٍ يُثْنَى لَهُ لِيَنَا   مَ فِيهِ لَيْلاً لَدَيَّ حَيْثُمَا هَجَدَا
وَقَدْ ثَنَيْنَاهُ لَيْلَةً بِأَرْبَعَةٍ   لَعَلَّهُ عِنْدَنَا لِرَاحَةٍ يَجِدَا
وَ حِينَ قَامَ مِنَ الْمَنَامِ قَالَ لَنَا   مَاذَا فَرَشْتُمْ لِنَوْمِي اللَّيْلَ مُنْتَقِدَا
رُدُّوا فِرَاشِي لِحَالِهِ فَوَطْأَةُ ذَا   فِي لَيْلَتِي مَنَعَتْ وِرْدِي الَّذِي عُهِدَا
وَ كَانَ فِي بَعْضِ أَحْيَانٍ يَنَامُ عَلَى   سَرِيرِهِ وَ هْوَ بِالشَّرِيطِ قَدْ عُقِدَا
يَنَامُ حَتَّى يُرَى فِي جَنْبِهِ أَثَرٌ   لَهُ وَ عَيْنَاهُ لَمْ تَنَمْ إِذَا رَقَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ مِنْهُ عَنْ خَصَاصَتِهِ   بَلْ عَنْ خُصُوصِيَةٍ لَهُ بِهَا انْفَرَدَا
وَ مَنْ لَهُ قَدْ غَدَتْ دُنْيَاهُ طَوْعَ يَدٍ   لَهُ يَزِيدُ جَلاَلَةً إِذَا زَهِدَا
وَ لاَ يُعَدُّ فَقِيراً مَنْ لَدَيْهِ غِنَى الدَّارَيْنِ بِاللهِ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
وَ قَلَّ مَنْ مَلَكَتْ يَدَاهُ بَعْضُ غِنًى   وَ صَارَ يَزْهَدُ فِيمَا قَدْ أَجَالَ يَدَا
فَاقْدِرْ جَلاَلَةَ زُهْدِ الْمُصْطَفَى وَ بِهَا اعْرِفْ قَدْرَهُ فَكَمَالُ فَضْلِهِ شَهِدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي لاَزَالَ نَاصِرَهُ   بِالْحَقِّ فِي الْحَقِّ وَ هْوَ لِلْعِبَادِ هَدَى
ثُمَّ السَّلاَمُ عَلَى أَتْبَاعِهِ فَهُمُ   جَمِيعُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ غَدَوْا سُعَدَا

فصل

في خوفه عليه السلام من ربه و طاعته له و شدة عبادته

الْخَوْفُ فِي الْعَبْدِ مِنْ مَوْلاَهُ فِيهِ جَدَا   لَهُ لِيَأْتِيَ بِالسَّعْيِّ الَّذِي حُمِدَا
وَلاَ يَخَافُ سِوَى عَبْدٌ لَهُ اتَّضَحَتْ   لَهُ جَلاَلَةُ مَوْلاَهُ الَّذِي عَبَدَا
بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ مِنْ سِرِّ مَعْرِفَةٍ   يَزِيدُ خَوْفاً بِهِ فِي الطَّاعَةِ اجْتَهَدَا
وَ سَيِّدُ الْخَائِفِينَ مِنْ مؤمنهِمْ   هُوَ النَّبِيُّ الرَّسُولُ أَفْضَلُ السُّعَدَا
لَهُ مِنَ اللهِ خَوْفٌ زَادَهُ رُتَباً   وَ فِي مَقَامَاتِ خَوْفِ اللهِ قَدْ صَعِدَا
فَلاَ يُدَانِيهِ فِي عُلاَهُ مِنْ أَحَدٍ   عِنْدَ الإِلَهِ بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ عَنَدَا

مَنْ ذَا يُزَاحِمُهُ فِي حُسْنِ طَاعَتِهِ   لَهُ وَ إِحْسَانُهَا أَرْضَى بِهِ الأَحَدَا
فَكَانَ فِي حَضْرَةِ الإِحْسَانِ مُتَّصِفاً   بِأَجْمَلِ الوَصْفِ بِالكَمَالِ مُنْفَرِدَا
آدَابُهُ بَلَغَتْ فِي المَجْدِ غَايَتَهُ   وَ بِالَّذِي نَالَهُ مِنْ رَبِّهِ وَجَدَا
يَا مَا أَجَلَّ وَ أَغْلَى مَا حَبَاهُ بِهِ   مَوْلاَهُ مِنْ حُبِّهِ الَّذِي لَهُ شَهِدَا
وَ لَمْ يَزَلْ بِالأَمَانِ صَاعِداً رُتَباً   وَ فِي الصُّعُودِ يَزِيدُ خَوْفَهُ مَدَدَا
يُعْطِي العِبَادَ حُقُوقَهُمْ وَ إِنَّ لَهُ   مِنَ العِبَادَةِ حَزْماً قَامَ أَوْ قَعَدَا
يَقُولُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا عَلِمْتُ ضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَ أَكْثَرْتُمْ بُكَا أَمَدَا
وَ مَا تَلَذَّذْتُمْ لِفَرْطِ هَمِّكُمْ   بِنِسْوَةٍ وَ تَنَفَّسْتُمْ بِهِ الصُّعَدَا
قَالَ الصَّحَابِي أَبُو ذَرٍّ وَدِدْتُ بِأَنْ   أَكُونَ مِنْ شَجَرٍ كَمْ مَرَّةٍ عضدَا
وَ لَمْ أَكُنْ بَشَراً لَمْ يَخْشَ خَالِقَهُ   أَوْ خَافَهُ وَ هْوَ عَنْ هَوَاهُ مَا ابْتَعَدَا
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ شَيْئاً فَإِنِّي مَا   أَدَيْتُ حَقَّ عبُودَةِ الَّذِي عُبِدَا
وَ المُصْطَفَى فِي مُصَلاَّهُ أَطَالَ قِيَا   ماً لِلصَّلاَةِ وَ لِلْمَوْلَى العَلِي سَجَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ قَائِماً حَتَّى لَقَدْ وَرِمَتْ   رِجْلاَهُ وَ هْوَ لِشُكْرِ رَبِّهِ اجْتَهَدَا
أَعْمَالُهُ دَائِماً كَانَتْ بِلاَ سَأَمٍ   وَ لاَ يَطِيقُ سِوَاهُ حَمْلَهَا أَبَدَا
يَصُومُ ثُمَّ يَقُومُ اللَّيْلَ مُحْتَسِباً   كَأَنَّمَا صَوْمُهُ وَ فِكْرُهُ اتَّحَدَا
وَ فِي حَدِيثِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ عَائِشَةٍ   يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَمْ يَدَعْهُ غَدَا
وَ كَانَ يُفْطِرُ حَتَّى نَمْتَرِي وَ نَقُو   لَ لاَ يَصُومُ غَداً وَ لَمْ يَدَعْ لِغِدَا
وَ قَامَ لَيْلاً بِآيَةٍ يُكَرِّرُهَا   وَ فِي قِيَامِ اللَّيَالِي كَانَ مُجْتَهِدَا
وَ قَالَ أَفْضَل صَحْبٍ مِنْهُمُ أَنَسٌ   مَتَى أَرَدْتَ تَرَاهُ هَاجِداً هَجَدَا
وَ إِنْ أَرَدْتَ تَرَاهُ قَائِماً تَرَهُ   وَ مِنْهُ تَأْخُذُ فِي الحَالَيْنِ خَيْرَ هُدَى
وَ قَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ تَوَضَّأَ لَيْلاً لِلصَّلاَةِ فَقُمْتُ مَعَهُ مُتَّئِدَا
وَ قَدْ تَلاَ سُوَراً مُسْتَفْتِحاً لِأَخِيرِهَا بِأَحْسَنِ إِتْقَانٍ وَ خَيْرِ أَدَا
فَلَمْ يَمُرَّ بِآيَةِ التَّرَحُّمِ إِلاَّ صَارَ يَسْأَلُ عِنْدَهَا عَظِيمَ جَدَا
وَ إِنْ يَمُرَّ بِآيَةٍ بِهَا ذِكَرَ العَذَابُ إِلاَّ اسْتَعَاذَ مِنْهُ مُذْ وُجِدَا
وَ قَدْ أَطَالَ القِيَامَ وَ الرُّكُوعَ مَعَ السُّجُودِ فِيهَا وَ فِي دُعَائِهِ اجْتَهَدَا
وَ عَنْ حُذَيْفَةَ مِثْلُهُ وَ قَالَ تَلاَ   حَتَّى لِمَائِدَةٍ وَ عِنْدَهَا اتَّأَدَا

أَقَامَ أَرْكَانَهَا وَ فِي تَعَادُلِهَا   حَتَّى الجُلُوسَ مَعَ الإِتْقَانِ قَدْ جَهَدَا
وَ قَالَ فِيهِ صَحَابِي جِئْتُهُ فَوَجَدْ   تُهُ بِحَالِ الصَّلَاةِ يَعْبُدُ الصَّمَدَا
وَ قَدْ سَمِعْتُ بِهَا لِجَوْفِهِ كَأَزِيزِ مِرْجَلٍ مِنْ عَظِيمِ مَا بِهَا وَجَدَا
وَ قَالَ فِيهِ رَبِيبُهُ المُعَظَّمُ كَا   نَ حَزْمُهُ مُتَوَاصِلاً وَ قَدْ وقَدَا
وَ كَانَ دَائِمَ فِكْرَةٍ وَ لَيْسَ لَهُ   مِنْ رَاحَةٍ مُذْ غَدَا بَيْنَ الوَرَى سَنَدَا
وَ كَانَ يَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ بِلَا   حَصْرٍ بِسَبْعِينَ أَوْ بِغَيْرِهَا عَدَدَا
وَ فِي سُؤَالِ عَلِيٍّ لِلنَّبِيِّ أَتَى   بَيَانُ سُنَّتِهِ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُ المُصْطَفَى فَأَجَا   بَنِي عَنِ السُّنَّةِ الَّتِي بِهَا وَرَدَا
فَقَالَ لِي رَأْسُ مَالِي هُوَ مَعْرِفَةٌ   وَرَأْسُ دِينِيَ عَقْلٌ نُورُهُ اتَّقَدَا
وَ الحُبُّ حَقًّا أَسَاسِي فِي الحُضُورِ مَعَ الرَّبِّ العَظِيمِ الَّذِي بِالحَقِّ قَدْ عُبِدَا
وَ الشَّوْقُ لِلهِ حَقًّا مَرْكَبِي وَ أَنِيسِي ذِكْرُهُ كُلَّمَا غَدَوْتُ مُنْفَرِدَا
وَ إِنَّ كَنْزِي الَّذِي أَحْرَزْتُهُ ثِقَتِي   بِهِ وَ أَنَّ رَفِيقِي الحُزْنُ مُطَّرِدَا
وَ العِلْمُ هُوَ سِلَاحِي دَائِماً وَ أَرَى   لِيَ الصَّبْرَ فِي كُلِّ حَالَاتِي أَجَلَّ رِدَا
وَلِي الرِّضَاءُ غَنِيمَةٌ رَضِيتُ بِهَا   وَ العَجْزُ فَخْرِي أَرَاهُ اليَوْمَ لِي وَ غَدَا
وَطَاعَةُ اللهِ عِنْدِي دَائِماً حَسَبِي   وَ أَنَّ خُلْقِي الجِهَادُ لِاتِّبَاعِ هُدَى
وَ قُرَّةُ العَيْنِ فِي الصَّلَاةِ لِي جُعِلَتْ   فَكُنْ لِمَا قَالَهُ النَّبِيُّ مُسْتَنِدَا
فَهَمُّهُ دَائِماً مِنْ أَجْلِ أُمَّتِهِ   وَ الشَّوْقُ لِلهِ وَ هْوَ فِيهِ قَدْ وَجَدَا
وَ ثَمْرَةُ القَلْبِ مِنْهُ ذِكْرُ خَالِقِهِ   وَ ذِكْرُهُ دَائِماً فِي رِفْعَةٍ صَعِدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي بِالذِّكْرِ أَكْرَمَهُ   وَ زَادَهُ مِنْ كَمَالِ فَضْلِهِ مَدَدَا
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْهِ دَائِماً وَ عَلَى   أَتْبَاعِهِ فِي الَّذِي بِهِ لَهُمْ وَرَدَا

فصل

في كون النبي صلى الله عليه و سلم أتم الأنبياء خلقا وخلقا مع كونهم أفضل الناس من سائر الوجود، و كون تفضيل بعضهم على بعض لا يقدم في فضل المفضول منهم وكلهم عليهم السلام أفاضل

لِلأَنْبِيَاءِ كَمَالُ المَظْهَرِ البَشَرِي   خَلْقاً وَ خُلْقاً بِرَغْمِ مَنْ لَهُمْ جَحَدَا
وَ كُلُّهُمْ فِي مَعَالِي المَجْدِ قَدْ صَعِدُوا   إِلَى مَرَاتِبَ مَا بِهَا السِّوَى صَعِدَا
قَدْ زَيَّنَ اللهُ بَيْنَ الخَلْقِ صُورَتَهُمْ   وَ كَمْ مَحَاسِنَ فِيهِمْ فَاقَتِ العَدَدَا
مِنْ كُلِّ ذِي نَسَبٍ وَ كُلِّ ذِي حَسَبٍ   فِي قَوْمِهِمْ مِنْ أَجَلِّ النَّاسِ فِي السُّعَدَا
فَفِي حَدِيثِ هِرَقْلَ قُلْتُ ذو حسب   كَذَلِكَ الرُّسْلُ فِي أَنْسَابِهِمْ عُمَدَا
وَهُمْ هُمُ فِي كَمَالاَتٍ بِهَا انْفَرَدُوا   وَ كُلُّ مَا عِنْدَهُمْ بِهِ النَّبِي انْفَرَدَا
لِأَنْ عَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى سِوَاهُ بِمَا   قَدْ نَالَ فَالمُصْطَفَى بِهِ العُلَى حُشِدَا
فَالخَلْقُ كُلُّهُمُ مِنْ بَحْرِهِ غَرَفُوا   وَجُودُهُ فِي الوُجُودِ عَمَّهُمْ مَدَدَا
قَد اصْطَفَاهُمْ جَمِيعاً بَيْنَ أُمَّتِهِمْ   وَ خَصَّ أُمَّتَهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ بِجَدَا
هُمْ سَادَةُ النَّاسِ نَالُوا رِفْعَةً كَمُلَتْ   دُنْيَا وَ أُخْرَى بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ حَسَدَا
أَكْرِمْ بِهِمْ فَهُمُ فِي المَكْرُمَاتِ لَهُمْ   أَعْلَى مَقَامٍ سَمَا فِي المَجْدِ مُنْفَرِدَا
كَمْ آيَةٍ وَرَدَتْ فِي وَصْفِ جُلِّهِمُ   وَ كَمْ أَجِلَّةٍ ازْدَادُوا بِهِمْ رَشَدَا
وَقَدْ رَأَى المُصْطَفَى مِنْهُمْ أَفَاضِلَ فِي   أَبْهَى مَرَاءٍ بِهَا الصَّحِيحُ قَدْ وَرَدَا
فِي صُورَةِ البَدْرِ قَبْلَ الخَلْقِ قَدْ دَخَلُوا لِجَنَّةٍ لَهُمُ بِهَا النَّعِيمُ غَدَا
فِي طُولِ آدَمَ فِي تَمَامِ خِلْقَتِهِ   وَ ذَاكَ مِنْ فَضْلِهِمْ بَيْنَ الوُجُودِ بَدَا
وَ كَانَ أَحْسَنَهُمْ وَجْهاً وَ أَحْسَنَهُمْ   صَوْتاً مُحَمَّدٌ الَّذِي دَعَا لِهُدَى
وَ كُلُّ مَنْ بَعْدَ لُوطٍ كَانَ مَبْعَثُهُ   مِنْهُمْ فَفِي ذِرْوَةٍ مِن قَوْمِهِ وَفَدَا
وَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةٍ ذُكِرَتْ   رُؤْيَا النَّبِيِّ لِمُوسَى بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
كَأَنَّهُ فِي الشُّهُودِ مِنْ رِجَالِ شَنُو   ءَةَ يُرَى وَ هْوَ أَقْنَى الأَنْفِ مُنْجَرِدَا
وَ إِنَّهُ رَجُلٌ ضَرْبٌ يُرَى رَجُلاً   مِنْ خَيْرِ آدَمِ الرِّجَالِ مَنْظَراً شُهِدَا
وَ كَانَ مُوسَى حَيِيّاً لاَ يَرَى أَحَدٌ   مِنْ جِسْمِهِ أَبَداً شَيْئاً إِذَا انْجَرَدَا
وَ اللهُ آتَاهُ حُكْماً كَانَ مِنْهُ لَهُ   بَيْنَ الوَرَى هَيْبَةً فَاقَتْ أَجَلَّ جَدَا
وَ هْوَ القَوِيُّ الأَمِينُ فِي تَصَرُّفِهِ   وَ هْوَ الكَلِيمُ الَّذِي بِاللهِ قَدْ وَجَدَا
وَ فِيهِ فِي وَصْفِ عِيسَى أَنَّهُ رَجُلٌ   كَثِيرُ خيلاَنِ وَجْهٍ رَبْعَةٌ مجدا
فِي حُمْرَةٍ قَدْ رَآهُ وَ هْوَ فِي خفرٍ   كَأَنَّهُ كَانَ فِي دِيمَاسٍ قَدْ قَعَدَا
مُبَطَّنٌ مِثْلُ سَيْفٍ وَهْوَ أَشْبَهُ كُلِّ وَلْدِ إِبْرَاهِمَ بِهِ لَدَى الشُّهَدَا

وَ المُصْطَفَى خَيْرُ أُولِي العَزْمِ كَانَ لَهُ   خَيْرُ اعْتِنَاءٍ بِهِمْ أَرْضَى بِهِ الأَحَدَا
وَ اللهُ قَالَ لَهُ اقْتَدِهْ بِهَدْيِهِمُ   وَذَاكَ فِيهِ اعْتِنَاءٌ لِلْجَمِيعِ بَدَا
وَ اللهُ فِي الذِّكْرِ قَدْ أَجَلَّ ذِكْرَهُمُ   وَلِلْجَمِيعِ بِأَوْصَافٍ عَلَتْ شَهِدَا
فَفِي نُبُوَّتِهِمْ وَ هَدْيِهِمْ وَصَلاَ   حٍ وَاجْتِبَائِهِمُ كُلُّ الكَمَالِ غَدَا
قَد اصْطَفَى اللهُ آدَمَ الكَبِيرَ وَ نُو   حاً فِي الوُجُودِ بِمَا بِهِ قَد انْفَرَدَا
كَمَا اصْطَفَى آلَ إِبْرَٰهِيمَ بَعْدَهُمُ   وَ آلَ عِمْرَانَ حَيْثُ أَحْرَزُوا الرَّشَدَا
ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ اجْتَهَدَتْ   فِي طَاعَةِ اللهِ وَ هْوَ زَادَ هُمْ مَدَدَا
فَقَالَ فِي حَقِّ نُوحٍ وَ هْوَ صُفْوَتُهُ   عَبْداً شَكُوراً لَدَيْهِ فِي الوَرَى حُمِدَا
وَقَالَ فِي حَقِّ عِيسَى وَهْوَ كلمتُهُ الوَجِيهُ دُنْيَا وَ أُخْرَى وَ هْوَ قَدْ مجدا
قَدْ كَلَّمَ النَّاسَ فِي مَهْدٍ وَ كَانَ مِنَ الصُّلاَّحِ حَامِلَ سِرٍّ نُورُهُ اتَّقَدَا
وَ كَانَ لِلّهِ عَبْداً فِي نُبُوَّتِهِ   آتَاهُ مِنْهُ كِتَاباً فِيهِ سِرُّ هُدَى
وَ كَانَ بَرّاً بِأُمِّهِ مُقِيمَ صَلاَ   ةٍ مِنْهُ أَدَّى الزَّكَاةَ فِي أَتَمِّ أَدَا
وَ قَالَ فِي وَصْفِ أَيُّوبَ الَّذِي رُفِعَتْ   عُلاَهُ أَنَّهُ أَوَّابٌ مُجَابُ نِدَا
وَ كَانَ لِلّهِ نِعْمَ العَبْدِ مُحْتَمِلاً   جَمِيلَ صَبْرٍ بِهِ الإِلَهُ قَدْ شَهِدَا
وَفِي سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ قَالَ وَ قَدْ   أَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً طَاوَلَ الأَبَدَا
وَ كَانَ لِلّهِ مَعْ عُلُوِّ مَنْصِبِهِ   يُبْدِي التَّوَاضُعَ مَعْ تَخَشُّعٍ حُمِدَا
قَدْ كَانَ يَقْضِي لِذِي الحَاجَاتِ حَاجَتَهُ   وَ لاَ يُخَيِّبُ قَصْدَ مَنْ لَهُ قَصَدَا
يَمُرُّ وَ هْوَ عَلَى الرِّيَاحِ مَرْكَبُهُ   فَيُمْسِكُ الرِّيحَ إِنْ رَأَى مُرِيدَ جَدَا
وَ لاَ يَمُرُّ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ الغَرَضَ الَّذِي بِهِ المُجْتَدِي إِلَيْهِ مَدَّ يَدَا
وَهْوَ الَّذِي اعْتَرَضَتْهُ فِي الطَّرِيقِ عَجُو   زٌ وَ هْوَ فِي جُنْدِهِ المُهِيبِ حَيْثُ غَدَا
قَالَتْ لَهُ قِفْ فَصَارَ وَاقِفاً وَ لَهَا   قَضَى الَّذِي طَلَبَتْهُ مِنْهُ مُتَّئِدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّ يَحْيَا خُذْ بِقُوَّتِكَ الكِتَابَ وَ اللهُ قَدْ آتَاهُ خَيْرَ هُدَى
آتَاهُ وَ هْوَ صَبِيٌّ خَيْرَ مَعْرِفَةٍ   وَ حِكْمَةٍ ضِمْنَ حُكْمٍ تُكْشَفُ النَّكَدَا
آتَاهُ مِنْهُ حَنَاناً مَعْ طَهَارَتِهِ   وَ كَانَ عَبْداً تَقِيّاً فِي التُّقَى صَعِدَا
وَ كَانَ بَرّاً بِوَالِدَيْهِ طِبْقَ شَهَا   دَةٍ لَهُ مِنْ إِلَهِ الخَلْقِ فِي السُّعَدَا
عَلَيْهِ قَدْ سَلَّمَ اللهُ الكَرِيمُ لَدَى   مَوْتٍ وَ بَعْثٍ وَ يَوْمَ فِيهِ قَدْ وُلِدَا

وَ كَانَ عَبْداً حَصُوراً سَيِّداً وَ لَهُ   مِنَ الصَّلَاحِ مَقَامٌ نُورُهُ اتَّقَدَا
وَ قَالَ فِي وَصْفِ إِسْمَاعِيلَ دُونَ مِرَا   ءٍ كَانَ صَادِقَ وَعْدٍ بِالَّذِي وَعَدَا
وَ كَمْ حَدِيثٍ بِتَنْوِيهٍ بِقَدْرِهِمُ   وَ حُسْنِ خَلْقِهِمُ وَ خُلْقِهِمْ وَرَدَا
فَانْظُرْ إِلَى ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ كَرِيمِ النَّفْسِ يُوسُفَ فَهْوَ وَصْفُهُ مجدَا
نَبِيٌّ ابْنُ النَّبِي بْنِ النَّبِي بْنِ نَبِي   وَ مَا سِوَاهُ بِهَذَا الْوَصْفِ قَدْ شُهِدَا
يَجُوعُ حَتَّى يَهُدُّ الْجُوعُ قُوَّتَهُ   كَيْلَا يُرَى نَاسِياً فِي يَوْمِهِ أَحَدَا
فَكَانَ يطعمُ مَا يلَذُّ لِلْفُقَرَا   وَ أَكْلُهُ هُوَ لِلشَّعِيرِ مُقْتَصِدَا
وَ انْظُرْ لِطَيِّ الزَّبُورِ فِي قِرَاءَةِ دَا   ودَ النَّبِيِّ وَ هَذَا الْأَمْرُ مِنْهُ بَدَا
فَكَانَ يَأْكُلُ مِمَّا كَانَ يَعْمَلُهُ   بِكَدِّ نَفْسٍ بِهَا الْمَوْلَى حَبَاهُ يَدَا
لَهُ أَلَانَ الْحَدِيدَ فَهْوَ صَانِعُ مَا   قَدْ شَاءَ مِنْهُ بِإِتْقَانٍ بِهِ عُهِدَا
فَكَانَ مِنْ يَدِهِ يَقْتَاتُ ذَا هِمَمٍ   مَا مَالَ فِيهَا لِمَالِ غَيْرِهِ أَبَدَا
وَ قَدْ أَتَى فِي الْحَدِيثِ صَوْمُهُ وَصَلَا   تُهُ أَحَبَّ إِلَى الْمَوْلَى الَّذِي عبدَا
يَنَامُ فِي اللَّيْلِ نِصْفاً أَوَّلاً وَ يُقُو   مُ ثُلْثَهُ وَ يَنَامُ سُدْسَهُ أَبَدَا
يَصُومُ فِي الْقَوْمِ يَوْماً ثُمَّ يُفْطِرُ يَوْ   ماً وَهْوَ فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى قد اجْتَهَدَا
وَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ بِلَا   تفنُّقٍ بَلْ وَ لَوْ فِيهِ الرَّمَادُ بَدَا
وَ لَمْ يُرَى ضَاحِكاً بَعْدَ الْخَطِيئَةِ بَلْ   مَا زَالَ يَبْكِي عَلَيْهَا بَعْدَهَا نَكَدَا
وَ قِيلَ قَدْ نَبَتَتْ مِنْ دَمْعِهِ عُشُبٌ   وَ خَدُّهُ فِيهِ أُخْدُودُ الدُّمُوعِ غَدَا
وَ ذَاكَ مِنْ فَرْطِ مَا قَدْ كَانَ دَاخَلَهُ   مِنَ الْحَيَاءِ الَّذِي بِرَبِّهِ وَجَدَا
وَ كُلَّمَا سَمِعَ الثَّنَاءَ مِنْ أَحَدٍ   عَلَيْهِ زَادَ بِهِ تَوَاضُعاً حُمِدَا
وَ كَانَ عِيسَى الْمَسِيحُ يَلْبَسُ الشَّعَرَ الْمُرْ فِي وَ يَأْكُلُ مِنْ نَبَاتٍ مَا وَجَدَا
يَنَامُ حَيْثُ الْمَنَامُ كَانَ يُدْرِكُهُ   وَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ بَيْتٌ بِهِ قَعَدَا
مُعَوِّداً نُطْقَهُ الْقَوْلَ الْجَمِيلَ وَ لَمْ   يَقُلْ سِوَاهُ لِخِنْزِيرٍ لَهُ قَصَدَا
يَرَى أَحَبَّ الْأَسَامِي أَنْ يُقَالَ لَهُ   هَذَا مِنَ النَّاسِ مِسْكِينٌ قَد انْفَرَدَا
وَرِيءَ فِي بَطْنِ مُوسَى خُضْرَةٌ لِهُزَا   لٍ فِيهِ فِي حِينِ مَاءِ مَدْيَنٍ وَرَدَا
وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ   بَقْلِ الْبَرِّيَّةِ وَ هُوَ لَمْ يَسَلْ أَحَدَا
لَمْ يَتَّخِذْ لِلطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ إِنَا   وَ قَدْ تَنَاوَلَ ذَاكَ كَيْفَ مَا وَجَدَا

وَ كَانَ ذَلِكَ فِيهِ مِنْ تَوَاضُعِهِ   لِلَّهِ حَيْثُ غَدَا عَلَيْهِ مُعْتَمِدَا
وَ كَانَتِ الأَنْبِيَا قَبْلَ النَّبِيِّ بِفَقْرٍ يُبْتَلَى بَعْضُهُمْ وَ هُمْ هُمُ السُّعَدَا
وَ كَانَ ذَاكَ لَدَيْهِمُ أَحَبَّ لَهُمْ   مِنَ العَطَاءِ وَ فِيهِ أَحْرَزُوا رَشَدَا
وَ كَانَ يَحْيَا مَعَ الوُحُوشِ يَأْكُلُ عُشْبَ البَرِّ حَتَّى غَدَا بِالبَرِّ مُنْفَرِدَا
وَ كَانَ مِنْ خَشْيَةٍ يَبْكِي وَ أَدْمُعُهُ   فِي خَدِّهِ اتَّخَذَتْ مَجْرَى بِهَا اتَّحَدَا
وَ مَنْ يَكُنْ عَارِفاً بِرَبِّهِ فَلَهُ   كَمَالُ وَجْدٍ عَلَى قَدْرِ الَّذِي شهدَا
وَ لَيْسَ مَعْرِفَةُ النَّبِيِّ يُدْرِكُهَا   سِوَى النَّبِيِّ وَ لَوْ فِيهَا ارْتَقَى لِمَدَى
فَارْجِعْ لِأَخْبَارِهِمْ فَإِنَّهَا اشْتَهَرَتْ   وَ فِي مَرَاقِي الكَمَالِ قَدْرُهَا صَعِدَا
لَا تَلْتَفِتْ لِسِوَى مَا قُلْتُ إِنَّهُمُ   خَيْرُ العِبَادِ وَ دَعْ مَنْ فِيهِمُ عَنَدَا
فَكَمْ مُؤَرِّخٍ أَوْ مُفَسِّرٍ زَلَقَتْ   فِي حَقِّهِمْ قَدَمَاهُ فَانْهَوَى لِرَدَا

فصل

في ختم فصول الباب بذكر حديث الحسن و الحسين
ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

قَدْرُ النَّبِيِّ بِأَوْجِ المَجْدِ قَدْ صَعِدَا   وَ لَمْ يُوَفِّ ثَنَاءَهُ أَمْرُؤٌ أَبَدَا
لَوْ جِئْتُ فِي مَدْحِهِ بِمَا أَجِيءُ بِهِ   مِنَ الكَمَالِ الَّذِي لَمْ أُحْصِهِ عَدَدَا
وَ قُلْتُ مَا قُلْتُ حَتَّى أَمْلَأَ الصُّحُفَ الَّتِي بِهَا الكَوْنُ يَمْتَلِي بِغَيْرِ مَدَا
مَا جِئْتُ فِي حَقِّهِ بِمَا اسْتَحَقَّ وَ هَلْ   يَأْتِي سِوَى اللهِ بِالَّذِي بِهِ انْفَرَدَا
إِنِّي وَ إِنْ لَمْ أُوَفِّ شُكْرَهُ فَأَنَا   أُدْلِي بِمَدْحٍ بِهِ مِنْهُ اتَّخَذْتُ يَدَا
وَ لَمْ يَفُتْنِي خَيْرُهُ وَ إِنْ قَصُرَتْ   يَدِي لِأَنَّ لَهُ الطَّوْلَ الَّذِي حُمِدَا
وَ كَيْفَ لَا وَ لَهُ الفَضْلُ الَّذِي غَمَرَتْ   مِنْهُ الوُجُودَ أَيَادِيهِ غِنًى وجدَا
آتِي هُنَا بِحَدِيثٍ فِي شَمَائِلِهِ   عَنِ الرِّضَى الحَسَنِ الَّذِي اهْتَدَى وَ هَدَى
رَوَاهُ عَنْ خَالِهِ هِنْدٌ وَ كَانَ لَهُ   بِهِ اعْتِنَاءٌ كَبِيرٌ طِبْقَ مَا وَرَدَا
فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ مُتَّصِفاً   بِأَحْسَنِ الخَلْقِ وَ الخُلْقِ الَّذِي مجدَا
وَ كَانَ فَخْماً مُفَخَّماً وَ مَنْظَرُهُ   كَالبَدْرِ عِنْدَ التَّمَامِ نُورُهُ اتَّقَدَا

وَ كَانَ أَطْوَلَ مَرْبُوعَ وَ أَقْصَرَ مِنْ   ذَاتِ الْمُشَذَّبِ مَهْمَا صَارَ مُنْفَرِدَا
وَ إِنَّهُ لَعَظِيمُ هَامَةٍ وَ بِهَا   قَد ازْدَهَتْ وَ فْرَةٌ جَمَالُهَا شُهِدَا
شعرُهَا رَجِلٌ وَلَيْسَ يفرقها   إِلَّا إِذَا انْفَرَقَتْ فَاعْرِفْ بِذَا سَنَدَا
جَبِينُهُ وَاسِعٌ وَ هْوَ أَزَجُّ حَوَا   جِبٍ بِلَا قَرَنٍ بَيْنَهُمَا وُجِدَا
هُمَا سَوَابِغُ لَكِنْ بَانَ بَيْنَهُمَا   عِرْقٌ يَهِيجُ بِهِ دَمٌ إِذَا حَرِدَا
أَقْنَى وَ يَحْسِبُهُ مَنْ لَا تَأَمَّلَ عِنْدَهُ أَشَمَّ وَ سِرُّ اللهِ فِيهِ بَدَا
وَ إِنَّهُ سَائِلُ الْخَدَّيْنِ لَيْسَ بِوَجْنَتَيْهِ يُلْفَى ارْتِفَاعٌ فَاسْأَلِ الشُّهَدَا
وَ أَنَّهُ كَثٌّ لِحْيَةٍ ضَلِيعَ فَمٍ   مُفَلَّجٍ أَشْنَبِ يُنَوِّرُ الْخَلَدَا
دَقِيقُ مَسْرُبَةٍ وَ الْعُنُقُ مِنْهُ كَجِيدِ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ فِضَّةٍ شُهِدَا
وَ ذَاتُهُ فِي اعْتِدَالِ خِلْقَةٍ كَمُلَتْ   مَعَ التَّنَاسُبِ فِي الْأَعْضَاءِ مُنْذُ بَدَا
سَوَاء البَطْنِ وَ الصَّدْرِ العَرِيضُ يُرَى   بَعِيدَ مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ مُطَّرِدَا
ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ قَدْ شُدَّتْ مَفَاصِلُهُ   جَلِيلُ كُلِّ المشَاشِ قَدْ جَلَا كتَدَا
مَوْصُولُ مَا بَيْنَ لَبَّةٍ وَ سُرَّتِهِ   بِشَعَرٍ قَدْ جَرَى كَالْخَطِّ مُنْجَرِدَا
وَ كَانَ أَشْعَرَ مَنْكِبَيْهِ بَلْ وَأَعَا   لِي صَدْرِهِ وَ ذِرَاعَيْهِ لَدَى الشُّهَدَا
وَ مَا تَجَرَّدَ مِنْ أَعْضَائِهِ فَيُرَى   عَلَيْهِ مِنْ سَاطِعِ الأَنْوَارِ مَا اتَّقَدَا
طَوِيلُ زَنْدَيْنِ رَحْب رَاحَةٍ شَرُفَتْ   كَفَاهُ مَعْ قَدَمَيْهِ تُرْهِبَانِ عِدَا
وَ كَانَ سَائِلَ أَطْرَافٍ وَ سَائِرُهَا   فِي حُسْنِ تَقْوِيمِهَا يُطَابِقُ الْجَسَدَا
وَ كَانَ خُمْصَانَ أَخْمَصَيْنِ قَدْ وَطِئَا   مَا فَوْقَ نَجْمِ الثُّرَيَّا عِنْدَمَا صَعِدَا
يَنْبُو عَلَى قَدَمَيْهِ الْمَاءُ إِذْ مسحا   يَا لَيْتَ خَدِّي مَعَ نَعْلَيْهِمَا اتَّحَدَا
كَأَنَّهُ إِنْ مَشَى يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ   هَوْنًا بِلَا سُرْعَةٍ فِيمَا لَهُ قَصَدَا
إِنْ زَالَ زَالَ تَقَلُّعًا بِلَا مَرَحٍ   يَغْدُو وَ يَخْطُو تَكَفُّؤًا كَمَا وَرَدَا
إِنْ يَلْتَفِتْ يَلْتَفِتْ قَطْعًا بِأَجْمَعِهِ   مَعْ خَفْضِهِ الطَّرْفَ حَيْثُ سَارَ أَوْ قَعَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ مُكْثِرًا إِلَى السَّمَا نَظَرًا   بَلْ كَانَ يُكْثِرُهُ لِلْأَرْضِ مُتَّئِدَا
وَ جُلُّ مَنْظَرِهِ كَانَتْ مُلَاحَظَةً   بِمَا لَهُ مِنْ حَيَاءٍ فِيهِ قَدْ شُهِدَا
يَسُوقُ أَصْحَابَهُ أَمَامَهُ وَ أَرَى   تَقْدِيمَهُ لَهُمُ فِيهِ كَمَالُ هُدَى
وَ ذَاكَ مِنْ حُسْنِ تَنْوِيهِ بِجَانِبِهِمْ   فِي الْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي دَفْعِ كُلِّ رَدَى

وَ طَيُّ ذَلِكَ أَسْرَارٌ عَلَتْ وَ غَلَتْ   وَ هَكَذَا كُلُّ مَا مِنَ الرَّسُولِ بَدَا
وَ كَانَ يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ لَاقِيَهُ   وَ النَّاسُ خَيْرُهُمُ مَنْ بِالسَّلَامِ بَدَا
وَ كَانَ دَائِمَ فِكْرَةٍ وَ لَيْسَ لَهُ   مِنْ رَاحَةٍ لِاهْتِمَامِهِ بِمَا وَجَدَا
وَ قَدْ تَوَاصَلَتِ الأَحْزَانُ مِنْهُ لَهُ   وَ ذَاكَ مِنْ خَشْيَةِ المَوْلَى الَّذِي عَبَدَا
مَا كَانَ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ تَكَلُّمُهُ   وَ كَانَ عَنْ مَعْرِضِ الأَغْرَاضِ مُبْتَعِدَا
فِي نُطْقِهِ انْتُظِمَتْ جَوَامِعُ الكَلِمِ الَّتِي غَلَتْ قِيمَةً وَ مِثْلُهَا فُقِدَا
وَلَا فُضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ نِيطَ بِهِ   بَدْءاً وَ خَتْماً وحشواً بِالمُنَى حُشِدَا
مَا كَانَ جَافِي طَبْعٍ فِي صَحَابَتِهِ   وَلَا المُهِينَ وَ لَمْ يَكُنْ يَهِنْ أَحَدَا
يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ الَّتِي تَدِقُّ وَلَا   يَذُمُّ شَيْئاً سِوَى مَا ذَمَّهُ قَصَدَا
وَلَا يَذُمُّ ذَوَاقاً فِي مَحَافِلِهِ   وَ لَيْسَ يَمْدَحُهُ لِمْ لَا وَ قَدْ زَهِدَا
وَإِنْ تَعَرَّضَ لِلحَقِّ المُبِينِ بِشَيْ   ءٍ قَامَ مُنْتَصِراً لَهُ وَ قَدْ حَرِدَا
وَ لَمْ يَزَلْ فِي الجَلَالِ وَ هْوَ فِي غَضَبٍ   حَتَّى يُتِمَّ انْتِصَارَهُ لَهُ أَبَدَا
مَا قَامَ مُنْتَصِراً لِنَفْسِهِ بِهَوَى   وَ لَمْ يَقُمْ غَضِباً لَهَا كَمَا وَرَدَا
وَ إِنْ أَشَارَ يُشِرْ بِالكَفِّ أَجْمَعِهِ   وَلَا يُشِيرُ بِأَصْبُعٍ لِمَا قَصَدَا
وَ إِنْ تَعَجَّبَ يقلبهَا وَ ذَلِكَ مِنْ   تَسْلِيمِهِ لِلأُمُورِ وِفْقَ مَا اعْتَقَدَا
بِبَطْنِ إِبْهَامِهِ اليُمْنَى بِرَاحَتِهِ اليُسْرَى يُنَبِّهُ فِي التَّحْدِيثِ إِنْ قَعَدَا
يَعْفُو وَيَصْفَحُ إِنْ يَغْضِبْ عَلَى أَحَدٍ   وَ حِينَ يفرح غَضَّ الطَّرْفَ مُتَّئِدَا
وَ إِنَّ غَالِبَ ضَحْكِهِ التَّبَسُّمُ إِنْ   يَضْحَكْ وَ قَدْ قَلَّ مِنْهُ الضَحْكُ مُنْذُ بَدَا
يَفْتَرُّ عَنْ مَبْسَمٍ أَنْوَارُهُ لَمَعَتْ   مُنَظَّمٌ دُرُّهُ وَ يُشْبِهُ البَرَدَا
قَالَ الرِّضَى الحَسَنُ الَّذِي رَوَاهُ لَقَدْ   كَتَمْتُ ذَا عَنْ أَخِي الحُسَيْنِ محتشدَا
لَكِنْ وَجَدْتُ لَدَيْهِ عَنْ أَبِي خَبَراً   لَمْ يُبْقِ شَيْئاً مِنَ الوَصْفِ الَّذِي سُرِدَا
فَقَالَ لِي بَعْدَمَا حَدَّثْتُهُ خَبَرِي   مُحَدِّثاً عَنْ عَلِيٍّ مَا عَلَا سَنَدَا
قَدْ جَزَّأَ المُصْطَفَى دُخُولَ مَنْزِلِهِ   عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ حَوَتْ سَدَدَا
لِلَّهِ جُزْءٌ بِهِ أَقَامَ طَاعَتَهُ   وَ بَعْدَهُ جُزْءُ أَهْلِهِ بِمَا وجدَا
وَ بَعْدَهُ جُزْءُ نَفْسِهِ فَجَزَّأَهُ   مِنْ بَيْنِ أُمَّتِهِ وَ بَيْنَهُ عَدَدَا
لَمْ يَدَّخِرْ عَنْهُمُ شَيْئاً وَ أَحْسَنَ إِيثَار الَّذِي الفَضْلُ فِي الدِّينِ الَّذِي اعتمدَا

وَ كَانَ مُشْتَغِلاً بِخَاصَّةٍ وَ بِعَامَّةٍ بِقَدْرِ احْتِيَاجٍ كُلِّهِمْ لِهُدَى
يَقْضِي لِكُلٍّ بِمَا فِيهِ مَصَالِحُهُمْ   دُنْيَا وَ دِيناً وَ إِصْلاح لِمَا فَسَدَا
يَقُولُ لِلصَّحْبِ بَلِّغُوا لِغَائِبِكُمْ   عَنِّي الَّذِي تَشْهَدُونَ إِنَّكُمْ شُهَدَا
وَ أَبْلِغُونِيَ حَاجَاتِ الضَّعِيفِ وَ مَنْ   لاَ يَسْتَطِيعُ الْبُلُوغَ لِي كَمَا وَرَدَا
فَكَانَ دَأْبُهُمُ لَدَيْهِ سَعْيُهُمُ   فِي نَفْعِ مَنْ بَيْنَهُمْ لِلْخَيْرِ مَدَّ يَدَا
ويحملونَ الضَّعِيفَ قَدْرَ طَاقَتِهِمْ   وَ وَسْعِهِمْ وَ بِهِمْ يَنَالُ مَا قَصَدَا
وَ لَيْسَ يُذْكَرُ غَيْرُ ذَا لَدَيْهِ وَ لَمْ   يَقْبَلْ سِوَى مِثْلَ هَذَا قَامَ أَوْ قَعَدَا
لَمْ يَفْتَرِقْ جَمْعُهُمْ عَنْ غَيْرِ خير ذَوَاقٍ   أَوْ دَوَاءٍ بِهِ شِفَاءٌ مفصل دَا
فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ رَائِدِينَ مُنَى   فَيَخْرُجُونَ وَ مِنْهُ أَحْرَزُوا الرَّشَدَا
وَ كَانَ بَعْدَ الخُرُوجِ ملجماً فَمَهُ   فِي قَوْمِهِ وَ لَهُمْ يُسْدِي جَمِيلَ جَدَا
يَعْنِيهِمُ بِالَّذِي يُغْنِيهِمُ وَ لَهُمْ   مُؤَلِّفاً لِلْقُلُوبِ بِالْوِفَاقِ غَدَا
وَلاَ يُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ وَ يُكْرِمُهُمْ   سِرّاً وَ جَهْراً وَ لَمْ يَزَلْ لَهُمْ عَضُدَا
وَ مِنْ سِيَاسَتِهِ تَوْلِيَةُ الكُرَمَا   فِي قَوْمِهِمْ وَ بِهِمْ يَزِيدُهُمْ مَدَدَا
وَ يَحْذَرُ النَّاسَ فِي سِرٍّ وَ فِي عَلَنٍ   وَ عَنْهُمُ لَيْسَ يَطْوِي بِشْرَهُ أَبَدَا
وَ يَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا حَلَّ بَيْنَهُمُ   كَيْمَا يَحُوطَ الجَمِيعَ مِنْ بَلاَ وَرَدَا
يُحَسِّنُ الحَسَنَ الَّذِي يَرَاهُ وَ لَمْ   يَزَلْ يُقَبِّحُ مَا تَقْبِيحُهُ وَرَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ مُتَفَقِّداً لِحَالَةِ صَحْبِهِ وَ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَابَ مِنْ شُهَدَا
وَ أَمْرُهُ مَعَهُمْ قَدْ كَانَ مُعْتَدِلاً   بِلاَ اخْتِلاَفٍ لَهُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
لِكُلِّ حَالٍ عَتَادٌ عِنْدَهُ عُرِفَتْ   طَرِيقُهُ فِيهِ رَغْماً لِلَّذِي عَنَدَا
فَلاَ يُقَصِّرُ عَنْ حَقٍّ يُهَانُ بِهِ   حَتَّى يُؤَدَّى بِتَحْقِيقٍ بِخَيْرِ أَدَا
وَلاَ يُجَاوِزُهُ لِمَنْ يَقُومُ بِهِ   سِوَاهُ بَلْ هُوَ فِيهِ قَامَ مُجْتَهِدَا
فِي النَّاسِ غَيْرَ الخِيَارِ لاَ يُقَارِبُهُمْ   وَلاَ يُقَرِّبُهُمْ لِمَجْلِسِ السُّعَدَا
خِيَارُهُمْ مَنْ يَلُونَهُ وَ أَفْضَلُهُمْ   أَعَمُّهُمْ لَهُمُ نَصِيحَةً بِهُدَى
وَ عِنْدَهُ أَعْظَمُ الأَصْحَابِ مَنْزِلَةً   أَحْسَنُهُمْ نَجْدَةً لَدَى النِّدَا وَ نَدَا
مَا كَانَ يَجْلِسُ أَوْ يَقُومُ عِنْدَهُمُ   إِلاَّ عَلَى خَيْرِ ذِكْرٍ زَادَهُمْ رَشَدَا

و لا يُوَطِّنُ مَجْلِساً يَخُصُّ بِهِ   بَلْ إِنَّهُ حَيْثُمَا بِهِ انْتَهَى قَعَدَا
بَلْ كَانَ يَنْهَى عَنِ الإِيطَانِ بَيْنَهُمُ   لِلذِّكْرِ أَوْ نَحْوِهِ فِي مَسْجِدٍ قصدَا
يُعْطِي الجَلِيسَ نَصِيبَهُ وَ يَمْنَحُهُ   مَا فِيهِ يَحْسِبُ أَنَّهُ بِهِ انْفَرَدَا
يُصَابِرُ الشَّخْصَ فِيمَا فِيهِ جَالَسَهُ   أَوْ فِيهِ قَاوَمَهُ وَ لَمْ يَدَعْهُ سُدَى
لَمْ يَنْصَرِفْ عَنْهُ قَبْلَ نَيْلِ مَقْصَدِهِ   مِنْهُ وَ لَوْ طَالَ وَ هُوَ يُظْهِرُ الجَلَدَا
وَ لَا يَرُدُّ الَّذِي قَدْ جَاءَ يَسْأَلُهُ   إِلَّا بِمَا رَامَ مِنْهُ أَوْ بِوَعْدٍ جَدَا
يلينُ فِي قَوْلِهِ لَهُ لِيَقْبَلَ مِنْهُ وَعْدَهُ وَ لَهُ يُوفِي بِمَا وَعَدَا
قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ فَصَارَ لَهُمْ   أَباً وَ صَارُوا لَهُ فِيمَا يَرَى عَضُدَا
فَهُمْ سَوَاءٌ لَدَيْهِ فِي حُقُوقِهِمُ   وَ الحَقُّ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَا جُحِدَا
مَا فِيهِ تُوْبَنُ حُرْمَةٌ بَلِ احْتُرِمَتْ   فِيهِ المَحَارِمُ مُذْ سَنَاهُ فِيهِ بَدَا
فَلَا تُذَاعُ وَ لَا تُنْثَى بِهِ فَلَتَا   تُ مَنْ بِهِ حَلَّ حَيْثُ كُلُّهُمُ رَشَدَا
وَ هُمْ بِتَقْوَاهُمُ مِنْ رَحْمَةٍ يَتَعَا   طَفُونَ مُتَّضِعِينَ فِي سَبِيلِ هُدَى
يُوَقِّرُونَ كَبِيرَهُمْ وَ يَرْحَمُ كُلُّهُمْ صَغِيرَهُمُ لِيُحْرِزَ الرَّشَدَا
وَ يَرْحَمُونَ الغَرِيبَ بَيْنَهُمْ وَ جَمِيعَ مَنْ لَهُ حَاجَةٌ لَدَيْهِمُ رُفِدَا
وَ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ دَائِمَ بِشْرٍ سَهْلَ خُلْقٍ أَرَاحَ الرُّوحَ وَ الجَسَدَا
وَ كَانَ لَيِّنَ جَانِبٍ وَ لَيْسَ لِمَنْ   يَرُومُ خَيْراً لَدَيْهِ مَانِعٌ أَبَدَا
وَ لَيْسَ بِالفَظِّ لَا وَ لَا الغَلِيظِ وَ لَا السَّخَابِ فِي السُّوقِ لَا وَ لَمْ يُرِدْ لَدَدَا
مَا كَانَ يَوْماً بِعَيَّابٍ عَلَى أَحَدٍ   إِلَّا الَّذِي كَانَ عِنْدَ الحَقِّ مُنْتَقَدَا
مَا كَانَ فِي النَّاسِ بِالمَزَّاحِ بَيْنَهُمُ   وَ رُبَّ قَرْحٍ بِهِ عَنْهُمْ نَفَى الكَمَدَا
مَا كَانَ فِي النَّاسِ بِالمَدَّاحِ مُتَّصِفاً   وَ رُبَّ مَدْحٍ بِهِ الإِلَهُ قَدْ حَمِدَا
مَا كَانَ فِي النَّاسِ بِالفَحَّاشِ كَيْفَ وَ قَدْ   تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ وَ بِالعُلَا انْفَرَدَا
وَفِي مَشَاهِدِهِ يُبْدِي تَغَافُلَهُ   مَا لَمْ يَكُنْ شَاهَدَ المَكْرُوهَ أَوْ شَهِدَا
فَلَيْسَ يَغْفَلُ عَنْهُ بَلْ يُغَيِّرُهُ   بِغَيْرَةٍ مِثْلُهَا فِي الغَيْرِ لَنْ تَجِدَا
وَ لَيْسَ يُؤيِسُ مِنْهُ فِي المُلِمِّ إِذَا   مَا اليَأْسُ مِنْ خَيْرِ غَيْرِهِ قَدِ اطَّرَدَا
مِنْ نَفْسِهِ تَرَكَ الرَّجَاءَ فِي عَمَلٍ   مَعْ تَرْكِ مَا لَيْسَ يَعْنِيهِ كَمَا اعْتَقَدَا
مَعْ تَرْكِهِ طَلَبَ الإِكْثَارِ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَ مَا آلَ لِلدُّنْيَا كَمَا وَرَدَا

وَ فِي ثَلاَثٍ أَرَاحَ النَّاسَ مِنْ تَعَبٍ   و تركها مِنْهُ يُرْضِي الخَلْقَ وَ الأَحَدَا
مَا ذَمَّ فِي الخَلْقِ مَخْلُوقاً وَ لاَ طَلَبَ الـ   ـعَوْرَاتِ مِنْ أَحَدٍ وَ لَمْ يعِبْ أَحَدَا
إِذَا تَكَلَّمَ لَمْ ينطقْ بِمَا سفه   وَ لَمْ يَخُضْ فِي سِوَى المُثَابِ عَنْهُ غَدَا
وَ عِنْدَهُ يطرقُ الجُلاَّسُ أَرْؤُسَهُمْ   لِقَوْلِهِ حَيْثُ كَانَ يبهرُ الأَسَدَا
كَأَنَّمَا الطَّيرُ فَوْقَ هَامِهِمْ نَزَلَتْ   وَ ذَاكَ مِنْ أَدَبٍ مِنْهُمْ لَهُ عهدَا
لَمْ ينطقُوا حَالَ نُطْقِهِ وَإِنْ أَحَدٌ   مِنْهُمْ تَكَلَّمَ أَنْصَتُوا وَهُمْ شُهَدَا
هُمُ الصَّحَابَةُ أَهْلُ الفَضْلِ لاَ يَتَنَا   زَعُونَ مِنْهُمْ حديثاً عِنْدَهُ أَبَدَا
حَدِيثُهُمْ كُلُّهُمْ حَدِيثُ أَوَّلِهِمْ   حَتَّى يتمَّ حَدِيثَهُ الَّذِي قَصَدَا
لاَ يَسْأَمُونَ وَ لَوْ أَطَالَ فِيهِ وَ هُمْ   يَسْتَحْسِنُونَ جَمِيعَ مَا لَهُمْ نقدَا
وَ يَضْحَكُ المُصْطَفَى فِيهِمْ لِمَا ضَحِكُوا   مِنْهُ وَ يعجبُ مِمَّا يعجبُ الشُّهَدَا
مَا كَانَ يقطعُ حَبْلَ النُّطْقَ مِنْ أَحَدٍ   حَتَّى يكلمه فِي صحبهِ الرُّشَدَا
وَ كَانَ يَحْمِلُ غِلْظَةَ الغَرِيبِ لَهُ   فِي النُّطْقِ مَعْ جفْوَةٍ تَسْتَوْجِبُ الطَّرَدَا
يَقُولُ إِنْ أَنْتُمُ رَأَيْتُمُ طَلَباً   مِنْ طَالِبٍ ارفدُوهُ تحرزُوا الرَّشَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ يقبلُ الثَّنَاءَ مِنْ أَحَدٍ   غير المُكَافِيءِ وِفْقَ مَا قَد اعْتقدَا
سُكُوتُهُ كَانَ بَيْنَهُمْ لِأَرْبَعَةٍ   وَ كُلُّهَا مِنْ جَمِيلِ الوَصْفِ مِنْهُ بَدَا
وَ هْيَ السُّكُوتُ عَلَى حلم فَكَانَ لَهُ   صبر و في الصبر حلمه قد احتشدَا
مَا كَانَ يُغْضِبُهُ مَا يُسْتَفَزُّ بِهِ   وَ لاَ تَرَاهُ لِغَيْرِ الحَقِّ قَدْ حرِدَا
وَ كَانَ فِي النَّاسِ دائماً عَلَى حَذَرٍ   ليقْتَدِي المقتَدِي بِمَا بِهِ وَرَدَا
فَأَخْذُهُ بِالجَمِيلِ كَانَ شِيمَتُهُ   وَ تَرْكُهُ للقَبِيحِ مِنْهُ قَدْ عُهِدَا
فِي رَأيه في نَجَاحِ سَعْيِ أُمَّتِهِ   بِمَا لَهُمْ مصلح قَدْ كَانَ مُجْتَهِدَا
وَ فِي النُّهُوضِ بِهِمْ فِي أَمْرِ آخِرَةٍ   وَ أَمْرِ دُنْيَاهُمُ لَهُمْ غَدَا عَضُدَا
وَ كَانَ تقديرُهُ فِي الإستمَاعِ عَلَى   حَدِّ السَّوَاءِ لكُلِّ النَّاسِ مُتَّئِدَا
مُلاَحِظاً لَهُمُ بِأَحْسَنِ النَّظَرِ الَّـ   ـذِي بِهِ نَفْعُهُمْ مِنْهُ قَد اتَّحَدَا
وَ فِي تَفَكُّرِهِ لِمَا يصوِّرُهُ   فِي أَمْرِهِمْ أَمْرُهُ قَدْ طَاوَلَ الأَبَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي أَتَمَّ نِعْمَتَهُ   عَلَيْهِ حَتَّى غَدَا بالفضلِ مُنْفَرِدَا
و آلِهِ الطيبينَ مَعْ صَحَابَتِهِ   وَ مَنْ بِهَدْيهِمُ قَد اهْتَدَى وَ هَدَى

فصل

في تفسير غريب حديث الحسنين المضمن في الفصل قبله و شرح مشكله

شَرْحُ الصُّدُورِ بِمَدْحِ المُصْطَفَى شَهِدَا   وَ النَّاسُ طرّاً عَلَى مَا قُلْتُهُ شُهَدَا
وَ كَمْ نَفَائِسَ ضَمَّنْتُهَا مَحَاسِنُهُ   تَحْيَا بِهَا الأَنْفُسُ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
وَ كَمْ مَدَائِحَ فِيهِ كُلُّهَا غُرَرٌ   قَدْ نَوَّرَتْ خَلَداً وَأذْهَبَتْ كَمَدَا
لَوْ كَانَ سَاعَدَنِي نُطْقِي نَسَجْتُ لَهُ   مِنْوَالَهَا لِأُرَى مِن جُمْلَةِ السُّعَدَا
مَنْ لِي بِكُلِّ المَعَانِي فِيهِ أُفْرِغُهَا   بِسَبْكِ مَدْحٍ بِهِ أَنَالُ مِنْهُ يَدَا
وَ حَيْثُ فَاتَنِيَ المَعْنَى البَدِيعُ فَهَا   أَنَا سَأَشْرَحُ أَلْفَاظاً بِهَا وَرَدَا
وَ كَمْ أَحَادِيثَ جَاءَتْ فِي شَمَائِلِهِ   تَضَمَّنَتْ بَعْضَ أَلْفَاظٍ عَلَتْ سَنَدَا
يَحْتَاجُ سَامِعُهَا لِمَنْ يُفَسِّرُهَا   لَهُ لِيَعْرِفَ مَعْنَاهَا الَّذِي قُصِدَا
مِثْلُ المُشَذَّبِ فِي قَوْلِ المُحَدِّثِ فَهْوَ بَائِنُ الطُّولِ فِي نَحَافَةٍ وُجِدَا
وَ المُصْطَفَى لَمْ يَكُنْ مُشَذَّباً وَ إِذَا   مَاشَى الطِّوَالَ يَطُولُهُمْ كَمَا وَرَدَا
وَ عِنْدَهُ شَعَرٌ فِي ذَاتِهِ رَجِلٌ   وَ هْوَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ سَبْطاً ولا جَعَدَا
كَأَنَّهُ مُشِطَتْ أَغْصَانُهُ فَتَكَسَّرَتْ قَلِيلاً وَ لَمْ يَدَعْهُ مُلْتَبِدَا
لَهُ العَقِيقَةُ وَ هْيَ كَالضَّفِيرَةِ مَا   بِالرَّأْسِ مِنْ شَعَرٍ مُوَفَّراً شُهِدَا
مَا كَانَ لِلأُذْنِ مِنْهُ وَفْرَةٌ و لما   لمنكب جمة لَدَيْهِمُ عُهِدَا
وَ مَا يرى بَيْنَ ذَيْنِ لمة وَرَسُو   لُ اللهِ فِي أَخْذِهِ مِنْ ذَا وَ ذَا اجْتَهَدَا
مَا كَانَ يَحْلِقُهَا بَلْ كَانَ يَتْرُكُهَا   وَ رُبَّمَا قَصَّ مِنْهَا فِي سَبِيلِ هُدَى
وَ كَانَ يَسْدُلُهَا وَ كَانَ يفرِقُهَا   وَ كَانَ يَدْهُنُهَا وَ كُلُّ ذَا وَرَدَا
وَ كَانَ كَثّاً كَثِيفَ لِحْيَةٍ عَظُمَتْ   مِنْ غَيْرِ طُولٍ كَمَا قَدْ شَاهَدَ الشُّهَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ بِمُكَلْثَمٍ لَهُ ذَقَنٌ   يُرَى قَصِيراً نَعَمْ فِي الإِعْتِدَالِ بَدَا
وَ كَانَ حَاجِبُهُ أَزَجَّ ذَا شَعَرٍ   مُقَوَّسٍ وَافِرٍ وَ الطُّولُ فِيهِ غَدَا
لَمْ تَتَّصِلْ حَاجِبَاهُ لَا وَ لَا قُرِنَا   بَلْ كَانَ أَبْلَجَ عِنْدَ مَنْ لَهُ شَهِدَا
بَلْ كَانَ مُعْتَدِلَ الوَصْفَيْنِ لَا قَرَنٌ   فِيهِ وَ لَا بَلَجٌ وَ فِيهِ مَا اتَّحَدَا

وَصْلُهُمَا قَرَنٌ فَصْلُهُمَا بَلَجٌ   وَ الإِعْتِدَالُ أَصَحُّ مَا بِهِ شهِدَا
وَ كَانَ أَهْدَبَ أَشْفَارٍ لَهَا شَعَرٌ   فِي ظِلِّهَا نُورُ وَرْدٍ خَدُّهُ اتَّقَدَا
وَ كَانَ أَزْهَرَ لَوْنٍ وَ هْوَ نَيِّرُهُ   يَزِيدُهُ اللَّوْنُ حُسْناً قَامَ أَوْ رَقَدَا
مَا هُوَ بِالنَّاصِعِ البَيَاضِ أَمْهَقَ لَا   وَلَا بِآدَمِ لَوْنٍ أَسْمَرٍ وُجِدَا
بَلْ كَانَ أَبْيَضَ مشربـاً بِحُمْرَتِهِ   يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِمَّنْ وَجْهَهُ شَهِدَا
وَ كَانَ أَقْنَى جَمِيلَ الأَنْفِ مُرْتَفِعاً   وَسَطُهُ بِاعْتِدَالٍ فِيهِ قَدْ صَعِدَا
وَ هْوَ الأَشَمُّ الَّذِي بِأَنْفِهِ شَمَمٌ   قَصَبَةُ الأَنْفِ فِيهِ طُولُهَا حُمِدَا
وَ كَانَ أَدْعَجَ بِاسْوِدَادِ حَدْقَتِهِ   بَيَاضُهَا بِاحْمِرَارٍ شَكْلُهَا عُهِدَا
وَ كَانَ أَسْجَرَ عَيْنٍ وَ هْوَ أَشْكَلُهَا   وَ الشَّكْلُ فِي العَيْنِ مِمَّا حُسْنُهُ شُهِدَا
لَهُ فَمٌ وَاسِعٌ وَ هْوَ الضَّلِيعُ وَ لَمْ   يَكُنْ ذَلِيعَ لِسَانٍ بِالبَذَا أَبَدَا
وَ كَانَ أَشْنَبَ ثَغْرٍ تَمَّ رَوْنَقُهُ   أَسْنَانُهُ بَرَدٌ وَ مَاؤُهَا بَرَدَا
وَ فِي ثَنَايَاهُ فَرْقٌ تَمَّ مِنْ فلجٍ   بِهِ تَلَألَأَ نُورٌ لِلعُيُونِ بَدَا
دَقِيقُ مَسْرُبَةٍ فِي صَدْرِهِ شَعَرٌ   لِلسُّرَّةِ امْتَدَّ مِثْلَ الخَيْطِ مُنْجَرِدَا
وَ لَمْ يَكُنْ بِمُطَهَّمٍ بِمُنْتَفِخٍ   وَجْهاً بِلَحْمٍ وَ لَحْمُ ذَاتِهِ انْعَقَدَا
يَمْشِي الهُوَيْنَا ذَرِيعَ الخَطْوِ وَاسعه   فِي مشيه فِي وَقَارٍ كَيْفَمَا خفدَا
كَأَنَّهُ إِنْ غَدَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ   فِي مَشْيِهِ قَاصِداً لسمتِ مَا قَصَدَا
وَ كَانَ بَادِنَ جِسْمٍ لَحْمُهُ مُتَمَا   سِكٌ وَ فِيهِ اعْتِدَالٌ عَادَلَ الجَسَدَا
ضَخْمَ الكَرَادِيسِ وَ هْيَ فِي العِظَامِ رُؤُو   سُهَا نَعَمْ تَشْمَلُ المُشَاشَ وَ الكَتَدَا
أَوْ مَجْمَعَ الكَتِفَيْنِ وَحَدَّهُ كَتَدٌ   أَوْ بِالمَنَاكِبِ تَخْصِيصُ المُشَاشِ غَدَا
وَ كَانَ سَائِلَ أَطْرَافٍ طَوِيلَ أَصَا   بِعٍ بِأَحْسَنِ تَقْوِيمٍ يزينُ يَدَا
وَ كَانَ شَثْنَ اليَدَيْنِ أَيْ لَحِيمَهُمَا   كَالشَّثْنِ فِي القَدَمَيْنِ وِفْقَ مَا شُهِدَا
وَ كَانَ مُنْتَصِفاً بِرَحْبِ رَاحَتِهِ   أَيْ وَاسِعَ الكَفِّ تَحْقِيقاً يَداً و نَدَا
عَنْ مَسِّ أَرْضٍ تَجَافَى أَخْمَصَاهُ فَقِيلَ خمصان أَخْمَصُ كَمَا وَرَدَا
لِلَّهِ مِنْ قَدَمٍ قَدْ زَانَهَا عقبٌ   منهوسةٌ قَلَّ لَحْمُهَا لَدَى الشُّهَدَا
وَ الأَخْمَصُ الوَسَطُ الَّذِي حَوَى قدم   وَ لَمْ يَنَلْهُ مَسِيسُ الأَرْضِ مُذْ صَعِدَا
وَ كَانَ أَفْصَحَ خَلْقِ اللهِ مَنْطِقُهُ   أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ عِنْدَ مَنْ لَهُ شَهِدَا

قَدْ أَسْمَعَتْ كَلِمَاتُهُ الأَصَمَّ وَ حَلَّتْ فِي صَمِيمِ الَّذِينَ أَصْبَحُوا سُعَدَا
يفْضِي إِلى القَوْمِ مَا يَعِيهِ خَاصَّتُهُمْ   وَ هُمْ بِتَبْلِيغِهِ لِعَامَّةٍ رُشَدَا
وَ النَّاسُ كُلُّهُمُ رُوَادُ حَضْرَتِهِ   لَمْ يَنْصَرِفْ أَحَدٌ عَنْهُ بِغَيْرِ هُدَى
وَ مَا انْصِرَافُهُمُ عَنْهُ بِغَيْرِ ذَوَا   قٍ أَوْ دَوَاءٍ لَهُمْ أَوْ حِكْمَةٍ وَجَدَا
وَ رُبَّمَا أَكَلُوا وَ رُبَّمَا شَرِبُوا   لَدَيْهِ لَمْ يَنْفَرِدْ عَنْهُمْ بِمَا وُجِدَا
وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَا اسْتَعَدَّ لَهُ   بِمَا لَهُ مِنْ عَتَادٍ فِيهِ مُجْتَهِدَا
لَهُ مُوَازَرَةٌ لِلْمُسْتَعِينِ بِهِ   بِمَا بِهِ عَنْهُ يَنْفِي الكَدَّ وَالكَنَدَا
وَ كَانَ وَاسِعَ صَدْرٍ مَا بِهِ قَعَسٌ   وَلَا انْخِفَاضٌ وَ سِرُّ اللهِ فِيهِ بَدَا
وَ لَمْ تَكُ الفَلَتَاتُ فِي مَجَالِسِهِ   تُنْثَى فَتُذْكَرُ بَيْنَ صَحْبِهِ السُّعَدَا
وَ لَيْسَ تُؤْبَنُ فِيهَا عِنْدَهُ حُرَمٌ   بِحَيْثُ مَا انْتُهِكَتْ فِي صَحْبِهِ أَبَدَا
وَلَا تَرَى أَحَداً فِي القَوْمِ يَذْكُرُهَا   وَدُونَهَا أَكْثَرَتْ أَعْدَاؤُهُ الفَنَدَا
لَوْ عِنْدَهُ ظَفِرَ الأَعْدَا بِبَعْضِ خَطَا   قَامُوا بِإِفْشَائِهِ وَ اسْتَشْهَدُوا الشُّهَدَا
لَا بَارَكَ اللهُ فِي كُلِّ العُدَاةِ فَكَمْ   جَاءُوا بِكُلِّ عِدَا مُنَوَّعاً عَدَداً
لَمْ يَقْنَعُوا بِالتَّشَفِّي لَوْ هُمُ بَلَغُوا   مَدَاهُ بَلْ يَطْلُبُوا خَرْقَ المَدَا لِمَدَى
يَخْفُونَ كُلَّ جَمِيلٍ قَدْ بَدَا لَهُمُ   وَ يُظْهِرُونَ قَبِيحاً مِنْهُمُ حَسَداً
وَ المُصْطَفَى عَنْهُمُ يُغْضِي لَعَلَّهُمُ   أَنْ يَتْبَعُوهُ فَيسلكُوا طَرِيقَ هُدَى
وَ بَعْضُهُمْ بُغْضُهُ اسْتَحَالَ مِنْهُ لَهُ   حُبّاً فَتَمَّ لَهُ الأَمْرُ الَّذِي قَصَدَا
وَ كَانَ لَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ مِنْ أَحَدٍ   إِلَّا إِذَا كَانَ فِي الثَّنَاءِ مُقْتَصِدَا
أَوْ جَاءَهُ شَاكِراً لِنِعْمَةٍ سَبَقَتْ   مِنْهُ لَهُ بِثَنَاءٍ فِيهِ قَدْ حَمِدَا
أَوْ كَانَ مِمَّنْ رَآهُ مُسْلِماً سَبَقَتْ   لَهُ العِنَايَةُ فَارْتَدَى الرِّضَاءَ رِدَا
يُعْطِي الجَزِيلَ جَزَاءً مِنْ جَوَائِزِهِ   لِمَادِحِيهِ وَ مَدَّ لِلْجَمِيعِ يَدَا
جَاءَتْ شَمَائِلُهُ عَلَى وَتِيرَةِ مَا   بِهِ تَمَدَّحَتِ الأَعْرَابُ مُذْ وُجِدَا
قَبْلَ النُّبُوَّةِ بَلْ وَ بَعْدَهَا كَمُلَتْ   وَ أَكْمَلَ اللهُ فِيهِ النَّفْسَ وَ الجَسَدَا
فَكَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ جَامِعَ مَا   فِي الخَلْقِ مِنْ سَائِرِ الفَضْلِ الَّذِي شُهِدَا
وَ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مُتَّصِفاً   فِي بَاطِنٍ بِالَّذِي فِي الغَيْرِ لَنْ تَجِدَا
مِنْ كُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ لَا أفِيهِ ثَنَا   وَ لَوْ أَطَلْتُ ثَنَاءً طَاوَلَ الأَبَدَا

وَ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ وَاسِطَةً   فِي كُلِّ فَضْلٍ وَجُودٍ لِلْوُجُودِ بَدَا
مِنْ كُلِّ مَا خَصَّ أَوْ عَمَّ العُمُومَ مَعَ الـخُصُوصِ سِرّاً وَ جَهْراً دَامَ أَوْ نَفِدَا
وَ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ لَيْسَ لَهُ   فِي المَكْرُمَاتِ شَبِيهٌ إِذْ بِهَا انْفَرَدَا
فَكَانَ عَبْداً بِفَضْلِ اللهِ مُعْتَرِفاً   لَهُ فَأَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدَا
وَ كَانَ عَبْداً شَكُوراً عِنْدَ خَالِقِهِ   وَ الخَلْقُ كُلُّهُمُ وَ هُمْ بِهِ شُهَدَا
عَلَيْهِ أَزْكَى سَلَامٍ تَمَّ مِنْهُ لَهُ   يَعُمُّ الآوَ أَتْبَاعاً بِغَيْرِ مَدَا
عَلَيْهِ أَذْكَى سَلَامٍ عَرْفُهُ عَبِقَ الأَ   كْوَانَ طِيباً بِهِ قَدْ طَابَتِ السُّعَدَا

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار و مشهورها بعظيم قدره عند ربه و منزلته و ما خصه به في الدارين من كرامته صلوات الله و سلامه عليه و على آله و صحبه

لَاشَكَّ أَنَّ الرَّسُولَ خَيْرُ مَنْ وُلِدَا   وَ أَنَّهُ أَكْرَمُ الوَرَى كَمَا وَرَدَا
وَ أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً   وَ مِثْلُهُ بَيْنَهُمْ وَ اللهِ مَا وُجِدَا
وَ أَنَّهُ هُوَ أَعْلَاهُمْ وَ أَقْرَبُهُمْ   زُلْفَى وَ أَكْثَرُهُمْ حُبّاً لِمَنْ عَبَدَا
أَعْطَاهُ مَا لَمْ يَنَلْهُ غَيْرُهُ وَ بِهِ   أَفَاضَ مِنْ خَيْرِهِ مَا طَاوَلَ الأَبَدَا
وَ اعْلَمْ بِأَنَّ الأَحَادِيثَ الَّتِي وَرَدَتْ   بِمَا لَهُ مِنْ كَمَالٍ فَاقَتِ العَدَدَا
وَ نَحْنُ نَنْقُلُ مِنْهَا فِي الثَّنَاءِ عَلَى   عُلَاهُ بَعْضَ مَعَانِي بَعْضِ مَا اعْتُمِدَا
وَ هَاكَ مِنْهَا فُصُولاً كَالبُرُوجِ عَلَتْ   فِي كُلِّ فَصْلٍ كَمَالَاتٌ بِهَا انْفَرَدَا

الفصل الأول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه بالاصطفاء ورفعة الذكر و التفضيل و سيادة ولد آدم و ما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب و بركة اسمه الطيب

الخَلْقُ قِسْمَانِ وَ المُخْتَارُ بَيْنَهُمَا   مِنْ خَيْرِ قِسْمٍ بِهِ الوُجُودُ قَدْ سَعِدَا
فَكَانَ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ اليَمِينِ وَ مِنْ   خَيْرِ الأُلَى سَبَقُوا لِلْخَيْرِ حَيْثُ بَدَا
مِنْ خَيْرِ شَعْبِ الوَرَى كَانَتْ قَبِيلَتُهُ   وَ فِي قَبِيلَتِهِ مِنْ خَيْرِهَا وُلِدَا
فِي خَيْرِ بَيْتِ تَعَالَى اللهُ طَهَّرَهُ   وَ ازْدَادَ خَيْراً وَ فِيهِ خَيْرُهُ اطَّرِدَا
فَكَانَ أَتْقَى الوَرَى حَقّاً وَ أَكْرَمَهُمْ   عَلَى الإِلَهِ وَ لاَ فَخْرَ وَ لاَ فَنَدَا
وَ هْوَ الَّذِي ثَبَتَتْ حَقّاً نُبُوَّتُهُ   وَ آدَمٌ رُوحُهُ تُعَانِقُ الجَسَدَا
وَ قَالَ جِبْرِيلُ مَا وَجَدْتُ أَفْضَلَ مِنْ   مُحَمَّدٍ لاَ وَ لاَ مَثِيلُهُ شُهِدَا
وَ قَالَ لَمَّا أَتَاهُ بِالبُرَاقِ لَقَدْ   سَمَا مَقَامُكَ يَا بُرَاقُ فِي السُّعَدَا
هَذَا مُحَمَّدُ يَا بُرَاقُ كَيْفَ لَهُ اسْتَصْعَبْتَ حَالَ الرُّكُوبِ وَ هْوَ قَدْ حمِدَا
هَذَا مُحَمَّدُ يَا بُرَاقُ فَاسْمُ بِهِ   فَإِنَّهُ خَيْرُ رَاكِبٍ عَلَيْكَ غَدَا
فَارْفَضَّ مِنْ فَرَطِ مَا أَصَابَهُ عَرَقاً   مِنْ هَيْبَةِ المُصْطَفَى وَ فِي العُلاَ صَعِدَا
فِي صُلْبِ آدَمَ حِينَ اللهُ أَهْبَطَهُ   لِلأَرْضِ مِنْ جَنَّةٍ لِلْحَقِّ قَدْ سَجَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ وَ هْوَ فِي الأَخْيَارِ مُنْتَقِلاً   مِن خَيْرِ طَاهِرَةٍ وَ طَاهِرٍ مجدَا
حَتَّى بَدَا لِلْوُجُودِ مِنْ أَجَلِّ أَبٍ   وَ خَيْرِ أُمٍّ بِهِ نَالاَ هُدَى وَ جَدَا
وَ قَدْ أَشَارَ لِمَا ذَكَرْتُ سَيِّدُنَا العَبَّاسُ إِذْ قَالَ فِيهِ حِينَ نَالَ هُدَى
مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ أَصْلاً فِي الظِّلاَلِ وَ فِي   مُسْتَوْدَعٍ نِلْتَ فِيهِ السِّرَّ مُنْفَرِدَا
ثُمَّ هَبَطْتَ البِلاَدَ حَيْثُ لاَ بَشَرٌ   أَنْتَ وَ لاَ مُضْغَةٌ تَكْوِينُهَا شُهِدَا
بَلْ نُطْفَةٌ كُنْتَ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ   أَلْجَمَ نَسْراً وَ أَهْلَهُ بِكُلِّ رَدَى
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ سَامٍ إِلَى رَحِمٍ   إِذَا مَضَى عَالِمٌ حِيناً سِوَاهُ بَدَا
ثُمَّ احْتَوَى بَيْتُكَ الشَّرِيفُ مَنْزِلَةً   دَلَّتْ عَلَى فَضْلِكَ الَّذِي غَدَا سَنَدَا

وَ أَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتْ بِكَ هَذِي الأَرْضُ وَ النُّورُ فِيهَا صَارَ مُتَّقِدَا
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ نَخْتَرِقُ السُّبُلَ الَّتِي بِكَ فِيهَا نُحْرِزُ الرَّشَدَا
وَ اللهُ أَعْطَاهُ فِي حِزْبِ النُّبُوَّةِ سِتّاً مِنْ خِصَالٍ عَلَتْ بِهَا قَد انْفَرَدَا
بِالرُّعْبِ قَدْ صَارَ مَنْصُوراً مَسِيرَةَ شَهْرٍ كُلّ مَنْ فِي العِدَا عَادَاهُ مِنْهُ عَدَا
وَ الأَرْضُ صَارَتْ لَهُ مَعْ أَهْلِ مِلَّتِهِ   حَقّاً طَهُوراً وَ مَسْجِداً كَمَا وَرَدَا
وَ قَدْ أُحِلَّتْ لَهُ كُلُّ الغَنَائِمِ لاَ   يَصِيبُهَا الحَرْقُ مِثْل مَا مَضَى أَبَدَا
وَ اللهُ أَرْسَلَهُ لِلنَّاسِ قَاطِبَةً   سُودٍ وَ حُمْرٍ إِلَى انْقِضَاءِ مَا وُجِدَا
وَ بِالشَّفَاعَةِ خُصَّ فِي العُمُومِ فَلَمْ   تَدَعْ شَفَاعَتُهُ فِي مَحْشَرٍ أَحَدَا
فِيهِمْ يُقَالُ لَهُ سَلْ تُعْطَ فَهْوَ كَمَا   أَقُولُ خَيْر شَفِيعٍ يُذْهِبُ الكَمَدَا
وَ فِي يَدَيْهِ مَفَاتِيحُ الخَزَائِنِ قَدْ   صَارَتْ فَعَمَّ وَخَصَّ العَالَمِينَ نَدَا
عَلَيْهِ أُمَّتُهُ فِي الخَلْقِ قَدْ عُرِضَتْ   فَصَارَ يعرِفُهُمْ وَ زَادَهُمْ مَدَدَا
وَ انَّهُ أُوتِيَ الجَوَامِعَ الكَلِم الَّتِي جَمِيعُ الأَمَانِي ضِمْنهَا حُشِدَا
وَ هُوَ الَّذِي خُتِمَتْ بِهِ النُّبُوَّةُ لاَ   يَأْتِي رَشِيدٌ بِخلْفِ مَا إِلَيْهِ هَدَى
لِأَهْلِ مِلَّتِهِ فِيهِمْ غَدَا فَرَطاً   وَ هُوَ الشَّهِيدُ الَّذِي عَلَيْهِمُ شَهِدَا
مَا خَافَ أَنْ يشرِكُوا لَكِنْ تَخَوَّفَ مِنْ   تَنَافُسٍ هُوَ فِي دُنْيَاهُمُ شَهِدَا
وَ كَانَ يَنْظُرُ حَوْضَهُ وَ يَعْرِفُ مَنْ   فِي النَّاسِ يغرِفُ مِنْهُ السِّرَّ وَ المَدَدَا
وَ الحَوْضُ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَ هُوَ كَوْثَرُهُ   بِهِ قَد اخْتَصَّ بَيْنَ سَائِرِ السُّعَدَا
وَ كَانَ يَعْرِفُ مَنْ بِالنَّارِ كُلِّفَ مَعْ   مَنْ يَحْمِلِ العَرْشَ فِيمَنْ قَدْ خَفِى وَ بَدَا
وَ كُلُّ ذَنْبٍ بِهِ الغَفَّارُ يَغْفِرُهُ   إِذْ كَانَ مَغْفُورَ ذَنْبٍ بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
قُلُوبُ أُمَّتِهِ تُرَى مَصَا حِفُهَا   بِهَا وَ حِفْظُهُمُ مِنْ أَجْلِهِ اطَّرَدَا
وَ فِي الوَرَى خُبِّئَتْ لَهُ شَفَاعَتُهُ   وَ عِنْدَهُ دَعْوَةٌ بِهَا قَد انْفَرَدَا
وَ مَعْهُ أَوَّلُ مَنْ لِجَنَّةٍ دَخَلُوا   سَبْعُونَ أَلْفاً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ هَدَى
مَعْ كُلِّ أَلْفٍ غَدَا نَظِيرُ عَدِّهِمُ   وَلاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ اللهُ أَعْطَاهُ لاَ تَجُوعُ أُمَّتُهُ   وَ لَيْسَ يَأْخُذُهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ أَبَدَا
وَ مَا عَلَى كُلِّهِمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ   وَ لَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْهِمْ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ اللهُ آتَاهُ وَحْياً لاَ نَظِيرَ لَهُ   إِذْ كَانَ مُعْجِزَةً مُدَّتْ لِغَيْرِ مَدَى

وَ هْيَ الكِتَابُ العَزِيزُ مُنْذُ جَاءَ بِهِ   لِلنَّاسِ وَ هْوَ يَزِيدُ جِدَّةً وَجَدَا
فَيُبْهِرُ النَّاسَ مِنْهُ حُسْنُ مَوْقِعِهِ   فِي كُلِّ جِيلٍ بِمَا لَدَيْهِمُ شُهِدَا
وَ المُعْجِزَاتُ وَإِنْ كَانَتْ مُنَوَّعَةً   فَإِنَّهُ فَاقَهَا وَ نُورُهُ اتَّقَدَا
وَ كَانَ يَرْجُو النَّبِيُّ أَنْ يَكُونَ بِهِ   بِالحَقِّ أَكْثَرُ أَتْبَاعٍ لَدَيْهِ غَدَا
وَ عَنْ عَلِي النُّجُبَا سَبْعٌ لِكُلِّ نَبِي   وَ المُصْطَفَى فِيهِمُ المَوْلَى حَبَاهُ يَدَا
أَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ عَشْرَ اسْتَقَامَ بِهِمْ   فِي القَوْمِ مَا اعْوَجَّ حَتَّى قَوَّمَ الأَوَدَا
وَ هُمْ أَبُو بَكْرٍ الأَجَلُّ مَعْ عُمَرٍ   مَعَ العَلِيِّ عَلِي وَ ابْنَيْهِ فِي السُّعَدَا
مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ الأَرْضَى حُذَيْفَةَ وَ المِقْدَادِ مِنْ صَحْبِهِ وَ كُلُّهُمْ شُهَدَا
مَعْ حَمْزَةٍ وَ بِلَالٍ جَعْفَرٍ وَ أَبِي   ذَرٍّ وَ سَلْمَانَ عَمَّارٍ كَمَا وَرَدَا
وَ قَدْ أَتَى فِي حَدِيثِ ذِكْرِ سَيِّدِهِمْ   مَعَ مَصْعَبِ ابْنِ عُمَيْرٍ فِي الصَّحِيحِ بَدَا
لَكِنَّهُ لَمْ يتِمَّ العَدُّ فِيهِ وَ هَلْ   يُعَدُّ فِي النُّجُبَا النَّبِي الَّذِي مَجُدَا
وَ تَمَّمَ العَدَّ غَيْرُهُ بِحَذْفِ عَلِي   وَ مصْعَبٍ مَعَ ذِكْرِهِ النَّبِي السَّنَدَا
وَ ذِكْرُهُ لِأَبِي ذَرٍّ حُذَيْفَةَ وَ المِقْدَادِ مِنْهُمْ وَ قَالَ البَعْضُ عَ العَدَدَا
وَ لِلرَّسُولِ أَحَلَّ اللهُ مَكَّةَ قَدْ   رَ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ أَذْهَبَتْ كَمَدَا
لَهَا مَعَ السَّادَةِ الأَصْحَابِ قَدْ دَخَلُوا   رَغْماً لِقَوْمٍ هُمْ إِذْ قَاوَمُوهُ عَدَا
وَ لَمْ تحلَّ لِغَيْرِ المُصْطَفَى وَ لَهُمْ   مِنْ بَعْدِهِ عِنْدَ مَنْ قَدْ آمَنُوا أَبَدَا
وَ المُصْطَفَى هُوَ عَبْدُ اللهِ خَاتِمُ كُلِّ الأَنْبِيَاءِ بِهِ الوُجُودُ قَدْ سَعِدَا
بِهِ بِشَارَةُ عِيسَى صَحَّ مَوْقِعُهَا   وَ هْوَ الَّذِي فِيهِ إِبْرَاهِيمُ قَدْ وَعَدَا
فِي الأَنْبِيَاءِ وَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ سَمَا   عَلَيْهِمُ فَغَدَا بِالفَضْلِ مُنْفَرِدَا
لِأَنَّهُ هُوَ مَبْعُوثٌ لِسَائِرِهِمْ   وَ سِرُّهُ فِيهِمُ سَارٍ لِغَيْرِ مَدَى
وَ جَاءَ فِيمَا بِهِ المَبْعُوثُ أَخْبَرَنَا   عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ النُّورُ الَّذِي وُجِدَا
رَأَتْهُ آمِنَةٌ حَتَّى أَضَاءَ لَهَا   قُصُورُ بَصْرَى وَ مِنْهَا شَاهَدَتْهُ بَدَا
بِهِ حَلِيمَةُ ذَاتُ السَّعْدِ قَدْ سَعِدَتْ   إِذْ أَرْضَعَتْهُ وَ قَوْمُهَا بِهَا سُعِدَا
فِي حَيِّهَا شُقَّ صَدْرُهُ وَ أُودِعَ مَا   قَدْ عَزَّ إِدْرَاكُهُ مِنْ حِكْمَةٍ وَ هُدَى
وَ جَلَّ مِقْدَارُهُ فَلَا يُوَازِنُهُ   شَيْءٌ لِمَا فِيهِ مِنْ سِرٍّ بِهِ انْفَرَدَا
فَصَارَ يَنْظُرُ أَمْرَهُ مُعَايَنَةً   مِنْ ذَلِكَ الحِينِ وَ هْوَ مُحْرِزٌ رَشَدَا

فَقَرَّ عَيْناً بِمَا مَوْلاَهُ أَكْرَمَهُ   وَ طَابَ نَفْساً مُحَمَّدٌ بِمَا شَهِدَا
وَ قَارَنَ اللهُ بِاسْمِهِ اسْمَهُ فَسَمَا   بَيْنَ الأَسَامِي الَّتِي بِهَا يُجَابُ نِدَا
وَ قَدْ دَعَا ادَمُ الْمَوْلَى بِهِ فَأَجَا   بَ اللهُ دَعْوَتَهُ وَ نَالَ مِنْهُ جَدَا
رَآهُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ يُقَارِنُهُ اسْمُ اللهِ فِي جَنَّةٍ فَاخْتَارَهُ سَنَدَا
فَصَارَ يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ وَبِهِ   مِنْ رَبِّهِ قَدْ تَلَقَّى الخَيْرَ وَ المَدَدَا
لَوْلاَهُ مَا كَانَ ادَمٌ وَلاَ أَحَدٌ   مِنْ سَائِرِ الخَلْقِ مِمَّنْ وَحَّدُوا الأَحَدَا
وَ الخَلْقُ كُلُّهُمُ قَدْ وَحَّدُوهُ إِلَى   أَنْ صَارَتِ الرُّوحُ مِنْهُمْ تَسْكُنُ الجَسَدَا
وَ اسْمُ النَّبِي وَ مُسَمَّاهُ قَد اشْتَمَلاَ   عَلَى كَمَالٍ بِهِ هُمَا قَد اتَّحَدَا
وَ الإِسْمُ مِنْهُ مُحَمَّدٌ كَفَاكَ بِهِ   وَصْفاً لَهُ فِي السَّمَا وَ الأَرْضِ قَدْ حُمِدَا
لِلّهِ سُبْحَانَهُ مَلاَئِكٌ كلفتْ   بِأَنْ تَزُورَ اسْمَهُ الشَّرِيفَ أَيْنَ غَدَا
وَ قَدْ رَأَى لَيْلَةَ الإِسْرَا النَّبِيُّ عَلَى العَرْشِ اسْمَهُ مَعَهُ اسْمَ اللهِ مُتَّحِدَا
بِهِ الشَّهَادَةُ قَدْ تَمَّتْ فَكَانَ مَعاً   بِأَبْدَعِ الخَطِّ مَكْتُوباً بِغَيْرِ مَدَا
وَ قَدْ رَأَى مَعَهُ أَيَّدْتُهُ بِعَلِي   فَانْظُرْ لِفَضْلِ عَلِي فَقَدْ حَبَاهُ يَدَا
وَ النَّاسُ قَدْ نَوَّهُوا بِاسْمِ النَّبِيِّ بِمَا   عَنْهُ غِنىً بِالَّذِي فِي ضِمْنِهِ حُشِدَا
فَقِيلَ قَدْ رِيءَ فِي لَوْحٍ مِنَ الذَّهَبِ المَكْنُوزِ تَحْتَ جِدَارِ غِلْمَةٍ سُعِدَا
فِي ضِمْنِ مَوْعِظَةٍ قَدْ صَانَهَا خَضِرٌ   عَنِ ابْتِذَالٍ بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ فَنَدَا
مِنْهَا عَجِبْتُ لِمَنْ بِالنَّارِ أَيْقَنَ كَيْفَ صَارَ يَضْحَكُ وَ هُوَ فِي الهَوَى قَعَدَا
عَجِبْتُ مِنْ مُوقِنٍ بِالحَقِّ وَ القَدَرِ المَحْتُومِ كَيْفَ يُعَانِي الهَمَّ وَ الكَمَدَا
عَجِبْتُ مِمَّنْ رَأَى الدُّنْيَا وَ مَا فَعَلَتْ   بِأَهْلِهَا كَيْفَ لاَ يَرْضَى بِمَا وَجَدَا
هَلْ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا وَ هْيَ خَادِعَةٌ   لِمَنْ بِهَا اغْتَرَّ وَهْيَ تُحْرِقُ الكَبِدَا
وَرِيَ أَيْضاً عَلَى حِجَارَةٍ كُتِبَتْ   فِيهَا الشَّهَادَةُ مُذْ حِينٍ بِهَا شَهِدَا
وَ فِي بِلاَدِ خُرَاسَانَ عَلَى فَخِذَيْنِ رِيءَ بِالخَطِّ مَكْتُوباً وَ مَا جحدَا
وَرِيءَ فِي الهِنْدِ وَرْدٌ أَحْمَرٌ وَ عَلَى   أَوْرَاقِهِ نَقْشُ هَذَا الإِسْمِ قَدْ وُجِدَا
وَ لَيْسَ ذَا بِعَجِيبٍ حَيْثُ صُورَتُنَا   جَاءَتْ عَلَى صُورَةِ اسْمِهِ لِمَنْ شَهِدَا
فَالمِيمُ لِلرَّأْسِ وَ الحَا لِلْيَدَيْنِ مَعاً   وَ المِيمُ بَطْنٌ وَ لِلرِّجْلَيْنِ صُورَةُ دَا } محمد
وَ جَاءَ عَنْ جَعْفَرٍ غُفْرَانُ ذَنْبِ فَتَى   بِهِ يُسَمَّى كَرَامَةً بِهَا وَعَدَا

وَ جَاءَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ مَا   مِنْ بَيْتِ قَوْمٍ بِهِ إِلَّا غَدَوْا سُعَدَا
فَيُرْزَقُونَ كَرَامَةً لَهُ شَهِدَتْ   مَعْ مَنْ يُجَاوِرُهُمْ فَاجْلِبْ بِهِ المَدَدَا
وَ سَمِّ مَنْ وُلِدُوا بِهِ لَدَيْكَ وَ لَوْ   تَعَدَّدُوا فَهْوَ عَبْدُ اللهِ قَدْ حُمِدَا
مَا ضَرَّ بَيْتاً بِهِ مُحَمَّدَانِ فَصَا   عِداً بِرَغْمِ العِدَا شَيْءٌ كَمَا عُهِدَا
وَ عَنْ عَلِي جَاءَ تَحْذِيرٌ لِمجتمعٍ   فِيهِمْ مُسَمَّى بِهِ لَمْ يَمْنَحُوهُ جَدَا
إِنْ لَمْ يُشَاوِرْهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَحَدٌ   مِنْهُمْ تزلْ بَرَكَاتُهُمْ كَمَا اعْتَقَدَا
وَ بَيْنَ كُلِّ القُلُوبِ اخْتَارَ خَالِقُنَا   قَلْبَ النَّبِيِّ فَكَانَ خَيْرَ مَنْ عَبَدَا
قَد اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَكَانَ لَهُ   عَبْداً نَبِيّاً رَسُولاً سَيِّداً سَنَدَا
وَ اللهُ فَضَّلَهُ عَلَى العِبَادِ كَمَا   تَفْضِيلُ نِسْوَتِهِ عَلَى النِّسَاءِ بَدَا
فَاللهُ سُبْحَانَهُ قَد خَصَّهُنَّ بِمَا   بِهِ بَلَغْنَ الأَمَانَ هَاهُنَا وَ غَدَا
فَاعْرِفْ بِمِقْدَارِهِنَّ وَ الْتَزِمْ أَدَبَا   مَهْمَا ذَكَرْتَ فَقَدْ أَحْرَزْنَ مِنْهُ يَدَا
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِ فَهْوَ قَدْ حَسُنَتْ   فِي الخَلْقِ سِيرَتُهُ وَ قَدْرُهُ مجدَا
مَعَ السَّلَامِ الأَتَمِّ شَامِلاً لِمَوَا   لِيهِ المَوَالِي سَلَاماً طَاوَلَ الأَبَدَا

الفصل الثاني

في تفضيله صلى الله عليه و سلم بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة و الرؤية و إمامة الأنبياء عليهم السلام و العروج به إلى سدرة المنتهى و ما رأى من آيات ربه الكبرى

فَمِنْ خَصَائِصِ خَيْرِ الخَلْقِ فِي السُّعَدَا   إِسْرَاؤُهُ لِمَقَامٍ فِي العُلَى صَعِدَا
نَاهِيكَ مِنْ قِصَّةٍ جَلَّتْ بِمَا اشْتَمَلَتْ   عَلَيْهِ مِنْ رِفْعَةٍ بِهَا قَد انْفَرَدَا
سَرَى إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى مِنَ الحَرَمِ   الأَدْنَى إِلَى المُنْتَهَى فَحَازَ كُلَّ جَدَا
وَ سِدْرَةُ المُنْتَهَى لَهَا انْتَهَى أَمَلُ العُلْوِي وَ هَذَا النَّبِي لَمَّا عَلَا عَمَدَا
لَهَا انْتَهَى عِلْمُ أَمْلَاكٍ سَمَتْ وَ عَلَتْ   وَ عِنْدَهَا يَجِدُونَ أَمْرَ مَنْ عُبِدَا
وَ قَدْ رَأَى الآيَةَ الكُبْرَى الَّتِي كَبُرَتْ   بَيْنَ الأَكَابِرِ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَدَا

وَ قَدْ أَتَى النَّصُّ بِالإِسْرَا فَلَا أَحَدٌ   يَنْفِيهِ غَيْرُ الَّذِي لِلْحَقِّ قَدْ جَحَدَا
وَ إِنَّمَا ٱلْخُلْفُ هَلْ بِالرُّوحِ أُسْرِيَ أَوْ   بِالْجِسْمِ وَ هُوَ الَّذِي نَرَاهُ مُعْتَمَدَا
وَ قِصَّةُ الشَّقِّ كَانَتْ قَبْلَ مَبْعَثِهِ   وَ قَبْلَ هِجْرَتِهِ الإِسْرَاءُ قَدْ وَرَدَا
وَ بَعْضُهُمْ خَلَطُوا فِي ٱلْقِصَّتَيْنِ مَعًا   وَ ٱلْحَقُّ أَنَّهُمَا فِي الثَّابِتِ ٱنْفَرَدَا
فِي يَقْظَةٍ رَكِبَ ٱلْبُرَاقَ ثُمَّ سَرَى   بِهِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ الَّذِي بِهِ سَجَدَا
وَ قَدْ تَنَاوَلَ مِنْ جِبْرِيلَ خَيْرَ إِنَا   ءٍ ثُمَّ سَارَ بِهِ إِلَى ٱلْعُلَى وَ عَدَا
حَتَّى ٱرْتَقَى لِلسَّمَا ٱلْأُولَى بِهِ فَرَأَى   فِيهَا أَبَا ٱلْبَشَرِ الَّذِي حَوَى رَشَدَا
وَ فِي السَّمَا بَعْدَهَا عِيسَى بْنُ مَرْيَم مَعْ   يَحْيَا بِهِ رَحَّبَا وَ سَارَ مُتَّئِدَا
وَ فِي الَّتِي بَعْدَهَا بِيُوسُفَ ٱجْتَمَعَ النَّبِي وَ فِيهِ بِشَطْرِ ٱلْحُسْنِ قَدْ شَهِدَا
وَقَدْ رَأَى فِي السَّمَا ٱلْوُسْطَى بِدُونِ مِرَا   إِدْرِيسَ وَ هُوَ عَلَى عَلْيَاهُ قَدْ صَعِدَا
وَبَعْدَهَا مَعَ هَارُونَ قَدْ ٱجْتَمَعَ النَّبِي وَ قَدْ جَدَّ فِي الصُّعُودِ مُجْتَهِدَا
وَ عِنْدَ سَادِسَةٍ رَأَى النَّبِيُّ أَبَا   عِمْرَانَ مُوسَى الَّذِي لَنَا أَطَالَ يَدَا
وَ حَلَّ سَابِعَةً مِنْ بَعْدِهَا فَرَأَى ٱلْخَلِيلَ فِيهَا عَلَى ٱلْمَعْمُورِ مُسْتَنِدَا
وَ بَعْدَهَا قَدْ عَلَا لِسِدْرَةٍ عَظُمَتْ   وَ عَادَ جِبْرِيلُ وَ هُوَ سَارَ مُنْفَرِدَا
حَتَّى دَنَا لِمَقَامٍ مَا بِهِ أَحَدٌ   وَ قَدْ دَنَا فَتَدَلَّى حَامِلًا لِهُدَى
عَلَيْهِ أَوْجَبَ مَعْ جَمِيعِ أُمَّتِهِ   خَمْسِينَ مِنْ صَلَوَاتٍ تُشْرِقُ ٱلْخَلَدَا
وَ عَادَ مُسْتَبْشِرًا خَيْرُ ٱلْأَنَامِ بِمَا   رَآهُ مِنْ رَبِّهِ وَ قَدْ حَوَى رَشَدَا
حَتَّى أَتَى ٱلْمُصْطَفَى مُوسَى فَأَخْبَرَهُ   فَقَالَ سَلْ رَبَّكَ ٱلتَّخْفِيفَ مقتصدَا
وَ عَادَ خَيْرُ ٱلْوَرَى لِلرَّبِّ يَسْأَلُهُ ٱلتَّخْفِيفَ عَنَّا وَ نَالَ مِنْهُ مَا قَصَدَا
مَا زَالَ يُرْجِعُهُ مُوسَى لِيَسْأَلَ تَخْفِيفًا وَ يَرْجِعُ بِٱلْمَقْصُودِ مُتَّئِدَا
حَتَّى دَعَاهُ ٱلْحَيَا أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى   سُؤَالِهِ وَ بِكُلِّ ٱلْخَيْرِ قَدْ وُعِدَا
فَهُنَّ خَمْسٌ تُعَدُّ كُلُّ وَاحِدَةٍ   بِعَشْرَةٍ وَ هْيَ خَمْسُونَ ٱرْتَقَتْ عَدَدَا
وَ كَانَ إِسْرَاؤُهُ مِنْ قَبْلِ هِجْرَتِهِ   بَعْدَ النُّبُوَّةِ فِي ٱلْقَوْلِ الَّذِي ٱعْتُمِدَا
وَ فِي أَحَادِيثَ قَدْ جَاءَتْ مُخَالِفَةً   فِيهَا أَتَتْ نُكَتٌ لِمَنْ لَهَا ٱنْتَقَدَا
وَ كُلُّهَا لِلثَّنَا عَلَيْهِ مَرْجِعُهَا   وَ فِيهِ كُلُّ مَدِيحٍ دَائِمًا حمدَا

فَهْوَ ٱلْحَبِيبُ ٱلَّذِي الرَّحْمَنُ أَرْسَلَهُ   بَيْنَ ٱلْوَرَى رَحْمَةً تَعُمُّهُمْ بِجَدَا

لِكَافَّةِ النَّاسِ بِالتَّأْيِيدِ أَرْسَلَهُ   مَنْ اهْتَدَى بِهُدَاهُ حَازَ كُلَّ هُدَى
بِهِ سَمَتْ فِي مَرَاقِي الْمَجْدِ أُمَّتُهُ   وَعُدَّ تُبَّاعُهُ مِنْ أَسْعَدِ السُّعَدَا
فَهُمْ بِهِ الْأَوَّلُونَ الْفَائِزُونَ وَ هُمْ   فِي الأُمَمِ الآخَرُونَ فَضْلُهُمْ شهِدَا
وَ اللهُ أَعْطَاهُ كَنْزاً لاَ نَفَادَ لَهُ   وَ كَمْ أَمَدَّ الْوَرَى مِنْهُ وَ مَا نَفِدَا
وَ خَصَّهُ بِالْمَثَانِي السَّبْعِ مُنْزِلُهَا   وَ عَمَّهُ بِكَرَامَاتٍ بِهَا انْفَرَدَا
وَ كَمْ نَبِيٍّ تَمَنَّى فَضْلَ أُمَّتِهِ   حَتَّى وَ لَوْ أَنْ يُعَدَّ مِنْهُمُ فَرَدَا
فَيَالَهَا أُمَّةً بِالْمُصْطَفَى شَرُفَتْ   حَتَى لَقَدْ غَبطَتْهَا الْقَادَةُ الرُّشَدَا
نَبِيُّهَا الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ خَيْرُ نَبِي   فِي الْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا فِي الأَمَامِ غَدَا
فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْغَرَّاءِ أَمَّ بِهِمْ   وَ نُورُهُ مَعَ نُورِهِمْ قَدِ اتَّقَدَا
عَلَيْهِ سَلَّمَ مَالِكٌ وَ كَمْ مَلَكٍ   عَلَيْهِ بَادَرَ بِالسَّلَامِ أَيْنَ غَدَا
وَ بَعْدَمَا الْمُصْطَفَى صَلَّى بِجَمْعِهِمُ   أَلْقَى ثَنَاءً وَ فِيهِ اللهَ قَدْ حَمِدَا
فَقَالَ أَحْمَدُ مَنْ لِلْخَلْقِ أَرْسَلَنِي   بِرَحْمَةٍ وَسِعَتْهُمْ دَائِمًا مَدَدَا
بُعِثْتُ لِلنَّاسِ كَافَّةً وَ كُنْتُ لَهُمْ   مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا مِنْ رَدَى وَرَدَا
عَلَيَّ أَنْزَلَ فُرْقَانًا يُبَيِّنُ مَا   يَبِينُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدْ خَفَا وَ بَدَا
لِي أُمَّةٌ هِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ وُجِدَتْ   وَ قَدْ غَدَتْ وَسَطًا بَيْنَ الْوَرَى شهِدَا
هُمْ أَوَّلُ الْخَلْقِ فِي دُخُولِ جَنَّتِهِ   وَ آخِرُ الْأُمَمِ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
ذِكْرِي رَفِيعٌ وَ صَدْرِي اللهُ شَارِحُهُ   وَ عَنِّيَ الْوِزْرُ مَوْضُوعٌ لِغَيْرِ مَدَا
وَ أَنَّنِي فَاتِحٌ وَ خَاتِمٌ لَكُمُ   يَا أَيُّهَا الأَنْبِيَا وَ أَيُّهَا السُّعَدَا
قَالَ الْخَلِيلُ بِهَذَا صَارَ يَفْضُلكُمْ   مُحَمَّدٌ وَ هُوَ حَقًّا خَيْرُ مَنْ وُجِدَا
قَالَ الْكَلِيمُ لَقَدْ عَلاَ عَلَيَّ وَ مَا   ظَنَنْتُ يَعْلَى عَلَيَّ خَالِقِي أَحَدَا
فَقَابَلُوهُ بِتَعْظِيمٍ يَلِيقُ بِهِ   فِي كُلِّ مَا مَوْضِعِ إِلَيْهِ قَدْ صَعِدَا
قَدْ ارْتَقَى لِمَقَامٍ دُونَهُ رُتَبٌ   مَا حَلَّ فِيهَا سِوَاهُ إِذْ بِهَا انْفَرَدَا
إِلَى الْحِجَابِ الَّذِي مَا فَوْقَهُ حُجُبٌ   أَتَى فَشَاهَدَ نُورًا لَمْ يَكُنْ شَهِدَا
وَ جَاءَهُ مَلَكٌ مَا كَانَ يَعْرِفُهُ   جِبْرِيلُ حَتَّى رَآهُ ثُمَّ حِينَ بَدَا
فَكَبَّرَ اللهَ تَكْبِيرًا وَ هَلَّلَهُ   حَتَّى أَتَمَّ الأَذَانَ فِي أَتَمِّ أَدَا

وَ اللهُ صَدَّقَ عَبْدَهُ الْمُكَبِّرَ وَ النَّبِيُّ يَسْمَعُ مِنْهُ مَا بِهِ وجَدَا

وَ لَيْسَ بِدْعًا سَمَاعه هُنَاكَ وَ قَدْ   صَحَّتْ لَه رُؤْيَةٌ وَ لَمْ أَقُلْ فَنَدَا
فَقَدْ تَعَدَّدَ سَمْعُهُ وَ رُؤْيَتُهُ   وَ لَيْسَ فِيهِ احْتِمَالٌ هَا هُنَا وَ غَدَا
أَمَّا ٱلْحِجَابُ ٱلَّذِي ٱنْتَهَى إِلَيْهِ فَلَمْ   يَحْجُبْهُ عَنْ رُؤْيَةِ ٱلْمَوْلَى كَمَا وَرَدَا
وَ ٱلْحُجْبُ مِنْ جِهَةِ ٱلْمَخْلُوقِ تعرفه   وَ ٱلْحَقُّ مَا عَنْهُ يُحْجَبُ ٱلَّذِي وجدا
فَاعْرِفْ بِهَذَا النَّبِي ٱلَّذِي بِمَعْرِفَتِهْ   تَحْظَى بِنَيْلِ الرِّضَى وَ لاَ تَخَافُ رَدَى
عَلَيْهِ أَكْمَلُ تَسْلِيمٍ وَ خَيْرُ صَلاَ   ةٍ تَشْمَلُ التَّابِعِينَ مَا سَنَاهُ بَدَا

فصل

في اختلاف السلف و العلماء هل كان إسراؤه بروحه أو جسده

اللهُ أَسْرَى بِخَيْرِ مَنْ لَهُ عَبَدَا   فَكَانَ عَبْدًا نَبِيًّا لِلْعِبَادِ هُدَى
فَعَرَّفَ ٱلْعَالَمَ ٱلْعُلْوِي مَكَانَتَهُ   فِي ٱلْقُرْبِ وَ ٱلْعَالَمَ السُّفْلِيَّ مَا شَهِدَا
فَإِنَّهُ قَدْ أَفَادَ ٱلْعَالَمِينَ لَدَى   إِسْرَائِهِ دُرَّ أَسْرَارٍ بِهَا وَفَدَا
قَدْ صَحَّ إِسْرَاؤُهُ فَلاَ مُنَازِعَ فِي   وُقُوعِهِ وَ هْوَ قَبْلَ هِجْرَةٍ وُجِدَا
وَ ٱلْخُلْفُ فِي كَوْنِهِ بِالرُّوحِ أَوْ رَكِبَ ٱلْبُرَاقَ وَ هْوَ بِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ غَدَا
فِي يَقْظَةٍ كَانَ لَيْلَةً مِنَ ٱلْحَرَمِ الأَدْنَى لِأَقْصَى لِأَعْلَى ٱلْمُنْتَهَى قَصَدَا
هُنَاكَ قَدْ حَازَ مَا قَدْ حَازَ حَيْثُ رَأَى   مَا قَدْ رَأَى وَحَبَاهُ اللهُ خَيْرَ جِدَا
فَكَانَ لِلْأَنْبِيَاءِ خَاتِمًا وَلِمُغْلَقِ ٱلْخَزَائِنِ فَاتِحًا هُنَا وَغَدَا
وَ قِيلَ كَانَ مَنَامًا بَعْدَمَا ٱتَّفَقُوا   بِأَنَّ رُؤْيَاهُ حَقٌّ لَمْ تَكُنْ فَنَدَا
وَ قِيلَ بِالرُّوحِ لِلسَّمَا وَ مِنْ حَرَمٍ   لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ بِٱلْجِسْمِ قَدْ صَعِدَا
بِمَسْجِدِ ٱلْقُدْسِ صَلَّى مَعْ تَعَرُّفِهِ   بِالْأَنْبِيَاءِ وَ قِيلَ مَا بِهِ سَجَدَا
وَ إِنَّمَا أَمَّهُمْ فَوْقَ السَّمَاءِ فَهُمْ   بِهِ اقْتَدَوْا مَعَ أَمْلاَكٍ كَمَا وَرَدَا
وَكُلُّ قَوْلٍ لَهُ أَصْلٌ يُعَاضِدُهُ   وَ كَوْنُهُ يَقْظَةً هُوَ ٱلَّذِي ٱعْتُمِدَا
لَوْ كَانَ رُؤْيَا لَمَا ٱلْعِدَا بِهَا افْتُتِنُوا   وَ اسْتَبْعَدُوا أَمْرَهُ وَ النَّوْمُ مَا جُحِدَا
وَ قَدْ أَتَتْهُ قُرَيْشٌ بَعْدُ تَسْأَلُهُ   عَنْهُ فَأَخْبَرَهُمْ بِكُلِّ مَا شَهِدَا

وَ كَانَ إِخْبَارُهُ طِبْقَ ٱلَّذِي عَرَفُوا   وَ شَاهَدُوهُ وَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى شُهَدَا

فَاقْدِرْ بِذَلِكَ قَدْرَ الْمُصْطَفَى فَلَهُ   قَدْرٌ عَظِيمٌ بِهِ بَيْنَ الْوَرَى انْفَرَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي أَسْرَى بِهِ وَ لَهُ   أَسْدَى كَمَالَ الْمُنَى وَ زَادَهُ مَدَدَا
مَعَ السَّلَامِ الأَتَمِّ بِالدَّوَامِ عَلَى   آلٍ وَ صَحْبٍ وَ مَنْ عَلَيْهِمُ اسْتَنَدَا

فصل

في إبطال حجج من قال إنها نوم

خَيْرُ الْوَرَى فِي مَرَاقِي الْعِزِّ قَدْ صَعَدَا   وَ اللهُ أَسْرَى بِهِ لَيْلاً كَمَا وَرَدَا
وَ السِّرُّ فِي كَوْنِ إِسْرَاءِ الإِلَهِ بِهِ   فِي اللَّيْلِ قِيلَ انْسِدَالُ السِّتْرِ فِي الشهدَا
لَوْ كَانَ ذَلِكَ فِي النَّهَارِ لَافْتَتَنَتْ   أَهْلُ النُّهَى وَ هُوَ فِي الْبُرَاقِ قَدْ صَعِدَا
وَ قَدْ نَفَى كَوْنَهُ فِي يَقْظَةٍ نَفَرٌ   وَ أَيَّدُوا قَوْلَهُمْ بِمَا رَأَوْهُ هُدَى
قَالُوا لَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ لَفْظَةُ رُؤْ   يَا وَ هْيَ لِلْقَلْبِ قَطْعاً فَاتَّبِعْ رَشَدَا
أَمَّا الَّتِي عَنْهُمُ لِلْعَيْنِ فَهْيَ بِتَا   وَ اللَّفْظُ أَيَّدَ نَوْمًا فِي الْحَدِيثِ بَدَا
قُلْنَا يُخَالِفُ مَا قَالُوا لَنَا حُجَجٌ   وَ كُلُّهَا شَاهِدٌ لِلْيَقْظَةِ اعْتَمَدَا
أَلَمْ يَقُلْ فِتْنَةً لِلنَّاسِ جَاعِلُهَا   وَ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةً رُؤْيَا امْرِئٍ أَبَدَا
فَلَا يُكَذِّبُ بِالرُّؤْيَا إِذَنْ أَحَدٌ   وَ كَيْفَ يَفْتَتِنُ الرَّائِي بِمَا عَهِدَا
فَكُلُّنَا قَدْ نَرَى رُؤْيَا نُسَرُّ بِهَا   وَ فِي الْمَرَائِي عَجِيبُ الأَمْرِ قَدْ شُهِدَا
لَا سِيَّمَا وَ الَّتِي احْتَجُّوا بِهَا وَرَدَتْ   لَدَى الْحُدَيْبِيَةِ الَّتِي جَلَتْ عَدَدَا
وَ قِيلَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ كَانَ شَاهِدُهَا   لَمَا استقل الْعِدَا وَ مَاءَهَا وَرَدَا
أَمَّا احْتِجَاجُهُمُ بِمَا الْحَدِيثُ بِهِ   قَدْ خُصَّ مِنْ كَوْنِهَا نَوْمًا قَدِ انْتُقِدَا
فَالنَّوْمُ مُحْتَمَلٌ فِيهِ لِأَرْبَعَةٍ   مِنَ الْمَعَانِي كَدُرٍّ عِقْدُهُ نُضِدَا
مِنْهَا بِأَنَّ الْحَدِيثَ لَا يَدُلُّ عَلَى انْسِحَابِ نَوْمٍ عَلَيْهِ فِيهِ حَيْثُ غَدَا
وَ رُبَّمَا كَانَ فِي نَوْمٍ بِأَوَّلِ إِسْرَاءٍ وَ أَثْنَاءِهِ فِي يَقْظَةٍ وُجِدَا
وَاسْتَيْقَظَ الْمُصْطَفَى مَعْنَاهُ أَصْبَحَ أَوْ   أَفَاقَ مِنْ بَعْدِ نَوْمٍ بَعْدَمَا وَفَدَا
وَوَجْهُ آخَرَ فِي اسْتَيْقَظْتُ عُدْتُ إِلَى   حَالِي وَ يَالَكَ مِنْ حَالٍ بِهَا وَرَدَا

قَدْ شَاهَدَ الْمَلَأَ الأَعْلَى وَزَادَ عُلَى   وَ مَا اسْتَفَاقَ سِوَى فِي مَسْجِدِ مَجُدَا

وَوَجْهُ آخَرَ فِيهِ وَ هُوَ ثَالِثُهَا   مَعْنَى ٱلْمَنَام وَ الاسْتِيقَاظ مِنْهُ بَدَا
عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ فِي مَعْنَاهُمَا حُمِلاَ   وَ قَلْبُهُ حَاضِرٌ وَ جِسْمُهُ صَعِدَا
وَ السِّرُّ فِي غَمْضِهِ ٱلْعَيْنَيْنِ هُوَّ لِئَلاَّ يُشْغِلَ ٱلْحُسْنُ قَلْبًا مِنْهُ قَدْ وُجِدَا
وَ فِي مَشَاهِدِهِ أَحْوَالُهُ ٱخْتَلَفَتْ   وَ مَا عَرَاهُ ذُهُولٌ فِي ٱلَّذِي شَهِدَا
وَ قَدْ قَضَى ٱلْحَالُ أَنْ صَلَّى وَ أَمَّ بِمَنْ   صَلَّى بِهِمْ وَ احْتَوَى عَلَى هُدَى وجدَا
وَوَجْهُ آخَرَ وَ هُوَ رَابِعٌ حَسَنٌ   بِأَنَّ ذَاكَ بِهَيْئَةِ ٱلَّذِي رَقَدَا
إِذْ كَانَ مُضْطَجِعًا كَنَائِمٍ وَسَمَا   عَلَى ٱلْبُرَاقِ وَ فِي مَقَامِهِ اتَّأَدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَدْ نَفَى مَا زَادَهُ أَنَسٌ   فِيمَا رَوَاهُ شَرِيكٌ عَنْهُ مُنْفَرِدَا
فَالشَّقُّ لِلْبَطْنِ فِيهِ وَ ٱلْمَنَامُ مَعَ الدُّنُوِّ لِلرَّبِّ مَا عَنْ غَيْرِهِ وَرَدَا
وَ إِنَّمَا شُقَّ صَدْرُهُ لَدَى صِغَرٍ   قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ إِسْرَاءٍ كَمَا ٱعْتُمِدَا
وَ جَاءَ عَنْ أَنَسٍ مَا قَدْ أَزَاحَ بِهِ   تِلْكَ الزِّيَادَاتِ وَ هُوَ جَيِّدٌ سَنَدَا
وَ مَا ٱسْتَدَلُّوا بِهِ مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ   بِأَنَّ جِسْمَ النَّبِي فِي اللَّيْلِ مَا فُقِدَا
فَإِنَّهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ لِأَنَّ حَدِيثَ ٱلْغَيْرِ أُثْبِتَ حَتَّى عُدَّ مُعْتَمَدَا
لاَ سِيَّمَا وَ هْيَ لِلْإِسْرَاءِ مَا حَضَرَتْ   بَلْ كَانَ مِنْ قَبْلِ مِيلاَدٍ لَهَا وُجِدَا
وَ هْيَ الَّتِي قَدْ نَفَتْ وُقُوعَ رُؤْيَتِهِ   بِٱلْعَيْنِ فِي يَقْظَةٍ لِلْحَقِّ فِي الشُّهَدَا
لَوْ أَنَّ رُؤْيَتَهُ فِي النَّوْمِ قَدْ ثَبَتَتْ   لَمَا نَفَتْهَا وَ أَمْرُ النَّوْمِ مَا ٱنْتُقِدَا
إِنْ قِيلَ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ ظَاهِرُهُ   فِي أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ بِٱلْعَيْنِ قَدْ وَرَدَا
قُلْنَا يُقَابِلُهُ مَا زَاغَ وَ هْوَ لِمَنْ   قَدِ ٱبْتَغَى ٱلْحَقَّ عَنْهُ لَمْ يَجِدْ أَبَدَا
فَالْقَلْبُ لَمْ يُوهِمِ ٱلْعَيْنَيْنِ مَا رَأَتَا   بَلْ ذَاكَ كَانَ حَقِيقَةً بِهَا قَصَدَا
وَ قِيلَ مَا أَنْكَرَ ٱلْقَلْبُ الَّذِي نَظَرَتْ   عَيْنُ النَّبِيِّ وَ مَا ٱلْمَرْئِي بِهَا اتَّحَدَا
فَاعْرِفْ مَكَانَةَ مَنْ رَأَى ٱلْإِلَهَ بِلاَ   شَكٍّ وَ مَنْ فَضْلُهُ حَوَى كَمَالَ جَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ مَدَا الدَّوَامِ خَيْرَ صَلاَ   تِهِ الَّتِي امْتَدَّ خَيْرُهَا لِغَيْرِ مَدَا
تَعُمُّ أَتْبَاعَهُ الأُولَى ٱهْتَدَوا بِسَنَا   أَنْوَارِهِ وَ بِهِ نَالُوا كَمَالَ هُدَى

فصل

فـي رؤيته صلى الله عليه و سلم لربه عز وجـل

لِلْمُصْطَفَى مَنْصِبٌ فِي الْمَجْدِ قَدْ صعـدَا   وَ قَـدْ رَآهُ وَ أَوْلَاهُ كَمَـالَ جَـدَا
وَ أَنْكَـرَتْ رُؤْيَـةَ الْعَيْنَيْـنِ عَائِشَـةٌ   وَاسْتَنْكَرَتْ أَنْ يَرَى الْخَلْقُ الْعَلِي الصَّمَدَا
فالله لـم تكـن الأبصـار تدركـه   وَ هُـوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ طِبْقَ مَا وَرَدَا
قَالَتْ وَ مَنْ قَالَ خَيْرُ الْخَلْـقِ شَاهَـدَهُ   فَإِنَّـهُ مُفْتَـرٍ فِيمَـا بِـهِ شَهِـدَا
وَ قَوْلُهَا اخْتَارَهُ مِنْ خَيْـرِ مَنْ سَلَفُـوا   جَمَاعَـةٌ هَيَّأَ الْمَوْلَـى لَهُـمْ رَشَـدَا
وَ إِنَّمَـا قَـدْ رَأَى جِبْرِيـلَ عِنْدَهُـمُ   وَالْحَق أَنَّ النَّبِـي قَـدْ رَأَى الأَحَـدَا
بِعَيْنِـهِ قَـدْ رَآهُ عَـنْ مُشَاهَـدَةٍ   تَحَقَّقَتْ عِنْـدَ مَـنْ لَـذَا قَـدِ اعْتَقَـدَا
قَـدْ خَصَّـهُ اللهُ فِـي الدُّنْيَا بِهَـا فَرَآ   هُ وَفْـقَ مَا شَـاءَهُ وَ لَـمْ أَقُلْ فَنَدَا
وَ خُصَّ مُوسَـى الْكَلِيمُ بِالْكَـلَامِ كَمَـا   بِخُلَّـةٍ خُـصَّ إِبْرَاهِيـمُ فِي السُّعَـدَا
وَ قِيـلَ فِـي قَوْلِـهِ انْظُـرْ إِلَـى الْجَبَلِ الَّـــذِي تَجَلَّـى عَلَيْـهِ الْحَـقُ دُونَ مَـدَا
وَ قَـدْ رَآهُ فَخَـرَّ عِنْـدَهُ صَعِقَـا   مِنَ التَّجَلِّي الَّـذِي فِيـهِ الْجَلَالُ بَـدَا
وَ قَـالَ جَعْفَـرُ لَـوْلَا شُغْـلُ فِكْرَتِـهِ   بِرُؤْيَةِ الْجَبَـلِ اعْتَـرَى الْكَلِيـمَ رَدَى
فَتَـمَّ فِـي شُغْلِـهِ بِـذَاكَ مَطْلَبُـهُ   وَقَـدْ رَأَى الْحَـقَّ ثم ثُمَّ نَـالَ جـدَا
وَ حَاصِـلُ الْقَـوْلِ أَنَّ مَنْـعَ رُؤْيَتِـهِ   مَا قَامَ فِيـهِ دَلِيـلٌ فِـي الَّـذِي وَرَدَا
وَ جَاءَ فِي شَرْحِ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ أَلَـمْ   نَشْرَحْ لِرُؤْيَتِـهِ الَّتِـي بِهَـا انْفَـرَدَا
قَدْ قَالَـهُ ابْـنُ عَطَـاءٍ مَثَـلٌ قَوْلَتِـهِ   فِي شَرْحِ صَدْرِ الْكَلِيمِ لِلْكَلَامِ غَـدَا
وَ قَوْلُـهُ لَـنْ تَرَانِـي لَا يَـدُلُّ عَلَـى اسْـــتِحَالَةِ الرُّؤْيَـةِ الَّتِـي لَهَـا قَصَـدَا
وَ قَـدْ تَـؤَوَّلَ فِـي حَـقِّ الْكَلِيمِ بِذِي الـــدُّنْيَا وَ لَيْسَتْ عَلَى الْعُمُومِ فِي الرُّشَدَا
أَوَلَسْـتَ تَقْوَى عَلَيْهَـا قَالَـهُ الْهُذَلِـي   وَ غَيْـرُهُ قَـدْ يُطِيقُهَـا كَمَـا وجَـدَا
فَالْمُصْطَفَـى قَـدْ رَآه بَعْدَ تَقْوِيَـةِ الإِ   لَـهِ سُبْحَانَـهُ لَـهُ كَمَـا اعْتَمِـدَا
وَ قَـالَ مَالِـكُ الأَجَـلُ رُؤْيَـةُ مَـوْ   لَانَا تَجُوزُ لَدَى الأُخْرَى لِغَيْـرِ مَـدَى
لِأَنَّ رَائِيَـهُ بَـاقٍ وَ رُؤْيَـةُ مَـنْ   يَبْقَى لبـاق تَجُوزُ عِنْـدَ مَنْ مجـدَا
وَ لَيْـسَ فِـي ذَا دَلِيـلٌ لِاسْتِحَالَتِهَـا   عَلَى الْمُطِيقِ لَهَـا دُنْيَا كَمَـا انْتُقِـدَا

وَ جَـاءَ فِـي آيَـةِ الأَبْصَـارِ عِنْدَهُمُ اخْـــتِلَافُ تَأْوِيلِهَـا وَ فِـي الْجَمِيـعِ هُـدَى

فَبَعْضُهُمْ قَالَ فِي الدُّنْيَا وَ بَعْضُهُمُ   قَدْ قَالَ لَا تُدْرِكُ ٱلْكُفَّارَ مَنْ عَبَدَا
وَ يُدْرِكُ ٱلْمُبْصِرُونَ عَنْهُ رُؤْيَتَهُ   وَلَا تُحِيطُ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ إِنْ شهدَا
وَ غَيْرُ هَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ عِنْدَهُمُ   لَمْ يَمْنَعِ الرُّؤْيَةَ ٱلَّتِي جَلَتْ كَمَدَا
بِهَا يَقُولُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ وَ قَوْلَتُهُ   بِهَا قَدِ ٱشْتَهَرَتْ وَ مَا بِهَا ٱلتَّحَدَا
دَلِيلُ مَا قَدْ رَأَى لَدَيْهِ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ وَ هُوَ دَلِيلٌ فِيهِ مَا جحدَا
وَ قَالَ عِكْرِمَةٌ بِقَوْلِهِ وَ بِهِ الرَّبِيعُ مَعْ أَنَسٍ قَالَا وَ مَا عَنِدَا
وَ قِيلَ إِنَّ النَّبِيَّ مَا رَاهُ سِوَى   بِقَلْبِهِ وَ بِنَصِّ ٱلْمُرْسَلِ اعتضدَا
فَقَدْ أَتَى فِي حَدِيثٍ قَالَ لَمْ أَرَهُ   بِحَاسَّةِ ٱلْعَيْنِ بَلْ قَلْبِي لَهُ شَهِدَا
وَ عَنْ مُعَاذٍ رَأَى جَمَالَ صُورَتِهِ   فِي النَّوْمِ وَ هُوَ حَدِيثٌ نَفْعُهُ شهدَا
وَ عَنْ مُعَاذٍ أَتَى أَيْضًا رَاهُ وَ لَمْ   يَقُلْ بِنَوْمٍ وَ فِيهِ ٱلِاحْتِمَالُ غَدَا
وَ قَدْ أَتَى دُونَ قَيْدِ ٱلْعَيْنِ قَوْلُ أَبِي   ذَرٍّ وَ فِيهِ ٱحْتِمَالٌ لِلشُّهُودِ بَدَا
فَإِنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ شَاهَدَ مَوْلَاهُ الَّذِي عهدَا
وَ ٱلْأَشْعَرِيْ قَالَ بِٱلْعَيْنَيْنِ شَاهَدَهُ   وَ كَمْ دَلِيلٍ لِمَا قَدْ قَالَهُ شَهِدَا
وَ مَعْ تَنَوُّعِ آيِ ٱلْأَنْبِيَاءِ أَتَى   لِلْمُصْطَفَى مِثْلُهَا فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ خُصَّ بَيْنَهُمُ بِنَيْلِ رُؤْيَتِهِ لِلْحَقِّ حَقًّا عَلَى وَفْقِ ٱلَّذِي ٱعْتُقِدَا
وَ مِثْلُهُ قَوْلَةُ ٱبْنِ حَنْبَلٍ وَ كَفَى اتِّخَاذُ هَذَيْنِ لِاعْتِقَادِنَا سَنَدَا
نَاهِيكَ فِي ٱلْقَوْمِ بِٱبْنِ حَنْبَلٍ فَلِمَا   قَدْ قَالَهُ نَظْرَةٌ تُنَوُّرُ ٱلْخَلَدَا
وَ قَالَ أَيْضًا أَنَا أَقُولُ قَوْلَةَ مَنْ   يَقُولُ عَيْنًا رَاهُ طِبْقَ مَا ٱعْتَقَدَا
رَاهُ حَقًّا رَاهُ لَامِرَاءَ لِهَذَا وَ هُوَ قَوْلُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ كَمَا وَرَدَا
مَا زَالَ أَحْمَدُ قَائِلًا رَآهُ إِلَى   أَنْ غَابَ عَنْ حِسِّهِ وَ فِيهِ قَدْ حَمِدَا
وَرُؤْيَةُ ٱلْحَقِّ فِي الدَّارَيْنِ جَائِزَةٌ   عَقْلًا وَ قَدْ وَافَقَ ٱلْعَقْلُ الَّذِي وَرَدَا
وَ لَيْسَ فِي ٱلْعَقْلِ مَا يُحِيلُهَا وَ إِذَا   رَأَيْتَ مُعْتَزِلِيًّا قُلْ لَهُ اتَّئِدَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ مُوسَى لِيَسْأَلَهَا   وَ لَمْ يَكُنْ يَسْأَلُ ٱلْمُحَالَ مَنْ رَشَدَا
وَ أَقْسَمَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبَصْرِي الأَبَرُّ عَلَى   تَحْقِيقِ رُؤْيَا النَّبِي وَ لَمْ يَقُلْ فَنَدَا
وَ قَدْ عَزَا الطلمنكي ذَا لِعِكْرِمَةٍ   وَ كَمْ وَ كَمْ قَائِلٍ لِلرُّؤْيَةِ ٱعْتَمَدَا

وَ بَعْضُهُمْ قَالَ فِيهَا بِالتَّوَقُّفِ مِثْلَ قَوْلِهِ ٱبْنِ جُبَيْرٍ وَ هُوَ مَا عَنِدَا

فَقَالَ لَسْتُ أَقُولُ قَدْ رَآهُ وَلاَ   أَقُولُ لَمْ يَرَهُ وَعُدَّ مُجْتَهِدَا
وَلاَ دَلِيلٌ لِمَنْ يَقُولُ قَدْ وَجَبَ ٱعْتِقَادُ رُؤْيَتِهِ لِرَبِّهِ أَبَدَا
وَٱلْجَزْمُ فِي أَنَّهَا لِلْمُصْطَفَى ثَبَتَتْ   بِحَاسَّةِ ٱلْعَيْنِ لاَ يَزَالُ مُنْتَقَدَا
وَذَا هُوَ ٱلْحَقُّ عِنْدَ مَنْ يُحَقِّقُ مَا   قَدْ جَاءَ مِنْ ذَاكَ فِي مَشَاهِدِ الشُّهَدَا
وَمَا رَآهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ مُجَرَّدَ إِخْبَارٍ لِمَا عِنْدَهُ فِي الرُّؤْيَةِ ٱعْتَقَدَا
فَلَمْ يَجِبْ عَمَلٌ بِمَا تَضَمَّنَهُ   لِكَوْنِهِ فِي الَّذِي قَدْ قَالَهُ ٱجْتَهَدَا
أَمَّا حَدِيثُ مُعَاذٍ فَهْوَ مُحْتَمَلٌ   نَظِيرُ قَوْلِ أَبِي ذَرٍّ وَقَدْ نَقَدَا
وَجَاءَ ضِمْنَ حَدِيثٍ آخَرٍ لِأَبِي   ذَرٍّ رَأَى وَبِهِ نُورٌ كَمَا شَهِدَا
وَآخَرٌ فِيهِ نُورٌ إِنِّي أَرَاهُ وَقِيلَ فِي لَفْظِهِ أَنَّى أَرَاهُ بَدَا
فَاللَّفْظُ مُخْتَلِفٌ فِي النَّصِّ مُحْتَمَلٌ   وَكُلُّ مُحْتَمِلٍ فِي النَّصِّ مَا ٱعْتُمِدَا
فَلَمْ يَرَ اللهَ فِي هَذَا ٱلْحَدِيثِ وَلَكِنْ قَدْ رَأَى النُّورَ فِي شُهُودِهِ ٱتَّقَدَا
وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الصَّحِيحِ أَتَى   حِجَابُهُ النُّورُ وَهْوَ فِي سَنَاهُ غَدَا
وَكُلُّ هَذِي ٱلْأَحَادِيثِ الَّتِي وَرَدَتْ   لَمْ تُوجِبِ ٱلْجَزْمَ بِٱعْتِقَادِهَا أَبَدَا
وَإِنْ يَرِدْ غَيْرُهَا فِي ٱلْبَابِ مُتَّضِحًا   حُقَّ الْمَصِيرُ لَهُ وَقَلَّ أَنْ يَرِدَا
وَلاَ ٱسْتِحَالَةَ فِي جَوَازِ رُؤْيَتِهِ   وَلَيْسَ مِنْ مَانِعٍ قَطْعِيْ لَهَا وُجِدَا
ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيْ وَعِتْرَتِهِ   وَتَابِعِيهِ مَعَ السَّلاَمِ دُونَ مَدَا

فصل

فيما قيل فيما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه له صلى الله عليه وسلم

اللهُ أَهْدَى لِخَيْرِ ٱلْعَالَمِينَ هُدَى   وَزَادَهُ شَرَفًا بِهِ قَدِ ٱنْفَرَدَا
أَزَالَ أَوْحَالَهُ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ بِمَا   أَوْحَى لَهُ وَحَبَاهُ مِنْهُ خَيْرَ جَدَا
فَقِيلَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ جَاءَ بِمَا   أَوْحَى لَهُ اللهُ عِنْدَ أَكْثَرِ ٱلْعُمَدَا
وَٱلْوَاسِطِيُّ يَقُولُ دُونَ وَاسِطَةٍ   كَقَوْلِ جَعْفَرِ قَدْ أَوْحَى لَهُ رَشَدَا

فَكَلَّمَ ٱلْحَقَّ فِي ٱلْإِسْرَا مُشَافَهَةً   وَٱلْحَقُّ لَمْ يَخْفَ عَمَّنْ عِنْدَهُ شَهِدَا
وَفِي ٱلْحَدِيثِ ٱلشَّرِيفِ قَالَ فَارَقَنِي   جِبْرِيلُ وَٱلرَّوْعُ مِنْ رَوْعِي هُنَاكَ هَدَا
وَقَالَ لِي ٱلْحَقُّ يَا مُحَمَّدُ ٱدْنُ وَقَدْ   غَدَوْتُ أَخْتَرِقُ ٱلْحِجَابَ مُنْفَرِدَا
مِنْ بَعْدِمَا صدق المولى المؤذن في   أذانه وَٱلنَّبِيُّ فِي ٱلْعُلَى صَعِدَا
وَٱعْلَمْ بِأَنَّ كَلَامَ اللهِ مُنْقَسِمٌ   إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ كَمَا وُجِدَا
أَمَا بِإرْسَالِهِ عَلَى يَدِي مَلَكٍ   لِلْأَنْبِيَا أَوْ بِوَحْيٍ نَوَّرَ ٱلْخَلَدَا
أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ مُشَافَهَةً   وَهْيَ ٱلْمَقَامُ ٱلَّذِي بِهِ ٱلنَّبِي ٱنْفَرَدَا
فَالْوَحْيُ حِينَئِذٍ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ   أَوْ لِلنَّبِيِّ بِهَا فِيمَا خَفَا وَبَدَا
وَقِيلَ فِي ٱلْوَحْيِ مَا يُلْقَى بِقَلْبِ حَبِيبِ اللهِ وَهْوَ ٱلَّذِي قَدْ أَلْهَمَ ٱلرَّشَدَا
وَغَيْرُ مُمْتَنِعٍ عَقْلًا تَكَلُّمُهُ   مَعْ خَاصَّةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ عِنْدَ مَنْ شهدا
وَإِنْ يَكُنْ صَحَّ فِي تَحْجِيرِهِ خَبَرٌ   عَنْ غَيْرِ مُوسَى ٱلْكَلِيمِ ٱجْعَلْهُ مُعْتَمَدَا
أَمَّا ٱلْكَلِيمُ فَإِنَّ اللهَ كَلَّمَهُ   مِنْ غَيْرِ شَكٍّ بِرَغْمِ مَنْ لَهُ جَحَدَا
وَلَيْسَ بِٱلْمُسْتَحِيلِ عِنْدَ مَنْ عَرَفُوا   تَكْلِيمَهُ لِلْحَبِيبِ وَهْوَ قَدْ حَمِدَا
وَقَدْ عَلَا فَوْقَ مُوسَى فِي مَرَاتِبِهِ   فَكَيْفَ يَبْعُدُ هَذَا عَنْهُ حِينَ هَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ ٱلَّذِي أَحَلَّ أُمَّتَهُ   فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ وَعَمَّهُمْ مَدَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى أَنْصَارِ سُنَّتِهِ   مَا قَامَ عَبْدٌ لِذِكْرِ اللهِ أَوْ قَعَدَا

فصل

في الكلام على ما ورد في حديث الإسراء من الدنو و القرب الدال على علو مقداره عليه السلام

لَاشَكَّ أَنَّ الرَّسُولَ أَسْعَدُ السُّعَدَا   وَ أَنَّهُ خَيْرُ مَنْ لِلهِ قَدْ عَبَدَا
وَ أَنَّهُ أَكْرَمُ الْوَرَى وَ أَفْضَلُهُمْ   وَ أَنَّهُ السَّيِّدُ الَّذِي غَدَا سَنَدَا
أَعْلَاهُمُ رُتْبَةً حَقًّا وَ أَقْرَبُهُمْ   زُلْفَى لَدَى اللهِ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
وَ الْحَقُّ أَدْنَاهُ حَتَّى كَانَ مِنْهُ يُرَى   كَقَابِ قَوْسَيْنِ فِي قُرْبٍ بِغَيْرِ مَدَا
وَ قَدْ دَنَا فَتَدَلَّى فِي مَرَاتِبِهِ   فِي رِفْعَةٍ قَدْرُهَا فِي الْمَجْدِ قَدْ صَعِدَا
لَقَدْ تَدَلَّى إِلَيْهِ رَفْرَفٌ فَعَلَا   عَلَيْهِ حَتَّى دَنَا مِنْ رَبِّهِ وَعَدَا
عَدَا لِلُقْيَاهُ مِمَّا كَانَ دَاخَلَهُ   مِنْ فَرْطِ وَجْدٍ بِهِ لِلْحَقِّ قَدْ سَجَدَا
دَنَا إِلَى الْمُنْتَهَى جِبْرِيلُ ثُمَّ تَدَلَّى الْمُصْطَفَى فَعَلَا وَ سَارَ مُنْفَرِدَا
وَ قَالَ فَارَقَنِي جِبْرِيلُ وَ انْقَطَعَتْ   عَنِّي بِمَصْعَدِيَّ الأَصْوَاتُ حِينَ غَدَا
وَ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَ الْحَقِّ ثَمَّ وَلَمْ   أَرْتَبْ وَ قَلْبِي اطْمَأَنَّ مِنْ حُلُولِ رَدَى
وَ زَادَ فِي الْقُرْبِ مِنْ مَوْلَاهُ حَيْثُ لَهُ الْمَوْلَى تَدَلَّى بِمَنْحِهِ بِمَا قَصَدَا
وَ قَدْ دَنَا مِنْهُ مَوْلَاهُ دُنُوَّ رِضَى   وَ قَدْ تَدَلَّى إِلَيْهِ الأَمْرُ فَاتَّأَدَا
أَرَاهُ مَا شَاءَ مِنْ عَجِيبِ قُدْرَتِهِ   هُنَاكَ وَ هْوَ بِرَفْعِ قَدْرِهِ انْفَرَدَا
عَلَيْهِ قَدْ فَرَضَ الصَّلَاةَ ثَمَّ وَ يَا   لِلهِ مَا نَالَ ثَمَّ مِنْ عَظِيمِ جَدَا
فَشَاهَدَ الْعَالَمَ الْعُلْوِيْ مُشَاهَدَةً   وَ فِيهِ قَدْ شَاهَدَ السُّفْلِيَّ مَا شَهِدَا
فَكَانَ إِسْرَاؤُهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى   عُلَاهُ بَيْنَ الْوَرَى بِمَا بِهِ وَفَدَا
وَ لَيْسَ ثَمَّ مَكَانٌ فِي الدُّنُوِّ وَ لَكِنْ فِي مَكَانَتِهِ فِي الْقُرْبِ نَالَ هُدَى
وَ كُلُّ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فَقَدْ   قَالُوا بِتَأْوِيلِهِ فِي الشَّرْعِ إِنْ وَرَدَا
فَاللهُ جَلَّ عُلاً عَنِ الدُّنُوِّ وَ عَنْ   نُزُولِهِ لِلسَّمَا فَنَزِّهِ الْأَحَدَا
لِذَاكَ قِيلَ التَّدَلِّي وَ الدُّنُوُّ يُرَى   بَيْنَ النَّبِيِّ وَ جِبْرِيلَ وَمَا انْتُقِدَا
وَ هْوَ الَّذِي قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ وَ فِي   تَأْوِيلِهِ بِالَّذِي قُلْنَا مَزِيدَ هُدَى
فَكَمْ وَكَمْ ضِمْنَهُ مِنْ حِكْمَةٍ كَمُلَتْ   تَبْدُو وَ تَخْفَى لِسِرٍّ نَوَّرَ الْخَلَدَا

وَٱرْجِعْ إِلَى ٱلْحَقِّ عِنْدَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ   مَا خَابَ عَبْدٌ لَهُ بَيْنَ ٱلْوَرَى قَصَدَا
وَٱجْعَلْ وَسِيلَتَكَ ٱلْعُظْمَى مُحَمَّدَهُ   فَإِنَّهُ عِنْدَهُ أَجَلُّ مَنْ حَمِدَا
صَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةً لَا ٱنْتِهَاءَ لَهَا   مَعَ تَابِعِيهِ وَأَهْلِ وِدِّهِ السُّعَدَا

فصل

في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة صلى الله عليه و سلم

تَفْضِيلُ خَيْرِ ٱلْوَرَى عَلَى سِوَاهُ بَدَا   وَقَدْ حَوَى ٱلْفَضْلَ فِي الدَّارَيْنِ مُنْفَرِدَا
مِنْ فَضْلِهِ لسواه الفضل ملتمس   وَفَضْلُهُ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ مَا جُحِدَا
فَقَدْ أَتَى عَنْ رَسُولِ اللهِ قَالَ أَنَا   فِي النَّاسِ سَيِّدُهُمْ وَخَيْرُ مَنْ وُلِدَا
أَنَا خَطِيبُهُمُ أَنَا مُبَشِّرُهُمْ   إِذَا هُمُ أيسُوا لَهُمْ أَمُدُّ يَدَا
وَإِنْ هُمُ بُعِثُوا بُعِثْتُ أَوَّلُهُمْ   وَإِنَّنِي قَائِدٌ لِكُلِّ مَنْ وَفَدَا
أَنَا شَفِيعُهُمُ إِذَا هُمُ حُبِسُوا   وَفِي يَدَيَّ لِوَاءُ ٱلْحَمْدِ قَدْ شهدَا
وَٱلْأَنْبِيَا تَحْتَهُ قَامُوا لِرَبِّهِمُ   فِي خَشْيَةٍ وَأَنَا أَمُدُّهُمْ مَدَدَا
وَفِي مَقَامِي هُنَاكَ لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ   وَمَقْعَدِي عَنْ يَمِينِ ٱلْعَرْشِ قَدْ صعدَا
أَكسى مِنَ ٱلْجَنَّةِ الَّتِي ٱزْدَهَتْ حُلَلاً   وَٱلْخَلْقُ دُونِيَّ قَدْ تَنَفَّسُوا الصُّعَدَا
يَطُوفُ حَوْلِيَّ أَلْفُ خَادِمٍ وَهُمُ   فِي ٱلْحُسْنِ كَاللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ مُنْتَضِدَا
أَنَا عَلَى ٱلْأَنْبِيَا مُقَدَّمٌ وَأَنَا   فِي ٱلْحَشْرِ أَكْثَرُ أَتْبَاعًا حَوَوْا رَشَدَا
أَنَا وَلَا فَخْرَ فِي الشُّهُودِ أُكْرِمُهُمْ   وَأَعْظَمُ الأَنْبِيَا أَجْرًا يَزِيدُ جَدَا
أَسْتَفْتِحُ ٱلْجَنَّةَ ٱلْفَيْحَاءَ قَبْلَهُمُ   وَيَدْخُلُ ٱلْفُقَرَا مَعِي وَهُمْ شُهَدَا
عِيسَى أَخِي وَأَنَا أَوْلَى ٱلْأَنَامِ بِهِ   وَإِنَّ لِي فِي ٱلْوَرَى عِنْدَ ٱلْخَلِيلِ يَدَا
فِي أُمَّتِي عُدَّ عِيسَى وَٱلْخَلِيلُ أَبِي   أَمَا كَفَى أَنْ أَكُونَ سَيِّدًا سَنَدَا
حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ لَذَّ مَشْرَبُهُ   مَنِ ٱرْتَوَى مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بِهِ أَبَدَا
قَدْ حل أَرْكَانه فِي المَحْشَرِ ٱلْخُلَفَا   كيز انه كَالنُّجُوم قَدْ سَمَتْ عَدَدَا
فَمَنْ أَحَبَّهُمُ يُسْقَى وَمُبْغِضُهُمْ   يَشْقَى وَعَنْهُ يُصَدُّ فِي أَلِيمِ صَدَا

بُشْرَى لِمَنْ نَالَ مِنْهُ جُرْعَةً فِبِهَا   قَدْ صَارَ يُحْسَبُ بَيْنَ الْخَلْقِ فِي السُّعَدَا
رَبِّ اَسْقِنِي مِنْهُ وَ اَشْفِنِي فَإِنِّيَ فَا   نِ بِالذُّنُوبِ الَّتِي لَدَيَّ أَعْظَمُ دَا
وَ صَلِّ خَيْرَ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ   عَلَى نَبِي الْهُدَى الَّذِي اهْتَدَى وَ هَدَى
مَعَ السَّلَامِ عَلَى خُدَّامِ حَضْرَتِهِ   وَ التَّابِعِينَ لَهُ وَ الْأَنْبِيَا الرُّشَدَا

فصل

في تفضيله صلى الله عليه و سلم بالمحبة و الخلة

فِي الْعَالَمِينَ حَبِيبُ اللهِ قَدْ حمدا   وَ كَيْفَ لاَ وَ هْوَ بِالْوَسِيلَةِ انْفَرَدَا
يُدْعَى الْحَبِيبُ لِأَنَّ اللهَ صَيَّرَهُ   مُحَمَّداً فِي السَّمَا وَ الْأَرْضِ مُذْ وُجِدَا
فَهْوَ الْحَبِيبُ الَّذِي صَفَتْ مَحَبَّتُهُ الَّتِي بِهَا تَمَّ مَعْنَى الْحُبِّ فِي الشهَدَا
أَحَبَّهُ اللهُ وَ هْوَ دَامَ فِيهِ لَهُ   حُبٌّ وَ كُلُّ مُحِبٍّ فِيهِ نَالَ هُدَى
وَ زَادَهُ اللهُ بَعْدَ الْحُبِّ خُلَّتَهُ الَّتِي بِهَا اخْتُصَّ إِبْرَاهِيمُ فِي السُّعَدَا
فَكَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مِثْلَ خَلِيلِ اللهِ فِي الْخُلَّةِ الَّتِي بِهَا صَعِدَا
رَأَى النَّبِي صَحْبَهُ يَوْمًا وَ قَدْ عَجِبُوا   مِنْ أَنْبِيَاءٍ سَمَوْا فَقَالَ مُتَّئِدَا
لَا تَعْجَبُوا فَأَنَا جَمَعْتُ سِرَّهُمُ   وَ قَدْ أَفَضْتُ عَلَيْهِمْ مِنِّيَ الْمَدَدَا
أَنَا الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ   أَنَا الْخَلِيلُ وَلَا فَخْرَ وَلَا فَنَدَا
أَنَا النَّبِي حَبِيبُ اللهِ مَا أَحَدٌ   مِثْلِي وَلَا فَخْرَ فِيمَا قُلْتُهُ أَبَدَا
أَنَا بِكَفِّي لِوَاءُ الْحَمْدِ مُنْتَشِرٌ   يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ سَائِرِ الشُّهَدَا
أَنَا الْمُشَفَّعُ عِنْدَ اللهِ فِي الثَّقَلَيْنِ فِي الْقِيَامَةِ مِمَا خَافَهُ الشُّهَدَا
وَ يَفْتَحُ اللهُ لِي الْجِنَانَ قَبْلَهُمُ   مَعِي غَدًا فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ غَدَا
وَ اللهُ أَكْرَمَنِي فَكُنْتُ أَكْرَمَهُمْ   لَدَيْهِ دُنْياً وَ أُخْرَى هَادِيًا لِهُدَى
فَانْظُرْ لِجَاهِ النَّبِيْ مُحَمَّدٍ فَلَهُ   جَاهٌ عَظِيمٌ بِهِ قَدْ صَارَ مُنْفَرِدَا
قَدْ أَيَّدَ الْمُصْطَفَى بِالْحَقِّ قَوْلَهُمُ   وَ اسْتَيْقَنُوا أَنَّهُمْ حَوَوْا بِهِ رَشَدَا
وَ كَيْفَ لَا وَ رَسُولُ اللهِ أَفْضَلُ مَنْ   دَعَا إِلَى الْحَقِّ وَاهدى بِه وَ هَدَى

أَوْ كَانَ مُوسَى كَلِيمًا فَالنَّبِيُّ كَلِيمُ اللهِ حَقًّا كَذَاكَ طِبْقَ مَا وَرَدَا

إِنْ كَانَ آدَمُ رَبُّهُ ٱصْطَفَاهُ فَإِنَّهُ بِحَقٍّ لِأَجْلِ ٱلْمُصْطَفَى مَجُدَا
أَوْ كَانَ نَالَ ٱلْخَلِيلُ فَضْلَ خُلَّتِهِ   فَخُلَّةُ ٱلْمُصْطَفَى مَقَامُهَا مَجُدَا
أَوْ كَانَ عِيسَى ٱلْمَسِيحُ فِي ٱلْبَرِيَّةِ رُو   حَ اللهِ فَهْوَ بِفَضْلِ ٱلْمُصْطَفَى شَهِدَا
وَ ٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلْخَلِيلَ من تخالله   مِنْكَ المَحَبَّةُ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
فِيهِ تَوَالَى وَ فِيهِ بِالدَّوَامِ تُعَا   دَى وَ هْوَ عَنْ كُلِّ مَا يُرْضِيكَ لَنْ يَحِدَا
قَدْ صَارَ مُنْقَطِعًا لِمَنْ يُحِبُّ فَلَا ٱخْتِلَالٌ فِي حُبِّهِ مِنْهُ يُرَى أَبَدَا
وَ قِيلَ أَيْضًا هُوَ ٱلْمُخْتَصُّ وَ هْوَ كَمَا   قَالُوا ٱلْفَقِيرُ ٱلْغَنِيُّ أَيْنَمَا شَهِدَا
فَهْوَ ٱلْغَنِيُّ بِرَبِّهِ ٱلْفَقِيرُ لَهُ   إِذْ قَامَ بِٱلْخِدْمَةِ ٱلَّتِي بِهَا سَعِدَا
وَ خُلَّةُ اللهِ لِلْخَلِيلِ نُصْرَتُهُ   وَ جَعْلُهُ لِلَّذِينَ بَعْدَهُ سَنَدَا
فَإِنَّهُ جَاءَهُ جِبْرِيلُ يَسْأَلُ هَلْ   مِنْ حَاجَةٍ وَ هْوَ ضِمْنَ ٱلْمَنْجَنِيقِ غَدَا
فَقَالَ دُونَ مِرَا أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا   حَسْبِي ٱلْعَلِيمُ الَّذِي لِحَالَتِي شَهِدَا
وَ قَدْ كَفَاهُ ٱلْإِلَهُ حَرَّ نَارِهِمُ   وَ صَارَ بَرْدًا عَلَيْهِ بَعْدَمَا اتَّقَدَا
فَاللهُ يَتَّخِذُ ٱلْخَلِيلَ خَادِمَهُ   حَقًّا وَ لَمْ يَتَّخِذْ سُبْحَانَهُ وَلَدَا
وَ قِيلَ خُلَّتَهُ أَنْ لَا يُؤَاخِذَهُ   بِمَا جَنَاهُ وَ عَنْهُ يَكْشِفُ ٱلْكَمَدَا
وَلَيْسَ قَلْبُ ٱلْخَلِيلِ فِيهِ مُتَّسَعٌ   لِغَيْرِهِ دَائِمًا لِمَا بِهِ وَجَدَا
وَ لِلْمَحَبَّةِ أَسْرَارٌ مُنَوَّعَةٌ   فِي خُلَّةٍ لَمْ تَكُنْ أحصها عَدَدَا
وَ قَدْ عَلَتْ رُتَبًا إِذْ لِلْحَبِيبِ بِهَا   كَانَ الشُّفُوفُ الَّذِي مَا لِلْخَلِيلِ غَدَا
وَ كُلُّ مَا قِيلَ فِي مَعْنَى ٱلْخَلِيلِ وَ فِي   مَعْنَى ٱلْحَبِيبِ يُرَاعَى فِيهِ مَا وَرَدَا
فَنَزِّهِ ٱلْحَقَّ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ   وَ قُلْ بِتَأْوِيلِ مَا تَرَاهُ منتقدا
وَ ٱلْمُصْطَفَى خُلْقُهُ ٱلْقُرْآنُ كَانَ بِمَا   يَرْضَاهُ يَرْضَى وَ فِيمَا عَابَهُ حَرِدَا
يَرْضَى بِمَا اللهُ يَرْضَاهُ وَ يَسْخَطُ مِمَّا اللهُ يَسْخَطُ حَتَّى يُرْضِيَ الصَّمَدَا
فَحُبُّهُ كَانَ فِي ٱلْمَوْلَى يَزِيدُ بِهِ   وَجْدًا عَظِيمًا عَلَى وَجْدٍ لِغَيْرِ مَدَى
وَ لَا مَلَامَةَ إِنْ أَنْشَدْتُ فِيهِ عَلَى   لِسَانِهِ فِي خِطَابِ ٱلْحَقِّ مُتَّئِدَا
لَقَدْ تَخَلَّلْتَ مَجْرَى ٱلرُّوحِ مِنْ جَسَدِي   فَقِيلَ فِيكَ خَلِيلٌ خَلَّلَ ٱلْجَسَدَا
فَإِنْ نَطَقْتُ فَلِي ٱلْحَدِيثِ فِيكَ وَ إِنْ   أَنَا سَكَتُّ فَقَدْ سَكَنْتَ لِي ٱلْخَلَدَا

فَفِيهِ خُلَّتَهُ تَمَّتْ بِلَا خَلَلٍ   مَعَ ٱلْمَحَبَّةِ إِذْ فِيهِ هُمَا اتَّحَدَا

فَٱقْدِرْ بِهَذَا مَقَامَ قَدْرِ صَاحِبِهِ   فِي ٱلْغَارِ فَهْوَ بِحُبِّ ٱلْمُصْطَفَى سَعِدَا
وَ مَنْ أَحَبَّ الرَّسُولَ نَالَ مَنْقَبَةً   عَظِيمَةً عِنْدَهُ وَ عِنْدَ مَنْ عُبِدَا
مَحَبَّةُ اللهِ فِي اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ   وَ كُلُّ مَنْ قَدْ أَطَاعَهُ حَوَى الرَّشَدَا
فَفِي إِطَاعَتِهِ كَمَالُ طَاعَتِهِ   وَ مَنْ عَصَاهُ غَدَا بِاللهِ مُلْتَحِدَا
وَ لَا يُحِبُّ ٱلْإِلَهُ ٱلْمُلْحِدِينَ وَ لَا   يَرْضَى ٱلْعِبَادَةَ مِنْ عَبْدٍ لَهُ جَحَدَا
قَالَ ٱبْنُ فورك نَقْلاً عَنْ جَهَابِذَةٍ   مَعَ ٱخْتِصَارٍ لِمَا فِيهِ أَطَالَ يَدَا
إِنَّ ٱلْخَلِيلَ رَجَا غُفْرَانَ زَلَّتِهِ   وَ لِلْحَبِيبِ مَعَ ٱلْغُفْرَانِ نَيْلُ جَدَا
هَذَا لَهُ طَمَعٌ وَذَا ٱلْيَقِينُ لَهُ   وَ ٱلْفَرْقُ بَيْنَهُمَا لَدَى ٱلْعِيَانِ بَدَا
وَ لِلْحَبِيبِ شُهُودٌ دُونَ وَاسِطَةٍ   وَلِلْخَلِيلِ بِهَا فِي كُلِّ مَا شَهِدَا
وَ لِلْخَلِيلِ لِدَفْعِ ٱلْخِزْيِ خَيْرُ دُعَا   وَ لِلْحَبِيبِ بِدَفْعِ ٱلْخِزْيِ قَدْ وُعِدَا
وَحَسْبِيَ اللهُ فِي حَقِّ ٱلْخَلِيلِ أَتَى   وَ حَسْبُكَ اللهُ فِي حَقِّ ٱلْحَبِيبِ غَدَا
وَ رَفْعُ ذِكْرِ ٱلْحَبِيبِ دُونَ مَسْأَلَةٍ   وَ لِلْخَلِيلِ سُؤَالُ ذَاكَ قَدْ وَرَدَا
وَ قَدْ أَلَحَّ ٱلْخَلِيلُ فِي الدُّعَاءِ بِأَنْ   يُجَنِّبَ الرِّجْسُ عَنْهُ مَعْ بَنِيهِ مَدَا
وَ قَدْ أَرَادَ بِأَهْلِ ٱلْبَيْتِ خَالِقُهُمْ   إِذْهَابَهُ عَنْهُمْ بِكَشْفِ كُلِّ رَدَى
شَتَّانَ مَا بَيْنَ مَنْ أَرَادَ مَسْأَلَةً   وَ بَيْنَ مَنْ نَالَهَا عَفْوًا وَنَالَ هُدَى
فَٱعْرِفْ بِذَلِكَ مِقْدَارَ ٱلْخَلِيلِ وَ مِقْدَارَ ٱلْحَبِيبِ ٱلَّذِي مَقَامُهُ صَعِدَا
وَ قِفْ مَعَ ٱلْأَدَبِ ٱلْمَطْلُوبِ مِنْكَ لَدَى   تَفْضِيلِ هَذَا وَذَا فَٱلْكُلُّ قَدْ حُمِدَا
وَ إِن أَفْضَلَ خَلْقِ اللهِ قَاطِبَةً   مُحَمَّدٌ فِي جَمِيعِ مَا خَفَا وَ بَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ ٱلْإِلَهُ مَا تَكَامَلَ فِي   عَلْيَائِهِ قَدْرُهُ فِي مَجْمَعِ الشُّهَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى مُحِبِّ جَانِبِهِ   مَا قَامَ لِلهِ بِٱلْإِخْلَاصِ مَنْ عَبَدَا

فصل

في تفضيله صلى الله عليه و سلم بالشفاعة و المقام المحمود

مَقَامُ خَيْرِ ٱلْوَرَى فِي ٱلْمَجْدِ قَدْ صَعِدَا   وَعِنْدَ أَهْلِ ٱلْهُدَى وَ اللهِ قَدْ حُمِدَا
وَ فِي ٱلْمَقَامِ الحَمِيدِ اللهُ يَبْعَثُهُ   وَ لِلشَّفَاعَةِ ثَمَّ فِي الوَرَى قُصِدَا

مَقَامُهُ عَنْ يَمِينِ ٱلْعَرْشِ وَهْوَ بِهِ   ترى شفاعته لِكُلِّ مَنْ وُجِدَا
وَ نَزِّهِ ٱلْحَقَّ مِنْ كَوْنِ النَّبِيْ مَعَهُ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ ثَمَّ أَوْبِهِ اتَّحَدَا
فَاللهُ جَلَّ عُلَاهُ أَنْ يُشَارِكَهُ   مَخْلُوقُهُ فِي التَّجَلِّي فَهْوَ قَدْ مَجُدَا
وَفِي ٱلْحَدِيثِ الطَّوِيلِ فِي شَفَاعَتِهِ   كَمَالُ تَشْرِيفِهِ عَلَى ٱلْوُجُودِ بَدَا
وَ النَّاسُ فِي ٱلْحَشْرِ حَقًّا يُحْشَرُونَ جُثًى   كُلٌّ يُنَادِي نَبِيَّهُ بِكُلِّ نِدَا
يَأْتُونَ هَذَا وَ هَذَا سَائِلِينَ لَهُمْ   شَفَاعَةً وَ هُمُ تَنَفَّسُوا ٱلصُّعَدَا
حَتَّى يَؤُمُّونَهُ مُسْتَشْفِعِينَ بِهِ   وَ لَا يَرُدُّهُمُ وَ ٱلْحَقُّ قَدْ حَرِدَا
وَيُحْشَرُ النَّاسُ وَ هْوَ بَيْنَ أُمَّتِهِ   وَ هُمْ بِهِ سُعَدَا وَ قَدْرُهُمْ صَعِدَا
وَ فِي مَقَامَاتِهِ سِوَاهُ يغبطه   بَيْنَ النَّبِيِّينَ حَيْثُ بِٱلْعُلَى ٱنْفَرَدَا
يَقُولُ عَنْ طَلَبٍ أَنَا لَهَا وَ لَهُ   أَنَالَهَا اللهُ بَيْنَ سَائِرِ السُّعَدَا
يَقُومُ يُثْنِي عَلَى ٱلْمَوْلَى بِخَيْرِ ثَنَا   بِمِثْلِهِ لَمْ يَكُ السِّوَى بِهِ حَمِدَا
يَقُولُ لَبَّيْكَ إِنَّ ٱلْخَيْرَ عِنْدَكَ وَ ٱلْهُدَى وَ الْمُهْتَدِي مَنْ مِنْكَ نَال هُدَى
وَ الشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ لَا مَلَاذَ وَ لَا   مَلْجَا وَمَنْجَى سِوَى إِلَيْكَ مِنْكَ بَدَا
سُبْحَانَكَ اللهُ رَبُّ ٱلْبَيْتِ جَلَّ عُلَا   كَ ارْحَمْ عِبَادَكَ أَنْتَ خَيْرُ مَنْ عُبِدَا
يَقُولُ هَذَا وَ قَدْ نَالَ الأَمَانَ وَ فِي   عُلَاهُ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ قَدْ وَرَدَا
هُنَاكَ يسمع مَوْلَاهُ يَقُولُ لَهُ   عَبْدِي مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرُ مَنْ وُجِدَا
اِشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ مُنَاكَ فَقَدْ   أَعْطَيْتُكَ ٱلْقَصْدَ وَ ٱلْخَيْرَاتِ وَ ٱلْمَدَدَا
وَ يَأْذَنُ ٱلْحَقُّ بِٱلْمُرُورِ فَوْقَ صِرَا   طِهِ وَ النَّبِي عليه قتد وردا
وعند جنبتي الصِّرَاطِ قَامَ مَعَ   الأمانة الرحم التي لها شهدا
وَ ٱلْمُصْطَفَى قَائِلٌ سَلِّمْ إِلَهِيَّ سَلِّمْ وَ ٱلْخَلَائِقُ فِي هَوْلٍ لَهُمْ حُشِدَا

يَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي فَيَمْنَحُهُ   مَا شَاءَهُ مِنْ أَمَانٍ مَعْ كَمَالِ جَدَا
يَقُولُ يَارَبِّ عَجِّلْ بِٱلْحِسَابِ لَهُمْ   وَ اسبل رِضَاكَ عَلَيْهِمُ بِغَيْرِ رَدَى
وَفِيهِمُ قَدْ أَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ   وَ كَانَ خَبَّأَهَا لَهُمْ كَمَا وَرَدَا
وَ ٱخْتَارَ عَنْهُ دُخُولُ نِصْفِ أُمَّتِهِ   لِجَنَّةٍ لِعُمُومِ النَّفْعِ فِي الشُّهَدَا
وَ يَسْتَجِيبُ لَهُ الْمَوْلَى وَ يُدْخِلُهُمْ   لِجَنَّةٍ غَيْرَ مَنْ لِشَرْعِهِ جَحَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ طَالِبًا نَجَاةَ أُمَّتِهِ   وَ اللهُ مُسْعِفُهُ فِيهِمْ بِمَا قَصَدَا

فَمِنْهُمُ دَاخِلٌ لَهَا بِرَحْمَتِهِ   وَ مِنْهُمُ مَنْ بِهِ فِي أَوْجِهَا صَعِدَا
يُعْطِي صِكَاكَ رِجَالٍ كَانَ حُقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْعَذَابُ وَ هُمْ بِهِ غَدَوا سُعَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ شَمَلَتْ حَقًّا شَفَاعَتُهُ   مِمَّنْ إِذَا عُدِّدُوا لَمْ أُحْصِهِمْ عَدَدَا
لَا سِيَّمَا مَنْ بِهِ قَدْ آمَنُوا فَلَهُ   بِهِمْ مَزِيدٌ ٱعْتِنَاءٍ لَمْ يَدَعْ كَمَدَا
بُشْرَى لِمَنْ عِنْدَهُ أَدَّى شَهَادَتَهُ   فَعُدَّ بَيْنَ ٱلْوَرَى فِي زُمْرَةِ الشُّهَدَا
فَكُلُّ مَنْ قَالَهَا حَقَّتْ شَفَاعَتُهُ   لَهُ وَ أَحْرَزَ فِي الدَّارَيْنِ خَيْرَ جَدَا
وَ كَمْ لِهَذَا الرَّسُولِ مِنْ يَدٍ شَمِلَتْ   كُلَّ ٱلْعِبَادِ وَمِنْهُمْ لَمْ يَرُدَّ يَدَا
جَازَاهُ عَنْ فِعْلِهِ ٱلْإِلَهُ خَيْرَ جَزَا   وَزَادَهُ شَرَفًا يُطَاوِلُ الأَبَدَا
مَعَ ٱلصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَ السَّلَامِ بِلَا ٱنْتِهَا تَعُمُّ مُحِبِّيهِ لِغَيْرِ مَدَى

فصل

في تفضيله عليه السلام في الجنة بالوسيلة
و الدرجة الرفيعة و الكوثر و الفضيلة

قَدْرُ النَّبِي ٱرْتَقَى فِي ٱلْمَجْدِ مُنْفَرِدَا   لِمْ لَا وَ مِنْ أَجْلِهِ ٱلْوُجُودُ قَدْ وُجِدَا
لَهُ ٱلْوَسِيلَةُ حَقًّا وَ هْيَ مَنْزِلَةٌ   مِنْ فَوْقِ أَعْلَى ٱلْعُلَى مَقَامُهَا صَعِدَا
بِشَأْنِهَا نَوَّهَ النَّبِيُّ أَعْظَمَ تَنْوِيهٍ عَلَا فَوْقَ مَا تَنْوِيهِ مُعْتَقِدَا
أَعْظِمْ بِهَا رُتْبَةً لَا تَنْبَغِي لِسِوَا   هُ حَيْثُ صَارَ بِهَا فِي ٱلْجَنَّةِ ٱنْفَرَدَا
وَ حَثَّ أُمَّتَهُ عِنْدَ الأَذَانِ عَلَى   أَنْ يَسْأَلُوهَا لَهُ مُذْ نُورُهَا شَهِدَا

فَكُلُّ مَنْ لِلنَّبِيِّ صَارَ يَسْأَلُهَا
فَبِالشَّفَاعَةِ مِنْهُ عِنْدَهُ وُعِدَا
وَالْوَعْدُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ
إِلَّا تَحَقُّقُ فِعْلٍ لَا يَكُونُ سُدَى
وَلِلنَّبِي الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ بِهِ
مَوْلَاهُ أَتْحَفَهُ وَزَادَهُ مَدَدَا
وَحَافَتَاهُ قِبَابُ لُؤْلُؤٍ وَتُرَا
بُهُ مِنَ الْمِسْكِ مَحْلُولًا وَمُنْعَقِدَا
حَصْبَاؤُهُ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ حَيْثُ جَرَى
أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ عِنْدَ سَائِرِ الشُّهَدَا
يَجْرِي إِلَى الْحَوْضِ مِنْ أَرْضِ الْجِنَانِ وَقَدْ
رَاهُ خَيْرُ الْأَنَامِ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَاللهُ أَعْطَاهُ مَا أَعْطَى لِيُرْضِيَهُ
بِهِ وَقَدْ زَادَهُ عَلَيْهِ خَيْرَ جَدَا
أَعْطَاهُ أَلْفًا مِنَ الْقُصُورِ دَاخِلَهَا
مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ نَضَدَا
أَعْطَاهُ خَيْرَ شَفَاعَةٍ لِأُمَّتِهِ
حَقًّا وَحَاشَاهُ أَنْ يَرْضَى لَنَا بِرَدَى

فصل

الْمُصْطَفَى خَيْرُ مَنْ فِي الْكَوْنِ قَدْ وُجِدَا
وَخَيْرُهُ عَمَّ كُلَّ مَا خَفَا وَبَدَا
قَدْ عَمَّ مِنْهُ الْوُجُودَ كُلَّهُ مَدَدٌ
لَا شَيْءَ إِلَّا وَقَدْ أَسْدَى إِلَيْهِ يَدَا
وَاللهُ فَضَّلَهُ عَلَى خَلَائِقِهِ
وَالْفَضْلُ مِنْهُ عَلَى جَمِيعِهِمْ وَرَدَا
وَكُلُّ مَا جَاءَ مِمَّا قَدْ يُخَالِفُ ذَا
فَقَدْ تَأَوَلَهُ مِنْ فَضْلِهِ شَهِدَا
كَقَوْلِهِ فِي ابْنِ مَتَّى وَالْكَلِيمَ وَفِي الْـ
ـخَلِيلِ فَهْوَ تَوَاضُعٌ بِهِ عَهِدَا
أَوْ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ لَهُ
عِلْمٌ بِتَفْضِيلِهِ وَقَدْ حَوَى رَشَدَا
أَوْ قَالَ ذَلِكَ نَهْيًا عَنْ تَنَقُّصِهِمْ
فِي حَالِ تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِمُ اطَّرَادَا
أَوْ قَالَ ذَلِكَ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ فَهْيَ لَيْسَ لَهَا تَفَاضُلٌ أَبَدَا
بَلِ النُّبُوَّةُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَبِغَيْرِهَا التَّفَاضُلُ مِنْ بَيْنِ الْجَمِيعِ غَدَا
إِمَّا بِمُعْجِزَةٍ أَوْ كَوْنِ أُمَّتِهِ
أَزْكَى وَأَمَّا بِفَضْلٍ فِيهِ قَدْ وُجِدَا
وَالْفَضْلُ فِي الذَّاتِ مِثْلُ الإِخْتِصَاصِ بِخُلَّةٍ لَهُ أَوْ بِرُؤْيَةٍ بِهَا انْفَرَدَا
أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا اللهُ فَضَّلَهُ
بِهِ وَلَيْسَ لِفَضْلِ اللهِ جَلَّ مَدَى
وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي لَا يَقُولُ أَنَا
أَنَا ضَمِيرٌ لِنَفْسِ الْقَائِلِ اتَّحَدَا

فَلَا يُفَضِّلُ شَخْصٌ نَفْسَهُ وَ يُزَكِّيهَا بِقَوْلِ أَنَا إِنْ فِي ٱلْعُلَى صَعِدَا
فَلَا يُفَضِّلُهَا عَلَى ٱلْحَقِيرِ فَأَحْرَى أَنْ يُفَضِّلَهَا عَلَى نَبِيٍّ هُدَى
إِنَّ النَّبِيَّ نَبِيٌّ فِي نُبُوَّتِهِ فَلَا يُعَادِلُهُ غَيْرُ النَّبِي أَبَدَا
فَٱعْرِفْ مَكَانَتَهُمْ وَ ٱقْدِرْ مَكَانَهُمُ ٱلْمَكِينَ مِقْدَارُهُ فِي مَجْمَعِ الشُّهَدَا
لَاسِيَّمَا ٱلْمُصْطَفَى مُحَمَّدًا فَلَهُ فِي ذَاتِهِ مَا بِهِ قَدْ صَارَ مُنْفَرِدَا
مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ فَمَا رَأَى ٱلْعَالَمُونَ مِثْلَهُ أَحَدَا
فَمَبْلَغُ ٱلْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ لَكِنَّهُ خَيْرُ كُلِّ ٱلْخَلْقِ مُنْذُ بَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ ٱلْإِلَهُ مَا تَكَامَلَ فِي عَلْيَاهُ كُلُّ جَمَالٍ هَا هُنَا وَ غَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى الآلِ الَّذِينَ هُمُ أَهْلُ ٱلْكَمَالِ وَ مَنْ قَدِ اهْتَدَى وَ هَدَى

فصل

في أسمائه عليه السلام و ما تضمنته من فضيلته

أَسْمَاءُ خَيْرِ ٱلْوَرَى بِهَا ٱلْجَمَالُ بَدَا وَ فِي ٱلْمُسَمَّى بِهَا سِرُ ٱلْكَمَالِ غَدَا
مِنْهَا مُحَمَّدٌ الَّذِي مَحَاسِنُهُ تَعَدَّدَتْ وَ بِهَا خَيْرُ الوَرَى ٱنْفَرَدَا
وَ إِنَّهُ أَحْمَدُ ٱلْمَاحِي الَّذِي ٱجْتَمَعَتْ فِيهِ المَحَامِدُ عِنْدَ سَائِرِ الشُّهَدَا
مَحَا بِهِ اللهُ رَسْمَ الشِّرْكِ ثُمَّ بِهِ مَدَّ ٱلْهُدَى وَ بِهِ أَمَدَّنَا مَدَدَا
وَ ٱلْمَحْوُ مَعْنَاهُ مَحْوُ السَّيِّئَاتِ عَنِ الألى قَدِ اتَّبَعُوهُ فِي طَرِيقِ هُدَى
أَوْ مَحْوُهُ بِظُهُورِ سِرِّ مِلَّتِهِ قَدْ أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَ مَنْ لَهُ جَحَدَا
وَ كَانَ أَحْمَدُ مَحْمُودٌ وَ أَحْمَدُ حَامِدٌ عَلَيْهِ لِوَاءُ ٱلْحَمْدِ قَدْ عُقِدَا
وَ قَبْلَ مِيلَادِهِ قَدْ شَاعَ أَنَّ مُحَمَّدًا سَيَظْهَرُ وَ هْوَ خَيْرُ مَنْ وُجِدَا
إِذْ ذَاكَ سَمَى بَنِيهِمْ بِاسْمِهِ نَفَرٌ لَكِنَّهُمْ مَا ادَّعَوْا نُبُوَّةً أَبَدَا
فَابْنُ أَحِيحَةَ مِنْهُمْ وَ ابْنُ مُسْلمةَ مَعَ ابْنِ بَدَّاءَ أَوْ بَرَاءَ هُمْ سُعَدَا
مَعَ ابْنِ سُفْيَانَ وَ ابْنِ اليحمدِ بن خُزَاعي و ابن عمران أَو حمران و اعتمدَا
وَ قَبْلَهُ مَا تَسَمَّى بِاسْمِ أَحْمَدَ غَيْرُهُ وَ سِرُّ ٱسْمِهِ بِذَاتِهِ اتَّحَدَا
فَٱلْأَنْبِيَاءُ بِهِ قَدْ بَشَّرُوا وَ حَمَى اللَّهُ اسْمَهُ إِذْ بِهِ قَدْ كَانَ مُنْفَرِدَا

وَ أَنَّهُ الْحَاشِرُ الَّذِي سَيَتْبَعُهُ
لِلْحَشْرِ مِنْ بَعْدِهِ مِمَّنْ بِهِ سَعِدَا
وَ أَنَّهُ الْعَاقِبُ الَّذِي أَتَى عَقِبَ الأَ
رْسَالِ وَ الأَنْبِيَاءِ يُوضِحُ الرَّشَدَا
فَلَا نَبِيٌّ يَكُونُ بَعْدَهُ وَ عَلَى
مِنْهَا جد أن يجي عِيسَى الْمَسِيحُ غَدَا
أَتَى بِأَوْضَحِ مِلَّةٍ لِأُمَّتِهِ
وَ هُمْ عَلَى النَّاسِ طُرًّا قَدْ غَدَوْا شُهَدَا
وَ هْوَ الْمُقَفَّى لِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ بِهِمْ
قَدِ اقْتَدَى وَ لَهُ قَدِ اقْتَفَى السُّعَدَا
وَ أَنَّهُ قَيِّمٌ وَ أَنَّهُ قُثَم
وَ هْوَ الَّذِي فِي السُّرَاةِ قَدْ غَدَا سَنَدَا
الْجَامِعُ الْخَيْرِ وَ هْوَ مَنْ بِهِ خَتَمَ اللـ
ـهُ الْعُلَى، وَ بِهِ اللهُ الْعَلَاءَ بَدَا
وَ هْوَ النَّبِيُّ الَّذِي أَقَامَ سُنَّةَ مَنْ
مَضَى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ اهْتَدَى وَ هَدَى
وَ اللهُ سَمَّاهُ طَهَ فَهْوَ ظَاهِرُ فَضْـ
ـلٍ دَائِمًا طَاهِرٌ هَادٍ حَوَى رَشَدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّهِ يَاسِينُ فَهْوَ بِلَا
شَكٍّ غَدَا سَيِّدًا فِي الْحَقِّ مُعْتَمَدَا
نَبِيُّ مَلْحَمَةٍ رَسُولُ مَرْحَمَةٍ
وَ رَاحَةٌ شَمِلَتْ كُلَّ الْأَنَامِ يَدَا
وَ هْوَ الْمُدَثِّرُ وَ الْمُزَمِّلُ الْعَرَبِيْ
وَ خَاتِمُ الأَنْبِيَا وَ سَيِّدُ الشُّهَدَا
يُكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي عَلَى يَدِهِ الأَ
رْزَاقُ قَدْ قُسِمَتْ طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
وَ هْوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ وَ الْمُبَشِّرُ وَ الْـ
ـحَقُّ الْمُبِينُ الَّذِي بِالْحَقِّ قَدْ شَهِدَا
وَ هْوَ السِّرَاجُ الْمُنِيرُ فِي الْغَيَاهِبِ وَ
هْوَ النُّورُ فِي سَائِرِ الْعَوَالِمِ اتَّقَدَا
وَ هْوَ الأَمِينُ الَّذِي حَقًّا لَهُ قَدَمُ الصِّـ
ـدْقِ الصِّرَطُ الْقَوِيمُ هَاهُنَا وَ غَدَا
وَ أَنَّهُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي اتَّصَلَتْ
حِبَالُهَا بِأَمَانِ اللهِ مُنْذُ بَدَا
وَ أَنَّهُ نِعْمَةُ اللهِ الَّتِي شَمِلَتْ
عِبَادَهُ وَ أَمَدَّ الْعَالَمِينَ نَدَا
وَ هْوَ الْكَرِيمُ الَّذِي الْخُلُقُ الْعَظِيمُ لَهُ
وَصْفٌ عَظِيمٌ بِهِ بَيْنَ الْوَرَى انْفَرَدَا
وَ أَنَّهُ هُوَ عَبْدُ اللهِ وَ هْوَ نَبِـ
ـيُّ التَّوْبَةِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ فِي الرُّشدَا
وَ أَنَّهُ قَائِدُ الْمُحَجَّلِينَ إِمَا
مُ الْمُتَّقِينَ حَبِيبُ اللهِ فِي السُّعَدَا
وَ أَنَّهُ سَيِّدُ الأَرْسَالِ سَيِّدُ نَسْـ
ـلِ آدَمَ الْمُجْتَبَى النَّجْمُ الَّذِي صَعِدَا
وَ أَنَّهُ هُوَ دَاعِي اللهِ وَ هْوَ خَلِيلُـ
ـهُ صَاحِبُ الْحَوْضِ الَّذِي وَرَدَا
وَ صَاحِبُ التَّاجِ وَ الْمِعْرَاجِ وَ الدَّرَجِ الـ
ـرَّفِيعِ وَ هْوَ مَقَامُهُ الَّذِي حُمِدَا
وَ أَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ صَا
حِبُ الْوَسِيلَةِ وَ اللِّوَا الَّذِي مُجِدَا
وَ أَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الْفَضِيلَةِ وَ الْـ
ـبُرْهَانِ وَ الْحُجَّةِ الَّتِي بِهَا وَفَدَا

وَ أَنَّهُ هُوَّ صَاحِبُ ٱلْهَرَاوَةِ صَا   حِبُ ٱلْقَضِيبِ مَعَ النَّعْلَيْنِ فِي الشُّهَدَا
وَ أَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ العَلَامَةِ وَ السُّلْطَانِ وَ ٱلْمُصْلِحُ الَّذِي حَوَى رَشَدَا
ٱلْخَاتِمُ ٱلْخَاتِمُ الَّذِي بِهِ خَتَمَ اللَّهُ النَّبِيئِينَ وَ هْوَ قَبْلَهُمْ وُجِدَا
وَ أَنَّهُ هُوَّ رَاكِبُ النَّجِيبِ وَرَا   كِبُ ٱلْبُرَاقِ الَّذِي فَوْقَ ٱلْعُلَى صَعِدَا
وَ مِنْ أَسَامِيهِ جَاءَ (البارقليط) وَ مَعْنَاهُ بِهِ فَسَّرَ ٱلْفَارُوقُ فِي الرُّشَدَا
وَ هْوَ ٱلْمُقَدَّسُ رُوحُ ٱلْقُدْسِ وَ المُتَوَكِّلُ ٱلْمُقِيمُ لِسُنَّةِ ٱلْهُدَى الأَبَدَا
وَ أَنَّهُ فِي ٱلْوَرَى ٱلْمُخْتَارُ بَيْنَهُمُ   وَ أَنَّهُ هُوَ رُوحُ ٱلْحَقِّ قَدْ شهدَا
وَ مِنْ أَسَامِيِّهِ مَاذ مَاذ وَ هْوَ بِمَعْنَى طَيِّبٌ طَيِّبٌ وَ الطِّيبُ مِنْهُ غَدَا
وَ مِنْ أَسَامِيِّهِ حمطايا و مبير الحَامِي حِمَى ٱلْحَرَمِ الَّذِي بِهِ وُلِدَا
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ مَنْ يُعْطِي ٱلْحَلَالَ وَ يَمْنَعُ ٱلْحَرَامَ وَ مَنْ بِهِ احْتَمَى سَعِدَا
وَ مِنْ أَسَامِيِّهِ فِي التَّوْرَاةِ أحيد و هْوَ أَحْمَدُ ٱلْمُصْطَفَى الَّذِي سَنَاهُ بَدَا
وَ المنحمنا كَذَا مشقح وَ كِلَا   هُمَا بِمَعْنَى مُحَمَّدٍ وَ قَدْ حمدَا
وَ كَمْ أَسَامٍ وَ أَلْقَابٍ لَهُ وَ صِفَا   تٍ قَدْ تَحَلَّى بِهَا لَمْ أُحْصِهَا عَدَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الإِلَهُ مَا تَوَارَدَتِ الآ   لَاءُ مِنْهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ دُونَ مَدَى
مَعَ السَّلَامِ عَلَيْهِ دَائِمًا وَ عَلَى   ذَوِيهِ مَعْ تَابِعِيهِ فِي طَرِيقِ هُدَى

فصل

في تشريف الله تعالى له صلى الله عليه و سلم بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته تعالى

فَضْلُ النَّبِيِّ عَلَى ٱلْوُجُودِ قَدْ شهدَا   وَ الأَنْبِيَاءُ عَلَى مَا قُلْتُهُ شُهَدَا
وَ هُمْ وَ إِنْ خُصِّصُوا بِخَيْرِ مَكْرُمَةٍ   فَٱلْمُصْطَفَى نَالَهَا مَعْ مَا بِهِ ٱنْفَرَدَا
مِنْ نُورِ أَسْمَائِهِ قَدْ أُلْبِسُوا حُلَلاً   بِهَا قَدِ ابْتَهَجُوا فِي حَضْرَةِ ٱلسُّعَدَا
وَ ٱلْمُصْطَفَى بَيْنَهُمْ كَسَاهُ أَبْهَجَهَا   فِي سَائِرِ ٱلْحَضَرَاتِ هَاهُنَا وَ غَدَا
مِنْهَا الحَمِيدُ وَ حَقُّ الحَمْدِ قَامَ بِهِ   فَكَانَ بَيْنَ ٱلْأَنَامِ خَيْرَ مَنْ حَمِدَا

فَكَانَ أَفْضَلَ حَمَّادٍ وَ أَكْمَلَ مَحْمُودٍ مِنَ ٱلْخَلْقِ فِي أَوْجِ ٱلْعُلَى صَعِدَا

مِنْهَا الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ حَيْثُ سِرُّهُمَا   بِقَلْبِهِ قَامَ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
فَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي مَوَاقِفِهِمْ   بَرًّا رَؤُوفًا رَحِيمًا سَيِّدًا سَنَدَا
مِنْهَا سَنَاء اسْمِهِ الحَق المُبِين فَفِيهِ قَدْ تَكَامَلَ حَقًّا أَيْنَمَا شهدَا
فَقَدْ أَبَانَ الْهُدَى فَبَانَ بَيْنَ ذَوِي الهُدَى سَبِيلُ هُدَاهُ فِي أَتَمِّ هُدَى
مِنْهَا تَسَمِّيهِ بِالنُّورِ الْمُنَوِّرِ لِلْوُجُودِ إِذْ كُله مِنْ أَجْلِهِ وُجِدَا
فَهْوَ السِّرَاجُ الْمُنِيرُ لِلْقُلُوبِ بِمَا   بِهِ مِنَ الحَقِّ لِلْعِبَادِ قَدْ وَرَدَا
أَنَارَ أَبْصَارَهُمْ أَجْلَى بَصَائِرَهُمْ   مَنْ لَمْ يَفُزْ بِهُدَاهُ لَمْ يَفُزْ أَبَدَا
مِنْهَا الشَّهِيدُ بِهِ جَلَّتْ مَشَاهِده   لِلْحَقِّ وَ هْوَ بِهِ قَدْ أَيَّدَ الشُّهَدَا
فَشَاهِدُ الحَقِّ وَ الشُّهُودُ مُبْتَهِجٌ   بِهِ وَ سَائِرُهُ بِفَضْلِهِ شَهِدَا
مِنْهَا الكَرِيمُ بِهِ جَلَتْ مَكَارِمُهُ   بَيْنَ الوَرَى وَ لَهُمْ أَسْدَى جَدًا وَيَدَا
أَلَيْسَ فِي الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ أَكْرمهمْ   خلقا و خلقا وَ فَضْلاً طَاوَلَ الأَبَدَا
مِنْهَا العَظِيمُ الَّذِي مَوْلَاهُ عَظَّمَهُ   حَتَّى غَدَا بِكَمَالِ الْفَضْلِ مُنْفَرِدَا
قَدْ جَلَّ ذَاتًا وَ وَصْفًا عِنْدَ خَالِقِهِ   فَتَمَّ حِسًّا وَ مَعْنًى فَاهْتَدَى وَ هَدَى
مِنْهَا تَسَمِّيهِ بِالْجَبَّارِ حَيْثُ بِهِ الْقُلُوبُ يَجْبُرُ كَسْرَهَا هُنَا وَ غَدَا
فَكَانَ بِالْحَقِّ قَهَّارًا لِمَنْ جَحَدُوا   وَ الْحَق يَقْهَرُ حَقًّا كُلَّ مَنْ جَحدَا
مِنْهَا الْخَبِيرُ الَّذِي الْعَلِيمُ أَطْلَعَهُ   عَلَى خَفَايَا زَوَايَا الكَوْنِ فِي السعدَا
وَ هْوَ الْعَلِيمُ الَّذِي الْخَبِيرُ أَخْبَرَهُ   بِمَا بِهِ مِنْهُ حَقًّا نَوَّرَ الْخَلَدَا
فَكَانَ مُطَّلِعًا عَلَى الْحَقَائِقِ بِالْعِلْمِ اللَّدْنِّي الَّذِي قَدْ زَادَهُ رَشَدَا
فَاسْأَلْ خَبِيرًا بِهِ يُنَبِّئْكَ أَنَّ لَهُ   عِلْمًا مُحِيطًا بِشَأْنِ كُلِّ مَا وُجِدَا
وَ لَيْسَ بِدْعًا إِذَا مَا كَانَ يَعْلَمُهُ   وَ اللهُ أَعْلَمَهُ بِمَا خَفَا وَ بَدَا
مِنْهَا تَسَمِّيهِ بِالفَتَّاحِ حَيْثُ بِهِ انْفِتَاحُ أَبْوَابِ مَا عَلَى الْوَرَى وَرَدَا
لَا خَيْرَ يَجْرِي لَهُمْ إِلَّا عَلَى يَدِهِ   لَوْلَاهُ مَا أَحَدُ مِنْهُمْ حَوَى مَدَدَا
فَإِنَّهُ فَاتِحُ الأَبْوَابِ مُغْلِقُهَا   وَ اللهُ فِي خَلْقِهِ لَهُ أَطَالَ يَدَا
وَ الْأَنْبِيَاءُ بِهِ قَدْ بَشَّرُوا فَهُمْ   مِنْ قَبْلِهِ قَدْ غَدَوا نُوَّابَهُ الرُّشَدَا
فَكَانَ أَوَّلَهُمْ فِي الفَضْلِ آخِرُهُمْ   فِي البَعْثِ خَاتِمُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى حُمِدَا

مِنْهَا الشَّكُورُ بِهِ أَنْفَاسُهُ صُرِفَتْ   فِي طَاعَةِ اللهِ فَهْوَ خَيْرُ مَنْ عَبَدَا

قَدْ قَامَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ لَهُ ٱلْقَدَمَا   نِ فِي مُصَلَّاهُ فِي رِضَاهُ مُجْتَهِدَا
مِنْهَا ٱلْقَوِيُّ وَ قَدْ قَوَّاهُ خَالِقُهُ   فَكَانَ ذَا قُوَّةٍ عَلَى ٱلْهُدَى ٱسْتَنَدَا
مِنْهَا ٱلْوَلِيُّ مَعَ ٱلْمَوْلَى وَسِرُّهُمَا   بِسِرِّهِ بَيْنَ سَائِرِ ٱلْوَرَى ٱتَّحَدَا
فَكَانَ بِٱلْحَقِّ نَاصِرًا لِكُلِّ وَلِيْ   وَ لَا وَلِيُّ سِوَى مَنْ وَحَّدَ ٱلْأَحَدَا
وَ ٱلْمُصْطَفَى الصَّادِقُ ٱلْمَصْدُوقُ بَيْنَ ذَوِي التَّصْدِيقِ وَ الصِّدْقِ كَانَ أَصْدَقَ الشُّهَدَا
وَ قَالَ مَنْ كنت مَوْلَاهُ أَنَا فَعَلِيْ   مَوْلَاهُ لِمْ لَا وَ فِي ٱلْعُلَى عَلِيْ صَعِدَا
وَ قَدْ تَحَقَّقَ صِدْقُهُ وَ حَقَّ لِمَنْ   قَدْ صَدَّقُوهُ بِأَنْ يَحْظَوْا بِكُلِّ جَدَا
وَ هْوَ الْعَفُوُّ وَ مَعْنَاهُ الصَّفُوحُ وَ قَدْ   تَحَقَّقَ الظَّنُّ فِيهِ هَاهُنَا وَ غَدَا
وَ أَنَّهُ ٱلْمُرْشِدُ ٱلْهَادِي الَّذِي سَلَكَتْ   عَلَى يَدَيْهِ هُدَاةٌ فِي طَرِيقِ هُدَى
فَهُمْ بِهِ مُهْتَدُونَ وَ ٱلْمُوَفَّقُ مَنْ   بِهَدْيِهِ يَقْتَدِي فِيمَا خَفَا وَبَدَا
أَكْرِمْ بِهِ فَهْوَ طَهَ طَاهِرُ النَّسَبِ ٱلْمَحْمُودِ هَادِي ٱلْعِبَادِ عَنْ طَرِيقِ رَدَى
وَ ٱعْرِفْ بِهِ فَهْوَ يَسٌّ الَّذِي رُفِعَتْ   فِي ٱلْمَجْدِ رَايَتُهُ وَ قَدْرُهُ مَجُدَا
وَ هْوَ ٱلْمُهَيْمِنُ وَ هْوَ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْحَسَنُ ٱلْوَصْفِ ٱلْأَمِينُ ٱلْمُوَفِّي بِالَّذِي وَعَدَا
قَبْلَ النُّبُوَّةِ قَدْ شَاعَتْ أَمَانَتُهُ   وَ لِلْبَرِيَّةِ أَدَّاهَا بِخَيْرِ أَدَا
وَ هْوَ ٱلْمُقَدَّسُ مِنْ كُلِّ ٱلذُّنُوبِ وَ مِنْ   كُلِّ ٱلْعُيُوبِ بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ جَحَدَا
وَ هْوَ ٱلْبَشِيرُ النَّذِيرُ غَيْرُ مُنْخَدِعٍ   وَ فِي جَمِيعِ ٱلْأُمُورِ سَارَ مُعْتَمَدَا
وَ هْوَ ٱلْعَزِيزُ الَّذِي مَوْلَاهُ عَزَّزَهُ   بِمَا بِهِ فِي كَمَالٍ صَارَ مُنْفَرِدَا
صَلَّى ٱلْإِلَهُ عَلَيْهِ فَهْوَ مَانِحُهُ   بِكَامِلِ ٱلْوَصْفِ بَيْنَ كُلِّ مَنْ وُجِدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَيْهِ شَامِلًا لِجَمِيعِ ٱلْآلِ وَ الصَّحْبِ وَ الْأَتْبَاعِ دُونَ مَدَا

فصل

ٱلْمُصْطَفَى قَدْ حَبَاهُ اللهُ خَيْرَ جَدَا   وَ زَادَهُ مَا بِهِ قَدْ فَاقَ مَنْ وُجِدَا
فَكَانَ أَفْضَلَ مَخْلُوقٍ أَفَاضَ عَلَيْهِ اللهُ خَيْرًا بِهِ قَدْ صَارَ مُنْفَرِدَا
لَا خُلْقَ أَفْضَلَ مِنْهُ عِنْدَ خَالِقِهِ   وَ لَا تَرَى عَاقِلًا فِي فَضْلِهِ عَنَدَا

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمُ   وَ انْسُبْ لَهُ كُلَّ فَضْلٍ قَدْ خَفَا وَ بَدَا

فَكُلُّ مَا كَانَ أَوْ يَكُونُ فَهْوَ عَلَى   يَدَيْهِ يَمْنَحُ مِنْ بَيْنِ ٱلْوُجُودِ يَدَا
لَوْلَاهُ مَا لَبِسَ ٱلْوُجُودُ حُلَّتَهُ   حَتَّى غَدَا فِي جَمَالِهِ الَّذِي شَهِدَا
لَوْلَاهُ مَا ٱعْتَزَّ مَخْلُوقٌ بِخَالِقِهِ   لَوْلَاهُ مَا عُرِفَ اللهُ الَّذِي عُبِدَا
وَ ٱعْلَمْ بِأَنَّ الإِلَهَ لَا شَرِيكَ لَهُ   وَ ٱلْمُصْطَفَى عَبْدُهُ فِي الطَّاعَةِ اجْتَهَدَا
قَدْ وَحَّدَ اللهَ تَوْحِيدًا يَلِيقُ بِهِ   وَ قَدْ أَبَانَ لَنَا فِي ٱلْحَقِّ نَهْجَ هُدَى
وَ كُلُّ مَنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ نَزَّهَ مَوْ   لَاهُ ٱلْقَدِيمَ عَنِ ٱلْحُدُوثِ مُعْتَقِدَا
لَهُ ٱلْكَمَالَاتُ فِي ذَاتٍ وَ فِي صِفَةٍ   وَ ٱسْمٍ وَ فِعْلٍ وَ فِي سُلْطَانِهِ ٱنْفَرَدَا
وَ حَاصِلُ ٱلْقَوْلِ فِي التَّوْحِيدِ عِنْدَ ذَوِي الـ   ـتَّوْحِيدِ إِثْبَاتُ حَقٍّ شَأْنُهُ مَجُدَا
لَا شَيْءَ مِنْ سَائِرِ الأَشْيَاءِ يُشْبِهُهُ   ذَاتًا وَ وَصْفًا وَ فِعْلًا وَ ٱسْمُهُ أَبَدَا
وَ اللَّفْظُ إِنْ يَكُ فِي التَّعْبِيرِ وَافَقَهَا   فَبَيْنَ مَعْنَاهُمَا بَوْنٌ وَ إِنْ وَرَدَا
جَلَّ ٱلْقَدِيمُ بِأَنْ يَحْكِيَهُ مُحْدَثَهُ   فِي أَيِّ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ قَدْ وجِدَا
فَنَزِّهِ ٱلْحَقَّ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ   وَ لَا تَقُلْ وَصْفُهُ بِغَيْرِهِ اتَّحَدَا
وَ إِنْ يَقُلْ كُنْ يَكُنْ مَا شَاءَ لَيْسَ لَهُ   رَدٌّ وَ لَسْتَ تَرَى مِثْلَهُ أَحَدَا
وَ هَلْ مُحَمَّدٍ ٱلْمُخْتَارُ وَ هْوَ أَجَلُّ النَّاسِ قَدْرًا يُرَى عَبْدًا لَهُ عَبَدَا
فَكُنْ بِهِ خَيْرَ مُقْتَدٍ وَ سَلْهُ رِضَا الـدَّارَيْنِ فَهْوَ بِهِ يَقِيكَ كُلَّ رَدَى
وَ اللهُ يَحْفَظُنَا مِنَ ٱلضَّلَالِ وَ مِنْ   سُوءِ ٱلْمَآلِ وَ يُعْطِينَا كَمَالَ جَدَا
بِجَاهِهِ عِنْدَهُ وَ جَاهِ شِيعَتِهِ   عَلَى ٱلْجَمِيعِ صَلَاةُ اللهِ دُونَ مَدَا

الباب الرابع

فيما أظهره الله تعالى على يديه صلى الله عليه و سلم من المعجزات و شرفه به من الخصائص و الكرامات

بِمَدْحِ خَيْرِ ٱلْوَرَى تَحْظَى بِخَيْرِ جَدَا   فَٱسْتَفْرِغِ ٱلْوَقْتَ فِيهِ بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ فِيهِ نَيْلُ رِضَا   مِنْ رَبِّهِ وَ بِهِ يَقِيكَ كُلَّ رَدَى
أَلَيْسَ فِي مَدْحِهِ تِعْدَادُ مَا جَمَعَتْ   صِفَاتُهُ مِنْ كَمَالَاتٍ بِهَا ٱنْفَرَدَا

بِهِ ٱلْمُحِبُّ قَدِ ٱزْدَادَتْ مَحَبَّتُهُ   وَمَنْ بِهِ آمَنُوا ٱزْدَادُوا بِهِ رَشَدَا

وَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ أَوْصَافُهُ لَهُمُ   لِيَفْرَحُوا وَ بِهِ يَسْتَجْلِبُوا الْمَدَدَا
وَ لَا كَلَامَ لَنَا مَعَ الْبَغِيضِ وَ لَا   مَعَ الَّذِي لِعَظِيمِ فَضْلِهِ جَحَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ مُنْصِفٍ لَمَّا اسْتَبَانَ لَهُ   وَجْهُ الْحَقِيقَةِ صَارَ فِيهِ مُعْتَقِدَا
وَ كَمْ كَفَى غَيْرَ وَاحِدٍ شُهُودُ مُحَيَّا الْمُصْطَفَى فَغَدَا مِنْ جُمْلَةِ الشُّهَدَا
وَ انْظُرْ إِلَى ابْنِ سلام وَ الصديق ضما   د كَيْفَ قَدْ أَسْلَمَا لَمَّا لَهُ وَفَدَا
قَالَ الرِّضَى ابْنُ سَلَامٍ حِينَ أَبْصَرَهُ   مَا وَجْهُهُ وَجْهُ كَذَّابٍ لِمَنْ شَهِدَا
أَمَّا ضماد فَقَالَ حِينَ خَاطَبَهُ النَّبِيُّ قَوْلُكَ حَقٌّ هَاتِ مِنْكَ يَدَا
فَمَدَّهَا الْمُصْطَفَى لِكَيْ يُبَايِعَهُ   وَ يَا لَهَا مِنْ يَدٍ قَدْ أَغْدَقَتْهُ يَدَا
وَ عَنْ أَبِي رمثة التميمي حِينَ رَآ   هُ قَالَ هَذَا نَبِيُّ اللهِ مُتَّئِدَا
قَدْ شَاهَدَ النُّورَ يَغْشَاهُ فَصَدَّقَهُ   وَ الصِّدْقُ صَاحِبُهُ يَكُونُ مُعْتَمِدَا
وَ جَاءَ عَنْ طَارِقٍ مَا فِيهِ مَنْقَبَةٌ   عَظِيمَةٌ لِلنَّبِي وَ مَنْ لَهُ شَهِدَا
فَإِنَّهُ قَدْ أَتَى إِلَى جَمَاعَتِهِ   وَ بَاعَ مِنْهُمْ بَعِيرًا فِي يَدَيْهِ غَدَا
غَدَا بِهِ وَ هُوَ لَمْ يَدْفَعْ لَهُمْ ثَمَنًا   فَقَالَ بَعْضُهُمُ لِلْبَعْضِ مُنْتَقِدَا
قَالُوا نَبِيعُ لِشَخْصٍ دُونَ مَعْرِفَةٍ   بِهِ وَ قَدْ سَارَ عَنَّا رُبَّمَا افْتُقِدَا
قَالَتْ ظَعِينَتُهُمْ وَ اللهُ كَالِئُهَا   أَنَا أُوَفِّيكُمُ إِنْ لَمْ يُوَافِ غَدَا
رَأَيْتُ وَجْهًا يُحَاكِي الْبَدْرَ طَلْعَتُهُ   فَلَا يَخِيسُ بِكُمْ فِيمَا بِهِ وَعَدَا
وَ فِي غَدٍ لَهُمُ وَافَى رَسُو   لُ اللهِ بِالثَّمَنِ الَّذِي لَهُمْ نَقَدَا
فَكَانَ ذَلِكَ تَحْقِيقًا لِمَا نَظَرَتْ   فِيهِ وَ حُسْنُ الْوَفَاءِ فِيهِ قَدْ عُهِدَا
وَ جَاءَ فِي خَبَرٍ يَسُرُّ سَامِعَهُ   عَنِ الجلندي الَّذِي بِالْحَقِّ قَدْ شَهِدَا
فَقَالَ هَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ عَادَتُهُ   أَنْ يَفْعَلَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا إِلَيْهِ هَدَى
يَأْتِي بِهِ قَبْلَ كُلِّ الْعَامِلِينَ بِهِ   وَ يَتْرُكُ الشَّرَّ قَبْلَهُمْ كَمَا شَهِدَا
إِنْ يَغْلِبِ الْخَصْمَ لَمْ يَبْطَرْ وَ إِنْ هُوَ يُغْلَبْ لَمْ يَقَعْ ضَجَرٌ لَهُ وَلَوْ حَرِدَا
وَ يُنْجِزُ الْوَعْدَ فِي سِرٍّ وَ فِي عَلَنٍ   وَ بِالْعُهُودِ يَفِي وَلَمْ يَخُنْ أَحَدَا
هُوَّ النَّبِيُّ بِلَا شَكٍّ شَهِدْتُ لَهُ   بِأَنَّهُ سَيِّدُ الْوُجُودِ مُنْذُ بَدَا
وَ نِفْطَوَيْهِ يَقُولُ فِي بَيَانِ يَكَا   دُ زَيْتُهَا هُوَّ تَمْثِيلٌ يُرِيكَ هُدَى

كَأَنَّهُ قَائِلٌ يَكَادُ مَنْظَرُهُ   عَلَى نُبُوَّتِهِ يَدُلُّ مَنْ شَهِدَا

وَ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ رواحة المُبَجَّلِ فِي   حَقِّ النَّبِيْ وَ هْوَ دُرٌّ هَا هُنَا نَضِدَا
لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيَّنَةٌ   لَكَانَ مَنْظَرُهُ يَكْفِي الَّذِي رَشَدَا

فصل

الرُّسْلُ كُلُّهُمُ جَاءُوا بِخَيْرِ هُدَى   وَ الأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا أَسْعَدُ السُّعَدَا
أَقَامَهُمْ فِي طَرِيقِ الرُّشْدِ خَالِقُهُمْ   مَنِ اقْتَدَى بِهُدَاهُمْ يُحْرِزُ الرَّشَدَا
وَ الْحَقُّ قَادِرٌ أَنْ يَهْدِي خَلَائِقَهُ   بِدُونِ بَعْثِ رَسُولٍ فِيهِمُ وُجِدَا
لَكِنْ جَرَتْ حِكْمَةُ المَوْلَى بِمَبْعَثِهِمْ   فِيهِمْ فَكَانُوا عَلَى جَمِيعِهِمْ شُهَدَا
أَجْرَى عَلَى يَدِهِمْ أَتَمَّ مُعْجِزَةٍ   دَلَّتْ عَلَى صِدْقِهِمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَفِي التَّحَدِّي بِهَا مَعَ الْوُقُوعِ كَمَا   قَالُوهُ تَصْدِيقُ مَوْلَاهُمْ لَهُمْ شَهِدَا
لَوْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى حَقٍّ بِهِ وَفَدُوا   مَا كَانَتِ الْمُعْجِزَاتُ مِنْهُمُ أَبَدَا
وَ اللهُ أَنْبَأَهُمْ بِخَيْرِ وَاسِطَةٍ   وَ غَيْرِ وَاسِطَةٍ أَيْضًا كَمَا وَرَدَا
وَ هُمْ عَنِ الْحَقِّ حَقًّا مُنْبِئُونَ بِمَا   فِي الْخَلْقِ أَنْبَأَهُمْ رَغْمًا لِأَنْفِ عِدَا
وَ الْإِسْمُ مِنْ نَبَأ او نبوة لهم الفعيل قَدْ صِيغَ فِي الْوَجْهَيْنِ مُتَّحِدَا
أَمَّا الرَّسُولُ فَمَعْنَاهُ المُبَلِّغُ فَهْوَ اسْمٌ رَأَوْهُ بِمَعْنَى مفعل قصدا
وَقِيلَ مَعْنَاهُ صَحَّ فِيهِ مُتَّبَعُ   أَوْ تَابِعٌ وَ عَنِ الْوَجْهَيْنِ مَا بَعُدَا
وَ هَا هُنَا جَاءَ فِي مَعْنَى الرَّسُولِ وَ فِي   مَعْنَى النَّبِيِّ اخْتِلَافٌ هَلْ هُمَا اتَّحَدَا
وَقِيلَ مُفْتَرِقَانِ فَالرَّسُولُ هُوَ النَّبِي وَ زَادَ بِتَبْلِيغٍ بِهِ وَفَدَا
وَقِيلَ مَنْ جَاءَ بِالشَّرْعِ الرَّسُولِ وَ إِلَّا   كَانَ مِنْهُمْ نَبِيًّا يَعْبُدُ الصَّمَدَا
وَ أَوَّلُ الرُّسْلِ كَانَ آدَمٌ وَ أَخِيرُهُمْ مُحَمَّدٌ الَّذِي سَنَاهُ بَدَا
وَ الْأَنْبِيَا مِائَةٌ مِنَ الْأُلُوفِ وَ أَرْبَعٌ وَ عِشْرُونَ أَلْفًا خُذْهُمْ عَدَدَا
وَ الرُّسْلُ مِنْهُمْ بِتِعْدَادِ ثَلَاثُ مِئِينَ مَعْ ثَلَاثٍ وَ عَشْرٍ نُورُهُمْ شهدا
وَ الْحَقُّ أَنَّ الْجَمِيعَ غَيْرُ مُنْحَصِرٍ   بِالْعَدِّ بَيْنَ ذَوِي التَّحْقِيقِ وَ الْعُمَدَا
وَ اعْلَمْ بِأَنَّ النَّبِيَّ فِي نُبُوَّتِهِ   وَ فِي رِسَالَتِهِ بِالْحَقِّ نَالَ هُدَى

وَ لَيْسَتَا لِلنَّبِي ذَاتًا وَ لَا صِفَةً   ذَاتِيَّةً عِنْدَ مَنْ قَدْ وَافَقَ الرَّشَدَا

وَ ٱلْوَحْيُ سِرٌّ تَلَقَّاهُ الرَّسُولُ أَوِ النَّبِي مِنَ ٱلْحَقِّ بَيْنَ ٱلْخَلْقِ فِيهِ هُدَى
وَ ٱلْوَحْيُ فِي الأَصْلِ إِسْرَاعٌ وَ سُمِّيَ مَا النَّبِيْ تَلَقَّاهُ وَحْيًا حَيْثُ فِيهِ غَدَا
فَإِنَّهُ يَتَلَقَّاهُ بِأَسْرَعِ سُرْ   عَةٍ مِنَ ٱلْحَقِّ كَيْفَمَا لَهُ وَرَدَا
وَ قِيلَ فِي الأَصْلِ مَعْنَى الوَحْيِ مَرْجِعُهُ   لِمَا إِلَى القَلْبِ يُلْقَى فَٱطْلُبِ السَّنَدَا
وَ ٱلْخَطُّ وَ اللَّحْظُ وَ ٱلإِلْهَامُ فِي لُغَةٍ   قَدْ قِيلَ وَحْيٌ لِسُرْعَةٍ بِهَا وُجِدَا

فصل

إِنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا أَتَى بِهُدَى   فِي ضِمْنِهِ مُعْجِزَاتٌ تَكْشِفُ ٱلْكَمَدَا
وَ المُعْجِزَاتُ عَلَى ضَرْبَيْنِ مَا قَدَرَ الوَرَى عَلَيْهِ وَ لَكِنْ مِنْهُمْ فقدَا
لَمْ يَفْعَلُوا مِثْلَهُ لِصَرْفِ خَالِقِهِمْ   عَنْهُ وَ عَجْزِهِمْ فِي ٱلْخَلْقِ عَنْهُ بَدَا
ثَانِيهِمَا خَارِجٌ عَنْ كُلِّ قُدْرَتِهِمْ   وَ إِنَّمَا هُوَ خَلْقُ اللهِ قَدْ وُجِدَا
عَلَى يَدِ الأَنْبِيَاءِ قَدْ بَدَا لَهُمُ   وَ كُلُّهَا مُعْجِزٌ لِمَنْ لَهُ قَصَدَا
وَ المُعْجِزَاتُ مِنَ المُخْتَارِ قَدْ كَثُرَتْ   إِذْ كَانَ أَطْوَلَهُم فِي العَالَمِينَ يَدَا
وَ لَا يُحِيطُ بِهَا ضَبْطٌ وَ لَا عَدَدٌ   وَ كَيْفَ وَ ٱلْبَعْضُ مِنْهَا اسْتَغْرَقَ ٱلْعَدَدَا
مِنْهَا أَتَى المُتَوَاتِرُ الَّذِي ظَهَرَتْ   آيَاتُهُ وَ بِهَا تَسْفِيهُ مَنْ جَحَدَا
وَ ٱلْمُنْكِرُونَ لَهُ كَٱلْمُنْكِرِينَ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَ النُّورُ مِنْهَا فِي الوَرَى شهدَا
وَ لَا مِرَاءَ بِأَنْ جَرَتْ عَلَى يَدِهِ   عَجَائِبٌ وَ هُمُ لَهَا مِنَ الشُّهَدَا
وَ إِنَّمَا عَانَدُوا فِي كَوْنِهَا وَرَدَتْ   مِنَ الإِلَهِ بِهَا مِنْهُمْ لَهُ وَفَدَا
وَ مَا سِوَى المُتَوَاتِرُ المُقَرَّرُ فِي   قِسْمَيْنِ مُنْحَصِرٌ لِمَنْ لَهُ رَصَدَا
قِسْمٌ رَآهُ الكَثِيرُ وَ هُوَ مُشْتَهِرٌ   ثَانِيهِمَا دُونَهُ فِي ٱلإِشْتِهَارِ غَدَا
وَ كُلُّهَا مُعْجِزٌ لِحَاضِرِيهِ وَ مَنْ   قَدْ جَاءَ بَعْدَهُمُ أَيْضًا لِغَيْرِ مَدَى
وَ جُلُّهَا عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ صَحَّ لَهُمْ   بِٱلْقَطْعِ عِلْمٌ بِهِ فَصَارَ مُعْتَمَدَا
أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ ٱلْمُنْشَقِّ مَا أَحَدٌ   يَأْتِي بِمِثْلِ الَّذِي أَتَى بِهِ أَبَدَا
وَ لَا أُ ؤَوِّلُ مَا أَرَاهُ مُعْجِزَةً   بِغَيْرِ وَجْهٍ عَلَى الدَّلَائِلِ ٱسْتَنَدَا

وَ رُبَّ مُبْتَدِعٍ لِلْمُعْجِزَاتِ غَدَا   مُؤَوِّلًا وَ هُوَ فِي تَشْكِيكِهِ قَعَدَا

أَلَمْ يَكُنْ ذِكْرُ الانْشِقَاقِ مُتَّضِحًا   فِي الذِّكْرِ وَ الْحَقُّ بِالتَّأْوِيلِ صَارَ سُدَى
فَالْإِنْشِقَاقُ إِذًا قَطْعِيٌّ بِدُونِ مِرَا   قَدْ كَانَ قَيْدَ حَيَاتِهِ وَ قَدْ شهدَا
وَ قَدْ جَرَى الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ   وَ مِنْهُ فِي الصَّحْبِ تَكْثِيرُ الطَّعَامِ بَدَا
وَ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْقَطْعِيِّ كَمْ وَرَدَتْ   مِنْ مُعْجِزَاتٍ بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ حَسَدَا
أَلَمْ يُحَدِّثْ بِهَا أَصْحَابُهُ وَ هُمُ   فِي الْحَقِّ لَمْ يَسْكُتُوا وَ هُمْ هُمُ الشُّهَدَا
وَ كُلُّ مَا لَيْسَ حَقًّا فَهْوَ مُنْدَثِرٌ   وَ الْحَقُّ حَقٌّ وَ لَوْ يَخْفِيهِ مَنْ عَنِدَا
وَ الدَّهْرُ مَعْ طُولِهِ يُبْدِي الْحَقَائِقَ فِي   أَجْلَى مَظَاهِرِهَا لِكُلِّ مَنْ شَهِدَا
وَ لَا اعْتِبَارَ بِمَنْ أَضْحَى يُقَاوِمُهَا   بِبَاطِلٍ وَ السَّنَا مِنْ نُورِهَا اتَّقَدَا
وَ هَكَذَا الْمُعْجِزَاتُ كُلُّهَا اتَّضَحَتْ   وَ لَمْ يَزِدْنَا جُحُودُ الْحَقِّ غَيْرَ هُدَى
وَ كَمْ غُيُوبٍ بِهَا النَّبِيُّ أَخْبَرَنَا   جَاءَ الشُّهُودُ بِهَا طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
سِيَّانِ مَا هُوَ مِنْهَا كَانَ مِنْ خَبَرِ آ لاْ   حَادِ أَوْ كَانَ بِالتَّوَاتُرِ اطَّرَدَا
وَ كَمْ وَكَمْ خَبَرٍ وَافَى بِمُعْجِزَةٍ   يقضِي لِصِحَّتِهِ مَنْ تَابَعَ السَّنَدَا
كَمْ شَاهِدٍ شَاهَدَ الْأَشْيَاءَ وَاضِحَةً   وَ غَيْرِه مَا رَآهَا طِبْقَ مَا شَهِدَا
وَ رُبَّ قَوْمٍ نَفَوْا شَيْئًا وَ غَيْرُهُمُ   قَدْ صَارَ عِنْدَهُمُ فِي الْحَقِّ مُعْتَمَدَا
وَ كَمْ يَقِينٍ لِقَوْمٍ لَا شُعُورَ بِهِ   لِغَيْرِهِمْ أَوْ لَدَيْهِمْ صَارَ مُنْتَقَدَا
وَ لْتَعْتَبِرْ ذَاكَ فِي مَذَاهِبِ اخْتَلَفَتْ   وَ قَوْلُ عُمْدَتِهِمْ عَلَى الهُدَى اسْتَنَدَا
وَ حَاصِلُ الأَمْرِ أَنَّ كُلَّ مُعْجِزَةٍ   جَاءَتْ لَنَا أَصْلُهَا بِالْحَقِّ قَدْ عَضَدَا
وَ قَدْ تَظَافَرَتِ الْأَخْبَارُ وَ انْتَشَرَتْ   بِأَنَّهَا وَقَعَتْ رَغْمًا لِمَنْ جَحَدَا

فصل

في إعجاز القرآن

مِنْ مُعْجِزَاتِ النَّبِيْ الْقُرْآنُ قَدْ وَرَدَا   بِهِ اكْتِسَابُ الرِّضَى وَ دَفْعُ كُلِّ رَدَى
فَهْوَ الْكِتَابُ الَّذِي قَدْ جَلَّ مَوْقِعُهُ   وَ لَمْ يَزَلْ نُورُهُ فِي الْكَوْنِ مُتَّقِدَا
وَ كَمْ وَكَمْ فِيهِ مِمَّا لَيْسَ يُحْصَرُ مِنْ   عَجَائِبٍ وَ غَرَائِبٍ بِهَا انْفَرَدَا

وَ كَمْ وُجُوهٍ مِنَ الْإِعْجَازِ قَدْ بَهَرَتْ   ذَوِي النُّهَى فِيهِ قَدْ أَبْدَتْ لَنَا رَشَدَا

و ضبط أَنْوَاعِهَا فِي النَّظْمِ مَرْجِعُهُ   هُنَا لِأَرْبَعَةٍ تُتَوِّرُ ٱلْخَلَدَا

الوجه الأول في حسن تأليفه

هَذَا ٱلْكِتَابُ ٱلْعَزِيزُ النُّورُ مِنْهُ بَدَا   وَفِيهِ لِلْمُتَّقِينَ حِكْمَةٌ وَ هُدَى
قَدْ جَاءَ فِي حُسْنِ تَأْلِيفٍ وَ أَبْدَعِ تَرْصِيفٍ وَ أَحْسَنِ مَا لِلْخَلْقِ قَدْ شهدَا
كَادَتْ بِهِ ٱلْعَرَبُ ٱلْعَرْبَاءُ تَخْرُجُ عَنْ   عُقُولِهَا بِالَّذِي رَأَوْهُ فِيهِ بَدَا
رَأَوْا فَصَاحَتَهُ فَوْقَ الَّذِي عَهِدُوا   مِنَ ٱلْبَيَانِ الَّذِي قَدْ أَدْهَشَ الشُّهَدَا
رَأَوْا بَلَاغَتَهُ فِي ٱلْقَوْمِ خَارِقَةَ ٱلْعَادَاتِ رَغْمًا لِأَنْفِ مَنْ قَدِ ٱلْتَحَدَا
هُمْ هُمْ قَاوَمُوهُ غَيْرَ أَنَّهُمُ   لَهُ أَقَرُّوا بِفَضْلٍ بَيْنَ مَنْ عَندَا
وَ هُمْ هُمُ ٱلْعَرَبُ الَّذِينَ قَدْ خَضَعُوا   لِعِزِّهِ بَعْدَمَا قَدْ أَكْثَرُوا اللَّدَدَا
بِسُورَةٍ مِثْلِهِ لَمْ يَأْتِ سَائِرَهُمْ   وَ مَا تَأَتَّى لَهُمْ فِي مَشْهَدٍ أَبَدَا
كَمْ حَاوَلَ الطَّعْنَ فِيهِ مَنْ بِهِ طعنوا   وَ سره مِنْهُمْ قَدْ قَطَّعَ ٱلْكَبِدَا
وَ زَادَ عُجْبَهُمْ بِعَجْزِ قَادَتِهِمْ   عَنْهُ وَ سَفَّهَ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ جَحَدَا
وَ صَارَ أُضْحُوكَةً مِنْهُمْ مُعَارِضُهُ   مِنْ بَعْدِمَا فِي ٱعْتِرَاضِهِ قَدِ ٱجْتَهَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْهُمْ قَدْ أَذْعَنُوا وَ عَنُوا   لَهُ وَ هُمْ بَيْنَهُمْ لَهُمْ مِنَ ٱلْعُمَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ أَسْلَمُوا لَدَى سَمَاعِهِمُ   لِآيِّهِ وَ لَهَا كَمْ فَاضِلٍ سَجَدَا
فَٱنْظُرْ لِمَا جَمَعَ ٱلْقُرْآنُ مِنْ حِكَمٍ   وَ مِنْ بَدَائِعَ أَسْرَارٍ بِهَا ٱنْفَرَدَا
وَ ٱنْظُرْ لِمَا فِيهِ مِنْ حُكْمٍ وَ مِنْ قِصَصٍ   وَ سِحْرِ مَعْنَى بِأَلْفَاظٍ بِهَا سُرِدَا
تَرَى ٱلْمَحَاسِنَ فِيهِ كُلَّهَا جُمِعَتْ   وَ كُلَّ حُسْنٍ بَدِيعٍ ضِمْنَهَا شَهِدَا
وَ كَمْ عُلُومٍ بِهِ تُفِيدُ عَارِفَهَا   مَا عَنْهُ قَدْ كَشَفَ الأَحْزَانَ وَ ٱلْكَمَدَا
وَ كَمْ فُهُومٍ بِهِ تَنَوَّرَتْ فَغَدَتْ   لِلْعَالَمِينَ تَبِينُ ٱلْحَقَّ وَ الرَّشَدَا
مَا زَالَ يظهر مِنْ آيَاتِهِ عجب   فِي كُلِّ جِيلٍ مِنَ الأَجْيَالِ قَدْ وُجِدَا

الوجه الثاني

لِلْخَلْقِ دُرٌّ كَلَامِ ٱلْحَقِّ قَدْ نضدَا   وَ حُسْنُهُ بَهَرَ العُقُولَ مُنْذُ بَدَا
جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ لِلْخَلْقِ مُعْجِزَةً   وَافَتْ لَدَيْنَا بِرَغْمِ مَنْ لَنَا جَحَدَا
مَا كَانَ سِحْرٌ وَ لَا شِعْرٌ يُشَابِهُهُ   فِي سَلْبِ عَقْلِ الَّذِي لِنُورِهِ شَهِدَا
فِي نَظْمِ أُسْلُوبِهِ قَدْ حَارَتِ ٱلْعَرَبُ الَّذِينَ قَدْ حَارَبُوا الَّذِي بِهِ وَرَدَا
مَا ٱسْطَاعَ يَأْتِي بِشِبْهِ مِثْلِهُ أَحَدٌ   مِنْهُمْ وَ جُلُّهُمُ فِيهِ قَدِ ٱجْتَهَدَا
تَدَلَّهَتْ دُونَهُ أَحْلَامُهُمْ فَغَدُوا   بِٱلْعَجْزِ مُعْتَرِفِينَ وَ ٱلْوَرَى شَهِدَا
هَا مُنْذُ جَاءَ وَكُلُّ ٱلْمُبْغِضِينَ لَهُ   مَا بَيْنَ مَنْ أَنْصَفُوا وَ بَيْنَ مَنْ عَنِدَا
وَفِيهِ قَالَ ٱلْوَلِيدُ بْنُ ٱلْمُغِيرَةِ مَا   سَمِعْتُ قَوْلًا يُحَاكِي قَوْلَهُ أَبَدَا
وَ إِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ وَ أَعَا   لِيهِ لَمُثْمِرَةٌ وَ نُورُهَا شَهِدَا
وَ كَادَ يُسْلِمُ مِمَّا فِيهِ دَاخَلَهُ   مِنْ فَرْطِ وَجْدٍ وَ لَكِنْ لَمْ يَنَلْ رَشَدَا
قَدْ عَاقَهُ قُرَنَاءُ السُّوءِ عَنْهُ بِمَا   عَقَّ النَّبِيَّ بِهِ فِي مَنْهَجِ السُّعَدَا
أَتَى إِلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ وَ قَالَ لَهُ   تَقُولُ هَذَا وَ أَنْتَ عُمْدَةُ ٱلْعُمَدَا
دَعْ عَنْكَ نُصْرَتَكَ الأُمِّي وَ ٱئْتِ لَنَا   بِمَا نَصُدُّ الَّذِي عَلَيْهِ قَدْ وَفَدَا
فَقَالَ فَلْتَجْمَعُوا يَا قَوْمُ رَأْيَكُمُ   فِي وَصْفِهِ بِالَّذِي يُنَفِّرُ ٱلْبُعَدَا
فَقَدْ أَتَى ٱلْمَوْسِمُ الَّذِي سَتَجْتَمِعُ ٱ   لْأَعْرَابُ فِيهِ وَ فِيهِ جَسَّمُوا ٱلْفَنَدَا
وَ فِي جَمِيعِهِمُ ٱلْغُوا فِي هُدَاهُ وَ ٱلْـغُوا وَصْفَهُ بِالَّذِي فِي النَّاسِ قَدْ حَمِدَا
قَالُوا نَقُولُ جَمِيعًا كَاهِنٌ فَيَفِرَّ مِنْهُ جَمْعُهُمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
فَقَالَ لَا فَهُوَ غَيْرُ كَاهِنٍ وَ إِذَا   رَأَوْهُ مَا صَدَّقُوكُمْ فِي طَرِيقِ هُدَى
قَالُوا نَقُولُ بِهِ جِنٌّ فَقَالَ دَعُوا   هَذَا أَمَا نُورُ عَقْلِهِ قَدِ ٱتَّقَدَا
قَالُوا نَقُولُ جَمِيعًا شَاعِرٌ تَبِعَ ٱلْـغَاوُونَ قَوْلَتَهُ قَالَ ٱتْرُكُوا اللَّدَدَا
قَالُوا بِمَا ذَا نَقُولُ قَالَ أَقْرَبُ مَا   نَقُولُ فِيهِ أَخُو سِحْرٍ بِهِ ٱنْفَرَدَا
فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى مَقَالَتِهِ   وَكُلُّهُمْ قَصَدُوا طَرَائِقًا قِدَدَا
هُنَاكَ صَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ قَاصِدَهَا   وَ رَدَّدُوا بَيْنَهُمْ لِقَاصِدِيهِ صَدَى
وَ بَالَغُوا فِي ٱكْتِتَامِ فَضْلِهِ وَ أَشَا   عُوا عَنْهُ ضِدَّ الَّذِي حَقًّا إِلَيْهِ هَدَى

وَ ٱلْحَقُّ حَقٌّ وَ إِنْ أَخْفَاهُ جَاحِدُهُ   وَ صَاحِبُ ٱلْحَقِّ مَنْصُورٌ وَ إِنْ ضُهِدَا
وَ اللهُ أَيَّدَ خَيْرَ ٱلْخَلْقِ بَيْنَهُمُ   وَ لِلْجَمِيعِ بِخَيْرٍ قَدْ أَمَدَّ يَدَا
قَدْ عَانَدُوهُ وَ بِٱلْإِحْسَانِ قَابَلَهُمْ   حَتَّى عَنَى لِعُلَاهُ كُلُّ مَنْ عَنَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ قَائِلٍ كَٱبْنِ ٱلْمُغِيرَةِ مِنْ   كَوْنِ النَّبِيْ غَيْرَ كَاهِنٍ كَمَا وَرَدَا
لَكِنْ مُوَفَّقُهُمْ مَنْ سَالَمُوهُ وَ أَسْلَمُوا وَ لَهُ كَانُوا مِنَ ٱلشُّهَدَا
مِثْلَ الأَجَلِّ أَنِيسٍ حَيْثُ وَجَّهَهُ   لَهُ أَخُوهُ أَبُو ذَرٍّ فَنَالَ هُدَى
فَقَالَ فِيهِ أَبُو ذَرٍّ رَأَيْتُ أَخِي   قَدْ نَاقَضَ ٱلشُّعَرَا وَ قَارَعَ ٱلْجَلَدَا
وَجَّهْتُهُ لِلنَّبِي فَجَاءَ بِٱلْخَبَرِ الَّذِي يَسُرُّ وَ عَنَّا قَدْ نَفَى ٱلْكَمَدَا
فَقَالَ قَالَ عِدَاهُ فِيهِ قَوْلَتَهُمْ   وَ أَنَّهُ فِيهِ قَدْ تَقَوَّلُوا فَنَدَا
مَا هُوَ بِٱلْكَاهِنِ الَّذِي قَلَوْهُ وَ لَا   بِسَاحِرٍ أَوْ أَخَى شِعْرٍ بِهِ وَفَدَا
لَمْ يَلْتَئِمْ قَوْلَهُ شِعْرًا وَ قَدْ كَذَبُوا   عَلَيْهِ وَ هْوَ الصَّدُوقُ بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
لِلهِ دَرُّ أَبِي ذَرٍّ وَ دَرُّ أَخِيهِ فَهْوَ فِي نَاسِهِ بِٱلْحَقِّ قَدْ شَهِدَا
أَقَرَّ لِلْمُصْطَفَى بِمَا تَقَرُّ بِهِ   عُيُونُ أَحْبَابِهِ بِرَغْمِ أَنْفِ عِدَا
وَ كَيْفَ لَا وَ كَلَامُ اللهِ جَاءَ عَلَى   وَتِيرَةٍ لَمْ يَكُنْ مَثِيلُهَا عهدَا
أَسْلُوبُهُ مُعْجِزٌ وَ فِي بَلَاغَتِهِ   وَ حُسْنِ إِيجَازِهِ إِعْجَازُهُ ٱطَّرَدَا
عَنْ قُدْرَةِ ٱلْخَلْقِ خَارِجٌ فَلَا أَحَدٌ   وَ لَوْ عَلَا قَدْرُهُ يَأْتِي بِهِ أَبَدَا
وَ ٱلْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ الله عَجَّزَهُمْ   عَنْهُ وَ إِنْ كَانَ فِي ٱلْمَقْدُورِ مَا بعدَا
فَإِنَّهُ هُوَ ذَاكَ السَّهْلُ مُمْتَنِعُ   ٱلْإِ   تْيَانِ بِالشِّبْهِ حَتَّى صَارَ مُنْفَرِدَا
وَ عَجْزُ مَنْ عَانَدُوا النَّبِيَّ عَنْهُ وَ هُمْ   هُمُ الأُبَاةُ أَذَلُّ كُلِّ مَنْ جَحَدَا
مَا كَانَ صَبْرُهُمُ عَنْ طِيبِ أَنْفُسِهِمْ   عَنْهُ وَ جُهْدُهُمُ ٱلْمَبْذُولُ قَدْ نَفِدَا
مَا كَانَ عُذْرُهُمُ بِغَيْرِ عَجْزِهِمُ   عَنْهُ لَدَى النَّاسِ مَقْبُولًا وَ هُمْ شُهَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ ظَاهِرُ ٱلْقُرْآنِ يَصْدَعُ بِٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ لِمَنْ يَبْغِي بِهِ ٱلرَّشَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ بَاطِنُ الْقُرْآنِ مُنْطَوِيًا   عَلَى بَدَائِعَ عِرْفَانٍ سَنَاهُ بَدَا
فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنَ الأَعْصَارِ يُظْهِرُ مِنْ   أَسْرَارِهِ مَا يَزِيدُ جِدَّةً وَجَدَا
فَٱعْرِفْ بِأُعْجُوبَةِ ٱلْقُرْآنِ مُعْجِزَةً   فِي ضِمْنِهَا كُلُّ فَضْلٍ طَاوَلَ ٱلْأَبَدَا
كَفَى بِهَا أَنَّهَا تُتْلَى وَ قَدْ حُفِظَتْ   مِنْ كُلِّ سُوءٍ بِرَغْمِ مَنْ لَهَا حَسَدَا

وَ قَدْ تَكَامَلَ مَعْنَاهُ فَتَمَّ لَهَا   سِرٌّ سَرَى فِي ٱلْوَرَى وَ عَمَّهُمْ مَدَدَا

الوجه الثالث

فيما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات و ما لم يكن
و لم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر به

أَتَتْ أُمُورٌ بِهَا ٱلْقُرْآنُ قَدْ وَرَدَا   وَسِرُّهَا بَاهِرٌ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
أَتَتْ عَلَى وَفْقِ مَا ٱلنَّبِيُّ أَخْبَرَ عَنْ   مَوْلَاهُ مِنْ كُلِّ مَا يَكُونُ أَوْ وُجِدَا
وَ ذَاكَ مِنْ أَوْجُهِ الإِعْجَازِ فِيهِ لِمَنْ   فِي ٱلْحَقِّ بَيْنَ جَمِيعِ ٱلْخَلْقِ قَدْ عَنِدَا
مِنْ ذَاكَ إِخْبَارُهُ بِأَنْ سَيَدْخُلُ فِي ٱلْأَمَانِ مَعْ صَحْبِهِ لِمَسْجِدِ صَعَدَا
فَكَانَ طِبْقَ الَّذِي مَوْلَاهُ أَخْبَرَهُ   دُخُولُهُ بَعْدَ عَامٍ ذَلِكَ ٱلْبَلَدَا
وَ اللهُ أَخْبَرَهُ بِالرُّومِ تَغْلِبُ فَا   رِسًا لِبِضْعِ سِنِينَ طِبْقَ مَا وَرَدَا
فَٱسْتَغْرَبَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُ مَوْعِدَهُ   وَاللهُ لَا يُخْلِفُ النَّبِيَّ مَا وَعَدَا
وَ بَعْدَ مَا رَاهَنَ الأَعْدَا خليفته   زَالَ ٱلْخِلَافُ بِنَصْرِ الرُّومِ فِي الشُّهَدَا
وَ اللهُ أَظْهَرَ دِينَهُ الشَّرِيفَ عَلَى ا لأَ   دْيَانِ حَتَّى غَدَا فِي ٱلْحَقِّ مُعْتَمَدَا
وَٱسْتَخْلَفَ اللهُ مِنْ بَيْنِ ٱلْخَلَائِقِ مَنْ   بِاللهِ آمَنَ مِنْ أَتْبَاعِهِ ٱلرُّشَدَا
وَ جَاءَ لِلْمُصْطَفَى نَصْرُ الإِلَهِ مَعَ ٱلْفَتْحِ الَّذِي هُوَ فِي الدَّارَيْنِ قَدْ مَجُدَا
فَعَظَّمَ اللهُ قَدْرَهُ وَ أُمَّتَهُ   بِهِ حَبَاهُمْ مُنَاهُمْ هَا هُنَا وَ غَدَا
وَ بَدَّلَ اللهُ خَوْفَهُمْ بِأَمْنِهِمُ   وَ هُمْ بِهِ قَدْ غَدَوْا مِنْ أَفْضَلِ السُّعَدَا
فَمَكَّنَ اللهُ دِينَهُمْ وَ مَلَّكَهُمْ   فِي ٱلْأَرْضِ مَا قَدْ دَنَا مِنْهَا وَ مَا بَعُدَا
وَ اللهُ قَدْ حَفِظَ الذِّكْرَ الَّذِي تُلِيَتْ   آيَاتُهُ مِنْ شُرُورِ مَنْ بِهِ ٱلتَّحَدَا
فَكَمْ سَعَى ٱلْخَصْمُ فِي تَبْدِيلِ مُحْكَمِهِ   وَ لَمْ يُحَصِّلْ عَلَى مَقْصُودِهِ أَبَدَا
وَ لَيْسَ يُقْبَلُ مَنْ فِي النَّاسِ غَيَّرَ حَرْ   فًا وَاحِدًا مِنْهُ بَلْ مِنْ بَابِهِمْ طُرِدَا
وَ اللهُ أَخْبَرَهُ بِهَزْمِ مَنْ كَفَرُوا   وَ أَنَّهُمْ وَ لَّوا ٱلْأَدْبَارَ حَيْثُ غَدَا
وَ اللهُ عَذَّبَ أَهْلَ بُغْضِهِ فَهُمُ   مُذْ قَاتَلُوهُ تَرَدَّوْا فِي طَرِيقِ رَدَى
وَ فِي خُزَاعَةَ عِبْرَةٌ لِمُعْتَبِرٍ   فَهُمْ بِهِ أَحْرَزُوا النَّصْرَ الَّذِي خَلَدَا

جَاءُوا لِمَكَّةَ فَاسْتَاءُوا بِمَنْ مَكَرُوا   بِهِمْ وَ لَكِنْ عَلَيْهِمْ نَصْرهُمْ شهدَا
وَ اللهُ عَذَّبَ أَهْلَ مَكَّةٍ بِهِمُ   إِذْ قَاتَلُوهُمْ وَ قَدْ فَازُوا كَمَا وَرَدَا
وَ الْمُؤْمِنُونَ جَمِيعًا لَمْ يَضُرَّهُمُ   فِي الدِّينِ مِنْ أَعَادِيهِمْ عَلَيْهِ عِدَا
كَمْ آيَةٍ كَشَفَتْ عَوْرَاتِ مُبْغِضِهِمْ   وَ مُبْغِضُ الْمُصْطَفَى وَمَنْ لَهُمْ عَندَا
فَيَا شَقَاوَةَ مَنْ فِي الْحَقِّ عَانَدَهُمْ   وَ هَلْ يُعَانِدُ أَهْلَ الْحَقِّ مَنْ سَعِدَا
حَسْبُ الْبَغِيضِ الَّذِي يُخْفِي عَدَاوَتَهُ   فِي الْمُصْطَفَى كَوْنُهُ قَدْ جَانَبَ الرَّشَدَا
بِمَا يَقُولُونَ فِيهِ اللهُ عَذَّبَهُمْ   دُنْيًا وَ أُخْرَى عَذَابًا دَائِمًا صَعِدَا
وَ اللهُ أَطْلَعَهُ عَمَّا بِأَنْفُسِهِمْ   أَخْفَوْهُ عَنْهُ فَسِرُّهُمْ لَدَيْهِ بَدَا
أَمَّا الْيَهُودُ فَقَدْ كَادَتْ جُمُوعُهُمُ   بِأَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كَيْدُهُمْ لِبَدَا
وَ اللهُ أَطْلَعَهُ عَلَى خِيَانَتِهِمْ   وَمَا لَهُ أَضْمَرُوهُ فِي طَرِيقِ هُدَى
يُحَرِّفُونَ الْكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ   طَعْنًا بِأَهْوَائِهِمْ فِي الدِّينِ فِي الشُّهَدَا
هُمْ فِي الْمَجَامِعِ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ الَّذِي بِهِ تجرهم فِي دِينِهِمْ كَسَدَا
لِلسُّحْتِ قَدْ أَكَلُوا لِلْمَقْتِ قَدْ حملوا   بِالذُّلِّ قَدْ ضُرِبُوا مُذْ دِينُهُمْ فَسَدَا
وَ كُلُّ مَا أَضْمَرَ الْأَقْوَامُ يُطْلِعُهُ الْمَوْلَى عَلَيْهِ وَ يَفْرِي مِنْهُمُ اللُّدَدَا
دَرَى بِأَنَّهُمُ وَدُّوا تَكُونُ لَهُمْ   فِي يَوْمِ بَدْرٍ مُنًى فِيهَا كَمَالُ جَدَا
غَنِيمَةً غَيْرَ ذَاتِ شَوْكَةٍ لَهُمُ   لِمَا بِهَا لَهُمُ مَوْلَاهُمُ وَعَدَا
كَفَاهُ خَالِقُهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ   وَ هُمْ بِمَكَّةَ قَدْ كَانُوا أَشَرَّ عِدَا
أَضْحَوْا بِهَا نَفَرًا يُنَفِّرُونَ بِنَشْرِ السُّوءِ عَنْهُ جَمِيعَ مَنْ لَهُ قَصَدَا
مَا زَالَ يُؤْذِيهِ مِنْهُمْ شَر شِرْذِمَةٍ   بِالْبُهْتِ حَتَّى ارْتَدَتْ بِالسُّوءِ كُلَّ رَدَى
وَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَدْ كَانَ عَاصِمَهُ   مِنْ سَائِرِ النَّاسِ لَا يَخْشَى الْعِدَا أَبَدَا
فَلَمْ تُصِبْهُ بِسُوءٍ مِنْ عِدَاهُ يَدٌ   فِي دِينِهِ وَ لَهُمْ بِالْخَيْرِ مَدَّ يَدَا
يُبْدِي الْجَمِيلَ إِلَيْهِمْ وَ يُسْدِلُ خَيْرَهُ عَلَيْهِمْ وَ هُمْ لَهُ مِنَ الْعُنُدَا
مَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ عَنْ هَوًى فَلِذَا   كَ عَنْهُمْ فِي الْوَرَى لَمْ يَقْطَعِ الْمَدَدَا

الوجه الرابع
ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة و الشرائع و غير ذلك

لَا شَيْءَ إِلَّا وَ فِي ٱلْقُرْآنِ قَدْ وَرَدَا   يَخْفَى وَ يَبْدُو لِمَنْ بِٱلْحَقِّ قَدْ شَهِدَا
أَخْبَارُهُ دَرَّتِ الأَخْبَارَ صحتها   وَٱلْحَقُّ مِنْهَا لِأُولِي ٱلْعِلْمِ قَدْ شَهِدَا
عَنِ ٱلْقُرُونِ الأُلَى مَضَتْ يُحَدِّثُنَا   وَ مَا سَيَحْدُثُ مِمَّا سَايَرَ ٱلْأَمَدَا
وَ فِيهِ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ حَارَ عَقْلُهُمُ   بِمَا لَهُمْ فِيهِ مِنْ سِرِّ ٱلْكِتَابِ بَدَا
بِهِ أَتَاهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ يُدَارِسُهُ   مِنْ قَبْلُ لَكِنَّهُ فِيهِ أَطَالَ يَدَا
كَأَنَّهُ فِي الَّذِي وَافَى بِهِ لَهُمُ   أَفْنَى لِتَحْصِيلِهِ ٱلسِّنِينَ مُجْتَهِدَا
بَلْ لَوْ أَطَالَ سِوَاهُ فِي دِرَاسَتِهِ   عُمْرًا تَقَاصَرَ عَمَّا مِنْهُ قَدْ وَرَدَا
مَا غَابَ عَنْ قَوْمِهِ وَ لَا تَعَلَّمَ مِنْ   كِتَابَةٍ أَوْ قِرَاءَةٍ أَرَتْهُ هُدَى
لَمْ يَجْهَلُوا حَالَهُ وَ لَا هُمُ ٱتَّهَمُو   هُ فِي الَّذِي جَاءَهُمْ لَكِنَّهُ جُحِدَا
فِي ظَاهِرٍ جَحَدُوهُ دُونَ بَاطِنَهُمْ   فَهُمْ عَلَى صِدْقِهِ فِي خُفْيَةٍ شُهَدَا
وَ كَانَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ بَيْنَهُمْ قَصَدُوا   تَعْجِيزَهُ وَ لَدَيْهِ قَدْ غَدَوا بُلَدَا
لَوْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ ٱلْحُسَّادِ مَا ظَهَرَتْ   لَنَا بَدَائِعُ آيٍّ نُورُهَا ٱتَّقَدَا
قَدْ أَكْثَرُوا مِنْ سُؤَالِهِ فَجَاوَبَهُمْ   بِٱلْحَقِّ رَغْمًا لِأَنْفِ مَنْ لَهُ حَسَدَا
وَ أَكْثَرُوا مِنْ سُؤَالَاتٍ مُنَوَّعَةٍ   حَتَّى ٱسْتَعَانُوا عَلَيْهِ بِالَّذِي بَعُدَا
تَحَزَّبُوا مَعَ بَعْضِ قَوْمِهِ فَهُمُ   صَارُوا عَلَيْهِ بِهِ مِنْ كَيْدِهِمْ لِبَدَا
وَ كَمْ جُحُودٍ لَهُ فِي ٱلْحَقِّ أَوْقَفَهُ   عَلَيْهِ فِيمَا أَرَاهُ عِنْدَمَا جُحِدَا
فَأَذْعَنُوا وَ عَنَوا لَهُ وَ أَوْقَعَهُمْ   إِسْلَامُ مَنْ وُفِّقُوا مِنْهُمْ بِقَعْرِ رَدَى
وَ هُمْ حَرِيصُ عَلَى تَكْذِيبِهِ سَفَهًا   وَ كَادَ يَنْشَقُّ مِنْهُمْ صَدْرُهُمْ حَرَدَا
لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُكَذِّبُوهُ حَيْثُ أَتَى   لَهُمْ بِمَا فِيهِ يَخْزَى كُلُّ مَنْ عَنِدَا
إِنْ كَذَّبُوهُ يُكَذِّبْهُمْ كِتَابُهُمُ   أَوْ عَانَدُوهُ فَقَدْ عَنَتْ لَهُ ٱلسُّعَدَا
لَوْ كَانَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ يُخَالِفُهُمْ   فِي ٱلْحَقِّ لَمْ يَسْكُتُوا إِذْ أَكْثَرُوا اللَّدَدَا
أَحْبَارُهُمْ صَدَّقُوا أَخْبَارَهُ وَ لَهُ   أَلْقَوا سِلَاحَهُمُ فَأَحْرَزُوا رَشَدَا

هَلْ لِلْيَهُودِ ٱعْتِذَارٌ فِي عِنَادِهِمُ   وَ خَيْرُ أَحْبَارِهِمْ بِفَضْلِهِ شَهِدَا
هَلْ لِلنَّصَارَى ٱعْتِذَارٌ فِي ضَلاَلَتِهِمْ   وَ غَيْرُهُمْ لِسَنَا أَنْوَارِهِ شَهِدَا
لاَ لاَ ٱعْتِذَارُ لَهُمْ وَ لَيْسَ يُقْبَلُ مِنْهُمْ ٱعْتِذَارٌ مِنَ ٱعْتِدَائِهِمْ أَبَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ يُرْشِدُ ٱلْقُرْآنُ سَامِعَهُ   مَدَى ٱلْقُرُونِ بِمَا فِيهِ كَمَالُ هُدَى
وَ لَيْسَ يُفْلِحُ مَنْ فِي ٱلنَّاسِ قَاوَمَهُ   وَ مَنْ يُقَاوِمْ حَقًّا لِلْعُيُونِ بَدَا
أَلَمْ يُنَبِّئْهُمُ بِكُلِّ مَا عَلِمُواْ   وَ بَعْضِ مَا جَهِلُوهُ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَافَى بِقِصَّةِ مُوسَى طِبْقَ مَا وَقَعَتْ   لَهُ مَعَ ٱلْخَضِرِ ٱلَّذِي ٱهْتَدَى وَ هَدَى
وَافَى بِقِصَّةِ يُوسُفٍ وَ إِخْوَتِهِ   فِي سُورَةٍ حُسْنُهَا فِي ٱلصُّورَةِ ٱتَّحَدَا
وَافَى بِقِصَّةِ أَهْلِ ٱلْكَهْفِ فَٱنْشَرَحَتْ   بِهَا ٱلصُّدُورُ وَ فِيهَا جَاءَ مَا ٱعْتَمِدَا
وَافَى بِقِصَّةِ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ فِي نَسَقٍ   مُنَظَّمٍ دُرُّهَا مِنْ بَعْدِمَا نَضُدَا
وَافَى بِقِصَّةِ لُقْمَانٍ وَ حِكْمَتِهِ   وَ نُصْحِهِ لِٱبْنِهِ بِمَا بِهِ سَعِدَا
وَ قَدْ أَجَابَ عَنِ ٱلرُّوحِ ٱلَّتِي سَأَلُوا   عَنْهَا بِخَيْرِ جَوَابٍ صَارَ مُعْتَمَدَا
وَ بَيَّنَ ٱلْحَقَّ فِي حِلٍّ وَ فِي حَرَمٍ   وَ ٱلْحَقُّ أَيَّدَهُ بِٱلْحَقِّ حَيْثُ غَدَا
وَ قَدْ أَبَانَ لَهُمْ فِي ٱلرَّجْمِ آيَتَهُ   مِنَ ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي أَخْفَاهُ مَنْ عَنِدَا
أَبَانَ مَا كَانَ إِسْرَائِيلُ حَرَّمَهُ   قَبْلاً عَلَى نَفْسِهِ وَ مَا بِهِ ٱنْفَرَدَا
أَبَانَ مَا حَرَّمُوا مِنْ أَجْلِ ظُلْمِهِمُ   مِنَ ٱلنَّعَائِمِ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
أَبَانَ مَا جَاءَ فِي ٱلتَّوْرَاةِ عِنْدَهُمُ   حَتَّى لَقَدْ صَحَّحُوا عَلَيْهِ مَا ٱنْتَقِدَا
أَبَانَ مَا جَاءَ فِي ٱلْإِنْجِيلِ بَيْنَهُمُ   مِمَّا بِهِ أَصْلَحَ ٱلنَّبِيُّ مَا فَسَدَا
أَبَانَ عَنْ كُلِّ مَا قَدْ زَادَهُمْ عَجَبًا   مِنْ أَمْرِهِ وَ أَبَانَ ٱلْحَقَّ وَ ٱلرَّشَدَا
وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ وَ بِهِ ٱلْقُرْآنُ جَاءَ وَ قَدْ عَمَّ ٱلْوَرَى مَدَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ مُبْدِيًا لِمَا بِهِ لَهِجَتْ   فِي ٱلْخَلْقِ ٱلْسُنُهُمْ وَ لَمْ أَقُلْ فَنَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ بَيْنَهُمْ مُقَرِّعًا لَهُمُ   فِي كُلِّ جِيلٍ بِمَا قَدْ طَاوَلَ ٱلْأَبَدَا
لَوْ أَنَّهُمْ عَثَرُوا عَلَى مُخَالَفَةٍ   لِلْحَقِّ فِي قَوْلِهِ لَهَوَّسُوا ٱلْبَلَدَا
لَمْ يَسْكُتُوا كَيْفَ لاَ وَ هُمْ قَدِ ٱخْتَلَقُوا   عَنْهُ أُمُورًا بِهَا تَسْفِيهِهِم شَهِدَا
مَا كَانَ عَنْ طِيبِ نَفْسِهِمْ سُكُوتُهُمْ   وَ كُلُّهُمْ رَامَ أَنْ يَرَاهُ مُنْتَقَدَا
بَلْ كُلُّ أَهْلِ ٱلنَّبِيِّ بِفَضْلِهِ شَهِدُوا   سِيَّانِ أَحْبَابِهِ وَ مَنْ لَهُ حَسَدَا

سَلْ أَهْلَ نَجْرَانَ إِذْ حَاجُوهُ وَ هْوَ إِلَى   حَقٍّ دَعَاهُمْ فَخَافُوا مِنْهُ مَا وَعَدَا
وَ سَلْ مُبَاهِتَهُ ٱبْنَ صُورِيَا وَ لَقَدْ   أَرَاهُ خَيْرُ ٱلْوَرَى حَقًّا بِهِ شَهِدَا
وَ سَلْ مُبَاهِتَهُ ٱبْنَيْ أَخْطَبٍ فَهُمَا   بِأَعْظَمِ ٱلْخَطْبِ قَدْ حَلَّا بِقَعْرِ رَدَى
وَ سَلْ سِوَاهُمْ فَلَا تَسْمَعْ سِوَى عَجَبٍ   مِمَّا بِهِمْ حَاقَ مِنْ شَرٍّ قَدِ ٱطَّرَدَا
مَا فَازَ غَيْرُ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا وَ بِمَا   وَافَى بِهِ آمَنُوا فَأَصْبَحُوا سُعَدَا
فَإِنَّهُ قَدْ أَتَى مُبَيِّنًا لَهُمُ   مَا كَانَ يُخْفِيهِ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ جَحَدَا
حَتَّى أُقِيمَتْ عَلَى الأَعْدَاءِ حُجَّتُهُ   وَفِي ٱلْهُدَى لِذَوِي ٱلنُّهَى غَدَا سَنَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي أَدَامَ رِفْعَتَهُ   مَعْ آلِهِ وَ جَمِيعِ ٱلصَّحْبِ دُونَ مَدَا

فصل

في وجوه أخرى من إعجاز القرآن

أَعْظِمْ بِمَنْقَبَةِ ٱلْقُرْآنِ مُعْجِزَةً   فِي ضِمْنِهَا بَاهِرُ الإِعْجَازِ قَدْ شَهِدَا
مَا كَانَ مِنْ مُعْجِزَاتٍ جَلَّ مَوْقِعُهَا   مَضَتْ فَفِيهِ ٱنْطَوَتْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ فِيهِ آيٌّ بِتَعْجِيزٍ مُصَرَّحَةٍ   لِكُلِّ مَنْ لِرَسُولِ اللهِ قَدْ جَحَدَا
كَقَوْلِهِ لِلْيَهُودِ فِي ٱدِّعَائِهِمْ   تَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ ٱلسُّعَدَا
وَ كُلُّهُمْ عَنْ تَمَنِّي ٱلْمَوْتِ قَدْ صرفوا   وَ مَا تَمَنَّاهُ مِنْهُمْ وَاحِدٌ أَبَدَا
هَلَّا تَمَنَّوْهُ حَيْثُ فِيهِ رَاحَتُهُمْ   وَ لَيْسَ مِنْ رَاحَةٍ لَهُمْ هُنَا وَغَدَا
مَا ذَاكَ إِلاَّ لِأَنَّ ٱلْحَقَّ عَجَّزَهُمْ   وَ عَنْهُ قَدْ صدفوا وَ أَكْثَرُوا اللددَا
قَالَ ٱلْأَصِيلِيِّ وَ مِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِمُ   أَنْ لَا تَرَى ذَا تَمَنٍّ مِنْهُمُ أَحَدَا
فَلَا تَرَى أَحَدًا عَلَيْهِ يُقْدِمُ إِنْ   يُدْعَى إِلَيْهِ ٱمْتِحَانًا فِيهِمُ عُهِدَا
وَ أَهْلُ نَجْرَانَ قَدْ حَاجُوهُ وَ هْوَ إِلَى   حَقٍّ دَعَاهُمْ لِيَسْلُكُوا طَرِيقَ هُدَى
دَعَا دُهَاتَهُمُ إِلَى مُبَاهَلَةٍ   لَمَّا أَصَرُّوا عَلَى تَهْوِيسِهِمْ حَسَدًا
فَصَالَحُوهُ عَلَى إِعْطَاءِ جِزْيَتِهِمْ   لَهُ وَ خَافُوا بِأَنْ يُرْمَوْا بِكُلِّ رَدَى
مِنْ بَعْدِمَا ٱلْعَاقِبُ ٱلْعَظِيمُ خَوَّفَهُمْ   فَعُوقِبُوا بِالَّذِي رَضُوهُ فِي ٱلشُّهَدَا
فَكَانَ تَعْجِيزُهُمْ مُشَاهَدًا وَ هُمُ   مِنْ غَيْرِ رَيْبٍ يَرَوْنَ ٱلْحَقَّ مَعْهُ غَدَا

وَ لَا تَرَى مِنْهُمُ فِي ٱلْغَابِرِينَ لِمَا   دُعُوا إِلَيْهِ مُجِيبًا طِبْقَ مَا وَرَدَا
فَأَيْنَ مَنْ عَانَدُوا وَ أَيْنَ مَنْ جَحَدُوا   مَنْ مِنْهُمُ أَطْفَأَ النُّورَ الَّذِي ٱتَّقَدَا
هَا الذكرُ أَنْبَأَهُمْ بِعَجْزِ سَالِفِهِمْ   عَنْهُ وَ عَجْزِ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِمْ وُجِدَا
فَصَحَّ أَخْبَارُهُ بِٱلْغَيْبِ دُونَ مِرَا   وَ ذَاكَ مُعْجِزَةٌ أُخْرَى لِمَنْ شَهِدَا

فصل

هَذَا ٱلْكِتَابُ ٱلْكَرِيمُ فِيهِ خَيْرُ هُدَى   وَ كَمْ أَبَانَ جدى وَ كَمْ أَبَادَ عِدَا
فِي قَلْبِ سَامِعِهِ تَحُلُّ هَيْبَتُهُ   فِي مَوْقِعٍ بِٱلْحَلَالِ ٱرْتَاعَ وَ ٱرْتَعَدَا
أَشَدُّهُ مَوْقِعًا عَلَى مُكَذِّبِهِ   بِمَا يَرَى فِيهِ مِمَّا قَطَّعَ ٱلْكَبِدَا
يَزْدَادُ شَرَّ نُفُورٍ مِنْ تلَاوَتِهِ   وَ لَا يَزَالُ بِهِ يُزَايِلُ ٱلْكَمَدَا
يَرَاهُ صَعْبًا عَلَيْهِ إِذْ يُعَانِدُهُ   فِي أَهْلِهِ وَ هُمُ عُدُّوا مِنَ ٱلسُّعَدَا
أَمَّا الَّذِي قَلْبُهُ بِالنُّورِ مُمْتَلِئٌ   فَلَا يَزَالُ بِهِ يَسْتَنْتِجُ الرَّشَدَا
تَزِيدُهُ هَيْبَةُ السَّمَاعِ مِنْهُ رِضَىً   بِهِ وَ يُحْرِزُ مِنْهُ النُّورَ وَ ٱلْمَدَدَا
تَلِينُ مِنْهُ ٱلْقُلُوبُ خَشْيَةً وَ لَهُ   تَعْنُو وَ كَمْ عِنْدَهُ مِنْ سَامِعٍ سَجَدَا
لان إطار عقول ٱلْعَارِفِينَ بِهِ   فَكَمْ بِهِ جَاهِلٌ مَعْنَاهُ قَدْ وَجَدَا
وَ كَمْ بِهِ فِي ٱلْوَغَى فِي ٱلْحِينِ سَامِعُهُ   أَلْقَى ٱنْقِيَادًا وَ كَانَ قَبْلُ مُلْتَحِدًا
قَدْ كَادَ قَلْبُ ٱبْنِ مُطْعِمٍ يَطِيرُ لَدَى   سَمَاعِهِ فَٱهْتَدَى بِهِ وَ نَالَ هُدَى
وَ ٱسْتَفْهَمَ ٱبْنُ رَبِيعَةَ النَّبِيَّ عَنِ الَّذِي بِهِ جَاءَ قَوْمَهُ كَمَا وَرَدَا
فَصَارَ يَتْلُو عَلَيْهِ فُصِّلَتْ فَغَدَا   عُتَيْبَةٌ بِشَدِيدِ ٱلرَّوْعِ مُرْتَعِدَا
وَ قَالَ لَمَّا أَتَاهُ قَوْمُهُ ٱلسُّفَهَا   لَقَدْ سَمِعْتَ كَلَامًا دُرُّهُ نُضُدَا
وَ اللهِ مَا سَمِعَتْ أُذْنَايَ قَطُّ بِمِثْلِهِ وَ لَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُهُ أَبَدَا
وَ كَمْ فَتَى رَامَ يَوْمًا أَنْ يُعَارِضَهُ   فَصَارَ فِي فَزَعٍ فَكَفَّ خَوْفَ رَدَى
وَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ قَالَ لَا أُعَارِضُ مَا   سَمِعْتُ ثُمَّ مَحَا مَا فِيهِ قَدْ عَنَدَا
وَ كَانَ فِي وَقْتِهِ مِنْ أَفْصَحِ ٱلْفُصَحَا   لَكِنَّهُ قَالَ بِٱلْحَقِّ الَّذِي شَهِدَا
وَ قِيلَ قَدْ رَامَهَا ٱلْغَزَالُ وَ هْوَ بَلِيغُ أَهْلِ أَنْدَلُسٍ وَجَدَّ وَ ٱجْتَهَدَا

لَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ خَشْيَةٌ وَ رَأَى   أَنَّ الَّذِي رَامَهُ عَنْ مِثْلِهِ بَعُدَا
فَآبَ عَمَّا جَنَاهُ فِي تَلَجْلُجِهِ   وَ تَابَ مِمَّا لَهُ قَدْ مَدَّ مِنْهُ يَدَا

فصل

قَدِ ٱنْقَضَتْ مُعْجِزَاتُ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَ لِلْقُرْآنِ مُعْجِزَةٌ لَا تَنْقَضِي أَبَدَا
بِحِفْظِهِ قَدْ تَكَفَّلَ ٱلْإِلَهُ فَلَا   يَأْتِيهِ مِنْ بَاطِلٍ رَغْمًا لِمَنْ عَندَا
مَرَّتْ عَلَيْهِ سِنُونَ وَ هْيَ فِي عَدَدٍ   أَلْفٍ وَ نِصْف سِوَى سِتِّينَ مُنْذُ بَدَا
وَ مَا سَمِعْنَا بِمَنْ فِي النَّاسِ عَارَضَهُ   أَوْ دَسَّ فِيهِ وَ كَمْ فَتًى لَهُ جَحَدَا
وَ مَا رَأَيْنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْأُلَى سَلِمَتْ   عُقُولُهُمْ مُطْعِنًا فِيمَا بِهِ ٱنْفَرَدَا
أَمَّا الَّذِي وَافَقَتْهُ ٱلْكُتْبُ فِيهِ فَقَدْ   أَتَى بِمَا بَهَرَ ٱلْعُقُولَ فِي ٱلشُّهَدَا
وَ كُلُّ مَنْ رَامَهُ بِٱلْكَيْدِ فِيهِ رُمِي   بِمَا بِهِ عَقْلُهُ بِالطَّيْشِ قَدْ فُقِدَا
فَيَرْجِعَ ٱلْقَهْقَرَى وَ فِي تَقَهْقُرِهِ   يَتُوبُ مِمَّا لَهُ أَرَادَ خَوْفَ رَدَى

فصل

وَ عَدَّ بَعْضُ ٱلْأَئِمَّةِ ٱلْأَفَاضِلِ مِنْ   وُجُوهِ إِعْجَازِهِ أَشْيَاءَ لِلرُّشَدَا
مِنْهَا تِلَاوَتُهُ حَلَتْ لِقَارِئِهِ   وَ سَامِعِيهِ وَ لَا يَمَلُّهُ أَبَدَا
تَرْدِيدُهُ مُوجِبٌ لَهُمْ مَحَبَّتُهُ   لَاسِيَّمَا عِنْدَ مَنْ أَمَدَّهُمْ مَدَدَا
وَ غَيْرُهُ دَائِمًا مِنَ ٱلْكَلَامِ مَتَى   يُعَادُ لَفْظًا يُعَادَى عِنْدَ مَنْ نَقَدَا
وَ فِي ٱلْمَذَاقِ حَلَا ٱلْقُرْآنُ فِي حِلَقِ ٱلْجُمُوعِ سَرْدًا وَ عِنْدَ مَنْ بِهِ ٱنْفَرَدَا
فَهْوَ ٱلْأَنِيسُ لِأَهْلِ خُلْوَةٍ وَ بِجَلْوَةٍ يُعَدُّ بِهِ ٱلْجَلِيسُ فِي ٱلسُّعَدَا
قَدْ رَقَّ لَفْظًا وَ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ   وَرَاقَ مَعْنًى فَمَا مَثِيلُهُ وَرَدَا
وَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ وَ هْوَ ٱلْفَصْلُ لَيْسَ يُرَى   بِٱلْهَزْلِ عِنْدَ الَّذِي بِجِدِّهِ ٱجْتَهَدَا
وَ لَا تَزِيغُ بِهِ ٱلْأَهْوَاءُ وَ هْيَ بِهِ   تَنْقَادُ لِلْحَقِّ وَ هْوَ يَكْشِفُ ٱلْكَمَدَا

وَ قَالَتِ ٱلْجِنُّ فِيهِ قَدْ غَدَا عَجَبًا   يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ بِالنُّورِ الَّذِي ٱتَّقَدَا

وَعَدَّ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْإِعْجَازِ مَا جَمَعَتْ   آيَاتُهُ مِنْ عُلُومٍ تُشْرِقُ ٱلْخَلَدَا
لَمْ تَعْهَدِ ٱلْعَرَبُ ٱلَّذِي تَضَمَّنَ فِي   أُسْلُوبِهِ مِنْ هُدًى لِلْعَالَمِينَ بَدَا
تِلْكَ ٱلْعُلُومُ ٱلَّتِي فِي ضِمْنِهِ حَشَدَتْ   مَا مِثْلُهَا فِي سِوَاهُ فِي ٱلْوَرَى وُجِدَا
مَا كَانَ فِي ٱلْأُمَمِ ٱلْأُخْرَى مُمَاثِلُهُ   مِمَّنْ تَقَدَّمَ أَوْ تَأَخَّرُوا أَبَدَا
عَلَى طِرَازٍ بَدِيعٍ قَدْ بَدَا لَهُمُ   فِي سِلْكِ لَفْظٍ لَهُ كَمْ عَاقِلٍ سَجَدَا
عِلْمُ ٱلشَّرَائِعِ فِيهِ قَدْ تَقَرَّرَ فِي   أَتَمِّ إِيضَاحِ بُرْهَانٍ يَزِيدُ هُدَى
كَمْ فِيهِ مِنْ حِكَمٍ وَ مِنْ مَوَاعِظَ مَعْ   مَحَاسِنِ ٱلْأَدَبِ ٱلَّذِي بِهَا ٱنْفَرَدَا
فِي ضِمْنِهِ كُلُّ شَيْءٍ تَمَّ رَوْنَقُهُ   وَ ٱلدَّهْرُ لَا زَالَ يُبْدِي مِنْهُ مَا حمدَا
مِنْ كُلِّ مَا مَثَلٍ وَ كُلِّ مُخْتَرِعِ   وَكُلِّ مَا عَجَبٍ فِي ٱلْكَوْنِ مِنْهُ بَدَا
بِهِ تَفَتَّحَتِ ٱلْعُيُونُ وَ ٱنْشَرَحَتْ   بِهِ ٱلصُّدُورُ وَ عَنْهَا أَذْهَبَ ٱلْكَمَدَا
وَفِيهِ أَضْعَافُ مَا فِي ٱلْكُتْبِ مُتَّضِحًا   فِي حُسْنِ إِيجَازِ لَفْظٍ دُرُّهُ نَضَدَا
وَفِي مَجَالِ مَجَالَيْهِ ٱلْعُقُولُ غَدَتْ   مُقَيَّدَاتٍ بِمَا فِي ٱلْآيِ مِنْهُ غَدَا
آيَاتُ حَقٍّ مِنَ ٱلرَّحْمَنِ قَدْ نَزَلَتْ   تُؤَيِّدُ ٱلْحَقَّ بِٱلْحَقِّ ٱلَّذِي شهدَا
مُحَكَّمَاتٍ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ   لِذِي شِقَاقٍ وَ مَنْ بِهَا ٱهْتَدَى سَعِدَا
أَحْكَامُهُ أُيِّدَتْ بِٱلْحَقِّ فِي عَلَنٍ   وَ ٱلنَّاسُ لَنْ يَقْبَلُوا ٱلَّذِي لَهَا ٱنْتَقَدَا
أَخْبَارُهُ كُلُّهَا فِيمَنْ مَضَى وَ بَقِي   تُبْدِي ٱلْحَقَائِقَ بِٱلْحَقِّ ٱلَّذِي ٱعْتُمِدَا
أَبْدَى أَدِلَّتَهَا فِي أَبْدَعِ ٱلنَّسَقِ ٱلَّذِي بِهَا لَمْ يَدَعْ لِغَيْرِهَا رَشَدَا
كَمْ رَامَ ينصب مِثْلَهَا مُعَانِدُهَا   وَ مَا ٱسْتَطَاعَ مُحَاكَاةً بِهَا ٱجْتَهَدَا
وَ عَدَّ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْإِعْجَازِ أَنَّ بِهِ   جَمْعُ ٱلدَّلِيلِ مَعَ ٱلْمَدْلُولِ مُطَّرِدَا
تَالِيهِ يَفْهَمُ مِنْهُ مَا أَبَانَ لَهُ   إِذْ لَفْظُهُ مَعَ مَعْنَاهُ قَدِ ٱتَّحَدَا
وَ عَدَّ مِنْهَا بِأَنْ أَتَى عَلَى نَسَقٍ   فِي ٱلنَّظْمِ وَ ٱلنَّثْرِ عِنْدَ ٱلْعُرْبِ مَا عُهِدَا
مَا كَانَ شِعْرًا وَ لَا سَجْعَ ٱلْكَهَانَةِ بَلْ   فِي غَايَةِ ٱلْحُسْنِ جَاءَ يُظْهِرُ ٱلرَّشَدَا
وَ عَدَّ مِنْهَا بِأَنَّ اللهَ يَسَّرَ حِفْظَهُ فَأَنْجَزَ فِيهِ مَا بِهِ وَعَدَا
وَ سَائِرُ ٱلْأُمَمِ ٱلْأُخْرَى لَهَا كُتُبُ   لَمْ تَحْظَ بِٱلْحِفْظِ رَغْمًا لِلَّذِي عَنِدَا
وَ عَدَّ مِنْهَا بَدِيعَ ٱلْإِرْتِبَاطِ وَ حُسْنَ ٱلْإِئْتِلَافِ ٱلَّذِي فِي ٱلْآيِ قَدْ وُجِدَا

وَ مَا تَخَلَّلَهَا فِي مَوْضِعٍ خَلَلٌ   بَلْ كُلُّهَا أَشْرَقَتْ بِنُورِهَا ٱلْخَلَدَا

وَ غَيْرُهُ مِنْ فَصِيحٍ إِنْ يَطُلْ ضَعُفَتْ   قِوَاهُ فِي سَائِرِ ٱلْأَقْسَامِ إِنْ قَصَدَا
فَٱنْظُرْ لِأَوَّلِ صَادٍ مَعْ نَظَائِرِهِ   فَإِنَّهَا لِلصُّدُورِ كَمْ يُرِيحُ صَدَا
وَ عَدَّ مِنْهَا ٱنْطِوَاءُ مَا تَكَاثَرَ فِي   مَا قَلَّ مِنْ كَلِمٍ فِيهِ جَلَتْ كَمَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ وُجُوهٍ لَمْ تَكُنْ ذُكِرَتْ   هُنَا وَ لَكِنْ كَفَانِي مَا هُنَا سَرَدَا
فَبَعْضُهَا عَدَّدُوهُ مِنْ بَلَاغَتِهِ   وَ بَعْضُهَا مِنْ فَضَائِلٍ بِهَا ٱنْفَرَدَا
وَ ٱلْأَوْجُهُ ٱلْأَرْبَعُ ٱلَّتِي مَضَتْ جَمَعَتْ   مِنْ نَظْمِ إِعْجَازِهِ مَا عُدَّ مُعْتَمَدَا
وَ غَيْرُهَا حَسَبُوهُ مِنْ عَجَائِبِهِ ٱلَّتِي تَفُوقُ بِمَا لَمْ أُحْصِهِ عَدَدَا

فصل

في انشقاق القمر و حبس الشمس

لِلْمُصْطَفَى ٱنْشَقَّ فِي أَوْجِ السَّمَا ٱلْقَمَرُ السَّامِي بِإِيمَائِهِ فِي مَجْمَعِ ٱلشُّهَدَا
وَ ٱنْشَقَّ نِصْفَيْنِ حَتَّى رِيءَ بَيْنَهُمَا   حِرَاءُ رَغْمًا لِأَنْفِ مَنْ لَهُ جَحَدَا
وَ الذِّكْرُ صَرَّحَ بِٱنْشِقَاقِهِ وَ بِهِ ٱلنَّصُّ ٱلصَّرِيحُ ٱلصَّحِيحُ جَاءَ مُعْتَمَدَا
وَ لَا ٱلْتِفَاتُ لِمَخْذُولٍ يُعَارِضُهُ   بِمَا بِهِ قَدْ هَذَى وَ مَا لَدَيْهِ هُدَى
فَقَالَ لَوْ كَانَ هَذَا الِانْشِقَاقُ لَمَا   خَفَى عَلَى النَّاسِ طُرًّا أَمْرُهُ أَبَدَا
وَ مَا درى ٱلْغُمْرُ أن في مطالعه   خلفا و رب سماوي عم ما شهدا
وَرُبَّ شَيْءٍ يُرَى لَيْلًا مُصَادَفَةً   وَ رُبَّمَا لَا يَرَاهُ مَنْ لَهُ رَصَدَا
وَ الشَّمْسُ بَعْدَ ٱلْغُرُوبِ رَدَّهَا لِعَلِي   دُعَاؤُهُ وَ هُوَ مِنْ أَسْمَاءَ قَدْ وَرَدَا
وَ قَدْ أَتَى فِي حَدِيثٍ أَنَّهَا حُبِسَتْ   عَنِ ٱلْغُرُوبِ لِسِرٍّ مِنْهُ فِيهِ بَدَا
رَأَى قَوَافِلَ فِي مَسْرَاهُ ثُمَّ بِهَا   قُرَيْشًا أَخْبَرَ بَعْدَ مَا لَهُمْ وَرَدَا
وَ قَالَ يَأْتُونَ يَوْمَ ٱلْأَرْبِعَاءِ وَ لَمْ   تَغِبْ بِهِ الشَّمْسُ حَتَّى وَفْدُهُمْ وَفَدَا
وَ امْتَدَّ وَقْتُ ٱلْغُرُوبِ سَاعَةً ظَهَرَتْ   مَقَالَةُ الصِّدْقِ فِيهَا طِبْقَ مَا وَعَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي بِٱلْحَقِّ أَرْسَلَهُ   فَكَانَ فِي ٱلْخَلْقِ خَيْرَ مَنْ أَتَى بِهُدَى
مَعَ السَّلَامِ عَلَيْهِ مَعْ ذَوِيهِ وَ مَنْ   قَدِ ٱقْتَدَى بِهِمُ فِي ٱلْخَلْقِ دُونَ مَدَى

فصل

في نبع الماء من بين أصابعه و تكثيره
ببركته صلى الله عليه و سلم

لِلْمُصْطَفَى مِنْ خَوَارِقِ ٱلْعَوَائِدِ مَا   بِهِ غَدَا مُرْغِمًا لِأَنْفِ مَنْ عَنَدَا
عَنْهَا أَتَتْ بَعْضُ أَخْبَارٍ يُحَدِّثُنَا   بِهَا أَفَاضِلُ أَخْيَارٍ مِنَ ٱلسُّعَدَا
مِنْهَا أَحَادِيثُ نَبْعِ ٱلْمَاءِ بَيْنَ أَصَا   بِعٍ لَهُ قَدْ رَوَاهَا مَنْ لَهُ شَهِدَا
عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودِ ٱلْأَرْضَى وَ عَنْ أَنَسٍ   وَ جَابِرٍ صَحَّ مِنْهَا مَا نَفَى ٱلْكَمَدَا
رَأَوْا بِأَعْيُنِهِمْ بَيْنَ ٱلْأَصَابِعِ مِنْهُ ٱلْمَاءَ يَنْبَعُ بَيْنَ مَنْ لَهُ وَرَدَا
وَ كَانَ جُمْلَتُهُمْ فِي ٱلْعَدِّ مُخْتَلِفًا   بَيْنَ الرِّوَايَاتِ مِمَّنْ حَقَّقَ ٱلْعَدَدَا
فَقِيلَ أَلْفٌ وَ نِصْفُهُ وَ كُلُّهُمُ   مِنْ نَبْعِهِ قَدْ رَوَوْا مَا زَادَهُمْ مَدَدَا
حَتَّى لَقَدْ قِيلَ لَوْ كُنَّا إِذَنْ مَائَةَ الأَ   لْفِ ٱرْتَوَيْنَا بِمَا أَزَاحَ كُلَّ صَدَا
فَٱعْرِفْ بِذَلِكَ سِرَّ ٱلْمُصْطَفَى وَ بِهِ ٱغْتَرِفْ مِنْهُ بِٱلْحُبِّ مَا بِهِ تَزِيدُ هُدَى
وَ لَا يُدَاخِلْكَ وَهْمٌ فِي حَدِيثِهِمُ   فَإِنَّهُمْ مِنْ أَجَلِّ ٱلسَّادَةِ ٱلشُّهَدَا

فصل
من هذا القبيل المعدود من المعجزات

بِدَعْوَةِ ٱلْمُصْطَفَى لَهُ تَفَجَّرَ مَا   بِهِ ٱرْتَوَى وَ ٱسْتَقَى قَوْمٌ هُمُ سُعَدَا
وَ فَاضَتِ ٱلْعَيْنُ مُذْ أَلْقَى غسالَتَهُ   فِيهَا فَأَرْوَتْ مِنَ المِئَيْنِ عد يَدَا
وَ جَاشَتِ ٱلْبِيرُ مُذْ أَلْقَى ٱلْبُصَاقَ بِهَا   وَ قَدْ عَلَتْ وَ جَلَتْ لِمَنْ لَهَا وَرَدَا
وَ فِي قُلَيْبٍ رَمَى سَهْمًا وَ لَيْسَ بِهِ   مَاءٌ فَفَاضَ وَ أَرْوَى فَيْضُهُ ٱلْعَدَدَا
وَ قَدْ رَوَى ٱلطَّبَرِي فِي حَدِيثِ أَبِي   قَتَادَةٍ مُعْجِزَاتٍ سِرُّهُنَّ بَدَا
وَ ذَاكَ لَمَّا أَمَدَّ أَهْلَ مؤتةَ خَيْرُ ٱلْخَلْقِ أَخْبَرَ صَحْبَهُ بِمَا شَهِدَا
فَقَالَ إِنَّهُمُ سَيَفْقِدُونَ مَعَ السِّطَرِيقِ مَاءً فَكَانَ طِبْقَ مَا وَعَدَا
وَ هُمْ زُهَاءُ ثَلَاثٍ مِنْ مِئَيْنٍ وَ قَدْ   أَتَوْهُ يَشْكُونَ مَا لَاقُوا بِفَرْطِ صَدَا

وَ قَدْ أَتَوْهُ بِمَيضَاةٍ وَ مِنْ فَمِهَا   سَقَاهُمُ كُلَّهُمْ وَ زَادَهُمْ مَدَدَا

وَ جَاءَ فِي مُسْلِمٍ أَمْرُ النَّبِي لِأَبِي   قَتَادَةٍ بِٱحْتِفَاظِهَا لِدَفْعِ رَدَى
وَ قَالَ سَوْفَ يَرَى لَهَا غَدًا نَبَأً   فَكَانَ مِنْ شَأْنِهَا مَا كَانَ مُعْتَمَدَا
وَ جَاءَ أَنَّهُمُ فِي سَفْرَةٍ عَطِشُوا   وَ ٱلْمُصْطَفَى مَعَهُمْ وَ ٱلْمَاءُ قَدْ فُقِدَا
فَوَجَّهَ ٱلْمُصْطَفَى شَخْصَيْنِ قَدْ أَتَيَا   إِلَيْهِ بِامْرَأَةٍ فَازَتِ بِخَيْرِ هُدَى
قَدْ كَانَ دَلَّهُمَا عَلَى ٱلَّذِي مَعَهَا   مَعَ ٱلْمَحَلِّ الَّذِي فِيهِ لَهَا وُجِدَا
فَصَبَّ شَيْئًا قَلِيلًا مِنْ مَزَادَتِهَا   لَدَى إِنَاءٍ بِهِ قَدْ فَاضَ مُطَّرِدَا
وَ بَعْدَ وَرْدِهِمُ وَ حَمْلِ مَا قَدَرُوا   عَلَيْهِ رَدَّ لَهَا المَاءَ ٱلَّذِي رَفَدَا
وَ قَالَ نَحْنُ سَقَانَا اللهُ جَلَّ وَ لَمْ   نَأْخُذْ مِنَ المَاءِ شَيْئًا فَاذْهَبِي بِجَدَا
وَ هَا هُنَا قَالَ مَنْ رَوَى تُخُيِّلَ لِي   زِيَادَةٌ فِي ٱلْمَزَادَةِ الَّتِي شَهِدَا
وَ جِيءَ يَوْمًا لَهُ فِي سَفْرَةٍ بِادَا   وَةٍ بِهَا نُطْفَةٌ بِهَا أَزَاحَ صَدَا
فَصَبَّهَا فِي إِنَاءٍ فَاضَ بَيْنَهُمُ   بِمَا رَوَاهُمْ وَ هُمْ مِئُونَ عَدَّ يَدَا
وَ جَاءَ عَنْ عُمَرٍ فِي جَيْشِ عُسْرَتِهِمْ   وَ فَقْدَ مَائِهِمُ مَا أَبْرَدَ ٱلْكَبِدَا
كَانُوا مِنَ العَطَشِ ٱلَّذِي أَصَابَهُمُ   يُبَادِرُونَ لِنَحْرِ ٱلنُّوقِ خَوْفَ رَدَى
وَ يَشْرَبُونَ عَصِيرَ ٱلْفَرْثِ مِنْ ظَمَإٍ   وَ قَدْ أَتَاهُ أَبُوبَكْرٍ وَ مَدَّ يَدَا
وَ قَالَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا ٱدْعُ رَبَّكَ فِي   إِغَاثَةٍ فَفُؤَادِ ٱلْقَوْمِ قَدْ فُئِدَا
فَمَدَّ مِنْهُ ٱلْيَدَيْنِ دَاعِيًا وَ لَهُ   فِي ٱلْحِينِ مِنْهُ أَجَابَ اللهُ كُلَّ نِدَا
فَانْهَلَّ غَيْثٌ عَلَيْهِمْ مَا تَجَاوَزَهُمْ   وَ قَدْ سَقَاهُمْ وَ أَحْيَى مِنْهُمُ ٱلْخَلَدَا
وَ كَانَ يَوْمًا بِذِي ٱلْمَجَازِ مُرْتَدِفًا   مَعَهُ أَبُو طَالِبٍ وَ قَدْ شَكَاهُ صَدَا
فَضرب ٱلْأَرْضَ بِالرِّجْلِ ٱلشَّرِيفَةِ كَيْ   تَجْرِي فَفَاضَتْ بِمَاءٍ مِنْهُ قَدْ وَرَدَا
وَ مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ مِنْ خَوَارِقِ عَا   دَاتٍ بِهَا كَانَ مُرْغِمًا لِأَنْفِ عِدَا
مِنْهَا سَرِيعُ إِجَابَةِ ٱلدُّعَاءِ لَدَى ٱسْتِسْقَائِهِ بَيْنَ مَنْ عَنْهُمْ نَفَى ٱلْكَمَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الإِلَهُ فَهْوَ أَكْرَمَهُ   بِمَا أَحَبَّ وَ زَادَهُ هُدًى وَجَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى كُلِّ النَّبِيِّينَ مَعْ   أَتْبَاعِهِمْ فِي طَرِيقِ ٱلْحَقِّ دُونَ مَدَا

فصل

في تكثير الطعام القليل ببركته و دعائه

صلى الله عليه و سلم تسليما

لِلْمُصْطَفَى ٱلْبَرَكَاتُ فِي ٱلطَّعَامِ بَدَتْ   وَ كَمْ صَحَابِي لَهَا مَعْ غَيْرِهِ شَهِدَا
فَقَدْ أَتَى رَجُلٌ لَهُ فَأَكْرَمَهُ   بِشَطْرِ وَسْقِ شَعِيرًا حِينَ رَامَ جَدَا
مَا زَالَ يَأْكُلُ مِنْهُ فِي ذَوِيهِ إِلَى   أَنْ كَالَهُ وَ رَآهُ قَبْلُ مَا نَفِدَا
وَ أَخْبَرَ ٱلْمُصْطَفَى بِهِ فَقَالَ لَهُ   لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَقَامَ فِيكُمُ مَدَدَا
وَ عَنْ أَبِي طَلْحَةٍ إِطْعَامُهُ لِجَمَا   عَةٍ بِمَا أَنَسٌ بِهِ لَهُ وَفَدَا
نَحْوَ الثَّمَانِينَ قَدْ كَانُوا فَأَشْبَعَهُمْ   بِهِ وَ كَانَ مِنَ ٱلشَّعِيرِ قَدْ ثَرِدَا
أَتَى بِهِ تَحْتَ إِبْطِهِ وَ فَتَّتَهُ   بِأَمْرِهِ وَ كَفَاهُمْ كُلَّهُمْ لِغَدَا
وَ جَاءَ عَنْ جَابِرٍ فِي يَوْمِ خَنْدَقِهِمْ   إِطْعَامُهُ أَلْفَ شَخْص لَمْ يَدَعْ أَحَدَا
وَ مِنْ عِنَاقِ وَ صَاعِ كُلُّهُمْ شَبِعُوا   وَ لَمْ يَقَعْ مِنْهُمَا نُقْصٌ كَمَا شَهِدَا
مِنْ بَعْدِمَا بَصَقَ النَّبِي بِبُرْمَتِهِ   وَ فِي ٱلْعَجِينِ كَمَا حَدِيثُهُ وَرَدَا
وَ جَاءَ عَنْ ثَابِتٍ أَنَّ النَّبِيَّ أَتَى   بَيْتًا وَ مَعْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّشَدَا
وَ جِيءَ فِيهِ بِمِثْلِ ٱلْكَفِّ وَسْطَ إِنَا   فَصَارَ يَبْسُطُهُ بِهِ وَ هُمْ شُهَدَا
وَ قَالَ مَا قَالَ ثُمَّ كُلُّهُمْ أَكَلُوا   مِنْهُ وَ مِنْهُ بَقَا مِثْلُ الَّذِي وُجِدَا
وَ جَاءَ أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ كَانَ دَعَا   خَيْرَ الأَنَامِ مَعَ ٱلصِّدِّيقِ مُنْفَرِدَا
وَ لَمْ يُهَيِّئْ سِوَى ٱلْأَكْلَ الَّذِي لَهُمَا   يَكْفِي وَ بَيْنَهُمَا ٱسْتَدْعَى لَهُ عَدَدَا
أَتَى ثَلَاثُونَ مِنْ أَنْصَارِهِ مَعَهُ   بِإِذْنِهِ أَكَلُوا وَ ٱلْأَكْلُ مَا نَفِدَا
وَ جَاءَ سِتُّونَ أَيْضًا بَعْدَهُمْ وَ أَتَى   سَبْعُونَ أَيْضًا وَ قَدْ أَمَدَّهُمْ مَدَدَا
وَ كُلُّهُمْ أَسْلَمُوا وَ بَايَعُوهُ بِمَا   رَأَوْهُ مِنْ سِرِّهِ الَّذِي لَدَيْهِ بَدَا
قَالَ ٱلصَّحَابِي أَبُو أَيُّوبَ عَدَّهُمُ   يَرَى ثَمَانِينَ مَعْهُمْ مِائَةٌ وَجَدَا
وَ فِي حَدِيثِ ٱبْنِ جُنْدُبٍ أَتَى أَتِي النَّبِي بِقَصْعَةِ لَحْمٍ بَيْنَ مَنْ رَشَدَا

فَصَارَ يَدْعُو لَهَا قَوْمًا وَ بَعْدَهُمُ   قَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ مِنْ غَدَاتِهِ لِغَدَا
فَشَاهَدُوا ٱلْبَرَكَاتِ فِي تَنَاوُلِهِمْ   مِنْهَا وَ ذَلِكَ مِنْ سِرٍّ لَهُ شَهِدَا
وَ حَدَّثَ ٱبْنُ أَبِي بَكْرٍ بِأَنَّ رَسُو   لَ اللهِ أَكْرَمَ صَحْبَهُ بِمَا شَهِدَا

كَانُوا ثَلَاثِينَ شَخْصًا مَعْهُمُ مِائَةٌ ”   لَدَيْهِ قَدْ حَضَرُوا فَخَصَّهُمْ بِجَدَا
إِلَيْهِ قَدْ صُنِعَتْ شَاةٌ فَحَزَّ لَهُمْ   مِنَ ٱلسَّوَادِ ٱلَّذِي بِبَطْنِهَا وُجِدَا
وَ كُلُّهُمْ شَبِعُوا مِنْهَا وَ قَدْ فَضَلَتْ   لَدَيْهِمُ فَضْلَةٌ مِنْهَا كَمَا وَرَدَا
وَ ذَاكَ مِنْ بَرَكَاتِهِ ٱلَّتِي شُهِدَتْ   وَ مِثْلُ هَذَا بِهِ ٱلْوَرَى لَهُ شُهِدَا
وَ عَنْ أَمَاثِلَ قَوْمٍ مِنْ صَحَابَتِهِ   قَدْ حَدَّثُوا عَنْهُ بِالَّذِي نَفَى ٱلْكَمَدَا
قَالُوا أَصَابَتْ جَمِيعَ النَّاسِ مَخْمَصَةٌ ”   فِي غَزْوَةٍ مَعَهُ كَانُوا وَ هُمْ شُهَدَا
فَاسْتَجْمَعَ الزَّادَ مِنْهُمُ وَ قَدْ جَمَعُوا   مِقْدَارَ رَبْضَةِ عَنْزٍ عِنْدَ مَنْ شَهِدَا
ثُمَّ دَعَا النَّاسَ حَتَّى أَنَّهُمْ مَلَئُوا   كُلَّ المَزَاوِدِ مِنْهُ وَ هُوَ مَا نَفِدَا
فَكَانَ ذَلِكَ زَادَهُمْ وَ زَادَهُمُ   بِهِ يَقِينًا بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ حَسَدَا
وَ قَدْ أَتَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةٍ خَبَرٌ   قَدْ زَادَ أَهْلَ ٱلْهُدَى فِي ٱلْعَالَمِينَ هُدَى
فَقَالَ إِنِّي جَمَعْتُ أَهْلَ صُفَّتِنَا   وَ جِئْتُ مَعْهُمْ إِلَى أَجَلِّ مَنْ حَمِدَا
فَحَطَّ بَيْنَ يَدَيْنَا صَحْفَةً فَأَكَلْنَا كُلُّنَا وَ فَرَغْنَا مِنْهُ خَيْرَ جِدَا
وَ مَا رَأَيْنَا بِهَا نَقْصًا سِوَى أَثَرٍ   مِنَ ٱلْأَصَابِعِ مِنَّا فَوْقَهَا شُهِدَا
وَ عَنْ عَلِيٍّ أَتَى أَنَّ ٱلنَّبِيَّ دَعَا   مَنْ كَانَ مطلبيا مَرَّةً لِغَدَا
وَ عَدُّهُمْ أَرْبَعُونَ بَيْنَهُمْ نَفَرٌ ”   لَا يَشْبَعُونَ إِذَا ٱلطَّعَامُ قَدْ وُجِدَا
وَ حَطَّ بَيْنَهُمُ مِنَ الطَّعَامِ لَهُمْ   مُدًّا بِهِ شَبِعُوا طُرًّا وَ مَا نَفِدَا
بَلْ مَا تَنَاقَصَ شَيْئًا وَ ٱلْجَمِيعُ رَأَى   بِهِ مِنَ ٱلْبَرَكَاتِ مَا بِهِ شَهِدَا
وَ جَاءَ عَنْ أَنَسٍ أَمْرُ ٱلنَّبِيِّ لَهُ   بِدَعْوَةٍ خَصَّ مَنْ سَمَى وَ مَنْ وُجِدَا
وَ ذَاكَ لَمَّا ٱبْتَنَى بِزَيْنَبٍ فَدَعَا   هُمُ وَ جَمْعُهُمُ بِدَارِهِ ٱحْتَشَدَا
فَقَدَّمَ ٱلْمُصْطَفَى مِنَ الطَّعَامِ لَهُمْ   مِقْدَارَ مُدٍّ كَفَاهُمْ وَ مَا نَفِدَا
مِنْ بَعْدِ مَا غَمَسَ النَّبِيُّ أَصَابِعَهُ ٱلثَّلَاثَ فِيهِ وَ فِيهِ النَّقْصُ مَا وُجِدَا
وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ أَنَّهُمُ   نَحْوُ ٱلثَّلَاثِ مِئِينِ عُدِّدُوا عَدَدَا
وَ بَعْدَ مَا شَبِعُوا لَمْ يَدْرِ هَلْ وُضِعَتْ   كَذَاكَ أَوْ زِيدَ فِيهَا بَيْنَ مَنْ وَرَدَا

وَ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ أَنَّ فَاطِمَةَ   قَدْ وَجَّهَتْهُ لِيَسْتَدْعِي النَّبِيَّ لِغَدَا
مِنْ بَعْدِ مَا طَبَخَتْ مِقْدَارَ أَكْلِهِمَا   أَتَى وَ مَا فَعَلَتْهُ عِنْدَهُ حُمِدَا
وَ مِنْهُ قَدْ غَرَفَتْ لِكُلِّ نِسْوَتِهِ   بِصَحْفَةٍ صَحْفَةً مَلْئَى وَ مَا نَفِدَا

بَلْ قدرها رَفَعَتْهَا بَعْدَ ذَاكَ لَهَا   وَ إِنَّهَا لَتَفِيضُ عِنْدَهَا مَدَدَا
وَ جَاءَ عَنْ عُمَرٍ تَزْوِيدُ أَرْبَعَةٍ   مِنَ ٱلْمِئَيْنِ بِمَا النَّبِي لَهُ رَفَدَا
وَ كَانَ قَدْرُ فَصِيلٍ رَابِضٍ رُطَبًا   وَ مَا تَنَاقَصَ بَلْ بَقِي كَمَا وُجِدَا
وَ جَاءَ عَنْ جَابِرٍ فِي دَيْنِ وَالِدِهِ   إِيفَاؤُهُ ٱلْغُرَمَا بِمَا بِهِ ٱنْفَرَدَا
وَ قَدْ أَبَوْا مِنْ قَبُولِ مَالِهِ فَدَعَا   لَهُ النَّبِيُّ فَأَدَّاهُ وَ مَا نَفَدَا
مِنْ بَعْدِ مَا جدها بِإِذْنِهِ وَ مَشَى   فِيهَا وَ قَدْ فَضُلَتْ بِقَدْرِهَا بَادَا
وَ كَانَتِ ٱلْغُرَمَا مِنَ ٱلْيَهُودِ وَ قَدْ   تَعَجَّبُوا مِنْ شُهُودِهِ مَعَ ٱلشُّهَدَا
وَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةٍ ظَهَرَتْ   عَجَائِبُ ٱلْبَرَكَاتِ طِبْقَ مَا وَرَدَا
فَقَالَ قَدْ نَزَلَتْ بِالنَّاسِ مَخْمَصَةٌ   وَ قَدْ أَضَرَّتْ بِهِمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
فَجِيءَ لِلْمُصْطَفَى بِمِزْوَدٍ وَ بِهِ   شَيْءٌ مِنَ ٱلتَّمْرِ فِيهِ مَدَّ مِنْهُ يَدَا
وَ أَخْرَجَ ٱلْمُصْطَفَى شَيْئًا بِقَبْضَتِهِ   وَ صَارَ يَبْسُطُهَا وَ صَحْبُهُ شَهِدَا
وَ قَدْ دَعَا اللهَ فِيهِ أَنْ يُبَارِكَ ثُمَّ قَالَ لِي ٱدْعُ إِلَيْنَا عَشَرَةً عَدَدَا
فَجِئْتُهُ بِهِمُ وَ مِنْهُ قَدْ شَبِعُوا   وَ هَاكَذَا عَشَرَةٌ فَعَشَرَةٌ شَهِدَا
حَتَّى أَتَى عَنْ أَخِيرِ جَيْشِهِ وَ لَهُ   قَدْ قَالَ خُذْ مَا بِهِ قَدْ جِئْتَ مُنْفَرِدَا
فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ ذُخْرًا يَعِيشُ بِهِ   حَتَّى ٱنْتَهَى بِانْتِهَائِهِ وَ مَا فَسَدَا
وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ قَالَ أَنَا   حَمَلْتُ مِنْهُ كَذَا كَذَا وَ مَا نَفِدَا
وَ جَاءَ فِي خَبَرٍ أَنَّ ٱلْمَجِيءَ بِهِ   إِلَيْهِ بِضْعَةُ عَشْرٍ تَمْرَةٍ وُجِدَا
وَ لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ مِنْهُ بَقِيَّتُهُ   يَقْتَاتُ مِنْهَا أَبُو هُرَيْرَةٍ أَمَدَا
وَ قَالَ أَيْضًا أَبُو هُرَيْرَةٍ وَ لَقَدْ   أَصَابَنِي ٱلْجُوعُ فِي يَوْمٍ وَ بِي جَهِدَا
وَ قَدْ تَبِعْتُ ٱلنَّبِي عَسَايَ يَمْنَحُنِي   بِمَا عَسَى أَلْتَقِيهِ مِنْ جَمِيلٍ جَدَا
فَصَادَفَ ٱلْمُصْطَفَى فِي سَيْرِهِ قَدَحًا   إِلَيْهِ مِنْ لَبَنٍ أَهْدَاهُ مَنْ سَعِدَا
فَقَالَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ لِي ائْتِ بِأَهْلِ صُفَّةٍ فَعَسَى يَلْقَوْنَ مِنْهُ غَدَا
فَقُلْتُ لَمْ يَكْفِهِمْ هَذَا وَ كُنْتُ أَحَقُّ مِنْ سِوَاىَ لِيُطْفِي مِنْ حَشَايَ صَدَا

وَ جِئْتُهُ بِهِمُ وَ قَالَ لِي ٱسْقِهِمُ   حَتَّى سَقَيْتُهُمُ كُلًّا كَمَا قَصَدَا
وَ قَالَ لِي بَعْدَمَا ٱرْتَوَوْا بَقِيتُ أَنَا   وَ أَنْتَ فَٱشْرَبْ وَ زِدْ فِي ٱلشُّرْبِ وَ اجْتَهِدَا
وَ قَدْ شَرِبْتُ وَ زِدْتُ فَوْقَ مَقْدِرَتِي   فِي ٱلشُّرْبِ وَ هُوَ يَقُولُ ٱشْرَبْ تَنَلْ رَشَدَا

حَتَّى ٱمْتَلَأَتْ وَ ضَاقَ مَعْهُ لِي نَفَسِي   وَ لَمْ تَزَلْ فَضْلَةٌ يَرْوِي بِهَا عَدَدَا
وَ بَعْدَ فَرْطِ ٱرْتِوَائِي مِنْهُ مِثْلُهُمُ   نَاوَلْتُهُ ٱلْفَضْلَةَ الَّتِي لَهَا حَمِدَا
فَكَانَ بِٱلْقَدَحِ ارْتِوَاءُ سَائِرِنَا   وَ ذَاكَ مِنْ سِرِّهِ الَّذِي بِهِ ٱنْفَرَدَا
وَ جَاءَ عَنْ خَالِدٍ وَ مَنْ يُمَوِّنُهُمْ   لَمْ تَكْفِ مَجْمَعَهُمْ شَاةٌ بِوَقْتِ غَدَا
فَأَجْزَرَ ٱلْمُصْطَفَى شَاةً وَ أَوْدَعَ فِي   دَلْوٍ لَهُ فَضْلَةً وَ قَدْ دَعَا ٱلصَّمَدَا
فَشَاهَدُوا بَرَكَاتٍ بَعْدَمَا أَكَلُوا   وَ أَفْضَلُوا وَ بِهَا قَدْ أَحْرَزُوا مَدَدَا
وَ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِ السِّتِّ فَاطِمَةً   مَعَ ٱلْمُفَدَّى عَلِي سِرٌّ خَفَا وَ بَدَا
قَدْ عممت بَرَكَاتُ ٱلْعُرْسِ مَنْ حَضَرُوا   بِدَعْوَةِ المُصْطَفَى فِي صَحْبِهِ ٱلرُّشَدَا
وَ كُلُّهُمْ أَكَلُوا مِنْهَا وَ فَضْلَتُهَا   عُدَّتْ لِأَزْوَاجِهِ وَ مَنْ لَهُنَّ غَدَا
وَ جَاءَ عَنْ انَسٍ بِأَنَّ أُمَّ سَلِيمٍ امه صَنَعَتْ حَيْسًا كَمَا وَرَدَا
وَ ذَاكَ لَمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَفِيَّةً وَ هَيَّأَهُ ٱلنَّبِي لِمَنْ شَهِدَا
كَانُوا زُهَاءَ ثَلَاثِ مِنْ مِئَيْنِ وَ قَدْ   كَفَاهُمُ وَ بِبَاقِيهِ نَفَى ٱلْكَمَدَا
فَهَذِهِ ٱلْبَرَكَاتُ كُلُّهَا وَرَدَتْ   بِهَا صَحِيحُ أَحَادِيثٍ قَدِ ٱعْتُمِدَا
وَلَيْسَ فِيهَا ٱمْتِرَاءٌ عِنْدَ مَنْ عَرَفُوا   وَعِنْدَ مَنْ غَرَفُوا مِنْ بَحْرِهَا ٱلْمَدَدَا
فَإِنَّهُمْ صَرَّحُوا بِأَنَّ جُمْلَتَهَا   بِٱلْحَقِّ قَدْ صَرَّحَتْ لِلْمُهْتَدِي بِهُدَى
صَلَّى ٱلْإِلَهُ عَلَى النَّبِي وَ مَنْ تَبِعُوا   هُ فِي طَرِيقِ ٱلْهُدَى وَ ٱلْحَقِّ دُونَ مَدَى

فصل

في كلام الشجر و شهادتها له بالنبوة
و إجابتها دعوته صلى الله عليه و سلم تسليما

كَمْ كَلَّمَ ٱلْمُصْطَفَى الجَمَادَ مِنْ حَجَرٍ   حَقًّا وَ مِنْ شَجَرٍ أَجَابَ مِنْهُ نِدَا
وَ كَمْ حَدِيثٍ لِذَاكَ قَدْ تَضَمَّنَ آ   يَاتٍ بِهَا هُوَ يَأْتِي فِي ٱلْوَرَى وَرَدَا

فَقَدْ أَتَى فِي حَدِيثٍ ٱبْنِ ٱلرِّضَى عُمَرٍ   شُهُودُهُ ٱلشَّجَرَ ٱلَّذِي لَهُ شَهِدَا
قَدْ شَاهَدَ ٱلطَّلْحَةَ الَّتِي أَشَارَ لَهَا   فَأَقْبَلَتْ تَتَهَادَى فِي سَبِيلِ هُدَى
بِإِذْنِهِ قَالَ أَعْرَبِي لَهَا أَنتِ لَهُ   وَ اسْتُشْهِدَتْ فَأَتَتْهُ طِبْقَ مَا قَصَدَا

وَ عَنْ بريدة مِثْلُهُ وَ قَدْ رَجَعَتْ   بَعْدَ ٱلسَّلَامِ عَلَيْهِ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
فَقَالَ يَا مُصْطَفَى إِذَنْ لِي فَأَسْجُدُ مَعْ   شَهَادَتِي لَكَ قَالَ لَا وَ خُذْ رَشَدَا
فَلَا سُجُودَ لِغَيْرِ اللهِ قَالَ فَإِيْذَنْ لِي أُقَبِّلُ هُنَا رِجْلَيْكَ بَلْ وَيَدَا
وَ جَاءَ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِي قَدِ ٱنْقَادَتْ لَهُ شَجْرَةٌ لَمَّا لَهَا عَمَدَا
وَ كَانَ فِي شَاطِيءِ ٱلْوَادِي لِيَقْضِيَ فِيهِ حَاجَةً وَبِهِ إِذْ ختمت قَعَدَا
حَتَّى قَضَى تَحْتَهَا فِي ٱلظِّلِّ حَاجَتَهُ   وَ بَعْدَ ذَلِكَ عَادَتْ طِبْقَ مَا شَهِدَا
وَ عَنْ أُسَامَةَ نَحْوَهُ وَ قَالَ لَهُ   قُلْ لِلْحِجَارَةِ وَ ٱلْأَغْصَانِ تَتَّحِدَا
فَقَالَ ذَاكَ لَهُنَّ فَٱجْتَمِعْنَ إِلَى   أَنْ صَارَ مِنْ خَلْفِهِنَّ لَا يَرَى أَحَدَا
وَ بَعْدَمَا ٱجْتَمَعَتْ عَادَتْ لِمَوْضِعِهَا   بِإِذْنِهِ بَعْدَمَا قَضَى ٱلَّذِي قَصَدَا
وَ مِثْلُهُ جَاءَ عَنْ غيلَان فِي خَبَرٍ   مَعَ ٱبْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا فَٱعْرِفِ السَّنَدَا
وَ زَادَ يَعْلَى بن مُرَّةِ ٱلطَّوَافَ بِهِ   مِنْ طَلْحَةٍ كَانَ فِيمَا عَنْهُ قَدْ وَرَدَا
وَ إِنَّهَا ٱسْتَأْذَنَتْهُ فِي السَّلَامِ عَلَيْهِ وَ هُوَ سَاعَدَهَا بِٱلْإِذْنِ مُتَّئِدَا
وَ فِي حَدِيثِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ أَتَى نَبَأٌ   أَيْضًا عَنِ ٱلشَّجَرِ ٱلَّذِي لَهُ سَجَدَا
فَقَالَ قَدْ آذنت بِٱلْحَقِّ لَيْلَةَ ٱلاسْتِمَاعِ شجرة النَّبِي ٱلَّذِي حَمِدَا
وَ فِيهِ أَيْضًا فَقَالَ فِي الْجَوَابِ لَهُمْ   لِي هَذِهِ ٱلشَّجَرَةُ ٱلْعُلْيَا مِنَ الشُّهَدَا
فَهَذِهِ قِصَّةٌ فِيهَا قَدِ ٱتَّفَقَتْ   أَخْبَارُ مَنْ شَاهَدُوهَا بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ عَنْهُمُ قَدْ رَوَاهَا ٱلتَّابِعُونَ فَصَا   رَتْ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ نَوَّرَ ٱلْخَلَدَا
وَ حَدَّثَ ٱلْعَارِفُ ابن فورك بِحَدِيثِ غَزْوَةِ ٱلطَّائِفِ ٱلْمُثْلَى بِمَا سَرَدَا
فَقَالَ سَارَ النَّبِي فِي ٱللَّيْلِ فَٱعْتَرَضَتْهُ سِدْرَةٌ وَ هُوَ وَسْنَانٌ وَ مَا رَقَدَا
هُنَالِكَ ٱنْفَرَجَتْ نِصْفَيْنِ بَيْنَهُمَا   قَدْ جَازَ وَ هْيَ عَلَى ٱلْحَالِ ٱلَّذِي عَهِدَا
وَ نَحْنُ فِي وَقْتِنَا لَمْ يَبْقَ مِنْ أَثَرٍ   لَهَا هُنَالِكَ عِنْدَ مَنْ لَهَا قَصَدَا
وَ جَاءَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ لَهُ   جِبْرِيلُ قَالَ وَ كَانَ ٱلْمُصْطَفَى كَمِدَا
فَلْتَدْعُ تِي ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي تَرَى فَأَتَتْ   تَمْشِي إِلَيْهِ وَ عَادَتْ طِبْقَ مَا وَرَدَا

وَ حُزْنُهُ كَانَ مِنْ تَكْذِيبِ مَنْ عَنِدُوا   مِنْ قَوْمِهِ وَ لَهُمْ وَافَى بِخَيْرِ هُدَى
وَ مِثْلُهُ عَنْ عَلِيء لَكِنْ إِجَابَتَهَا   مِنْ دُونِ جِبْرِيلَ قَدْ كَانَتْ وَ مَا ٱنْتَقَدَا
وَ مِثْلُهُ لِابْنِ إِسْحَاقٍ وَ فِيهِ أَتَى   هَذَا أَرَاهُ النَّبِي ركانة ٱلْأَسَدَا

وَ مِثْلَ ذَاكَ أَتَى عَنِ ٱلرِّضَى حَسَنٍ   لَكِنْ أَسَاه بِتَخْوِيفِ العُدَاةِ غَدَا
هُنَاكَ قَالَ أَرَى أَنْ لَا مَخَافَةَ لِي   عَلَيَّ مِنْ بَعْدِمَا رَأَيْتُ ذَا أَبَدَا
وَ جَاءَ عَنْ عُمَرَ مِثْلَهُ وَ بِهَذِهِ ٱلرِّوَايَاتِ بَعْضُ ٱلْخُلْفِ قَدْ وُجِدَا
وَ فِي حَدِيثِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ أَتَى فَدَعَا   عَذْقاً بِمَحْضَرِ أَعْرَابِي لَهُ شَهِدَا
فَجَاءَ فِي حِينِهِ وَ عَادَ مُمْتَثِلاً   لِلْإِذْنِ حَتَّى كَأَنَّ ٱلْعَذْقَ فِيهِ هُدَى
كَأَنَّمَا هَذِهِ الأَشْجَارُ عَاقِلَةَ   مِنْ أَجْلِ مَا فَعَلَتْ وَ فِعْلُهَا حُمِدَا
وَ لَيْسَ بِٱلْعَجَبِ ٱسْتِمَاعُهَا وَ وُجُو   دُ ٱلْعَقْلِ فِيهَا لِسِرٍّ مِنْهُ قَدْ شهِدَا
صَلَّى ٱلْإِلَهُ عَلَيْهِ مَا ٱنْجَلَتْ ظُلَمٌ   بِنُورِهِ مَعَ مَنْ بِهِ ٱهْتَدَى وَ هَدَى

فصل

في قصة حنين الجذع له صلى الله عليه و سلم

لِلْمُصْطَفَى حَنَّ جِذْعُ ٱلنَّخْلِ فِي ٱلشُّهَدَا   لَمَّا إِلَى غَيْرِهِ فِي ٱلْخُطْبَةِ ٱسْتَنَدَا
بَكَى بِصَوْتٍ لَدَيْهِ ٱرْتَجَّ مَسْجِدُهُ   بِهِ ٱشْتِيَاقاً لَهُ وَ ٱنْشَقَّ مُرْتَعِدَا
حَتَّى أَتَاهُ ٱلنَّبِيْ وَ ٱلنَّاسُ قَدْ حَضَرُوا   هُنَاكَ ثُمَّ عَلَيْهِ مَدَّ مِنْهُ يَدَا
وَ قَالَ هَذَا بَكَى مِنْ أَجْلِ فُرْقَتِنَا   لَهُ وَ مِنْ جَانِبِ ٱلذِّكْرِ ٱلَّذِي فَقَدَا
لَوْ لَمْ يَضَعْ يَدَهُ عَلَيْهِ بَيْنَهُمُ   لَدَامَ يَبْكِي بِمَا أَصَابَهُ كَمَدَا
وَ عِنْدَ ذَا دَفَنُوهُ تَحْتَ مِنْبَرِهِ   بِأَمْرِهِ وَ بَكَى لِأَجْلِهِ ٱلشُّهَدَا
وَ قَالَ بَعْضُهُمُ إِنَّ النَّبِيَّ دَعَا ٱلْجِذْعَ الَّذِي بِٱلْتِزَامِهِ لَهُ وَجَدَا
فَجَاءَهُ يَخْرُقُ الأَرْضَ الَّتِي ٱنْخَرَقَتْ   فِيهَا لَهُ عَادَةً وَ عَادَ مُتَّئِدَا
وَ عَنْ بُرَيْدَةَ فِي ٱلْحَدِيثِ قَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ إِنْ شِئْتَ عُدْتَ تُثْمِرُ ٱلْأَبَدَا
إِنْ شِئْتَ تختص فِي مَحَلِّ غَرْسِكَ صِرْ   تَ مِثْلَ مَا شِئْتَهُ وَ ٱلسِّرُّ فِيكَ بَدَا
أَوْ شِئْتَ تُغْرَسُ فِي ٱلْجَنَّاتِ يَأْكُلُ مِنْكَ ٱلْأَوْلِيَاءُ وَ مِنْكَ يَقْطِفُونَ يَدَا

فَقَالَ وَ ٱلْمُصْطَفَى يَصْغَى لِقَوْلَتِهِ   مَعْ مَنْ يَلِيهِ أُرِيدُ مِنْكَ خَيْرَ جَدَا
أُرِيدُ أُغْرَسُ فِي ٱلْجَنَّاتِ يَأْكُلُ مِنِّي ٱلْأَوْلِيَاءُ وَ لَا أُبْلَى بِهَا أَبَدَا
فَقَالَ خَيْرُ ٱلْوَرَى لَقَدْ فَعَلْتَ وَ قَا   لَ اخْتَارَ دَارَ ٱلْبَقَاءِ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا

هَذَا ٱلْحَدِيثُ بِهِ إِنْ حَدَّثَ ٱلْحَسَنُ ٱلرضى بَكَى وَ هُوَ مِمَّنْ قَدْ حَوَى رَشَدَا
يَقُولُ هَذَا جَمَادٌ لِلنَّبِيِّ يَحِنُّ فِي أَسَاهُ وَ نَحْنُ شَوْقُنَا خَمَدَا
فَنَحْنُ فِي النَّاسِ أَوْلَى أَنْ نَحِنَّ لَهُ شَوْقًا إِلَيْهِ وَ نَرْجُو أَنْ نَرَاهُ غَدَا
هَذَا ٱلْحَدِيثُ بِهِ يَزْدَادُ سَامِعُهُ   إِنْ كَانَ يُؤْمِنُ إِيمَانًا وَ خَيْرَ هُدَى
فَقَدْ رَوَاهُ مِنَ ٱلْأَصْحَابِ طَائِفَةٌ”   وَ عَنْهُمُ صَحَّ عِنْدَ مَنْ دَرَى ٱلسَّنَدَا
فَاعْرِفْ بِذَلِكَ قَدْرَ ٱلْمُصْطَفَى وَ بِمَا   قَدْ جَاءَ عَنْهُ تَمَسَّكْ تُحْرِزُ ٱلرَّشَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ مَعَ   الأَمْلَاكِ خَيْرَ صَلَاةٍ تَشْمَلُ ٱلرُّشَدَا

فصل

في ذكر بعض ما ورد من قبيل
حنين الجذع من سائر الجمادات

إِنَّ ٱلْجَمَادَاتِ لِلنَّبِيِّ قَدْ شَهِدَتْ   بِأَنَّهُ لِلْوَرَى وَافَى بِخَيْرِ هُدَى
وَ عِنْدَهُ سَبَّحَ الطَّعَامُ بَيْنَ يَدَيْهِ كُلَّمَا رَامَ أَنْ يَمُدَّ فِيهِ يَدَا
وَ جُلُّ أَصْحَابِهِ تَسْبِيحَهُ سَمِعُوا   إِذَا هُمُ حَضَرُوا وَ هُمْ هُمُ ٱلشُّهَدَا
فِي كَفِّهِ سَبَّحَ ٱلْحَصَا وَ كَفِّ أَبِي   بَكْرٍ وَ قَدْ صَبَّهَا فِيهِ كَمَا وَرَدَا
وَ سَبَّحَتْ فِي يَدِي عُثْمَانَ مَعْ عُمَرَ   مِنْ بَعْدِهِ بَيْنَ مَنْ لِذَاكَ قَدْ شَهِدَا
وَ عَنْ عَلِي أَنَّهُ قَدْ كَانَ صُحْبَةَ خَيْرِ ٱلْخَلْقِ خَارِجَ مَكَّةٍ بِنَهْجِ هُدَى
وَ قَالَ مَا ٱسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ مِنْ شَجَرٍ   فِيهَا وَ لَا حَجَرٍ إِلَّا لَهُ شَهِدَا
يَقُولُ يَا خَيْرَ مَنْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ وَ نَحْنُ عِنْدَهُ شُهَدَا
وَ قَالَ خَيْرُ ٱلْوَرَى إِنِّي لَأَعْرِفُ عِنْدَ مَكَّةٍ حَجَرًا لَدَيَّ قَدْ شَهِدَا
قَدْ كَانَ فِيهَا عَلَيَّ بَيْنَ سَكِنِهَا   حَقًّا يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا كَمَا وَرَدَا
وَ قَالَ مَا حَجَرٌ ٱلْقَى وَ لَا شَجَرٌ”   مُذْ جَاءَ جِبْرِيلُ لِي إِلَّا وَ لِي سَجَدَا

بَلْ لَا أَمُرُّ بِهِ إِلَّا وَ سَلَّمَ تَسْلِيمًا عَلَيَّ وَ هَذَا الأَمْرُ قَدْ شَهِدَا
وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَتَى نَبَأٌ”   فِي شَمْلِ خَيْرِ الوَرَى لِآلِهِ بَرِدَا
فَأَمَّنَتْ لِدُعَائِهِ الشَّرِيفِ لَهُمْ   أَسْكُفَّةُ البَابِ فِي بَيْتٍ بِهِ سَعِدَا

وَ جَاءَ عَنْ جَعْفَرٍ أَنَّ النَّبِيَّ أَتَا   هُ جِبْرَئِيلُ بِمَا بِهِ يُعَالِجُ دَا
وَافَى إِلَيْهِ بِرُمَّانٍ عَلَى طَبَقٍ   وَ صَارَ فِي يَدِهِ يُسَبِّحُ ٱلْأَحَدَا
وَ جَاءَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ عَلَا   مَعْ خَيْرِ أَصْحَابِهِ إِلَّا عَلِي أُحُدَا
وَ قَالَ يَا أُحُدُ اثْبُتْ عِنْدَ رَجْفَتِهِ   أَنَا عَلَيْكَ مَعَ الثَّلَاثَةِ ٱلرُّشَدَا
وَ مِثْلُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةٍ مَعَ ذِي النُّورَيْنِ قَدْ جَاءَ فِي حِرَاءٍ مَعْ شُهَدَا
وَ خَاطَبَ ٱلْمُصْطَفَى ثَبِيرَ حِينَ غَدَتْ   عَلَيْهِ تَطْلُبُهُ أَعْدَاؤُهُ ٱلْبُعَدَا
فَقَالَ أَخْشَى عَلَيْكَ يَقْتُلُوكَ عَلَى   ظَهْرِي فَيَشْمَلُنِي شَرُّ ٱلْعَذَابِ غَدَا
فَاهْبِطْ بِعَيْشِكَ يَاخَيْرَ ٱلْوَرَى وَ لَهُ   نَادَى حِرَاءُ أَلَا اصْعَدْ لِي أَنَلْ مَدَدَا
وَ جَاءَ أَنَّ النَّبِي تَلَا وَ مَا قَدَرُوا   فَارْتَجَّ مِنْبَرُهُ مِمَّا بِهِ وجَدَا
كَأَنَّ مِنْبَرَهُ مِنْ فَرْطِ هَيْبَةِ ذِي ٱلْجَلَالِ مِمَّا عَرَاهُ صَارَ مُرْتَعِدَا
فَاللهُ مَجَّدَ نَفْسَهُ فَقَالَ أَنَا ٱلْجَبَّارُ مَا قَدَرُوا حَقِي الَّذِي مَجُدَا
وَ فِي حَدِيثِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ حِكَايَةُ مَا   قَدْ كَانَ فِي ٱلْبَيْتِ مِنْ أَصْنَامِهِمْ مَدَدَا
وَ قَدْرُ عِدَّتِهِمْ قَدْ كَانَ بَيْنَهُمُ   سِتُّونَ مَضْرُوبَةً فِي سِتَّةٍ عَدَدَا
قَدْ أُثْبِتَتْ بِرَصَاصٍ فِي ٱلْحِجَارَةِ مِنْهَا أَرْجُلٌ فِهْيَ قَدْ شدت لَهَا ٱلْعَضُدَا
وَ المُصْطَفَى جَاءَ عَامَ ٱلْفَتْحِ فِي يَدِهِ   قَضِيبُهُ وَلَهَا أَشَارَ مُبْتَعِدَا
فَخَرَّ فِي ٱلْحِينِ كُلُّ مَا أَشَارَ لَهُ   مِنْهَا عَلَى ٱلْوَجْهِ وَ ٱلْقَفَا كَمَا وَرَدَا
مَا زَالَ يَقْرَأُ جَاءَ ٱلْحَقُ مُنْتَصِرًا   لِلْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ جُمُوعُهَا بُدَدَا
وَ فِي ٱبْتِدَا أَمْرِهِ مَعْ عَمِّهِ وَقَعَتْ   لَهُ خَوَارِقَ عَادَاتٍ بِنَهْجِ هُدَى
مَشَى أَبُو طَالِبٍ فِي ٱلرَّكْبِ مُتَّجِرًا   وَ ٱلْمُصْطَفَى مَعَهُ لَمْ يَبْقَ مُنْفَرِدَا
وَ عِنْدَمَا وَصَلُوا لِمَوْضِعٍ نَزَلُوا   بِهِ أَتَاهُمْ بَحِيرَا وَ هُوَ فِيهِ غَدَا
وَ كَانَ ثَمَّ بَحِيرَا رَاهِبًا عَظُمَتْ   لَهُ ٱلْمَكَانَةُ عِنْدَ مَنْ لَهُ قَصَدَا
وَ مِنْ عَوَائِدِهِ تَرْكُ ٱلْخُرُوجِ إِلَى   مَنْ زَارَهُ وَ لَهُمْ فِي ذَا ٱلْأَوَانِ بَدَا
وَ قَدْ تَخَلَّلَهُمْ يَرَى وُجُوهَهُمُ   هَذَا وَ هَذَا وَ هَذَا لَمْ يَدَعْ أَحَدَا

حَتَّى رَأَى ٱلْمُصْطَفَى فَقَالَ فِي عَلَنَ   هَذَا نَبِيُّ الهُدَى مَنْ قَدْرُهُ صَعِدَا
فَقَالَ مَنْ مَعَهُ مُسْتَفْهِمِينَ لَهُ   بِمَا عَلِمْتَ الَّذِي تَقُولُ مُتَّئِدَا
فَقَالَ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ كُنْتُ أُبْصِرُهُ   حَالَ ٱلْمُرُورِ لَهُ إِلَّا لَهُ سَجَدَا

وَ لَيْسَ يُسْجَدُ إِلَّا لِلنَّبِيِّ وَ ذَا   هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي فِي ٱلْخَلْقِ قَدْ حمدَا
قَدْ ظَلَّلَتْهُ غَمَامَةٌ غَدَتْ مَعَهُ   لِتَنْظُرُوا ظِلَّهُ الَّذِي بِهِ قَعَدَا
سَبَقْتُمُوهُ لِفَيْءٍ يَسْتَظِلُّ بِهِ   فَمَالَ عَنْكُمْ لَهُ هَا أَنْتُمْ شُهَدَا
فَكَانَ فِيهِمْ بَحِيرًا خَيْرَ مُعْتَقِدٍ   فِي سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ حَائِزًا رَشَدَا
فَهَذِهِ مِنْ عَجِيبِ ٱلْمَنْقَبَاتِ لَهُ   وَ فَضْلُ خَيْرِ ٱلْوَرَى فِي ٱلْعَالَمِينَ بَدَا

فصل

في الآيات الشاهدة لثبوت نبوته و صدق رسالته و ما خص به من بديع الكرامات و منيع المعجزات في ضروب الحيوانات

لِلْمُصْطَفَى مُعْجِزَاتٌ لَسْتَ أَحْصُرُهَا   وَ لَوْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلتَّعْدَادِ كُلَّ مَدَى
وَ لَسْتُ أَذْكُرُ إِلَّا بَعْضَهَا وَ لَوَ انَّنِي إِلَى مَا بَدَا مِنْهَا أَطَلْتُ يَدَا
لَكِنْ يَدِي قَصُرَتْ فَلَمْ تَصِلْ لِثَنَا   تَنَاوَلَتْهُ سُرَاةٌ مَدْحُهُمْ حمدَا
وَ هَا أَنَا هَاهُنَا آتِي بِسَرْدِ ثَنَا   فِيهِ ٱلشِّفَاءُ لِمَنْ فِيهِ تَمَكَّنَ دَا
مِنْ ذَاكَ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةٍ   فِي شَأْنِ دَاجِنِهَا وَ مَا عَلَيْهِ بَدَا
إِذَا رَأَى ٱلْمُصْطَفَى فِي ٱلْبَيْتِ قَرَّ وَ إِنْ   يَخْرُجْ غدَا ذَاهِبًا وَ جَائِيًا لعدَا
وَ كَلَّمَ ٱلْمُصْطَفَى ضَبًّا أَتَاهُ بِهِ   بَيْنَ ٱلصَّحَابَةِ أَعْرَابِي لَهُ وجدَا
فَقَالَ يَا ضَبُّ مَنْ أَنَا فَقَالَ لَهُ   أَنْتَ الرَّسُولُ الَّذِي بِٱلْحَقِّ قَدْ وَرَدَا
قَدْ فَازَ مَنْ بِكَ صَارَ مُؤْمِنًا وَ لَقَدْ   خَابَتْ مَسَاعِي الَّذِي لِهَدْيِكَ ٱنْتَقَدَا
فَأَسْلَمَ ٱلْعَرَبِي إِذْ ذَاكَ وَ هْوَ بِمَا   رَآهُ أَصْبَحَ مِمَّنْ أَحْرَزُوا ٱلرَّشَدَا
وَ فِي حَدِيثِ ٱبْنِ أَوْسٍ قِصَّةٌ حَدَثَتْ   لَهُ مَعَ الذِّئْبِ فَٱهْتَدَى بِهِ وَ هَدَى
تَكَلَّمَ الذِّئْبُ مَعْهُ وَ هْوَ فِي غَنَمٍ   قَدْ كَانَ رَاعِيَهَا بِمَا بِهِ شَهِدَا
فَقَالَ تَعْجَبُ مِنْ تَكَلُّمِي لَكَ وَ ٱلنَّبِي يَقْرُبُ مِنْكَ قَدْ أَتَى بِهُدَى

وَ أَنْتَ فِي غَفْلَةٍ فَلْتَأْتِهِ لِتَرَى   مِنْ أَمْرِهِ عَجَبًا وَ تَبْلُغْ ٱلرُّشْدَا
فَقَالَ يَا ذِئْبُ مَنْ يَرْعَى إِذَنْ غَنَمِي   فَقَالَ دَعْهَا وَ سِرْ إِلَيْهِ مُتَّئِدَا
وَ لِلنَّبِيِّ أَتَى الرَّاعِي وَ أَخْبَرَهُ   بِمَا رَآهُ وَ مِنْهُ نَالَ مَا قَصَدَا

وَ قَالَ قُمْ أَيُّهَا الرَّاعِي لِتُخْبِرَ مَنْ   تَرَاهُ فِي الْقَوْمِ مِمَّنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
وَ عَادَ لِلْغَنَمِ الَّتِي لَهُ حُفِظَتْ   وَ لَيْسَ شَيْءٌ بِهَا رَآهُ مُفْتَقَدَا
بَلْ صَانَهَا الذِّئْبُ حَتَّى عَادَ فِي رَشَدٍ   وَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهَا قَدْ حَبَاهُ غَدَا
وَ مِثْلُهُ لِابْنِ عَمْرُو قِصَّةٌ وَ قَعَتْ   لِأَجْلِهَا صَارَ فِي النَّبِي مُعْتَقَدَا
وَ مِثْلُهَا لِابْنِ حَرْبٍ قَدْ جَرَى وَ لِصَفْوَانِ بِنْ أُمَيَّةَ طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
تَعَجُّبًا عِنْدَ تَرْكِ الذِّئْبِ فِي الْحَرَمِ الظَّبْيَ الَّذِي فِيهِ حَلَّ مِنْهُ مُبْتَعِدَا
فَقَالَ لَا تَعْجَبَا وَ إِنَّ أَعْجَبَ مِنْ   هَذَا جَفَاؤُكُمَا حَقًّا لِمَنْ حُمِدَا
مُحَمَّدٌ لِلْجِنَانِ جَاءَ دَاعِيكُمْ   وَ أَنْتُمْ لِلَظَى تَدْعُونَهُ حَسَدَا
لَكِنْ هُمَا أَسْلَمَا مِنْ بَعْدِمَا اتَّفَقَا   أَنْ يَكْتُمَاهُ وَ أَنْ لَا يُخْبِرَا أَحَدَا
وَ قَدْ جَرَى لِأَبِي جَهْلٍ وَ شِيعَتِهِ   نَظِيرَ هَذَا وَ لَكِنْ لَمْ يَنَلْ رَشَدَا
وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مِرْدَاسِ بَدَا عَجَبٌ   بِحَرْقِهِ الصَّنَمَ الَّذِي لَهُ عَبَدَا
أَوْصَاهُ وَالِدُهُ بِهِ فَبَجَّلَهُ   لَكِنَّهُ قَدْ قَلَاهُ بَعْدَ مَا رَشَدَا
أَتَاهُ يَوْمًا وَ قَالَ لَسْتَ تَنْفَعُنِي   وَ لَا تَضُرُّ فَصِرْتَ الْيَوْمَ مُضْطَهَدَا
أَوْدَى ضِمَارٌ وَ كَانَ قَبْلَ بَعْثِ مُحَمَّدٍ إِلَاهًا بِغَيْرِ الْحَقِّ قَدْ عُبِدَا
وَ فِي نُبُوَّتِهِ مُحَمَّدٌ وَرِثَ ابْنَ مَرْيَمِ فِي قُرَيْشٍ وَ هُوَ قَدْ حُمِدَا
وَ عِنْدَ ذَا صَاحَ صَائِحٌ بِدَاخِلِهِ   يَقُولُ شِعْرًا هُنَا أُبْدِيهِ مُقْتَصِدَا
قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِمَّنْ غَرَّهُمْ صَنَمٌ   أَوْدَى ضِمَارٌ وَ عَاشَ مُؤْمِنٌ سَعِدَا
وَ انْحَطَّ بَيْنَ يَدَيْهِ طَائِرٌ وَ لَهُ   قَدْ قَالَ تَعْجَبُ مِمَّا لَيْسَ مِنْكَ بَدَا
أَأَنْتَ تَعْجَبُ مِمَّا قَدْ سَمِعْتَ وَ مَا   عَجِبْتَ مِنْ نَفْسِكَ الَّتِي حَوَتْ أَوَدَا
فَالْمُصْطَفَى الْعَرَبِي يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى   عِبَادَةِ الْحَقِّ فَاقْصِدْهُ تَزِدْ رَشَدَا
فَكَانَ ذَلِكَ لِلْعَبَّاسِ مُوجِبَ إِسْلَامِ بِتَحْقِيقِ إِيمَانٍ بِهِ شَهِدَا
وَ جَاءَ عَنْ جَابِرٍ إِسْلَامُ بَعْضِهِمُ   فِي خَيْبَرٍ وَ هُوَ رَاعٍ جَاءَ مُعْتَقِدَا
وَ لِلنَّبِي قَالَ كَيْفَ لِي بِضَانِهِم   مَعْهُمْ فَقَالَ لَهُ لَا لَا تَخَفْ أَحَدَا
احصب لَهَا أَوْجُهًا وَ اللهُ يُرْجِعُهَا   لِأَهْلِهَا فَغَدَتْ طِبْقَ الَّذِي وَعَدَا
وَ جَاءَ أَنَّ النَّبِي يَوْمًا لَهُ سَجَدَتْ   فِي حَائِطٍ غَنَمٌ بِحَضْرَةِ الشُّهَدَا
فَقَالَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ لَنَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ إِلَيْكَ بَيْنَ مَنْ سَجَدَا
وَ قَدْ أَتَى الْمُصْطَفَى لِحَائِطٍ وَ بِهِ   لِبَعْضِهِمْ جَمَلٌ قَدْ أَشْبَهَ الْأَسَدَا

لَمْ يَقْدِرِ النَّاسُ أَنْ يَلْقَوْهُ وَ هُوَ بِهِ   عَلَى الَّذِي جَاءَهُ يشد حَيْثُ غَدَا
لَهُ دَعَاهُ النَّبِي فَٱنْحَطَّ بَيْنَ يَدَيْهِ بَارِكًا فِي احْتِشَامٍ قَامَ أَوْ قَعَدَا
فَقَالَ خَيْرُ ٱلْوَرَى ٱلْأَشْيَاءُ تَعْرِفُ أَنَّنِي ٱلرَّسُولُ سِوَى ٱلْعَاصِي ٱلَّذِي طُرِدَا
وَ كَمْ شَكَى جَمَلٌ إِلَى الرَّسُولِ أَذَى   مِنْ حَمَّلُوهُ أَسًى وَ سَاوَمُوهُ رَدَى
وَ جَاءَ فِي قِصَّةِ العَضْبَاءِ مَنْقَبَةٌ   لِلْمُصْطَفَى وَ هْيَ مِنْ عَجِيبِ مَا وَرَدَا
قَدْ عَرَّفَتْهُ بِنَفْسِهَا مُكَلِّمَةً   لَهُ بِأَفْصَحِ نُطْقٍ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
قَالَتْ وَ قَدْ كُنْتُ مِلْكَ أَعْضَبٍ فَهَرَبْتُ مِنْهُ حَتَّى وَصَلْتُ هَذِهِ ٱلْبَلَدَا
وَ إِنَّنِي يَا رَسُولَ اللهِ بَشَّرَنِي الَّذِي مَرَرْتُ بِهِ بِأَنَّ لِي ٱلرَّشَدَا
ٱلْوَحْشُ قَدْ حَرَسَتْنِي فِي ٱلطَّرِيقِ وَ تَدْ   عُونِي لَهَا ٱلشَّجَرُ الَّذِي ٱتَّخَذْت غَدَا
أَرْجُوكَ تَقْبَلَنِي وَ لِتَقْضِ لِي غَرَضًا   قَصَدْتُهُ مِنْكَ وَ هُوَ لِي أَجَلٌّ جَدَا
فَقَالَ مَا هُوَ قَالَتْ وَ هُوَ يَجْعَلُنِي   مَوْلَايَ مِمَّنْ رَكِبْتَ هَا هُنَا وَ غَدَا
فَقَالَ خَيْرُ ٱلْوَرَى قَضَيْتُهُ لَكِ بِالدُّعَاءِ أَيَّتُهَا ٱلْعَضْبَا ٱحْمَدِي ٱلْأَحَدَا
قَالُوا وَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ مَا أَكَلَتْ   يَوْمًا وَ لَا شَرِبَتْ وَ ٱسْتُشْهِدَتْ كَمَدَا
وَ جَاءَ أَنَّ حَمَامَ مَكَّةِ سَتَرَتْ   بِظِلِّهَا يَوْمَ فَتْحِهَا النَّبِي السَّنَدَا
وَ فِيهِ بِٱلْبَرَكَاتِ قَدْ دَعَا عَلَنًا   لَهَا فَكَانَتْ بِهِ تَكَاثُرُ ٱلْعَدَدَا
وَ قِصَّةُ الغَارِ فِيهَا لِلنَّبِيِّ بَدَتْ   مَنَاقِبُ ٱشْتُهِرَتْ رَغْمًا لِمَنْ جَحَدَا
بِبَابِهِ وَقَفَتْ حَمَامَتَانِ فَلَمْ   يَحُمْ حَوَالَيْ حِمَاهُ مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
وَ ٱلْعَنْكَبُوتُ عَلَيْهِ صَارَ يَنْسُجُ فِي ٱلْحِينِ الَّذِي حَلَّ فِي حِمَاهُ خَيْرَ رِدَا
ظَنَّ ٱلْعِدَا ٱلْعَنْكَبُوتَ وَ ٱلْحَمَامَ عَلَى   خَيْرِ ٱلْوَرَى لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ وَقَتْهُ عِدَا
وِقَايَةُ اللهِ بَيْنَ ٱلْخَلْقِ تَصْحَبُهُ   سِيَّانِ فِي جَيْشِهِ غَدَا أَوِ ٱنْفَرَدَا
وَ اللهِ وَ اللهِ لَمْ يَحِلْ داخله   إِلَّا لِإِرْشَادِنَا إِلَى اتِّقَاءِ رَدَى

وَ كَمْ بِذَلِكَ مِنْ سِرٍّ وَ كَمْ حِكَمٍ   فِي ضِمْنِهِ نُورُهَا لَذَى ٱلْيَقِينِ بَدَا
وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ قرط جَاءَ أَنَّ رَسُو   لَ اللهِ فِي عِيدِ نَحْرٍ أَكْثَرَ ٱلْمَدَدَا
أَتَتْ لَهُ بَدَنَاتٌ فَٱزْدَلَفْنَ لَهُ   كَأَنَّ أَفْضَلَهُنَّ مَا بِهِنَّ بَدَا
كَأَنَّ فِي نَحْرِهِنَّ مَا يَفُزْنَ بِهِ   مِمَّا يُقَلِّدُهُنَّ النَّحْرُ فِي الشُّهَدَا
وَ جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ كَلَّمَتْهُ بِصَحْرَا ظَبْيَةٌ وَ ٱبْتَغَتْ مِنْهُ جَمِيلَ جَدَا

قَالَتْ تُسَرِّحُنِي أَمْشِي وَ أَرْجِعُ فِي   حِينِي لِمَنْ صَادَنِي يَا خَيْرَ مَنْ قُصِدَا
أُرِيدُ إِرْضَاعَ خَشْفِي اللَّذَيْنِ هُمَا   هُنَاكَ فِي ٱلْجَبَلِ الَّذِي بِهِ أَبَدَا
فَقَالَ هَلْ تَفْعَلِينَ مَا وَعَدْتِ بِهِ   قَالَتْ نَعَمْ وَ لَهَا ٱلتَّسْرِيحُ مِنْهُ غَدَا
وَ بَعْدَ ذَلِكَ عَادَتْ ثُمَّ أَوْثَقَهَا   وَ كَانَ صَائِدُهَا هُنَاكَ قَدْ رَقَدَا
وَ بَعْدَمَا ٱنْتَبَهَ ٱلصَّيَّادُ قَالَ لَهُ   إِنْ أَنْتَ سَرَّحْتَ هَذِي نِلْتَ خَيْرَ هُدَى
وَ حِينَ أَطْلَقَهَا غَدَتْ تُهَلِّلُ فِي ٱلصَّحْرَاءِ وَ هْيَ غَدَتْ مِمَّنْ لَهُ شَهِدَا
وَ اللهُ أَظْهَرَ لِلْمَوْلَى سَفِينَةِ بَعْدَ كَسْرِهِ لِسَفِينَةٍ لَهُ رَشِدَا
سَفِينَةَ وَ هْوَ مَهْوَان الَّذِي شَهِدَتْ   لَهُ ٱلْمَوَالِي بِأَنَّهُ حَلِيفُ هُدَى
بِذَاكَ لَقَّبَهُ ٱلنَّبِيُّ وَ هْوَ لَهُ   قَدْ سَخَّرَ اللهُ فِي طَرِيقِهِ ٱلْأَسَدَا
إِلَيْهِ خَلَّى ٱلطَّرِيقَ حَيْثُ قَالَ لَهُ   أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ لِلرُّشُدَا
وَ كَانَ مَعَهُ كِتَابُ المُصْطَفَى لِمُعَا   ذٍ ثُمَّ عَادَ وَ نَالَ مِنْهُ خَيْرَ جَدَا
وَ جَاءَ أَخْذُ النَّبِيِّ أُذْنَ شَاةِ فَتَى   بِأُصْبُعَيْهِ وَ خَلَّاهَا لَهُ وَ غَدَا
فَصَارَ فِي أُذْنِهَا عَلَامَةٌ وَ بِأُذْ   نِ نَسْلِهَا أَثَرًا مِنْ بَعْدُ مُطَّرِدَا
وَ فِي كَلَامِ ٱلْحِمَارِ لِلنَّبِي عَجَبٌ   وَ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ لِغَيْرِهِ شهِدَا
قَالَ الحِمَارُ لَهُ اسْمِي يَا رَسُولَ يَزِيد ثُمَّ سَمَّاهُ يَعْفُورًا كَمَا وَرَدَا
فَكَانَ فِي صَحْبِهِ لَهُمْ يُوَجِّهُهُ   مُسْتَدْعِيًا فَيُوَافِيهِ بِمَا قَصَدَا
كَأَنَّهُ عَاقِلٌ وَ اللهُ سَخَّرَهُ   لَهُ بِغَيْرِ رِيَاضَةٍ لَدَى ٱلشُّهَدَا
وَ بَعْدَ مَوْتِ ٱلرَّسُولِ صَارَ فِي جَزَعٍ   وَ قَدْ تَرَدَّى بِبِئْرٍ بَعْدَهُ كَمَدَا
وَ جَاءَ فِي نَاقَةٍ لَدَيْهِ قَدْ شَهِدَتْ   لِمَنْ تَمَلَّكَهَا وَ سِرِهَا شهِدَا
قَدْ صَرَّحَتْ أَنَّهُ مَا كَانَ سَارِقُهَا   وَ أَنَّهَا مِلْكُهُ وَ قَدْ حَوَى رَشَدَا
وَ جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ حِينَ عَسْكَرُهُ   أَصَابَهُمْ عَطَشٌ عَنْهُمْ نَفَى ٱلْكَمَدَا

أَتَتْهُ عَنْزٌ فَأَرْوَى مِنْهُمُ بِحَلِيبِهَا زُهَاءَ ثَلَاثٍ مِنْ مِئِينٍ بَدَا
وَ قَالَ فِيهَا لِرَافِعٍ بِهَا اعن وَ مَا   أَرَاكَ ثُمَّ مَضَتْ وَ مَا لَهَا وُجِدَا
فَقَالَ إِنَّ الَّذِي لِلنَّاسِ جَاءَ بِهَا   غَدَتْ لَهُ وَ هْوَ فِي أَكْوَانِهِ ٱنْفَرَدَا
وَ قَالَ لِلْفَرَسِ ٱلنَّبِيُّ فِي سَفَرٍ   هُنَا ٱبْقَ حَتَّى أُصَلِّيَ فِي سَبِيلِ هُدَى
فَمَا تَحَرَّكَ عُضْوٌ مِنْهُ فِي رشدٍ   حَتَّى أَتَمَّ الصَّلَاةَ سَيِّدُ الرُّشَدَا

وَ كَمْ لَهُ مِنْ رَسُولٍ صَارَ مَنْطِقُهُ   فِي ٱلْحِينِ منطق مَنْ بِهِ لَهُمْ وَفَدَا
وَ لَيْسَ مَنْ تُرْجُمَانٍ كَانَ بَيْنَهُمُ   وَ بَيْنَهُ حَيْثُ فِيهِمْ كَانَ مُنْفَرِدَا
فِي ٱلْقَوْمِ قَدْ شَمِلَتْهُ مِنْهُ نَظْرَتُهُ   فَصَارَ يُعْرِبُ عَمَّا نَوَّرَ ٱلْخَلَدَا
وَ كَمْ لَهُ مِنْ كَرَامَاتٍ قَدِ ٱشْتَهَرَتْ   فَلْنَكْتَفِي بِالَّذِي مِنْهَا هُنَا سُرِدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي حَبَاهُ حِكْمَتَهُ   مَعَ ٱلسَّلَامِ عَلَى مَنْ مِنْهُ نَالَ هُدَى

فصل

في إحياء الموتى له صلى الله عليه وسلم و كلامهم و كلام الصبيان و المراضع و شهادتهم له بالنبوة

كُلُّ ٱلْوُجُودِ بِفَضْلِ ٱلْمُصْطَفَى شَهِدَا   وَ جُودُهُ لِجَمِيعِ ٱلْعَالَمِينَ بَدَا
وَ اللهُ بِالْمُعْجِزَاتِ ٱلْغُرِّ أَيَّدَهُ   وَ كُلُّهَا بَهَرَتْ مَنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
وَ كَمْ تَلَقَّى بِصَبْرِهِ ٱلْجَمِيلِ أَذَى   مِمَّنْ لَهُمْ فِي ٱلْوَرَى إِلَى النَّجَاةِ هُدَى
حَتَّى لَقَدْ أَطْعَمَتْهُ السُّمَّ مُبْغِضَةٌ”   مِنَ ٱلْيَهُودِ وَ رَامَتْ قَتْلَهُ حَسَدَا
سَمَّتْ لَهُ ٱلشَّاةَ وَ هُوَ فِي تَنَاوُلِهِ   مِنْهَا دَرَى سُمَّهَا الَّذِي بِهَا وَجَدَا
وَ قَالَ لِابْنِ الْبَرَاءِ وَٱلأُلَى مَعَهُ   لِيَرْفَعُوا ٱلْيَدَ إِنَّ الأَكْلَ فِيهِ رَدَى
هَذَا الذِّرَاعُ بِسُمٍّ فِيهِ يُخْبِرُنِي   مِنَ ٱلْيَهُودِيَّةِ اسْتِعْمَالُهُ قَصَدَا
وَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْهَا ٱلْمُصْطَفَى وَ لِأَهْلِ ٱبْنِ الْبَرَاءِ عَلَيْهَا أَوْجَبَ القودَا
بِمَوْتِهِ قَتلُوهَا وَ ٱلْقِصَاصُ حَيَاةٌ فِيهِ لِلْأُمَّةِ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
وَ فِي تَجَاوُزِهِ فيمَا بِهِ صَنَعَتْ   لَهُ وَ تَسْلِيمِهَا سِرٌّ نَرَى وَ هُدَى
فَحِكْمَةُ الشَّرْعِ فِي أَحْكَامِهِ ظَهَرَتْ   لِمَنْ دَرَى مِثْلَ هَذَا وَ هُوَ مَا عَنَدَا

مِنْهَا يَجُوزُ لِمَنْ أَوْذِيَّ التَّجَاوُزُ عَنْ   مُوذِيهِ ثُمَّ لَهُ الْقَضَا عَلَيْهِ غَدَا
مِنْهَا تَحَقُّقُ إِيذَاءِ الأَكَابِرِ بِابْتِلَائِهِمْ لِيُرُّوا مِنْ جُمْلَةِ الشُّهَدَا
مِنْهَا الْبَلَا إِنْ قَضَاهُ ٱلْحَقُّ لَيْسَ لَهُ   مُدَافِعٌ بِحُضُورِ ٱلْأَوْلِيَا ٱلرُّشَدَا
مِنْهَا قَبُولُ الرَّسُولِ لِلْهَدِيَّةِ مِنْ   أَعْدَى ٱلْعِدَا كَانَ فِي جَمْعٍ أَوِ ٱنْفَرَدَا
مِنْهَا تَقَرُّر حُكْمِ الشَّرْعِ وَ هُوَ جَلِيٌّ فِي طَعَامِ ذَوِي ٱلْكِتَابِ مَا ٱنْتَقَدَا

مِنْهَا مُخَاطَبَةُ الْعَجْمَاءِ مَيِّتَةً   لِلْمُصْطَفَى وَ هْوَ أَمْرٌ خَارِقٌ شَهِدَا
وَ النَّاسُ فِي قَتْلِهِ لَهَا قَدِ اخْتَلَفُوا   كَخُلْفِهِمْ فِي الَّذِي لِسِحْرِهِ عَمِدَا
وَ فِي كَلَامِ الْجَمَادِ مِثْلَهَا اخْتَلَفَتْ   أَنْظَارُ مَنْ بَحَثُوا فِي سِرِّ مَا اعْتَقِدَا
فَقِيلَ يَخْلُقُهُ الْمَوْلَى وَ يَسْمَعُهُ النَّبِيُّ وَ هْيَ عَلَى الشَّكْلِ الَّذِي شَهِدَا
وَ قِيلَ مِنْ بَعْدِ إِيجَادِ الْحَيَاةِ بِهَا   تَكَلَّمَ الْمُصْطَفَى وَ الْحَالُ مِنْهُ بَدَا
وَ لَيْسَ فِي كَوْنِهِ الْحَيَاةَ قَدْ شرطَتْ   إِلاَّ إِذَا كَانَ نَفْسِيًّا كَمَا إِعْتَمَدَا
وَ ذُو اعْتِزَالٍ رَأَى أَنَّ الْكَلَامَ بِلَا   حَرْفٍ وَ دُونَ حَيَاةٍ لَمْ يَكُنْ أَبَدَا
لَا بُدَّ مِنْ آلهِ لِلنُّطْقِ قَامَ بِهَا   مَعَ الْحَيَاةِ لَدَيْهِ كَوْنهَا وجدَا
وَ جَاءَ أَنَّ ابنة إِلَى النَّبِي خَرَجَتْ   لَمَّا دَعَاهَا مِنَ الْوَادِي الَّذِي قَصَدَا
وَ قَدْ أَجَابَتْهُ حِينًا وَ هْيَ قَائِلَةٌ   لَبَّيْكَ يَا سَيِّدَ السَّادَاتِ وَ السُّعَدَا
وَ كَانَ وَالِدُهَا وَافَاهُ يُخْبِرُهُ   بِطَرْحِهَا فِيهِ وَ هْوَ فِعْلُ مَنْ وَأَدَا
فَقَالَ خَيْرُ الْوَرَى لَهَا يُبَشِّرُهَا   يَا هَذِهِ أَبَوَاكِ أَحْرَزَا رَشَدَا
وَ هَا هُمَا أَسْلَمَا فَإِنْ أَرَضْتِ بِأَنْ   أردك انتهما تَحْظَى بِخَيْرٍ جَدَا
قَالَتْ فَمَا حَاجَةٌ لِلْعَوْدِ لِي لَهُمَا   وَ اللهُ لِي عَنْهُمَا خَيْرٌ كَمَا وَرَدَا
وَ جَاءَ مِنْ بَرَكَاتِ الْمُصْطَفَى خَبَرٌ   عَمَّنْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ وَ نَالَ هُدَى
قَدْ مَاتَ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ وَ هْوَ لَهُ   أُمٌّ عَجُوزٌ حَوَتْ عَيْشًا بِهِ رَغَدَا
فَجَاءَهَا أَنَسٌ يُبْدِي الْعَزَاءَ لَهَا   مَعْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَ كُلُّهُمْ رُشَدَا
قَالَتْ وَ هَلْ مَاتَ حَقًّا ثُمَّ قَامَ بِهَا   وَجْدٌ وَ قَالَتْ إِلَاهِي لِي اسْمَعَنَّ نِدَا
إِنِّي إِلَيْكَ وَ لِلنَّبِي مُهَاجِرَةٌ   لَا تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ مَا شَوَى الْكَبِدَا
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فِيكَ صَادِقَةٌ   فَأَحْيِهِ لِي وَ اذْهِبْ عَنِّيَ الْكَمَدَا
فَعِنْدَ ذَاكَ أَمَاطَ الشَّابُ سُتْرَتَهُ   عَنْ وَجْهِهِ وَ غَدَا مَعْهُمْ لِأَكْلٍ غَدَا

وَ فِي كَدِيثِ ابْنِ قَيْسٍ بَعْدَ مَوْتَتِهِ   حَقًّا لِخَيْرِ الْوَرَى بِالْحَقِّ قَدْ شَهِدَا
مِنْ بَعْدِ مَا أَدْخَلُوهُ قَبْرَهُ وَ هُمُ   لَهُ قَدِ اسْتَمَعُوا وَ كُلُّهُمْ شَهِدَا
فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ دُونَ مِرَا   مُحَمَّدٌ وَ هْوَ عِنْدَ اللهِ قَدْ حُمِدَا
وَ قَالَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَ شِيعَتَهِ   عُثْمَانَ مَعْ عُمَرَ بِهَدْيِهِ سُعِدَا
وَ مِثْلُهُ كَانَ مِنْ زَيْدِ ابْنِ خَارِجَةٍ   لَمَّا تُوُفِّيَ وَ هْوَ حَائِزٌ رَشَدَا

فاستنصت الناس ممن عنده حضروا   وَبَيْنَهُمْ عَنْهُ قَدْ أَمَاطَ فَضْلَ رِدَا
وَ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مَا بِهِ وَرَدَ النَّبِي لِحَقٍّ عَلَى   وَفْقِ الَّذِي ٱعْتَقَدَا
مَعْهُ أَبُو بَكْرٍ ٱلْأَجَلُّ مَعْ عُمَرُ   ٱلْأَرْضَى وَ عُثْمَانُ سَارُوا فِي طَرِيقِ هُدَى

فصل

في إبرائه المرضى و ذوي العاهات

كَمْ أَبْرَأَ ٱلْمُصْطَفَى مِنْ عَاهَةٍ وَ أَذَا   وَ كَمْ أَتَى بِسُرُورٍ أَذْهَبَ ٱلْكَمَدَا
قَدْ رَدَّ عَيْنَ قَتَادَةٍ وَ قَدْ وَقَعَتْ   مِنْهُ عَلَى خَدِّهِ لَمَّا غَزَا أُحُدَا
وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي قَضِيَّتِهِ   بِأَنَّهَا وَقَعَتْ فِي يَوْمِ ذِي قَرَدَا
وَقَى بِوَجْنَتِهِ وَجْهَ النَّبِيِّ لَدَى   رَمْيِ ٱلْعِدَا فَأُصِيبَ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
فَجَاءَ وَ هْيَ عَلَى خَدَّيْهِ سَائِلَةً   إِلَى ٱلنَّبِي وَ لَهُ قَدْ مَدَّ مِنْهُ يَدَا
وَ قَالَ لِي زَوْجَةٌ أُحِبُّهَا وَ إِذَا   أَتَيْتُهَا هَاكَذَا فِي قَلْبِهَا زَهِدَا
فَرُدَّ عَيْنِي إِلَيَّ فَهْيَ قَدْ عَمِيَتْ   فَرَدَّهَا وَ بِغُنْجِ حُسْنِهَا ٱنْفَرَدَا
وَ ٱنْدَقَّ قَوْسُ النَّبِيِّ يَوْمَ وَقْعَتِهَا   مِنْ شِدَّةِ الرَّمْيِ فِي وُجُوهِ شَرِّ عِدَا
أَصْمَاهُمُ بِنِصَالٍ لَا سِهَامَ بِهَا   وَ صَحْبُهُ بَيْنَهُمْ كَانُوا هُمُ ٱلْأَسَدَا
وَ فِي رِوَايَةٍ آخْرَى فِي قَضِيَّتِهِ   بِأَنَّهَا وَقَعَتْ فِي يَوْمِ ذِي قَرَدَا
وَ جَاءَ أَعْمَى لِخَيْرِ ٱلْخَلْقِ يَسْأَلُهُ   أَنْ يَكْشِفَ اللهُ عَنْهُ ضُرَّ مَا وَجَدَا
فَقَالَ قُمْ وَ ٱدْعُهُ فَقَامَ مُمْتَثِلًا   لِأَمْرِهِ فَحَبَاهُ اللهُ مَا قَصَدَا
وَ ٱلسِّرُّ فِي إِذْنِهِ لَهُ فَنَالَ بِهِ   مَقْصُودَهُ وَ عَظِيمُ السِّرِّ مِنْهُ بَدَا
وَ فِي حَدِيثٍ أَتَى أَنَّ النَّبِيَّ شَفَا   بِحَثْوَةٍ مِنْ تُرَابٍ شَرَّ مُعْضِلِ دَا

شَفَى بِهَا ٱبْنَ ملاعب الأَسِنَّةِ مِنْ   دَاءٍ دَهَاهُ بِالاسْتِسْقَاءِ حَيْثُ عَدَا
وَ جَاءَ أَنَّ فديكا بَعْدَ مَا عَمِيَتْ   عَيْنَاهُ وَ ٱبْيَضَّتَا عَنْهُ نَفَى كَمَدَا
بِنَفْثَةٍ فِيهِمَا قَدْ نَالَ خَيْرَ شِفَا   وَ لَمْ يُصِبْهُ أَذًى مِنْ بَعْدِهِ أَبَدَا
وَ قَدْ شَفَى نَفْثُهُ ٱلْمَنْحُورَ فِي أُحُدٍ   حِينًا وَ أَبْرَأَ من عَينِي عَلَى الرَّمَدَا
وَ أَبْرَأَ ٱبْنَ أُنَيْسٍ بَعْدَ شَجَّتِهِ   فَلَمْ تُمَدَّ وَ قَدْ أَمَدَّهُ مَدَدَا

بِمخرشِ ابن رزام قَدْ أُصِيبَ فَلَمْ   تَقِحْ وَلَمْ تُوذِهِ وَسِرُّهُ شَهُدَا
بُصَاقُهُ أَبْرَأَ ٱبْنَ الأَكْوَعِ ٱلْعَرَبِي   مِنْ ضَرْبَةٍ حَدَثَتْ بِسَاقِهِ حردَا
فِي يَوْمِ خَيْبَرَ كَانَ قَدْ أُصِيبَ بِهَا   وَزَالَ عَنْهُ بِخَيْرِ ٱلْخَلْقِ مَا وَجَدَا
وَنَفْثَةٌ مِنْهُ فِي مَنْ سَاقُهُ ٱنْكَسَرَتْ   فِي يَوْمِ خَنْدَقِهِمْ بِهَا ٱلشِّفَاءُ غَدَا
وَافَاهُ مُسْتَشْفِيًا مِنْهَا عَلَى السلمي   فَعَادَ مُشْتَفِيًّا فِي الحِينِ مُحْتَفَدَا
وَجَاءَهُ يَشْتَكِي ٱلْمَوْلَى عَلِي وَجَعًا   قَدْ كَانَ يُوذِيهِ حَيْثُ قَامَ أَوْ قَعَدَا
وَعِنْدَ ذَاكَ دَعَا لَهُ بِعَافِيَّةٍ   فَزَالَ فِي حِينِهِ عَنْهُ ٱلَّذِي وَجَدَا
وَقَدْ أَتَاهُ ابْنُ عفرا حَامِلاً يَدَهُ   مِنْ بَعْدِ مَا قُطِعَتْ لَهُ وَقَدْ جَهِدَا
فَحَازَهَا ٱلْمُصْطَفَى مِنْهُ وَٱلْصَقَهَا   بِهِ فَعَادَ وَقَدْ حَبَاهُ مِنْهُ يَدَا
وَجَاءَ أَنَّ خُبَيْبًا حِينَ عَاتِقَهُ   أُصِيبَ بِالضَّرْبَةِ ٱلَّتِي بِهَا أَوَدَا
قَدْ عَالَجَ ٱلْمُصْطَفَى ٱعْوِجَاجَهُ وَبِنَفْثِهِ عَلَى شِقِّهِ وَقَاهُ كُلَّ رَدَى
وَلِلنَّبِيِّ أَتَتْ مِنْ خَثْعَمٍ ٱمْرَأَةٌ   تَشْكُو بَلَا إِبْنِهَا وَمَا بِهِ فَنَدَا
فَارْتَاحَتِ النَّفْسُ مِنْهَا بِالَّذِي ظَفِرَتْ   مِنْهُ وَنَالَ ٱبْنُهَا شِفَاءَ أَعْضَلِ دَا
سَقَتْهُ لَمَّا حَبَاهَا مِنْ غُسَالَتِهِ   فَصَارَ فِي قَوْمِهِ مِنْ أَعْقَلِ ٱلرُّشَدَا
وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَنَّ صَبِيْ   جَاءَتْ بِهِ أُمُّهُ تَشْكُو الَّذِي وَجَدَا
فَمَسحَ المُصْطَفَى صَدْرَ الصَّبِي وَلَهُ   دَعَا وَبَيْنَ يَدَيْهِ بِالشِّفَاءِ عَدَا
وَتَعَّ فِي حِينِهِ وَقَاءَ مِنْ فَمِهِ   شَبِيهُ جَرْوٍ رَآهُ كُلُّ مَنْ شَهِدَا
شَفَى ذِرَاعَ ابْنِ حَاطِبٍ بِتَفْلَتِهِ   عَلَى ٱحْتِرَاقٍ بِهِ أَلَمَّ مُتَّقِدَا
وَكَفَّ عَنْ كَفِّ شَرْحَبِيل سلعته   بِفَرْكِهَا فَٱنْجَلَتْ عَنْهُ كَمَا شَهِدَا
مِنْ بَعْدِ مَا مَنَعَتْهُ قَبْض دَابتِهِ   وَسَيْفِهِ زَالَ عَنْهُ كُلُّ مَا وَجَدَا
وَفِي ٱلْحَدِيثِ النَّبِي أَتَتْهُ جَارِيَّةٌ   مِنَ ٱلْحَيَا غَسَلَتْ وَجْهًا لَهَا ٱنْجَرَدَا

قَالَتْ لَهُ إِعْطِنِي أَكْلًا فَنَاوَلَهَا   فَلَمْ تُرِدْ غَيْرَ مَا فِي فِيهِ قَدْ وُجِدَا
فَمَدَّ مَا كَانَ فِيهِ بِٱلحَيَاءِ لَهَا   وَكَانَ لَا يَمْنَعُ السُّؤُولَ مَا قَصَدَا
وَبَعْدَ مَا أَخَذَتْهُ وَٱسْتَقَرَّ بِجَوْفِهَا ٱكْتَسَتْ دَائِمًا مِنَ ٱلْحَيَاءِ رِدَا
فَلَمْ تَكُ ٱمْرَأَةٌ مِنْهَا أَشَدَّ حَيَا   ءٍ فِي ٱلْمَدِينَةِ بَيْنَ ٱلْأَهْلِ وَٱلْبُعَدَا
وَذَاكَ مِنْ بَرَكَاتِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْعَرَبِي   عَلَيْهِ خَيْرُ سَلَامٍ طَاوَلَ ٱلْأَبَدَا

مَعَ السَّلَامِ عَلَى ذَوِيهِ قَاطِبَةً   وَ التَّابِعِينَ لَهُ فِي الْحَقِّ دُونَ مَدَا

فصل

في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

لِلْمُصْطَفَى قَدْ أَجَابَ اللهُ كُلَّ دُعَا   وَ كَمْ أَجَابَ بِهِ لِلسَّائِلِينَ نِدَا
وَ النَّاسُ كُلُّهُمُ اعْتَادُوا إِجَابَتَهُ   مِنْهُ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ طِبْقَ مَا وَرَدَا
فَمَنْ دَعَا لَهُمُ بَيْنَ الْعُلَا لَحِقَتْ   بِالْقَطْعِ دَعْوَتُهُ الْأَحْفَادَ وَ الْوَلَدَا
فَكَانَ يَلْتَمِسُ الأَخْيَارُ دَعْوَتَهُ   فَلَيْجَأُونَ إِلَيْهِ بَاسِطِينَ يَدَا
وَ كَانَ يحذر منها غيرهم فَإِذَا   دَعَا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ دَهَاهُ رَدَى
أَتَى لَهُ أَنَسٌ مَعْ أُمِّهِ فَدَعَا   لَهُ بِمَا طَلَبَتْهُ مِنْ هُدًى وَجَدَا
فَقَالَ أَكْثِرْ لَهُ اللَّهُمَّ عِتْرَتَهُ   وَ مَالَهُ فَحَبَاهُ رَبُّهُ مَدَدَا
قَالَ الوَلِي أَنَسٌ إِنِّي لَمِنْ وَلَدِي   وَ نَسلِهِمْ لَأَعُدُّ مِنْهُمُ الْعَدَدَا
دَفَنْتُ مِنْ وَلَدِي مِنْ بَيْنِهِمْ مِائَةً   وَقَدْ أُصِبْتُ بِطُولِ عَيْشَتِي الرَّغَدَا
وَ ذَاكَ مِنْ بَرَكَاتِ دَعْوَةٍ شَمِلَتْنِي مِنْهُ حِسًّا وَ مَعْنًى بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ قَدْ دَعَا لِابْنِ عَوْفٍ دَعْوَةً عَظُمَتْ   لَهُ بِهَا بَرَكَاتٌ سِرُّهَا شَهِدَا
فَاضَتْ لَدَيْهِ مَعَ الإِنْفَاقِ وَ هْوَ بِهَا   فِي أَوْجِ البِرِّ وَ الإِحْسَانِ مَدَّ يَدَا
قَالَ ابْنُ عَوْفٍ بِهَا أَنَا بِدَعْوَتِهِ   مَالِي يَزِيدُ بِإِنْفَاقٍ وَ مَا نَفَدَا
حَتَّى وَ لَوْ أَنَّنِي رَفَعْتُ مِنْ حَجَرٍ   وَجَدْتُ لِي ذَهَبًا مِنْ تَحْتِهِ حُشِدَا
نَالَ الْخِلَافَةَ فِي الدُّنْيَا مُعَاوِيَةٌ”   بِعَوْدِ دَعْوَتِهِ عَلَيْهِ فِي الرُّشُدَا
بِهَا اسْتُجِيبَ لِسَعْدٍ مِنْهُ كُلَّ دُعَا   وَ كَيْفَ لَا وَ بِدَعْوَةِ النَّبِي سَعِدَا

بِهَا بَدَا عِزُّ هَذَا الدِّينِ حِينَ دَعَا   بِأَفْضَلِ العُمَرَيْنِ النَّصْرَ فِي الشُّهَدَا
فَجَاءَهُ عُمَرُ وَ قَدْ أَعَزَّ بِهِ الإِسْلَامَ سِرًّا وَ جَهْرًا طِبْقَ مَا قَصَدَا
وَ خَابَ سَعْيُ أَبِي جَهْلٍ وَ مَنْ مَعَهُ   مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مِمَّنْ أَصْبَحُوا بُعُدَا
وَ جَاءَ فِي غَزْوَةٍ إِلَى النَّبِيْ عُمَرُ   وَ النَّاسُ قَدْ عَايَنُوا هَلَاكَهُمْ بِصَدَا
وَ قَالَ يَا مُصْطَفَى ادْعُ اللهَ يَرْحَمُنَا   بِغَيْثِهِ فَدَعَا لَهُمْ وَ مَدَّ يَدَا

فَجَاءَ فِي ٱلْحِينِ غَيْثٌ فَٱسْتَقَوا وَ إِذَا ٱسْتَصْحَوا بِهِ جَاءَهُمْ صَحْوٌ كَمَا وَرَدَا
وَ قَدْ دَعَى لِأَبِي قَتَادَةٍ بِفَلَاحٍ فَٱكْتَسَى حُلَّةَ ٱلْقَبُولِ أَيْنَ غَدَا
وَ عُمْرُهُ طَالَ فِي أَمْنٍ وَ عَافِيَةٍ
بِعَوْدِ دَعْوَتِهِ ٱلَّتِي بِهَا سَعِدَا
وَ فَازَ بَيْنَ ٱلْمَلَا ٱلْجَعْدِيْ بِدَعْوَتِهِ
فَكَانَ أَحْسَنَ ثَغْرًا فِي ٱلْوَرَى شَهِدَا
وَ قَدْ دَعَى لِٱبْنِ عَبَّاسٍ فَكَانَ كَمَا
دَعَا لَهُ فَهْوَ خَيْرُ حَبْرٍ ٱعْتُمِدَا
فَاللهُ فَقَّهَهُ فِي ٱلدِّينِ عَلَّمَهُ ٱلتَّأْوِيلَ أَيَّدَهُ بِٱلْحَقِّ فِي ٱلشُّهَدَا
وَ لِابْنِ جَعْفَرَ قَدْ دَعَا فَكَانَ لَهُ
فِي كُلِّ مَا يَشْتَرِيهِ الرِّبْحُ مُطَّرِدَا
وَ دَعْوَةٌ مِنْهُ لِلْمِقْدَادِ كَانَ بِهَا
لَدَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ لَمْ يَزَلْ لبدَا
بِالرِّبْحِ يَوْمًا دَعَا لِعُرْوَةِ ٱبْنِ أَبِي ٱلْجَعْدِ ٱلَّذِي بِدُعَائِهِ أَطَالَ يَدَا
فَكَانَ لَوْ أَنَّهُ ٱشْتَرَى التُّرَابَ لَنَالَ ٱلرِّبْحَ فِيهِ بِرَغْمِ مَنْ لَهُ حَسَدَا
وَ مِثْلُهُ قَالَهُ فِي حَقِّ غرقدة
فَنَالَ أَعْظَمَ رِبْحٍ يُذْهِبُ ٱلنَّكَدَا
نَدَّتْ لَهُ نَاقَةٌ فَجَاءَهُ عَلَنًا
إِعْصَارُ رِيحٍ بِهَا إِذْ أَحْرَزَ الرَّشَدَا
دَعَا لِأُمِّ الرِّضَى أَبِي هُرَيْرَةٍ فَٱسْتَجَابَ دَعْوَتَهُ فِيهَا كَمَا وَرَدَا
فَأَسْلَمَتْ وَ بِهِ نَالَتْ مَطَالِبَهَا
وَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهَا السُّوءَ وَ الأَدَدَا
وَ دَعْوَةٌ مِنْهُ لِلْمَوْلَى أَبِي حَسَنٍ
أَجَابَهَا اللهُ فِيهِ وَفْقَ مَا قَصَدَا
كَفَتْهُ حَرًّا وَ قَرًّا فَهْوَ وَقْتَهُمَا
قَرِيرَ عَيْنٍ سَوَاءٌ قَامَ أَوْ رَقَدَا
وَ دَعْوَةٌ مِنْهُ لِلْمَوْلَاةِ فَاطِمَةٍ
مِنْ بَعْدِهَا لَمْ تَجُعْ وَ حَارَتِ ٱلْمَدَدَا
وَ دَعْوَةٌ مِنْهُ للطفيل ضَاءَ بِهَا
مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ نُورٌ قَامَ أَوْ قَعَدَا
وَ حَوَّلَ اللهُ ذَاكَ النُّورَ مِنْهُ لِسَوْطِهِ فَقِيلَ لَهُ ذُو ٱلنُّورِ فِي ٱلشُّهَدَا
فَكَانَ فِي ٱللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يَسْطَعُ بِالنُّورِ ٱلَّذِي كَانَ مِثْلَ ٱلْبَرْقِ قَدْ وَقَدَا
دَعَا عَلَى مُضَرٍ فَأَقْحَطُوا وَ دَعَا
لَهُمْ فَأَسْقَاهُمُ المَوْلَى بِخَيْرٍ نَدَا

دَعَا عَلَى مُلْكِ كِسْرَى حِينَ مَزَّقَ مِنْ
كِبْرٍ كِتَابًا عَلَيْهِ مِنْهُ قَدْ وَرَدَا
فَشَتَّتَ اللهُ شَمْلَهُ وَ مَزَّقَهُ
فِي الأَرْضِ كُلَّ مُمَزَّقٍ لِغَيْرِ مَدَى
عَلَى صَبِيٍّ دَعَا بِقَطْعِ دَابِرِهِ
فَانْهَدَّ فِي حِينِهِ وَ فِي الرَّدَى قَعَدَا
دَعَا عَلَى رَجُلٍ رَآهُ يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ فَانْحَبَسَتْ مِنْهُ اليَمِينُ بِدَا
مِنْ حِينِهِ صَارَ لَمْ يَقْدِرْ إِلَى فَمِهِ
إِيصَالَهَا بَعْدَ مَا أَبْدَا لَهُ الرَّشَدَا

قَالَ النَّبِيُّ لَهُ كُلْ بِٱلْيَمِينِ فَلَمْ   يَقْبَلْ مَقَالَتَهُ الَّتِي هَدَتْ لِهُدَى
وَ قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ رَفْعَهَا لِفَمِي   فَقَالَ لَا اسْتَطَعْتَ حَيْثُ صِرْتَ مُنْتَقِدَا
دَعَا عَلَى ابْنِ أَبِي لَهْبٍ فَكَانَ كَمَا   دَعَا عَلَيْهِ ٱلإِلَهُ سَلَّطَ الأَسَدَا
وَ مِثْلُ هَذَا دَعَا بِهِ عَلَى ٱمْرَأَةٍ   فَٱغْتَالَهَا الأَسَدُ الَّذِي لَهَا قَصَدَا
دَعَا عَلَى مَنْ عَلَيْهِ للسلا وَضَعُوا   وَكَانَ فِي حُرْمَةِ ٱلصَّلَاةِ قَدْ سَجَدَا
وَ كُلُّهُمْ قُتِلُوا فِي يَوْمِ بَدْرِهِمُ   وَ سِرُّ دَعْوَتِهِ فِيهِمْ لَدَيْهِ بَدَا
دَعَا عَلَى الحكم الغماز نَجْلُ أَبِي العَاصِي فَصَارَ بِذَاكَ ٱلْغَمْزِ فِي ٱلْبُعَدَا
مَا ٱنْفَكَّ مُخْتَلَجًا مِنْ حِينِ قَالَ لَهُ   كُنْ مِثْلَ مَا أَنْتَ حَتَّى مَاتَ مُرْتَعِدَا
عَلَى ٱبْنِ جثامة دَعَا بِغَدْرَتِهِ   لِعَامِرٍ فَٱرْتَدَى مِنَ ٱلْبَلَاءِ رِدَى
مِنْ بَعْدِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أُصِيبَ وَ لَمْ   يَزَلْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُلْقَى طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ النَّاسُ كَمْ دَفَنُوهُ وَهْيَ تَلْفِظُهُ   كَيْ مَا يُرَى عِبْرَةً لِمَنْ لَهُ شَهِدَا
حَتَّى أَحَلُّوهُ فِي دَارِ الهَوَانِ فَكَانَ لِلسِّبَاعِ فَرِيسَةً لَدَى ٱلشُّهَدَا
دَعَا عَلَى فَرَسٍ بِيعَتْ لَهُ وَ بِهَا   لَهُ خُزَيْمَةُ بَيْنَ النَّاسِ قَدْ شَهِدَا
فَأَصْبَحَتْ وَ هْيَ لِلرِّجْلَيْنِ شَاصِيَةً   رَغْمًا لِبَائِعِهَا الَّذِي لَهُ جَحَدَا

فصل

في كراماته و بركاته عليه السلام و انقلاب الأعيان
له فيما لامسه او باشره

اللهُ عَظَّمَ جَاهَ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْعَرَبِي   فَمَنْ بِهِ يَحْتَمِي يَحْظَى بِمَا قَصَدَا
لَهُ مِنَ ٱلْبَرَكَاتِ وَ ٱلْكَرَامَةِ مَا   فِيهِ مَنَاقِبُ لَا أُحْصِي لَهَا عَدَدَا
لَهُ خَوَارِقُ عَادَاتٍ بِهَا ٱنْقَلَبَتْ   أَعْيَانُ أَشْيَاء فِي مَشَاهِدِ ٱلشُّهَدَا
مِنْ ذَاكَ قَدْ صَارَ بَحْرًا تَحْتَهُ فَرَسٌ   فَلَمْ يُجَارِيهِ شَيْءٌ مُسْرِعٌ أَبَدَا
وَ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ ٱسْتَعَارَهُ وَ بِهِ   غَدَا لِيَسْتَطْلِعَ ٱلصَّوْتَ ٱلَّذِي بَعُدَا
وَ كَانَ يَقْطُفُ قَبْلَ أَنْ يُسَيِّرَهُ النَّبِي وَبَعْدَ رُكُوبِهِ عَلَيْهِ عَدَا
وَ هَكَذَا جَمَلٌ لِجَابِرٍ فَبِنَخْسِهِ لَهُ قَدْ عَدَا وَ فِي ٱلنَّشَاطِ غَدَا
وَ مِثْلُهُ فَرَسُ لِلْأَشْجَعِيِّ فَلَمْ   يَملك لَهَا بِالنَّشَاطِ الرَّأْس مُجْتَهِدَا

وَ مِثْلهُ قَدْ أحال بِالرُّكُوبِ حِمَـــارَ ابْنِ عُبَادَةَ هِمْلاَجاً كَمَا وَرَدَا
فَصَارَ إِنْ سَارَ سَيْراً لاَ يُسَايِرُهُ
فِي مَشْيِهِ كُلُّ مَرْكُوبٍ وَ لَوْ حَفَدَا
وَ كَانَ عِنْدَ الصَّحَابِي بْنِ الْوَلِيدِ تُرَى
مِنْ شَعْرِهِ شَعَرَاتٌ سِرُّهَا شهدا
لَهُ قَلَنْسُوَةٌ قَدْ كَانَ يَحْمِلُهَا
فِيهَا فَيَضْحَى بِهَا يَوْمَ الْوَغَى أَسَدَا
فَيُرْزَقُ النَّصْرَ قَطْعاً فِي وَقَائِعِهِ
سِرّاً وَ جَهْراً بِرَغْمِ أنفِ مَنْ عندَا
وَ عِنْدَ أَسْمَاءَ كَانَتْ جُبَّةٌ أَخَذَتْ
مِنَ النَّبِيِّ بِهَا تَبَرَّكَ السُّعَدَا
تُشْفِي غُسَالَتُهَا الْمَرْضَى إِذَا شُرِبَتْ
وَ إِنْ بِهَا ادَّهَنُوا شَفَتْ لَهُمْ جَسَدَا
وَ مِثْل هَذَا أَتَى فِي قَصْعَةٍ أَخَذُوهَا مِن قِصَاعِ النَّبِيِّ فِي إِزَالَةِ دَا
كَانُوا بِهَا يَجْعَلُونَ المَا و تشربُهُ الْمَرْضَى وَ مِنْهُ الشِّفَا لَهُمْ بِهِ عُهِدَا
وَ قَدْ حَكَوا أَنَّ جِهْجَاهاً أُصِيب بِأُكْلَةٍ بِهَا حَلَّ فِي مِهْوَاةِ شَرِّ رَدَى
قَدْ رَامَ كَسْرَ قَضِيبِ الْمُصْطَفَى وَ عَلَيْهِ كَانَ عُثْمَانُ فِي الخِطَابَةِ اعْتَمَدَا
فَمَاتَ مِن قَبْلِ حَوْلٍ حِينَ رَامَ بِهِ انْتِهَاكَ حُرْمَتِهِ وَ فِعْلُهُ انْتُقِدَا
وَ فَضْلَةٌ مِنْ وُضُوءِ الْمُصْطَفَى سكبت
يَوْماً بِبِيرِ قُبَا فَلَمْ تَغِضْ أَبَدَا
وَ بِالْمَدِينَةِ بِئْرٌ عطلت بَصَقَ النَّبِي بِهَا فَحَلَتْ وَ ازْدَادَتِ الْمَدَدَا
وَ صَارَ بَيْسَانُ عَذْباً حِينَ مَرَّ بِهِ النَّبِي وَ سَمَّاهُ نُعْمَاناً كَمَا وَرَدَا
وَ مَجَّ فِي دلْوِ مَاءٍ كَانَ جِيءَ بِهِ
إِلَيْهِ مِنْ زَمْزَمٍ فَطَابَ لِلشُّهَدَا
وَ مَصَّ مِنْهُ اللِّسَانَ فِي الصَّدَا الْحَسَنَا
نِ فَانْجَلَى عَنْهُمَا بِذَاكَ كُلُّ صَدَا
وَ السَّمْنُ بُورِكَ فِيهِ عِنْدَ أم سليم ظرف عُكَّتِهَا الَّتِي بِهَا وجدَا
فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهَا مَمْلُوءَةً وَ بِهَا
مَا مِنْهُ يَأْكُلُ كُلُّ مَنْ لَهَا قَصَدَا

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الْمَلاَ عَنْ عَصْرِهَا غَفَلَتْ
دَامَتْ لَدَيْهَا وَ فِيهَا السَّمْنُ مَا نَفِدَا
وَ كَانَ يَتْفُلُ فِي فَمِ الْمَرَاضِعِ فِي
يَوْمٍ فَيُجْزِئُهُمْ إِلَى الْغَدَاةِ غَدَا
وَ جَاءَ مِنْ بَرَكَاتِ الْمُصْطَفَى عَجَبٌ
فِيمَا لِسَلْمَان بَانَ فِي طَرِيقِ هُدَى
أَعْطَاهُ مِقْدَارَ بيضَةِ الدَّجَاجَةِ عَسْجَداً بِهِ قَدْ قَضَى دِيناً عَلَيْهِ غَدَا
وَ فِى مَوَالِيهُ الشَّرْطَ الَّذِي اشْتَرَطُوا
عَلَيْهِ فِي غَرْسِهِ نَخْلاً لَهُمْ وجَدَا
فِي عَامِهَا أَطْعَمَتْ إِذْ صَارَ غَارِسُهَا
لَهُمْ سِوَى نَخْلَة وَ سِرُّهُ شُهِدَا

وَ مَنْ يَقُومُ النَّبِي مَقَامَهُ فَلَهُ البُشْرَى بِإِحْرَازِهِ الخَيْرَ الَّذِي قَصَدَا
وَ قَدْ سَقَى ابن عُقَيْل فَضْلَ شَرْبَتِهِ   فَلَمْ يَجِدْ بَعْدَهَا جُوعاً وَ لَنْ يَجِدَا
أَعْطَى قَتَادَةَ عُرْجُوناً وَ قَالَ لَهُ   إِنْ جِئْتَ بَيْتَكَ لاَ تَدَعْ بِهِ أَحَدَا
إِنَّ السَّوَادَ الَّذِي تلْفِيهِ فِيهِ هُوَ الشَّيْطَان فَاحْذَرْهُ فَهْوَ فِيهِ قَدْ قَعَدَا
فَاضْرِبْهُ حَتَّى يصدَّ عَنْكَ ثمتَ لاَ   يصد عنك بلإيذاء إِنْ بعدا
فَسَارَ فِي الحِينِ وَ العُرْجُونُ فِي يَدِهِ   يُضِيءُ نُوراً وَ عَنْهُ قَدْ نَفَى الكَمَدَا
حَتَّى أَتَى بَيْتَهُ وَ مِنْهُ أَخْرَجَ مَا   رَأَى وَ أَحْرَزَ مِنْ خَيْرِ الوَرَى رَشَدَا
أَعْطَى لعكاشة عُوداً وَ فِي يَدِهِ   سَيْفاً غَدَا يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
وَ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ عَوْناً يَصُولُ بِهِ   حَتَّى تُوُفِّيَ فِي قِتَالِ مَنْ عندَا
وَ لابْنِ جَحْشٍ عَسِيباً مد فِي أُحُدٍ   فَصَارَ فِي يَدِهِ سَيْفاً قد انْجَرَدَا
وَ دَرَّتِ الشَّاةُ بالكثيرِ مِنْ لَبَنٍ   للمُصْطَفَى بَيْنَ مَنْ لَهُ غَدَوا شُهَدَا
مِنْهَا قَضِيَّةُ أُمِّ معْبَدٍ و قضيَّةٌ بِهَا أَنَسٌ لله قَدْ عبدَا
وَ مِثْلهَا لابْنِ مسعودٍ قد اشْتَهَرَتْ   و مثلها كَانَ لِلْمِقْدَادِ فِي السُّعَدَا
أَمَّا حَلِيمَةُ فَهْيَ بِالنَّبِي سَعِدَتْ   فِي حَالِ إِرْضَاعِهَا لَهُ حَوَتْ مَدَدَا
و مثله لابنِ ثَوْرٍ شُوهِدَتْ بَرَكَا   تٌ مِنْهُ فِي أَعْنُزٍ بِهَا لَهُ رَفَدَا
أَعْطَاهُ خَيْرُ الوَرَى عَشْراً فكَانَ لَهُ   بُشْرَى بِهَا نَجْلُهُ بِشْرٌ أطَالَ يَدَا
فَقَالَ مُفْتَخِراً أَنَا الَّذِي مَسَحَ النَّبِيُّ رَأْسَ أَبِيهِ وَ ارْتَدَى بُرُدَا
وَ زَوَّدَ المُصْطفَى يوماً صَحَابَتَهُ   سِقَاءَ مَاءٍ فَصَارَ المَاءُ نَوْعَ غِذَا
لَهُمْ غَدَا لَبَناً وَ الزبدُ فِي فَمِهِ   فَكَانَ أَشْهَى غِذَاءً بَيْنَهُمْ شُهِدَا

وَ طَالَ عُمْرُ ابْنُ سَعْدٍ بِالدُّعَاءِ لَهُ   إِلَى ثمانينَ وَ هْوَ لَمْ يَشِبْ أَبَدَا
مَسَحَ خَيْرُ الوَرَى بَطْنَ ابْنِ عُتْبَةَ صَا   رَ الطَّيِّبُ يَعْبَقُ مِنْهُ حَيْثُمَا قَعَدَا
وَ غُرَّةً فِي جَبِينِ عَائِذٍ رَسَمَ النَّبِيُّ بَعْدَ حُنَيْنٍ نُورُهَا شهدَا
فَإِنَّهُ مَسَحَ الجَرْحَ المُلِمَّ بِهِ   أَيْضاً فَصَارَ أَغَرَّ الوَجْهِ فِي الشُّهَدَا
و مثل هَذَا حَكَوْهُ فِي ابْنِ ثَعْلَبَةٍ   وَ بَعْضُهُمْ قَالَ فِي خُزَيْمَةٍ وَرَدَا
وَ صَارَ وَجْهُ ابْنِ مِلْحَانَ بِمَسْحِ رَسُو   لِ اللهِ بِالكَفِّ كَالمِرآةِ دُونَ صَدَا
و المُصْطفَى وَضَعَ اليَدَ الشَّرِيفَةَ فَوْ   قَ رَأْسَ حَنْظَلَةَ الَّذِي حَوَى الرَّشَدَا

فَصَارَ يقصِدُهُ الأَقْوَامُ بَيْنَهُمُ   لَدَى تبَرُّكِهِمْ بِهِ وَنَيْل هُدَى
فَيَذْهَبُ الضُّرُّ عَنْهُمْ إِنْ هُمْ لَمِسُوا   مَحَلَ كَفِّ النَّبِيِّ مِنْهُ أَيْنَ غَدَا
وَرَشَّ مِنْ مَاءِ غَسْلِهِ رَبِيبَتَهُ   ذَاتَ البَهَا زَيْنَبَ التي حَوَتْ رَشَدَا
فَصَارَ فِيهَا جَمَالٌ لاَ تُرَى امْرَأَةٌ   مِنَ البَهَا مِثْلَهَا مِمَّا بِهَا شُهِدَا
وَمِنْ صَبِيٍّ أَزَاحَ عَنْهُ عَاهَتَهُ   بِمَسْحِهِ رَأْسَهُ وَسَعْيُهُ حُمِدَا
وَكَمْ صَبِيٍّ بِهِ العَاهَاتُ قَدْ ظَهَرَتْ   لَمَّا أَتَاهُ أَزَاحَ عَنْهُ مَا وَجَدَا
وَلَمْ يَجِيءْ أَحَدٌ إِلَيْهِ فِي تَرَحٍ   إِلاَّ وَعَنْهُ أَزَالَ الهَمَّ وَالكَمَدَا
وَجَاءَهُ رَجُلٌ دَهَتْهُ أُدْرَتُهُ   فَنَالَ مِنْهُ شِفَاءً مَعْ هُدًى وَجِدَا
أَعْطَاهُ مَاءً وَكَانَ مَجَّ فِيهِ وَقَا   لَ انْضَحْ بِهِ فَشَفَاهُ وَهْوَ أَشْنَعُ دَا
وَمَجَّ فِي دَلْوِ بِئْرٍ ثُمَّ صَبَّ بِهَا   فَفَاحَ مِنْهَا الشَّذَا لِمَنْ لَهَا وَرَدَا
وَفِي حُنَيْنٍ رَمَى الأَعْدَا بِكَفِّ حَصَى   فَصَارَ جَمْعُهُمُ كَالزَّرْعِ إِنْ حُصِدَا
وَمِثْلُهُ يَوْمَ بَدْرٍ فِيهِ قَد هُزِمُوا   وَفِيهِمُ سِرُّهُ لِلحَاضِرِينَ بَدَا
وَقَدْ أَمَدَّ أَبَا هُرَيْرَة بِعَظِيمِ السِّرِّ وَهْوَ بِهِ قَدْ زَادَهُ مَدَدَا
أَزَالَ نِسْيَانَهُ الَّذِي إِلَيْهِ شَكَى   فَصَارَ مِنْ حِينِهِ بِالحِفْظِ مُنْفَرِدَا
دَعَا النَّبِي لِجَرِيرٍ بِالثَّبَاتِ فَلَمْ   يَزَلْ يُرَى بِالثَّبَاتِ فِي الوَغَى أَسَدَا
وَكَمْ دَمِيمٍ بِمَسْحِ الوَجْهِ مِنْهُ لَهُ   قَدْ صَارَ مِنْ أَحْسَنِ الوُجُوهِ فِي الشُّهَدَا
وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ   وَمَا أَنَا مُدَّعٍ لِحَصْرِ مَا وَرَدَا
وَبِالصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ أَخْتُمُ هَذَا الفَصْلَ ثُمَّ عَلَى أَتْبَاعِهِ السُّعَدَا
مَعَ السَّلاَمِ الذي تَسْلُو القُلُوبُ بِهِ   عَلَى الجَمِيعِ سلاماً طَاوَلَ الأَبَدَا

فصل

و من قبيل هذا النوع المكنون ما أطلع
عليه من الغيوب مما كان و ما يكون

لِلمُصْطَفَى انْكَشَفَتْ حُجْبُ الغُيُوبِ إِلَى   أَنْ شَاهَدَ الحَقَّ حَقّاً طِبْقَ مَا وَرَدَا
فَكَانَ مَا كَانَ أَوْ يَكُونُ مُجْتَلِياً   طِبْقَ الَّذِي قَالَهُ لِسَائِرِ الشُّهَدَا
فَشَاهَدَ النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ عَجَباً   وَبَعْدَهَا شَاهَدُوا الَّذِي بِهِ شَهِدَا

وَ لَمْ تَزَلْ تُظْهِرُ الأَيَّامُ مَا حَمَلَتْ مِنَ الغُيُوبِ عَلَى وَفْقِ الَّذِي شهدا
فَعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ المُصْطَفَى بِجَمِيعِ مَا يَكُونُ وَ مَا قَدْ كَانَ قَدْ سَرَدَا
وَ إِنَّنَا لَنَرَى الأَشْيَا فَنَذْكُرُهَا بِوَصْفِهِ بَعْدَمَا بِكَوْنِهَا وَعَدَا
فنعرف الشَّيْءَ عِنْدَمَا نَرَاهُ كَأَنَّا قَبْلُ كُنَّا لَهُ بِوَصْفِهِ شُهَدَا
لَمْ أَدْرِ هَلْ نَسِيَ الأَصْحَابُ ذَلِكَ أَمْ هُمْ تَنَاسُوهُ مَهْمَا فِي الوُجُودِ بَدَا
وَ اللهِ مَا تَرَكَ الرَّسُولُ مِنْ فِتَنٍ إِلاَّ وَسَمَّى الَّذِي فِيهَا أَطَالَ يَدَا
وَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ الأَرْضَى أَتَى نَبَأٌ يَقُولُ فِيهِ مَقَالاً نَوَّرَ الخَلَدَا
مَا مَاتَ خَيْرُ الوَرَى حَتَّى أَبَانَ لَنَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ غِطَاء فِي طَرِيقِ هُدَى
مَا طَائِرٌ طَارَ إِلاَّ وَ هُوَ ذَكَّرَنَا عِلْماً بِتَحْرِيكِهِ الجَنَاحَ أَيْنَ غَدَا
فَزَالَ عَنَّا العَنَا بِمَا يُحَدِّثُنَا بِهِ وَ نِلْنَا عُلُوماً تُذْهِب الكَمَدَا
وَ الدِّينُ أَعْلاَمُهُ بَيْنَ الوَرَى انْتَشَرَتْ شَرْقاً وَ غَرْباً كَمَا بِهِ النَّبِي وَعَدَا
كَانَ الظُّهُورُ لَهُ عَلَى العِدَا وَبِهِ ظُهُورُهُمْ قُصِمَتْ وَ نَجْمُهُ صَعَدَا
هَا فَتْحُ مَكَّةَ وَ العِرَاقُ مَعْ يَمَنٍ وَبَيْتُ مَقْدِسِهِمْ وَ الشَّامُ قَدْ شَهِدَا
وَ فَتْحُ خَيْبَرَ كَانَ بِالعَلِيِّ عَلِي طِبْقَ الَّذِي قَالَهُ النَّبِي كَمَا وَرَدَا
وَ هَا المَدِينَةُ طِبْقَ قَوْلِهِ غُزِيَتْ وَ الأَمْنُ قَدْ عَمَّمَ العِبَادَ وَ البَلَدَا
وَ هَا عَلَى الأُمَّةِ الكُنُوزُ قَدْ فُتِحَتْ وَ كُلُّهُمْ صَارَ فِي الدُّنْيَا يَمُدُّ يَدَا
عَمَّ التَّرَفُّهُ كُلَّ النَّاسِ وَ اخْتَلَفَتْ أَهْوَاؤُهُمْ فَغَدَوا طَرَائِقاً قِدَدَا
فَهُمْ عَلَى سُبُلِ قَوْمٍ قَبْلَهُمْ سَلَكُوا وَ قَلَّ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ مَعَ الشُّهَدَا
وَ هَا البُيُوتُ تَبَدَّتْ فِي زَخَارِفِهَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَ عَلَيْهِمُ العَدُوُّ عَدَا

وَ قَدْ تَسَلَّطَتِ الأَشْرَارُ بَيْنَهُمُ عَلَى خِيَارِهِمُ وَ أَكْثَرُوا اللَّدَدَا
وَ التُّرْكُ قَدْ قُوتِلُوا وَ الخَزْرُ مِثْلُهُمُ و الرُّومُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُمْ وَ مَنْ بَعُدَا
وَ قَدْ مَضَى قَيْصَرٌ وَ فَارِسٌ وَ مَضَى كِسْرَى وَ قَدْ صَارَ مِنْهُمْ مُلْكُهُمْ بَدَدَا
وَ الرُّومُ طِبْقَ الَّذِي قَدْ قَالَ ذَات قُرُونٍ فَهْيَ فِي كُلِّ جِيلٍ خَلَّفَتْ عَدَدَا
وَ هَا مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ ذَهَبُوا شَيْئاً فَشَيْئاً وَ كِدْنَا نَفْقِدُ الرَّشَدَا
وَ هَا الزَّمَانُ تَقَارَبَتْ أَبَاعِدُهُ وَ قَدْ دَنَا كُلُّ مَا قَدْ كَانَ مُبْتَعِدَا
وَ هَا الجَهَالَةُ حَطَّتْ بَيْنَ أَظْهُرِنَا أَثْقَالَهَا وَ لَدَيْنَا العِلْمُ قَدْ كَسَدَا

وَ امْتَدَّ غرباً و شرقاً مُلْكُ أُمَّتِهِ   بَلْ فِي جَمِيعِ الجهاتِ صَارَ مُعْتَضِدَا
وَ لاَ تَزَالُ بِحَوْلِ اللهِ طَائِفَةٌ   مِنْهُمْ عَلَى الحَقِّ لاَ يخشونَ مَنْ عَنَدَا
فَهُمْ عَلَى الحَقِّ حقّاً لاَ يضرُّهُمُ   مُخَالِفُوهُمْ وَ إِنْ كَانُوا أَشَرَّ عِدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بِمُلْكِ مَنْ مَلَكُوا   أَضْعَاف مَا مَلَكُوا مِمَّنْ خَفَا وَ بَدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بِالسَّيِّدِ السَّنَدِ المَهْدِي وَ مَا سَيَكُونُ مِنْهُ أَيْنَ غَدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بِمَا يُصَادِفُهُ   مِنْ بَعْدِهِ الآلُ بَيْنَ سَائِرِ الشُّهَدَا
فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا فِيهِ قَتْلُ عَلِي   وَ قَتْلُ رَيْحَانَتَيْهِ بَعْدَهُ شُهَدَا
وَ أَخْبَرَ المُصطفى بِمَا يُصَابُ بِهِ   عُثْمَانُ مِمَّنْ عَلَيْهِ مِن عِدَاهُ عَدَا
مُوَاعِداً بِحُرُوبٍ فِي صَحَابَتِهِ   تكُون ثمت كَانَتْ مِثْلَ مَا وَعَدَا
وَ مُخْبِراً بِنُبَاحٍ حَوْلَ عَائِشَةٍ   مِنَ الكِلاَبِ وَ هُمْ خَوَارِج بُعدَا
وَ قَالَ لابْنِ الزُّبَيْرِ الوَيْلُ مِنك يُرَى   لِلنَّاسِ وَ الوَيْلُ مِنْهُمُ لَكَ احْتُشِدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّ عَمَّارٍ سَتَقْتُلُهُ   بَاغِي الفِئَاتِ الَّتِي لِفِعْلِهَا انْتَقَدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّ قُزْمَانَ مَقَالَتَهُ   فَكَانَ مِنْ آهْلِ نَارٍ حَرُّهَا اتقدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّ قَوْمٍ أَنَّ آخِرَهُمْ   يَمُوتُ حرقاً فَكَانَ طِبْقَ مَا شُهِدَا
وَ قَالَ لَمَّا رَأَى الغَسِيلَ حَنْضَلَة   قَوْلاً تَحَقَّقَ فِيهِ بَيْنَ مَنْ شهدَا
رَأَى مَلاَئِكَةَ الرَّحْمَانِ تَغْسِلُهُ   وَ تِلْكَ مَنْقَبَةٌ لَهُ بِهَا شَهِدَا
وَ فِي قُرَيْشٍ بِلاَ شَكٍّ خِلاَفَتُهُ   كَانَتْ بِدُونِ خِلاَفٍ طِبْقَ مَا وَعَدَا
وَ لَنْ يزَالَ يُرَى فِيهِمْ بِدُونِ مِرَا   مَا الدِّينُ قَامَ بِهِمْ وَ هُمْ هُمُ العُمَدَا
وَ كَمْ بَشَائِر كَانَتْ ضِمْنَ قَوْلَتِهِ   حَتَّى بَدَا أَمْرُهَا لِمَنْ لَهَا شَهِدَا

وَ كَمْ حَوَادِث طِبْقَ قَوْلِهِ وَقَعَتْ   وَ كَمْ حَدِيثٍ بِمَا تَضَمَّنَتْ وَرَدَا
فَقَدْ أَشَارَ لِمَا أَبْدَى مُسَيْلِمَةٌ   وَ مَا انْتَهَى أَمْرُهُ إِلَيْهِ مُنْذُ بَدَا
وَ قَدْ أَشَارَ إِلَى الكَذَّابِ وَ هُوَ مَعَ الحَجَّاجِ بَيْنَ ثَقِيفٍ أَهْلَكَا العَدَدَا
وَ قَدْ أَشَارَ إِلى لُحُوقِ فَاطِمَةٍ   بِهِ قُبَيْلَ السَّوَى مِمَّنْ بِهِ وَجَدَا
وَ أَنْذَرَ المُصْطَفَى بِرِدَّةٍ وَقَعَتْ   مِنْ بَعْدِهِ وَ بِهَا قَدْ طَاشَ مَنْ بَعُدَا
وَ قَدْ أَشَارَ إِلَى كَوْنِ الخِلاَفَةِ بَعْدَهُ ثَلاَثِينَ وَ هِيَ مُدَّةُ الرُّشَدَا
بِمُدَّةِ الحَسَنِ الخَلِيفَةِ ابْنِ عَلِي   تَمَّتْ وَ كَانَ بِهَا مِنْ جُمْلَةِ الشُّهَدَا

وَ أَصْبَحَتْ بَعْدَهُ فِي العَالَمِينَ تُرَى   مُلْكاً عَضُوداً يقدُّ الزَّنْدَ وَ العَضُدَا
فَأَصْبَحَ المُلْكُ فِي الإِسْلَامِ فِي تَرَفٍ   وَ فِي عُتُوٍ وَ كَمْ قَلْبٍ بِهِ فُئِدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بِالسَّيِّدِ القَرَنِي   فَكَانَ فِي التَّابِعِينَ سَيِّداً سَنَدَا
وَ قَدْ أَشَارَ لِمَنْ يُؤَخِّرُونَ صَلَاَ   تَهُمْ وَ هُمْ أُمَرَا مَقَامُهُمْ صعدَا
وَ اسْتَعْجَلَ الأمر حَتَّى صَارَ لَا ثقة   فِي الأَوْلِيَاءِ لَدَى مَنْ سَاءَ مُعْتَقَدَا
مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ كَذَّاباً وَ أَرْبَعَةٌ   مِنْ نِسْوَةٍ كُلُّهُمْ عَنِ الهُدَى بَعُدَا
وَ كَمْ دَجَاجِلَةَ النَّبِيُّ حَذَّرَنَا   مِنْهُمْ فَجَاءُوا وَ جَالُوا فِي طَرِيقِ هُدَى
وَقَدْ أَشَارَ النبي لِفِتْنَةِ العَجَمِ الـــــذِينَ جَاءُوا بِمَا قَدْ مَزَّقَ الكَبِدَا
وَ قَالَ خَيْرُكُمُ قَرْنِي وَ بَيَّنَ مِنْ   أَهْلِ القُرُونِ شِرَارَ النَّاسِ وَ السُّعَدَا
سَمَّى أُنَاساً بِأَسْمَاءٍ بِهَا عُرِفُوا   وَ الدَّهْرُ لَا زَالَ يُبْدِي مِنْهُمُ عَدَدَا
فَمِنْهُمُ من يَسُوقُ النَّاسَ وَ هْوَ فَتَى   قحطانَ وَ السَّيِّدُ المَهْدِي الَّذِي رشدَا
وَقَدْ أَشَارَ لِقَوْمٍ يَشْهَدُونَ بِمَا   لَا يَشْهَدُونَ وَ هُمْ فِينَا غدوا شُهَدَا
خَانُوا الأَمَانَةَ مَا وَفُوا بِمَا وَعَدُوا   بِهِ وَ مِثْلُهُمُ الأَيَّامُ لَنْ تَلِدَا
وَ إِنَّنَا فِي زَمَانٍ كَانَ حَذَّرَنَا   مِنْهُ وَ يَا عَجَباً إِنْ مِثْلُهُ وُجِدَا
لَكِنَّهُ بِأَشَرِ مِنْهُ بَشَّرَنَا   لِذَاكَ نُرْثِي لِمَنْ مِنْ بَعْدِنَا وُلِدَا
وَ قَالَ إِنَّ هَلَاكَ أُمَّتِي سَيُرَى   بِفِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ شَرُّهُمْ شَهِدَا
وَ قَدْ أَشَارَ إِلَى مَا قَدْ تَفَاحَشَ مِنْ   سَبِّ الأَوَاخِرِ لِلمَاضِينَ مِنْ رُشَدَا
شَنُّوا عَلَيْهِمْ مِنَ الغَارَاتِ أَشْنَعَهَا   وَ لَا تَرَى مِنْهُمُ إِلَّا الَّذِي انْتَقَدَا
فَلَا تَرَى غَيْرَ رَافِضِي أَوْ قَدَرِي   مِنْهُمْ تَظَاهَرَ بِالسُّنِّي الَّذِي اجْتَهَدَا
وَ قَدْ أَشَارَ لِمَا أَنْصَارُهُ لَقِيَتْ   وَ مَا يُلَاقِيهِ مَنْ عَلَى الهُدَى اسْتَنَدَا

وَ قَدْ أَشَارَ إِلَى مَنْ بِالهَوَى مَرَقُوا   مِنَ الدِّيَانَةِ طِبْقَ مَا لـه شهدا
فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا ذُو العَلَاءِ عَلِي   لَاقَاهُ مِنْ خَوَرِ الخَوَارِجِ البُعَدَا
وَ قَدْ أَشَارَ لِمَنْ تَرَأَّسُوا وَ هُمُ   كَانُوا رُعَاةً وَ صَارُوا قَادَةً عُمَدَا
تَنَافَسُوا فِي المَبَانِي مَعْ تَزَخْرُفِهَا   وَ النَّاسُ دِينُهُمُ الدِّينَارُ إِنْ وُجِدَا
وَ قَدْ أَشَارَ إِلَى مَا كَانَ مِنْ غَزَوَا   تِ طِبْقَ مَا قَالَهُ لِمَنْ لَهَا شَهِدَا
غَزَا قُرَيْشاً مَعَ الأَحْزَابِ كُلِّهِمُ   وَ فِيهِمُ قَالَ لَا يَغْزُونَنِي أَبَدَا

وَ وَاعَدَ الصَّحْبَ بِالسُّكْنَى بِبَصْرَتِهِمْ   فَكَانَ ذَلِكَ طِبْقَ مَا بِهِ وَعَدَا
وَ قَالَ إِنَّهُمْ يَغْزُونَ مِثْلَ مُلُو   كِ فِي البِحَارِ فَكَانَ ذَاكَ لِلرُّشَدَا
وَ قَدْ أَشَارَ إِلَى أَبْنَاء فَارِسَ فِي   كَمَالِ إِيمَانِهِمْ فِي مَنْصِبٍ صَعِدَا
وَ كَانَ سَلْمَانُ مِنْهُمْ فَنَالَ عُلَى   وَ عُدَّ مِنْ آلِ بَيْتِهِ الَّذِي سعدَا
وَ فِي غَزَاةٍ عَتَتْ رِيحٌ فَقَالَ لَقَدْ   هَاجَتْ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ قَد الْتَحَدَا
وَ عِنْدَ مَا رَجَعُوا إِلَى مَدِينَتِهِمْ   أَلْفَوْا رفاعةَ حَلَّ فِي عَمِيقِ رَدَى
وَ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ المُنَافِقِينَ وَ هُمْ   لِلْمُصْطَفَى وَ لِكُلِّ الصَّحْبِ شَرٌّ عِدَا
وَ قَالَ يَوْماً لِقَوْمٍ عِنْدَهُ حَضَرُوا   ضِرْسُ امْرِئٍ مِنْكُمْ فِي نَارِهِ اتَّقَدَا
فَارْتَدَّ مِنْ بَعْدِ حِينٍ مِنْهُمُ رَجُلٌ   مِنَ اليَمَامَةِ بَيْنَ مَنْ لَهُ شَهِدَا
فَقَالَ فِيهِ أَبُوْ هريرة عَجَباً   مِنْهُ فَإِنِّي مَعَهُ صِرْتُ مُنْفَرِدَا
وَ غَيْرُنَا كَانَ مَاتَ قَبْلَنَا وَ أَنَا   عَلَيَّ قَدْ خِفْتُ حَتَّى مَاتَ ملتحدَا
فَكَانَ هَذَا اليَمَامِي وَ هْوَ صَاحِبُ ضِرْ   سِ النَّارِ بَيْنَ الحُضُورِ لِلْجَمِيعِ فِدَا
وَ قَدْ تَحَقَّقَ مَا النَّبِيُّ أَخْبَرَنَا   بِهِ وَ نَحْنُ عَلَى تَصْدِيقِهِ شُهَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ أَعْلَمَ النَّبِي صَحَابَتَهُ   بِخَائِنٍ بَيْنَ قَوْمِهِ وَ أَيْنَ غَدَا
فَكَانَ خَائِنُهُ يَخْشَى فَضِيحَتَهُ   فَيَطْلُبُ السِتْرَ سِرّاً مِنْهُ فِي الشُّهَدَا
وَ لَيْسَ يفضحُ إِلاَّ مَنْ تَحَقَّقَ مِنْهُ أَنَّهُ عَنْ جَنَابِ الحَقِّ قَدْ طُرِدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بِشَأْنِ نَاقَتِهِ   وَ حَيْثُ هِي حِينَ ضَلَّتْ فِي فَلَاةِ رَدَى
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى أَصْحَابَهُ بِكِتَا   بٍ كَانَ مِنْ حَاطِبٍ وَ مَنْ بِهِ وَفَدَا
قَدْ كَانَ وَجَّهَهُ لِقَوْمِهِ وَ عَلَيْهِ اللهُ أَطْلَعَهُ طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
وَ إِنْ يَكُنْ حَاطِبٌ بِهِ أَسَاءَ فَقَدْ   أَجَادَ عِنْدَ الجَوَابِ طِبْقَ مَا اعْتَقَدَا

وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بِمَا أَرَادَ عُمَيْرُ عِنْدَ مَا جَاءَهُ يُمْضِي الَّذِي قَصَدَا
فَصَارَ مُنْدَهِشاً بِمَا النَّبِيُّ بِهِ   فِي الحِينِ أَخْبَرَهُ وَ صَارَ مرتعدَا
فَتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ مَكِيدَتِهِ   لَهُ وَ أَسْلَمَ ثُمَّ نَالَ مِنْهُ جِدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى أَنَّ العَدُوَّ أُبَيّاً مَوْتُهُ حَانَ بَعْدَمَا عَلَيْهِ عَدَا
فَكَانَ فِي سَرَفٍ فِي القُرْبِ مَقْتَلُهُ   وَ مَاتَ أَقْبَحَ مَوْتَةٍ بِهَا بُعِدَا
وَ قَالَ فِي ابْنِ أَبِي لَهَبٍ سَيَأْكُلُهُ   كَلْبٌ وَ رَبِّي عَلَيْهِ سَلَّطَ الأَسَدَا

وَ قَالَ فِي أَهْلِ بَدْرٍ قَوْلَةً وَقَعَتْ   فِيهَا كَمَا قَالَهُ مَصَارِعُ الشُّهَدَا
وَ قَالَ فِي الحَسَنِ الرِّضَى مَقَالَتَهُ الَّتِي بِهَا لاَ يَزَالُ سَيِّداً سَنَدَا
سَيُصْلِحُ اللهُ بَيْنَ فِئَتَيْنِ بِهِ   فَكَانَ أَفْضَلَ مُصْلِحٍ لِمَنْ فَسَدَا
نَاهِيكَ بِالحَسَنِ الرِّضَى وَ قَدْ خُتِمَتْ   بِهِ الخِلاَفَةُ بَعْدَ السَّادَةِ الرُّشَدَا
وَ بَشَّرَ المُصْطَفَى سَعْداً بِعَافِيَةٍ   بِمَا بِهِ كَانَ قَدْ أَلَمَّ فِي السُّعَدَا
فَعَاشَ حَتَّى رَأَى قَوْماً بِهِ انْتَفَعُوا   وَ آخَرِينَ بِهِ تَضَرَّرُوا كَمَدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بِمَوْتِ مَنْ قُتِلُوا   مِنْ أَهْلِ مُؤْتَةَ بَيْنَ قَوْمِهِ الشُّهَدَا
وَ بَيْنَ مَقْتَلِهِمْ وَ بَيْنَهُ ذَكَرُوا   بِالسَّيْرِ أَكْثَر مِن شَهْرٍ لِمَنْ حَفِدَا
وَ بِالنَّجَاشِيِّ يَوْمَ مَاتَ أَخْبَرَ خَيْرُ الخَلْقِ أَصْحَابَهُ إِذْ عَنْهُمُ ابْتَعَدَا
كَأَنَّهُ كَانَ حِينَ مَوْتِهِ مَعَهُ   لِكَوْنِ ذَلِكَ كَانَ طِبْقَ مَا شهِدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى فَيْرُوزَ فِي عَلَنٍ   بِمَوْتِ كِسْرَى وَ كَانَ مِنْهُ قَدْ وَفَدَا
وَ حِينَ فَيْرُوزَ صَحَّ عِنْدَهُ خَبَرُ السَّمَاتِ أَسْلَمَ مرغماً لِمَنْ عَنَدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بَيْنَ الصِّحَابِ أَبَا   ذَرٍ بِمَا سَيُلاَقِي فِي طَرِيقِ هُدَى
فَكَانَ تَطْرِيدُهُ مِنَ المَسَاجِدِ طِبْقَ مَا لَهُ قَالَهُ وَ مَاتَ مُنْفَرِدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بِأَنَّ أَسْرَعَ أَهْلِهِ لُحُوقاً بِهِ أَطْوَلُهُنَّ يَدَا
فَكَانَ أَطْوَلَهُنَّ زَيْنَبُ لِيَدٍ   مُدَّتْ إِلى الفُقَرَا بِبَذْلِ خَيْرٍ جدَا
وَ هْيَ الَّتِي لَحِقَتْهُ قَبْلَهُنَّ عَلَى   وفْقِ الَّذِي قَالَهُ وَ فَضْلُهَا شُهِدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى أَنَّ الحُسَيْنَ سَيَلْقَى بَيْنَ أُمَّتِهِ فِي الطَّفِّ مَا شهِدَا
فَكَانَ مَضْجَعُهُ فِي كَرْبَلاَءَ وَ قَدْ   عَمَّ البَلاَ كُلَّ مَنْ فِيهَا عَلَيْهِ عَدَا
وَ اهاً عَلَى مَنْ عَلَيْهِ قَدْ جنوا وَ رَجُوا   شَفَاعَةً وَ هُمُ عَلَى شَفِيرِ رَدَى

سُحْقاً لَهُمْ مِنْ طَغَامٍ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ   عَلَيْهِمُ اللهُ صَبَّ اللَّعْنَةَ الأَبَدَا
وَ فِي ابْنِ صُوحَانَ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ لَهُ   عُضْوٌ سَيسبِقُهُ لِجَنَّةِ السُّعَدَا
فَكَانَ مِنْ قَدَرِ القَدِيرِ أَنْ قُطِعَتْ   لَهُ يَدٌ فِي جِهَادٍ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّ مَنْ كَانُوا عَلَوْا مَعَهُ   عَلَى حِرَا اثْبُتْ فَإِنَّهُمْ مَعِي شُهَدَا
فَمَا عَلَيْكَ عَلاَ إِلاَّ نَبِي وَ شَهِيد مَعْهُ صديقه الَّذِي حَوَى رَشَدَا
فَكَانَ قَتْلُ عَلِي وَ قَبْلَهُ عُمَرٌ   مِمَّا بِهِ قَوْلُهُ هَذَا إِلَيْهِ هَدَى

وَ مَعْهُمُ كَانَ سَعْدٌ وَ الزُّبَيْرُ وَ عُثْمَانُ وَ طَلْحَةُ وَ الجَمِيعُ قَدْ سَعِدَا
فَقَدْ أَشَارَ إِلَى اسْتِشْهَادِهِمْ فَهُمُ   مِمَّنْ لَهُمْ بِالشَّهَادَةِ النَّبِي شَهِدَا
وَ بَشَّرَ المُصْطَفَى سُرَاقَةٌ بِبِشَارَةٍ سَمَتْ وَ عَلَيْهَا رَبَّهُ حَمِدَا
فَقَدْ أَتَى عُمَرُ يَوْماً فَأَلْبَسَهُ   سِوَارَ كِسْرَى بِعِزٍّ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
وَ قَدْ تَذَكَّرَ تَبْشِيرَ النَّبِيِّ لَهُ   وَ كَانَ ذَلِكَ طِبْقَ مَا بِهِ وَعَدَا
وَ قَدْ أَشَارَ إِلَى بَغْدَادَ قَبْلَ وُجُودِهَا وَ فِيهَا الَّذِي لَهُ أَشَارَ بَدَا
وَ قَالَ أَنَّ الوَلِيدَ بَيْنَ أُمَّتِهِ   لِقَوْمِهِ محض شر بينهم ولدا
فَحَقَّقَ اللهُ فِي الوَلِيدِ قَوْلَتَهُ   فَإِنَّهُ شَرُّ مَنْ فِي الأَرْضِ قَدْ فَسَدَا
وَ بَشَّرَ المُصْطَفَى بِفِتْنَةٍ وَ لَقَدْ   كَانَتْ بِصفين فِي دَعْوَاهُمَا اتَّحَدَا
هُمَا بِصفين كَانَا بَعْدَهُ اقْتَتَلاَ   وَ ذَاكَ قَبْلَ قِيَامِ سَاعَةٍ وجدا
وَ فِي سَبِيلِ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ قَوْلَتَهُ الَّتِي بِهَا عُمَرُ لِسِرِّهَا شَهِدَا
فَقَامَ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ بِمَكَّةَ بَعْدَ مَوْتِ خَيْرِ الوَرَى مُؤَيِّداً لِهُدَى
فَسَرَّ ذَلِكَ طِبْقَ قَوْلِهِ عُمَراً   لَدَى مَقَامٍ بِهِ السِّوَى قَد ارْتَعَدَا
وَ وَجَّهَ المُصْطَفَى إِلى أُكَيْدَرَ خَالِداً وَ قَالَ لَهُ تُلْفِيهِ مُبْتَعِدَا
فَسَارَ حَتَّى أَتَى لَهُ فَصَادَفَهُ   يَصِيدُ مِثْلَ الَّذِي بِهِ النَّبِي شَهِدَا
فَهَذِهِ مِنْ أُمُورِ الغَيْبِ أَظْهَرَهَا النَّبِي وَ قَدْ شَاهَدَتْهَا فِي الوَرَى الشُّهَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ أُمُورٍ بَيْنَ مَنْ حَضَرُوا   لَدَيْهِ يَكْشِفُ عَنْهَا طِبْقَ مَا وَرَدَا
حَتَّى لَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِهِمُ   خَوْفَ الفَضِيحَةِ مِنْهُ اسْكُتْ وَ قُلْ سَدَدَا
فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي النَّاسِ مُطَّلِعاً   عَلَى غُيُوبِ الَّذِي أَقَرَّ أَوْ جَحَدَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي النَّاسِ يُخْبِرُهُ   لَأَخْبَرَتْهُ الحَصَى إِنْ قَامَ أَوْ قَعَدَا

وَ أَعْلَمَ المُصْطَفَى بِسِحْرِ سَاحِرِهِ   وَ وَصْفِهِ وَ اسْمِهِ طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
وَ السِّحْرُ وَ السُّمُّ فِي ذَاتِ النَّبِي لَهُمَا   سِرٌّ وَ فِعْلُهُمَا مَا كَانَ فِيهِ سُدَى
بَلْ ذَاكَ كَانَ لِأَسْرَارٍ تَدِقُّ عَلَى   فَهْمِ الَّذِي لِوُجُودِ السِّرِّ قَدْ جَحَدَا
وَ كَانَ إِعْلاَمُهُ بِذَاكَ مَنْقَبَةٌ   أُخْرَى لَهُ لاَ تَكُنْ فِي ذَاكَ مُنْتَقِدَا
لَوْ لَمْ تَكُنْ حِكْمَةٌ فِي ذَاكَ غَيْرُ بَيَانِ حُكْمِهِ لَكَفَى لِمَنْ يُرِيدُ هُدَى
وَ قَدْ بَدَا لِقُرَيْشٍ مِنْهُ مَا عَجَزُوا   عَنْهُ وَ قَدْ عَجِبُوا مِمَّا بِهِ وَفَدَا

مِنْ ذَاكَ إِعْلَامُهُمْ بِمَا صَحِيفَتُهُمْ   تَضَمَّنَتْ مُرْغَماً لِأَنْفِ مَنْ عَنَدَا
وَ وَصْفُهُ المَسْجِدَ الأَقْصَى وَ مَا بِطَرِيقِهِ رَآهُ فَكَانَ طِبْقَ مَا شَهِدَا
وَ كَمْ حَوَادِثَ قَدْ جَاءَتْ مُطَابِقَةً   لِمَا بِهِ حَدَّثَ النَّبِيُّ فِي الشُّهَدَا
وَ بَعْضُهَا ظَهَرَتْ بَيْنَ العِبَادِ مُقَدِّمَاتُهَا طِبْقَ مَا بِهِ لَهُمْ وَعَدَا
مِنْ ذَلِكَ السَّاعَةُ المهول مَشْهَدُهَا   تَأْتِي وَ أَشْرَاطُهَا تَبْدُوا كَمَا شهدَا
وَ كَمْ أُمُورٍ سَتَجْرِي فِي القِيَامَةِ طِبْقَ قَوْلِهِ وَ يَرَاهَا كُلُّ مَنْ وُجِدَا
فَالحَشْرُ وَ النَّشْرُ لَوْ عَنَّا الغِطَاءُ أُزِيلَ الآنَ كُنَّا نَرَاهُ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ النَّارُ وَ الجَنَّةُ المَوْعُودُ دَاخِلُهَا   هُنَا نَرَاهَا عَلَى وفقِ الَّذِي وَعَدَا
فَلِلْجَحِيمِ غَدَا الفُجَّارُ كُلُّهُمُ   وَ فِي النَّعِيمِ نَرَى الأَبْرَارَ وَ السُّعَدَا
فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ نَرَى الهَنَاءَ هُنَا   وَ أَنْ يُزِيلَ العَنَا عَنَّا هُنَا وَ غَدَا (1)
وَ اللهُ جَلَّ عُلَاهُ المُسْتَعَانُ عَلَى   أُمُورِنَا كُلِّهَا مِمَّا خَفَى وَ بَدَا
نَرْجُوهُ يكشِفُ عَنَّا مَا أَلَمَّ بِنَا   وَ أَنْ يمُدَّ لَنَا مِنَ النَّعِيمِ يَدَا
فَفِي يَدِي وَجَعٌ وَ لِي بِهَا جَزَعٌ   وَ فِيهِ عِنْدِي رَجَى فِي منحي المَدَدَا
فَلْتَشْفِ دَائِيَ يَا أَللهُ عَنْ عَجَلٍ   وَ حُفَّنِي بِرِضَى فَلَا أَخَافُ رَدَى

---

(1) في 19 ذو حجة 1348 ، الحمد لله قال ناظمه لقد ألم بيدي ألم يناهز الشهر ، فألهمت بإشارة بعض الأحبة من العلماء للزيادة في هذا النظم متبركا به و نيل الشفاء، فكتبت الأبيات التي ختمت بها هذا الفصل، و قلت قبل الشروع هذه الأبيات:

بالشفا أشتفي من الألم المردي و أضحى السليم من كل داء
بالذي اشتملت عليه من الأسرار أدعو المولى يجيب دعائي
فلقد طال بي الذي قد عراني   و أنا لم أجد منيل شفائي
ثم و فقت أن دعوت إلى الله بسر الشفا فنلت رجائي
يا لها من كرامة قد شهدناها أزاحت عنا جميع البلاء

فصل

في عصمة الله تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم من الناس و كفايته من آذاه

اللهُ أَخْبَرَ فِي التَّنْزِيلِ خَيْرَ بَنِي   عَدْنَانَ بِالعِصْمَةِ الَّتِي بِهَا انْفَرَدَا
فَكَانَ فِي النَّاسِ مَلْحُوظاً بِأَعْيُنِهِ   وَ قَدْ كَفَاهُ رَدَى طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
فَلَمْ يَدَعْ غَيْرَهُ مِنْ بَعْدُ يحرسُهُ   وَ أَخْبَرَ الصَّحْبَ بِالَّذِي بِهِ وُعِدَا
كَفَاهُ سُبْحَانَهُ العِدَا جَمِيعَهُمُ   وَ كُلَّ مُسْتَهْزِئٍ وَ كُلَّ مَنْ عَنَدَا
أَتَاهُ يَوْماً وَ كَانَ وَحْدَهُ بطل   وَ سَلَّ فِي وَجْهِهِ سَيْفاً لَهُ وجدَا
وَ قَالَ هَلْ أَحَدٌ مِنِّي يُجِيرُكَ يَا مُحَمَّدٌ قَالَ رَبِّي حَافِظِي الأَبَدَا
فَانْحَطَّ مِنْ يَدِهِ السَّيْفُ الذِي اخْتَرَطَ الجَرِيءَ فِي وَجْهِهِ وَ صَارَ مُرْتَعِدَا
وَ قَدْ تَكَرَّرَ هَذَا الأَمْرُ مِنْ نَفَرٍ   مَعْهُ وَ كُلُّهُمُ لاَ قُوهُ مُنْفَرِدَا
سَلْ عَنْهُ غَوْرَثَ كَيْفَ عَادَ مُنْدَهِشاً   لِقَوْمِهِ وَ لَهُمْ حَكَى الَّذِي شَهِدَا
وَ قَالَ جِئْتُكُمُ مِنْ خَيْرِ مَنْ صَنَعَ المَعْرُوفَ وَ هُوَ الَّذِي عَفَا وَ مَا حَقَدَا
وَ سَلْ بِذِي أَمَرٍ دُعْثُورٍ عَنْهُ وَ قَدْ   أَتَى إِلَى قَوْمِهِ مُسْتَمْسِكاً بِهُدَى
وَ قَالَ يَا قَوْم إِنِّي قَدْ شَهِدْتُ لَهُ   بِأَنَّهُ خَيْرُ مَنْ قَد اهْتَدَى وَ هَدَى
شَاهَدْتُ حِينَ أَخَذْتُ السَّيْفَ مُنْصَلِتاً   مَا قَدْ دَهَانِي وَ لَمْ أَمْلِكْ بِهِ جَلَدَا
وَ كُنْتُ ثَابِتَ جَأْشٍ حِينَ قُلْتُ لَهُ   هَا أَنْتَ بَيْنَ يَدَي أَسْقِيكَ كَأْسَ رَدَى
فَجَاءَنِي ملك وَ بِي رَمَى فَوَقَعْتُ سَاقِطَ السَّيْفِ مَا رَفَعْتُ مَعْهُ يَدَا
هُنَاكَ أَسْلَمْتُ وَ الإِسْلاَمُ أَفْضَلُ مَا   بِهِ تَمَسَّكَ مَنْ قَدْ رَامَ نَيْلَ هُدَى
وَ حِينَ مَا نَزَلَتْ تَبَّتْ يَدَا انْزَعَجَتْ   حَمَّالَةُ الحَطَبِ الَّتِي ارْتَدَتْ حَرَدَا
وَ قَدْ أَتَتْ وَ رَسُولُ اللهِ يَنْظُرُهَا   وَ الفِهْرُ فِي يَدِهَا وَ لَمْ تَرَى الرَّشَدَا
قَالَتْ بِمَحْضَرِهِ وَ عَيْنُهَا انْطَمَسَتْ   عَنْ شَخْصِهِ أَيْنَ مَنْ مِنْهُ الهِجَا وَرَدَا
فَيَا أَبَا بَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ صَاحِبُكَ الَّذِي هَجَانَا وَ نَحْنُ قَدْرُنَا صَعِدَا
وَ لَمْ تَزَلْ فِي انْزِعَاجِهَا وَ قَدْ رَجَعَتْ   مِنْ حَيْثُ جَاءَتْ وَ لَمْ تَظْفَرْ بِهِ أَبَدَا
وَ كَانَ يَحْمِلُ مِنْهَا سُوءَ مَا فَعَلَتْ   بِهِ وَ عَنْهَا يَغُضُّ الطَّرْفَ قد بعدَا

وَ هْيَ الَّتِي تَضَعُ العِضَاةَ فِي الطُّرُقِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا مِمَّا بِهَا وجَدَا
فَكَانَ يَمْشِي عَلَيْهَا كَالكَثِيبِ وَ لَمْ   يَزَلْ يُلاَطِفُهَا وَ لَمْ تَنَلْ مَدَدَا
فَسُمِّيَتْ فِي المَلاَ حَمَّالَةَ الحَطَبِ الَّذِي عَلَيْهَا سَيُلْقَى فِي حَضِيضِ رَدَى
بِمَا لَهَا مِنْ شَدِيدِ بُغْضِهَا مَعَ زَوْ   جِهَا سَيَصْلَى لَهِيباً فِيهِمَا اتَّقَدَا
وَ كَمْ تَوَاعَدَ قَوْمٌ شَرَّ مَوْعِدَةً   لِيَمْكُرُوا بِالنَّبِيِّ إِنْ هُوَ انفَرَدَا
وَ رَاقَبُوهُ مِرَاراً وَ هْوَ مُنْفَرِدٌ   وَ مَا عَلَيْهِ اعْتَدَى مَن اهْتَدَى أَبَدَا
وَ رُبَّمَا المُعْتَدِي قَدْ صَارَ مُهْتَدِياً   بِمَا يُرَى مِنْهُ حَيْثُ قَامَ أَوْ قَعَدَا
وَ اللهُ أَنْزَلَ آيَاتٍ عَلَيْهِ بِهَا   قَد اطْمَأَنَّتْ صُدُورُ مَنْ حَوَوا رَشَدَا
وَ عِنْدَمَا نَزَلَتْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ   لَمْ يَخْشَ خَيْرُ الوَرَى مِنْ بَعْدِهَا أَحَدَا
وَ قَالَ مَنْ شَاءَ فَلْيَخْذُلْ فَإِنَّ وَلِيِّ اللهَ مِنْ بَعْدِمَا اسْتَلْقَى وَ فِيهِ هُدَى
وَ مَنْ يَكُنْ فِي الوَرَى اللهُ الوَلِيُّ لَهُ   كَفَاهُ كُلَّ مُهِمٍّ قَامَ أَوْ رَقَدَا
عَلَى رُؤُوسِ قُرَيْشٍ ذَرَّ مِنْ يَدِهِ   تُرْباً وَ كَانُوا عَلَيْهِ جَمْعُهُمْ حشَدَا
وَ بَيَّتُوهُ فَلَمْ يَعْبَثْ بِجَمْعِهِمُ   وَ جَاءَهُمْ وَ هْوَ فِي اطْمِئْنَانِهِ اتَّأَدَا
ثُمَّ انْثَنَى رَاجِعاً لِبَيْتِهِ عَلَناً   وَ لَمْ يَرَوْهُ وَ عَادُوا بِالعِدَا بُعَدَا
وَ قَدْ هَدَى اللهُ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْ   أَرَادَ خَيْراً بِهِ فَأَحْرَزُوا الرَّشَدَا
فَسَلْ سُرَاقَةَ لَمَّا قَدْ قَفَا أَثَرَ المُخْتَارِ مَا ذَا رَأَى وَ هُوَ قَدْ شَرَدَا
قَفَاهُ يَعْدُوا عَلَيْهِ حِينَ هِجْرَتِهِ   عَسَاهُ يَحْظَى بِمَا مِنَ العِدَا وُعِدَا
وَ سَارَ حَتَّى دَنَا مِنْهُ بِمِضْمَرَةٍ   فَخَرَّ عَنْهَا وَ كَانَ مُضْمِراً حَرَدَا
سَاخَتْ قَوَائِمُهَا فِي الأَرْضِ وَ هْوَ بِهَا   رَأَى البَلاَءَ الَّذِي يَحُفُّهُ بِرَدَى
وَ لَمْ يُفِدْهُ سِوَى أَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ   مُسْتَقْسِماً مُسْتَعِيناً بِالَّذِي عبَدَا
فَعِنْدَ ذَلِكَ قَامَ مِنْ تَخَبُّطِهِ   لَكِنَّهُ بَعْدَ ذَاكَ بِالهَوَى عَنَدَا
وَ المُصْطَفَى مَعْ أَبِي بَكْرٍ غَدَا وَ أَبُو   بَكْرٍ رَآهُ قَرِيباً مِنْهُ حَيْثُ عَدَا
فَخَافَ أَنْ يَصِلَ النَّبِيَّ مِنْهُ أَذَى   وَ مَا لَهُ التَفَتَ النَّبِيُّ حَيْثُ غَدَا
وَ قَالَ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ خَالِقِي مَعَنَا   فَسَاخَ ثَانِيَةً يَسْتَمْنِحُ المَدَدَا
نَادَاهُ فِي الحِينِ وَا مُحَمَّدَاهُ أَنَا   أَرْجُوكَ فَلْتَعْفُ إِنِّي لَمْ أَعُدْ أَبَدَا
وَ عِنْدَ ذَاكَ عَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ وَ قَدْ   أَعْطَاهُ فَضْلاً أَمَاناً بَيْنَ مَنْ سَعِدَا

فَعَادَ لِلْقَوْمِ يَعْدُو قَائِلاً لَهُمُ   كُفِيتُمُوا فَارْجِعُوا فَلَنْ تَرَوْا أَحَدَا
وَ قَدْ تَحَقَّقَ أَنَّ الْمُصْطَفَى سَيُرَى   لَهُ عَلَيْهِمْ ظُهُورٌ طَاوَلَ الأَبَدَا
وَ جَاءَ رَاعٍ رَأَى النَّبِي وَ صَاحِبَهُ   إِلَى قُرَيْشٍ بِأَنْبَاءٍ بِمَا شَهِدَا
وَ عِنْدَمَا حَلَّ جَمْعَهُمْ لِيُخْبِرَهُمْ   دَهَاهُ عَنْهُ ذُهُولَ عَمَّهِ كَمَدَا
وَ سَارَ بَيْنَهُمُ حَيْرَانَ ثُمَّ أَتَى   مَحَلَّهُ فَتَذَكَّرَ الَّذِي افْتَقَدَا
وَ مَا اسْتَفَادَ سِوَى مَشَقَّةٍ عَظُمَتْ   عَلَيْهِ مِن قُرَبَاءٍ قَدْ غَدَوا بُعَدَا
وَ جَاءَ يَوْماً أَبُو جَهْلٍ لِيَطْرَحَ فَوْ   قَ ظَهْرِ خَيْرِ الوَرَى شَرّاً إِذَا سَجَدَا
أَتَى إِلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَ حِينَ دَنَا   مِنْهُ بِهَا لَزِقَتْ يَدَاهُ فِي الشُّهَدَا
فَعَادَ بِالقَهْقَرَى وَ قَامَ يَسْأَلُهُ الدُّعَاءَ فِي كَشْفِ مَا دَهَاهُ مُبْتَعِدَا
وَ سَاعَدَ المُصْطَفَى عَدُوَّهُ بِدُعَا   لَدَيْهِ فَانْطَلَقَتْ يَدَاهُ وَ التَحَدَا
يَا وَيْحَهُ إِذْ غَدَا فِي الجَهْلِ مُلْتَحِدَا   وَ إِنَّ جَهْلَ أَبِي جَهْلٍ أَشَرُّ رَدَى
وَ جَاءَهُ مَرَّةً قَصْداً لِيَدْمُغَهُ   وَ كَانَ فِيهِ مَوَاعِداً لِشَرٍّ عِدَا
فَعَادَ حِيناً وَ قَالَ وَ هْوَ فِي فَزَعٍ   قَدْ هَمَّ بِي عِنْدَهُ فَحْلٌ عَلَيَّ عَدَا
وَ كَادَ يَأْكُلُهُ لَوْ لَمْ يَفِرَّ وَ قَدْ   غَدَا عَلَى خَطَرٍ بِمَا بِهِ وَعَدَا
وَ قَالَ خَيْرُ الوَرَى جِبْرِيلُ خَوَّفَهُ   وَ لَوْ دَنَا مِن وَرَائِي مَدَّ فِيهِ يَدَا
وَ جَاءَهُ مَرَّةً أُخْرَى لِيُؤْذِيَهُ   وَ قَدْ غَدَا فِي مُصَلاَّهُ كَمَا عَهِدَا
فَشَاهَدَ النُّورَ بَلْ نَاراً تُمَدُّ لَهُ   لَهِيبُهَا فَغَدَا بِالخَوْفِ مُرْتَعِدَا
وَ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ وَجْبَةً وَ لَوْ أَنِّي لَمْ أَفِرَّ حَلَلْتُ فِي رَدَى وَرَدَا
وَ قَالَ خَيْرُ الوَرَى تِلْكَ المَلاَئِكُ لَوْ   مِنِّي دَنَا صَيَّرَتْ مَجْمُوعَهُ قِدَدَا
وَ جَاءَهُ مِنْ بَنِي المُغِيرَةِ الرَّجُلُ الَّذِي غَدَا وَ هْوَ فِي الأَغْلاَلِ قَدْ صفدَا
أَتَى لِيَقْتُلَهُ فَعَادَ فِي عَمَهِ العَمَى فَلَمْ يَرَهُ وَ لَمْ يَرَى أَحَدَا
وَ قَدْ وَعَى قَوْلَهُ وَ مَا رَآهُ وَ عَادَ لِلْقَوْمِ وَ هْوَ فِي عَمَاهُ غَدَا
نَادُوهُ حِينَ رَأَوْهُ لَيْسَ يُبْصِرُهُمْ   فَجَاءَهُمْ وَ هْوَ فِي الهَوَى يَمُدُّ يَدَا
فَكَانَ بَيْنَ النَّبِي وَ بَيْنَ كُلِّ بَغِي   بِغَيْضِ أَحْبَابِهِ سَدٌّ لِغَيْرِ مَدَى
أَتَى النَّبِيُّ إِلَى بَنِي قُرَيْظَتِهِمْ   يَوْماً وَ تَحْتَ جِدَارٍ عِنْدَهُمْ قَعَدَا
وَ قَدْ رَآهُ هُنَاكَ بَعْضُهُمْ وَ لَهُ   بُغْضٌ لَدَيْهِ بِهِ لِضُرِّهِ عَمَدَا
أَرَادَ يُلْقِي عَلَيْهِ مِنْ عُلاَهُ رَحَا   وَ حِينَهُ انْصَرَفَ النَّبِيُّ مُتَّئِدَا

وَ أَعْلَمَ الصَّحْبَ بِالَّذِي أَرَادَ بِهِ   عَدُوُّهُ وَ العَدُوُّ لِلرَّدَى وَرَدَا
و اللهُ قَدْ حَفِظَ النَّبِيَّ مِنْهُ وَ مِنْ   كُلِّ العُدَاةِ وَ كُلِّ مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
وَ كَيْفَ يَخْشَى رَسُولُ اللهِ مِنْ أَحَدٍ   وَ اللهُ حَافِظُهُ مِمَّا خَفَا وَ بَدَا
وَ قَاهُ شَرَّ حُيَيٍّ مَعْ عَشِيرَتِهِ   مُذْ جَاءَ مَعْ صَاحِبَيْهِ يَجْمَعُ القَوَدَا
قَالُوا أَبَا القَاسِمِ اجْلِسْ هَا هُنَا فَنَفِي   بِمَا تُرِيدُونَ مِنَّا مِنْ جَزِيلِ جَدَا
وَ قَدْ تَوَامَرَ مَعَهُمْ حُيَيٌّ عَلَى   قَتْلِ النَّبِيِّ وَ هُمْ مِنْ جُمْلَةِ البُعَدَا
فَكَانَ بَيْنَهُمُ مَعْ صَاحِبَيْهِ عَلَى   صَفَا وَ هُمْ عَقَدُوا فِي قَتْلِهِ عُقَدَا
فَجَاءَ جِبْرِيلُ مُلْقِياً إِلَيْهِ بِمَا   كَادُوا يَكُونُوا عَلَيْهِ فِي الوَرَى لِبَدَا
فَقَامَ مِنْ بَيْنِهِمْ يُرِيدُ حَاجَتَهُ   حَتَّى نَجَا مِنْهُمُ وَ صَارَ مُنْفَرِدَا
فَخَابَ ظَنُّهُمُ وَ ضَلَّ سَعْيُهُمُ   وَ قَلْبُهُمْ بِالَّذِي لَهُ نَوَوْا فَسَدَا
وَ جَاءَ شَيْبَةُ بَعْدَ قَتْلِ وَالِدِهِ   لِيَأْخُذَ الثَّأْرَ وَ هْوَ سَيْفُهُ انْجَرَدَا
وَ قَامَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ مُخْتَفِياً   وَ رَامَ يَغْتَالُهُ اغْتِيَالَ شَرٍّ عِدَا
حَتَّى دَنَا مِنْهُ طِبْقَ عَزْمِهِ فَرَأَى   شُوَاظُ نَارٍ عَلَا عَلَيْهِ مُتَّقِدَا
فَعَادَ بِالقَهْقَرَى مِنْ أن يَحِيقَ بِهِ   و يشوِيَ الوَجْهَ مِنْهُ مَا لَدَيْهِ بَدَا
وَ قَدْ أَحَسَّ بِهِ النَّبِيُّ حِينَ نَأَى   عَنْهُ وَ عَادَ عَنِ الفِعْلِ الَّذِي قَصَدَا
فقال خير الورى له ادن أنت و لا   تعد وفي الصدر منه قد أجال يدا
وَ ذَاكَ يَوْمَ حُنَيْنٍ عِنْدَ مَا اشْتَعَلَتْ   لَظَى الوَطِيسِ لَدَى قَوْمٍ بِهَا شُهِدَا
وَ قَالَ شَيْبَةُ إِنِّي كُنْتُ أُبْغِضُهُ   فَزَالَ بُغْضِي وَ فِيهِ صِرْتُ مُعْتَقِدَا
وَ صِرْتُ أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ الَّذِي بِيَدِي   أَمَامَهُ وَ أَنَا لَا أَخْتَشِي أَحَدَا
وَ لَوْ لَقِيتُ أَبِي لَكُنْتُ أَضْرِبُهُ   هُنَاكَ دُونَ النَّبِيِّ فِي طَرِيقِ هُدَى
فَإِنَّهُ خَيْرُ هَادٍ لِلرَّشَادِ وَ مَنْ   بِهِ اهْتَدَى فَهْوَ بَيْنَ النَّاسِ قَدْ رَشَدَا
وَ عَنْ فُضَالَةَ قَالَ كُنْتُ جِئْتُ إِلَى   خَيْرِ الوَرَى وَ هْوَ لِلطَّوَافِ قَدْ عَمَدَا
وَ قَدْ عَزَمْتُ عَلَى قَتْلِي لَهُ سَفَهاً   وَ ذَاكَ قَدْ كَانَ عَامَ فَتْحِهِ البَلَدَا
وَ عِنْدَ مَا قَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ فَاجَأَنِي   بِاسْمِي وَ مَا فِيهِ مِنْ نَفْسِي قَد انْتَقَدَا
وَ قَالَ مَا ذَا بِهِ حَدَّثَتْ نَفْسَكَ يَا فُضَالَةُ قُلْتُ مَا حَدَّثْتُهَا حَرَدَا
فَعِنْدَ ذَاكَ دَعَى لِي دَعْوَةً صَلُحَتْ   نَفْسِي بِهَا وَ بِهَا صَلَاحُ مَا فَسَدَا

وَ صَارَ فِي الحِينِ عِنْدِي فِي الخَلاَئِقِ لاَ   أَحَبَّ مِنْه يُرَى فِي الكَوْنِ قَدْ وُجِدَا
وَ قَدْ أَتَى أَرْبَد وَ ابْنُ الطُّفَيْلِ إِلَى   خَيْرِ الوَرَى وَ هُمَا عَلَيْهِ قَدْ حَقَدَا
وَ قَالَ ثَانِيهِمَا إِنِّي سَأُشْغِلُهُ   يَا أَرْبَدُ" عَنْكَ فَلْتَضْرِبْهُ مُنْفَرِدَا
وَ دَبَّرَا شَرَّ مَا يَلْقَاهُ بَيْنَهُمَا   وَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَ قَاهُ مَا قَصَدَا
جَاءَا إِلَيْهِ وَ مَا نَالاَ مُرَادَهُمَا   دُنْيَا وَ أُخْرَى وَ كَانَا لِلْعِدَا سَنَدَا
وَ طَوَّلَ ابْنُ الطُّفَيْلِ قَوْلَهُ مَعَهُ   وَ مَا رَأَى أَرْبَداً وَفَّى بِمَا وَعَدَا
ثُمَّ انْثَنَى ابْنُ الطُّفَيْلِ رَاجِعاً أَسِفاً   إِذْ لَمْ يَكُنْ أَرْبدا عَلَى النَّبِيِّ عَدَا
وَ لاَمَهُ بَعْدَ ذَاكَ عَنْ تَأَخُّرِهِ   عَنْ ضَرْبِهِ وَ هْوَ مَا رَأى الَّذِي شَهِدَا
فَقَالَ يَابْنَ الطُّفَيْلِ كَيْفَ أَضْرِبُهُ   وَ أَنْتَ مَعْهُ أَرَاكَ صِرْتَ مُتَّحِدَا
فَإِنَّنِي إِنْ رَمِيتُ لَمْ تُصِبْهُ يَدِي   وَ إِنْ ضَرَبْتُ ضَرَبْتُ رَأْسَكَ الأَوِدَا
فَلاَ تَلُمْنِي عَلَى مَا أَنْتَ قُمْتَ بِهِ   قِيَامَ مُنْخَذِلٍ لَمْ يُحْرِزِ الرَّشَدَا
عِنَايَةُ اللهِ بِالنَّبِيِّ قَدْ كَمُلَتْ   حَتَّى أَفَادَ الوَرَى بِمَا بِهِ وَرَدَا
كَمْ مِن يَهُودِي وَ كَمْ مِنْ كَاهِنٍ بِهَوَى سَعَى بِهِ لِقُرَيْشٍ و انْثَنَى حرِدَا
وَ قَامَ يُنْذِرُهُمْ بِوَصْفِهِ لَهُمُ   لِيَقْتُلُوهُ وَ عَنْهُ المُعْتَدِي طُرِدَا
وَ المُصْطَفَى لَمْ يَزَلْ بِالحِفْظِ مُشْتَمِلاً   حَتَّى أَفَادَ الوَرَى بِمَا بِهِ وَفَدَا
و اللهُ سُبْحَانَهُ بِالرُّعْبِ أَيَّدَهُ   فِيهِمْ مَسِيرَةَ شَهْرٍ بَعْدَ مَا وَرَدَا
عَلَيْهِ مِنْهُ لَهُ أَزْكَى تَحِيَّتِهِ   مَعْ آلِهِ وَ الَّذِي بِهِ اهْتَدَى وَ هَدَى

فصل

مِنْ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ كَوْنُهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ سِرٍّ قَدْ خَفَا وَ بَدَا
وَ خَصَّهُ بِمَعَارِف عَلَتْ وَ مَعَانٍ قَدْ عَلَتْ وَ مَعَالٍ قَدْرُهَا صَعِدَا
وَ كَمْ عُلُومٍ بِلاَ تَعَلُّمٍ جمعتْ   بِهِ وَ قَدْ بَهَرَتْ عُقُولَ مَنْ وجدَا
مَصَالِحُ الدِّينِ وَ الدُّنْيَا عَلَى يَدِهِ   جَرَتْ لِكُلِّ الوَرَى إِذْ عَمَّهُمْ مَدَدَا
مَنْ مِثْلُهُ عَرَفَ الأَشْيَا وَ أَنْزَلَهَا   مَحَلَّهَا وَ أَبَانَ الحَقَّ وَ الرَّشَدَا

مَنْ مِثْلُهُ سَاسَ أُمَّةً بِهِ ابْتَهَجَتْ   وَ قَدْ عَلاَ شَأْوُهَا بِهِ لِغَيْرِ مَدَى
أَبَانَ عَنْ قصصِ الأُلَى مَضوا زَمَناً   مِنْ أَنْبِيَاءٍ وَ غَيْرِهِمْ لِغَيْرِ مَدَا
أَبْدَى شَرَائِعَهُمْ وَ مَا حَوَتْهُ وَ مَا انْتبنَتْ عَلَيْهِ مِنَ النُّورِ الَّذِي شَهِدَا
وَ زَادَ إِعْلاَمُهُمْ بِعِلْمِهِ عَجَباً   مِنْهُ بِإِعْلاَمِهِمْ بِمَا بِهِ انْفَرَدَا
أَبَانَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ كُتْبُهُمُ   وَ كُلَّ مَا كَتَمُوهُ مِنْ هُدَى وجَدَا
أَحْصَى جَمِيعَ أُمُورِهِمْ بِمَعْرِفَةٍ   تَسْتَغْرِقُ الجَمْعَ مِنْ إِحْصَائِهِ العَدَدَا
مِنْ كُلِّ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اتَّفَقُوا   عَلَيْهِ سِرّاً وَ جَهْراً عِنْدَهُ اتَّحَدَا
مَا شِئْتَ مِنْ حِكَمٍ وَ مِنْ مُحَاكَمَةٍ   لَدَيْهِ تُرْغِمُ أَنْفَ مَنْ لَهُ جَحَدَا
وَ كَمْ بِبَاهِرِ بُرْهَانٍ سَبَى عقلاً   غَدُوا لَهُ بِكَمَالِ عِلْمِهِ شُهَدَا
أَبَانَ مَا غَيَّرُوهُ بَيْنَ مَنْ غَبَرُوا   وَ عَنْهُ عَبَّرَ بِالحَقِّ المُبِينِ هُدَى
وَ قَدْ عَنَتْ لِعُلاَهُ العُرْبُ قَاطِبَةً   وَ هُمْ هُمُ ذُوُ الأنُوفِ الشُّمِّ وَ العُمَدَا
عَلَى لُغَاتِهِمُ احْتَوَى وَفَاقَهُمُ   نُطْقاً بِمَا لَمْ نَطِقْ إِحْصَاءَهُ أَبَدَا
أَحَاطَ عِلْماً بِمَا دَرَوْا وَ مَا جَهِلُوا   مِن كُلِّ شَيْءٍ بِهِ قَدْ أَذْهَبَ النَّكَدَا
وَ فِي عِبَارَتِهِ جَوَامِعُ الكَلِمِ الَّتِي بِهَا فِي الوُجُودِ نَوَّرَ الخَلَدَا
أَمَّا شَرِيعَتُهُ فَلاَ نَظِيرَ لَهَا   لِجَمْعِهَا كُلَّ فَضْلٍ عُدَّ معتمدَا
فَكَمْ مَحَاسِنَ أَخْلاَقٍ بِهِ كَمُلَتْ   وَ كَمْ مَحَامِدَ آدَابٍ بِهَا انْفَرَدَا
وَ لَيْسَ ينكرُ ذُو عَقْلٍ سِيَادَتَهُ   إِلاَّ إِذَا كَانَ مَخْذُولاً لَهُ عَنَدَا
بَلْ كُلُّ مَنْ بَلَغَتْهُ مِنْهُ دَعْوَتُهُ   بِالحَقِّ صَوَّبَهَا وَ مَا لَهَا انْتَقَدَا
وَ صَانَ أَنْفُسَهُمْ بِمَا أَبَانَ لَهُمْ   مِنَ النَّفَائِسِ بَيْنَ سَائِرِ السُّعَدَا
فِي كُلِّ فَنٍّ أَقَامَ أَهْلُهُ حُجَجاً   مِنْ قَوْلِهِ وَ بِهَا اسْتَفَادَ مَنْ رَشَدَا
كَقَوْلِهِ لَهُمُ الرُّؤْيَا لِأَوَّلِ عَابِرٍ وَ هَذَا لَدَى المعبرِ اعْتُمِدَا
وَ إِنَّهَا لَعَلَى ثَلاَثَةٍ قُسِمَتْ   حَدِيثُ نَفْسٍ وَ حَقٍّ لِلَّذِي اعْتَقَدَا
وَ بَاطِلٍ جَاء بِالتَّحْزِينِ ثَالِثَهَا   فَمَنْ تَعَوَّذَ مِنْهُ لَمْ يَخَفْ نَكَدَا
وَ لَمْ تَكَدْ فِي تَقَارُبِ الزَّمَانِ مَرَائِي مُومِنٍ تُخْطِىءُ الأَمْرَ الَّذِي قَصَدَا
بَلْ إِنَّهَا لَمْ تَزَلْ لَدَيْهِ صَادِقَةً   وَ يَخْرُجُ الأَمْرُ فِيهَا طِبْقَ مَا شَهِدَا
وَ قَوْلُهُ كُلُّ دَاءٍ أَصْلُهُ البَرَدَهْ   وَ كُلُّ عرْقٍ لِحَوْضِ الجِسْمِ قَدْ وَرَدَا

وَ المعدةُ الحَوْضُ بَيْتُ الدَّا وَحِمْيَتُهَا   رَأْسُ الدَّوَا فَاحْتَفِظْ عَلَى الشِّفَا بِغِدَا
وَ قَدْ تُكُلِّمَ فِي هَذَا الحَدِيثِ وَ لَمْ   يَصِحَّ عِنْدَ الَّذِي لِأَصْلِهِ انْتَقَدَا
وَ قَوْلُهُ فِي السَّعُوطِ وَ اللَّدُودِ وَ مَا   ضَاهَاهُمَا إِنَّهُ عِلَاجُ مُعْضِلِ دَا
وَفِي الحِجَامَةِ وَالمَشْيِ الدَّوَاءُ يُرَى   وَ الكُلُّ خَيْرُ دَوَاءٍ أَمْرُهُ حُمِدَا
وَخَيْرُ يَوْمٍ يُعَدُّ لِلحِجَامَةِ يَوْمَ السَّبْعِ وَ التِّسْعِ بَعْدَ العَشْرِ قَدْ وَرَدَا
كَذَاكَ عِشْرُونَ مَعْهَا وَاحِدٌ فَإِذَا   أَرَدْتَهَا فَلْهَا ارْصُدْ ذَلِكَ العَدَدَا
وَ قَالَ فِي عُودِ هِنْدٍ سَبْعُ أَشْفِيَةٍ   وَ شَرُّ مَا مَلَأَ ابْنَ آدَمَ المَعِدَا
وَ قَدْ أَجَابَ رَسُولُ اللهِ عَنْ سَبَاءٍ   بِأَنَّهُ رَجُلٌ لِسَبْعَةٍ وُلِدَا
مِنْهُمْ تَيَامَنَ سِتَّةٌ وَ أَرْبَعَةٌ   تَشَاءَمُوا وَ الحَدِيثُ طُولُهُ وَرَدَا
وَ قَالَ للجهني اقْعُدْ حِينَ قَامَ فَمَا   أَنْتَ امْرُؤٌ مِنْ مَعَدٍّ إِنْ أَرَدْتَ هُدَى
فَقَالَ مَنْ نَحْنُ قَالَ مِنْ قُضَاعَةَ أَنْتُمُ وَ هَذَا مِنَ الحَزْمِ الَّذِي اعْتُمِدَا
وَ قَدْ أَبَانَ لَهُمْ عَمًّا أَزَالَ بِهِ   عَمَاهُمُ وَ بِهِ قَدْ عَمَّهُمْ مَدَدَا
وَ نَوَّهَ المُصْطَفَى بِمَنْصِبِ العَرَبِ الَّذِينَ نَالُوا بِهِ مَجْداً بِهِمْ صَعِدَا
فَقَالَ حِمْيَرُ رَأْسُ العَرْبِ قَاطِبَةً   وَ نَابُهَا وَ هُمُ فِي جَمْعِهَا العُمَدَا
وَمُذْحِجٌ لَمْ تَزَلْ للعَرْبِ هَامَتَهَا   وَ رَأْسَ حُلْقُومِهَا فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ الأَزْدُ كَاهِلُهَا حَقّاً وَ جُمْجُمَةٌ   لَهَا وَ هَمْدَانُ غَارِبٌ لَهَا و جَدَا
وَ فِي تَفَنُّنِ هَذَا القَوْلِ مَنْقَبَةٌ   لَهُمْ وَ إِنْ ضَعَّفُوا حَدِيثَهُ سَنَدَا
وَ قَدْ أَبَانَ عَنِ اسْتِدَارَةِ الزَّمَنِ المَاضِي إِلَى وَقْتِهِ الَّذِي بِهِ شُهِدَا
وَ قَالَ مَا بَيْنَ مَشْرِقٍ وَ مَغْرِبِهَا   تَحَقَّقَتْ قِبْلَةً لِمَنْ لَهَا قَصَدَا
وَ قَالَ فِي فَضْلِ مَا يُقَالُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ قَوْلاً بِهِ يُنَوِّرُ الخَلَدَا
فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ وَ كُلُّ حَمْدَلَةٍ   وَ كُلُّ تَكْبِيرَةٍ عَشْرٌ حَوَتْ مَدَدَا
وَ قَالَ جُمْلَتُهَا كَذَا مِنَ الحَسَنَا   تِ وَهْوَ مَجْمُوعُ مَنْ أَحْصَى لَهَا عَدَدَا
وَ مَرَّ يَوْماً بِمَوْضِعٍ وَ لَيْسَ بِهِ   لِلنَّاسِ قَدْ شِيدَ حَمَّامٌ وَ لَا عُهِدَا
فَقَالَ يَا نِعْمَ هَذَا فَهْوَ مَوْضِعُ حَمَّامٍ فَكَانَ عَلَى وفقِ الَّذِي شَهِدَا
وَ قَالَ إِنِّي أَنَا بِالخَيْلِ أَفْرَسُ مِنْكَ يَا عُيَيْنَةُ أَوْ فرَاسُ مُتَّئِدَا

وَ قَالَ وَضعك فَوْقَ أُذْنِكَ الْقَلَمُ الْمَرْشُوقُ أَذْكَرُ لِلْمُمِلِّ إِنْ جَهَدَا
مَعْ أَنَّ خَيْرَ الْوَرَى مَا كَانَ يَكْتُبُ لاَ   وَ لاَ تَعَلَّمَ قَطُّ رَسْمَهَا أَبَدَا
مَا كَانَ يَكْتُبُ مِنْ شَيْءٍ وَ لاَ كَتَبَتْ   يَدَاهُ حَرْفاً وَ كَانَ الْعَالِمَ الْفَرِدَا
وَ الْمُصْطَفَى لَمْ يَمُتْ حَتَّى تَحَقَّقَ أَنَّهُ لَهُ عِلْمُ كُلِّ مَا خَفَا وَ بَدَا
وَ كَيْفَ يَجْهَلُ رَسْمَ الْخَطِّ وَ هُوَ نَبِي   لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُبْ كَمَا وَرَدَا
قَدْ قَالَ يَوْماً لِكَاتِبٍ لَهُ الْقِ الدَّوَاةَ ثمت الق لِلدَّوَاءِ يَدَا
وَ حَرِّفِ الْقَلَمَ الَّذِي تَخُطُّ بِهِ   حُرُوفَ بَسْمَلَةٍ إِنْ تَبْتَغِ الرَّشَدَا
وَ الْبَاءَ مِنْهَا أَقِمْ بِالْخَطِّ قَامَتَهَا   وَ فَرِّقِ السِينَ وَ افْتَحْ مِيمَهَا تَسُدَا
وَ حَسِّنِ اللهَ وَ الرَّحْمَانَ مُدَّ بِهِ   مَمْدُودَ حَرْفٍ بِهِ فَتُحْرِزَ الْمَدَدَا
وَ جَوِّدِ اسْمَ الرَّحِيمِ فِي كِتَابَتِهِ   فَفِي كِتَابَتِهَا شِفَاءُ أَعْظَمِ دَا
وَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِكَاتِبِهِ   قَدْ قَالَ لاَ تُمْدِدِ السِّينَ الَّذِي اتحَدَا
مَعْنَاهُ لاَ تَجْعَلَنْهُ مدةً وَ أَبِنْ   أَسْنَانَهُ فَهْوَ حَرْفٌ سِرُّهُ شُهِدَا
فَقَوِّمِ الْخَطَّ مِنْكَ إِنْ كَتَبْتَ فَمَنْ   يُقَوِّمُ الْخَطَّ قَدْ يَحْظَى بِنَيْلِ جِدَا
وَ عِلْمُهُ بِلُغَاتِ الْعَرْبِ كُلِّهِمُ   أَمْرٌ شَهِيرٌ بِهِ فِي الْعَرْبِ قَدْ عُهِدَا
وَ حِفْظُهُ لِلُغَاتِ الْعَجْمِ دُونَ دِرَا   سَةٍ لَهَا وَ دُرَاهَا أَذْهَبَ النَّكَدَا
كَقَوْلِهِ الْهَرْجُ فَهْوَ الْقَتْلُ بِالْحَبَشِي   وَ قَالَ لِلْفَارِسِي يَوْماً شِكَمْ دَرَدَا
يَعْنِي بِذَلِكَ هَلْ بِبَطْنِكُمْ وَجَعٌ   أَبَا هُرَيْرَة وَ هْوَ عَنْهُ قَدْ وَرَدَا
فَقَالَ يَاسَتَدِي نَعَمْ فَقَالَ لَهُ   قُمْ صَلِّ إِنَّ الشِّفَاءَ فِي الصَّلاَةِ غَدَا
وَ مِثْلَ هَذَا أُمُورٌ لَيْسَ يَعْلَمُهَا   إِلاَّ الَّذِي كَانَ فِي تَحْصِيلِهَا اجْتَهَدَا
وَ الْمُصْطَفَى لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُمَارِسُهَا   وَ لاَ يُمَارِيكَ فِي هَذَا امْرُؤٌ أَبَدَا
مَا خَالَطَ الْحُكَمَاءَ لاَ وَ لاَ الْعُلَمَا   وَ لاَ الأَطِبَّا وَ قَدْ أَضْحَى لَهُمْ سَنَدَا
وَ هْوَ النَّبِي الْعَرَبِي الأُمِّي وَ مَا أَحَدٌ   مِنْهُمْ لَهُ كَانَ فِي التَّعْلِيمِ مُسْتَنِدَا
مَا كَانَ يَتْلُو كِتَاباً قَبْلَ بِعْثَتِهِ   وَ لَمْ يَكُنْ قَوْمُهُ مِنْ جُمْلَةِ الْبُلَدَا
وَ هُمْ هُمُ الْعَرَبُ الَّذِينَ مِثْلُهُمُ   لَمْ يَنْخَدِعْ فِي أُمُورِهِ الَّتِي شَهِدَا
وَ مَا أَتَاهُمْ بِهِ لَمْ يَأْلَفُوهُ وَ مَا   دَرَوهُ إِلاَّ بِهِ لَمَّا بِهِ وَفَدَا
مِنْ بَعْدِمَا جَاءَهُمْ وَ عَنْهُ مَا بَعُدُوا   وَ عَنْهُمُ أَمْرُهُ لَمْ يَخْفَ فِي الْبُعَدَا

وَ لاَ سَبِيلَ لِجُحْدِ المُلْحِدِينَ لِمَا   أَتَى بِهِ وَ هُمُ لَهُ مِنَ الشُّهَدَا
وَ لَوْ تَسَنَّى لَهُمْ بِبَذْلِ جَهْدِهِمُ   فِي دَفْعِ مَا صَحَّ عَنْهُ طَوْحُوا البَلَدَا
وَ كَمْ تَمَنَّى جَحُودٌ أَنْ يُصَادِفَهُ   فِي النَّاسِ مُنْتَحِلاً شَيْئاً لِيَنْتَقِدَا
لَوْ أَنَّهُمْ وَ قَفُوا عَلَى مُرَادِهِمُ   لَشَنَّعُوا وَ أَشَاعُوا السُّوءَ و الفَنَدَا
وَ مَا انْتَهُوا عَنْهُ فِي إِبْطَالِ حُجَّتِهِ   حَتَّى انْتَهَى مَكْرُهُمْ وَ هُمْ هُمُ العُنُدَا
وَ قَالَ قَائِلُهُمْ فِي ذَمِّ جَانِبِهِ   هَذِي أَسَاطِيرُ مَنْ مَضَوا لَنَا نَقَدَا
فَزَيَّفُوهَا وَ قَدْ عَلَتْ لَهَا قِيَمٌ   وَ هُمْ بِخَلْوَتِهِمْ بِفَضْلِهَا شُهَدَا
وَ اللهُ أَرْغَمَهُمْ بِالرَّدِ عَنْهُ لِمَا   تَقَوَّلُوهُ وَ إِنْ هُمْ أَكْثَرُوا اللَّدَدَا
قَالُوا يُعَلِّمُهُ فِي خُفْيَةٍ بَشَرٌ   فَرَدَ شَرَّهُمُ عَلَى الَّذِي جَحَدَا
وَرَدُّهُمْ عَنْهُ أَرْدَاهُمْ لِأَنَّهُمُ   رَأَوْا مِنَ المُصْطَفَى مَا زَادَهُمْ حَسَدَا
لِسَانُهُ عَرَبِي وَ الأَعْجَمِي عَلَى   تَعْلِيمِهِ عَاجِزٌ يَا مَنْ لَهُ التحدَا
وَ مَا لَهُ نَسَبُوا فَمِنْ مُكَابَرَةٍ   مِنْهُمْ بَدَتْ لِلْعِيَانِ بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
إِنْ كَانَ سَلْمَانُ فَهْوَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ   أَتَى وَ أَسْلَمَ وَ هْوَ قَبْلَهُ وَرَدَا
فَكَمْ وَ كَمْ قَبْلَهُ مِن آيَةٍ نَزَلَتْ   وَ كَمْ هَدَى قَبْلَهُ بِهِ العِبَادَ هُدَى
أَوْ كَانَ عِنْدَهُمُ الرُّومِيُّ فَهْوَ فَتَى   إِسْلاَمُهُ قَبْلَهَا لَكِنْ بِهِ سَعِدَا
أَتَى فَأَسْلَمَ قَبْلَ هِجْرَةٍ وَقَرَا   عَلَى النَّبِي وَ عَلَى هَذَا المَلاَ شُهَدَا
وَ قِيلَ كَانَ النَّبِي لَدَيْهِ يَجْلِسُ عِنْدَ مَرْوَةٍ و النَّبِي يُهْدِي لَهُ الرَّشَدَا
وَ معه لم يخل يوما دونهم وَ هُمُ   يَرَوْنَهُ كَيْفَ يَرْوِي عَنْهُ بَحْرَ هُدَى
وَ كُلُّهُمْ عَجَزُوا عَنْ فَهْمِ سُورَتِهِ   وَ لَمْ يُعَارِضْهُ مِنْهُمْ وَاحِدٌ أَبَدَا
وَ مَا عَلَى مِثْلِ مَا أَبْدَى لَهُمْ قَدَرُوا   فَكَيْفَ بِالأَعْجَمِي الَّذِي أَتَى البَلَدَا
وَ أَنَّ سَيِّدَهُ قَدْ كَانَ يَضْرِبُهُ   بِزَعْمِ تَعْلِيمِهِ النَّبِيَّ مُنْتَقِدَا
وَ كَانَ يَحْلِفُ بِاللهِ العَظِيمِ لَهُ   بِأَنَّ خَيْرَ الوَرَى مَا مِثْلُهُ وُجِدَا
وَ أَنَّ خَيْرَ الوَرَى هُوَ المُعَلِّمُهُ   يَهْدِيهِ لِلحَقِّ بَيْنَ قَوْمِهِ السُّعَدَا
فَأَيُّ مَعْنَى لِهَذَا العَبْدِ يَحْمِلُهُ   عَلَى تَبَرُّئِهِ بِمَا بِهِ ضُهِدَا
هَلاَ أَعَانَهُمُ بِفِرِيَةٍ وَ بِهَا   يُشَنِّعُونَ عَلَيْهِ الشَّرَّ أَيْنَ غَدَا
فَمَالَهُمْ عَانَدُوا وَ مَالَهُمْ وَقَفُوا   مَوَاقِفَ الخِزْيِ فِي القُرْبَى وَ فِي البُعَدَا

هَلَّا تَعَلَّمَ طِبْقَ زَعْمِهِمْ نَفَرٌ   مِنْهُمْ مِنَ البعْدِ مَا بِهِ النَّبِي و فَدَا
أَكَانَ يَمْنَعُهُمْ مِمَّا لَهُمْ طَلَبُوا   أَوْ كَانَ يَجْهَلُ مَا فِيهِ النَّبِي اجْتَهَدَا
مَا ضَرَّهُمْ لَوْ غدوا كالنَّضْرِ حَيْثُ أَتَى   بِتُرُهَاتٍ مِنَ الفُرْسِ الَّتِي قَصَدَا
وَ عَادَ مِنْهُمْ يَقُصُّ عَنْهُمُ قِصَصاً   بِهَا يُمَخْرِفُ وَ هْوَ لِلنَّبِي جحَدَا
يَقُولُ إِنِّي أَتَيْتُكُمْ بِأَحْسَنِ مِمَّا قَدْ أَتَاكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ حَسَدَا
وَ كُلُّهُمْ مَا رَأَوْا لِلنَّضْرِ مَنْقَبَةً   وَ لَا أَتَاهُمْ بِمَا يعدُّ مُعْتَمَدَا
وَ المُصْطَفَى لَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ لِمَعْرِفَةٍ   يَأْتِي بِهَا وَ هْوَ قَدْ عَمَّ الوَرَى مَدَدَا
وَ لَمْ يَغِبْ غَيْرَ سَفْرَتَيْنِ مَا بِهِمَا   إِمْكَانُ تَحْصِيلِ كُلِّ مَا بِهِ وَرَدَا
وَ هَبْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ غَابَ وَ قَدْ   تَعَلَّمَ العِلْمَ هَلْ مِثْلُهُ شُهِدَا
يَكْفِيكَ مُعْجِزَةَ القُرْآنِ فَهْوَ بِهَا   هُدَى وَ أَهْدَى بِهِ لِلْخَلْقِ خَيْرَ جَدَا
مَا زَالَ يَكْشِفُ أَسْرَاراً وَ يُظْهِرُ مِنْ   كُنُوزِ مَعْرِفَةٍ مَا لَمْ يَكُنْ نَفَدَا
مَا زَالَ يُبْدِي فُنُوناً تَبْهَرُ العُقَلَا   مَا زَالَ يَعْلُو مَقَامُهُ لِغَيْرِ مَدَا
مَا زَالَ فِي طَيِّهِ مَا لَيْسَ يُحْصَرُ مِنْ   أَسْنَى المَنَاقِبِ مِمَّا طَاوَلَ الأَبَدَا
فَكَيْفَ يُدْرِكُ مَنْ يَدْرِي الحَقَائِقَ مَا   حَوَى فَأَحْرَى جَحُودٌ فِي الهَوَى عَنَدَا
فَلَا وَرَبِّكَ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ   وَ مَنْ تَتَبَّعَهَا يُفْنِي بِهَا العَدَدَا
فَتَنْتَهِي رُتَبُ الأَعْدَادِ وَ هْيَ لَهُ   لَا تَنْتَهِي فَهْيَ زَادَتْ دَائِماً مَدَدَا
صَلَّى الإِلَهُ عَلَى مَنْ فِي الوُجُودِ بِهَا   وَافَى وَ بِالجُودِ عَمَّ العَالَمِينَ جَدَا
فَإِنَّهُ خَيْرُ مُرْسَلٍ لَهُ كَمُلَتْ   مَحَاسِنُ الخَلْقِ وَ الأَخْلَاقِ فِي السُّعَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَى الآلِ الَّذِينَ لَهُمْ   بَيْنَ الوَرَى مَنْصِبٌ فِي المَجْدِ قَدْ صَعَدَا
وَ صَحْبِهِ كلهمْ وَ مَنْ بِحَبْلِهِمُ   حِبَالُهُ اتَّصَلَتْ وَ فِيهِمُ اعْتَقَدَا

فصل

فَضْلُ النَّبِيِّ عَلَى كُلِّ العِبَادِ بَدَا   فَأَيُّ مَعْنَى يُرَى لِمَنْ لَهُ جَحَدَا
إِنَّ الجَحُودَ مُصَابٌ فِي سَعَادَتِهِ   دُنْيَا وَ أُخْرَى وَفِيهَا لِلرَّدَى وَرَدَا
وَ من لِخَيْرِ الوَرَى انْقَادُوا ارْتَقَى بِهِمُ   إِلَى العُلَا وَ غَدَوا مِنْ أَسْعَدِ السُّعَدَا

فَقَدْ حَوَى الآيَةَ الكُبْرَى الَّتِي بَهَرَتْ   كُلَّ الوَرَى وَ هُمْ بِهَا لَهُ شُهُدَا
وَ مِنْ خَصَائِصِهِ أَنْبَاؤُهُ مَعَ أَمْلَاكٍ وَ جِنٍّ وَ مَنْ مِنْهُمْ لَهُ قَصَدَا
وَ قَدْ رَآهُمْ كَثِيرٌ مِنْ صَحَابَتِهِ   لَدَيْهِ لَمَّا أَتَوْهُ يحرزُوا المَدَدَا
وَ اللهُ أَيَّدَهُ بِهِمْ وَ أَيَّدَهُمْ   بِهِ وَ مَدَّ لَهُمْ بِالمكْرُمَاتِ يَدَا
فَهُمْ بِهِ نَوَّهَ القُرْآنُ إِذْ ذُكِرُوا   فِي ضِمْنِ آيَاتِهِ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
فَانْظُرْ إِلَى الحَقِّ فِي انْتِصَارِهِ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ السَّادَةِ الشُّهَدَا
فَقَالَ إِنِّي مُمِدُّكُمْ وَ قَالَ فَثَبِّتُوا وَ قَالَ ظَهِيرٌ لِلَّذِي مجدَا
وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ بَعْدَهَا نَفَراً   مُخَاطِباً لِلرَّسُولِ قَدْ أَتَتْ بِهُدَى
وَ جَاءَ فِي الآيَةِ الكُبْرَى بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ شَاهَدَ جِبْرِيلَ الَّذِي حمدَا
رَآهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَرَاهُ بِهَا   فِي الخَلْقِ خَالِقُهُ فِي مَشْهَدٍ شهدَا
وَ قَدْ رَأَى مِثْلَ إِسْرَافِيلَ فِي عَلَنٍ   وَ هُمْ بِهِ شرفوا فِي مَنْصِبٍ صَعِدَا
وَ قَدْ رَآهُمْ عَلَى خِلَافِ صُورَتِهِمْ   وَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ رَأَوْا عَدَدَا
فَفِي الحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ يُعَلِّمُكُمْ   جِبْرِيلُ دِينَكُمْ رَأَوْهُ مُتَّئِدَا
وَ هُمْ رَأَوا رَجُلاً لَمْ يَعْرِفُوهُ إِلَى   أَنْ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بِهِ كَمَا وَرَدَا
وَ قَدْ رَآهُ ابْنُ عَبَّاسٍ بِصُورَةِ دِحْيَةَ الَّذِي حُسْنُهُ لِمَنْ رَآهُ بَدَا
كَذَا أُسَامَةُ فِيهَا قَدْ رَآهُ وَ سَعْدٌ قَدْ رَأَى رَجُلَيْنِ عِنْدَهُ قعدَا
عَنِ اليَمِينِ رَأَى جِبْرِيلَ ثُمَّ عَنِ اليَسَارِ مِيكَائِيلاً وَ فِيهِمَا اعْتَقَدَا
وَ يَوْمَ بَدْرٍ رَأَى بَعْضُ الصِّحَابِ مِنَ الكُفَّارِ زَرْعٌ رُؤُوسُ جُلهمْ حُصِدَا
وَ مَا رَأَوْا حَاصِدِيهَا بَيْنَهُمْ وَ أَبُو   سُفْيَانَ شَاهَدَ نُوراً فِي السَّمَاءِ بَدَا
رَأَى رِجَالاً بِبُلْقِ الخَيْلِ رَاكِبَةً   بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الأَرْضِ قَدْ عَلَوْا عَدَدَا
وَ لَا يَقُومُ لَهُمْ شَيْءٌ يُقَاوِمُهُمْ   وَ كَمْ سَقَوْا لِأَعَادِيهِمْ كُؤُوسَ رَدَى
وَ بَعْضُهُمْ سَمِعَ الزَّجْرَ الَّذِي زَجَرَتْ   بِهِ المَلَائِكَةُ الخَيْلَ الَّتِي شهدَا
وَ ابْنُ الحُصَيْنِ الرِّضَى عِمْرَانُ بَيْنَهُمُ   كَانَتْ تُصَافِحُهُ الأَمْلَاكُ أَيْنَ غَدَا
وَ قَدْ أَرَ المُصْطَفَى جبريل دُونَ مِرَا   لِعَمِّهِ حَمْزَةَ الَّذِي حَبَاهُ جَدَا
فَخَرَّ حَمْزَةُ مَغْشِياً عَلَيْهِ بِمَا   رَأَى عَلَى الكَعْبَةِ الَّتِي بِهَا عبدَا
رَأَى ابْنُ مَسْعُودٍ الجِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا   إِلَى النَّبِيِّ الَّذِي مِنْهُ حَوَوْا رَشَدَا

صَغَى إِلَى قَوْلِهِمْ لَيْلاً وَ شَبَّهَهُمْ   بِالزُّطِ لِلقَوْمِ فِي وَصْفِ الَّذِي شهدَا
وَ مُصْعَبٌ حِينَ مَاتَ حَازَ رَايَتَهُ   بَيْنَ المَلَائِك لَمَّا غزوا أُحُدَا
وَ سَارَ وَ النَّاسُ مِنْ وَرَائِهِ وَ لَهُ النَّبِي يَقُولُ تَقَدَّمْ مُصْعَبٌ لِعِدَا
فَقَالَ لَسْتُ بِمُصْعَبٍ أَنَا وَ رَسُو   لُ اللهِ يَعْرِفُ مَا بِذَاكَ قَدْ قصدَا
نَادَاهُ يَا مُصْعَبٌ وَ النَّاسُ تَسْمَعُهُ   لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ حَيٌّ وَ مَا فُقِدَا
وَ النَّاسُ لَوْ عَلِمُوا وَ قَاةَ حَامِلِهَا   حَالَ الوَغَى اضْطَرَبُوا وَ هُمْ غَدَوْا شُهَدَا
وَ كَمْ تَمَنَّى العِدَا انْهِزَامَهُمْ وَ لَقَدْ   نَادَى بِقَتْلِ النَّبِي ابليسُ شَرَّ نِدَا
هُنَاكَ قَدْ أَخَذَ الرِّضَى عَلِي العَلَمَ الَّذِي بِهِ قَدْ غَدَا وَ حَوْلَهُ الشُّهَدَا
وَ أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَ الكَافِرِينَ بِهِ   وَ بِالأُلَى مَعَهُ قَدْ أسروا عَدَدَا
وَ كَانَ يَوْماً عَلِيٌّ جَالِساً مَعَهُ   فِيهِ وَ أَقْبَلَ شَخْصٌ يَسْأَلُ المَدَدَا
حَتَّى أَتَى وَ عَلَى النَّبِيِّ سَلَّمَ ثُمَّ رَدَّ خَيْرُ الوَرَى عَلَيْهِ مُتَّئِدَا
وَ قَالَ نَغْمَةُ جِنٍّ مَنْ تَكُونُ فَقَا   لَ إِنَّنِي هَامَةُ ابْنُ الهَيْمَ مُنْفَرِدَا
لَقِيتُ نُوحاً وَ غَيْرَهُ وَ حَمَّلَنِي   عِيسَى عَلَيْكَ السَّلَامُ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ كُنْتُ شَارَكْتُ مَنْ سَعَى لِسَفْكِ دَمِ الشَّهِيدِ هَابِيلَ يَا أَجَلَّ مَنْ حَمِدَا
وَ قَدْ بَكَى المُصْطَفَى النَّبِي وَ قَالَ عَلَى   عِيسَى السَّلَامُ سَلَاماً طَاوَلَ الأَبَدَا
وَ أَنْتَ يَا هَامَةَ الجِنِّ عَلَيْكَ لِمَا   أَدَّيْتَ لِي مِنْ أَمَانَةٍ تَجِلُّ جِدَا
وَ عَلَّمَ المُصْطَفَى حِيناً لَهُ سُوَراً   مِنَ القُرْآنِ بِهَا قَدْ نَالَ خَيْرَ هُدَى
وَ قَدْ تَكَلَّمَ فِي هَذَا الحَدِيثِ وَ قَدْ   تَعَدَّدَتْ طُرْقُهُ بِهَا قد اعْتَضَدَا
وَ قَال لابْنِ الوَلِيدِ المُصْطَفَى وَ لَقَدْ   حَكَى لَهُ ابْنُ الوَلِيدِ لِلَّذِي شهدَا
مِنْ بَعْدِ مَا هَدَّمَ العُزَّى وَ قَدْ خَرَجَتْ   إِلَيْهِ سَوْدَاء كَيْ تُرِيدَ شَرَّ رَدَى
أَتَتْهُ عُرْيَانَةً لِشَعْرِهَا نَشَرَتْ   تَقُولُ يَا وَيْلَهَا لِمَا بِهَا قصدَا
وَ قَدَّهَا قِطْعَتَيْنِ سَيْفُهُ وَ لَقَدْ   كَانَتْ لَهُمْ صَنَماً بِجَهْلِهِمْ عُبِدَا
يَا ابْنَ الوَلِيدِ لَقَدْ أَذْلَلْتَ عِزَّتَهُمْ   بِقَتْلِ عِزَّاهُمُ وَ هُمْ بِهَا البُعَدَا
قَتَلْتَهَا فَهِيَ بَعْدَ قَتْلِهَا ذَهَبَتْ   وَ لَيْسَ تُعْبَدُ بَعْدَ قَتْلِهَا أَبَدَا
وَ قَالَ خَيْرُ الوَرَى لَقَدْ أَتَانِيَ شَيْطَانٌ وَ مَكَّنَ لِي بِهِ الإِلَهُ يَدَا
أَخَذْتُهُ بِيَدِي أُرِيدُ اربطهُ   فِي مَسْجِدِي لِيَرَاهُ كُلُّ مَنْ شَهِدَا

لَكِنْ تَذَكَّرْتُ مَا دَعَا النَّبِيُّ سُلَيْمَانُ بِهِ فَتَرَكْتُهُ وَ قَدْ طُرِدَا
فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئاً وَ أَيَّدَنِي   فَلَمْ أُصَبْ مِنْهُ بِالمَكْرُوهِ حَيْثُ غَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ قَضِيَّةٍ تُشَابِهُهَا   لِلْمُصْطَفَى وَ قَعَتْ فِي صَحْبِهِ السُّعَدَا
وَ بَابُهَا وَاسِعٌ لِمَنْ تَتَبَّعَهَا   وَ فِي الَّذِي قَدْ ذَكَرْنَاهُ كَمَالُ جَدَا

فصل

اللهُ أَعْطَى مَقَاماً لِلنَّبِي صعدا   وَ زَادَهُ شَرَفاً يُطَاوِلُ الأَبَدَا
فَتَمَّ فِيهِ العَلَا الَّذِي العُلَى ابْتَهَجَتْ   بِهِ فَكَانَ نَبِيّاً بِالعَلَا انْفَرَدَا
فَكَانَ فِي الخَلْقِ مَوْصُوفاً بِمَا انْشَرَحَتْ   بِهِ الصُّدُورُ وَ عَنْهُمْ أَذْهَبَ النَّكَدَا
وَ مِنْ دَلَائِلِهِمْ عَلَى نُبُوَّتِهِ   مَا عَنْهُ أَخْبَرَ مَنْ بِفَضْلِهِ شَهِدَا
وَ مَا تَرَادَفَتِ الأَخْبَارُ فِيهِ بِهِ   عَنْ كُلِّ حِبْرٍ مِنَ الأَحْبَارِ نَالَ هُدَى
بَلْ كُلُّ حِبْرٍ وَ إِنْ فِي الحَقِّ عَانَدَهُ   فَإِنَّهُ فِي كَمَالِ فَضْلِهِ اعْتَقَدَا
تَحَقَّقُوا أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ وَ مَنْ   جَفَاهُ فَهْوَ مَعَ الأَعْدَاءِ قَدْ طُرِدَا
بِوَصْفِهَا ذُكِرَتْ فِي الكُتْبِ أُمَّتُهُ   وَ عَنْهُ قَدْ أَفْصَحَتْ بِمَا بِهِ وُجِدَا
وَ أَعْلَنَتْ بِاسْمِهِ لِلسَّامِعِينَ لَهَا   وَ ذِكْرُه فِي مَقَامَاتِ العَلَا حُمِدَا
وَ جُلُّ مَنْ وَحَّدُوا مِمَّنْ مضُوا ذَكَرُوا   أَوْصَافَهُ وَ صِفَاتِ قَوْمِهِ السُّعَدَا
وَ جَاءَ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِهِمْ وَ بَدِيعِ سَجْعِهِمْ وَ هْوَ عَنْهُمْ فِي الوَرَى وَرَدَا
مِنْ ذَاكَ قَدْ جَاءَ شِعْرُ تُبَّعٍ وَ بِمَعْنَاهُ أُزَيِّنُ نَظْمِي فِي الَّذِي قصدا
شَهِدْتُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ أَحْمَدَ قَدْ   أَتَى مِنَ اللهِ مِنْ بَيْنِ الوَرَى بِهُدَى
لَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَى زَمَانِهِ لَنَصَرْتُهُ وَجَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ العِدَا العُنُدَا
قَدْ سُمِّيَتْ فِي زَبُورِ الحَقِّ أُمَّتُهُ   وَ أَنَّهَا خَيْرُ أُمَّةٍ حَوَتْ رَشَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ لَقِيَ الأَوْسُ بْنُ حَارِثَةٍ   مِمَّنْ مَضُوا عَالِماً قَدْ وَحَّدَ الأَحَدَا
لَهُ أَسَرَّ مِنَ الأَسْرَارِ مِنْهُ لَهُ   وَصْفُ النَّبِي أَحْمَدَ الَّذِي سَنَاهُ بَدَا
فَكَانَ يَذْكُرُ مَا رَوَاهُ فِيهِ لِمَنْ   قَدْ عَاصَرُوا الفَتْرَةَ الَّذِي بِهَا وُجِدَا
وَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ كَعْبٍ تَوَاتَرَ حَقّاً وَ هْوَ سَابِعُ أَجْدَادِ النَّبِيِّ غَدَا

سَمَّاهُ فِي شِعْرِهِ وَ ذَاكَ فِي زَمَنٍ   مَضَى وَ ذَلِكَ مِنْهُ طِبْقَ مَا اعْتَقَدَا
يَقُولُ يَأْتِي مُحَمَّدٌ فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صد و ما خير ها وَ لاَ فَنَدَا
وَ قَدْ صَفَى ابْنُ مُجَاشِعٍ لِكَاهِنِهِ   وَ حَوْلَهَا مِنْ تَمِيمٍ مَنْ لَهَا وَفَدَا
فَخَبَّرَتْهُ بِأَنَّ الْمُصْطَفَى الْعَرَبِي   إِبَّانَ مَبْعَثِهِ دَنَا وَ مَا وُلِدَا
وَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ قَسِّ بْنِ سَاعِدَةٍ   وَ كَانَ فِي الْقَوْمِ فِي دُنْيَاهُ قَدْ زَهِدَا
فِي شِعْرِهِ وَ بَدِيعِ السَّجْعِ مِنْهُ أَتَى   بِاسْمِ النَّبِي أَحْمَدَ الْهَادِي بِخَيْرِ هُدَى
وَ قَدْ رَآهُ رَسُولُ اللهِ مُحْتَفَلاً   بِهِ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ فِي الَّذِي شَهِدَا
وَ قَدْ أَتَى وَصْفُهُ عَنْ ابْنِ ذِي يَزَنٍ   وَ فِيهِ قَدْ كَانَ بَيْنَ النَّاسِ مُعْتَقِدَا
وَافَاهُ مَعْ رَهْطِهِ جَدُّ النَّبِيِّ وَ قَدْ   أَدْنَاهُ مِنْهُ وَ نَالَ مِنْ يَدَيْهِ يَدَا
وَ قَالَ فَلْتَحْتَفِظْ عَلَى ابْنِكَ الْعَلَمِ الْمَرْفُوعِ فَهْوَ النَّبِي الَّذِي نَرَى ولدا
أَعْدَى الأَعَادِي لَهُ الْيَهُودُ بَعْدَهُمُ   مَنْ قَاوَمُوهُ وَ هُمْ مِنْ قَوْمِهِ حُسَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ سُرَاةٍ قَبْلَ بِعْثَتِهِ   بِأَمْرِهِ عَرَفُوا وَ عِنْدَهُمْ حُمِدَا
وَ سَلْ عَنِ الْمُصْطَفَى ابْنِ نَوْفَلٍ فَلَقَدْ   أَبْدَى لَهُ مَا رَآهُ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ قَالَ يَا لَيْتَنِي لَوْ أَنَّنِي جَذَعٌ   لَمَّا تَقُومُ وَ قَدْ قَامَتْ لَكَ الْعُنُدَا
فَلَمْ يَجِيءْ أَحَدٌ بِمَا تَجِيءُ بِهِ   إِلاَّ وَ عُودِيَ وَ الْعَادِي عَلَيْهِ عَدَا
وَ سَلْ حَفِيدَ نُفَيْلٍ عَنْهُ وَ هُوَ أَبُو   سَعِيدُنَا وَ هُوَ زَيْد إِنْ أَرَدْتَ هُدَى
فَعِنْدَهُ الْخَبَرُ الْيَقِينُ قَبْلَ ظُهُورِ الْمُصْطَفَى وَ عَلَيْهِ كَانَ مستندا
وَ قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ أَنَّهُ سَيَكُونُ أُمَّةً وَحْدَهُ فِي الْبَعْثِ فِي السُّعَدَا
وَ عَثْكَلاَنُ الحميرِي فِي بِشَارَتِهِ   مُخَبِّراً لاِبْنِ عَوْفٍ بِالَّذِي اعْتَقَدَا
أَتَى ابْنُ عَوْفٍ إِلَيْهِ يَسْتَفِيدُ بِمَا   لَمْ يَسْتَفِدْهُ سِوَى مَنْ أَحْرَزُوا الرَّشَدَا
وَ قَالَ أُنْشُدْ إِذَا رَجَعْتَ عَنْ عَجَلٍ   قَوْلِي لَهُ مِنْ رِضَاهُ نِلْتَ خَيْرَ جَدَا
كُنْ لِي شَفِيعاً لَدَى الْمَلِيكِ خَالِقِنَا   يَا ابْنَ الْمُفَدَّى الَّذِي بِالْحَقِّ قَدْ وَرَدَا
وَ أَخْبَرَتْ عُلَمَا الْيَهُودِ عَنْهُ بِمَا   لَهُ مِن اسْمٍ وَ وَصْفٍ بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
هُمْ بِهِ عَالِمُونَ بَيْنَ عَالَمِهِمْ   سَيَّانَ مَنْ لِهُدَاهُ انْقَادَ أَوْ عَنَدَا
شَامُولُ عَالِمُهُمْ فِيمَا مَضَى زَمَناً   لِتُبَّعٍ قَدْ أَفَادَ بِالَّذِي اعتمدا
وَ لَمْ يَدَعْهُ يُخَرِّبُ الْمَدِينَةَ قَائِلاً لَهُمْ إِنَّهَا مَدِينَةُ السُّعَدَا

فَإِنَّهَا دَارُ هِجْرَةٍ لِأَفْضَلِ مُرْ   سَلِ بِمَكَّةَ بَيْنَ قَوْمِهَا وُلِدَا
يَأْتِي إِلَيْهَا فتلقى مَنْ بِهَا قَطَنُوا   فِي النَّاسِ مِنْ خَيْرِ أَنْصَارٍ غَدَوْا أَسَدَا
فَهُمْ هُمُ السُّعَدَاءُ جَلَّ فَضْلُهُمُ   بَيْنَ الوُجُودِ وَ قَدْرُهُمْ بِهِ صعدَا
فَقَالَ مَنْ مَعَ تُبَّعٍ نَقِيمُ بِهَا   حَتَّى يُوَافِيَهَا لِنُحْرِزَ المَدَدَا
فَيَالَهُ مِنْ نَبِيٍّ فِي نُبُوَّتِهِ   قَد ارْتَقَى فِي مَرَاقِي المَجْدِ مُنْفَرِدَا
وَ مِنْ دَلَائِلِهَا مَا جَاءَ فِي الكُتُبِ الَّتِي مِنَ الحَقِّ جَاءَتْ تُوضِحُ الرُّشْدَا
فَبِاسْمِهِ صَرَّحَ الإِنْجِيلُ مَعْ صِفَةٍ   لَهُ وَ بَانَتْ بِتَوْرَاةٍ لِأَهْلِ هُدَى
وَ كَمْ وَ كَمْ خَيْر خبْرٍ عَنْهُ قَدْ نَقَلَ الأَعْلَامُ مَا صَارَ مَعْرُوفاً وَ مَا انْتُقِدَا
سَلْ عَنْهُ مَنْ أَسْلَمُوا أَوْ سَالَمُوهُ وَ هُمْ   أَجَلُّ قَدْراً مِنَ الَّذِي لَهُ عَنَدَا
فَكُلُّهُمْ يُخْبِرُونَ بِالَّذِي عَرَفُو   هُ فِيهِ حَقّاً وَ هُمْ لَهُ مِنَ الشُّهَدَا
سَلِ الرِّضَى ابْنَ سَلَامٍ مِنْهُمُ فَلَهُ   كَمَالُ صِدْقٍ وَ تَصْدِيقٍ بِهِ سَعِدَا
سَلِ اليَهُودَ يَهُودَ الشَّامِ إِنَّ عَلَيْهِمُ ابْنُ لهيانَ بِالتَّبْشِيرِ قَدْ وَقدَا
وَ سَلْ بَنِي سَعْيَةَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمُ   قَدْ سَارَعُوا لِلَّذِي بِهِ لَهُمْ عهدَا
سَلِ ابْنَ يَامِينَ فَهْوَ لِلْمَدِينَةِ قَدْ   وَافَى عَسَى أَنْ يَرَى النَّبِي إِذَا وَفَدَا
وَ سَلْ مُخَيْرِيقَ فَهْوَ حَلَّ فِي أُحُدٍ   وَ كَانَ خَيْرَ يَهُودِي فِي النَّبِي اعْتَقَدَا
أَوْصَى لَهُ بِالَّذِي أَوْصَى بِهِ وَ إِلَى الإِ   سْلَامِ أَلْقَى انْقِيَادَهُ وَ مَا جَحَدَا
وَ عَنْهُ سَلْ كَعْباً ابْنَ مَانِعٍ فَلَهُ   مِنْ بَيْنِ أَخْبَارِهِمْ نُورٌ قَد اتَّقَدَا
مِنْ أَفْضَلِ التَّابِعِينَ كَانَ يُعْرِبُ عَنْ   صِفَاتِ خَيْرِ الوَرَى مِمَّا خَفَا وَ بَدَا
أَبَانَ مَا جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ صِفَةٍ   لَهُ وَ صَدَّقَهُ مَنْ لِلنَّبِي شَهِدَا
وَ سَلْ بَحِيرَا الَّذِي مَرَّ النَّبِيُّ بِهِ   وَ كَانَ مُنْقَطِعاً لِرَبِّهِ عبدَا
وَ حَلَّ صَوْمَعَةً عَلَيْهِ أَغْلَقَهَا   حَتَّى رَأَى المُصْطَفَى وَ النُّورُ مِنْهُ بَدَا
فَجَاءَ يَسْعَى إِلَيْهِ فِي القَوَافِلِ قَا   يِلاًّ أَقِيمُوا لَدَيَّ وَ الرَّحِيلُ غَدَا
فَبَيْنَكُمْ قَمَرٌ عَلَتْ مَنَازِلُهُ   وَ مِنْ سَنَاهُ اسْتَضَاءَ الأُفْقُ أَيْنَ غَدَا
وَ لَمْ يُقَصِّرْ بَحِيرَا فِي ضِيَافَتِهِمْ   وَ مِنْهُ قَدْ سَمِعُوا مَا نَوَّرَ الخَلَدَا
وَ ضَمَّ خَيْرَ الوَرَى إِلَيْهِ مُلْتَمِساً   مِنْهُ الدُّعَاءَ لَهُ بِنَيْلِ مَا قَصَدَا
وَ أَقْبَلَ المُصْطَفَى عَلَيْهِ مُبْتَسِماً   وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ هُدًى أَهْدَى لَهُ وَجَدَا

وَ جَلَّ فِي أَعْيُنِ الَّذِينَ قَدْ حَضَرُوا   لَهُ وَ قَدْ صَارَ فِيهِ الجَمْعُ مُعْتَقِدَا
أَوْصَى أَبَا طَالِبٍ عَلَيْهِ بَيْنَهُمُ   بِمَا تَوَسَّمَ فِيهِ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
وَ قَالَ إِنَّ لَهُ شَأْناً سَيَبْلُغُهُ   فَاحْفَظْهُ مِنْ شَانِئِيهِ أَيْنَمَا قصدَا
وَ شَر أَعْدَائِهِ اليَهُود إِنَّهُمُ   سَيُنْكِرُونَ كَمَالَ فَضْلِهِ حَسَدَا
و احْفَظْهُ مِنْ قومهِ وَ مِنْ مُقَاوِمِهِ   حَتَّى يَنَالَ مُنًى تطَاول الأَبَدَا
مِنْ ثَمَّ زَادَ اعْتِنَاءً فِي قَرَابَتِهِ   بِهِ أَبُو طَالِبٍ وَ يَمَّمَ البَلَدَا
وَ لَمْ يُطِلْ سَفَراً بِهِ وَ عَادَ بِهِ   قَرِيرَ عَيْنٍ بِمَا رَأَى وَ نَال هُدَى
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ قَضَايَا مَعْ أَسَاقِفَةٍ   مِنْ أَجْلِهِ وَ قَعَتْ لَهُمْ مَعَ العُنَدَا
قَدْ أَرْشَدُوهُمْ لِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمُ   وَ قَدْ أَبَى الأَشْقِيَاءُ الهَدْيَ وَ الرَّشَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ رَاهِبٍ قَدْ صَارَ مُمْتَحَناً   لَمَّا أَبَانَ بِصِدْقٍ فِيهِ مَا وَجَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ عَارِفٍ أَعْدَاؤُهُ فَتَكُوا   بِهِ وَ مَدُّوا بِسُوءِ الظَّنِّ فِيهِ يَدَا
فَسَلْ ضَغَاطِرَ عَنْ إِسْلَامِهِ فَلَهُ   قَدْ كَانَ حَتَّى تَلَقَّى مِنْ عِدَاهُ رَدَى
قَدْ كَانَ فِي مُلْكِهِ مِنْ أَعْظَمِ العُظَمَا   وَ كَانَ مِنْهُ هِرَقْلُ يَطْلُبُ المَدَدَا
أَتَاهُ دِحْيَةُ يَدْعُوهُ بِدَاعِيَةِ الإِ   سْلَامِ فِي قَوْمِهِ وَ الفَضْلُ فِيهِ بَدَا
فَقَالَ هَذَا الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ هُوَ الدِّينُ الحَنِيفِي الَّذِي بِالحَقِّ قَدْ عُضِدَا
هَذَا الَّذِي قَدْ أَتَى عِيسَى وَ بَشَّرَنَا   بِهِ وَ نَحْنُ لَهُ مِنْ جُمْلَةِ الشُّهَدَا
وَ كُنْتُ مُنْتَظِراً زَمَانَ مَبْعَثِهِ   فَالحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ صِرْنَا بِهِ سُعَدَا
وَ قَالَ هَذَا كِتَابِي بِالشَّهَادَةِ لِي   لَدَيْهِ يَشْهَدُ فَلْتُبْلِغْهُ نِلْتَ هُدَى
سَلِّمْ عَلَيْهِ وَ قُلْ إِنِّي لَهُ عَضُدٌ   عَضَضْتُ مِنْ حَبْلِهِ عَلَى الَّذِي اعْتَمَدَا
وَ قَامَ فِي مُلْكِهِ يَدْعُو إِيَالَتَهُ   إِلَى التَّمَسُّكِ بِالحَبْلِ الَّذِي عقدَا
وَ بَدَّلَ الزِّيَّ مِنْهُ بَيْنَهُمْ فَرَأَى   مَنْ عَانَدُوا الحَقَّ مِنْهُمْ أَنَّهُ التَحَدَا
خَافُوا عَلَى مُلْكِهِمْ فَبَادَرُوهُ بِمَا اقْتَضَى شَقَاوُهُمُ وَ صَارَ فِي الشُّهَدَا
وَ عَنْهُ فَلْتَسْأَلِ الجَارُودَ فَهْوَ أَتَى   حَقّاً مِنَ الكُفْرِ لِلإِسْلَامِ مُنْجَرِدَا
وَ كَانَ فِي قَوْمِهِ لِمَنْ يُقَاوِمُهُ   فِي دِينِهِ مُتَصَلِّباً لِمَا اعتقدَا
وَ عِنْدَ مَا قَوْمُهُ ارْتَدُّوا لِكُفْرِهِمُ   عَلَيْهِمُ رَدَّ مَا فِيهِ ارْتَدُّوا بِرَدَى
وَ قَالَ إِنِّي حَنِيفِيٌّ شَهِدْتُ بِأَنَّ   اللهَ حَقٌّ وَ لَمْ أُشْرِكْ بِهِ أَحَدَا

وَ سَلْ أَسَاقِفَ نَجْرَانَ فَإِنَّهُمُ   عَلَى النَّبِي لِخَيْرٍ وَفْدُهُمْ وَفَدَا
فَصَدَّقُوهُ وَ بَعْضُهُمْ تَخَوَّفَ مِنْ   مُلُوكِهِمْ وَ أَسَرُّوا السُّوءَ مُعْتَقِدَا
وَ آمَنَ البَعْضُ مِنْهُمْ بَعْدَ مَا عَرَفُوا   بِأَنَّ شَرَّ الوَرَى مِنْ لِلْهُدَى جَحَدَا
وَ أَذْعَنَ البَعْضُ أَنْ تعدَّ جِزْيَتهُمْ   عَلَيْهِمُ وَ عَلَى مَنْ مَعْهُمُ اتَّحَدَا
وَ قَالَ رَأْسُهُمُ فِي العِلْمِ وَ هْوَ أَخُو   كوز أما هُوَ هَذَا سَيِّدُ السُّعَدَا
أَلَمْ يَكُنْ كُلُّنَا حَقّاً نؤمل أَنْ   يَأْتِي لِنشهدَ أَنَّهُ نَبِيُ هُدَى
فَلاَ يُكَذِّبْهُ مِنْكُمْ وَاحِدٌ وَ إِذَا   لاَ عَنْتُمُوهُ فَلاَ تُرَوْا هُنَا أَبَدَا
وَ قَالَ مَا لاَعَنَ النَّبِيَّ أُمَّتَهُ   إِلاَّ بِهِ اسْتُؤْصِلُوا وَ بُدِّدُوا بَدَدَا
مِنْ بَعْدِ مَا المُصْطَفَى بِالحَقِّ كَاشَفَهُمْ   وَ قَالَ جُلُّكُمُ لاَ زَالَ مُلْتَحِدَا
لَمْ تَهْدِكُمْ فِي ادِّعَا الإِسْلاَمِ دَعْوَتُكُمْ   بِأَنَّ لِلَّهِ بَيْنَ خَلْقِهِ وَلَدَا
وَ عَنْهُ سَلْ إِنْ تَشَأْ سَلْمَانَ فَهْوَ بِمَا   كَانَتْ تُحَدِّثُهُ الرُّهْبَانُ نَالَ هُدَى
لَهُ بِحَالِ النَّبِيِّ مِنْهُمُ نَبَأٌ   وَ قَدْ تَحَقَّقَهُ لَمَّا لَهُ شَهِدَا
وَ عَنْهُ فَلْتَسْأَلِ الدَّارِيَّ فَهْوَ بِمَا   فِي كُتُبِ مَنْ قَدْ مَضَوْا دَارٍ وَ لاَ فَنَدَا
أَتَى إِلَى المُصْطَفَى مِنْ بَعْدِ بِعْثَتِهِ   وَ فِيهِ حَقَّقَ مَا يَدْرِيهِ فِي الشُّهَدَا
أَمَّا النَّجَاشِي فَكَانَ بِالنَّبِيِّ لَهُ   عِلْمٌ بِمَا فِيهِ فِي الإِنْجِيلِ قَدْ وَرَدَا
وَ قَالَ لَوْ لَمْ أَكُنْ لِلْمُلْكِ مُحْتَمِلاً   لَجِئْتُهُ خَادِماً نَعْلَيْهِ أَيْنَ غَدَا
وَ سَلْ هِرَقْلَ وَ إِنْ بَانَتْ شَقَاوَتُهُ   فَإِنَّهُ بِالنَّبِيِّ عَارِفٌ طُرِدَا
أَتَاهُ دِحْيَةُ مُخْبِراً بِحَالَتِهِ   فَقَالَ هَذِهِ أَوْصَافُ الَّذِي حُمِدَا
فَوَصْفُ أَحْمَدَ فِي الإِنْجِيلِ قَدْ ظهرت   طِبْقَ الَّذِي هُوَ فِيهِ فِي الوُجُودِ بَدَا
وَ سَلْ مُقَوْقِسَ وَ الشَّيْخَ الَّذِي مَعَهُ   كِلاَهُمَا عَرَفَا مَا فِيهِ وَ التَّحَدَا
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِن مُلْكٍ يَصُدُّ عَنِ الحَقِّ الَّذِي لَمْ يَنَلْهُ غَيْرُ مَنْ سَعِدَا
هَذَا مُقَوْقِسُ مَعْ عِلْمٍ بِحَالَتِهِ   لَمْ يُهْدِهِ عِلْمُهُ فَلَمْ يَنَلْ رَشَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ بَغِيضٍ وَ هْوَ يَعْرِفُ مَا   عَلَيْهِ حَالُ النَّبِي وَ مَاتَ مُلْتَحِدَا
يقرُّ فِي النَّاسِ بِالعِلْمِ الَّذِي مَعَهُ   لَكِنَّهُ مَا اهْتَدَى بِمَا رَأَى حسَدَا
مِثْلُ ابْنِ أَخْطَبَ وَالِدِ الصَّفِيةِ أُ   مِّ المُؤْمِنِينَ وَ يَا لِلَّهِ لَوْ سَعِدَا
مَعْهُ أَبُو يَاسِرٍ أَخُوهُ فَهْوَ عَلَى   عِلْمٍ بِهِ ضَلَّ بَيْنَ مَنْ لَهُ جَحَدَا

تَحَقَّقَا أَنَّهُ النَّبِي الَّذِي شَهِدَتْ بِالحَقِّ تَوْرَاتُهُمْ بِهِ وَ قَدْ عَنَدَا
وَ مِثْلُهُ الأَعْوَرُ ابْنُ صُورِيَا فَلَقَدْ أَضَلَّهُ اللهُ بَيْنَ مَنْ لَهُ شهدَا
وَ هْوَ العَدُوُّ لِجِبْرِيلَ الأَمِينِ وَ لَمْ يَنَلْ أَمَانِيَهُ الَّتِي لَهَا قَصَدَا
وَ مِثْلُهُمْ صَاحِبُ العَقْدِ الَّذِي عَقَدَتْ بَنُو قُرَيظَةَ و اسْمُهُ غَدَا كَتَدَا
لَهُ بِحَالِ النَّبِي عِلْمٌ وَ مَا انْتَفَعَتْ بِعِلْمِهِ نَفْسُهُ إِذْ رَافَقَ العَنَدَا
فَإِنَّهُ مَعْهُمُ لِعَهْدِهِمْ نَقَضُوا وَ كُلُّ مَنْ يُنْقِضِ العُهُودَ حَلَّ رَدَى
وَ مِثْلُهُ العَالِمُ ابْنُ بَاطِيَا فَبِهِ أَعْمَالُهُ أَبْطَاَتْ فَلَمْ يَفُزْ بِهُدَى
قَدْ حَازَ سِفْراً رَآهُ عِنْدَ وَالِدِهِ وَ فِيهِ أَحْمَدُ بِالوَصْفِ الَّذِي عُهِدَا
وَ عِنْدَ مَا بَعَثَ اللهُ النَّبِيَ مَحَا مَا فِيهِ مِمَّا بِهِ يُنَوِّرُ الخَلَدَا
وَ قَالَ لَمْ أَرَى فِيهِ ذِكْرَ أَحْمَدَ لاَ وَصْفاً وَ لاَ اسْماً وَ هَذَا دَأْبُ مَنْ جحدا
وَ قَرَعَ المُصْطَفَى أَسْمَاعَ حُسَّدِهِ بِمَا حَوَتْ كُتْبُهُمْ وَ مَا لَهَا شهدَا
و احْتَجَّ مِمَّا انْطَوَتْ عَلَيْهِ صُحْفُهُمُ عَلَيهِمُ بِالَّذِي قَدْ أَرْغَمَ العُنَدَا
وَ عِنْدَ مَا لَزَّ مَنْ حَاجُّوهُ فِي قَرَنٍ وَ لَجَّ جَاحِدُهُ وَ أَكْثَرَ اللَّدَدا
دَعَاهُمُ كُلَّهُمْ إِلَى مُبَاهَلَةٍ فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَيْهَا مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
وَ لَمْ يُعَارِضْهُ فِيمَا قَدْ أَبَانَ لَهُمْ مِنْهُمْ وَ لَوْ وَاحِدٌ مِنْ بَيْنِهِمْ رشدَا
بَلْ كُلُّهُمْ سُفَهَاءُ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِيمَا امْتَرُوا و افْتَرَوا وَ نَوَّعُوا الفَنَدَا
وَ ذم أَخْبَارَهُمْ بِلَيِّ أَلْسُنِهِمْ وَ كَتْمِ مَالَهُمُ أَبْدَى وَ هُم شُهَدَا
أَبَانَ بَيْنَهُمُ عَنِ الَّذِي كَتَمُوا مِنْ نَصِّ تَوْرَاتِهِمْ وُ هُمْ بِهَا العُمَدَا
وَ بِالَّذِي حَرَّفُوا بَانَتْ فَضِيحَتُهُمْ وَ بِالَّذِي حَذَفُوا لَمْ ينجحُوا أَبَدَا
فَهَلْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَ الآ خِرِينَ عَمَّنْ أَحَاطُوا بِالَّذِي وُجِدَا
وَ فِيهِ مَا اضْطَرَبَتْ أَقْوَالُهُ وَ رَبَتْ أَنْقَالُهُمْ وَ عَلَيْهِ ذَاكَ مَا انْتُقِدَا
هَلاَ تَنَاقَضَ قَوْلُهُ وَ زَيَّفَ مَعْ طُولِ التَّنَاوُلِ بِالأَيْدِي الَّذِي نقدَا
وَ الوَارِدُونَ عَلَى اخْتِلاَفِ مَشْرَبِهِمْ حَلاَ لَهُمْ مَا رَوَوْهُ عَنْهُ دُونَ مدَا
لَوْ أَنَّهُمْ وَفَدُوا خِلاَفَ مَا لَهُمُ بِالحَقِّ أَظْهَرَهُ لَطَوَّحُوا البَلَدَا
لَكِنَّهُمْ عَرَفُوهُ غَيْرَ مُنْتَحِلٍ فَأَذْعَنُوا وَ عَنُوا لِمَا بِهِ وَفَدَا
لَكِنَّهُمْ جَحَدُوهُ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ وَ زَادَهُمْ فِيهِ مَا أَبْدَى لَهُمْ حَسَدَا

وَفَاتَهُمْ كُلُّ رُشْدٍ حِينَ قَالَ لَهُمْ   فَأْتُوا بِتَوْرَاتِكُمْ وَ لْتَتْرُكُوا اللَّدَدَا
فَالنُّورُ مُنْتَشِرٌ وَ الصِّدْقُ مُنْتَصِرٌ   وَ الخِزْيُ يَلْحَقُ مَنْ فِي الحَقِّ قَدْ عَنَدَا
وَ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الرُّهْبَانُ قَدْ صَدَحُوا   بِسَجْعِهِمْ وَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ دوى صَدَا
كُل يصيحُ بِمَا تُوحِي ضَمَائِرُهُ   وَ مَا عَلَيْهِ وَ رَأْيُهُ بِهِ وَرَدَا
وَ أَنْذَرُوا قَوْمَهُمْ بِقُرْبِ مَبْعَثِهِ   وَ أَنَّهُ خَيْرُ مَنْ قَدِ اهْتَدَى وَ هَدَى
سَلْ عَنْهُ شِقّاً فَقَدْ كَانَتْ تُصَدِّقُهُ   قُصَّادُهُ فِي الَّذِي يُبْدِيهِ معتضدَا
وَ كَانَ يُخْبِرُهُمْ بِمَا يَكُونُ وَ مَا   قَدْ كَانَ مِنْ حَضْرَةِ الغَيْبِ الَّذِي شهدَا
وَ كَانَ فِي نِصف انْسَانٍ فَقِيلَ لَهُ   شِقٌّ لِأَنَّ لَهُ عَيْناً تَرَى ويدَا
وَ سَلْ سَطِيحاً فَعَنْهُ الموبذَانِ رَوَى   تَعْبِيرَ رُؤْيَا بِهَا قَدْ قَامَ مُرْتَعِدَا
فَكَانَ تَعْبِيرُهُ لَهَا كَمَا وَقَعَتْ   وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ عَجِيبِ القَوْلِ مِنْهُ بَدَا
وَ سَلْ سَوَادَ بْنَ قَارِبٍ فَإِنَّ لَهُ   خبراً بِهِ اعْتَزَّ فِي الرُّهْبَانِ أَيْنَ غَدَا
غَدَا إِلى المُصْطَفى مِنْ بَعْدِ رُؤْيَتِهِ   رَئِيِّهِ فَأَرَاهُ مَا بِهِ سَعِدَا
وَ قَالَ كُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ تَشْفَعُ فِي   مِثْلِي وَ مَا لِي سِوَاكَ يَانَبِيَّ هُدَى
فَأَقْبَلَ المُصْطَفَى بِحُسْنِ طَلْعَتِهِ   عَلَيْهِ ثُمَّ حَبَاهُ مِنْهُ مَا قَصَدَا
وَ سَلْ خُنَافِرَ عَنْهُ فَهْوَ مُعْتَرِفٌ   بِمَا رَآهُ رؤيهُ الَّذِي صَعِدَا
أَتَى إِلَيْهِ شصَارٌ وَ هْوَ كَانَ لَهُ   أَنْجَى رَوِيٍّ رَوَى مِنْ بَحْرِهِ مَدَدَا
فَدَلَّهُ بَعْدَ مَا قَدْ غَابَ عَنْهُ عَلَى   سَعَادَةٍ مُذْ سَعَى لَهَا حَوَى رَشَدَا
فَقَالَ آمَنْتَ بِالنَّبِيِّ أَحْمَدَ يَا   خُنَافِرِ ارْحَلْ إِلَيْهِ تَلْقَ مِنْهُ جَدَا
فَإِنَّهُ حَلَّ يَثْرِبَ الَّتِي شَرُفَتْ   بِهِ وَ أَصْحَابُهُ هُمْ قَادَةُ السُّعَدَا
فَشَدَّ رِحْلَتَهُ خُنَافِرٌ وَ عَلَى   رُؤَيِّهِ وَ سَدِيدِ رَأْيِّهِ اسْتَنَدَا
وَ سَارَ حَتَّى أَتَى صَنْعَاءَ مِنْ يَمَنٍ   وَ كَانَ فِيهَا مُعَاذٌ بِالهُدَى وَفَدَا
فَكَانَ إِسْلَامُهُ حِيناً عَلَى يَدِهِ   وَ مِنْهُ قَدْ نَالَ بِالإِيمَانِ مَا قَصَدَا
وَ عَنْهُ سَلْ نَافِعاً فَقَدْ أَفَادَ بِأَخْبَارِ النَّبِي تُبَّعاً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفِدَا
وَ قَالَ هَذَا النَّبِي يَؤُمُّ يَثْرِبَ مِنْ   بَطْحَاء مَكَّةَ إِذْ يَلْقَى بِهَا الشُّهَدَا
يَلْقَاهُ أَنْصَارُهُ فِيهَا بمكرمةٍ   وَ فِعْلُهُمْ مَعَهُ بَيْنَ الوَرَى حُمِدَا
وَ لْتَسْأَلِ الجُرْهُمِي الأَفْعَى فَإِنَّ لَهُ   فِيمَا مَضَى مِنْ زَمَانٍ مَا نَفَى الكَمَدَا

وَ هُوَ الَّذِي لِنِزَارٍ قَالَ مِنْكَ أَرَى   نُورَ النُّبُوَّةِ فِي جَبِينِكَ اتَّقَدَا
فَأَنْتَ خَيْرُ نَبِي تَعُمُّ دَعْوَتُهُ   مِنْ بَعْدِ مَبْعَثِهِ كُلَّ الَّذِي وُجِدَا
وَ عَنْهُ سَلْ جِذْلاً بْنَ جِذْلِ العَرَبي الكِنْدي فَفِي القَوْمِ فِي الكُهَّانِ قَدْ قَصَدَا
فَعِنْدَهُ نَبَأٌ مِنَ النُّبُوَّةِ فِي   حَقِّ النَّبي وَ لَهُ بِالصِّدْقِ قَدْ شَهِدَا
وَ عَنْهُ فَلْتَسْئَلِ الدَّوْسِيَّ فَهْوَ لَهُ   عِلْمٌ بِأَنَّ النَّبِي مَقَامُهُ صعدَا
فَهْوَ ابْنُ كَاهِنَةٍ وَافَى بِغَيْرِ أَبٍ   إِنْسِي وَ قَدْ كَانَ مِمَّنْ يُكْثِرُ الفَنَدَا
وَ بَعْدَ مَا بَعَثَ اللهُ النَّبِيَ رَأَى الدَّوْسِي بِأَنَّ النَّبِيَ بِالهُدَى وَفَدَا
فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي الآنَ أُصْدِقكُمْ   هَذا مُحَمَّدُ وَافَاكُمْ بِخَيْرِ هُدَى
فَصَدِّقُوهُ وَ لَا تُكَذِّبُوهُ فَقَدْ   فَازَ الَّذِي فِيهِ مَنْ بَيْنِ الوَرَى اعْتَقَدَا
وَ بَعْدَ مَا أَخْبَرَ الدَّوْسِي قَبِيلَتَهُ   وَ ارَوْهُ فِي قَبْرِهِ الَّذِي بِهِ اتَّقَدَا
وَ عَنْهُ بِنْتُ كُرَيْزٍ سَلْ فَإِنَّ لَهَا   عِلْماً وَ مَعْرِفَةً بِأَنَّهُ وُلِدَا
أَفْضَتْ بِسِرٍّ إِلَى عُثْمَانَ وَ هْوَ يُرَى ابْنُ أُخْتِهَا فَغَدَا مِنْ جُمْلَةِ الرُّشَدَا
وَ أَنْشَدَتْ فِيهِ أَنَّ اللهَ جَلَّ عُلَى   بِرُشْدِ عُثْمَانَ بَيْنَ العَالَمِينَ هَدَى
وَ لْتَسْئَلَنَّ ابْنَةَ النُّعْمَانِ فَاطِمَةً   عَنْهُ وَ قَدْ أَرْعَدَتْ بِمَنْ لَهَا قعدَا
دَعَتْهُ يَأْتِي إِلَيْهَا مِثْل عَادَتِهِ   فَقَالَ إِنَّ الزِّنَى مُحَرَّمٌ أَبَدَا
هَذا نَبِيُّ الهُدَى وَافَى فَحَرَّمَهُ   وَ حَلَّ يَثْرِبَ يهْدِي الخَيْرَ وَ الرَّشَدَا
وَ مِثْلُ هَذا كَثِيرٌ لَسْتُ أُحْصِرُهُ   وَفِي الَّذِي قَدْ ذَكَرْتُ غنيةً وَ هُدَى
وَ كَمْ وَ كَمْ صَنَمٍ وَ كَمْ وَ كَمْ وَثَنٍ   بِالمُصْطَفَى أَخْبَرَ الَّذِي لَهُ عبدَا
بِأَفْصَحِ النُّطْقِ قَالَ جَاءَ أَحْمَدُ   وَ هْوَ بِالهُدَى قَدْ أَتَى يُوَحِّدَ الأَحَدَا
وَ الجِنُّ قَدْ هَتَفَتْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ   بِمَا رَأَتْهُ وَ إِنْ جَمِيعُهَا رَصَدَا
مَنْ سَارَ فِي الأَرْضِ مِنْهَا صَارَ فِي جَزَعٍ وَ مَنْ سَمَا لِلسَّمَاعِ فِي السَّمَا طُرِدَا
فَكَمْ مُبَشِّرَةٍ بِهِ مبصرةٌ   لِلْمُنْصِتِينَ لَهَا بِمَا نَفَى الكَمَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ صُوَرٍ وَ كَمْ وَ كَمْ نُصُبٍ   قَدْ أَدْهَشَتْ قُصَّداً وَ رَدَّدَتْ لِصَدَى
و اسْمُ النَّبِيُ فَشَا فِي النَّاسِ قَبْلَ مُسَمَّاهُ بِأَحْمَدَ وَ هُوَ بَيْنَهُمْ حُمِدَا
كَمْ رِيءَ بِالنَّقْشِ مَكْتُوباً عَلَى حَجَرٍ   مُنَوَّعاً بِقَدِيمِ الخَطِّ لِلشُّهَدَا
وَرِيءَ مِنْ غَيْرِ تَخْطِيطٍ عَلَى وَرَقِ الأَشْجَارِ مرتسماً فِيمَا خَفَا وَ بَدَا

وَ بِاسْمِهِ نَطَقَتْ عجْمٌ لِسَامِعِهَا   وَ العجْمُ و العرْبُ قَدْ عَدُّوهُ مُعْتمَدَا
فَاسْلَمَ المُهْتَدِي بمَا رَآهُ وَ لَمْ   يُوَفَّقِ المُعْتَدِي فِيمَا بِهِ عَنَدَا
فَالحَمْدُ للهِ نَحْنُ المُؤْمِنُونَ بِهِ   وَ لاَ يُخَالِفُنَا فِي الدِّينِ مَنْ سَعِدَا
ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ يَتْبَعُهَا السَّلاَمُ يَسْتَغْرِقُ الأَتْبَاعَ دُونَ مَدَا

فصل

مَنَاقِبُ المُصْطَفَى لَمْ أُحْصِهَا عَدَدَا   وَ إِنْ تَتَبَّعْتُهَا تَزَايَدَتْ مَدَدَا
مَا قُلْتُ وَاحِدَةً إِلاَّ وَ وَاحِدَةٌ   مِنْهَا تُقَابِلُنِي وَ لِي تَمُدُّ يَدَا
مِنْ قَبْلِ مِيلاَدِهِ مِنْهَا بَدَا عَجَبٌ   وَ بَعْدَهُ أَعْجَبُ العُجَابِ مِنْهُ بَدَا
قَدْ حَدَّثَتْ أُمُّهُ عَنْ حَمْلِهَا جُمَلاً   جَمِيلَةً أَجْمَلَتْهَا فِي الَّذِي وَرَدَا
وَ بَانَ فِي حَالِ وَضْعِهَا تَوَاضُعُهُ   للهِ حَيْثُ لَهُ بِحَالِهِ سَجَدَا
بِطَرْفِهِ رَافِعاً نَحْوَ السَّمَاءِ وَ فِي   ذَاكَ الإِشَارَةِ للهِ بِهِ انْفَرَدَا
وَ قَدْ تَدَلَّتْ لَهَا النُّجُومُ مِثْلَ مَصَا   بِيحَ اسْتَنَارَتْ بِهَا تُنَوِّرُ البَلَدَا
وَ قَدْ تَرَاءَتْ قُصُورُ قَيْصَرٍ بِسَنَا   أَنْوَارِهِ وَ رَآهَا قَوْمُهَا الشُّهَدَا
يَا لَيْلَةَ النُّورِ مَا أَسْنَاك فِي بَصَرٍ   لِذِي البَصِيرَةِ بَيْنَ كُلِّ مَنْ وُجِدَا
وَ قَدْ شَفَتْ قَوْمَهَا الشِّفَا بِمَا شَهِدَتْ   بِهِ وَ مَشْهَدُهَا لاَ يَحْمِلُ الفَنَدَا
قَالَتْ سَمِعْتُ لِأَمْلاَكٍ تُشَمِّتُهُ   لَمَّا اسْتَهَلَّ وَ لِلَّهِ العَلِي حَمِدَا
وَ سَاعَدَ السَّعْدُ ذَاتَ الحِلْمِ سَعْدِيَةْ   فَأَرْضَعَتْهُ فَفَازَتْ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ هْيَ الحَلِيمَةُ ذَاتُ السَّعْدِ بَيْنَهُمُ   حَلِيمَةٌ وَ لَهَا قَدْ سَاعَدَ الوَلَدَا
تَعَرَّفَتْ مَعَ زَوْجِهَا كَرَامَتَهُ   لَدَيْهِمَا وَ بِهِ قَدْ أَحْرَزُوا المَدَدَا
قَدْ أَخْصَبَ العَيْشُ بَيْنَ النَّاسِ عِنْدَهُمَا   وَ طَابَ وِرْدُهُمَا الَّذِي بِهِ وَرَدَا
فَشَبَّ عِنْدَهُمَا فِي حُسْنِ نَشْأَتِهِ   فِي مَوْضِعِ العِزِّ مَشْمُولاً بِخَيْرِ رِدَا
وَ كَمْ عَجَائِبَ قَدْ عُدَّتْ وَ مَا حُصِرَتْ   فِي لَيْلَةِ المَوْلِدِ الَّتِي بِهَا وُلِدَا
إِيوَانُ كِسْرَى قَدِ ارْتَجَّتْ دَعَائِمُهُ   وَ انْهَدَّ مِنْ شُرُفَاتٍ مِنْهُ عَدُّ يَدَا
وَ اغْتَاظَ فِي النَّاسِ مَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهُمْ   وَ سَاءَ سَاوَةَ لَمَّا مَاؤُهُمْ نَفِدَا
وَ نَارُ فَارِسَ أَنْفَاسٌ لَهَا خَمَدَتْ   وَ حَرُّهَا لَمْ يَكُنْ مُذْ أَحْقُبٍ خَمَدَا

كَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ نَارٌ هُنَاكَ وَ لَا   بُحَيْرَةٌ مَاؤُهَا جَرَى وَ لَا رَكَدَا
وَ كَانَ فِي أَهْلِ عَمِّهِ تَعُمُّهُمُ   بِهِ لَهُمْ بَرَكَاتٌ فِي عِشَا وَ غِدَا
فَإِنْ يَكُنْ مَعَهُمْ إِنْ يَأْكُلُوا شَبِعُوا   وَ إِنْ هُمُ انفَرَدُوا لَمْ يَشْبَعُوا أَبَدَا
وَ يَكْتَفِي بِالقَلِيلِ مِنْ طَعَامِهِمُ   وَ مَا اشْتَكَى الجُوعَ يَوْماً بَلْ لَهُ شكدا
إِنْ أَصْبَحُوا أَصْبَحُوا شُعْثاً وَ بَيْنَهُمُ   يُرَى صَقِيلاً دَهِيناً فِي الصَّبَاحِ غَدَا
وَ قُرْب مَوْلِدِهِ السَّمَاءُ قَدْ حُرِسَتْ   بِشُهْبِهَا وَ سَمَاعُ الجِنِّ قَدْ رُصِدَا
قَدْ شَبَّ فِي عِفَّةٍ دَامَتْ صِيَانَتُهَا   عَمَّا يَخِلُّ بِهَا مَا انْفَكَّ مُبْتَعِدَا
لَمْ يُرْضِهِ مَا عَلَيْهِ الجَاهِلِيَّةُ مِنْ   تَعْظِيمِ أَصْنَامِهِمْ وَ مَنْ لَهَا عبدا
وَ شَابَ فِي بَعْضِهَا بِمَا تَحَمَّلَهُ   خَوْفاً عَلَى الأُمَّةِ الَّتِي بِهَا وَجَدَا
أَحَبَّ أُمَّتَهُ فَقَامَ يُرْشِدُهَا   وَ خَيْرُ مَا الحِبُّ يُهْدِي لِلْحَبِيبِ هُدَى
مَا رِيءَ شَيْءٌ يُعَابُ مِنْهُ فِي عَلَنٍ   وَ إِنْ تَعَرَّى اخْتَفَى فَلَا يَرَى أَحَدَا
وَ قَالَ إِنِّي نُهِيتُ فِي مُشَاهَدَتِي   عَنِ التَّعَرِّي فَلَا يَلُومُنِي الشُّهَدَا
كَانَتْ تُظَلِّلُهُ الغَمَامُ أَيْنَ مَشَى   فِي الشَّمْسِ وَ الظِّلُّ مِنْهُ مَا عَلَيْهِ بَدَا
وَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ اسْتَظَلَّ فِي شَجَرٍ   فَأَيْنَعَتْ وَ رَآهَا مَنْ لَهُ شَهِدَا
وَ اعْشَوْشَبَ النَّبْتُ فِيمَا حَوْلَهَا وَ لَهُ انْسَاقَتْ وَ قَدْ تَابَعَتْ مَمْشَاهُ أَيْنَ غَدَا
وَ مَا عَلَى جِسْمِهِ الذُّبَابُ حَلَّ وَ لَمْ   يَنْزِلْ عَلَى ثَوْبِهِ إِنْ قَامَ أَوْ رَقَدَا
وَ كَانَ فِي قَوْمِهِ يُحِبُّ خَلْوَتَهُ   حَتَّى أَتَى الوَحْيُ وَ هْوَ بِالهُدَى انْفَرَدَا
و اللهُ أَعْلَمَهُ بِقُرْبِ مَوْتَتِهِ   مِنْ بَعْدِ مَا نَالَ كُلَّ مَا بِهِ وُعِدَا
وَ أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي المَدِينَةِ قَبْرُهُ وَ فِي بَيْتِهِ يَصِيرُ فِي السُّعَدَا
وَ اللهُ خَيَّرَهُ فِي أَنْ يَمُوتَ فَيَحْيَ رَاضِياً عَنْهُ أَوْ يَبْقَى لِغَيْرِ مَدَا
فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ رَبِّهِ فَمَاتَ وَ مَا   مَاتَ الَّذِي ذِكْرُهُ فِي الدَّهْرِ قَدْ خلدا
فَبَيْنَ مِنْبَرِهِ وَ قَبْرِهِ بَرَزَتْ   مِنْ جَنَّةٍ رَوْضَةٌ مَقَامُهَا صَعِدَا
وَ قَدْ تَوَفَّاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ   وَ زَادَهُ شَرَفاً مَا مِثْلُهُ عُهِدَا
وَ اسْتَأْذَنَ المَلَكُ الَّذِي أَتَاهُ عَلَى   أَنْ يَقْبِضَ الرُّوحَ مِنْهُ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ اللهُ صَلَّى بِلَا كَيْفٍ عَلَيْهِ وَ قَدْ   صَلَّتْ عَلَى جِسْمِهِ الأَمْلَاكُ فِي الشُّهَدَا

وَ الحَاضِرُونَ لَدَيْهِ كُلُّهُمْ سَمِعُوا   مِنَ المَلَائِكَةِ العِزَا كَمَا وَرَدَا
وَ قَوْلُهُمْ لَهُمُ اتْرُكُوا القَمِيصَ عَلَيْهِ وَ اغْسِلُوهُ بِهِ لِتُحْرِزُوا المَدَدَا
وَ صَحْبُهُ عَمَّتْهُمْ كَرَامَتُهُ   قَبْلَ الوَفَاةِ وَ بَعْدَهَا وَ لَا فَنَدَا
وَ كُلُّهُمْ شَمِلَتْهُمْ بَيْنَ غَيْرِهِمُ   مِنْ خَيْرِهِ بَرَكَاتُهُ بِخَيْرِ رِدَا
فَقَامَ مُسْتَسْقِياً بِعَمِّهِ عُمَرٌ   لِمَا لَهُ مِنْ عَظِيمِ السِّرِّ مِنْهُ بَدَا
وَفِي ذُرِيَّتِهِ نُورُ النُّبُوَّةِ فِي   جَبِينِ أَوْجُهِهِمْ قَدْ بَانَ مُتَّقِدَا
بِهِمْ تَبَرَّكَ غَيْرُ وَاحِدٍ فَحَوَى   مَا قَدْ نَوَى بِهِمُ وَ نَالَ خَيْرَ جَدَا
مِنِّي عَلَيْهِمْ سَلَامٌ نُورُهُ سَطَعَتْ   بِهِ العَوَالِمُ لَيْسَ يَنْقَضِي أَبَدَا

فصل

لِمُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ فِي الوُجُودِ صَدَا   قَدْ طَبَّقَ العَالَمَ الَّذِي بِهِ وُجِدَا
تَكْفِي الَّذِينَ اسْتَفَادُوا مِنْهُ وَاحِدَةٌ   مِنْهَا اسْتِنَارَةُ صَدْرِهِمْ بِنُورِ هُدَى
أَمَّا الجَحُودُ وَ إِنْ ضَاعَتْ دِيَانَتُهُ   فَمَا اسْتَفَادَ مِنَ الجُحُودِ غَيْرَ رَدَى
وَ قَدْ أَتَيْنَا بِبَعْضِ المُعْجِزَاتِ عَلَى   وفْقِ الَّذِي صَحَّ مِنْهَا عِنْدَنَا سَنَدَا
وَ البَعْضُ مِنْهَا نَرَاهُ جَاءَ مُشْتَهِراً   وَ فِيهِ لَمْ نَفِ بِالمَوْضُوعِ مجتهدا
وَلَمْ أَجِيءْ بِأَسَانِيدِ الَّتِي ذُكِرَتْ   هُنَا وَ تِعْدَادُهَا يُنَوِّرُ الخَلَدَا
وَ لَوْ أَطَلْنَا المَقَالَ هَا هُنَا لَأَتَتْ   مُجَلَّدَاتٌ بِهَا وَ لَمْ نَصِلْ لِمَدَا
وَ إِنْ يَكُ الأَنْبِيَا جَاءُوا بِوَاحِدَةٍ   فَمُعْجِزَاتُ النَّبِي لَا تَنْتَهِي عَدَدَا
وَ مُعْجِزَاتُ النَّبِيِّ قَدْ غَلَتْ وَ عَلَتْ   قَدْراً عَلَى غَيْرِهَا مِمَّا خَفَا وَ بَدَا
جَاءَتْ أَجَلَّ وَ أَجْلَى فِي مَظَاهِرِهَا   مِنْ غَيْرِهَا بِوُجُوهٍ نُورُهَا شُهِدَا
مِنْهَا تَكَاثُرُهَا بِحَيْثُ كَانَ لَهَا   كَمَالُ عَدٍّ بِهِ تُطَاوِلُ الأَبَدَا
لَمْ يُؤْتَ مِنْهَا نَبِي فِي الكَوْنِ مُعْجِزَةً   إِلَّا وَ عِنْدَ النَّبِيِّ مِثْلُهَا وُجِدَا
بَلْ نَالَ أَبْلَغَ مِنْهَا وَ هْيَ وَاضِحَةٌ   وَ مَنْ بِمِثْلِ القُرْآنِ مِنْهُمُ وَفَدَا
فَمَا لِمُعْجِزَةِ القُرْآنِ مِنْ شَبَهٍ   لِمَا عَلَيْهِ انْطَوَى وَ فِيهِ قَدْ حُشِدَا
وَ كُلُّهُ مُعْجِزٌ فِي ضِمْنِهِ عَدَدٌ   مِنْ مُعْجِزَاتٍ تَزِيدُ دَائِماً مَدَدَا
آيَاتُهُ انْتَظَمَتْ مِنْ دُرِّهَا سُوَرٌ   بَدِيعُ صُورَتِهَا بِحُسْنِهِ انْفَرَدَا

وَ إِنَّ وَاحِدَةً مِنْهَا لَمُعْجِزَةٌ   بِسِرِّهَا تُبْهِرُ الَّذِي لَهَا شَهِدَا
وَ مَا تَحَدَّى بِهِ النَّبِيُّ أَصْغَرُ سُو   رَةٍ كَكَوْثَرِهَا وَ هُوَ الَّذِي اعْتُمِدَا
فَفِيهِ مِنْ سُوَرٍ قَيْدٌ وَ مِنْ كَلِمٍ   سَبْعٌ وَ سَبْعُونَ أَلْفاً زِدْ لَهَا عَدَدَا
فَكَانَ مِنْهَا عَلَى مِقْدَارِ كَوْثَرِهَا   مَا فَوْقَ سَبْعَةِ آلافٍ لِمَنْ سَرَدَا
وَ كُلُّهَا مُعْجِزٌ فِي نَفْسِهِ وَ إِذَا اسْتَحْضَرْتَ مَا قَدْ مَضَى مِنْهَا تَنَلْ رَشَدَا
وَ ذَاكَ وَجْهَانِ مِنْ إِعْجَازِهِ وَ هُمَا   فِيهِ البَلَاغَةُ وَ النَّظْمُ الَّذِي مجدا
فَصَارَ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ مُجَزِّنِهَا   فِي اللَّفْظِ مُعْجِزَتَانِ لِلَّذِي اعْتَقَدَا
أَضِفْ لِذَلِكَ مِنْ إِعْجَازِهِ الخَبَرَ الَّذِي تَضَمَّنَهُ وَ لَيْسَ منتقدا
فَيَا لَهُ خَبَراً عَنِ الغُيُوبِ فَقَدْ   يَزِيدُ فِي سُورَةٍ تِعْدَادُهَا مَدَدَا
وَ قَدْ تَضَاعَفَتِ الأَعْدَادُ وَ انْقَسَمَتْ   لما تَحَقَّقَ مِنْ غَيْبٍ بِنَهْجِ هُدَى
وَ قَدْ تَعَاظَمَ قَدْرُهَا فَلَا أَحَدٌ   يُحِيطُ حَصْراً بِهَا لَوْ طَاوَلَ الأَبَدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ أَحَادِيثٍ مُضَمَّنُهَا   عَجِيبُ مُعْجِزَةٍ عَنِ النَّبِي وَرَدَا
وَ عَنْهُ أَخْبَارُهَا بَيْنَ الوَرَى انْتَشَرَتْ   وَ ذِكْرُهَا جَادِعٌ لِأَنْفِ مَنْ جَحَدَا
وَ وَجْهٌ آخَرَ مِنْهَا كَوْنُهَا اتَّضَحَتْ   وُضُوحَ شَمْسِ الضُّحَى وَ نُورُهَا اتَّقَدَا
جَاءَتْ وَ أُمَّتُهُ قَدْ فَاقَتِ الأُمَمَ الَّتِي مَضَتْ وَ عَنَتْ لِسِرِّهَا الشُّهَدَا
وَ مَا أَتَى الأَنْبِيَاءُ قَبْلَ بِعْثَتِهِ   لِقَوْمِهِمْ فَهْوَ مِنْهُ فِي الوُجُودِ بَدَا
فَأَبْطَلَ السِّحْرَ مُوسَى بَيْنَ أُمَّتِهِ   وَ لَمْ يَكُنْ سَاحِراً بِرَغْمِ مَنْ عندا
فَكَانَ إِبْطَالُهُ حِيناً لِسِحْرِهِمُ   مِمَّا بِهِ مَعَهُ قَدْ وَحَّدَ الأَحَدَا
وَ جَاءَ عِيسَى فَأَحْيَى بَيْنَ أُمَّتِهِ   مَنْ مَاتَ وَ هُوَ مِنَ السِّرِّ الَّذِي شُهِدَا
وَ مَا بِهِ جَاءَ فَاقَ مَا بِهِ اشْتَغَلُوا   وَ أَيْقَنُوا أَنَّ فِيهِ السِّرَّ وَ المَدَدَا
أَمَّا النَّبِي العَرَبِي وَ قَوْمُهُ الفُصَحَا   فَقَدْ سَبَاهُمْ بِمَا بِهِ لَهُمْ وَفَدَا
وَافَى بِأَبْهَجِ مِمَّا يَعْرِفُونَ وَ كُلُّهُمْ قَد اعْتَرَفُوا بِهِ كَمَا وَرَدَا
أَقْصَى مَعَارِفِهِمْ بَلَاغَةٌ وَ كَهَا   نَةٌ وَ شِعْرٌ وَ أَخْبَارٌ بِهَا عُمَدَا
وَ فَاقَهُمْ فِي الَّذِي وَافَى بِهِ بِأَسَا   لِيبَ ازْدَهَتْ وَ هْوَ بَيْنَهُمْ بِهَا انْفَرَدَا
فَقَدْ تَضَمَّنَ أَسْرَاراً وَ مَعْرِفَةً   وَ حِكْمَةً وَ عُلُوماً قَدْ عَلَتْ وَ هُدَى
بِهِ الكَهَانَةُ أُبْطِلَتْ وَ لَمْ يَكُ شَا   عِراً وَ لَا سَاحِراً وَ فِي العُلَى صَعِدَا

تَضَمَّنَ الخَبَرَ اليَقِينَ عَنْ أُمَمٍ   مَضَتْ وَ كُلُّ الَّذِي بِهِ أَتَى اعْتُمِدَا
وَ قَدْ تَضَمَّنَ مَا يُشْفِي القُلُوبَ وَ مَا   يُنْفِي الكُرُوبَ وَ يُهْدِي لِلوَرَى رَشَدَا
وَ كُلُّ جِيلٍ مِنَ الأَجْيَالِ فِيهِ لَهُ   أَجْلَى مَجَالِ اخْتِرَاعٍ لَيْسَ فِيهِ مَدَا
مِمَّا يُزِيلُ الغِطَاءَ عَنْ مَنَاقِبِهِ   وَ مِنْهُ نَيْلُ مُنَاهُمْ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
يَسْتَنْبِطُ الحُكَمَاءُ مِنْهُ حِكْمَتَهُمْ   وَ مِنْهُ يُؤْخَذُ مَا فِيهِ هُدَى وَجَدَا
مِمَّا بِهِ ازْدَادَ إِيمَانُ المُوَحِّدِ مَا   تَجَدَّدَ الدَّهْرُ بَيْنَ مَنْ بِهِ التَّحَدَا
يَبْدُو بِهِ الحَقُّ فِي أَجْلَى مَظَاهِرِهِ   وَ تَطْمَئِنُّ بِهِ ضَمَائِرُ السُّعَدَا
وَ لَا أُقِيمُ عَلَى مَا قُلْتُهُ حُجَجاً   فَإِنَّ بُرْهَانَهُ مِنْ نَفْسِهِ وُجِدَا
كَفَى المُعَانِدَ أَنْ يَعْنُو لَهُ عَلَناً   وَ إِنْ أَصَرَّ عَلَى جُحُودِهِ حَسَدَا
وَ بِالمُشَاهَدَةِ الإِذْعَانُ مَشْهَدُهُ   وَ لَا يُكَابِرُ فِيهَا غَيْرُ مَنْ طُرِدَا
أَبَعْدَ عَيْنِ اليَقِينِ مِنْ مُشَاهِدِهَا   يَرْضَى بِأَنْ يُنْكِرَ الحَقَّ الَّذِي شَهِدَا
وَ لَيْسَ يُنْكِرُ مَحْسُوساً سِوَى السُّفَهَا   فِي مَشْهَدٍ مَا بِهِ قَلْبُ العُيُونِ بَدَا
وَ مُعْجِزَاتُ جَمِيعِ الأَنْبِيَا انْقَرَضَتْ   بِمَوْتِهِمْ غيْر مَا مِنَ النَّبِي وَرَدَا
وَ مُعْجِزَاتُ النَّبِيِّ لَا انْقِرَاضَ لَهَا   لَا سِيَمَا الذِّكْرُ فَهْوَ طَاوَلَ الأَبَدَا
وَ قَدْ أَشَارَ لِهَذَا المُصْطَفَى بِحَدِيثٍ عِنْدَنَا صَحَّ بَيْنَ أَهْلِهِ سَنَدَا
فَقَالَ مَا مِنْ نَبِي إِلَّا وَ أُعْطِيَ مَا   عَلَيْهِ آمَنَ قَوْمٌ جَاءَهُمْ سُعَدَا
وَ مَا أَتَيْتُ بِهِ وَحْيٌ رَجَوْتُ بِهِ   أَكُونَ أَكْثَرَ أَتْبَاعاً لَدَيَّ غَدَا
وَ قَالَ قَوْمٌ ظُهُورُ مُعْجِزَاتِ نَبِيِّنَا عَلَى غَيْرِهَا بِمَا أَبَانَ هُدَى
وَ هْوَ القُرَانُ فَلَا تَخْبِيلَ فِيهِ وَ لَا   تَحَيُّلَ فِي مَلَإٍ عَلَيْهِ قَدْ شَهِدَا
فَلَيْسَ يُمْكِنُ فِيهِ مِنْ مُعَانِدِهِ   يَأْتِي بِمَا فِيهِ تَشْبِيهٌ بِهِ أَبَدَا
وَ إِنْ يُرِدْ ذُو احْتِيَالٍ أَنْ يُعَارِضَهُ   يُعَدُّ أُضْحُوكَةً فِي مَسْرَحِ الشُّهَدَا
وَ وَجْهٌ آخَرُ فِي الإِعْجَازِ صَرْفُهُمُ   عَنْ أَنْ يُوَافُوا بِمِثْلِهِ وَ هُمْ عُنُدَا
فَلَمْ يُوَافُوا بِهِ قَبْلَ التَّحَدِّي وَ لَا   مِنْ بَعْدِهِ وَ الزَّمَانُ فِيهِمَا اتَّحَدَا
فَتَرْكُ إِتْيَانِهِمْ بِهِ وَ هُمْ قَدِرُوا   عَلَيْهِ مِنْهُ عَظِيمُ المُعْجِزَاتِ بَدَا
رَضُوا بِتَقْرِيعِهِمْ وَ رَضْخِ أَنْفُسِهِمْ   وَ مَا أَتَوْا بِالَّذِي مِنْ حِزْبِهِمْ نَشَدَا
كَأَنَّهُمْ قَعَدُوا طَوْعاً وَ مَا سَمِعُوا   تَوْبِيخَهُمْ وَ بِهِ تَنَفَّسُوا الصُّعَدَا

أَلَمْ تَكُنْ عِنْدَهُمْ فِي القَوْلِ أَلْسِنَةٌ   أَحَدُّ مِنْ مُرْهَفَاتٍ تُقْطِعُ الكَبِدَا
أَلَمْ يَكُنْ نُطْقُهُمْ بِالقَوْلِ أَطْوَعُ مِنْ   بَنَانِهِمْ وَ بَيَانُهُمْ قَدِ اعْتُمِدَا
لَكِنَّ مُعْجِزَةَ القُرْآنِ قَدْ قَهَرَتْهُمْ وَ سِرُّ الإِلَهِ فِيهِمْ شُهِدَا
وَ كَانَ ذَلِكَ فِيهِ خَرْقُ عَادَتِهِمْ   وَ أَبْلَغُ المُعْجِزَاتِ مِنْهُ قَدْ وُجِدَا
فَلَمْ يُشَارِكْهُ ذُو فَنٍّ فَيُنْسَبَ فِيهِ لِانْتِحَالٍ بِهِ قَدْ فَاقَ مُجْتَهِدَا
وَ مَا تَأَتَّتْ مَزَايَا الكَائِنَاتِ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ مِثْلَمَا بِهَا النَّبِي انْفَرَدَا
مَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا اخْتَصَّتْ نُبُوَّتُهُ   بِهِ فَكَانَ بِهِ لِلأَنْبِيَا سَنَدَا
لِلْعُرْبِ جَاءَ بِمَا ذَاقُوا مَعَانِيَهُ   وَ طَابَ مَوْرِدُهُ لِمَنْ لَهُ وَرَدَا
وَ غَابَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ وَجْهُ ظُهُو   رِهَا عَلَى قَدْرِ مَا لِغَيْرِهِ شُهِدَا
فَاحْتَاجَ لِلْعُذْرِ فِيمَا قَالَهُ وَ أَتَى   بِمَا أَطَالَ بِهِ وَ عُدَّ مُنْتَقِدَا
فَقَالَ لِلعُرْبِ أَفْهَامٌ مُنَوَّرَةٌ   تَفُوقُ أَفْهَامَ غَيْرِهِمْ وَ هُمْ شَهِدَا
فَأَدْرَكُوا بِذَكَائِهِمْ وَ فِطْنَتِهِمْ   فِي النَّاسِ مُعْجِزَةَ القُرْآنِ وَ هْوَ هُدَى
وَ غَيْرُهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي مَكَانَتِهِمْ   فَصَدَّقُوا مِثْلَ فِرْعَوْنَ الَّذِي عَنَدَا
مَعْ أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى اعْتِقَادِهِمُ   بِأَنَّهُ مَاتَ مَصْلُوبًا وَ قَدْ ولَدَا
فَجَاءَهُمْ غَلَطٌ فِي فَهْمِ مُعْجِزَةِ الَّذِينَ جَاءُوا بِهَا مِنْ بَيْنِ مَنْ سَعِدَا
فَطَالَبُوا الأَنْبِيَا بِمَا عُقُولُهُمُ   قَضَتْهُ مِمَّا بِهِ عُدُّوا مِنَ البُلَدَا
وَاهًا عَلَى عَقْلِهِمْ وَ عَقْلِ مَنْ بِهِمُ   قَدِ اقْتَدَوْا فَغَدَوْا مِنْ جُمْلَةِ البُعَدَا
وَ العُرْبُ جُلُّهُمُ بِالحَقِّ مُعْتَرِفٌ   وَ بِالعِبَادَةِ كُلُّهُمْ لَهُ قَصَدَا
وَ مِنْهُمُ مَنْ لِحَقٍّ قَدْ تَوَصَّلَ بِالعَقْلِ الَّذِي عِنْدَهُ وَ قَدْ حَوَى رَشَدَا
وَ قَدْ رَأَوْا مَا أَتَى بِهِ النَّبِي حَسَنًا   حَقًّا وَ لَمْ يُجْفِهِ إِلَّا الَّذِي حَسَدَا
أَمَّا الَّذِينَ بِهِ قَدْ آمَنُوا وَ هُمُ   عُيُونُ أَعْيَانِهِمْ فَكُلُّهُمْ رُشَدَا
قَدْ أَدْرَكُوا المُعْجِزَاتِ وَ هْيَ صَادِقَةٌ   لَدَيْهِمُ وَ بِهَا صَارُوا مِنَ السُّعَدَا
فَصَدَّقُوهُ بِهَا وَ أَيَّدُوهُ فَهُمْ   أَنْصَارُهُ وَ بِهِ مَقَامُهُمْ صَعِدَا
وَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِهِ مُخَالِفَهُ   وَ جَاهَدُوا كُلَّ مَنْ فِي الكُفْرِ قَدْ قَعَدَا
وَ المُصْطَفَى بَيْنَهُمْ يَدْعُو الجَمِيعَ إِلَى   حَقٍّ وَ جَاءَ بِنُورٍ فِي الوُجُودِ بَدَا
وَ لَمْ يَزَلْ دَاعِيًا لَهُمْ وَ مُحْتَمِلًا   جَفَاءَ مَنْ مِنْهُمُ آذَاهُ مُتَّئِدَا

حَتَّى أَتَمَّ الإِلَـــهُ الدِّيـــنَ بَيْنَهُـــمُ   وَ امْتَـدَّ شَرْقاً وَ غَرْباً طِبْقَ مَا وُعِدَا
وَ جَاءَهُ الفَتْـحُ وَ هْـوَ فِي الوُجُودِ بِـهِ   مَشْرُوحَ صَدْرٍ وَ تَـمَّ مَا بِــهِ وَرَدَا
صَلَّى الإِلَـهُ عَلَيْهِ مَـا أَقَـامَ صَـلاَ   ةَ اللهِ فِي السِّرِّ وَ الجَهْرِ الَّذِي عَبَدَا
مَـعَ السَّـلَامِ الَّـذِي يَعُـمُّ سَائِـرَ أَتْبَـاعٍ لَـهُ دُونَ تَخْصِيصٍ لِغَيْرِ مَدَا

انتهى النصف الأول من
(مورد الصفا في محاذاة الشفا)
لخديم الحضرة المحمدية عليها السلام
عبد ربه **أحمد سكيرج** بمدينة سطات بالشاوية
يوم الأربعاء سابع و عشري المحرم الحرام عـــام
تسعـــة و أربعيـــن و ثلاثمائـــة و ألـــــف .

و الـحمـد لله وحـده.

بسم الله الرحمان الرحيم   و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم

((مورد الصفا في محاذاة الشفا))

القسم الثاني

فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام

لِلْمُصْطَفَى وَجَبَتْ عَلَى الأَنَامِ حُقُو   قٌ يَنْبَغِي عِلْمُهَا لِمَنْ حَوَى رَشَدَا
تَضَمَّنَتْهَا مِنَ الأَبْوَابِ أَرْبَعَةٌ   تَلْخِيصُ مَا جَاءَ فِيهَا هَا هُنَا اعتمَدَا

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته
و اتباع سنته صلى الله عليه وسلم

لَقَدْ تَقَرَّرَ مِمَّا قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ   المُصْطَفَى مُرْسَلٌ حَقّاً نَبِيُّ هُدَى
وَ أَنَّ تَصْدِيقَهُ فَرْضٌ عَلَى العُقَلاَ   كَمَا بِذَاكَ صَحِيحُ الأَمْرِ قَدْ وَرَدَا
كَمْ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْهِ آمِرَةٌ   بِهِ وَ كَمْ مِنْ حَدِيثٍ قَدْ عَلاَ سَنَدَا
بِهِ تَعَيَّنَ إِيمَانُ العِبَادِ عَلَى   مَنْ رَامَ حُسْنَ عِبَادَةٍ بِهَا سَعِدَا
فَلَيْسَ يَسْلَمُ إِلاَّ مُومِنٌ كَمُلَ الإِسْلاَمُ مِنْهُ بِهَذَا بَيَّنَ مَنْ رَشِدَا
فَيَشْهَدُ اللهَ بِالإِخْلاَصِ مُعْتَرِفاً   لَهُ بِحُسْنِ شَهَادَةٍ بِهَا شَهِدَا
مُؤَيِّداً ذَاكَ بِالنُّصْحِ الصَّرِيحِ لَهُ   وَ بِالشَّهَادَةِ لِلنَّبِيِّ فِي الشُّهَدَا
وَ لاَ كَمَالَ لِإِيمَانٍ بِغَيْرِ شَهَادَةٍ بِتَصْدِيقِهِ فِيمَا بِهِ وَفَدَا
أَمَّا النِّفَاقُ فَنُطْقٌ بِالشَّهَادَةِ فِي   شَهَادَةٍ بِخِلاَفِ مَا قَد اعْتُقِدَا
وَ أَنَّ أَهْلَ النِّفَاقِ لاَ نَجَاةَ لَهُمْ   وَ إِنْ هُمُ حسبوا فِي ظَاهِرٍ سَدَدَا
فَهُمْ بِدُنْيَاهُمُ عَلَيْهِمُ انْسَحَبَتْ   أَحْكَامُهُمْ وَ بِأُخْرَى جَمْعُهُمْ طُرِدَا
فَهُمْ بِظَاهِرِهِمْ فِي المُسْلِمِينَ غَدُوا   وَ هُمْ بِبَاطِنِهِمْ لَنْ يُحْرِزُوا رَشَدَا
وَ اللهُ يَعْلَمُ مَا قَدْ أَضْمَرُوهُ لَهُ   وَ اللهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ هُمُ البُعَدَا
وَلَيْسَ فِي الشَّرْعِ بَحْثٌ عَنْ سَرَائِرِهِمْ   بَلْ عَنْهُ حَقّاً نُهِينَا طِبْقَ مَا وَرَدَا

فَالمُسْلِمُ المُومِنُ الَّذِي يُطَابِقُ مَا   قَدْ قَالَهُ مِنْ شَهَادَةٍ بِهَا شَهِدَا
وَ لِلْمُنَافِقِ نطق بِالشَّهَادَةِ مِنْ   غَيْرِ اعْتِقَادٍ لِمَعْنَاهَا كَمَنْ جَحَدَا
وَ مَنْ تَوَانَى بِنُطْقٍ عَنْ شَهَادَتِهِ   مَعَ اعْتِقَادٍ فَعَاصٍ عِنْدَ أَهْلِ هُدَى
وَقِيلَ لَيْسَ بِمُومِنٍ وَ صَحَّحَهُ   مُؤَلِّفُ الأَصْلِ وَ هْوَ قَوْلُهُ اعتمدَا
وَ غَيْرُ عَاصٍ إِذَا أَتَتْهُ مَوْتَتُهُ   عَنْ بَغْتَةٍ قَبْلَ نطْقِهِ بِمَا اعْتَقَدَا
وَ لَنْ يُخَلَّدَ شَخْصٌ فِي العَذَابِ لَهُ   مِقْدَارُ ذَرَّةِ إِيمَانٍ بِهَا سَعِدَا
فَالنَّقْصُ وَ الزيدُ فِي الإِسْلَامِ معتبرٌ   أَوْلَا وَ هَلْ ذَاكَ فِي الإِيمَانِ قَدْ وُجِدَا
أَوْ ذَاكَ معتبرٌ بِمُقْتَضَى عَمَلٍ   أَوْ مِنْ تَبَايُنِ حَالٍ فِي الَّذِي عهدَا
وَ هَذِهِ نُبَذٌ تُفْضِي لِمتسعٍ   مِنَ الكَلَامِ وَ عَنْهُ مَا بَسَطْتُ يَدَا
وَ فِي الَّذِي قُلْتُهُ كِفَايَةٌ وَ بِهَا   أَرْجُو بُلُوغَ الأَمَانِي هَاهُنَا وَ غَدَا

فصل

في وجوب طاعته صلى الله عليه و سلم

تَصْدِيقُ خَيْرِ الأَنَامِ وَاجِبٌ وَ لِذَا   تحقُّ طَاعَتُهُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ اللهُ قَدْ أَمَرَ الَّذِينَ جَاءَهُمُ   بِهَا وَ مَا بَلَغُوا بِتَرْكِهَا رَشَدَا
فَلَيْسَ طَاعَتُهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ   وَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهَا خَلْقَهُ وَعَدَا
وَ بِالعِقَابِ العَظِيمِ مِنْهُ أَوْعَدَ مَنْ   فِي الخَلْقِ خَالَفَهُ أَوْ سَاءَ معتقدَا
و انَّ طَاعَتَهُ الْتِزَامُ سُنَّتِهِ   وَ الإِنْقِيَادُ لِكُلِّ مَا بِهِ وَرَدَا
كَذَاكَ كُلُّ رَسُولٍ فَرْضُ طَاعَتِهِ   حَقٌّ وَ نَحْنُ عَلَى أَقْوَالِهِمْ شُهَدَا
وَ مَا بِهِ قَدْ أَتَى الرَّسُولُ فَهْوَ مُرَا   دُ الشَّرْعِ بِالشَّرْعِ عِنْدَ مَنْ بِهِ شَهِدَا
وَ طَاعَةُ المُصْطَفَى فِي طَاعَةِ الأُمَرَا   وَ مَنْ عَصَاهُمْ فَقَدْ عَصَى الَّذِي عبدَا
مَا لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُمْ لَهُ بِمَعْصِيَةٍ   فَتَرْكُ طَاعَتِهِمْ فِي فِعْلِهَا حُمِدَا
مَا طَاعَةُ الأُمَرَا إِلاَّ بِطَاعَتِهِ   وَ مَنْ يَحِدْ عَنْ سَبِيلِ المُصْطَفَى طُرِدَا
فَأَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ لِمُمْتَثِلٍ   وَ نَهْيُهُ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ لِخَوْفِ رَدَى

لِذَاكَ قَالَ اتْرُكُوا مَا قَدْ نَهَيْتُكُمُ   عَنْهُ فَلاَ خَيْرَ فِيهِ عِنْدَ مَنْ سَعِدَا
وَ كُلُّ أُمَّتِهِ إِلَى الجِنَانِ دُعُوا   لِيَدْخُلُوهَا وَ هُمْ بِالمُصْطَفَى سُعِدَا
مَا مِنْهُمُ أَحَدٌ إِلاَّ وَيَدْخُلُهَا   إِلاَّ الَّذِي قَدْ أَبَى وَ مَنْ لَهُ عَنَدَا
وَ قَالَ خَيْرُ الوَرَى يَحُضُّ أُمَّتَهُ   بِحَقِّ طَاعَتِهِ لِيُحْرِزُوا رَشَدَا
إِنِّي كَمَنْ جَاءَ قَوْمَهُ فَأَخْبَرَهُمْ   بِمَا رَآهُ وَ سَارَ مُكْثِراً لِنِدَا
يَا قَوْمِ إِنِّي أَنَا نَذِيرُكُمْ فَلَقَدْ   رَأَيْتُ جَيْش عَدُوِّكُمْ لَكُمْ قَصَدَا
وَ هَا أَنَا المُنْذِرُ العُرْيَانُ جِئْتُكُمُ   فَبَادِرُوا لِلنَّجَاةِ قَبْلَ أَنْ يَفِدَا
فَمَنْ لَهُ اسْتَمَعُوا نَجُوا بِأَجْمَعِهِمْ   وَمَنْ **لَهُ** كَذَّبُوا صَارُوا بِهِ بُدَدَا
فَذَاكَ مِثْلُ الَّذِي أَطَاعَنِي فَأَنَا   نَذِيرُكُمْ فَاقْتَدُوا بِي فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ قَالَ إِنِّي كَمَنْ دَعَا لِمَأْدُبَةٍ   بِدَارِهِ صُنِعَتْ لِمَنْ لَهَا وَرَدَا
فَكُلُّ مَنْ جَاءَهَا يَلْقَى مُنَاهُ بِهَا   وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا كَانَ مضطهدا
فَالدَّارُ دَارُ النَّعِيمِ وَ النَّبِيُّ لَهَا   دَعَا وَ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ لَمْ يَنَلْ مَدَدَا
فَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ الفَرْقُ بَيْنَ ذَوِي الإِيمَانِ وَ الكُفْرِ فِي الوُجُودِ قَدْ وجدَا
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِ مَا اسْتَنَارَ بِهِ   مَنَارُ نَهْجِ الهُدَى لِقَوْمِهِ السُّعَدَا
مَعَ السَّلاَمِ عَلَيْهِ وَ السَّلاَمُ عَلَى   آلٍ وَ صَحْبٍ وَ مَنْ قد اهْتَدَى وَ هَدَى

فصل

في وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم

و امتثال سنته و الإقتداء بهديه

اللهُ أَوْجَبَ الإِقْتِدَا بِهَدْيِ رَسُو   لِهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ لِلْوَرَى بِهُدَى
فَقَالَ لِلْمُصْطَفَى قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنْ   كُنْتُمْ تُحِبُّونَ رَبِّي فَاتْرُكُوا اللَّدَدَا
وَ لْتَقْتَدُوا بِيَ يُحْبِبْكُمْ وَ يغْفِرُ مَا   جَنَيْتُمُ مِنْ ذُنُوبٍ فَاقَتِ العَدَدَا
فَبَلَّغَ المُصْطَفَى قَوْلَ الإِلَهِ لَهُمْ   فَكَادَ يَنْشَقُّ صَدْرُ مَنْ لَهُ جَحَدَا
وَ قَالَ سُبْحَانَهُ مُخَاطِباً لَهُمُ   فَآمِنُوا فَمَنِ اقْتَدَى بِهِ سَعِدَا

وَ قَالَ لاَ يُؤمِنُونَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى يَذْعَنُوا لَكَ فِيمَا قَدْ خَفَى وَ بَدَا
وَ قَالَ لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنْهُ لَقَدْ   كَانَ لَكُمْ فِي الرَّسُولِ إِسوَةٌ وَجَدَا
وَ الحُبُّ لِلْعَبْدِ مِنْ مَوْلاَهُ عِصْمَتُهُ   لَهُ وَ تَوْفِيقُهُ لِفِعْلِ مَا حُمِدَا
وَ حُبُّهُ لِلإِلَهِ حُسْنُ طَاعَتِهِ   لَهُ وَ قَدْ قِيلَ فِيهِ مَا هُنَا عقدَا
تُعْصِي الإِلَهَ وَ أَنْتَ فِي مَحَبَّتِهِ   قد ادَّعَيْتَ مَقَاماً فِي العُلاَ صَعِدَا
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَكُنْتَ بِلاَ   شَكٍّ مُطِيعاً لَهُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ فِي حَدِيثِ الرِّضَى العِرْبَاضِ مَوْعِظَةٌ   بِهَا بَكَى الصَّحْبُ عِنْدَهَا كَمَا وَرَدَا
فِي ضِمْنِهَا الحَثُّ مِنْ خَيْرِ الوَرَى لَهُمُ   عَلَى القِيَامِ بِسُنَّةٍ بِهَا وَفَدَا
مُحَذِّراً لَهُمْ مِنْ كُلِّ مُحْدَثَةٍ   لِأَنَّ أَصْحَابَهَا تُفْضِي بِهِمْ لِرَدَى
وَ قَدْ نَهَى المُصْطَفَى عَنْ تَرْكِ سُنَّتِهِ   مَعَ الوقُوفِ مَعَ القُرْآنِ فِي الرُّشَدَا
بِحَيْثُ لاَ عَمَلُ إِلاَّ بِهِ وَ لَوَ أَنَّ   سُنَّةَ المُصْطَفَى قَدْ صُحِّحَتْ سَنَدَا
مَعْ أَنَّهَا مِثْلَهُ فِي الإِتِّبَاعِ سَوَاً   إِلاَّ إِذَا عُوِّضَتْ بِمُحْكَمٍ مجدَا
فَقَالَ لاَ أُلِفِيَنَّ الشَّخْصَ مُتَّكِناً   عَلَى أَرِيكَتِهِ لِلرَّأْيِ مُعْتَمِدَا
يَأْتِيهِ أَمْرِي أَوْ نَهْيِيِّ فَيُعْرِضَ عَنْهُ وَ هْوَ فِي زَعْمِهِ عَلَى الهُدَى اسْتَنَدَا
يَقُولُ لَسْتُ لِغَيْرِ الذِّكْرِ مُتَّبِعاً   وَ لاَ يَقُولُ بِمَا فِي غَيْرِهِ وُجِدَا
وَ قَالَ مَا بَالُ قَوْمٍ فِي تَنَزُّهِهِمْ   عَمَّا صَنَعْتُ وَ فِعْلِي كُلُّهُ حُمِدَا
وَ اللهِ إِنِّي لَأَتْقَاهُمْ وَ أَعْلَمُهُمْ   بِاللهِ فَلْتَقْتَدُوا بِي تُحْرِزُوا الرَّشَدَا
وَ قَالَ مَنْ بِحَدِيثِي قَدْ تَمَسَّكَ جَاءَ وَهْوَ مَعاً مَعَ القُرْآنِ مُقْتَصِدَا
وَ مَنْ تَهَاوَنَ يَوْماً بِالحَدِيثِ وَ بِالقُرْآنِ يَتْبَعُهُ الخُسْرَانُ أَيْنَ غَدَا
أَمَرْتُ سَائِرَ أُمَّتِي بِأَخْذِهِمُ   بِسُنَّتِي وَ اتِّبَاعِي فِي طَرِيقِ هُدَى
مَن اقْتَدَى بِي غَدَا مِنِّي وَ كَانَ مَعِي   وَ مَنْ تَبَاعَدَ عِنْدَ سُنَّتِي طُرِدَا
وَ قَالَ خَيْرُ الهُدَى هَدْيِيِّ وَ شَرُّ أُمُورِ النَّاسِ مُحْدَثَةٌ لَمْ أَرضَهَا أَبَدَا
وَ قَالَ خَيْرُ الأَنَامِ العِلْمُ مُنْقَسِمٌ   عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ كَمَا وَرَدَا

وَ غَيْرُهَا لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِ آخِرَةٍ   لِكَوْنِهِ زَائِداً عَنْ منتجٍ رشَدَا
فَرِيضَةٌ لَمْ تَزَلْ فِي الخَلْقِ عَادِلَةً   فِي الإِرْثِ وَ الحُكْمِ قَدْ سَرَتْ مَن اجْتَهَدَا
و آيَةٌ لَمْ تَزَلْ بِالحَقِّ مُحْكَمَةٌ   لاَ نَسْخَ فِيهَا وَ فِيهَا النُّورُ قَدْ وقَدَا
وَ سُنَّةٌ لَمْ تَزَلْ بِالصِّدْقِ قَائِمَةً   قَد اسْتَمَرَّتْ تُزِيحُ الهَمَّ وَ الكَمَدَا
وَ جَاءَ فِي السُّنَّةِ القَلِيلُ مِنْ عَمَلٍ   خَيْرٌ مِنَ المُحْدَثِ الكَثِيرِ لِلرُّشَدَا
وَ اللهُ يُدْخِلُ عَبْدَهُ الجِنَانَ بِأَخْذِهِ بِسُنَّةِ خَيْرِ مُرْسَلٍ وَرَدَا
وَ مَنْ يَقُومُ لَدَى فَسَادِ أُمَّتِهِ   بِهَا لَهُ أَجْرُ عَدِّ القَافِ من شهدَا
وَ فِي الحَدِيثِ أَتَى افْتِرَاقُ أُمَّتِهِ   إِلَى ثَلاَثٍ وَ سَبْعِينَ انْتَهَى عَدَدَا
وَ لَيْسَ مِنْهَا بِنَاجٍ غَيْرُ وَاحِدَةٍ   وَ هُمْ ذَوُوا السُّنَّةِ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
وَ جَاءَ أَنَّ الَّذِي أَشَاعَ سُنَّتَهُ   يَكُونُ مَعْهُ وَ يَحْضَى بِالَّذِي قَصَدَا
وَ مَنْ لِسُنَّتِهِ أَحْيَى فَإِنَّ لَهُ   ثَوَابُ مَنْ عَمِلُوا بِهَا بِنَهْجٍ هُدَى
فَاللهُ يَجْعَلُنَا مِنْ أَهْلِ سُنَّتِهِ   وَ أَنْ يَكُونَ لَنَا فِيمَا خَفَا وَ بَدَا

فصل

فيما ورد عن السلف و الأئمة مناتباع سنته و الاقتداء بهديه و سيرته صلى الله عليه و سلم

عَنِ الرِّضَى ابْنِ الخَلِيفَةِ الرِّضَى عُمَرٍ   قَوْلٌ أَجَابَ بِهِ شَخْصاً لَهُ قَصَدَا
فَقَالَ نَفْعَلُ مَا النَّبِيُّ يَفْعَلُهُ   فِينَا وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الذِّكْرِ قَدْ وَرَدَا
بِفِعْلِهِ نَقْتَدِي فِي قَصْرِنَا لِصَلاَتِنَا لِنَيْلِ صِلاَتٍ تُذْهِبُ النَّكَدَا
بَلْ كُفْرُهُ عِنْدَهُ بِتَرْكِ سُنَّةِ خَيْرِ الخَلْقِ لاَشَكَّ فِيهِ وِفْقَ مَا اعتقَدَا
وَ رِيءَ فِي مَوْضِعٍ يُدِيرُ نَاقَتَهُ   وَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عَلَيْهِ مُنْتَقِدَا
وَ قَالَ لَمْ أَدْرِ سِرَّ مَا فَعَلْتُ سِوَى أَنِّي   رَأَيْتُ النَّبِيَّ مِثْلَ ذَا قَصَدَا
فَعَلْتُهُ مِثْلَ مَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُهُ   وَ فِعْلُهُ كُلُّهُ وَ اللهِ قَدْ حُمِدَا
وَ لِابْنِ عَبْدِ العَزِيزِ سَيِّدِي عُمَرٍ   قَوْلٌ نَفِيسٌ يَفُوقُ الدُّرَّ مُنْتَضِدَا

فَقَالَ سَنَّ لَنَا خَيْرُ الوَرَى سُنَنَاً   وَ سَنَّهَا بَعْدَهُ أَصْحَابُهُ الرُّشَدَا
وَ الأَخْذُ مِنْهَا بِهَا كَأَخْذِنَا بِكِتَا   بِ اللهِ سِرّاً وَ جَهْراً فِي طَرِيقِ هُدَى
مَا جَازَ تَبْدِيلُهَا بِغَيْرِهَا لِهَوَى   وَ لَيْسَ تَغْيِيرُهَا بِسَائِغٍ أَبَدَا
وَ المُقْتَدِي بِسَنَاهَا مُهْتَدٍ وَ مَنِ اسْـ   ـتَعَانَ مِنَّا بِهَا يُنْصَرْ عَلَى البُعَدَا
وَ مَا لَنَا نَظَرٌ فِي رَأْيِ مُبْتَدِعٍ   يُخَالِفُ السُّنَّةَ الَّتِي عَلَتْ سَنَدَا
فَالِاعْتِصَامُ بِهَا بَيْنَ الأَنَامِ نَجَا   ةٌ وَ هِيَ كَهْفٌ لِمَنْ لَهَا قَدْ أعتمدا
وَفِي لُصُوصٍ بِحِمْصٍ قَدْ أَجَابَ أَمِيـ   ـرُهُ لَتَأْخُذَنَّهُمْ بِسُنَّةٍ تَسُدَا
لاَ أَصْلَحَ اللهُ قَوْماً لَيْسَ يُصْلِحُهُمْ   فِي الأَرْضِ حَقٌّ وَ لاَزَالُوا هُمُ البُعَدَا
وَوَزَّعَ الكُتُبَ فِي عُمَّالِهِ عُمَرُ   أَمْراً بِتَعْلِيمِ سُنَّةٍ لِأَهْلِ هُدَى
وَ بِالتَّعَلُّمِ جَبْراً لِلْفَرَائِضِ مَعْ   تَعَلُّمِ النَّحْوِ لِلَّذِي ابْتَغَى رَشَدَا
حِرْصاً عَلَى حِفْظِ سُنَّةٍ وَ حِفْظِ قِوَى   قَوَاعِدِ الدِّينِ كَيْ تَبْقَى لِغَيْرِ مَدَى
وَ قَالَ إِنَّ أُنَاساً بِالكِتَابِ هُمُ   يُجَادِلُونَكُمُ لِيُكْثِرُوا اللَّدَدَا
فَلْتَأْخُذُوهُمْ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ فَإِ   نَّ أَصْحَابَهَا أَدْرَى بِمَا وَرَدَا
وَ قَالَ لَمَّا أَتَى الطَّوَافَ لِلْحَجَرِ الْـ   ـكَرِيمِ لاَ ضَرَّ لاَ نَفْعَ لَدَيْكَ غَدَا
لَوْ لَمْ أَرَا المُصْطَفَى مُقَبِّلاً لَكَ مَا   قَبَّلْتُ وَجْهَكَ مِنْ بَيْنِ الوَرَى أَبَدَا
وَ قَالَ إِنِّيَ أَصْنَعُ الَّذِي صَنَعَ النَّـ   ـبِيُّ لَمَّا بِذِي حُلَيْفَةٍ سَجَدَا
وَ قَالَ سَيِّدُنَا عَلِي لِسَيِّدِنَا   عُثْمَانَ لَسْتُ أَرَى مَعْ سُنَّةٍ أَحَدَا
وَلَمْ أَكُنْ بِنَبِي يُوحَى إِلَيَّ وَ لَـ   ـكِنِّي بِمَا عَمِلَ النَّبِي مَدَدْتُ يَدَا
إِنِّي بِسُنَّتِهِ وَ بِالكِتَابِ مَعاً   بَيْنَ الوَرَى لَهُمَا لاَزِلْتُ مُعْتَمِدَا
وَ عَنْ أُبَيٍّ عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَ بِاتِّـ   ـبَاعِ سُنَّةِ خَيْرِ الخَلْقِ وَ الرُّشَدَا
فَإِنَّهُ مَا عَلَى الأَرْضِ امْرُؤٌ تَبِعَ الْـ   ـمَوْلَى فَعَذَّبَهُ مَوْلَى الوَرَى أَبَدَا
عَنْهُ تَحَاتَتْ خَطَايَاهُ إِذَا ذَكَرَ الْـ   ـمَوْلَى وَ أَحْرَزَ فِي الدَّارَيْنِ مَا قَصَدَا
فَلْتَنْظُرُوا دَائِماً أَعْمَالَكُمْ لِتُرَى   مِنْكُمْ عَلَى نَهْجِ خَيْرِ الخَلْقِ فِي السُّعَدَا

فَفِي اقْتِصَادِ الفَتَى فِي سُنَّةٍ عَمَلاً   خَيْرٌ لَهُ أَنْ يُرَى فِي البِدْعَةِ اجْتَهَدَا
وَ عَنْ عَطَاءٍ لَدَى قَوْلِ الإِلَهِ فَرُ   دُّوهُ إِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ فِي الشُّهَدَا
رُدُّوا إِلَى الشَّرْعِ وَ الكِتَابِ ذَاكَ وَلاَ   تَعْدُوا مَقَالَهُمَا إِنْ رُمْتُمُ الرَّشَدَا
وَ الشَّافِعِي قَالَ لَيْسَ فِي الشَّرِيعَةِ غَيْرُ قَفْوُ سُنَّةِ مَنْ غَدَا لَنَا سَنَدَا
وَ مَا يُخَالِفُ سُنَّةَ النَّبِيِّ فَلاَ   يَكُونُ شَرْعاً لَهُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ قَالَ ذُو الأَدَبِ الحِيرِيُّ صُحْبَةُ خَيْرِ الخَلْقِ بِالسُّنَّةِ الَّتِي بِهَا وَ فَدَا
فَمَنْ عَلَى نَفْسِهِ فِي النَّاسِ أَمَّرَ سُنَّةَ النَّبِيِّ يَنَلْ مِنْ أَمْرِهِ رَشَدَا
وَ النُّسْتَرِيُّ يَرَى أُصُولَ مَذْهَبِهِمْ   ثَلاَثَةٌ وَ هْيَ مِمَّا نَوَّرَ الخَلَدَا
إِلاقْتِدَاءُ بِخَيْرِ الخَلْقِ وَ هْوَ أَهَمُّهَا وَ أَعْظَمُهَا لِمَنْ يُرِيدُ هُدَى
وَ أَكْلُهُ لِلحَلاَلِ ثُمَّ ثَالِثُهَا   الإِخْلاَصُ فِي النِّيَّةِ الَّتِي بِهَا عَبَدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ فِي تَفْسِيرِ صَالِحِ أَعْمَالِ الفَتَى الإِقْتِدَا بِسُنَّةِ الرُّشَدَا
فَكُلُّ مَا سَنَّهُ الرَّسُولُ سُنَّتُهُمْ   وَ غَيْرُهَا البِدْعَةُ الَّتِي رَمَتْ لِرَدَى
وَ عَنْ سَمِيِّ الرِّضَى ابْنِ حَنْبَلٍ حُكِيَتْ   رُؤْيَا بِهَا كَمُلَتْ بُشْرَاهُ فِي السُّعَدَا
وَ كَانَ قَدْ دَخَلَ الحَمَّامَ مُؤْتَزِراً   وَ اسْتَعْمَلَ السُّنَّةَ الَّتِي بِهَا رَشِدَا
وَ بَعْدَ ذَاكَ رَأَى شَخْصاً يُخَاطِبُهُ   يَقُولُ يَا أَحْمَدُ أَبْشِرْ بِنَيْلِ جَدَا
فَإِنَّ كُلَّ الذُّنُوبِ مِنْكَ قَدْ غُفِرَتْ   بِفِعْلِكَ السُّنَّةَ الَّتِي نَفَتْ كَمَدَا
فَقَالَ مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا فَقَالَ أَنَا   جِبْرِيلُ جِئْتُكَ بِالبُشْرَى بِرَغْمِ عِدَا
فَكَانَ هَذَا لَهُ بِالإِقْتِدَاءِ بِهَا   وَ كَانَ قُدْوَةَ خَيْرٍ فَاهْتَدَى وَ هَدَى

فصل

في التحذير من مخالفته صلى الله عليه و سلم

تَغْيِيرُ سُنَّةَ خَيْرِ العَالَمِينَ وَتَرْ   كُهَا ضَلاَلٌ وَ بِدْعَةٌ لَدَى الرُّشَدَا
وَ مَنْ يُشَاقِقْ رَسُولَ اللهِ بَعْدَ بَيَا   نِ الحَقِّ يَصْلَى بِنَارٍ حَرُّهَا اتَّقَدَا
وَ اللهُ حَذَّرَ مَنْ قَدْ خَالَفُوهُ بِأَنْ   تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ طِبْقَ الَّذِي وَعَدَا

وَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةٍ خَرَجَ النَّبِي لِمَقْبَرَةٍ تَضَمَّنَتْ شُهَدَا
وَ قَالَ فِي وَصْفِ أُمَّةٍ لَهُ كَرُمَتْ   فَإِنَّهُمْ يَرِدُونَ الحَوْضَ بَعْدَ صَدَا
وَعِنْدَ مَوْرِدِهِ يُذَادُ بَعْضُهُمُ   كَمَا يُذَادُ البَعِيرُ الضَّالُ مُذْ شَرَدَا
وَ عِنْدَهُ سَيُنَادِيهِمْ هَلُمَّ هَلُمَّ هَا أَنَا ذَا وَ هَا حَوْضِي رِدُوا المَدَدَا
فَعِنْدَ ذَاكَ يُقَالُ دَعْهُمُ فَهُمُ   قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ الهَدْيَ بِنَهْجِ رَدَى
فَيَنْثَنِي قَائِلاً سُحْقاً لَهُمْ وَ هُمُ   قَدْ خَالَفُوهُ وَ صَارُوا بَعْدَهُ بُدَدَا
وَ قَالَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَنْ رَغِبَتْ   عَنْ سُنَّتِي نَفْسُهُ فَلَسْتُ مِنْهُ غَدَا
وَ قَالَ مَنْ أَحْدَثُوا فِي أَمْرِنَا حَدَثاً   فَلَيْسَ يُقْبَلُ مِنْهُمْ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ قَالَ لَا أَلْفِيَنْ شَخْصاً بِلَا أَدَبٍ   لَمْ يَرْضَ بِالأَمْرِ مِنِّي وَ هْوَ لِي شَهِدَا
فَمَا أُحَرِّمُ إِلاَّ مَا يُحَرِّمُهَا اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الكِتَابَ فِيهِ هُدَى
وَ قَالَ مِنْ بَعْدِمَا قَدْ جِيءَ فِي كُتُبٍ   لَهُ وَ فِيهِ مِنَ الكَلَامِ مَا انتقَدَا
كَفَى بِقَوْمٍ ضَلَالاً كَوْنُهُمْ رَغِبُوا   عَمَّنْ أَتَاهُمْ بِحَقٍّ نُورُهُ وَقَدَا
وَ أَنْزَلَ اللهُ فِي هَذِي القَضِيَّةِ مَا   يُتْلَى عَلَيْهِمْ وَ فِيهِ بَيَّنَ الرَّشَدَا
وَ قَالَ فِي المُتَنَطِّعِينَ أَنَّهُمُ   بَيْنَ الوَرَى هَلَكُوا وَ أَصْبَحُوا بُعَدَا
وَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الرِّضَى بَدِيعُ مَقَا   لٍ مُعْرِبٍ عَنْ مَقَامِهِ الَّذِي صَعِدَا
يَقُولُ لَسْتُ بِتَارِكٍ لِسُنَّةِ خَيْرِ الخَلْقِ مَا عِشْتُ مَجْمُوعاً وَ مُنْفَرِدَا
فَلَسْتُ أَتْرُكُ شَيْئاً كَانَ يَفْعَلُهُ   إِلاَّ عَمِلْتُ بِهِ وَ لَسْتُ مُنْتَقِدَا
إِنِّي لَأَخْشَى إِذَا تَرَكْتُ ذَلِكَ أَنْ   أَزِيغَ عَنْ مَنْهَجِ الحَقِّ الَّذِي حَمِدَا
هَذِي مَقَالَتُهُ وَ هْوَ الخَلِيفَةُ مِنْ   بَعْدِ النَّبِيِّ وَ قَدْ وَفَى بِمَا وَعَدَا
فَاللهُ يَرْزُقُنَا اتِّبَاعَ سُنَّتِهِ   وَ مِنْ رِضَاهُ يَحُفُّنَا بِخَيْرِ رِدَا

الباب الثاني

في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم

مَحَبَّةُ المُصْطَفَى فِي الخَلْقِ وَاجِبَةٌ   عَقْلاً وَنَقْلاً عَلَيْهِمْ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا

وَ اللهُ حَضَّ عَلَى الْتِزَامِهَا وَ كَفَى   بِمَا بِهِ نَوَّهَ المَوْلَى عَلاَ وَ هَدَى
وَ مَنْ يُقَصِّرُ فِيهَا اللهُ أَوْعَدَهُ   وَ لاَ يُقَصِّرُ فِيهَا مَنْ حَوَى رَشَدَا
فَقَرَّعَ اللهُ مَنْ مَالُوا لِمَالِهِمُ   وَ مَا لَهُمْ وَالَّذِي عَنْ نَصْرِهِ قَعَدَا
كَفَاهُمُ شَرَّ تَوْبِيخٍ وَ مَنْقَصَةٍ   فِي قَوْلِهِ فَتَرَبَّصُوا لِكُلِّ رَدَى
وَ قَدْ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ بَعْضُ أَحَا   دِيثٍ وَ مَعْنَى الجَمِيعِ زَادَنَا رَشَدَا
لاَ يُؤْمِنُ الشَّخْصُ حَتَّى لاَ تَكُونَ لَهُ   مَحَبَّةٌ فِي سِوَاهُ مِثْلَهَا أَبَدَا
فَلاَ يُقَدِّمُ غَيْرَ الحُبِّ فِيهِ وَ لَوْ   قَدْ كَانَ نَفْساً لَهُ أَوْ مَالاً أَوْ وَلَدَا
يَخْتَارُ عَنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ مَحَبَّتَهُ   لَهُ وَ يَجْعَلُ فِيهَا العَالَمِينَ فِدَا
وَ فِي الحَدِيثِ ثَلاَثٌ جَلَّ مَوْقِعُهَا   مَنْ كُنَّ فِيهِ لِكُلِّ الخَيْرِ قَدْ وَجَدَا
يُلْغِي حَلاَوَةَ إِيمَانٍ بِبَاطِنِهِ   وَ يُكْشِفُ اللهُ عَنْهُ الهَمَّ وَ النَّكَدَا
مِنْهَا مَحَبَّتُهُ لِلهِ خَالِصَةً   وَ لِلرَّسُولِ وَ لَمْ يُشْرِكْ بِهَا أَحَدَا
وَ أَنْ يُحِبَّ بِحُبِّ اللهِ لاَ لِهَوَى   نَفْسِي مِنَ الخَلْقِ شَخْصاً كَيْفَمَا وُجِدَا
وَيَكْرَهُ العَوْدَ فِي كُفْرٍ كَمَا كَرِهَ   الإِلْقَاءَ فِي النَّارِ وَ هُوَ وَحَّدَ الأَحَدَا
وَ صَحَّ عَنْ عُمَرٍ فِي حُبِّهِ لِرَسُولِ اللهِ قَوْلَتُهُ الَّتِي بِهَا صَعِدَا
قَدْ قَالَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللهِ أَنْتَ أَحَبُّ لِي وَ حَقِّكَ مِنْ نَفْسِي كَمَا وَرَدَا
فَقَالَ يَا عُمَرُ الآنَ صِرْتَ مُحِبّاً لِي بِحَقٍّ وَ حَازَتْ نَفْسُكَ الرَّشَدَا
وَ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَوْلَةَ صِدْ   قٍ لِلَّذِي رَامَ أَنْ يَنَالَ خَيْرَ هُدَى
مَنْ لَمْ يَرَ أَنَّهُ رَهِينَ سُنَّةَ خَيْرِ الخَلْقِ طَوْعاً لَهَا فِيمَا خَفَا وَبَدَا
كَأَنَّهُ مِلْكُهُ غَدَتْ وِ لاَيَتُهُ   عَلَيْهِ فِي سَائِرِ الأَحْوَالِ أَيْنَ غَدَا
فَإِنَّهُ لَمْ يَذُقْ يَوْماً حَلاَوَتَهَا   وَ لَمْ يَزَلْ فِي الهَوَى يَهْوِي لِكُلِّ رَدَى

فصل

في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

ثَوَابُ حُبِّ النَّبِيِّ أَنْ يُرَى مَعَهُ   مُحِبُّهُ وَ يَنَالَ مِنْهُ مَا قَصَدَا

فَالمَرْءُ مَعْ مَنْ أَحَبَّ فِي الحَدِيثِ أَتَى   وَ قَدْ رَوَاهُ صِحَابٌ قَدْرُهُمْ صَعِدَا
وَ أَنْزَلَ اللهُ فِي بُشْرَى المُحِبِّ لَهُ   وَ هْوَ المُطِيعُ لَهُ فِي الذِّكْرِ مَا سُرِدَا
فَقَالَ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ رَبِّي اللهُ حَقّاً عَلَيْهِمْ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ فِي الحَدِيثِ أَتَى مُحِبُّ فَاطِمَةٍ   وَ زَوْجِهَا المُرْتَضَى وَ ابْنَيْهِمَا حمِدَا
يَكُونُ مُرْتَقِياً مَعَ النَّبِيِّ وَ مَنْ   يَكُنْ مَعَ المُصْطَفَى فَلاَ يَخَافُ رَدَى
فَاللهُ يَجْعَلُنِي مِمَّنْ أَحَبَّهُمُ   مَعَ المُحِبِّينَ لِي فِي زُمْرَةِ السُّعَدَا

فصل

فيما روى عن السلف و الأئمة من محبتهم
للنبي صلى الله عليه و سلم و شوقهم له

اللهُ أَعْطَى مُحِبَّ المُصْطَفَى رَشَدَا   بِهِ يَنَالُ مُنَاهُ هَاهُنَا وَ غَدَا
وَ خَيْرُ أَحْبَابِهِ أَصْحَابُهُ وَ هُمُ   أَشَدُّ حُبّاً لَهُ فِي زُمْرَةِ السُّعَدَا
وَ أَخْبَرَ المُصْطَفَى بِأَنَّهُ سَيَكُو   نُ بَعْدَهُمْ أَهْلُ حُبٍّ فِيهِ مَا انتقدَا
مِنْ كَثْرَةِ الحُبِّ فِيهِ أَنَّ وَاحِدَهُمْ   يَوَدُّ أَنْ لَوْ رَآهُ بِالَّذِي وَجَدَا
يَوَدُّ أَنْ لَوْ رَآهُ بِالَّذِي مَلَكَتْ   يَدَاهُ مِنْ مَالِهِ وَ أَهْلِهِ الرشدَا
يَوَدُّ أَنْ لَوْ رَآهُ وَ الجَمِيعُ لَهُ   يَعُدُّهُمْ مَعَ كُلِّ العَالَمِينَ فِدَا
وَ قَالَ مِنْ صِدْقِ حُبِّهِ لَهُ عُمَرٌ   لاَ شَيْءَ عِنْدِي أَحَبُّ مِنْكَ لِي أَبَدَا
وَ كَمْ وَكَمْ مِنْ صَحَابِي قَامَ يَبْذُلُ نَفْسَهُ وَ كُلُّ نَفِيسٍ فِي رِضَاهُ هُدَى
وَ كَمْ وَكَمْ مِنْ صَحَابِي بَعْدَمَا انْتَقَلَ الرَّسُولُ كَادَ يَمُوتُ فِي المَلاَ كَمَدَا
هَذَا ابْنُ مَعْدَانَ بَلْ صفوانُ يَذْكُرُ عِنْدَ نَوْمِهِ المُصْطَفَى وَ يَذْكُرُ الشُّهَدَا
يَقُولُ أَصْلِي وَ فَرْعِي هُمْ وَ لَمْ أَرَ لِي   صَبْراً وَ مِنِّي لَهُمْ شَوْقٌ شَوَى الكَبِدَا
عَجِّلْ بِفَضْلِكَ رَبِّي قَبْضَ رُوحِيَ كَيْ   أَلْقَاهُمُ فَبِقَلْبِي الشَّوْقُ قَدْ وَقَدَا
وَ لاَ يَزَالُ مُرَدِّداً مَقَالَتَهُ   فِي كُلِّ لَيْلٍ إِلَى مَوْتٍ لَهُ وَفَدَا
وَ كَمْ صَحَابِي تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ فِدَا   أَقَارِبِ المُصْطَفَى لِمَقْصِدٍ حمِدَا
هَذَا أَبُو بَكْرٍ الرِّضَى يَقُولُ لَإِسْلَامُ أَبِي طَالِبٍ وَ نَيلهُ لِهُدَى

أَوْلَى لَدَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الأَجَلِّ أَبِي   قُحَافَةٍ لِتَقَرَّ عَيْنُ مَنْ سَعِدَا
لِأَنَّ ذَاكَ أَحَبُّ لِلنَّبِيِّ وَمَا   أَحَبَّهُ لَمْ نَزَلْ نَخْتَارُهُ أَبَدَا
وَ نَحْوُ ذَلِكَ مَا قَدْ قَالَهُ عُمَرٌ   لِعَمِّ خَيْرِ الوَرَى العَبَّاسِ مُجْتَهِدَا
فَقَالَ إِنَّكَ إِنْ تُسْلِمْ أَحَبَّ إِلَيَّ   مِنْ أَبِي أَنْ أَرَاهُ عَانَقَ الرَّشَدَا
وَ عَنْ إِمَامِ المَغَازِي ضِمْنَ سِيرَتِهِ   يَرْوِي عَنِ امْرَأَةٍ فَازَتْ بِخَيْرٍ جَدَا
قَدْ مَاتَ وَالِدُهَا وَ زَوْجُهَا وَ أَخُوهَا   فِي وَغَى أُحُدٍ وَ كُلُّهُمْ شُهَدَا
قَالَتْ وَ مَا فَعَلَ النَّبِي فَقِيلَ لَهَا   إِنَّ النَّبِيَ بِخَيْرٍ لَمْ يُصِبْهُ رَدَى
وَ أَبْصَرَتْهُ فَقَالَتْ إِنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ   تُرَى جَلَلاً فَعِشْ لَنَا الأَبَدَا
وَ عَنْ عَلِي قِيلَ كَيْفَ كَانَ حُبُّكُمُ   لِلْمُصْطَفَى قَالَ كَانَ عِنْدَنَا سَنَدَا
وَ هْوَ الأَحَبُّ إِلَيْنَا فِي البَرِيَّةِ مِنْ   نَفْسٍ وَ مَالٍ وَوَالِدٍ وَ مَا وَلَدَا
وَ جَاءَ أَنَّ عَجُوزاً جَاءَهَا عُمَرٌ   لَيْلاً وَ قَدْ أَنْشَدَتْ شِعْراً بِهِ وَجَدَا
فَصَارَ يَبْكِي وَ سَارَ رَهْنَ مَوْعِضَةٍ   بِذِكْرِ وَصْفِ النَّبِيِّ وِفْقَ مَا عَهِدَا
وَ قِيلَ فِي النَّاسِ لِابْنِهِ وَ قَدْ خَدِرَتْ   لَدَيْهِ رِجْلٌ أَلَا اذْكُرْ مَنْ حَبَاكَ هُدَى
اذْكُرْ أَعَزَّ أَحِبَّاءٍ لَدَيْكَ يَزُلْ   مَا حَلَّ بِالرِّجْلِ مِنْكَ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
فَقَالَ فِي الحِينِ يَا مُحَمَّدَاهُ فَزَا   لَ مَا بِهِ كَانَ فِي إِيلَامِهِ قَعَدَا
وَ عَنْ بِلَالٍ وَ قَدْ نَادَتْهُ زَوْجَتُهُ   إِذْ صَارَ مُحْتَضِراً وَ احُزْنَهُ أَبَدَا
فَقَالَ وَاطَرَبَاهُ لَيْسَ بِي حَزَنٌ   فَإِنَّ لُقْيَا أَحِبَّتِي يَكُونُ غَدَا
وَ قَالَتِ امْرَأَةٌ لِلسِّتِّ عَائِشَةٍ   وَ قَلْبُهَا بِمَحَبَّةِ النَّبِي وَجَدَا
لتكشِفِي لِيَ عَنْ قَبْرِ النَّبِي فَأَرَتْهَا   ذَلِكَ القَبْرَ وَ هْوَ نُورُهُ اتَّقَدَا
فَاسْتَغْرَقَتْ فِي البُكَا عَلَيْهِ فِي جَزَعٍ   وَ السِّتُّ عَائِشَةٌ تُهْدِي لَهَا الرَّشَدَا
وَ لَمْ تَزَلْ وَهْيَ تَبْكِي عِنْدَ مَضْجَعِهِ   حَتَّى قَضَتْ نَحْبَهَا مِنْ بَيْنِ مَنْ شَهِدَا
وَ قَالَ يَوْماً أَبُو سُفْيَان فِي مَلَإٍ   مِنْ قَبْلِ إِسْلَامِهِ وَ المَجْمَعُ احْتَشَدَا
فَمَا أَرَى مِثْلَ أَصْحَابِ الأَمِينِ مُحَمَّدٍ   أُنَاساً أَحَبُّوا مِثْلَهُ أَحَداً

وَ كَانَ خَيْرُ الأَنَامِ كُلَّمَا وَرَدَتْ   عَلَيْهِ زَوْجَةُ شَخْصٍ تَطْلُبُ السَّدَدَا
لَمْ يُرْضِهِ حَالَهَا إِلاَّ إِذَا حَلَفَتْ   بِأَنَّهَا مَا أَتَتْ إِلاَّ لِنَيْلِ هُدَى
أَتَى بِهَا حُبُّهُ وَ حُبُّ خَالِقِهَا   وَ مَا لَهَا غَرَضٌ سِوَاهُمَا قَصَدَا
وَ قَالَ فِي ابْنِ الزُّبَيْرِ ابْنُ الرِّضَى عُمَرٌ   وَ كَانَ صَلَّبَهُ الحَجَّاجُ مُنْتَقِدَا
مَا كُنْتَ يَاابْنَ الزُّبَيْرِ غَيْرَ ذِي مقَةٍ   لِلَّهِ حَقّاً وَ لِلرَّسُولِ فِي الشُّهَدَا
وَ كُنْتَ لِلَّهِ صَوَّاماً وَ كُنْتَ لَهُ الـقَوَّامَ فِي كُلِّ لَيْلٍ بَيْنَ مَنْ هَجَدَا

فصل

في علامة محبته صلى الله عليه و سلم

إِنَّ المُحِبَّ الصَّدُوقَ مَنْ يُوَافِقُ مَنْ   يُحِب لَمْ يَلْتَفِتْ لِغَيْرِهِ أَبَدَا
لَهُ قد انْقَادَ فِي قَوْلٍ وَ فِي عَمَلٍ   وَ لَمْ يَكُنْ قَصْدُهُ سِوَى الَّذِي قَصَدَا
فَإِنْ يُخَالِفْهُ فِي شَيْءٍ فَلَيْسَ لَهُ   فِي حُبِّهِ غَيْرُ دَعْوَى ضُمِّنَتْ فَنَدَا
وَ لِلْمُحِبِّ عَلاَمَاتٌ وَ أَوَّلُهَا   فِي حُبِّ خَيْرِ الأَنَامِ الإِقْتِدَا بِهُدَى
يَأْتِي بِمَا صَدَرَتْ بِهِ أَوَامِرُهُ   مَعَ اجْتِنَابِ نَوَاهِ وِفْقَ مَا عُهِدَا
فَلاَ مَحَبَّةَ إِلاَّ مَعْ مُتَابَعَةٍ   لَهُ وَ شَاهِدُهَا فِي الذِّكْرِ قَدْ وَرَدَا
وَ اللهُ أَثْنَى عَلَى أَنْصَارِهِ فَهُمُ   تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الإِيمَانَ فِي السُّعَدَا
فَهُمْ يُحِبُّونَ بَيْنَ النَّاسِ مَنْ لَهُمُ   قَدْ هَاجَرُوا وَ إِلَيْهِمْ يُوثِرُونَ جِدَا
رِضَاهُمُ فِي رِضَى النَّبِيِّ مُرْتَبِطٌ   وَ كُلُّهُمْ مِنْ رِضَاهُ مُرْتَدٍ بِرِدَا
وَ مِنْ عَلاَمَاتِ صِدْقِ حُبِّهِ عَدَمُ   الإِ رْضَاءِ لِلْعَبْدِ فِي إِسْخَاطِ مَنْ عبدَا
يَقُولُ خَيْرُ الأَنَامِ لِلرِّضَى أَنَسٍ   كُنْ دَائِماً لاِكْتِسَابِ الخَيْرِ مُجْتَهِدَا
إِذَا قَدَرْتَ بِأَنْ تُمْسِي وَ تُصْبِحَ فِي   سَلاَمَةِ الصَّدْرِ فَافْعَلْ تَلْقَ مَا حمِدَا
وَ ذَاكَ مِنْ سُنَّتِي وَ مَنْ يُتَابِعُنِي   فِي سُنَّتِي أَحْرَزَ المَأْمُولَ وَ الرَّشَدَا
وَ لَيْسَ يَلْعَنُ عَاصٍ مُسْلِمٌ وَ لَهُ   نُقْصَانُ حُبٍّ بِعِصْيَانٍ بِهِ وجِدَا
وَ قَدْ نَهَى المُصْطَفَى عَنْ لَعْنِ صَاحِبِهِ الـمَحْدُودِ فِي شُرْبِ خَمْرٍ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا

فَفِيهِ حُبُّ الإِلَهِ وَ الرَّسُولِ وَ لَمْ   تَذْهَبْ مَحَبَّتُهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَلَدَا
وَ إِنَّمَا كَامِلُ الحُبِّ المُطِيعِ وَ لَمْ   يَأْتِي بِمَعْصِيَةٍ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ إِنْ أَتَاهَا أَتَاهَا غَفْلَةً وَ إِذَا   أَتَى بِعَمْدٍ بِهَا لِلتَّوْبَةِ اعْتَمَدَا
وَ مِنْ عَلَامَاتِهِ ذِكْرُ النَّبِيِّ بِكَثْرَةٍ وَ مَا فِيهِ مِنْ حُسْنٍ بِهِ انْفَرَدَا
يَجُولُ بِالفِكْرِ مِنْهُ فِي شَمَائِلِهِ   وَ مَا إِلَى الخلقِ أَهْدَى مِنْ جَدَى وَ هُدَى
وَ مِنْ عَلَامَاتِهِ الشَّوْقُ الكَثِيرُ إِلَى   لِقَائِهِ مِثْل مَنْ فِي صَحْبِهِ وجَدَا
فَكَمْ وَ كَمْ مِنْ صَحَابِي بِاشْتِيَاقِ لِقَائِهِ تَحَمَّلَ مَا بِهِ اهْتَدَى وَ هَدَى
وَ الأَشْعَرِيُّونَ قَالُوا فِي قُدُومِهِمُ   إِلَى المَدِينَةِ لُقْيَانَا الحَبِيب غَدَا
وَ خَالِدٌ مَع عَمَّار قَد امْتَحَنَا   فِي الحُبِّ فِيهِ بِمَا ازْدَادَا بِهِ مَدَدَا
وَ مِنْ عَلَامَاتِهِ تَعْظِيمُ رُتْبَتِهِ   بِكَثْرَةٍ عِنْدَ ذِكْرِهِ لِغَيْرِ مَدَى
مَعَ الخُضُوعِ لَدَى ذِكْرِ اسْمِهِ أَدَبًا   وَ ذِكْرِ أَوْصَافِهِ الَّتِي نَفَتْ كَمَدَا
فَإِنَّ أَصْحَابَهُ كَانُوا إِذَا ذُكِرَ اسْمُهُ بَكُوا وَ لَهُ حَنُّوا وَ هُمْ سُعَدَا
وَ مِثْلُ أَصْحَابِهِ فِي التَّابِعِينَ كَثِيرٌ يَخْشَعُونَ لَدَى ذِكْرِ اسْمِهِ وَجَدَا
وَ مِنْ عَلَامَاتِهِ حُبُّ المُحِبِّ لَهُ   مَعْ آلِهِ وَ جَمِيعِ صَحْبِهِ الرُّشَدَا
وَ بُغْضُ مَنْ وُجِدَتْ فِيهِمْ عَدَاوَتُهُمْ   وَ كُلُّ مَنْ سَبَّهُمْ لِسُوءِ مَا اعْتَقَدَا
فَالمُصْطَفَى قَدْ أَبَانَ مَا نُعَامِلُهُمْ   بِهِ وَ أَثْنَى عَلَيْهِمْ بِالَّذِي وَرَدَا
فَقَالَ فِي الحَسَنَيْنِ مَنْ أَحَبَّهُمَا   أَحَبَّنِي وَ الَّذِي أُحِبُّهُ سَعِدَا
وَ قَالَ فِي صَحْبِهِ يَحُضُّ أُمَّتَهُ   عَلَى مَحَبَّتِهِمْ مَا صَارَ مُعْتَمَدَا
اللهَ اللهَ فِي صَحْبِي فَبُغْضُهُمُ   بُغْضِي وَ حُبُّهُمُ حُبِّي لَدَى الشُّهَدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّ ذَاتِ الفَضْلِ فَاطِمَةٍ   لِي بِضْعَةٌ وَ هْيَ مِنِّي قَدْ حَوَتْ رَشَدَا
فَكُلُّ مَا أَغْضَبَ البَتُولَ أَغْضَبَنِي   وَ مَنْ أَحَبَّ البَتُولَ أَحْرَزَ المَدَدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّ زَيْدٍ عِنْدَ عَائِشَةٍ   لَهَا أَحِبِّيهِ فَهْوَ لِي الحَبِيبُ غَدَا
وَ قَالَ فِي حُبِّهِ الأَنْصَارِ حُبُّهُمُ   فِي النَّاسِ آيَةُ إِيمَانٍ غَدَوْا عُمَدَا

وَ بُغْضُهُمْ آيَةُ النِّفَاقِ لَيْسَ لَهَـا   نَسْخٌ سِوَى تَوْبَةٍ تُنَوِّرُ الْخَلَـدَا
وَ قَالَ فِي الْعُرْبِ مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُـ   ـبِّي قَدْ أَحَبَّهُمْ أَوْ لاَ فَمَا رَشِـدَا
وَ بِالْحَقِيقَةِ مَنْ أَحَبَّ فَهْوَ لِمَـا   يحب محبوبه يُحِبُّهُ الأَبَـدَا
وَ هَكَذَا خُلُقُ الْقَوْمِ الَّذِينَ مَضَـوْا   كُلٌّ لِمَا قَدْ أَحَبَّ حبّهُ اطّـرَدَا
حَتَّى الْمُبَاحَاتُ فَهْيَ مِنْ مَحَبَّتِـهِ   لَهُ يُحِبُّونَهَا فِيمَا خَفَا وَ بَـدَا
قَالَ الرِّضَى أَنَسٌ إِنِّي رَأَيْتُ رَسُـو   لَ اللهِ فِي الأَكْلِ لِلدُّبَّاءِ قَدْ قَصَـدَا
فَمَا أَزَالُ أُحِبُّهَا وَ آكُلُهَـا   لَمَّا تَتَبَّعَهَا فِي مَشْهَدٍ شُهِـدَا
وَ جَاءَ صحبٌ إِلَى سَلْمَى وَ قَدْ صَنَعَتْ   لَهُمْ شَبِيهُ طَعَامٍ لِلنَّبِي نضـدَا
مِنْ بَعْدِمَا رَغِبُوا فِي صَنْعِهَا لَهُـمُ   إِذْ كَانَ يُعْجِبُهُ غِذاً إِلَيْهِ غَـدَا
وَ ابْنُ الرِّضَى عُمَرٌ قَد اقْتَدَى بِرَسُو   لِ اللهِ فِي لَبْسِهِ النِّعَالَ مقتصـدَا
وَ كَانَ يَخْتَارُ فِي الأَلْوَانِ صُفْرَتِيهَـا   لِكَوْنِهَا لَوْنُ ثَوْبِ للنَّبِي شهـدَا
وَ مِنْ عَلاَمَاتِهِ بُغْضٌ لِمُبْغِضِيـهِ   وَ مُبْغِضِ اللهِ وَ هْوَ كُلٌّ مَنْ جَحَـدَا
وَ الْبُعْدُ عَنْ كُلِّ مَنْ فِي بِدْعَةٍ وَقَعُوا   أَوْ خَالَفُوا السُّنَّةَ الَّتِي بِهَا وَفَـدَا
وَ لَمْ تَجِدْ مُؤْمِناً فِي اللهِ مُعْتَقِـدَا   يُوَادُّ مَنْ حَادَ رَبَّ الْخَلْقِ وَ التَحَـدَا
وَ انْظُرْ إِلَى الصحْبِ كَيْفَ قَاتَلُوا وَ غَزَوْا   كُلَّ الَّذِي عَن إِجَابَةِ النَّبِي قَعَـدَا
فِي نَهْجِ مَرْضَاتِهِ أَحْبَابَهُمْ هَجَـرُوا   وَ كَمْ وَ كَمْ قَتَلُوا مَنْ مِنْهُمُ عَنَـدَا
كَمْ قَاتِلٍ لِأَبٍ كَمْ قَاتِـلٍ لِأَخٍ   كَمْ قَاتِلٍ أُمَّهُ كَمْ قَاتِلٍ وَلَـدَا
كَانُوا لِمَا رَامَهُ مَسَارَعَيْنِ لَـهُ   مِنْ كُلِّ أَمْرٍ وَلَمْ يَخْشُوا بِهِ أَحَـدَا
وَافَى إِلَيْهِ أَبِيُّ النَّفْسِ ذُو النَّفَسِ الْـ   ـعَالِي ابْنُ نَجْلِ أُبَيٍّ يَطْلُبُ الْـمَدَدَا
وَ قَالَ إِنْ شِئْتَ أَنْ آتِي بِرَأْسِ أَبِـي   آتِي بِهِ عَاجِلاً إِلَيْكَ فِي الشُّهَـدَا
فَقَالَ دَعْهُ فَنَحْنُ الْمُحْسِنُونَ لَـهُ   مَا دَامَ فِي الصحبِ لاَ نَرَاهُ ملتحـدَا
وَمِنْ عَلاَمَاتِهِ حُبُّ الْقُرْآنِ بِـأَنْ   يَتْلُوهُ مَنْ يَدَّعِي الْحُبَّ الَّذِي حمـدَا
وَ أَنْ يُرَى عَامِلاً بِمَا تَضَمَّنَـهُ   بَعْدَ التَّفَهُّمِ فِيهِ لَيْسَ منتقـدَا

وَ مِنْ عَلَامَاتِهِ حُبٌّ لِسُنَّتِهِ   مَعَ السُّلُوكِ عَلَى النَّهْجِ الَّذِي وَطِدَا
وَ هَا هُنَا قَالَ سَهْلُ مِنْ عَلَامَةِ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ كِتَابِهِ الَّذِي مجدَا
وَ مِنْ عَلَامَةِ حُبِّ ذَا الكِتَابِ مَحَبَّةُ النَّبِي وَ هْيَ فِي حُبِّ لِنَهْجِ هُدَى
وَ مِنْ عَلَامَةِ صِدْقِ حُبِّ سُنَّتِهِ   حُبٌّ لِآخِرَةٍ فِي حَالِ مَنْ رشَدَا
وَ مِنْ عَلَامَةِ صِدْقِ حُبِّ آخِرَةٍ   تحقق البعض فِي الدُّنْيَا لِغَيْرِ مَدَى
وَ مِنْ عَلَامَةِ بُغْضِ المَرْءِ مِنْهُ لِدُنْيَا الزُّهْدِ وَ الخَيْرِ مَضْمُونٌ لِمَنْ زهدَا
لَا يَقْتَنِي غَيْرَ زَادٍ يَسْتَعِينُ بِهِ   عَلَى الوُصُولِ إِلَى أُخْرَاهُ مُقْتَصِدَا
وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ قَدْ رُوِيَتْ   مَقَالَةٌ عَنْهُ قَدْ تَضَمَّنَتْ رَشَدَا
لَا يَسْأَلُ الشَّخْص يَوْماً فِي مَحَبَّتِهِ   لِلَّهِ عَنْ نَفْسِهِ وَ حَالِهَا أَحَدَا
إِلَّا الكِتَاب المَجِيد فَالمَحَبَّةُ إِنْ   تَكُنْ لَهُ فِيهِ فَهْوَ مِنْهُ نَالَ هُدَى
فَحُبُّهُ لِلكِتَابِ حُبُّ مُنْزِلِهِ   حَقّاً وَحُبُّ الرَّسُولِ ضِمْنَهُ وُجِدَا
وَ مِنْ عَلَامَاتِهِ رِفْقٌ بِأُمَّتِهِ   وَ صِدْقُ نُصْحٍ لَهُمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ دَفْعُ كُلِّ المَضَارِ عَنْهُمْ وَلَهُمْ   فِي جَلْبِ مَصْلَحَةٍ يَكُونُ مُجْتَهِدَا
وَ مِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ لَدَى الصَّدُوقِ إِيثَارُهُ لِلفَقْرِ أَيْنَ غَدَا
فَالفَقْرُ أَسْرَعُ لِلمُحِبِّ فِيهِ مِن السَّيْلِ الَّذِي مِنْ عَلٍ لِأَسْفَلٍ حَفَدَا
وَ فِي الحَدِيثِ أَتَى إِلَى النَّبِي رَجُلٌ   وَ قَالَ إِنِّي لَكَ المُحِبُّ فِي الشُّهَدَا
فَقَالَ أُنْظُرْ لِمَا تَقُولُ قَالَ لَهُ   إِنِّي أُحِبُّكَ حُبّاً لَيْسَ فِيهِ مَدَى
فَقَالَ إِنْ كُنْتَ مُخْلِصَ المَحَبَّةِ لِي اسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافاً وَ خُذْ مَدَدَا
فَكَانَ مِنْ صِدْقِ حُبِّهِ وِقَايَتُهُ   مِنْ كَيْدِهَا وَ حَبَاهُ اللَّهُ مَا قَصَدَا

فصل

في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم و حقيقتها

لِلنَّاسِ خَلْفٌ كَثِيرٌ فِي بَيَانِ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ وَ حُبِّ اللَّهِ قَدْ وُجِدَا
وَ إِنَّ أَقْوَالَهُمْ فِيهَا قَد اضْطَرَبَتْ   وَ مَرْجِعُ الكُلِّ لِلأَحْوَالِ قَدْ شَهِدَا

فَقَالَ سُفْيَانُ إِنَّهَا مُتَابَعَةُ الـــــــــرَّسُولِ سِرّاً وَ جَهْراً فِي الَّذِي وَرَدَا
وَ قَالَ بَعْضُهُمُ اعْتِقَادُ نُصْرَتِـــــهِ   وَ الذَّبُّ عَنْ سُنَّةٍ فِيمَا خَفَا وَ بَـــدَا
وَ الإِنْقِيَادُ لَهَا بِلاَ مُخَالَفَـــــةٍ   مَعَ احْتِرَامٍ عَظِيمٍ يرغم البُعَـــدَا
وقَالَ بَعْضُهُمُ دَوَامُ ذِكْرِ مُحِـــــــــبٍّ لِلْحَبِيبِ   هُوَ الحُبُّ الَّذِي اعْتَمَدَا
وَ قَالَ بَعْضُهُمُ هُوَ اشْتِيَاقُ مُحِـــــــــبٍّ لِلْحَبِيبِ بِحَيْثُ فِيهِ قَدْ وَجَـــدَا
وَ قَالَ بَعْضُهُمُ هِيَ المُوَافَقَةُ الَّـــــــــتِي بِهَا لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ مُنْتَقِـــدَا
يُحِبُّ مَا قَدْ أَحَبَّ بِالدَّوَامِ وَ يَكْـــــــــرَهُ الَّذِي كَرِهَ المَحْبُوبُ أَيْنَ غَـــدَا
وَ قَالَ آخَرُ فِيهَا أَنَّهَا مَيَـــلاَ   نُ القَلْبِ مِنْهُ إِلى المَحْبُوبِ دُونَ مَدَى
بِحَيْثُ يَقْبَلُ مَا يَقُولُـهُ وَ إِلَـــى   مَا يَرْتَضِيهِ يَكُونُ مُذْعِناً أَبَـــدَا
وَ كُلُّ مَا قِيلَ لَيْسَ مِنْ حَقِيقَتِهَـــا   لَكِنَّهُ ينتج العرفان و الرشـــدا
أَمَّا حَقِيقَتُهَا لِلنَّاطِقِينَ بِهَـــا   فَإِنَّهَا مَيْلُ قَلْبٍ وِفْقَ مَا قصـــدَا
يَمِيلُ بَيْنَ الوَرَى لِمَا يُوَافِقُـــهُ   بِالطَّبْعِ فِي حِسٍّ أَوْ مَعْنَى بِهِ وَجَـــدَا
مِنْ كُلِّ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ نَفْسُ صَاحِبِـهَا   سَيَّانَ كَانَ سَلِيمَ الطَّبْعِ أَوْ فســـدَا
مِنْ كُلِّ مَظْهَرِ إِحْسَانٍ وَ ظَاهِرِ حُسْـــــــــنٍ كَانَ فِي نَظَرِ الَّذِي لَهُ شَهِـــدَا
وَ لَوْ بِسَمْعٍ صِفَاتٍ فَهْيَ تُنْتِجُهَـــا   لَدَيْهِ يَلْقَى بِهَا السُّرُورَ وَ الكَمَـــدَا
فَكَمْ وَ كَمْ مُتَشَيِّعٍ لِمَذْهَبِـــهِ   وَ كَمْ وَكَمْ مُتَعَصِّبٍ لِمَا اعْتَقَـــدَا
وَ قَدْ تُوَدِّي بِمَنْ قَدْ صَارَ مُتَّصِـفـاً   بِهَا لِمَوْتٍ وَ قَتْلِ مَنْ لَهُ عَنَـــدَا
وَ المُصْطَفَى فِيهِ كُلُّ المُوجِبَاتِ لَهَا   تَوَفَّرَتْ وَ هُوَ فِي كَمَالِهَا انْفَـــرَدَا
حسن لَدَيْهِ وَ إِحْسَانٌ بِهِ كَمُـــلاَ   بَيْنَ البَرِيَّةِ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَـــدَا
تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ وَ الحُسْنُ مِنْهُ مَحَـا   سَنَا السِّوَى فِي جَمِيعِ الكَوْنِ مُذْ وُجِدَا
لاَ حُسْنَ إِلاَّ وَ مِنْهُ صَارَ مُقْتَبَســاً   لَوْلاَهُ مَا كَانَ حُسْنٌ فِي الوَرَى شُهِدَا
لَهُ شَمَائِلُ تُسْبِي السَّامِعِينَ لَـهَـا   بِمَا تَجَمَّعَ فِيهَا مِنْ هُدَى وَجَـــدَا
أَثْنَى الإِلَهُ عَلَيْهِ فِي الكِتَابِ بِمَـــا   يُتْلَى وَ يَزْدَادُ حُسْناً كُلَّمَا انتقـــدَا

وَ أَيُّ فَضْلٍ يُضَاهِي فَضْلَهُ وَ لَــهُ   نِهَايَةُ الْفَضْلِ لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ مَــدَى
وَ أَيُّ حُسْنٍ وَ إِحْسَانٍ يُشَابِهُ مَــا   لَهُ مِنَ الْخَلْقِ وَ هْوَ عَمَّهُمْ مَــدَدَا
وَ كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ خَيْرَ مُعْتَمَــدٍ   عَلَيْهِ دُنْيَا وَ أُخْرَى نَوَّرَ الْخَلَــدَا
إِلَى هِدَايَتِهِمْ غَدَا ذَرِيعَتَهُــمْ   وَ كَانَ مُنْقِذَهُمْ بِمَا إِلَيْهِ هَــدَى
وَ كَانَ دَاعِيَهُمْ إِلَى الْفَلَاحِ إِلَــى   دَارِ الْكَرَامَةِ بَيْنَ كُلِّ مَنْ وُجِــدَا
وَ هْوَ الشَّفِيعُ لَهُمْ عِنْدَ الْإِلَــهِ وَ فِي   وَ فِي النَّجَاحِ لَهُمْ أَطَالَ مِنْهُ يَــدَا
أَلَمْ يَكُنْ مَعَ هَذَا بَيْنَ أُمَّتِــهِ   مُسْتَوْجِباً لِمَحَبَّةٍ لَدَى الشُّهَــدَا
بِالشَّرْعِ وَ الطَّبْعِ وَ الْعَادَاتِ قَدْ وَجَبَتْ   حَقّاً مَحَبَّتُهُ رَغْماً لِمَنْ جَحَــدَا
يَقُولُ فِيهِ عَلِيٌّ مَنْ رَآهُ يَهَبْـــــهُ بِالْبَدِيهَةِ مَجْمُوعاً وَ مُنْفَــرِدَا
وَ مَنْ يُخَالِطْهُ بَيْنَ النَّاسِ مَعْرِفَــةً   أَحَبَّهُ وَ لَهُ بِالصِّدْقِ قَدْ شَهِــدَا
عَلَيْهِ مِنِّي صَلَاةُ اللهِ مَا شَهِــدَتْ   لَهُ ذَوُوا الْفَضْلِ بِالْفَضْلِ الَّذِي شَهِدَا
مَعْ آلِهِ وَ جَمِيعِ مَنْ لَهُ صَحِبُــوا   وَ مَنْ بِهِمْ يَقْتَدُونَ فِي طَرِيقِ هُــدَى

فــصـــل

في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

النُّصْحُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فِيهِ هُــدَى   لِنَاصِحٍ وَ بِهِ يَغْدُو مِنَ السُّعَــدَا
وَ مَا عَلَى ضُعَفَاءِ النَّاسِ مِنْ حَرَجٍ   إِذَا هُمُ نَصَحُوا وَ وَحَّدُوا الْأَحَــدَا
فَهُمْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ مِنْ نَصِيحَتِهِــمْ   وَ مَا عَلَيْهِمْ جَنَاحٌ عِنْدَ مَنْ رَشِــدَا
وَ فِي الْحَدِيثِ أَتَى الدِّينُ النَّصِيحَةُ وَ هْـــيَ مِنْ فَرَائِضِهِ فِيمَا خَفَا وَ بَــدَا
فَالنُّصْحُ لِلَّهِ وَ الْكِتَابِ ثُمَّ لِخَـــيْرِ الْخَلْقِ وَ الْأُمَرَا وَ الْمُسْلِمِينَ غَدَا
ثُمَّ النَّصِيحَةُ عِنْدَ مَنْ يُعَرِّفُــهَا   إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ أَيْنَ غَــدَا
وَ أَنَّهَا جُمْلَةٌ أُرِيدَ ذَاكَ بِهَــا   حَقّاً وَ قَدْ قَالَهُ الْبُسْتِيُّ وَ انْتَقَــدَا
كَأَنَّهُ قَالَ إِرْشَادُ النَّصُــوحِ إِلَى   خَيْرٍ لِيُحْرِزَهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِــدَا
وَ لِلْأَئِمَّةِ فِي مَعْنَى النَّصِيحَةِ أَقْـــوَالٌ وَ عِنْدِي بِهَا جَمِيعُهَا قُصِــدَا

فَفِي اللِّسَانِ هِيَ الإِخْلَاصُ وَهْوَ بِمَعْنًى حَالَةٍ خَلُصَتْ مِنْ كُلِّ مَا فَسُدَا
وَ فَسَّرَ المُرْتَضَى الخَفَّافُ جُمْلَتَهَا   بِفِعْلِ شَيْءٍ بِهِ الصَّلَاحُ قَدْ وُجِدَا
مَعَ المُنَاسِبِ لِلْمَنْصُوحِ مِنْ عَمَلٍ   أَوْ مِنْ مَقَالٍ وَ حَالٍ فِيهِ قَدْ حمدَا
كَأَنَّهُ مِنْ نِصَاحِ الثَّوْبِ حَيْثُ بِهِ المِخْيَطُ تَلْتَئِمُ الأجرَا كَمَا عُهِدَا
وَ مِثْلُ مَا قَالَهُ الخَفَّافُ قَالَ بِهِ الزَّجَاجُ بَلْ وَ السِّوَى مِمَّنْ قَد اعْتُمِدَا
وَ النُّصْحُ لِلَّهِ حُسْنُ الإِعْتِقَادِ لَهُ   وَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُنَزَّهاً أَحَدَا
مَعْ وَصْفِهِ جَلَّ شَأْناً بِالكَمَالِ وَ نَعْتِهِ بِالَّذِي اسْتَحَقَّ مُنْفَرِدَا
مَعْ رَغْبَةٍ فِي مَحَابِّهِ وَ رَهْبَتِهِ   فِي فِعْلِ مَعْصِيَةٍ مِمَّا خَفَا وَ بَدَا
أَمَّا النَّصِيحَةُ لِلْكِتَابِ عِنْدَهُمُ   الإِيمَانُ حَقّاً بِهِ رَغْماً لِمَنْ عَنَدَا
مَعْ حُسْنِ تَجْوِيدِهِ وَ بِالتَّخَشُّعِ عِنْدَهُ وَ بِالعَمَلِ الَّذِي بِهِ حُمِدَا
مَعَ التَّفَقُّهِ فِيهِ وَ التَّفَهُّمِ فِي   الآيَاتِ وَ الذَّبِّ لِلَّذِي بِهَا الْتَحَدَا
وَ النُّصْحُ لِلْمُصْطَفَى اتِّبَاعُ سُنَّتِهِ   مَعْ حُسْنِ تَصْدِيقِهِ فِيمَا بِهِ وَرَدَا
وَ حُبُّ أَحْبَابِهِ طُرّاً وَ بُغْضُ عِدَاتِهِ وَ نُصْرَةُ مَا بِهِ لَنَا وَفَدَا
قَدْ رِيءَ بَعْضُ العَتَاةِ فِي المَنَامِ وَقَالَ نِلْتُ غُفْرَانَ ذَنْبٍ جَاوَزَ العَدَدَا
بِمَا تَمَنَّيْتُهُ مِنْ نَصْرِ أَفْضَلِ خَلْقِ اللهِ طُرّاً بِمَا لَدَيَ قَدْ شهدَا
إِذْ قُلْتُ لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِي لَقَاتَلْتُ كُلَّ مَنْ لَهُ جَحَدَا
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ فِي زَمَانِهِ جَدَعاً   أخبُّ فِيهِمْ وَ جُنْدِي أَصْبَحُوا سُعَدَا
فَنِلْتُ شُكْراً مِنَ المَوْلَى وَ قَابَلَنِي   مِنْ أَجْلِ ذَاكَ بِغُفْرَانٍ وَ خَيْرِ جدَى
وَ النُّصْحُ لِلأُمَرَا مَعْنَاهُ طَاعَتُهُمْ   فِي الحَقِّ وَ السَّيْرُ مَعْهُمْ فِي طَرِيقِ هُدَى
مَعَ المَعُونَةِ فِيهِ ثُمَّ أَمْرُهُمُ   بِهِ وَ تَذْكِيرُهُمْ إِيَّاهُ حَيْثُ بَدَا
مَعْ حُسْنِ تَنْبِيهِهِمْ عَمَّا هُمُ غَفَلُوا   عَنْهُ وَ تَبْلِيغُهُمْ مَا عَنْهُمُ بَعُدَا
مِنْ غَيْرِ كَتْمِ أُمُورِ المُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ وَ تَرْكِ الخُرُوجِ عَنْهُمُ أَبَدَا
وَ تَرْكِ إِفْسَادِ قَلْبٍ مِنْ رَعِيَّتِهِمْ   عَلَيْهِمُ وَ اجْتِنَابِ كُلِّ مَنْ فَسَدَا

وَ النُّصْحُ لِلْمُسْلِمِينَ فَهْوَ نَفْعُهُـــمُ   وَ دَفْعُ ضَرِّهِمُ وَ جَلْبُ مَا حُمِــدَا
مِنْ بَعْدِ إِرْشَادِهِمْ إِلى مَصَالِحِهِـــمْ   وَ رَفْدِ مُحْتَاجِهِمْ لِوَجْهِ مَنْ عبـــدَا
تَنْبِيهُ غَافِلِهِمْ تَبْصِيرُ جَاهِلِهِـــمْ   مَعْ سِتْرُ عَوْرَاتِهِمْ مِنْ شِيعَةِ الرُّشْدَا
هَذِي النَّصِيحَةُ عِنْدَ العَارِفِينَ بِهَـــا   لاَ مَا يَكُونُ فَضِيحَةً لَدَى الشُّهَــدَا

البــاب الـثـالـث

في تعظيم أمره صلى الله عليه و سلم و توقيره و بره

اللهُ عَظَّمَ قَدْرَ جَاهِ أَفْضَلِ مُــــرْ   سَلٍ مُحَمَّدٍ المُخْتَارِ فِي السُّعَــدَا
فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ نَادَاهُ وَ خَاطَبَـــهُ   بِمَا بِهِ أَرْغَمَ المَوْلَى أُنُوفَ عِــدَا
فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّبِي وَ خَاطَبَ قَـــوْ   مَهُ الأُلَى آمَنُوا بِمَا بِهِ شهــــدَا
فَكَانَ فِيهِمْ نَذِيراً شَاهِداً وَ مُبَـــــــشِّراً وَ كَانُوا بِهِ مُتَابِعِينَ هُــدَى
فَجَاءَهُمْ مُرْسَلاً لِيُؤْمِنُوا وَ يُعَــــــزِّرُوا أَوَامِرَهُ الَّتِي بِهَا وَفَــدَا
وَ جَاءَهُمْ لِيُوَقِّرُوهُ بَيْنَهُـــــمُ   وَ لاَ يُقَدَّمُ عَنْهُ وَاحِدٌ أَحَـــدَا
فَاللهُ قَدَّمَهُ عَلَى جَمِيعِهِـــــمُ   حَتَّى غَدَا وَحْدَهُ بِالفَضْلِ مُنْفَــرِدَا
وَ قَالَ لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ أَبَـــداً   لِرَفْعِ مِقْدَارِهِ فِي مَنْصِبٍ صَعِـــدَا
وَ قَالَ لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَهُ كَدُعَـــا   ءِ بَعْضِكُمْ فَلَهُ الذِّكْرُ الَّذِي مَجُــدَا
قَالَ الأَجَلُّ ابْنُ عَبَّاسٍ يُفَسِّرُهَـــا   تُعَزِّرُوهُ تُجِلُّوهُ هُنَا وَ غَـــدَا
وَ قَالَ فِيهَا المُبَرِّدُ الإِمَامُ تبـَـــا   لِغُوا لَهُ فِي احْتِرَامٍ طَاوَلَ الأَبَــدَا
وَ قَالَ أَخْفَشُهُمْ تُعَزِّرُوهُ بِمَعْـــــنَى تَنْصُرُوهُ وَ أن تؤيدَ   الرشـدَا
وَ قَالَ فِيهَا الإِمَامُ المُرْتَضَى الطَّبَرِي   تُعَزِّرُوهُ تُعِينُوهُ لِغَيْرِ مَـــدَى
وَ كَرَّرَ الزَّايَ شَاذٌّ فِي قِرَاءَتِـــهِ   أَخْذاً مِنَ العِزِّ فِيهَا وَ هْوَ مَا انْتُقِــدَا
وَ كُلُّهُمْ قَدْ نَهُوا عَنِ التَّقَدُّمِ عِنْــــــدَهُ بِقَوْلٍ عَلَيْهِ إِذْ غَدَا سَنَــدَا
وَ قَوْلُهُ الفَصْلُ وَ الَّذِي أَرَادَ لَهُـمْ   هُوَ الصَّوَابُ وَ لاَ يَزَالُ مُعْتَمَــدَا
وَ اللهُ حَذَّرَ كُلاًّ مِنْ مُخَالَفَــةِ   لَهُ بِإِهْمَالِ مَا بِهِ لَهُـــمْ وَرَدَا

مُخَوِّفاً لَهُمْ بِحَبْطِ مَا عَمِلُوا   إِذَا هُمُ جَهَرُوا بِالقَوْلِ أَوْ بِنِدَا
وَ لاَزَمَ ابْنُ شَمَاسٍ بَيْتَهُ وَجِلاً   مِنْ رَفْعِ صَوْتٍ لَهُ عَلَيْهِ فِي الشُّهَدَا
وَ كَانَ يَرْفَعُ مِنْهُ الصَّوْتَ مِنْ صَمَمٍ   بِهِ فَبَشَّرَهُ النَّبِي بِمَا حُمِدَا
وَ كَانَ مِن بَعْدِهَا يُسَارُّهُ عُمَرُ   فَلاَزَمَ الأَدَبَ الَّذِي بِهِ سَعِدَا
وَ أَقْسَمَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةٍ قَسَماً   أَنْ لاَ يُكَلِّمَهُ بِالجَهْرِ خَوْفَ رَدَى
وَ رَاعَ أَنْصَارَهُ مَا عَنْهُ فِيهِ نهوا   مِنْ قَوْلِهِمْ رَاعِنَا وَهُمْ بِهِ سُعَدَا
فَانْكَفَّ كُلُّهُمُ عَنْ قَوْلِهَا وَ بِهِمْ   قَد اقْتَدَى المُسْلِمُونَ بَعْدَهُمْ بِهُدَى

فصل

في عادة الصحابة في تعظيمه عليه الصلاة و السلام و توقيره و إجلاله

كَانَتْ صَحَابَةُ خَيْرِ الخَلْقِ إِنْ حَضَرُوا   لَدَيْهِ فِي أَدَبٍ قَدْ زَادَهُمْ رَشَدَا
فَمِنْهُمُ مَنْ يُرَى مُطَأْطِأً خَجِلاً   لَمْ يَمْلَأً العَيْنَ مِنْهُ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
كَأَنَّمَا الطَّيْرُ حَلَّ فَوْقَ أَرْؤُسِهِمْ   إِذَا أَحَاطُوا بِهِ إِنْ قَامَ أَوْ قَعَدَا
وَ مِنْهُمُ مَنْ يُرَى لَدَيْهِ مُبْتَدِراً   لِيُحْرِزَ البَرَكَاتِ مِنْهُ أَيْنَ غَدَا
لِفَرْطِ حِرْصِهِمُ عَلَى تَبَرُّكِهِمْ   بِنَيْلِ فُضْلَتِهِ لَنْ يَعْرِفُوا أَحَدَا
كُلٌّ يُرِيدُ بِأَنْ يَفُوزَ مِنْهُ بِهَا   وَ فِي حِيَازَتِهَا قَدْ قَامَ مُجْتَهِدَا
وَ جَاءَ فِي قِصَّةِ الأَجَلِّ عُرْوَةَ مَا   بِعُرْوَةِ المُصْطَفَى شَدُّوا عَلَيْهِ يَدَا
رَأَى تَجِلَّتَهُمْ لِلْمُصْطَفَى وَ هُمُ   أَجِلَّةٌ فَغَدُوا بِمَا رَأَى سَنَدَا
وَ قَالَ فِي قَوْمِهِ يَا قَوْمِ جِئْتُكُمُ   مِنْ عِنْدِ مَنْ لَمْ أَرَ مَثِيلَهُ أَبَدَا
فَمَا النَّجَاشِي وَ لاَ كِسْرَى وَ قَيْصَرُهُمْ   فِي صَحْبِهِ مِثْلُهُ قَدْ أَذْهَبَ النَّكَدَا
يُبَادِرُونَ لِفِعْلِ مَا بِهِ أُمِرُوا   وَ تَرْكِ مَا قَدْ نُهُوا عَنْهُ لِنَيْلِ هُدَى
لاَ يَسْمَعُونَ لِقَوْلِ غَيْرِهِ فَهُمُ   لِمَا يُحَدِّثُهُمْ بِهِ ارْتَوَوْا مَدَدَا
وَ فِي قَضِيَّةِ صَدِّ المُشْرِكِينَ لَهُ   عَنِ الطَّوَافِ بِبَيْتٍ فِي العُلَى صَعِدَا

وَ إِذْنُهُمْ لِلرِّضَى عُثْمَانَ فِيهِ بِهِ   أَبَى وَ قَالَ إِلَى طَوَافِ مَنْ حمدَا
فَمَا أَطُوفُ بِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ   خَيْرُ الوَرَى وَ أَرَاهُ فِيهِ قَدْ سَجَدَا
وَ كَانَ أَصْحَابُهُ يُقَدِّمُونَ إِلَى   سُؤَالِهِ الأَجْنَبِي لِيَعْرِفُوا الرَّشَدَا
يَصُدُّهُمْ عَنْ سُؤَالِهِ مَهَابَتُهُ   فَيَرْقَبُوا غَيْرَهُ إِذَا لَهُ قصدَا
وَ بَعْضُهُمْ أَخَّرَ السُّؤَالَ مِنْهُ لَهُ   لِمُدَّةٍ وَ لِفُرْصَةٍ بِهَا ارْتَصَدَا
وَ كَمْ وَكَمْ مِنْ جَلِيلٍ حِينَ أَبْصَرَهُ   غَدَا لإِجْلَالِ مَا رَاهُ مُرْتَعِدَا
وَ يَقْرَعُونَ بِظُفْرٍ بَابَهُ أَدَباً   عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْقُوا بِهِ نَكَدَا

فصل

وَ لَازِم حُرْمَة النَّبِيِّ بَعْدَ مَمَا   تِهِ كَحَالِ حَيَاتِهِ لَدَى السُّعَدَا
كَأَنَّهُ حَاضِرٌ فِي مَشْهَدٍ ذِكرَ اسْمُهُ بِهِ وَ لَدَى الحَدِيثِ إِنْ سُرِدَا
وَ سَرْدُ سِيرَتِهِ بِكَامِلِ الأَدَبِ الَّذِي يَلِيقُ بِمَنْ يَبْغِي بِهِ الرَّشَدَا
وَ أَنْ يُعَامِلَ آلَهُ وَ عِتْرَتَهُ   وَ صَحْبَهُ بِاحْتِرَامٍ نَوَّرَ الخَلَدَا
قَال التَّجِيبِيُّ كُلُّ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ وَاجِبٌ ذِكْرُهُ بِهَيْبَةٍ أَبَدَا
مَعَ الخُضُوعِ لَدَيْهِ وَ الخُشُوعِ لَهُ   كَأَنَّهُ فِي الحُضُورِ عِنْدَهُ قَعَدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ أَبْقَى اللهُ حُرْمَتَهُ   وَ هَذِهِ سِيرَةُ الَّذِي اهْتَدَى وَ هَدَى
وَ نَاظَرَ المَلِكُ المَنْصُورُ مَالِكَنَا   فِي مَسْجِدِ المُصْطَفَى الَّذِي بِهِ سَجَدَا
فَقَالَ مَالِكٌ الأَرْضَى الزَمِ الأَدَبَ العَالِي هُنَا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ هُدَى
فَاللهُ أَدَّبَ قَوْماً حَيْثُ قَالَ لَهُمْ   لاَ تَرْفَعُوا صَوْتَكُمْ وَ فَضْلُهُمْ شَهِدَا
وَ اللهُ أَثْنَى عَلَى قَوْمٍ بِغَضِّهِمُ   أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ خَيْرِ الخَلْقِ فِي الشُّهَدَا
أُولَئِكَ القَوْمُ لِلتَّقْوَى قَد امْتُحِنَتْ   قُلُوبُهُمْ بَيْنَ مَنْ بَيْنَ الوَرَى سعدَا
وَ ذَمَّ قَوْماً مِنَ الأَعْرَابِ حَيْثُ غَدَوْا   لَهُ وَرَا الحُجُرَاتِ يَرْفَعُونَ نِدَا
وَ إِنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتاً كَحُرْمَتِهِ   حَيّاً وَ إِجْلَالُه مِنْ شِيمَةِ الرُّشَدَا
فَعِنْدَ ذَاكَ لَهُ المَنْصُورُ فِي الحَرَمِ اسْتَكَانَ مُعْتَرِفاً لَهُ وَ مَا عَنَدَا

وَ قَالَ فِي السَّخْتِيَانِي مَالِكٌ وَ بِــــهِ   أَضْحَى يُنَوِّهُ بَيْنَ قَادَةٍ سُعَـــــدَا
كُلُّ الأُلَى عَنْهُمُ حَدَّثْتُكُمْ فَلَـــــهُ   فَضْلٌ عَلَيْهِمْ وَ فِيهِ صِرْتُ مُعْتَقِـــدَا
لَمْ يَذْكُرِ الْمُصْطَفَى وَقْتاً بِمَحْضَرِهِ   إِلَّا بَكَى وَلِذَاكَ اخْتَرْتُهُ سَنَـــــدَا
وَ حُبُّهُ لِرَسُولِ اللهِ قَدَّمَـــــهُ   عَلَى سِوَاهُ فَلَمْ أَعْدِلْ بِهِ أَحَـــــدَا
وَ مِثْلُهُ كَانَ يَبْكِي مَالِكٌ وَ حَكَـــى   عَمَّنْ رَوَى عَنْهُمُ مَا فَتَّتَ الْكَبِـــدَا
كَانُوا إِذَا ذُكِرَ النَّبِي بِمَحْضَرِهِــمْ   بَكَوْا وَ كُلُّهُمُ بِحُبِّهِ وَ جَـــــدَا
وَ قَالَ لَوْ كُنْتُمُ تَدْرُونَ وَ جْدَهُــمُ   عَذَرْتُمُونِيَ فِي الْبُكَاءِ فِي الشُّهَـــدَا
وَعَدَّ مِنْهُمْ أُنَاساً كَابْنِ مُنْكَـــدِرٍ   وَ كَانَ فِي عَمَلٍ بِالْعِلْمِ مُجْتَهِـــدَا
وَ مِنْهُمُ جَعْفَرُ ابْنُ الْبَاقِرِ الْحَسَنِـــي   وَ مَنْصِبُ الْكُلِّ فِي الْعُلْيَا بِهِمْ صَعِــدَا
وَ لَمْ يَزَلْ مَالِكٌ بِالإِقْتِدَاءِ بِهِــمْ   يُعَدُّ خَيْرَ إِمَامٍ لِلنَّجَاةِ هُـــدَى
وَ كَانَ لَمْ يَتَّخِذْ مُسْتَمْلِياً أَدَبَـــاً   مَعَ الرَّسُولِ إِذَا حَدِيثُهُ سُـــرِدَا
لَكِنَّهُ بَعْدَ حِينٍ صَارَ مُتَّخِـــذاً   لَهُ لِيُسْمِعَ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ ابْتَعَـــدَا
وَ كَانَ بَحْرُ الْعُلُومِ اللُّؤْلُؤِي بِسُكُـــــوتِ النَّاسِ يَأْمُرُ عِنْدَ سَرْدِ مَـا وَرَدَا
مُؤَوِّلاً مَا قَرَأْنَا بِالْوُجُوبِ لِإِنْـــــصَاتٍ لِسَرْدِ حَدِيثِ خَيْرِ مَنْ وُجِــدَا
كَمَا يَرَى وَاجِباً سماع قولتـــه   عَلَى الَّذِينَ لَهَا كَانُوا مِنَ الشُّهَـــدَا
وَ قِيلَ أَنَّ ابْنَ سِيرِينَ الْمُبَجَّــلَ إِنْ   يَضْحَكْ لِأَمْرٍ عَجِيبٍ بَيْنَ مَنْ رَشِــدَا
وَ إِنْ جَرَى عِنْدَهُ ذِكْرُ النَّبِيِّ بَكَــى   وَ اسْتَبْدَلَ الضَّحْكَ بِالْبُكَا بِمَا وَجَــدَا

فـــصـــل

في سيرة السلف في تعظيم رواية

حديث رسول صلى الله عليه و سلم وسنته

لِمَنْ مَضَى مِنْ حُمَاةِ الدِّينِ خَيْرُ هُدَى   وَ هُمْ بِحِفْظِ الْحَدِيثِ أَحْرَزُوا الرَّشَدَا
وَ قَدْ تَنَوَّعَتِ الطُّرْقُ الَّتِي سَلَكُـــوا   عَلَى مَحَجَّتِهَا فِي أَخْذِ مَــا وَرَدَا
وَ زَادَهُمْ مَدَداً حُسْنُ احْتِيَاطِهِــمُ   لَدَى سَمَاعٍ وَ إِلْقَاءٍ بِحُسْـــنِ أَدَا

هَذَا ابْنُ مَسْعُودٍ الأَرْضَى تَجَنَّبَ أَنْ   يَقُولَ قَالَ رَسُولُ اللهِ فِي الشُّهَـــدَا
وَ قَالَهَا مَرَّةً فِي مَجْلِسٍ فَعَـــلاَ   هُ الكَرْبُ فِيمَا حَكَى عَنْهُ الَّذِي شهـدَا
وَ مَالِكٌ مَرَّ يَوْماً وَ المُحَدِّثُ شَيْـــــــخُهُ أَبُو حَازِمٍ لِلدَّرْسِ قَدْ قَعَـــدَا
فَقِيلَ لِمْ لاَ وَقَفْتَ عِنْدَ مَجْلِسِـــهِ   فَقَالَ أَكْرَهُ أَخْذِي قَائِماً لِـهُـــدَى
إِنِّي أَصُونُ حَدِيثَ المُصْطَفَى أَدَبـاً   عَنْ أَنْ أَكُونَ بِلاَ حَالٍ لَنَا حـمِـــدَا
وَ كَانَ مَالِكٌ إِنْ رَامَ التَّحَـــدُّثَ لاَ   يُلْقِيهِ إِلاَّ عَلَى الوُضُوءِ مُتَّئِـــدَا
يُلْقِي الحَدِيثَ عَلَى كَمَالِ أُبَّهَـــةٍ   عَلَى مِنَصَّتِهِ قد ارْتَدَى بِـــرِدَا
وَ الطِّيبُ يَعْبَقُ فِي حَالِ الجُلُوسِ لَـهُ   لِمَنْ أَتَى فِي الحَدِيثِ يَطْلُبُ الرَّشَـدَا
وَ إِنْ أَتَى سَائِلُونَ يَطْلُبُونَ سِوَى الـــــحَدِيثِ أَخْبَرَهُمْ بِالأَمْرِ أَيْنَ غَـــدَا
فَقِيلَ يَا مَالِكٌ فِي النَّاسِ مَالَـــكَ إِنْ   حَدَّثْتَ تَفْعَلُ هَذَا بَيْنَ مَنْ شَهِـــدَا
فَقَالَ إِنَّ الحَدِيثَ جَلَّ مَنْقَبَـــةً   وَ هْوَ الجَدِيرُ بِتَعْظِيمِ الَّذِي رَشِـــدَا
← وَ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَلْقَى المَسَائِلَ عَنْ   حَدِيثِ خَيْرِ الوَرَى وَ لَمْ يَكُنْ قعـــدَا
وَ قَدْ أَتَى سَائِلٌ لِابْنِ المُسَيَّبِ حَـــــالَةَ اضْطِجَاعٍ بِهَا قَدْ كَانَ مُسْتَتِـــدَا
فَلَمْ يُفِدْهُ إِلَى أَنِ اطْمَأَنَّ لَـــهُ   وَ قَالَ إِنَّ الحَدِيثَ شَأْنُهُ مَجُـــدَا
فَلاَ أُحَدِّثُ إِلاَّ جَالِساً أَبَـــداً   مَعَ الرَّسُولِ وَ هَذَا حَالُ مَنْ سَعِـــدَا
قَالَ ابْنُ مُرَّةَ كَانُوا يَكْرَهُونَ بِـــأَنْ   يَرْوُوا الحَدِيثَ بِلاَ طَهَارَةٍ أَبَـــدَا
هَذَا قَتَادَةُ قَالَ يُسْتَحَبُّ وُضُـــــوءٌ عِنْدَ سَرْدِ الحَدِيثِ وَ هْوَ قَدْ حُمِدَا
وَ الأَعْمَشُ المُرْتَضَى يَرَى التَّيَمُّمَ أَوْ   لَى فِي التَّحَدُّثِ مِنْ تَرْكِ الوُضُوءِ هُدَى
وَ ابْنُ المُبَارَكِ يَحْكِي فِي رِوَايَتِـــهِ   عَنْ مَالِكٍ عَجَباً مِمَّا لَهُ شَهِـــدَا
فَقَالَ شَاهَدْتُهُ وَ عَقْرَبٌ لَدَغَتْـــــهُ سِتَّ عَشْرَةَ مَرَّةً بِهَا ارْتَعَـــدَا
فِي حَالِ إِمْلاَئِهِ الحَدِيثَ فِي مَـــلأٍ   وَ لَمْ يُعِقْهُ عَنِ الإِمْلاَءِ مَا وَجَـــدَا
وَ قَالَ صَبْرِي عَلَى مَا بِي أَلَمَّ بِهَـــا   مِنْ أَجْلِ إِجْلاَلِ خَيْرِ الخَلْقِ فِي الشُّهَدَا
وَ لابْنِ مَهْدِي لَهُ قَضِيَّةٌ وَقَعَـــتْ   مَعْ مَالِكٍ فِي العَقِيقِ حَيْثُ مَعْهُ عَـــدَا

فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُ مَالِكاً وَ أَنَا   أَمْشِي فَعَاتَبَنِي فِي الحَالِ مُنْتَقِدَا
وَ قَالَ قَدْ كُنْتَ فِي عَيْنِي أَجَلَّ وَ أَعْلَى مِنْ سُؤَالِيَ فِي المَمْشَى وَ فِيكَ هُدَى
وَ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَائِلٌ وَ لَهُ   فِي أَعْيُنِ الحَاضِرِينَ مَنْصِبٌ صَعِدَا
فَقَالَ فَلْتحبسوه حَيْثُ لَمْ يَتَأَدَّبْ فِي السُّؤَالِ عَنِ الحَدِيثِ مضطهدَا
قَالُوا لَهُ إِنَّهُ قَاضٍ فَقَالَ لَهُمْ   هُوَ الأَحَقُّ بِتَأْدِيبٍ بِغَيْرِ فِدَا
وَ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ آخَرٌ وَلَهُ   بِضَرْبِ عِشْرِينَ سَوْطاً قَدْ حَبَاهُ جَدَا
وَ بَعْدَ ذَلِكَ بَيْنَ القَوْمِ حَدَّثَهُ   عِشْرِينَ مِمَّا رَوَاهُ فَاهْتَدَى وَ هَدَى
وَ قَالَ يَالَيْتَهُ لَوْ زَادَنِي ضَرَبَاتٍ ثُمَّ حَدَّثَنِي بِقَدْرِهَا عَدَدَا
وَ اللَّيْثُ مَعْ مَالِكٍ مِنْ حُسْنِ ظَنِّهِمَا   لَمْ يَكْتُبَا العِلْمَ إِلاَّ طَاهِرِينَ هُدَى
وَ ذَاكَ مِنْ أَدَبِ العِلْمِ الَّذِي انْتَفَعَا   بِهِ وَ مَنْ يَتَأَدَّبْ يُحْرِزِ الرَّشَدَا

فصل

مِنْ بِرِّ خَيْرِ الوَرَى تَعْظِيمُ عِتْرَتِهِ   وَ حُبُّ أَزْوَاجِهِ اللاَّئِي حَوَيْنَ هُدَى
وَ إِنَّ تَبْجِيلَ كُلٍّ مِنْ عَلاَمَةِ مَنْ   يُعَدُّ عِنْدَ الوَرَى وَ اللهِ فِي السُّعَدَا
وَ المُصْطَفَى فِي الوَرَى قَدْ حَضَّ أُمَّتَهُ   عَلَى احْتِرَامِ الجَمِيعِ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ قَدْ مَشَى الصَّالِحُونَ فِي مَحَبَّتِهِمْ   عَلَى مَحَجَّتِهِمْ فَأَحْرَزُوا المَدَدَا
وَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي الذِّكْرِ خَاطَبَهُمْ   بِأَنَّهُ بِهِمُ أَرَادَ خَيْرَ جَدَا
فَأَذْهَبَ الرِّجْسَ عَنْهُمْ فِي خَلاَئِقِهِ   مُطَهِّراً لَهُمُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ قَالَ فِي زَوَجَاتٍ لِلنَّبِيِّ مُنَوِّهاً بِهِنَّ بِمَا قَدْ نَوَّرَ الخَلَدَا
مَقَالَة لِذَوِي الإِيمَانِ قَدْ نَفَعَتْ   أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَ لاَ فَنَدَا
وَالأُمَّهَاتُ لَهُنَّ كُلُّ مَكْرُمَةٍ   مَعَ البُرُورِ بِهِنَّ عِنْدَ مَنْ رَشِدَا
وَقَالَ فِي آلِهِ النَّبِي يُنَاشِدُنَا   اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي رَاقِبُوا الصَّمَدَا
فَقِيلَ مَنْ آلُهُ لِمَنْ رَوَاهُ لَنَا   فَقَالَ هُمْ عِنْدَنَا مِنْ أَفْضَلِ السُّعَدَا
آلُ النَّبِيِّ هُمُ فِي النَّاسِ آلُ عَلِي   وَ جَعْفَرٍ وَعَقِيلٍ عِنْدَ مَنْ سَعِدَا

وَ آلِ عَمِّ النَّبِي العَبَّاسِ رَابِعُهُمْ   فَهُمْ هُمُ الآلُ حَقّاً طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ خَاطَبَ المُصْطَفَى جَمِيعَ أُمَّتِهِ   يُوصِي عَلَى الآلِ مَنْ دَنَا وَ مَنْ بَعُدَا
فِيكُمْ أَنَا تَارِكٌ كِتَا بَ رَبِّكُمُ   وَ عِتْرَتِي آلُ بَيْتِي أَيُّهَا الشُّهَدَا
فَلْتَنْظُرُوا كَيْفَ أَنْتُمْ تَخْلُفُونِيَ فِيهِمَا فَإِنِّي لَكُمْ نِعْمَ المُجِيرِ غَدَا
وَ قَالَ مَعْرِفَةُ الآلِ الَّذِينَ هُمُ   آلِي بَرَاءَةٌ نَارٍ حَرُّهَا اتَّقَدَا
عَلَى الصِّرَاطِ جَوَازٌ حُبُّهُمْ فَإِذَا   لَمْ يَأْتِ عَبْدٌ بِهِ فِي بَابِهِ صُفِدَا
وَ فِي وِ لاَيَتِهِمْ مِنَ العَذَابِ أَمَا   نٌ لاَ انْتِهَاكٌ لِحُرْمَةٍ لَهُ أَبَدَا
وَ عِنْدَمَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَاتهمْ   بِحُسْنِ تَطْهِيرِهِمْ فِي مَجْمَعِ السُّعَدَا
دَعَا لَهُ الحَسَنَيْنِ بَعْدَ فَاطِمَةٍ   وَ خَلْفَ كُلٍّ عَلِي وَحَفَّهُمْ بِرِدَا
وَ بَعْدَ ذَاكَ دَعَا لِلجَمْعِ خَيْرَ دُعَا   فَخَصَّهُمْ بِجَدَى وَ عَمَّهُمْ بِهُدَى
وَ قَالَ فِي حَقِّ مَوْلاَنَا الأَجَلِّ عَلِي اللَّهُمَّ وَالِ مَوَالِيهِ وَ عَادِي عِدَا
مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ مِنْ أَهْلِ الهُدَى فَعَلِي   مَوْلاَهُ فَلْيَتَّخِذْ لَدَى العَلِيِّ يَدَا
وَ لاَ يُحِبُّ عَلِي إِلاَّ أَخُو رَشَدٍ   وَ لَيْسَ يُبْغِضُهُ إِلاَّ مُرِيدُ رَدَى
مُحِبُّهُ مُؤْمِنٌ حَقّاً وَمُبْغِضُهُ   مُنَافِقٌ لَمْ يَنَلْ هُنَا هَنَا وَ غَدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّ عَبَّاسٍ وَ أَقْسَمَ لاَ   لاَ يَتِمُّ إِيمَانُ شَخْصٍ فِيكُمُ حَقَدَا
وَ الشَّخْصُ صِنْوُ أَبِيهِ عَمُّهُ وَأَنَا العَبَّاسُ عَمِي فَمَنْ آذَاهُ مَا سَعِدَا
وَ قَدْ دَعَا المُصْطَفَى لَهُ وَ مَنْ مَعَهُ   مِمَّنْ دَعَاهُمْ لَهُ وَ حَفَّهُمْ بِرِدَا
فَأَمَّنَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الدُّعَاءِ لَهُ   أُسْكُفَّةُ البَابِ بَيْنَ مَنْ لَهُ شَهِدَا
كَمَا دَعَا لاِبْنِ زَيْدٍ نَجْلِ حَارِثَةٍ   مَوْلاَهُ خَيْرَ دُعَاءٍ زَادَهُ رَشَدَا
سَاوَاهُ فِي الحُبِّ فِي الدُّعَاءِ مَعْ حَسَنٍ   يَا سَعْدَ زَيْدٍ بِهَذَا الحُبِّ فِي السُّعَدَا
قَالَ الصَدِيقُ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَتُهُ الصِّدِّيقُ فِي الآلِ مَا قَدْ أَذْهَبَ النَّكَدَا
فِي آلِ بَيْتِ النَّبِي ارقبُوا نَبِيَّكُمُ   فَمَنْ يُحِبُّ أَباً يُحِبُّ مَا وَلَدَا
وَ قَالَ بَعْدَ يَمِينٍ مِنْهُ صَادِقَةٍ   فِي حَقِّ كُلِّ ذَوِي قُرْبَى النَّبِيِّ هُدَى

لَهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أُوَاصِلَ مِـــــنْ   قَرَابَتِي مَنْ دَنَا مِنِّي وَ مَنْ بَعُـــــدَا
وَ المُصْطَفَى بَشَّرَ المُحِبَّ فِيهِ وَفِي الـــــــبَتُولِ وَ الحَسَنَيْنِ حَسْبَمَـــا وَ رَدَا
فَالكَوْنُ مَعْهُ وَهَلْ فِي الكَوْنِ مِنْ شَرَفٍ   لِمَنْ أَحَبَّهُمُ كَهَذِهِ وُجِـــــــدَا
وَفِي قُرَيْشٍ يَقُولُ فِي جَمِيعِ أُمُـــو   رِي قَدِّمُوهَا فَفِيهَا الخَيْرُ قَدْ عُهِـــدَا
إِيذَاؤُهُ كَانَ فِي إِيذَاءِ عَائِشَـــــةٍ   وَ فَضْلُ عَائِشَةٍ بَيْنَ النِّسَاءِ بَـــدَا
وَ صَحَّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَ قَدْ حَمِلَ المَـــــــــوْلَى الرِّضَى حَسَناً قَدْ قَالَ مُتَّئِـــدَا
أُفْدِي شَبِيهَ النَّبِيِّ فِي الوَرَى بِأَبِـي   وَ لَيْتَنِي لِلنَّبِي فِي القَوْمِ كُنْتُ فِـــدَا
وَلابْنِ عَبْدِ العَزِيزِ فِي مَحَبَّـــةِ آ   لِ المُصْطَفَى مَنْصِبٌ فِي رِفْعَةٍ صَعِدَا
أَتَى أَبُو الفَضْلِ عَبْدُ اللهِ سِبْطُ عَلِي   إِلَيْهِ يَوْماً لِحَاجَةٍ لَهُ قَصَـــــدَا
فَقَالَ إِنِّيَ أَسْتَحْيِّي يَرَاكَ هُنَـــــا   رَبِّي لَدَيَّ وَ أَخْشَى أَنْ أَحِـــلَّ رَدَى
فَإِنْ تُرِدْ مَطْلَباً وَجِهْ رَسُولَكَ لِـــي   وَاكْتُبْ إِلَيَّ فَإِنِّي أَفْعَلُ الرَّشَـــــدَا
أُقْضِي مَطَالِبَكَ الَّتِي تُرِيـــــدُ وَلاَ   تَقِفْ بِبَابِي بَلَغْتَ القَصْدَ فِي الرُّشَدَا
وَ قِصَّةُ المُرْتَضَى زَيْدٍ قَد اشْتُهِرَتْ   مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ الأَجَلِّ فِي الشُّهَـــدَا
فَقَالَ زَيْدٌ لَهُ خل الركاب فَقَـــــدْ   أَخْجَلْتَنِي وَلَكَ الفَضْلُ الَّذِي شُهِـــدَا
فَقَالَ يَا زَيْدُ نَحْنُ هَكَذَا بِذَوِي الـــــــعُلُومِ نَفْعَلُ فِي أَمْرٍ بِـــهِ وَرَدَا
فَقَالَ زَيْدٌ وَ نَحْنُ هَكَذَا بِجَمِيـــــ   ـعِ الآلِ نَفْعَلُ ثُمَّ حَبَّ مِنْهُ يَـــدَا
وَفِي حَفِيدِ ابْنِ زَيدٍ ابْنِ حَارِثَـــةٍ   نَجْلُ الرِّضَى عُمَرٌ قَدْ قَالَ حِينَ بَـدَا
يَا لَيْتَ عَبْدِيَ هَذَا ثُمَّ قِيلَ لَـــهُ   هُوَ ابْنُ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ يَا ابْنَ مَنْ حَمِدَا
فَطَأْطَأَ الرَّأْسَ مِمَّا قَالَهُ خَجِـــلاً   وَ قَالَ قَوْلاً عَلَى وِفْقِ الَّذِي اعْتَقَـدَا
لَوْ أَنَّ خَيْرَ الوَرَى حَقّاً رَآهُ هُنَـــا   أَحَبَّهُ كَأَبِيهِ بَيْنَ مَنْ سَعِـــدَا
وَ أُخْتُهُ دَخَلَتْ يَوْماً عَلَى عُمَـــرٍ   وَ هْوَ ابْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِذْ حَوَى رَشَدَا
فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهَا كَالخَدِيمِ لَـــهَا   حَتَّى قَضَى مَا أَرَادَتْ مِن مُنَى وَجَدَى
وَذَاكَ مِنْ أَجْلِ إِجْلَالِ النَّـــبِيِّ لِآ   بَاءٍ لَهَا مِنْ مَوَالِيهِ وَهُمْ سُعَـــدَا

فَهُمْ أَحَبُّوا النَّبِي وَ قَدْ أَحَبَّهُـمُ   وَ مَنْ أَحَبَّهُمُ مَقَامُهُمْ صَعِـدَا
وَ مَنْ يُرَاعِي محباً فِي بَنِيهِ فَقَدْ   رَاعَى الوِدَادَ وَ لِلأَحْبَابِ مَا فقـدَا
وَ جَاءَ عَنْ عُمَرٍ فِي قِصَّةٍ وَقَعَتْ   مَعَ ابْنِهِ وَأُسَامَةَ الَّذِي رَشِـدَا
قَالَ ابْنُهُ لِمَ ذَا فَضَّلْتَهُ وَ أَنَـا   مَا كَانَ أَسْبَقَ مِنِّي فِي الَّذِي شهـدَا
فَقَالَ آثَرْتُهُ لِحُبِّ أَفْضَلِ خَلْـــقِ اللهِ فِيهِ وَ فِي أَبِيهِ بَعْدَ هُـدَى
وَ لَمْ يَكُنْ حُبُّهُ لِي لاَ وَ لاَ لَكَ مِثْـــلَ حُبِّهِ لَهُمَا مِنْ بَيْنِ مَنْ سَعِـدَا
لِذَاكَ آثَرْتُ حُبَّ المُصْطَفَى لَهُمَـا   عَلَيْكَ يَا ابْنِي وَ أَنْتَ نِلْتَ خَيْرَ جَـدَى
وَ حِينَ جَاءَ إِلَى الرِّضَى مُعَاوِيـةٌ   شَبِيهُ خَيْرِ الأَنَامِ كَابِسٌ حَمِـدَا
أَعْطَاهُ مَرْغُوبَهُ مَعَ اقْتِطَاعِهِ لِلْمِرْعَـــابِ مِنْ أَجْلِ شِبْهِهِ نَبِيَّ هُـدَى
مِنْ بَعْدِمَا قَدْ تَلَقَّاهُ وَ قَبَّلَـهُ   مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ حُبّاً فِي الَّذِي شهـدَا
وَ مَالِكُ جَعَلَ الَّذِي أَضَرَّ بِـهِ   بِالضَّرْبِ فِي القَوْمِ فِي حِلٍّ بِهِ اجتهدَا
حِينَ الإِفَاقَةِ مِنْ إِغْفَائِهِ وَ لَهُـمْ   أَبَانَ سِرّاً عَلَيْهِمْ قَدْ خَفَا فَبَـدَا
فَقَالَ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ فَأَلْـــقَى فِيهِ خَيْرَ الوَرَى وَ أَطْلُب القَـوَدَا
لِأَنَّ جَعْفَرَ وَ هُوَ الضَّارِبِيُّ يُـرَى   مِنْ آلِهِ وَ بِهِ قد اتَّخَذْتُ يَـدَا
وَ لِابْنِ عَيَّاشٍ المُقْرِي مَقَالُهُ مَـنْ   يُحِبُّ آلَ النَّبِي فَاهْتَدَى وَ هَـدَى
فَقَالَ لَوْ جَاءَنِي لِحَاجَةٍ عُمَـرٌ   مَعَ الأَجَلِّ أَبِي بَكْرٍ لِنَيْلِ جَـدَى
قَدَّمْتُ قَبْلَهُمَا فِي الحِينِ أَمْرَ عَلِـي   لِقُرْبِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ فِي الرُّشْـدَا
وَ لاَ أُقَدِّمُهُ عَلَيْهِمَا عَلَنَـاً   لَدَى القَضَايَا وَ لَوْ أَنِّي حَلَلْـتُ رَدَى
وَ قِيلَ لِابْنِ الرِّضَى العَبَّاسِ فِي مَلأٍ   مَاتَتْ فُلَانَةُ مِمَّنْ نَجْمُهَا صَعِـدَا
لِأَنَّهَا مِنْ أَجَلِّ أُمَّهَـاتِ ذَوِي ا   لإِيمَانِ فَارْتَاعَ ثُمَّ قَامَ بَلْ سَجَـدَا
وَ قَالَ إِنَّ سُجُودِي للمصَابِ بِهَـا   فَإِنَّهَا آيَةٌ لَهَا السُّجُودُ غَـدَا
ذَهَابُ زَوْجَاتِ خَيْرِ المُسْلِمِينَ رَزِ   يَّةٌ لِكُلِّ امْرِىءٍ لَهُنَّ قَدْ فَقَـدَا
وَ كَانَ يَقْصِدُ أُمَّ أَيْمَنٍ عُمَـرُ   مَعَ الأَجَلِّ أَبِي بَكْرٍ لما قصـدَا

كَانَا يَزُورَانِهَا تَأَسِّياً بِرَسُولِ   اللهِ إِذْ زَارَهَا فِي مَحْفِلٍ شُهِدَا
وَ عِنْدَمَا وَرَدَتْ عَلَى الرِّضَى عُمَرٍ   حَلِيمَةٌ بَعْدَ مَوْتِ سَيِّدِ الشُّهَدَا
فَقَامَ يَصْنَعُ مَعْهَا مِثْلَ مَا صَنَعَ النَّبِي   بِهَا وَ بِهَا اعْتَنَى بِبَسْطِ رِدَا
كَذَا أَبُو بَكْرٍ الأَجَلُّ قَامَ لَهَا   وَ قَدْ قَضَى كُلَّ مَا رَامَتْهُ فِي السُّعَدَا
قَدْ شَاهَدَا حُبَّ خَيْرِ الْمُسْلِمِينَ لَهَا   فَأَكْرَمَاهَا وَ أَوْلاَهَا كَمَالَ جَدَى
صَلَّى الإِلَهُ عَلَى النَّبِي وَ عِتْرَتِهِ   وَ سَائِرِ الصَّحْبِ وَ الأَتْبَاعِ دُونَ مَدَى
وَ اللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَكُونَ لِي وَ لِأَحْبَابِي   وَ يَكْشِفَ عَنَّا الهَمَّ وَ النَّكَدَا
وَ أَنْ يُبَلِّغَنِي وَوَالِدَيَّ وَ أَوْلاَدِي   الْمُنَى فَنُرَى فِي زُمْرَةِ السُّعَدَا
وَ الحَمْدُ لِلهِ حَقَّ الحَمْدِ ثُمَّ لَهُ   شُكْرِي عَلَى نِعَمٍ تَسْتَغْرِقُ العَدَدَا

فصل

تَوْقِيرُ صَحْبِ رَسُولِ اللهِ مِنْ شِيَمِ الْمُعَظِّمِينَ   لَهُ مِنْ سَائِرِ السُّعَدَا
وَ بِرُّهُمْ بِرُّهُ وَ الإِقْتِدَاءُ بِهِمْ   بِهِ اقْتِدَاءٌ لِمَنْ قَد ابْتَغَى الرَّشَدَا
وَ إِنَّ مَعْرِفَةَ الحَقِّ المَنُوطِ بِهِمْ   مِمَّا يَحِقُّ عَلَى مَنِ اهْتَدَى وَ هَدَى
مَعَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ فِي العِبَادِ مَعَ اسْتِغْفَارِهِ   لَهُمُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
أَمَّا الَّذِي اخْتَلَفَتْ فِيهِ الصَّحَابَةُ فِيمَا   بَيْنَهُمْ فَاجْتِهَادٌ عِنْدَ مَنْ رَشِدَا
دَعْ شِيعَةً وَ خَوَارِجاً وَ رَافِضَةً   فَجُلُّهُمْ فِيهِمُ قَدْ سَاءَ مُعْتَقَدَا
وَ لْنَتَّبِعْ مَنْهَجَ السُّنِّيِّ فِي رَشَدٍ   فَإِنَّهُ مَا عَلَى صَحْبِ النَّبِي حَقَدَا
وَ اللهُ أَثْنَى عَلَيْهِمْ فِي اقْتِدَائِهِمُ   بِالمُصْطَفَى فَهُمُ بَيْنَ الوَرَى سُعَدَا
وَ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ إِنْ ذُكِرَتْ   صَحَابَتِي أَمْسِكُوا وَ لْتَتْرُكُوا اللَّدَدَا
اللهَ اللهَ فِي صَحْبِي فَحُبُّهُمُ   حُبِّي وَ بُغْضُهُمُ بُغْضِي كَمَا وَرَدَا
فَهُمْ هُمُ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ وَ عَلَى الْكُفَّارِ   مَعْهُ أَشِدَّاءٌ لِنَيْلِ هُدَى
فَلاَ يَسُبُّهُمُ إِلاَّ الشَّقِيُّ وَ لاَ   يَغُضُّ مِنْ حَقِّهِمْ إِلاَّ الَّذِي طُرِدَا
وَ اللهُ أَثْنَى عَلَى الأَنْصَارِ بَيْنَهُمُ   وَ حَفَّهُمْ بِرِدَا رِضَاهُ فِي الشُّهَدَا

وَ اللهُ أَثْنَى عَلَى مَنْ هَاجَرُوا مَعَهُ   خَيْرَ الثَّنَا وَ بِهِ مَقَامُهُمْ صَعِدَا
فَكُلُّهُمْ فِي الهُدَى مِثْلُ النُّجُومِ بَدَتْ   مَنْ يَقْتَدِي مِنْهُمُ بِوَاحِدٍ رَشِدَا
وَ أَنَّهُمْ مِثْلُ مِلْحٍ فِي الطَّعَامِ بِهِ   صَلَاحُهُ وَإِذَا مِنْهُ خَلَا فَسَدَا
فَالصَّحْبُ كُلُّهُمُ خَيْرٌ وَ غَيْرُهُمُ   إِنْ أَبْغَضُوهُمْ هَوَوْا إِلَى حَضِيضِ رَدَى
فَاللهُ سُبْحَانَهُ اصْطَفَى الجَمِيعَ لَهُ   مِنْ سَائِرِ الخَلْقِ غَيْرِ الأَنْبِيَا السُّعَدَا
وَ اخْتَارَ مِنْهُمْ لَهُ فِي الخَلْقِ أَرْبَعَةً   وَ هُمْ هُمُ الخُلَفَاءُ القَادَةُ الرُّشَدَا
وَ مَالِكٌ قَالَ مَنْ يَغْتَاظُ إِنْ ذُكِرَ الـ   ـصَّحْبُ الكِرَامُ لَدَيْهِ لَمْ يَنَلْ رَشَدَا
بَلْ عَدَّهُ كَافِراً لِبُغْضِهِ لَهُمُ   وَ بُغْضُهُمْ شَرُّ مَا يَلْقَى الشَّقِيُّ غَدَا
و ابْنُ المُبَارَكِ قَالَ خَصْلَتَانِ إِذَا   مَا كَانَتَا فِي امْرِىءٍ نَجَا وَ نَالَ هُدَى
الصِّدْقُ مَعْ حُبِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَهَلْ   مِنْ بَعْدِ هَذَيْنِ شَيْءٌ مِنْ هُدَى وُجِدَا
وَ السَّخْتَيَانِي يَقُولُ مَنْ أَحَبَّ أَبَا   بَكْرٍ أَقَامَ لِدِينِ رَبِّهِ العُمُدَا
وَ أَوْضَحَ النَّهْجَ مَنْ فِي الحُبِّ فِي عُمَرٍ   قَدْ صَارَ بَيْنَ الوَرَى عَلَيْهِ مُسْتَنِدَا
وَ مَنْ أَحَبَّ الرِّضَى عُثْمَانَ فَهْوَ بِنُو   رِ اللهِ حَقّاً قَدِ اسْتَغْنَى هُنَا وَ غَدَا
وَ مَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فَهْوَ فِي رَشَدٍ   قَدْ أَمْسَكَ العُرْوَةَ الوُثْقَى وَ قَدْ سَعِدَا
وَ مَنْ عَلَى الصَّحْبِ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ فَقَدْ   غَدَا بَرِيئاً مِنَ النِّفَاقِ أَيْنَ غَدَا
وَ مَنْ لِوَاحِدِهِمْ قَدْ صَارَ مُنْتَقِصاً   يُعَدُّ مُبْتَدِعاً عَنِ الهُدَى ابْتَعَدَا
لَا يَرْفَعُ اللهُ مِنْهُ لِلسَّمَا عَمَلاً   وَ هَلْ تَرَى مُبْغِضاً فِي سَعْيِهِ حُمِدَا
وَ المُصْطَفَى عَدَّ تِسْعاً مِنْ صَحَابَتِهِ   وَ قَالَ إِنِّي رَاضٍ عَنْهُمُ الأَبَدَا
هُمْ عَلِي وَ أَبُو بَكْرٍ كَذَا عُمَرُ   عُثْمَانُ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ فِي الشُّهَدَا
وَ سَعْدُ إِبْنُ أَبِي وَ قَاصٍ سَابِعُهُمْ   مَعَ ابْنِ عَوْفٍ سَعِيدٍ فَاعْرِفِ السُّعَدَا
وَ أَهْلُ بَدْرٍ وَمَنْ حَلُّوا الحُدَيْبِيَةَ انْـ   ـثَنُوا بِغَفْرِ ذُنُوبٍ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ صَحْبُهُ كُلُّهُمْ فَازُوا بِمَنْقَبَةٍ   مَا نَالَهَا غَيْرهم لَوْ أَنْفَقُوا أُحُدَا
وَ إِنْ هُمُ طَالَبُوا شَخْصاً بِمظلَمَةٍ   فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تُوهَبْ لَدَيْهِ غَدَا

لَابُدَّ فِيهَا بِأَنْ يُقْتَصَّ مِنْهُ لَهُ   بِهَا وَ هَذَا بِهِ الرَّسُولُ قَدْ وَعَدَا
وَ لَا يُقَاسُ عَلَى صَحْبِ النَّبِي أَحَدٌ   فِي فَضْلِهِمْ فَعُلَاهُمْ فِي العُلَى صَعِدَا
فَمَا ابْنُ عَبْدِ العَزِيزِ وَ هْوَ خَيْرُ فَتَى   سَاوَى صَغِيرَهُمُ رَغماً لِمَنْ عَنَدَا
وَ لَمْ يُصَلِّ الرَّسُولُ فِي جَمَاعَتِهِ   عَلَى بَغِيضٍ لِعُثْمَانٍ وَ عَنْهُ غَدَا
وَ قَدْ دَعَا المُصْطَفَى بِحِفْظِ حَافِظِهِ   فِيهِمْ وَ أَخْذِ البَغِيضِ هَا هُنَا وَ غَدَا
وَ للمُسِيءِ مِنَ الأَنْصَارِ يُطْلَبُ عَفْواً وَ القَبُولَ لِمَنْ مِنْهُمْ أَتَى بِجَدَى
وَ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ يَخْرُجُ لِلْبَقِيعِ فِي اللَّيْلِ يَدْعُو اللهَ لِلشُّهَدَا
قَالَ الإِمَامُ الأَجَلُّ مَالِكٌ وَ لِذَا   بِحُبِّهِمْ قَدْ أُمِرْنَا وَ هْوَ فِيهِ هُدَى
وَ حَقَّ بُغْضُ مُعَادِيهِمْ وَ تَرْكُ مُوَا   لَاةِ البَغِيضِ لَهُمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ قَالَ كَعْبٌ وَ كُلٌّ فِي شَفَاعَتِهِ   يَوْمَ القِيَامَةِ مَقْبُولٌ إِذَا وَفَدَا
وَ هْوَ الَّذِي طَلَبَ ابْنَ نَوْفَلٍ لِيُرَى   لَهُ شَفِيعاً وَ فِيهِ كَانَ مُعْتَقِدَا
وَ التُّسْتَرِي قَالَ لَمْ يُؤْمِنْ بِسَيِّدِنَا   مُحَمَّدٍ مَنْ عَلَى أَصْحَابِهِ انْتَقَدَا
وَ كَيْفَ يُؤْمِنُ شَخْصٌ لَا يُوَقِّرُهُمْ   وَ هُمْ صَحَابَتُهُ سَادَاتُنَا الرُّشَدَا

فصل

إِعْظَامُ أَسْبَابِ خَيْرِ الخَلْقِ مِنْ شِيَمِ   الأُلَى بِتَعْظِيمِهِ قَد أَحْرَزُوا الرَّشَدَا
مِنْ كُلِّ مَا لِعُلَاهُ عُدَّ مُنْتَسِباً   قَوْلاً وَ فِعْلاً وَ حَالاً كَيْفَ مَا وَرَدَا
مِنَ المَآثِرِ وَ الآثَارِ إِنْ نُسِبَتْ   لَهُ وَ مَا صَحَّ مِنْهَا عُدَّ مُعْتَمَدَا
فَانْظُرْ إِلَى صَحْبِهِ وَ فِعْلُهُمْ مَعَهُ   وَ مَا يُرَاعِيهِ فِيهِ مَنْ لَهُ شَهِدَا
تَرَى بِأَعْيُنِ إِجْلَالٍ مَدِينَتَهُ   مُعَظِّماً مَكَّةَ الَّتِي بِهَا وُلِدَا
هَذَا الأَجَلُّ أَبُو مَحْذُورَةَ الجُمَحِي   مَا قَصَّ قُصَّتَهُ وَ قَدْ حَوَى رَشَدَا
مَا قَصَّ قُصَّتَهُ مِنْ أَجْلِ مَسِّ رَسُو   لِ اللهِ يَوْماً لَهَا فِي مَشْهَدِ الشُّهَدَا
فَكَانَ مِنْ طُولِهَا إِنْ هُوَ أَرْسَلَهَا   لِلأَرْضِ تَبْلُغُ فِي مَحَافِلِ السُّعَدَا
فَقِيلَ هَلَّا حَلَقْتَهَا فَقَالَ لَهُمْ   قَدْ مَسَّهَا المُصْطَفَى الَّذِي اهْتَدَى وَ هَدَى

فَلاَ أَقُصُّ الَّذِي مَسَّتْهُ مِنْهُ يَـدٌ   وَيَا لَهَا مِنْ يَدٍ أَسْدَتْ إِلَيَّ يَـدَا
وَ انْظُرْ إِلى ابْنِ المُفَدَّى المُرْتَضَى عُمَرٍ   وَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي النَّاسِ مُعْتَمَـدَا
بِوَجْهِهِ مَسَحَتْ لَهُ يَدٌ وُضِعَـتْ   عَلَى مَحَلٍّ بِهِ خَيْرُ الوَرَى قَعَـدَا
وَ خَالِدٌ قَدْ رَمَى بِالنَّفْسِ إِذْ سَقَطَـتْ   لَهُ قَلَنْسُوَةٌ وَ الحَرْبُ قَدْ و قَـدَا
وَ قَالَ رَمْيِّي بِنَفْسِي كَانَ مِنْ شَعَرَا   تِ المُصْطَفَى اسْتُودِعَتْ فِيهَا فَنَال هُدَى
فَلَسْتُ أَتْرُكُهَا هُنَا وَ لَوْ لَقِيـتْ   نَفْسِي رَدَاهَا وَ لاَ أَخْشَى الرَّدَى أَبَـدَا
وَ فِي المَدِينَةِ لَمْ يَرْكَبْ بَهِيمَتَـهُ ا   لإِمَامُ مَالِكٌ الأَجَلُّ أَيْنَ غَـدَا
كَيْلاَ تَدُوسَ لَدَى المَمْشَى بِحَافِرِهَا   مَحَلَّ **مَشْي النَّبِي** فَنَالَ خَيْرَ جَـدَى
أَهْدَى إِلى الشَّافِعِي خَيْلاً وَ قَالَ لَـهُ   خُذْهَا فَإِنِّي فِيهَا لاَ أَمُدُّ يَـدَا
إِنِّي لأَخْشَى بِأَنْ يَمُسَّ حَافِرُهَـا   مَمْشَى الرَّسُولِ وَ لاَ أُطَوِّح البَلَـدَا
وَ بَعْضُهُمْ لَمْ يَمُسَّ القَوْسَ دُونَ وُضُو   يِهِ لَهَا وَ عَلَى فِعْلِ النَّبِي اعْتَمَـدَا
فَقَالَ قَدْ مَسَّهَا خَيْرُ الوَرَى وَ أَنَـا   أَمُسُّهَا بِالوُضُوءِ قَاصِداً رَشَـدَا
وَ فِي المَدِينَةِ قَالَ أَحْرَزَتْ شَرَفـاً   بِهِ فَكَانَ لَهَا الفَضْلُ الَّذِي خلـدَا
وَ مَالِكٌ قَالَ فِيمَنْ قَالَ تُرْبَتُهَـا   رَدِيئَةٌ حَقُّهُ قَتْلٌ لِمَنْ جُلِـدَا
أَتُرْبَةٌ دُفِنَتْ ذَاتُ النَّبِيِّ بِهَـا   لَمْ تُلْفَ طَيِّبَةً عِنْدَ الَّذِي رَشَـدَا
وَ قَالَ خَيْرُ الوَرَى مَنْ أَحْدَثُوا حَدَثاً   فِيهَا عَلَيْهِمْ تُصَبُّ اللَّعْنَةُ الأَبَـدَا
وَ مِثْلُ ذَلِكَ مَنْ آوَاهُمُ فَعَلَيْـــــــهِ لَعْنَةُ اللهِ بَيْنَ كُلِّ مَنْ وُجِـدَا
لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ أَيَّ نَافِلَـةٍ   وَ لاَ فَرِيضَتهمْ فِيمَا خَفَا وَ بَـدَا
وَ قَدْ حَكَوْا أَنَّ جَهْجَاهَ الغِفَارِيَّ قَدْ   أَرْدَتْهُ آكِلَةٌ مِنْ سُوءِ مَا قَصَـدَا
قَدْ رَامَ كَسْرَ قَضِيبِ المُصْطَفَى بِيَدَيْـــــــهِ فَوْقَ رُكْبَتِهِ فَحَلَّ قَعْـرَ رَدَى
وَ مَاتَ قَبْلَ مُرُورِ الحَوْلِ فِي أَسَفٍ   عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ فِعْلِهِ الَّذِي شُهِـدَا
وَ مَنْ عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ يَحْلِفُ وَ هُـــــــوَ كَاذِبٌ حَلَّ نَاراً جَمْرُهَا اتَّقَـدَا
وَ كُلُّ هَذَا لأَجْلِ تَرْكِ حُرْمَتِـهِ   لِمَا لِخَيْرِ الوَرَى انْتِسَابُـهُ وَرَدَا

وَ أَنْشَدَا الجَوْهَرِي لَمَّا المَدِينَةُ قَدْ   بَدَتْ لَهُ وَغَدَا يَبْكِي لَهَا وَعَدَا
وَ قَدْ تَرَجَّلَ مِن بَعْدٍ وَكَادَ بِأَنْ   يَطِيرُ شَوْقاً مَعَ الوَجْدِ الَّذِي وَجَدَا
لَمَّا نَظَرْتُ لِرَسْمِ مَنْ كلفْتُ بِهِ   وَ لَمْ يَدَعْ لِيَ لُبّاً يعرفُ الرَّشَدَا
نَزَلْتُ مَعْ مَنْ مَعِي نَمْشِي عَلَى قَدَمٍ   وَ لَمْ نُلِمَّ بِهِ رَكْباً كَمَنْ وَفَدَا
وَ قَالَ بَعْضُ المُرِيدِينَ الذينَ لَهَا   هُمُ أَتَوْا متمثلاً وَ قَدْ وجدَا
عَنِّي الحِجَابُ انْجَلَى فَلاَحَ لِي قَمَرٌ   تَقَطَّعَتْ دُونَهُ الأَوْهَامُ حِينَ بَدَا
عَلَى الرِّحَالِ حَرَامٌ ظَهْرُ حَامِلَتِي   لَهُ وَلِمْ لاَ وَ قَدْ فَاقَ الرِّجَالَ هُدَى
وَ مِنْهُ قد قَرَّبَتْنِي وَ هْوَ أَفْضَلُ مَنْ   فِي الخَلْقِ قَدْ وَطِىءَ الثَّرَى وَ مَدَّ يَدَا
وَ بَعْضُهُمْ حَجَّ مَاشِياً فَقِيلَ لَهُ   فِي ذَاكَ قَالَ أَنَا العَبْدُ الَّذِي شَرَدَا
وَ العَبْدُ إِنْ كَانَ أَبِقاً فَكَيْفَ بِهِ   يَأْتِي لِمَوْلاَهُ رَاكِباً وَ قَدْ رُصِدَا
فَلَوْ قدرتُ بِأَنْ أَمْشِي بِرَأْسِيَ لاَ   أَمْشِي عَلَى قَدَمِي إِلَيْهِ مُتَّئِدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ عَيَّاضٌ وَحُقَّ بِأَنْ   تُجَلَّ آثَارُهُ وَ فَضْلُهُ شُهِدَا
وَ فِي المَدِينَةِ قَالَ مَا أُضَمِّنُ مَعْنَاهُ هُنَا وَ هْوَ مِثْلُ الدُّر قَدْ نضدَا
يَا دَارَ خَيْرِ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ بِهُدَى   وَ خَيْرِ مَنْ خُصَّ بِالآيَاتِ فِي الرُّشَدَا
عِنْدِي لِأَجْلِكَ لَوْعَاتٌ مُسعَّرَةٌ   بَيْنَ الجَوَانِحِ مِنْ جَوَى بِهَا اتَّقَدَا
عَلَيَّ عَهْدٌ وَثِيقٌ إِنْ مَلَأْتَ مَحَا   جِرِي بِنُورِ لِذِي عَيْنَيْنِ مِنْكَ بَدَا
إِنِّي أُعَفِّرُ وَجْهِي فِي ثَرَاكَ مَتَى   عَيْنِي تَرَاكَ وَ هَلْ تَرَكْتَ لِي جَلَدَا
لَوْلاَ دَوَاءٍ دَهَتْنِي عَنْكَ زُرْتُكَ فِي   شَوْقٍ دَعَتْنِي بِهِ نَفْسِي لَكَ الأَبَدَا
لَكِنْ سَأُهْدِي إِلى قَطِينَ رَوْضَتِكَ الغَرَّاءِ مِنْ خَيْرِ تَسْلِيمِي الَّذِي حمدَا
أَذْكَى مِنَ المِسْكِ نَفْحَة تَزِيدُ شَذَا   تَغْشَاهُ فِي سَائِرِ الأَوْقَاتِ دُونَ مَدَا
تَخُصُّهُ بِزَوَاكِيَ الصَّلاَةِ وَ تُحْيِّي القَلْبَ مِنْ آلِهِ وَ قَوْمِهِ السُّعَدَا

الباب الرابع

في حكم الصلاة و التسليم عليه صلى الله عليه و سلم

اللهُ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ فِي المَلاَ   لأَعْلَى صَلاَةً بِهَا بَيْنَ الوَرَى انْفَرَدَا
وَ كُلُّ أَمْلاَكِهِ صَلَّتْ عَلَيْهِ لِمَا   لَهُ مِنَ الشَّأْنِ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
وَ الأَمْرُ مِنْهُ بِهَا لِلْمُؤْمِنِينَ أَتَى   فِي الذِّكْرِ يُتْلَى بِتَنْوِيهٍ لِغَيْرِ مَدَى
مُؤَكَّداً فِيهِ بِالتَّسْلِيمِ بَيْنَهُمُ   عَلَيْهِ وَ الأَمْرُ مِنْهُ جَلَّ فِيهِ هُدَى
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَكْبَرُ الصَّلاَةِ هُنَا   يَعْنِي بِهَا البَرَكَاتِ لِلنَّبِي أَبَدَا
مَعْنَى يُصَلُّونَ أَيْ يُبَارِكُونَ لَهُ   بِرَفْعِ مِقْدَارِهِ عَلَى الَّذِي وجَدَا
وَ قِيلَ مَعْنَى صَلاَتِهِ تَرَحُّمُهُ   عَلَيْهِ مِمَّا يَزِيدُ المُصْطَفَى مَدَدَا
وَ أَنَّ مَعْنَى الصَّلاَةِ مِنْ مَلاَئِكَةٍ   هُوَ الدُّعَاءُ لَهُ بِرَحْمَةٍ وَجَدَى
قَالَ القُشَيْرِي صَلاَةُ اللهِ رَحْمَتُهُ   بِالمُؤْمِنِينَ وَ لِلنَّبِي عَلَى مَجُدَا
بِأَنْ يُزَادَ النَّبِي عِزّاً وَ تكرمةً   وَ مَا بِهِ فِي الوَرَى يَكُونُ مُنْفَرِدَا
وَ قِيلَ مَعْنَى صَلاَتِهِ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ فِي مَلاَئِكَةٍ إِذْ قَدْرُهُ صَعِدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ وَ النَّبِيُّ فَرَّقَ بَيْنَ تينكَ اللَّفْظَتَيْنِ فِي الَّذِي وَرَدَا
فَقَالَ صَلِّ وَ بَارِكْ فِي الحَدِيثِ لَدَى   تَعْلِيمِ أَصْحَابِهِ وَ هُمْ هُمُ الشُّهَدَا
وَ لَفْظُ صَلِّ وَ بَارِكْ فِي الحَدِيثِ يُرَى   مَعْنَاهُمَا مُتَخَالِفاً وَ مَا اتَّحَدَا
وَ سَلَّمَ الصَّحْبُ طُرّاً عِنْدَمَا نَزَلَتْ   آيَاتُهَا وَ هْيَ فِيهَا الخَيْرُ قَدْ حشَدَا
أَمَّا السَّلاَمُ عَلَيْهِ فَهْوَ مُحْتَمِلٌ   مِنَ المَعَانِي وُجُوهاً حُسْنُهُنَّ بَدَا
فَبِالسَّلاَمَةِ مِنْ كُلِّ النَّقَائِصِ أَوْ   بِالإِنْقِيَادِ لَهُ مَعْنَاهُ قَدْ وَرَدَا
وَ بِالسَّلاَمِ بِمَعْنَى اسْمِ الإِلَهِ وَ قَدْ   كَفَاهُ جَلَّ عُلاَهُ مَنْ عَلَيْهِ عَدَا

فصل

في فرضية الصلاة و التسليم عليه صلى الله عليه و سلم

إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِي قَدْ فُرِضَتْ   بِمُقْتَضَى الأَمْرِ فِي الذِّكْرِ الَّذِي وَرَدَا
وَ فَرْضُهَا لَمْ يَكُنْ مُعَيَّناً بِزَمَا   نٍ لِلْمُصَلِّي عَلَيْهِ بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
وَ قَدْ حَكَى الطَّبَرِيُ نَدْبَهَا وَ عَلَيْهِ حَمْلُ آيَاتِهَا لَدَيْهِ قَدْ شُهِدَا
وَ النَّدْبُ فِيهِ ادَّعَى الإِجْمَاعَ مُتَّبِعاً   لِغَيْرِهِ وَ سِوَاهُمْ لِلْوُجُوبِ هَدَى
وَ مَا ادَّعَى الطَّبَرِي لَعَلَّ مَوْضِعَهُ   فِي غَيْرِ مَا يسقطُ الفَرْضَ الَّذِي اعتمدَا
فَإِنَّ هَذِي الصَّلَاةَ مَرَّةٌ وَجَبَتْ   عَلَى المُكَلَّفِ مِثْلَ الحَجِّ مطردَا
وَ مَا عَدَا مَرَّةً فِي العُمْرِ فِيهِ يَقُو   لُ المَالِكِيَّةُ مَنْدُوب لِغَيْرِ مَدَى
وَ تُسْتَحَبُّ لَدَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ لَدَى   تَشَهُّدٍ فِي أَخِيرِهَا لِمَنْ عَبَدَا
وَ قِيلَ وَاجِبَةٌ أَيْضاً بِمَذْهَبِهِمْ   أَوْ سُنَّةٌ وَ هْوَ قَوْلٌ عُدَّ مُنْتَقَدَا
وَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ أَنَّ مَوْضِعَهَا   تَشَهُّدٌ فِي الصَّلَاةِ طِبْقَ مَا وَرَدَا
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ لاَ صَلَاةَ لَهُ   فِيمَا يَقُولُ وَ لَوْ سَهَا وَ لَوْ عَمَدَا
كَمَا الصَّلَاةُ عَلَى آلِ النَّبِيِّ لَدَيْهِ فَرْضُهَا فِي الصَّلَاةِ عُدَّ مُعْتَمَدَا
وَ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ قَدْ ضَعَّفَتْهُ جَمَا   عَةٌ وَ بَعْضُهُمُ قَوَّى لَهُ سَنَدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَدْ رَأَى حَمْلَ الحَدِيثِ عَلَى   كَوْنِ الكَمَال بِهَا فِيهَا وَ قَدْ عضدَا
فَلاَ تَتِمُّ صَلَاةٌ لاَ صَلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ وَ الآلِ فِيهَا عِنْدَهُ أَبَدَا
وَ لَمْ يَرِدْ ذِكْرُهَا فِيمَا رَوَوْهُ مِنَ التَّشَهُّدِ المُعْتَنَى بِهِ لَدَى الشُّهَدَا
وَ لَمْ يَرِدْ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَ لاَ عُمَرٍ   تَشَهُّدٌ فِيهِ نَصٌّ ذكرهَا شُهِدَا
وَ جَابِرٍ وَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَدْ حَفِظَا   لَفْظَ التَّشَهُّدِ وَ هْيَ مَا بِهِ شهدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ مِنْ صَحَابِي فِي تَشَهُّدِهِ   لَمْ يَرْوِهَا عَنْهُ رَاوٍ قَدْ حَوَى رَشَدَا
و المروزي يَقُولُ أنَّ تَارِكَهَا   عمداً يُعِيدُ لِكَوْنِ فِعْلِهِ فَسَدَا

فصل

في المواطن التي تستحب فيها الصلاة
و السلام على النبي صلى الله عليه و سلم

إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ قَدْ طُلِبَتْ   لَدَى مَوَاطِنَ فِيهَا تُذْهِبُ الكَمَدَا
مِنْهَا الصَّلَاةُ وَلَكِن فِي تَشَهُّدِهَا   قَبْلَ الدُّعَاءِ أَخِيراً فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ مَنْ أَتَى بِالدُّعَاءِ قَبْلَهَا فَبِهِ   قَدْ عُدَّ مُسْتَعْجِلاً فِي نَيْلِ مَا قَصَدَا
وَ مِنْ مَوَاطِنِهَا الدُّعَاءُ فَهِيَ لَهُ   وَسِيلَةٌ لِلْقَبُولِ عِنْدَ مَنْ عُبِدَا
وَ مَنْ أَتَى بِالصَّلَاةِ فِي الدُّعَا وَسَطاً   وَ أَوَّلاً وَ آخِيراً يُحْرِزُ المَدَدَا
وَ لَا تَزَالُ الصَّلَاةُ وَ الدُّعَاءُ مَعاً   مُعَلَّقَيْنِ وَ إِنْ يُؤْتَى بِهَا صَعِدَا
قَالَ الرِّضَى ابْنُ عَطاء لِلدُّعَاءِ لِمَنْ   رَامَ الإِجَابَةَ أَرْكَانٌ غَدَتْ عُمُدَا
وَ لِلإِجَابَةِ أَسْبَابٌ وَ أَجْنِحَةٌ   أَيْضاً وَوَقْتٌ بِهِ يَنَالُ مَا قَصَدَا
يَقْوَى بِأَرْكَانِهِ يَرْقَى بِأَجْنِحَةٍ   إِلَى السَّمَاءِ وَ بِالأَسْبَابِ قَدْ حَمِدَا
وَ انَّ أَرْكَانَهُ الحُضُورُ مَعْهُ خُشُو   عُ القَلْبِ وَ الرِّقَّةُ الَّتِي حَبتْهُ هُدَى
مَعَ التَّعَلُّقِ بِاللهِ الَّذِي يَدُهُ   مَبْسُوطَةٌ دَائِماً لِمَنْ دَعَا بِجَدَى
وَ انَّ أَوْقَاتَهُ الأَسْحَارُ وَ هْيَ بِهَا   كَمَالُ قَصْدٍ لِمَنْ فِيهَا دَعَا الصَّمَدَا
وَ انَّ أَسْبَابَهُ الصَّلَاةُ وَ هْيَ عَلَى النَّبِـ   ـي وَ آلٍ وَ صَحْبٍ تُذْهِبُ الكَمَدَا
فَإِنْ أَتَتْ أَوَّلَ الدُعا وَ آخِرَهُ   كَانَتْ إِجَابَتُهُ طِبْقَ الَّذِي اعْتَقَدَا
فَاللهُ يَقْبَلُ مَا قَدْ حَلَّ بَيْنَهُمَا   وَ أَنَّهُ بِاسْتِجَابَةِ الدُّعَا وَعَدَا
وَ مِنْ مَوَاطِنِهَا عِنْدَ الآذَانِ وَ عِنْـ   ـدَ ذِكْرِهِ مُطْلَقاً طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
وَ فِي مَوَاطِنَ لَمْ يُشْرَعْ بِهَا كَرُهَتْ   فِيهَا وَ مَا لَمْ يَرِدْ فَتَرْكُهُ حُمِدَا
فَفِي التَّعَجُّبِ لَمْ تُشْرَعْ وَ مَا شَرُعَتْ   عِنْدَ العُطَاسِ وَ عِنْدَ ذَبْحِهِمْ أَبَدَا
وَ لَا يُصَلَّى عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ هُنَا   إِلَّا احْتِسَاباً وَ قَصْدُ الأَجْرِ لِلسُّعَدَا
وَ قَالَ أَشْهَبُ فِيمَا مِنْهُ قَدْ كُرِهَتْ   لَا يَنْبَغِي أَنْ تُعَدَّ فِيهِ نَهْجَ هُدَى

فَلاَ هِدَايَةَ إِلاَّ بِالَّذِي شَرَّعَ الرَّسُولُ وَ هْوَ الهُدَى لِكُلِّ مَنْ رَشِدَا
وَ فِي حَدِيثِ النَّبِي أَمْرٌ يَحُضُّ عَلَى الإِكْثَارِ مِنْهَا بِيَوْمِ جُمْعَةٍ وَرَدَا
وَ مِنْ مَوَاطِنِهَا يُرَى الدُّخُولُ لِمَسْجِدٍ وَ عِنْدَ الخُرُوجِ مِنْهُ فِي الشُّهَدَا
وَ قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ إِذَا دَخَلَ الشَّخْصُ البُيُوتَ وَ لَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدَا
فَإِنَّهُ يَنْبَغِي التَّسْلِيمُ مِنْهُ عَلَى النَّبِي هُنَاكَ وَ مِنْهُ يَطْلُبُ المَدَدَا
وَ أَنْ يُسَلِّمَ بَعْدَ ذَاكَ مِنْهُ عَلَى الصُّلاَحِ وَ النَّفْسِ مِنْهُ حَيْثُ فِيهِ غَدَا
ثُمَّ السَّلاَمُ عَلَى سُكَّانِ دَاخِلِهَا   مِنْ مُؤْمِنِي الجِنِّ مِمَّنْ وَحَّدُوا الأَحَدَا
وَ بِالمَسَاجِدِ تَفْسِيرُ البُيُوتِ أَتَى   عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي اهْتَدَى وَ هَدَى
قَالَ الرِّضَى النَّخَعِي إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ   بِهَا فَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ تَلْقَ هُدَى
وَ قَالَ عَلْقَمَةُ إِذَا دَخَلْتُ لَهَا   أُهْدِي السَّلاَمَ لِخَيْرِ الخَلْقِ مُنْفَرِدَا
وَ نَحْوُهُ جَاءَ عَنْ كَعْبٍ وَ مَا ذَكَرَ الصَّلاَةَ كَعْبٌ وَ لَكِنْ نَالَ خَيْرَ جَدَى
وَ جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَفْعَلُهُ   إِذَا أَتَى المَسْجِدَ الَّذِي بِهِ سَجَدَا
وَ مِنْ مَوَاطِنِهَا تُرَى الصَّلاَةُ عَلَى   جَنَائِزٍ وَ هْيَ قِيلَ سُنَّةُ الرُّشَدَا
وَ مِنْ مَوَاطِنِهَا مِنْ بَعْدِ بَسْمَلَةٍ   كَمَا بِهِ عَمَلُ الأَعْلاَمِ قَدْ شُهِدَا
وَ مِنْهُمُ مَنْ بِهَا الكِتَابَ يَخْتِمُهُ   مِثْلَ ابْتِدَاء بِهَا وَ فِعْلُهُمْ حُمِدَا
وَ لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِ المُصْطَفَى عَمَلٌ   بِكَتْبِهَا وَ هْوَ بَعْدَ قَرْنِهِ وُجِدَا
فَيَالَهَا بِدْعَة تهدي الصَّلاَةَ لَهُ   وَ أَجْرُ تِلْكَ الصَّلاَةِ لَيْسَ فِيهِ مَدَى
فَالمُصْطَفَى قَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً فِي كِتَابٍ لَهُ بِهَا كَمَالُ جَدَى
مَا دَامَ فِيهِ اسْمُهُ وَ لِلمَلاَئِكَةِ الصَّلاَةُ مِنْهُمْ لَهُ بِمَا يَقِيهِ رَدَى
وَ مِنْ مَوَاطِنِ إِهْدَاءِ السَّلاَمِ إِلَى   خَيْرِ الأَنَامِ التَّشَهُّدُ الَّذِي وَرَدَا
وَ ذَاكَ بَعْدَ الثَّنَا عَلَى الإِلَهِ وَ قَبْلَ ذِكْرِهِ لِشَهَادَةٍ بِهَا شَهِدَا
وَ اسْتَحْسَنَ العُلَمَا قَصْدَ العُمُومِ بِهَا   لَدَى السَّلاَمِ عَلَى الصُّلاَّحِ وَ السُّعَدَا
يَنْوِي المُسَلِّمُ كُلَّ صَالِحٍ بَشَراً   أَوْ جِنّاً أَوْ مَلَكاً قَدْ كَانَ حَيْثُ غَدَا

وَ جَاءَ عَنْ مَالِكٍ عِنْدَ السَّلَامِ بِــــهِ   يُؤْتَى وَبَعْدَ شَهَادَةٍ وَ مَا انْتَقَــــدَا

فـــــصــــــل

في كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم و التسليم عليه

إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ قَــدْ وَرَدَتْ   عَنِ النَّبِي صِيَغٌ مِنْهَا حَوَتْ رَشَـــدَا
مِنْهَا الَّتِي نُسِبَتْ بَيْنَ الرُّوَاةِ لِإِبْــــــــــــرَاهِيمَ وَ اخْتَلَفَتْ مِنْ بَيْنِهِمْ سَنَـــدَا
قَالَ الصَّحَابَةُ فِيمَا قَدْ رَوَوْهُ لَنَــــا   كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ هُـــدَى
فَقَالَ قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ ثَمَّتَ لِلصَّــــــــــلَاةِ أَمْلَى عَلَيْهِمْ طِبْقَ مَـــــا وَرَدَا
فَصِيغَةٌ ذكرت أَزْوَاجُهُ مَعَــــــهُ   فِيهَا وَ ذُرِّيَّةٌ لَهُ حَوَوْا مَـــــدَدَا
فِيهَا وَ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَــــى   أَزْوَاجِهِ وَ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ ســــرَدَا
فِيهَا حَمِيدٌ مَجِيدٌ عِنْدَ آخِــــرِهَا   تُرْوَى عَنِ السَّاعِدِي الَّذِي بِهِ سَعِـدَا
وَ فِي المُوَطَّا أَتَى مِنْ بَعْدِهِ بَــدَلاً   عَنِ الجَمِيعِ وَ آلِهِ وَ هُمْ سُعَــــــدَا
وَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ وَ السَّلَامُ كَمَــــــا   عَلِمْتُمُ فِي تَشَهُّدٍ لِمَنْ شَهِــــــــدَا
وَ الكُلُّ قَدْ شُبِّهَتْ فِيهِ الصَّلَاةُ بِــمَا   لِآلِ إِبْرَاهِمَ وَ قَدْرُهُمْ مَــجُـــــدَا
وَ فِي رِوَايَةِ كَعْبٍ حَذْفُ عَتْرَةِ إِبْــــــرَاهِيمَ فِي مِثْلِ مَا قَدَّمْتُ معتمــــدَا
وَ صِيغَةٌ ضِمْنُهَا عَلَى مُحَمَّدٍ النَّــــــــبِيِّ مِنْ بَعْدِهِ الأُمِّيِّ فِي السُّعَـــــدَا
آخِيرُهَا وَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ الـــــــــرَّاوِي لَهَا عُقْبَةُ الَّذِي حَوَى رَشَـــدَا
وَ صِيغَةٌ بَعْدَهُ عَبْدٌ أُضِيــــفَ إِلَى   مُخَاطَبٍ وَ رَسُولٍ مِثْلُهُ شُهِــــــدَا
وَ قَدْ رَوَاهُ لَنَا الخذْرِي وَ تَمَّمَـــــهُ   بِمِثْلِ مَا قَدْ مَضَى مَعْنًى وَ مَا انتقــدَا
أَمَّا الَّتِي عَدَّهَا النَّبِيُّ فِي يَـــــدِهِ   فَإِنَّهَا صِيغٌ بِهَا أَطَالَ يَــــــــدَا
قَدْ شَبَّهَ الكُلَّ بِالكُلِّ الَّذِي وَقَعَــــتْ   فِيهِ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ طِبْقَ مَا عهِــــدَا
فَقَالَ فِي الصِّيغَةِ الأُولَى لِحَافِظِهَا الـــــــلَّهُمَّ صَلِّ إِلَى التَّمَامِ مُتَّئِـــــدَا
لَكِنْ أَبَانَ ضَمِيرَ آلِهِ فَغَدَا اسْـــــــمَاً ظَاهِراً فِيهِمَا لَفْظاً وَ مَا اتَّـــحَدَا
وَ فِي الَّتِي بَعْدَهَا يَقُولُ حَافِظُهَا الـــــــلَّهُمَّ بَارِكْ إِلَى الخِتَامِ مُعْتَمِـــدَا

وَ جَاءَ فِي صِيغَةٍ تُعَدُّ ثَالِثَـــــــةً   لَفْظُ التَّرَحُّمِ بِالعَطْفِ الَّذِي حمـــــدَا
فَقَالَ مِنْ بَعْدِ قَوْلِهِ اللَّهُمَّ لَدَى الــــ   ـرَّاوِي لَهُ وَ تَرَحَّمْ تَابِعاً سَنَـــــدَا
وَ مِثْلُهَا وَ تَحَنَّنْ ثُمَّ خَامِسَـــــــة   فِيهَا وَ سَلِّمْ وَ قَدْ أَحْصَيْتُهَا عَــــدَدَا
وَ جَاءَ فِي الأَصْلِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ   خَيْرِ الوَرَى صِيغَةٌ نَفَى بِهَا الكَمَــدَا
يَقُولُ فِيهَا اللَّهُمَّ ثُمَّ صَلِّ عَلَــــى   مُحَمَّدٍ وَ بِهِ وَصْفُ النَّبِي وُ جِــــدَا
فِيهَا وَ أَزْوَاجُهُ بِوَصْفِهِنَّ بِـــــمَا   نَالَتْ بِهِ أُمَّهَاتُ المُومِنِينَ هُـــــدَى
وَ بَعْدَهُنَّ أَتَى بِعَطْفِ ذُرِّيَـــــــةٍ   وَ أَهْلِ بَيْتٍ كَمَا صليتُ دُونَ مَـــدَى
عَلَى نَبِيِّكَ إِبْرَاهِيم إِنَّـــــكَ ذُو   فَضْلٍ حَمِيدٍ مَجِيدٍ فِي الخِتَامِ بَـــدَا
وَ قَالَ من بسرّهُ يَكْتَالُ أَوْفَرَ مِكْــــــــــــــيَال يَقُلْهَا يَفُزْ بِالسِّرِّ أَيْنَ غَــــدَا
وَ فِي رِوَايَةِ زَيْدِ ابْنِ خَارِجَـــــةٍ   صَلُّوا عَلَيَّ وَقُولُوا أَيُّهَا السُّعَــــدَا
لاَهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَلَـــــى   آلِ مُحَمَّدٍ الَّذِي اهْتَدَى وَ هَــــدَى
وَ الخَتْمُ فِيهَا كَمَا بَارَكْتَ مِنْكَ عَلَى   إِبْرَاهِمَ ثُمَّ تَمَّتْ بِالَّذِي عُهِـــــدَا
وَ كَمْ وَكَمْ صِيغَة مِنَ الصَّلاَةِ عَلَى   خَيْرِ الوَرَى وَرَدَتْ تُنَوِّرُ الخَلَــــدَا
جَاءَتْ عَنِ السَّلَفِ المَحْمُودِ فِعْلهمُ   حَضُّوا عَلَى ذِكْرِهَا وَ فَضْلُهُمْ شُهِدَا
فَجَوْهَرُ اللَّفْظِ مِنْهَا لَسْتُ أنظمــــهُ   فَرُبَّ نَظْمٍ بِهِ الدُّرُّ الــسَّنِي فَسَــدَا
إِنِّي أُشِيرُ لَهَا وَ الأَصْلُ حَافِظُهَـــا   فَكُنْ لَهَا حَافِظاً فِي الذِّكْرِ مُجْتَهِــدَا
فَعَنْ سَلاَمَةٍ الكِنْدِيِّ كَانَ عَلِـــــي   فِينَا يُعَلِّمُنَا الصَّلاَةَ فِي الرُّشَـــدَا
يَقُولُ قُولُوا اللَّهُمَّ ثُمَّ جَاءَ بِـــــدَا   حِي المُدْحَوَاتِ إِلَى تَمَامِ مَا سُــرِدَا
وَ عَنْ عَلِي جَاءَ أَيْضاً صِيغَةٌ بُدِنَتْ   بِآيَةِ الأَمْرِ بِالصَّلاَةِ لِلشُّهَـــدَا
وَ قَالَ مِنْ بَعْدِهَا لَبَّيْكَ ثُمَّ أَتَـــى   بِمَا بِهِ قَدْ أَطَالَ فِي الثَّنَاءِ يَـــدَا
كَمَا هُنَا لِابْنِ مَسْعُودٍ بَدِيعُ صَــلاَ   ةٍ تَجْمَعُ الصَّلَوَاتِ لِلَّذِي حمــــدَا
وَ قَالَ مِنْ بَعْدِمَا قَدْ صَاغَ صِيغَتَهُ الــــــــــبَصْرِي يَحُثُّ عَلَيْهَا بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
مَنْ رَامَ يَشْرُبُ مِنْ حَوْضِ النَّبِي بِأَوْ   فَى كَاس يَقُلْهَا يُحْرِزُ الرَّشَــــدَا

و لابْنِ عَبَّاسٍ الأَرْضَى أَتَمُّ دُعَـا   قَدْ كَانَ يَدْعُو بِهِ وَدُرُّهُ نضـدَا
إِلَيْهِ طَاوُوسُ بَيْنَ النَّاسِ يُنْسِبُـهُ   وَ بَعْضُهُمْ قَالَ فِيهِ جَيِّدٌ سَنَـدَا
وَ عَنْ وُهَيْبٍ بَدِيعُ صِيغَةٍ جَمَعَـتْ   سِرّاً بِهِ انْتَفَعَ الَّذِي بِهَا وَجَـدَا
وَ لِلأَجَلِّ ابْنِ مَسْعُودٍ أَجَلُّ دُعَـا   وَ حَضَّ بَيْنَ المَلاَ عَلَيْهِ مُجْتَهِـدَا
وَ قَال فَلْتُحْسِنُوا مِنْكُمْ صَلاَتَكُـمُ   عَلَى النَّبِي عَنْكُمُ يَرْضَى هُنَا وَ غَـدَا
أَمَّا الصَّلاَةُ عَلَى آلِ النَّبِي وَ صَحْـــبِهِ و الثَّنَا عَلَى الجَمِيعِ بَـدَا
وَ إِنَّهُ لَكَثِيرٌ بَيْنَ مَنْ سَلَفُـوا   وَ فِيهِ كَمْ صِيَغ صِيغَتْ لِمَنْ حمِـدَا
وَ الخلفُ بَيْنَ الكَثِيرِ فِي الدُّعَا لِرَسُو   لِ اللهِ بالرَّحْمَةِ المُهْدَاةِ قَدْ وجَـدَا
كخلفِهِمْ فِي الدُّعَا لَهُ بِمَغْفِـرَةٍ   غداً مَعَ الغَيْرِ فِي الدُّعَا أَو انْفَـرَدَا
فَالمُرْتَضَى ابْنُ أَبِي زَيْدٍ يَقُولُ بِـهِ   وَ مَنْعُهُ لِابْنِ عَبْدِ البَرِّ قَدْ عضـدَا
وَ قَالَ غَيْرُهُمَا مَا قَالَ دَاخِلَ مَـذْ   هَبٍ وَ خَارِجَهُ وَ الحَقُّ فِيهِ بَـدَا
فَقَدْ أَتَى فِي الحَدِيثِ فِي التَّشَهُّدِ ذِكْـــرُ رَحْمَةٍ وَ تَرَحُّمٍ كَمَا شُهِـدَا
وَ مَا نَفَوْا صِحَّةً عَنْهُ فَإِنَّ سِـوَا   هُ مِنْ صَحِيحِ الحَدِيثِ عِنْدَنَـا وَرَدَا

فصـــل

في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم و التسليم عليه و الدعاء له

فَضْلُ الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِي لَيْسَ لَـهُ   مِن الجَزَاءِ نَظِيرٌ حَيْثُ فَاقَ جَـدَى
وَ المُصْطَفَى المُجْتَبَى قَدْ حَضَّ أُمَّتَهُ   عَلَى الصَّلاَةِ عَلَيْهِ بَيْنَ مَنْ شَهِـدَا
فَكَانَ مِنْ حِرْصِهِ فِي نَفْعِ أُمَّتِـهِ   بَيَانُ مَا لِلْمُصَلِّي مِنْ جَدَى وَ هُـدَى
فَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرُو لِلحِكَايَـةِ لِـلأَ   ذَانِ حَضَّ عَلَيْهَا سَيِّدُ الرُّشَـدَا
وَ يَسْأَلُ اللهَ لِلنَّبِي الوَسِيلَةَ وَ هْـــيَ رُتْبَةٌ لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِهِ أَبَـدَا
فَقَدْ رَجَا المُصْطَفَى بِأَنْ تَكُونَ لَـهُ   وَ كَانَ ذَلِكَ طِبْقَ مَا بِهِ قَصَـدَا
وَ هْوَ المَقَامُ الَّذِي مَا بَعْدَهُ رُتَـبٌ   فِي المَجْدِ وَ الفَضْلِ وَهْوَ دَائِماً حمِدَا

وَإِنَّ سَائِلَهَا لَهُ شَفَاعَتُهُ   حَلَّتْ وَ يَكْشِفُ عَنْهُ اللَّهُ مَا وَجَدَا
وَ مَنْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَاحِدَةً   يُصَلِّ عَشْراً عَلَيْهِ اللَّهُ فِي السُّعَدَا
وَ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ تُحَطُّ وَ أَنْ   يُنِيلَهُ دَرَجَاتٍ مِثْلَهَا عَدَدَا
وَ قَدْرُهَا حَسَنَاتٍ كُلُّهَا عَظُمَتْ   فَيَا سَعَادَةَ مَنْ فِيهَا أَطَالَ يَدَا
وَ فِي حَدِيثِ النَّبِي جِبْرِيلُ بَشَّرَهُ   فِي حَقِّ مَنْ سَلَّمُوا عَلَيْهِ أَيْنَ غَدَا
فَإِنَّ تَسْلِيمَهُ عَلَيْهِمُ لِسَلَامِهِمْ عَلَيْهِ وَ فِيهِ رَحْمَةٌ وَ هُدَى
وَ مَنْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ عَشْرَةً فَكَأَنَّهُ لِعَشْرِ رِقَابٍ فِي الْعِبَادِ فَدَى
بَلْ قَالَ فِي حَقِّهِ الصِّدِّيقُ أَفْضَلُ مِنْ   عِتْقِ الرِّقَابِ وَ إِنْ لَمْ يُكْثِرِ الْعَدَدَا
وَ إِنَّ أَوْلَى الْعِبَادِ بِالشَّفَاعَةِ مُكْثِرُوا الصَّلَاةِ عَلَيْهِ عِنْدَ مَنْ سَعِدَا
و يعرفُ الْمُصْطَفَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْوَاماً بِكَثْرَتِهَا عَلَيْهِ فِي الشُّهَدَا
وَ إِنَّ أَنْجَى الْوَرَى فِي الْحَشْرِ مُكْثِرُهَا   وَ إِنَّهَا لَتَرُدُّ عَنْهُ كُلَّ رَدَى
وَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ فِي مَكَاتِبِهِ   مَا دَامَ فِيهَا اسْمُهُ يَمُدُّهُ مَدَدَا
وَ لَا تَزَالُ عَلَيْهِ من مَلَائِكَةٍ   صَلَاتُهُمْ مَا بِهَا اسْمُهُ النَّبِي وجِدَا
وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ كَعْبٍ حِينَ قَالَ لَهُ   إِلَيْكَ أُهْدِي صَلَاتِي كُلَّهَا الْأَبَدَا
فَقَالَ خَيْرُ الْوَرَى لَهُ وَ أَنْتَ إِذَنْ   تُكْفَى بِهَا كُلَّ هَمٍّ هَاهُنَا وَ غَدَا
وَ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْبُشْرَى لَهُ وَرَدَتْ   فِيمَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ بَيْنَ مَنْ رَشِدَا
فَإِنَّ خَالِقَهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الصَّلَاةُ مِنْهُمْ لَهُ فِي مَنْصِبٍ صَعِدَا

فصل

في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه و سلم

مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ إِنْ ذُكِرَا اسْمُهُ تَعَرَّضَ لِلْإِعْرَاضِ عَنْهُ غَدَا
بِالرَّغْمِ لِلْأَنْفِ قَدْ دَعَا النَّبِي عَلَيْهِ وَهْوَ مِنْهُ دُعَاءٌ فَتَّتَ الْكَبِدَا
وَ أَمَّنَ الْمُصْطَفَى بِالْحَالِ حِينَ دَعَا   جِبْرِيلُ يَوْماً وَفَوْقَ مِنْبَرٍ صَعِدَا
أَتَاهُ عِنْدَ ارْتِقَائِهِ وَ قَالَ لَهُ   أَمِّنْ عَلَى تَارِكِيهَا إِنَّهُمْ بَعُدَا

قَلَمْ يَسَعْهُ سِوَى أَنْ قَالَهَا وَدَعَا وُهُ يُجَابُ فَيَاوَيْلَ الَّذِي عَنَدَا
إِنَّ الْبَخِيلَ الْبَخِيلَ وَهْوَ تَارِكُهَا لَا يَهْتَدِي لِطَرِيقِ جَنَّةٍ أَبَدَا
وَ مَا تَفَرَّقَ جَمْعٌ لَمْ يُصَلَّى عَلَيْـ ـهِ فِيهِ إِلَّا وَضَلُّوا عَنْ طَرِيقِ هُدَى
وَ كَانَ مِن رَبِّهِمْ عَلَيْهِمُ تِرَةٌ لِكَوْنِهِمْ تَرَكُوا مَا فِعْلُهُ حُمِدَا
وَ جَاءَ مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ مِنْهُ عَلَيْـ ـهِ يَنْسَ طريقا للجنان هَدَى
وَ مِنْ قَبِيحِ الْجَفَا تَرْكُ الصَّلَاةِ عَلَيْـ ـهِ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ فِي مَنْهَجِ السُّعَدَا
وَ رَاحَ جَمْعُهُمُ فِي قُبْحِ رَائِحَةٍ تَشُمُّ أَنْتَنَ رِيحٍ مِنْهُمُ وُجِدَا
وَ كَانَ ذَاكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ وَ هُمُ بِجَنَّةٍ فَقَدُوا مَا غَيْرَهُمْ وَجَدَا
فَهُمْ يَرَوْنَ الْمُصَلِّي فِي عُلَاهُ عَلَا فَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا جَمْعُهُمْ فَقَدَا
وَ مَرَّةً أَجْزَأَتْ فِي مَجْلِسٍ ذُكِرَ اسْـ ـمُهُ مِرَاراً بِهِ وَعُدَّ مُعْتَمَدَا

فصل

في تخصيصه عليه الصلاة و السلام

بتبليغ صلاة من صلى عليه من الأنام

الْمُصْطَفَى بِجَمَالِ الْحَقِّ قَدْ وَجَدَا مُسْتَغْرِقُ الْفِكْرِ فِيهِ مَا لَهُ افْتَقَدَا
وَإِنْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ فِي الْوَرَى أَحَدٌ رَدَّ الْإِلَهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ بِجَدَى
حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ فِي الْوُجُودِ سَلَا مَهُ بِأَحْسَنِ رَدٍّ قَدْ كَفَاهُ رَدَى
فَيَرْتَقِي الْمُصْطَفَى بِذَاكَ فِي الْحَضَرَا تِ مِنْ مَقَامٍ لِأَعْلَى فِي الْعُلَا صَعِدَا
وَمَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَهْوَ يَسْمَعُهُ إِنْ كَانَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ إِنْ يَكُنْ نَائِياً تَبْلُغْهُ مِنْهُ صَلَا تُهُ عَلَى يَدِ أَمْلَاكِ لَهَا شُهِدَا
فَإِنَّ لِلَّهِ أَمْلَاكاً تُبَلِّغُ لِلـ ـنَّبِي السَّلَامَ وَ إِنْ عَنْ قُطْرِهِ بَعُدَا
وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ إِنَّ سَلَا مَكُمْ عَلَى الْمُصْطَفَى يُنِيلُكُمْ رَشَدَا
فَأَكْثِرُوا مِنْهُ كُلَّ جُمْعَةٍ فَبِهِ يُؤْتَى لَهُ كُلَّ جُمْعَةٍ وَلَا فَنَدَا
وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فَالصَّلَاةُ عَلَيْـ ـهِ عَرْضُهَا دَائِماً وَ فَضْلُهَا شُهِدَا

وَ حضَّ أُمَّتَهُ عَلَى الزِّيَادَةِ مِنْهَا فَهْيَ تُنْتِجُ لِلْمُنَى لَهُمْ وَجَدَى
فَحَيْثُ مَا كُنْتُمُ صَلُّوا عَلَيْهِ فَفِي الصَّلَاةِ مِنْكُمْ عَلَيْهِ الخَيْرُ قَدْ حُشِدَا
وَ إِنَّ عَرْضَ اسْمَ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ كَمَا يَقُولُ بَعْضُهُمْ مِمَّا يَزِيدُ هُدَى
لَاسِيَمَا اللَّيْلَةَ الزَّهْرَا فَإِنَّ لَهَا كَيَوْمِهَا مَشْهَداً يَسُرُّ مَنْ شَهِدَا
يُقَالُ لِلْمُصْطَفَى هَذِي الصَّلَاةُ بِهَا صَلَّى فُلَانٌ عَلَيْكَ أَعْطِهِ المَدَدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَدْ رَأَى رُؤْيَا وَ بَشَّرَهُ النَّبِيُّ فِيهَا بِمَا يُنَوِّرُ الخَلَدَا
فَقَالَ أَسْمَعُ فِي قَبْرِي السَّلَامَ وَ هَذَا طِبْقَ مَا فِي حَدِيثٍ قَدْ مَضَى وَرَدَا

فصل

في الإختلاف في الصلاة على غير النبي

و سائر الأنبياء عليهم السلام

قَالَ المُؤَلِّفُ إِنَّ عَامَّةَ العُلَمَا قَالُوا تَجُوزُ صَلَاةُ العَبْدِ لِلشُّهَدَا
وَ لَا تَجُوزُ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ لَدَى الرِّضَى ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي حَوَى رَشَدَا
وَ عِنْدَ سُفْيَان جَاءَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِينَ كُرْهٌ مُطْلَقاً وُجِدَا
وَ مَالِكٌ قَالَ قَدْ خُصَّتْ بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَ هْيَ فِي سِوَاهُ لَنْ تَرِدَا
وَ نَحْنُ لَا نَتَعَدَّى مَا الكِتَابُ أَتَى بِهِ وَ جَمْعُ الصَّلَاةِ بِالسَّلَامِ بَدَا
وَ قَالَ يُكْرَهُ إِفْرَادُ الصَّلَاةِ عَنِ السَّلَامِ وَ العَكْسُ أَيْضاً عِنْدَهُ اطَّرِدَا
وَ قَالَ يَحْيَ بْنُ يَحْيَ فِي مُخَالَفَةِ ا لِإ مَامِ لَا بَأْسَ أَنْ يَكُونَ مُنْفَرِدَا
وَ بِالصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِي تَبَعاً لَدَيْهِ مَعْ غَيْرِهِ قَدْ عُدَّ معتمدَا
وَ كَانَ يُفْرِدُهَا ابْنُ المُرْتَضَى عُمَرٌ وَ قِيلَ بَلْ كَانَ يَدْعُو وَ هْوَ مَا وَرَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانٍ مَنْ مَضَى عَمَلٌ عَلَى الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِي أَبَدَا
وَ فِي الحَدِيثِ الضَّعِيفِ الأَمْرُ جَاءَ بِهَا عَلَى النَّبِيِينَ إِذْ هُمْ مِثْلُهُ رُشَدَا
وَ اعْلَمْ بِأَنَّ الصَّلَاةَ فِي اللِّسَانِ بِهَا مَعْنَى التَّرَحُّمِ وَ الدُّعَاءِ قَدْ قُصِدَا
وَ لَمْ يَرِدْ مَنْعُ إِطْلَاقِ الجَمِيعِ عَلَى النَّبِيِّ أَوْ غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَا وَرَدَا

بَلِ الدَّلِيلُ عَلَى إِطْلَاقِ لَفْظِ صَلَا   ةِ اللهِ فِي حَقِّ غَيْرِ المُصْطَفَى اعتمَدَا
فَفِي الكِتَابِ العَزِيزِ مِنْ شَوَاهِدِهِ   كَمْ آيَةٍ أُحْكِمَتْ وَ نُورُهَا شُهِدَا
فَقَالَ فِيمَا غَدَا يُتْلَى وَ صَلِّ عَلَيْهِمُ مَعْ يُصَلِّي عَلَيْكُمْ خُذْهُ مُسْتَنِدَا
وَ كَانَ خَيْرُ الوَرَى يَقُولُ صَلِّ عَلَى   آلِ فُلَانٍ وَ هَذَا القَوْلُ مَا انْتُقِدَا
وَ كَانَ يُذْكَرُ فِي لَفْظِ التَّشَهُّدِ آلُهُ وَ أَزْوَاجُهُ وَ ذَاكَ فِيهِ بَدَا
وَ قَدْ أَتَى فِي حَدِيثِ المُرْتَضَى أَنَسٌ   كُنَّا لِأَصْحَابِنَا نَدْعُو بِنَيْلِ جَدَى
كَنَّا نَقُولُ اجْعَلِ اللَّهُمَّ مِنْكَ عَلَى   هَذَا صَلَاةً بِهَا يَفُوزُ فِي السُّعَدَا
وَ آلُهُ قِيلَ هُمْ أَهْلُ الإِجَابَةِ مِنْ   جَمِيعِ أُمَّتِهِ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
وَ قِيلَ أَتْبَاعُهُ أَوْ هُمْ عَشِيرَتُهُ   أَوْ آلُ بَيْتٍ لَهُ فِي المَجْدِ قَدْ صَعِدَا
وَ قِيلَ أَوْلَادُهُ هُمْ آلُهُ وَ كَذَا   أَحْفَادُهُ أَوْ جَمِيعُ قَوْمِهِ الرُّشَدَا
وَ قِيلَ مَنْ مُنِعُوا مِنَ الزَّكَاةِ وَ هُمْ   آلُ النَّبِيِّ وَ فِيهِمْ جَاءَ مَا وَرَدَا
وَ قَدْ أَبَانَ النَّبِي عَنْ آلِهِ وَ هُمُ   فِي النَّاسِ آلُ عَلِي وَ كُلُّ مَا وَلَدَا
وَ آلُ عَبَّاسِهِمْ وَ جَعْفَرٌ وَ عَقِيلٌ لَا سِوَاهُمْ لَدَى مَنْ صَارَ مُعْتَمَدَا
وَ قِيلَ آلُ النَّبِي فِي النَّاسِ كُلُّ تَقِي   فَقِيلَ مِنْهُمْ وَ قِيلَ مُطْلَقًا وُجِدَا
وَ مَذْهَبُ الحَسَنِ البَصْرِي أَنَّهُمُ   نَفْسُ النَّبِي لَا سِوَاهُ وَ هْوَ مَا عهِدَا
فَالآلُ جَاءَ بِمَعْنَى الذَّاتِ ذَاتِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ سَلَامُ اللهِ مَا حمِدَا
فَكَانَ بِالفَرْضِ لَا يَحِلُّ حَيْثُ بِهِ   أَتَى وَ بِالنَّفْلِ وِفْقَ مَا لَهُ اعتمِدَا
فَالفَرْضُ كَوْنُ الصَّلَاةِ لِلنَّبِيِّ أَتَتْ   وَ النَّفْلُ فِي كَوْنِهَا لِلآلِ مَعْهُ بَدَا
وَ لَفْظَةُ الآلِ قَدْ تَجِيءُ مُقْحَمَةً   كَآلِ دَاوودَ فِي القَوْلِ الَّذِي وَرَدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ وَ الَّذِي أَقُولُ بِهِ   مَا قَالَهُ مَالِكٌ بِمَا لَهُ اسْتَنَدَا
فَلَا يُصَلَّى عَلَى مَنْ كَانَ غَيْرَ نَبِي   لِكَوْنِ ذَلِكَ مُخْتَصًّا بِهِمْ وُجِدَا
أَمَّا الصَّلَاةُ عَلَى سِوَاهُمُ تَبَعًا   أَوْ بِانْفِرَادٍ فَمَا رَأَى لَهُ سَنَدَا
وَ إِنَّ ذَلِكَ أَحْدَثَتْهُ رَافِضَةٌ   وَ شِيعَةٌ وَ هُمُ قَدْ خَالَفُوا الشُّهَدَا

فَهُمْ قَدِ ابْتَدَعُوا وَ لاَ يَلِيقُ بِـــمَنْ   يَبْغِي الرَّشَادَ اتِّبَاعُ مَنْ جَفَا الرُّشَـــدَا
أَقُولُ ثُمَّ الصَّحِيحُ ذِكْرُ غَيْرِهِـــمُ   مَعَ الصَّلاَةِ عَلَى المُخْتَارِ أَيْنَ غَـــدَا
وَ إِنَّمَا المَنْعُ جَاءَ فِي انْفِرَادِهِـــمُ   بِهَا بِلاَ تَبَعٍ وَ هْوَ الَّذِي اعْتُمِـــدَا
وَ فِي مُخَالِفِ مَا ذَكَرْتُهُ نَظَـــرٌ   وَهَا هُنَا مَا يُفِيدُهُ وَ لاَ فَنَـــدَا
فَذِكْرُ آلٍ وَ أَزْوَاجٍ وَ نَحْوِهِـــمُ   لَدَى التَّشَهُّدِ جَاءَ وَ هْوَ قَدْ شُهِـــدَا
وَ مَا رَوَوْا فِي بَنِي أَوْفَى وَ نَحْوِهِمُ   أَجْرَوْهُ مَجْرَى الدُّعَا لِمَنْ لَهُ اسْتَنَـدَا
وَ يَنْبَغِي أَنْ تُخَصَّ الأَنْبِيَاءُ بِـــمَا   لاَ يَنْبَغِي لِلعُمُومِ فِي الدُّعَاءِ بِـــدَا
فَكَانَ تَخْصِيصُهُمْ مَعَ السَّلاَمِ بِهَـــا   مِمَّا يَدُلُّ عَلَى التَّعْظِيمِ مُطَّـــرِدَا
مِثْلُ التَّرَضِّي عَلَى الأَصْحَابِ إِن ذُكِرُوا   وَ غَيْرُهُمْ بِالدُّعَا بِرَحْمَةٍ قصـــدَا
وَ ذَاكَ مِثْلُ اخْتِصَاصِ الحَقِّ عِنْدَهُمُ   بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّقْدِيسِ قَـــدْ وَرَدَا

فصـــل

في حكم زيارة قبره صلى الله عليه و سلم و فضيلة من زاره و سلم عليه و كيف يسلم و يدعو له

قَدْ أَجْمَعَ العُلَمَا بِأَنَّ زَوْرَةَ قَبْـــــرِ المُصْطَفَى سُنَّةٌ فِيهَا جَدًى وَ هُدَى
وَ رَغَّبَ المُصْطَفَى فِيهَا وَ رَغَّبَ فِيـــــهَا بَعْدَهُ كُلُّ مَنْ قَدِ اهْتَدَى وَ هَـــدَى
فَمَنْ يَزُرْهُ لَهُ حَلَّتْ شَفَاعَتُـــهُ   وَ فِي جِوَارِ النَّبِي مَقَامُهُ صَعِـــدَا
وَ إِنَّ زَوْرَتَهُ بَعْدَ المَمَاتِ كَمَـــنْ   قَدْ زَارَهُ فِي الحَيَاةِ بَيْنَ مَنْ شُهِـــدَا
وَ عِنْدَ مَالِكٍ الأَجَلِّ يُكْرَهُ قَـــوْ   لُ الشَّخْصِ زُرْنَاهُ مِنْ أَجْلِ الَّذِي وَرَدَا
فَإِنَّ زَوَّارَةَ القُبُورِ قَدْ لُعِنَـــتْ   وَ مَنْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ قَدْ دَعَا طُـــرِدَا
وَ الخُلْفُ قَدْ قَامَ فِي مَعْنَى كَرَاهَتِـــهِ   فَقِيلَ مِنْ كَرْهِهِ لِلاِسْمِ وَ هْوَ بَـــدَا
وَ رَدُّهُ بِحَدِيثٍ جَاءَ فِيهِ فَـــزُوْ   رُوهَا بِدَا وَ عَلَيْهِ ذُو الهُدَى اعْتَمَـــدَا
وَ قِيلَ بَلْ كر هه مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمُ الـــمَزُورُ أَفْضَلُ مِنْهُ مَنْ لَهُ قَصَـــدَا
وَ لَيْسَ هَذَا بِعَامٍّ إِذْ يَكُونُ مُسَـــاوِياً وَ أَدْنَى وَ لاَ مَحْظُورَ فِيهِ غَـــدَا

فَإِنَّ أَهْلَ الجِنَانِ فِي زِيَارَتِهِمْ   لِرَبِّهِمْ كَانَ لِلْجِوَارِ مُسْتَنَدَا
وَ قِيلَ قَدْ كرِهَ الإِمَامُ ذَلِكَ مِنْ   إِطْلَاقِ مَا بِالتَّسَاوِي صَارَ منتقدَا
فَالنَّاسُ يَسْتَعْمِلُونَ لَفْظَ زَوْرَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَ قَدْرُ المُصْطَفَى صَعِدَا
وَ لِلْمُؤَلِّفِ فِي تَوْجِيهِ قَوْلَةِ مَا   لِكٍ يَكُونُ المَزُور القَبْرَ فِي الشُّهَدَا
وَ لَا كَرَاهَةَ فِي إِطْلَاقِ زَوْرَتِهِ   لِلْمُصْطَفَى وَ هْوَ قَوْلٌ هَا هُنَا وُجِدَا
خَوْفاً عَلَى أَنْ يَصِيرَ قَبْرُهُ وَثَناً   وَ سَدُّ ذَا البَّابِ عِنْدَهُ يُرَى سَدَدَا
وَ قِيلَ فِي كرْهِهِ لِأَمْرٍ آخَرَ لَمْ   يُذْكَرْ هُنَا وَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ انتقَدَا
قَالَ الفَقِيهُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ وَ هْوَ مَقَالٌ هَا هُنَا وَ هْوَ مِثْلُ الدُّرِّ قَدْ نضدَا
مَا زَالَ مِنْ شَأْنِ حَاجِّ البَيْتِ مُنْذُ زَمَانٍ قَصْدُهُ مَسْجِداً بِهِ النَّبِي سَجَدَا
يَأْتِي إِلَيْهِ لِيَحْظَى فِي مَشَاهِدِهِ   بِمَا بِهِ فَازَ مَنْ لِنُورِهِ شَهِدَا
وَ قَوْلَةُ ابْنُ أَبِي فديكٍ اشْتَمَلَتْ   عَلَى دُعَاءٍ هُنَا فِي الأَصْلِ قَدْ وُجِدَا
فِيهَا لِمَنْ قَصَدُوا قَبْرَ النَّبِي فَوَا   يِدٌ بِهَا يُحْرِزُونَ السِّرَّ وَ المَدَدَا
وَ لابْنِ عَبْدِ العَزِيزِ صَحَّ مُعْتَقَدٌ   فِي جَانِبِ المُصْطَفَى بِهِ حَوَى الرَّشَدَا
كَمْ حَمَّلَ القَاصِدِينَ لِلْمَدِينَةِ مِنْ   خَيْرِ التَّحَايَا عَلَيْهِ وَ هْوَ قَدْ رَشِدَا
بَلْ كَانَ يُبْرِدُ وَ هْوَ بِالشَّامِ إِلَى القَبْرِ الشَّرِيفِ البَرِيدَ بِالَّذِي قَصَدَا
لَهُ يُوَجِّهُهُ لِكَيْ يُبَلِّغَهُ   مِنْهُ السَّلَامَ عَلَى وفقِ الَّذِي اعْتَقَدَا
وَ مَالِكٌ رِيءَ وَاقِفاً قُبَالَتَهُ   يَدْعُو بِرَفْعِ يَدَيْهِ كَيْ يَنَالَ جَدَا
وَ عَنْهُ يَرْوِي ابْنَ وَهْبٍ أَنَّ زَائِرَهُ   يَدْعُو بِمَا شَاءَهُ لَدَيْهِ مُجْتَهِدَا
بَعْدَ السَّلَامِ عَلَيْهِ وَ هْوَ مُتَّجِهٌ   إِلَيْهِ بِالوَجْهِ مَعْ قَلْبٍ بِهِ وَجَدَا
يَدْنُو إِلَيْهِ وَ لَا يَمَسُّهُ بِيَدٍ   مُرَاعِياً أَدَباً فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
لَكِنَّهُ قَالَ فِي المَبْسُوطِ عَنْهُ بِأَنَّهُ بِهِ لَا يَرَى وُقُوفَ مَنْ وَفَدَا
بَلْ بَعْدَ تَسْلِيمِهِ يَمُرُّ مُنْصَرِفاً   بِلَا دُعَاءٍ لَدَيْهِ كَيْ يَنَالَ هُدَى
قَالَ الرِّضَى ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةٍ وَ لِمَنْ   يَبْغِي الوُقُوفَ تُجَاهَ القَبْرِ مُتَّئِدَا

يَقِفْ هُنَاكَ مُحَاذِياً بِهَامَتِهِ الـــــــــــقِنْدِيلَ فِي القِبْلَةِ الَّتِي بِهَا اتَّقَـدَا
فَإِنَّ فِي ذَاكَ تَحْقِيقُ المُوَاجَهَـةِ ا   لَّتِي بِهَا وَجْهُهُ الشَّرِيفُ قَدْ شَهِـدَا
وَ قَالَ مَوْلَى الرِّضَى ابْنُ المُرْتَضَى عُمَرٍ   رَأَيْتُهُ مِائَةً بَلْ فَوْقَهَا عَـــدَدَا
يَجِيءُ لِلْقَبْرِ ثُمَّ يَبْتَدِي بِسَـــلاَ   مِهِ عَلَى المُصْطَفَى أَجَلِّ مَنْ وُجِـدَا
ثُمَّ السَّلاَمُ عَلَى أَبِيهِ بَعْدَ أَبِـــي   بَكْرٍ وَ يَمْشِي إِلَى الأَمْرِ الَّذِي قَصَدَا
وَ رِيءَ فِي النَّاسِ أَيْضاً وَاضِعاً يَدَهُ   فَوْقَ المَحَلِّ الَّذِي بِهِ النَّبِي قَعَـــدَا
وَ بَعْدَ ذَلِكَ فَوْقَ الوَجْهِ مَرَّ بِهَـــا   تَبَرُّكاً وَ عَلَيْهِ الأَمْرُ مَا انتقَـــدَا
وَ نَحْوُهُ فِي المُوَطَّا غَيْرَ أَنَّ بِهَا الـــــــــصَّلاَةَ مِنْهُ عَلَيْهِمْ بَيْنَ مَنْ سَعِـــدَا
وَ كَانَ صحب النبي أن يخل مسجده   مِنْ عَامَةِ النَّاسِ فِيهِ يَطْلُبُ المَـــدَدَا
يَدْعُونَ رَبَّهُمُ مِنْ بَعْدِ جَسِّهِـــمُ   رُمَّانَةَ المِنْبَرِ الَّذِي بِهِ صَعِـــدَا
قَالَ الرِّضَى مَالِكٌ أن المُسَلِّـــمَ إِنْ   أَدَّى السَّلاَمَ عَلَى النَّبِي بِحُسْـــنِ أَدَا
يُهْدِي التَّحِيَّةَ أَيْضاً لِلرِّضَى عُمَــرٍ   فِي الحِينِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ لِنَيْلِ هُـدَى
وَ قَدْ رَوَى ابْنُ حَبِيبٍ أَنَّ زَائِـــرَهُ   يَدْعُو إِذَا هُوَ حَلَّ مَسْجِدَ السُّعَـــدَا
وَ يَقْصِدُ الرَّوْضَةَ الفَيْحَا وَ يَرْكَعُ رَكْـــــــــعَتَيْنِ فِيهَا وَ يَدْعُو رَبَّهُ الأَحَـــدَا
وَ بَعْدَ ذَاكَ يَؤُمُّ القَـبْرَ فِـي أَدَبٍ   مُسَلِّماً خَيْرَ تَسْلِيمٍ بِهِ حُمِـــدَا
وَ فِيهِ يُكْثِرُ مِنْ صَلاَتِهِ وَ سَــلاَ   مِهِ عَلَيْهِ وَ يَدْعُو اللهَ مُجْتَهِـــدَا
وَ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي مَسْجِداً بِقُبَـــا   وَ أَنْ يَزُورَ قُبُورَ السَّادَةِ الشُّهَـــدَا
وَ مَالِكٌ قَالَ يَأْتِي بِالسَّلاَمِ عَلَى الـــــــــنَّبِي إِنْ يَدْخُلْ أَوْ يَخْرُجْ لِغَيْرِ مَدَى
وَ إِنْ يُرِدْ سَفَراً يَجْعَلْ أَتَمَّ سَــلاَ   مِهِ عَلَى المُصْطَفَى أَخِيرَ مَا عُهِـدَا
وَ جَاءَ عَنْ بِنْتِ خَيْرِ الخَلْقِ فَاطِمَةٍ   فِيمَنْ عَلَى المَسْجِدِ الشَّرِيفِ قَدْ وَفَدَا
فَحَقُّهُ أَن يُصَلِّي بَلْ يُسَلِّـــمُ إِنْ   يَدْخُلْ عَلَى المُصْطَفَى وَ يَسْأَلِ المَدَدَا
وَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الخُرُوجِ يَفْعَلُـــهُ   مَعْ ذِكْرِهِ لِدُعَاءٍ عَنْهُ قَـــدْ وَرَدَا
وَ هَا هُنَا لابْنِ سِيرِينَ الهُمَامَ دُعَـا   يَرْوِيهِ أَيْضاً وَ فِيهِ حِكْمَةٌ وَ هُـدَى

فَيَنْبَغِي فِي الدُّعَاءِ الإِحْتِفَاظُ بِهِ   مِثْلُ الَّذِي قَبْلَهُ وَسِرُّهُ شُهِدَا
وَ مَالِكٌ قَالَ يَلْزَمُ الوُقُوفُ عَلَى   قَبْرِ النَّبِي لِلغَرِيبِ إِنْ أَتَى البَلَدَا
أَمَّا المُقِيمُ بِهَا فَلَيْسَ يَلْزَمُهُ   وَ تَرْكُهُ وَاسِعٌ وَ كَرْهُهُ اعْتُمِدَا
فَيَالَهَا بَلَداً وَهْيَ المَدِينَةُ مَنْ   وَافَى لَهَا نَالَ مَا نَوَى وَ مَا قَصَدَا
نَالَتْ بِقَبْرِ النَّبِيِّ رِفْعَةً وَ عَلاَ   بِهِ عَلاَ قَدْرُهَا وَ فِي العُلَى صَعِدَا
وَ بَيَّنَ العَالِمُ ابْنُ القَاسِمِ الأَدَبَ ا   لَّذِي لِسُكَّانِهَا وَ هُمْ بِهَا سُعَدَا
فَهُمْ إِذَا دَخَلُوا أَوْ هُمْ إِذَا خَرَجُوا   أَتَوْا لِتَسْلِيمِهِمْ عَلَيْهِ فِي الشُّهَدَا
فَالفَرْقُ بَيْنَهُمُ وَ بَيْنَ قُصَّدِهَا   فِيمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ العَارِفِينَ بَدَا
فَإِنَّ قُصَّدَهَا جَاؤُا لِذَلِكَ وَ المُقِيمُ لَمْ يَقْصُدِ الَّذِي بِهِ قَعَدَا
قَدْ قَالَ هَذَا الرِّضَى البَاجِي وَ حَقَّقَهُ   وَ بَعْضُهُمْ لِلَّذِي قَدْ قَالَهُ انْتَقَدَا
وَ قَدْ أَتَى بِأَحَادِيثَ اسْتَدَلَّ بِهَا   وَ لَمْ تناسبْ بِهَا البَابَ الَّذِي عقدَا
وَ مِنْ كِتَابِ السَّمِي الهِنْدِيِّ فِي الأَدَبِ ا   لَّذِي يَلِيقُ بِمَنْ عَلَيْهِ قَدْ وَفَدَا
فَلاَ يُطِيلُ الوُقُوفَ عِنْدَهُ وَبِهِ   لاَ يُلْصِقِ البَطْنَ قَامَ فِيهِ أَوْ قَعَدَا
بَلْ يَنْبَغِي تَرْكُ مَسِّهِ وَ لَوْ بِيَدٍ   وَ لَوْ لِتَقْبِيلِهِ فَالكُلُّ مَا وَرَدَا
وَ نَصَّ ذُو الأَدَبِ العُتْبِي عَلَى الأَدَبِ ا   لَّذِي يَلِيقُ بِهِ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
فَيَبْتَدِي بِالرُّكُوعِ مِنْهُ قَبْلَ سَلاَ   مِهِ عَلَيْهِ لِمَسْجِدٍ بِهِ صَعِدَا
وَ قَدْ أَحَبَّ لَهُ كَوْنَ تَنَفُّلِهِ   فِي مَوْضِعٍ قَدْ رَأَوْا فِيهِ النَّبِي سَجَدَا
أَمَّا الفَرِيضَةُ فِيهِ فَالتَّقَدُّمُ لِلصُّفُوفِ فِيهَا لَهُ أَوْلَى كَمَا اعْتُمِدَا
وَ فِيهِ لِلغُرَبَا أَوْلَى تَنَفُّلُهُمْ   مِنَ التَّنَفُّلِ فِي بَيْتٍ لَهُمْ وطَدَا

فصل

فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الأدب سوى ما قدمناه و فضله و فضل الصلاة فيه و في مسجد مكة و ذكر منبره و قبره و فضل سكنى المدينة و مكة

لَمَسْجِدٌ أُسُّهُ التَّقْوَى أَحَقُّ وَحَقُّ اللهِ مِنْ غَيْرِهِ لِمَنْ بِهِ سَجَدَا
وَ قَادَةُ النَّاسِ فِي تَعْيِينِهِ اخْتَلَفُوا   وَ الإِعْتِنَا بِالجَمِيعِ لِلخِلَافِ بَدَا
فَالمُصْطَفَى قَالَ حِينَ قَالَ سَائِلُهُ   أَيُّ المَسَاجِدِ مَسْجِدِي كَمَا وَرَدَا
وَ فِي مَقَالِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ أَيَّدَ فِيهِ أَنَّهُ بِقُبَاءَ بِالتُّقَى صَعِدَا
وَ لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ فِي الرِّجَالِ سِوَى   لِمَسْجِدِ المُصْطَفَى وَ سِرُّهُ شُهِدَا
وَ مَسْجِدِ الحَرَمِ العَالِي المَكَانَةِ وَ ا   لأَقْصَى الَّذِي فِي الدَّيَاجِي نُورُهُ اتَّقَدَا
وَ يَنْبَغِي فِي الدُّخُولِ وَ الخُرُوجِ لَدَى   كُلِّ صَلَاةٍ عَلَى المُخْتَارِ دُونَ مَدَى
وَ كَانَ خَيْرُ الوَرَى يَدْعُو بِخَيْرِ دُعَا   لَدَى الدُّخُولِ لِمَسْجِدٍ بِهِ سَجَدَا
وَوَبَّخَ الثَّقَفِيَّ المُرْتَضَى عُمَرٌ   لِرَفْعِ صَوْتٍ لَهُ فِي مَسْجِدِ السُّعَدَا
وَ قَالَ مَسْجِدُنَا هَذَا نُنَزِّهُهُ   عَنْ رَفْعِ صَوْتٍ فَصُنْهُ عَنْهُ مُتَّئِدَا
قَالَ ابْنُ مَسْلَمَةٍ لَا يَرْفَعَنْ أَحَدٌ   فِي مَسْجِدٍ صَوْتَهُ وَ لَوْ بِهِ انْفَرَدَا
وَ لَا يَسُوغُ لَهُ تَلْطِيخُهُ بِأَذَى   وَ أَنْ يُنَزِّهَهُ عَنْ كُلِّ مَا انْتُقِدَا
فَلَا يَقُصُّ بِهَا ظُفْراً وَ لَا شَعَراً   وَ نَحْوَ طَرْحٍ لِقَمْلٍ فِيهِ مَا حُمِدَا
وَ لَا يُخَلِّطُ بِالصَّوْتِ الجَهِيرِ عَلَى   مَنْ كَانَ فِيهِ يُصَلِّي قَامَ أَوْ قَعَدَا
إِلَّا إِذَا كَانَ رَفْعُهُ بِتَلْبِيَةٍ   فِي المَسْجِدِ النَّبَوِي وَ فِي المَقَامِ بَدَا
فَالمَسْجِدُ النَّبَوِي لَهُ فَضَائِلُ قَدْ   جَلَّتْ وَ مَنْ حَلَّهُ يَحْظَى بِمَا قَصَدَا
وَ فِي مُضَاعَفَةِ الصَّلَاةِ فِيهِ عَلَى الصَّلَاةِ فِي غَيْرِهِ بِالأَلْفِ قَدْ وَرَدَا
بَلْ فِيهِ خَيْرٌ سِوَى الصَّلَاةِ فِي الحَرَمِ ا   لمَكِّي فَفِيهِ مُسَاوَاتُ الصَّلَاةِ غَدَا
وَ جَاءَ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ أَنَّ لَهُ   فَضْلاً عَلَى غَيْرِهِ بِمِائَةٍ عَدَدَا

فَفَاقَهُ مَسْجِدُ النَّبِيِّ فِي عَدَدِ التِّسْعِ الَّتِي بَقِيَتْ وَ قَدْ عَلَتْ رَشَدَا
وَ غَيْرُ مَالِكٍ الأَجَلِّ قَالَ بِـآ   نَّ فَضْلَ مَكَّةَ فَاقَ غَيْرَهُ مَدَدَا
وَ فَضْلُ مَسْجِدِهَا جَاءَ الحَدِيثُ بِـهِ   فَوْقَ الَّذِي قَدْ مَضَى وَ لَمْ يهنْ سَنَدَا
فَكَانَتِ الصَّلَوَاتُ فِيهِ مِنْ مِائَـةٍ   أَجَلَّ مِمَّا بِمَسْجِدِ النَّبِي شُهِدَا
فَكَانَ مَنْطُوقُ هَذَا لاَ يُعَارِضُـهُ   مَفْهُومُ مَا قَدْ مَضَى لِمَنْ لَهُ نقَدَا
فَبَانَ تَفْضِيلُ مَكَّةَ الَّتِي شَرُفَـتْ   عَلَى مَدِينَتِهِ وَ يَالَهَا بَلَدَا
وَ لاَ خِلاَفَ أَتَى فِي أَنَّ مَوْضِعَ قَبْرِ المُصْطَفَى فَاقَ كُلَّ الأَرْضِ فِي السُّعَدَا
قَالَ الإِمَامُ الرِّضَى البَاجِي وَ مَا علم التفضيل بَيْنَهُمَا بِمَا مَضَى أَبَدَا
وَ إِنَّمَا فِيهِ فَضْلُ المَسْجِدَيْنِ عَلَـى   سِوَاهُمَا وَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ انْتُقِدَا
فَإِنَّهُ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ ذَلِكَ طِبْقَ مَا تَقَدَّمَ عِنْدَ مَنْ لَهُ اعتمَدَا
قَالَ الطَّحَاوِي وَ مَا هَذَا التَّفَاضُلُ إِلاَّ   فِي الفَرِيضَةِ لاَ فِي المَسْجِدَيْنِ بَدَا
فَإِنَّ فَضْلَ الصَّلاَةِ فِيهِمَا اتَّضَحَ الحَدِيثُ فِيهِ بِتَفْصِيلٍ وَ مَا اتَّحَدَا
فَالفَرْضُ فِي مَكَّةٍ خَيْرٌ وَ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْهُ فِي غَيْرِهَا طِبْقَ الَّذِي اعتقداَ
وَ قَالَ فِيهِ ابْنُ أُخْتِ مَالِكٍ بِشُمُولِ النَّفْلِ أَيْضاً وَ هَذَا القَوْلُ فِيهِ هُدَى
وَقَدْ رَوَى ابْنُ الهمام فِي المَدِينَـةِ أَ   نَّ الفَرْضَ فِيهَا بِأَلْفٍ فِي السِّوَى وُجِدَا
فَجُمْعَةٌ وَقَعَتْ فِيهَا تُعَادِلُ أَلْفاً فِي سِوَاهَا بِهَذَا فَاقَتِ البَلَدَا
وَكَمْ وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ فِي فَضَائِلِهَا   أَتَى وَ خَيْرُ الوَرَى بِذَاكَ قَدْ شَهِدَا
وَ جَاءَ فِي فَضْلِهَا بِأَنَّ مِنْبَـرَهُ   يُرَى عَلَى حَوْضِهِ لِمَنْ لَـهُ وَرَدَا
مَا بَيْنَ بَيْتِ النَّبِي وَ بَيْنَ مِنْبَـرِهِ   رَوْضٌ يُرَى مِنْ رِيَاضِ جَنَّةٍ شُهِدَا
فَفَسَّرَ البَيْتَ فِي قَوْلٍ بِحُجْرَتِـهِ   وَ قَوْل آخَرَ بِالقَبْرِ الَّذِي صَعِدَا
وَ تَحْتَ مِنْبَرِهِ قَدْ حَلَّ كَوْثَـرُهُ   بِحَيْثُ لَوْ كُشِفَ الغِطَا لَنَا شُهِدَا
وَ قِيلَ يُنْصَبُ عِنْدَ الحَوْضِ مِنْبَرُهُ   يَدْعُو إِلَيْهِ الوَرَى لِكَشْفِ كُلِّ صَدَى
وَ قِيلَ إِنَّ الحُضُورَ عِنْدَ مِنْبَـرِهِ   مُسْتَوْجِبٌ لِلحُضُورِ جَالِبٌ لِـهُدَى

فَيَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ مَنْ يُلَازِمُهُ   وَ ذَاكَ يُوجِبُ وِرْدَ الحَوْضِ فِي الشُّهَدَا
وَ قِيلَ يُنْقَلُ لِلْجِنَانِ مَوْضِعُهُ   بِعَيْنِهِ وَ لَدَيْهِ الحَوْضُ فِيهِ غَدَا
وَ مَا غَدَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَ مِنْبَره   مَنْ حَلَّهُ حَلَّ أَيْضاً فِي الجِنَانِ غَدَا
مِنْ حَيْثُ كَوْنِ الدُّعَاءِ وَ الصَّلَاةِ بِهِ   مُسْتَوْجِبٌ لِلثَّوَابِ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ قِيلَ يُنْقَلُ مِثْلُ نَقْلِ مِنْبَرِهِ   بِجَنَّةٍ وَ هْوَ مِنْ بَيْنِ الرِّيَاضِ بَدَا
وَ مِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّ الصَّبُورَ عَلَى   لَأْوَائِهَا كَانَ فِي الأُخْرَى مَعَ الشُّهَدَا
فَيَشْهَدُ المُصْطَفَى لَهُ وَ يَشْفَعُ فِيهِ فِي الوَرَى وَ يَمُدُّهُ بِمَا قَصَدَا
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ مَنْ عَنْهَا تَرَحَّلَ لَمْ   يَرْحَلْ إِلَى غَيْرِهَا وَ اخْتَلَّهَا الأَبَدَا
وَ إِنَّهَا لَمْ تَزَلْ كَالكِيرِ يَنْصَعُ طِيبُهَا وَ تَنْفِي عَنِ القَلْبِ الشَّجِي الكَمَدَا
وَ اللهُ يُبْدِلُهَا عَمَّنْ هُمُ رَغِبُوا   عَنْهَا مِنَ الخَلْقِ خَيْراً مِنْهُمُ أَبَدَا
مَنْ مَاتَ فِي حَجَّةٍ أَوْ مَاتَ مُعْتَمِراً   فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ طِبْقَ مَا وَرَدَا
فَإِنْ أَتَى الحَرَمَيْنِ ثُمَّ مَاتَ لَدَى   إِحْدَاهُمَا عُدَّ بَيْنَ الخَلْقِ فِي السُّعَدَا
وَ عُدَّ فِي الآمِنِينَ عِنْدَ مَبْعَثِهِ   وَ فِيهِ يَشْفَعُ خَيْرُ المُرْسَلِينَ غَدَا
وَ فَضْلُ مَكَّةَ قَدْ جَلَّتْ مَكَانَتُهُ   وَ رَفْعُ مِقْدَارِهَا عَلَى البِلَادِ بَدَا
فَاللهُ سُبْحَانَهُ فِي البَيْتِ قَالَ هُدَى   لِلْعَالَمِينَ وَ فِيهِ الأَمْنُ قَدْ وُجِدَا
وَ الأَمْنُ فِيهِ لِمَنْ قَدْ حَلَّ فِيهِ مِنَ الجَحِيمِ أَوْ مَنْ حُلُولُهُ بِنَهْجِ رَدَى
أَوْ لَا يَكُونَ لَهُ تَعَرُّضٌ بِأَذَى   إِنْ حَلَّ فِيهِ وَ كَانَ خَارِجاً فَسَدَا
فَالجَاهِلِيَّةُ قَدْ كَانَتْ تُوَقِّرُهُ   وَ لَا تَمَسُّ بِسُوءٍ مَنْ لَهُ قَصَدَا
وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ مَثَابَةً فَبِهِ الثَّوَابُ وَ الأَمْنُ حَقٌّ هَا هُنَا وَ غَدَا
وَ لَا تُؤَثِّرُ نَارٌ فِي الَّذِينَ لَهُ   حَجُّوا ثَلَاثَ مِرَارٍ فِي كَمَالِ هُدَى
مَنْ حَجَّهُ مَرَّةً أَدَّى فَرِيضَتَهُ   وَ دَانَ مَنْ حَجَّ أُخْرَى رَبَّهُ الأَحَدَا
وَ مَنْ بِهِ حَجَّ أُخْرَى وَ هْيَ ثَالِثَةٌ   لَمْ تَحْرِقِ النَّارُ مِنْهُ النَّفْسَ وَ الجَسَدَا
بِذَاكَ حَدَّثَ يَوْماً بِالمُنَسْتِيرِ سَعْدُونُ الَّذِي كَانَ فِي دُنْيَاهُ قَدْ زَهِدَا

قَدْ قَالَ ذَلِكَ حِينَ أَحْرَقَتْ رَجُلاً   كُتَامَةٌ وَ هْوَ لَمْ يُحْرَقْ بِمَا اتقدَا
وَ الْمُصْطَفَى خَاطَبَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فَقَا   لَ مَرْحَباً بِكَ فِي يَوْمٍ لَهُ شُهَدَا
مَا أَعْظَمَ الْحُرْمَةَ الَّتِي انْفَرَدْتَ بِهَا   عِنْدَ الإِلَهِ وَ عِنْدَ مَنْ لَهُ عَبَدَا
وَ مَا دَعَا أَحَدٌ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ   حَقّاً لَدَى الأَسْوَدِ الَّذِي بِهِ وُجِدَا
وَ عِنْدَ مِيزَابِهِ وَ عِنْدَ مُلْتَزَمٍ   وَ ذَا حَدِيثٌ بِهِ مُسَلْسَلٌ وَرَدَا
وَ مَنْ بِخَلْفِ الْمَقَامِ قَامَ مُحْتَسِباً   بِرَكْعَتَيْنِ يَنَالُ فَوْقَ مَا قَصَدَا
فَيَغْفِرُ اللهُ كُلَّ ذَنْبِهِ وَ يُرَى   فِي الآمِنِينَ وَ يُكْفَى الهَمَّ وَ النَّكَدَا
قَالَ الْمُؤَلِّفُ وَ الَّذِي ذَكَرْتُ هُنَا   لَهُ بِمَا قَبْلَهُ تَعَلُّقٌ شُهِدَا
وَ الْقَصْدُ مِنَّا بِهِ إِتْمَامُ فَائِدَةٍ   عَلَى الْجَمِيعِ تُعَدُّ هَاهُنَا وَ غَدَا
وَ اللهُ سُبْحَانَهُ دَوْماً يُوَفِّقُنَا   بِمَنِّهِ لِلصَّوَابِ فِي كَمَالِ هُدَى

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه و سلم و ما يستحيل في حقه أو يجوز عليه

الأَنْبِيَا كُلُّهُمْ هُمْ قَادَةُ الرُّشَدَا   وَ الرُّسْلُ مِنْهُمْ أَبَانُوا لِلْوَرَى الرَّشَدَا
فَلاَ سَعَادَةَ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهِمُ   قَوْلاً وَ فِعْلاً وَ أَحْوَالاً وَ مُعْتَقَدَا
وَ اللهُ أَخْبَرَنَا بِمَا بِهِ اتَّصَفُوا   مِنَ الْكَمَالاَتِ مِمَّا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
فَكُلُّ وَصْفٍ جَمِيلٍ فَهْوَ حَقٌّ لَهُمْ   إِلاَّ الأُلُوهِيَةَ الَّتِي بِهَا انْفَرَدَا
فَهُمْ عِبَادٌ وَ لَكِنْ فِي عِبَادَتِهِمْ   للهِ قَدْ أَخْلَصُوا مِنْ بَيْنِ مَنْ وُجِدَا
وَ النَّقْلُ وَ الْعَقْلُ فِيهِمُ قَدْ اتَّفَقَا   بِأَنَّهُمْ خَيْرُ مَنْ لِلْعَالَمِينَ هَدَى
هَدَى بِهِمْ خَلْقَهُ أَهْدَى بِهِمْ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِمْ مِنْ رِضَاهُ مَا وَقَاهُ رَدَى
مَنْ يَنْقَلِبْ عَنْهُمُ فَلَنْ يَضُرَّهُمُ   لَكِنَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ هُنَا وَ غَدَا
وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ آيَةٌ بَهَرَتْ   مِنْ بَيْنِهِمْ كُلَّ مَنْ لِفَضْلِهِمْ جَحَدَا
فَإِنْ يَمُتْ فَهُمُ مِنْ قَبْلِهِ دَرَجُوا   لِأَنَّهُمْ بَشَرٌ وَ هُمْ هُمُ الشُّهَدَا

وَوَبَّخَ اللَّهُ مَنْ قَدْ سَاءَ ظَنُّهُمُ   بَعْدَ اعْتِقَادِهِمُ فِيهِمْ بِمَا شَهِدَا
فَمَنْ رَأَى مَا جَرَى مِنْ قَتْلِ بَعْضِهِمُ   وَ صَدِّهِ مَا رَأَى عَنْ نَهْجِهِمْ طَرَدَا
وَ مَنْ عَلَى دِينِهِمْ لِلَّهِ قَدْ شَكَرُوا   يَجْزِيهِمُ رَبُّهُمْ بِمَا بِهِ وَعَدَا
فَاللَّهُ قَالَ سَيُجْزِي الشَّاكِرِينَ وَ هُمْ   مَنْ لَمْ يُسِيئُوا اعْتِقَاداً فِيهِمُ أَبَدَا
فَالمُصْطَفَى قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ رُسُلٌ   كَمَا خَلَتْ قَبْلَ عِيسَى فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ كُلُّهُمْ أَكَلُوا وَكَمْ وَكَمْ قتلوا   يَا وَيْلَ مَنْ فِيهِمُ قَدْ سَاءَ مُعْتَقَدَا
لَوْ لَمْ يَكُونُوا كَمَا قَدْ ارسلوا بشراً   لَمْ يُلْفَ مِنْ أَحَدٍ يُوَحِّدُ الأَحَدَا
لَوْ أَنَّهُمْ فِي الوَرَى كَانُوا مَلَائِكَةً   كَانُوا رِجَالاً أَبَانُوا الحَقَّ وَ الرَّشَدَا
وَلَوْ رَأَوْهُمْ رِجَالاً شَاهَدُوا بَشَراً   وَ لَمْ يَنَالُوا بِهِمْ مَا نَالَهُ السُّعَدَا
فَجَاءَ مِنْ جِنْسِنَا لُطْفاً بِنَا رُسُلٌ   حَتَّى نَرَى الحَقَّ حَقّاً لَيْسَ مُنْتَقَدَا
لَوْ أَنَّهُمْ أَرْسِلُوا فِينَا مَلَائِكَةً   لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نُلَاقِي مِنْهُمْ أَحَدَا
لَوْ كَانَ فِي أَرْضِنَا تَمْشِي مَلَائِكَةٌ   كَانَ الرَّسُولُ لَهُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ وَفَدَا
فَلَنْ يَطِيقَ عَلَى أَسْرَارِهِمْ بَشَرٌ   إِلاَّ النَّبِيُّ الَّذِي قَد اهْتَدَى وَ هَدَى
فَهُمْ وَسَائِطُ خَيْرٍ بَيْنَ خَالِقِهِمْ   وَ بَيْنَ مَخْلُوقِهِ وَهُمْ هُمُ الشُّهَدَا
إِمَّا بِوَاسِطَةٍ أَوْ دُونِهَا وَرَدُوا   عَلَيْهِمُ بِالَّذِي مِنْهُ لَهُمْ وَرَدَا
قَوَاهُمُ فَتَلَقَّوْا مِنْ مَلَائِكَةٍ   وَ مِنْهُ مَا خَصَّهُمْ وَ عَمَّهُمْ مَدَدَا
فَبَلَّغُوا قَوْمَهُمْ مِنْهُ أَوَامِرَهُ   وَ نَهْيَهُ وَ الَّذِي بِهِ لَهُمْ وَعَدَا
وَ عَرَّفُوهُمْ بِمَا قَدْ كَانَ يبلغهُمْ   مِنَ الإِلَهِ العَلِي مِمَّا خَفَا وَ بَدَا
قَدْ عَرَّفُوهُمْ بِهِ أَتَمَّ مَعْرِفَةٍ   وَ مَا تَجَاهَلَ عَنْهَا غَيْرُ مَنْ طُرِدَا
عَلَيْهِمُ تَطْرَأُ الأَعْرَاضُ مِنْ مَرَضٍ   وَ نَحْوِهِ دُونَ نَقْصٍ يَعْتَرِي الجَسَدَا
وَ انَّ أَنْفُسَهُمْ فِي الخُلْقِ قَدْ كَمُلَتْ   لَهَا مَحَاسِنُ لَا أُحْصِي لَهَا عَدَدَا
فَهُمْ جَمِيعُهُمُ فِي ظَاهِرٍ بَشَرٌ   لَكِنْ بِبَاطِنِهِمْ هُمْ فَوْقَ مَنْ وُجِدَا
وَ هُمْ مَعَ المَلَإِ الأَعْلَى بِبَاطِنِهِمْ   قَدْ شَاهَدُوا المَلَكَ الَّذِي لَهُمْ وَفَدَا

بَلْ بِالمَلِيكِ قُلُوبُهُمْ تَعَلَّقُهَا   وَ مَا لَهُمْ فِي سِوَاهُ مَطْلَبٌ أَبَدَا
فَالمُصْطَفَى لاَ يَنَامُ قَلْبُهُ وَتَنَا   مُ عَيْنُهُ وَ هُوَ إِنْ حَقَّقْتَ مَا رَقَدَا
لَوْ كَانَ مُتَّخِذاً مِنْ بَيْنِ أُمَّتِهِ الخَلِيلَ كَانَ أَبَا بَكْرٍ كَمَا وَرَدَا
لَكِنْ أُخُوَّةَ إِسْلاَمٍ لَهُ مَعَهُ   وَ هُوَ الخَلِيلُ لَدَى الرَّحْمَانِ أَيْنَ غَدَا
وَ فِي الحَدِيثِ أَتَى إِنِّي أَظَلُّ لَدَى   رَبِّي وَ مَنْ ظَلَّ عِنْدَ رَبِّهِ حَمِدَا
فَلَمْ يَكُنْ مِثْلَنَا فِي هَيْئَةٍ بَطُنَتْ   بَلْ كَانَ مُجْتَمِعاً بِالحَقِّ مُنْفَرِدَا
وَ هَذِهِ جُمْلَةٌ تَقْضِي بِبَسْطِ كَلاَ   مٍ هَا هُنَا وَ هُوَ فِي البَابَيْنِ بَعْدُ بَدَا

البـاب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية و الكلام في عصمة نبينا و سائر الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين

إِنَّ الطَّوَارِىءَ عَنْهَا مَا خَلاَ بَشَرُ   مَعَ الطَّوَارِقِ مِمَّا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
فَتَارَةً تَعْتَرِي بَعْضُ الحَوَاسِ وَ طَوْ   راً تَعْتَرِي جِسْمَهُ مِمَّا تَتَوَّعَ دَا
بِغَيْرِ قَصْدٍ وَ لَا اخْتِيَارَ مِنْهُ لَهَا   أَوْ بِاخْتِيَارِ وَ قَصْدِ ذَاكَ قَدْ وُجِدَا
وَ قَسَّمَ العُلَمَا أَنْوَاعَ ذَاكَ إِلَى   ثَلاَثَةٍ بِاعْتِبَارِ مَا هُنَا وَرَدَا
عَقْدٌ بِقَلْبٍ وَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَ فِعْلٌ بِالجَوَارِحِ وَ الجَمِيعُ قَدْ شُهِدَا
وَ أَجْمَعَ العُلَمَا عَلَى تَنَزُّهِ خَيْرِ الخَلْقِ عَمَّا بِالإِخْتِيَارِ قَدْ قصدَا
وَ المُصْطَفَى إِنْ يَكُنْ فِي خَلْقِهِ بَشَراً   فَالنَّقْصُ عَنْهُ انْتَفَى وَ فِي العُلَى صَعِدَا
وَ أَجْمَعَ العُلَمَا عَلَى تَنَزُّهِهِ   عَنْ طَارِىءٍ طَارِقٍ بِالإِخْتِيَارِ غَدَا
وَ تَمَّ إِجْمَاعُهُمْ عَلَى سَلاَمَتِهِ   حَتَّى بِغَيْرِ اخْتِيَارِ مِنْهُ دُونَ مَدَى
كَمَا سَيَأْتِي بِحَوْلِ اللهِ مُتَّضِحاً   وَ الحَقُّ بِالحَقِّ طُولَ الدَّهْرِ قَدْ عضدَا

فصل

في حكم عقد قلب النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم

إِعْلَمْ حَبَاكَ الإِلَهُ خَيْرَ مَعْرِفَةٍ   أَنَّ النَّبِي خَيْرُ مَنْ قَدْ وَحَّدَا الأَحَدَ
قَدْ وَحَّدَ اللهَ فِي كَمَالِ مَعْرِفَةٍ   ذَاتاً وَوَصْفاً وَ أَسْمَاءً بِهَا انْفَرَدَا
لَهُ كَمَالُ يَقِينٍ مَعْ تَنَزُّهِهِ   عَنْ كُلِّ جَهْلٍ بِكُلِّ مَا خَفَا وَ بَدَا
وَ مَا تَرَدَّدَ فِي وَحْيٍ لِعِصْمَتِهِ   مِنْ كُلِّ شَكٍّ وَ رَيْبٍ فِي الَّذِي اعتقَدَا
وَ مِثْلُهُ الأَنْبِيَاءُ فِي نُبُوَّتِهِمْ   فَكُلُّهُمْ خَيْرُ مَنْ قَدِ اهْتَدَى وَ هَدَى
وَ لَا اعْتِرَاضَ عَلَى هَذَا بِقَوْلَةِ إِبْرَاهِيمَ وَ هْوَ لَدَى الذِّكْرِ الحَكِيمِ غَدَا
فَاللهُ قَدْ قَالَ فِي خِطَابِهِ أَوَ لَمْ   تُؤْمِنْ فَقَالَ بَلَى وَ الحَقُّ مَا انتقَدَا
فَفِيهِ سِتُّ احْتِمَالَاتٍ مُنَوَّعَةٍ   وَ هَا هُنَا فِي نِظَامِي دَرُّهَا نُضِدَا
فَإِنَّ أَوَّلَهَا أَبَانَ عَنْ طَلَبِ اسْتِزَادَةِ العِلْمِ مِنْهُ وَ هْوَ مَا جحدَا
أَرَادَ تَطْمِينَ قَلْبه وَ تَرْكَ نِزَا   عَ النَّفْسِ مِنْهُ بِمَا يَرَاهُ قَدْ وُجِدَا
وَ لَمْ يُدَاخِلْهُ شَكٌّ فِي الَّذِي وَقَعَا   لِإِخْبَارُ مِنْهُ بِهِ لَهُ كَمَا سُرِدَا
فَحَازَ عِلْمَ يَقِينٍ بِالْوُقُوعِ كَمَا   قَدْ حَازَ عَيْنَ يَقِينٍ بِالَّذِي شَهِدَا
وَ إِنَّ ثَانِيهَا أَبَانَ فِيهِ عَنِ اخْتِبَارِ رُتْبَتِهِ عِنْدَ الَّذِي عَبَدَا
وَ لَيْسَ فِي ذَاكَ نَقْصٌ مِنْهُ يَلْحَقُهُ   وَ إِنَّمَا فِيهِ تَحْقِيقُ الَّذِي قَصَدَا
وَ إِنَّ ثَالِثَهَا أَبَانَ عَنْ طَلَبِ اسْتِزَادَةٍ فِي يَقِينٍ نَوَّرَ الخَلَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ عِلْمُهُ قَبْلَ اسْتِزَادَتِهِ   بِذَاكَ دَاخله شَكٌّ بِنَهْجِ هُدَى
فَرَامَ عَيْنَ اليَقِينِ وَ هْوَ أَوْضَحُ مِنْ   عِلْمِ اليَقِينِ الَّذِي قَدْ بَيَّنَ الرَّشَدَا
قَالُوا وَ لَيْسَ العِيَانُ مِثْلَهُ خَبَرٌ   وَ بَيْنَ عَيْنِ اليَقِينِ وَ اليَقِينِ مَدَى
فَإِنَّ مُوسَى رَمَى الأَلْوَاحَ مِنْ يَدِهِ   لَمَّا رَأَى العِجْلَ بَيْنَ قَوْمِهِ عُبِدَا
وَ عِنْدَ إِخْبَارِهِ بِمَا هُمُ صَنَعُوا   لَمْ يَرْمِهَا وَ هْوَ فرقٌ لِلْعُيُونِ بَدَا

وَ التُّسْتُرِي قَالَ قَدْ رَامَ التَّمَكُّنَ فِي   حَالٍ بِنُورِ اليَقِينِ فِي الَّذِي شهدا
أَرَادَ كَشْفَ الغِطَاءِ عَنْهُ فِيهِ وَ قَدْ   أُزِيحَ عَنْهُ وَ لَمْ يَعْبَأْ بِمَنْ عندا
وَ إِنَّ رَابِعَهَا أَبَانَ فِيهِ عَنِ الَّذِي بِهِ كَانَ مُحْتَجّاً عَلَى البُعَدَا
فَرَامَ ذَاكَ لِكَيْ يَصِحَّ مِنْهُ عَلَيْهِمُ احْتِجَاجٌ عَلَيْهِ فِي الهُدَى اعتمدا
وَ إِنَّ خَامِسَهَا أَرَادَ مِنْهُ بِأَنْ   يُعْطِيهِ كَيْفِيَّةَ الإِحْيَاءِ فِي الشُّهَدَا
لِيَطْمَئِنَّ بِذَاكَ قَلْبُهُ مَعَهَا   وَ قَامَ بِالأَدَبِ الَّذِي بِهِ عهدا
وَ إِنَّ سَادِسَهَا أَرَى لِأُمَّتِهِ   مِنْ نَفْسِهِ الشَّكَّ وَ هْوَ فِيهِ مَا قَعَدَا
وَ ذَاكَ مِنْهُ لِكَيْ يُجَابَ بَيْنَهُمُ   وَ فِي الجَوَابِ لَهُ عِنْدَ المُجِيبِ جَدَى
وَ قَدْ نَفَى المُصْطَفَى شَكّاً تَوَهَّمَ فِي الخَلِيلِ فِي ضِمْنِ مَا عَنْ صَحْبِهِ وَرَدَا
فَقَالَ فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ نَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالشَّكِّ مِنْهُ فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ هَلْ يَشُكُّ النَّبِي حَتَّى يَكُونَ لِإِبْرَاهِيمَ شَكٌّ وَ فِيهِ الشَّكُّ مَا وُجِدَا
فَقَالَ مَا قَالَهُ بِالجِدِّ فِي أَدَبٍ   مَعَ الخَلِيلِ أَبِيهِ بَيْنَ مَنْ حمدا
أَوْ قَالَ نَحْنُ وَ لَكِنْ رَامَ أُمَّتَهُ   بِهِ لِيَنْفِيَ شَكّاً عَنْهُمُ عَهِدَا
وَ قَالَ ذَلِكَ فِيهِ عَنْ تَوَاضُعِهِ   أَوْ مِنْ زِيَادَةِ إِيقَانٍ لِمَا وَجَدَا
فَإِنْ تَقُلْ مَا تَقُولُ فِي مُخَاطَبَةِ النَّبِي فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ حُبِيتَ يَدَا
قُلْنَا حَذَارِ حَذَارِ أَنْ تَقُولَ بِأَنَّ المُصْطَفَى شَكَّ فِي وَحْيٍ لَهُ وَرَدَا
فَالشَّكُّ فِي الوَحْيِ لاَ يَكُونُ مِنْهُ وَلاَ   فِي غَيْرِ وَحْيٍ وَ عَنْهُ لَمْ يَسَلْ أَحَدَا
وَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ عِنْدَمَا نَزَلَتْ   خَيْرُ الوَرَى لاَ أَشُكُّ وَ هْوَ مَا انتقدا
فَعَامَّةُ العُلَمَا المُفَسِّرِينَ عَلَى   هَذَا وَ قَوْلُهُمُ فِي مِثْلِهِ اعْتُمِدَا
لَكِنَّهُمْ فِي مَعَانِي الآيَةِ اخْتَلَفُوا   وَ أَوَّلُوهَا بِمَا فِيهِ رَأَوْا سَدَدَا
فَقِيلَ قُلْ لِلَّذِي قَدْ شَكَّ فَاسْأَلِ الَّذِينَ قَدْ قَرَؤُا فِي مَشْهَدِ الشُّهَدَا
وَ قِيلَ للعربِ الخِطَابُ جَاءَ بِهَا   كَقَوْلِهِ فِي لَإِنْ أَشْرَكْتَ مُلْتَحِدَا
مِنْ بَابِ إِيَّاكَ أَعْنِي فَاسْمَعِي مَثَلاً   يَا جَارَتِي وَ هْوَ قَوْلٌ جَاءَ مُطَّرِدَا

أَلاَ تَرَى الحَقَّ قَدْ نَهَى الرَّسُولَ فَقَا   لَ لاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ كَذَّبُوا أَبَدَا
فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ بِآيَتِهِ   قَدْ كَذَّبُوا فَالمُرَادُ الغَيْرُ وَ هْوَ بَدَا
وَ مِثْلُهُ قَدْ غَدَا وَ الأَمْرُ لَيْسَ لَهُ   فِي قَوْلِهِ اسْأَلْ بِهِ مَنِ اهْتَدَى وَ هَدَى
وَ هْوَ الخَبِيرُ كَمَا لاِبْنِ العَلاَءِ فَغَيْـ   ـرُ المُصْطَفَى عِنْدَهُ بِالأَمْرِ قَدْ قَصَدَا
وَ قَالَ لَمْ يَكُ هَذَا الشَّكُّ مِنْهُ وَ لَـ   ـكِنْ مِنْ سِوَاهُ وَ هَذَا طِبْقَ مَا اعْتُقِدَا
فَالشَّاكُّ يَسْأَلُ عَمَّا جَاءَ مِنْ قِصَصٍ   أَهْلَ الكِتَابِ يَجِدْهَا طِبْقَ مَا وَرَدَا
لاَ عَنْ عَقِيدَتِهِ وَ شَرْعِ أُمَّتِهِ   فَفِيهِ أَهْلُ الكِتَابِ أَكْثَرُوا الفَنَدَا
كِتَابُهُمْ جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ وَ هْوَ بِهِ ا   لإِلَهُ مُنْفَرِداً بِالحَقِّ قَدْ عُبِدَا
وَ مِثْلُهُ اسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا فَظَاهِرُهُ   لِلْمُصْطَفَى وَ بِأَمْرِ غَيْرِهِ وَ فَدَا
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ سَلْنَا يَا مُحَمَّدُ عَـ   ـمَّنْ بِالهِدَايَةِ أَرْسَلْنَا بِنَهْجِ هُدَى
وَ بَعْدَهُ أَجَعَلْنَا جَاءَ وَ هْوَ عَلَى ا   لإِنْكَارِ أَيْ مَا جَعَلْنَا وَ هْوَ مَا انْتُقِدَا
وَ قِيلَ فِي ذَاكَ أَمْرُهُ لِيَسْأَلَ كُـ   ـلَّ الأَنْبِيَاءِ لَدَى الإِسْرَاءِ فِي الصُّعُدَا
فَكَانَ بَيْنَهُمُ عَظِيمَ مَعْرِفَةٍ   أَيَسْأَلُ الأَنْبِيَا عَمَّا لَدَيْهِ بَدَا
لِذَاكَ قَدْ قَالَ فِيهَا عِنْدَ مَا نَزَلَتْ   عَلَيْهِ إِنِّي اكْتَفَيْتُ لَمْ أَسَلْ أَحَدَا
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ سَلْ مِمَّنْ مَضَى أُمَماً   هَلْ جَاءَ هُمْ مُرْسَلٌ بِمَا نَفَى الأَحَدَا
وَ القَصْدُ إِعْلاَمُهُ بِمَا بِهِ بُعِثَتْ   بَيْنَ الوَرَى الرُّسُلُ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
رَدّاً عَلَى المُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ   لِغَيْرِ خَالِقِهِمْ وَ هُمْ هُمُ البُعَدَا
وَ كُلُّ أَهْلِ الكِتَابِ مُخْبِرُونَ بِـ   ـأَنَّ الحَقَّ فِيمَا بِهِ النَّبِيُّ قَدْ وَفَدَا
وَ جَاءَ هُ النَّهْيُ عَنْ شَكٍّ بِأَنَّهُمُ   تَحَقَّقُوا أَنَّهُ النَّبِي الَّذِي حُمِدَا
بَلْ إِنَّهُمْ عَرَفُوهُ مِثْلَ مَعْرِفَةِ ا   لأَبْنَاءِ بَيْنَهُمُ وَ هُمْ لَهُمْ شُهَدَا
لَكِنَّهُمْ جَحَدُوهُ وَ هْوَ بَيْنَهُمُ   يَدْعُو لِحَقٍّ وَ قَدْ مَاتُوا بِهِ حَسَدَا
وَ قَدْ يَكُونُ عَلَى مِثْلِ المُقَرَّرِ قَبْـ   ـلُ حَيْثُ قِيلَ لَهُ وَ الحَقُّ مَا جحدَا
كَأَنَّهُ قَالَ قُلْ لِلْمُمْتَرِي لِتَكُنْ   مُصَدِّقاً فَمَنِ افْتَرَى بِهِ طُرِدَا

لِذَاكَ غَيْرَ الإِلَهِ مَا ابْتَغَى حَكَمَـــا   وَ الحَقُّ فِي حُكْمِهِ لَمْ يَبْغِ مَنْ عَنَدَا
وَ قِيلَ ذَلِكَ تَقْرِيرٌ بِهِ حمل الـــــــنبي الجحود عَلَى إِقْرَارِهِ بِهُدَى
وَ كَانَ فِي ضِمْنِهِ التَّوْبِيخُ مِنْه لِمَنْ   قَد افْتَرَوْا فِي الَّذِي أَبْدَاهُ فِي الشُّهَدَا
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ مَا فِي الشَّكِّ كُنْتَ فَسَلْ   تَزْدَدْ طُمَأْنِينَةً مِنْ بَيْنِ مَنْ سَعِـــدَا
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ إِن تَشُكَّ فِي رُتَـــبٍ   قَدْ نِلْتَهَا فَلْتَسَلْ بَيْنَ الوَرَى العُمَـــدَا
فَإِنَّ فِي كُتْبِهِمْ صِفَاتَكَ انْتَشَـــرَتْ   مِنْ بَيْنِهِمْ مُرْغِماً بِذَاكَ مَنْ جَحَـــدَا
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ إِنْ شَكَكْتَ أَنْتَ مِنَ اعْـــــتِقَادِ غَيْرِكَ فِيكَ بَيْنَ مَنْ وُجِـــدَا
فَعَنْ هُدَاكَ لَهُمْ سَلْ كُلَّ مَنْ قَرَأَ الـــــكِتَابَ يُخْبِرُ عَنْكَ كُلَّ مَنْ رَشِـــدَا
فَإِنْ تَقُلْ مَا بَيَانُ قَوْل قَدْ كُذِبُـــوا   بِضَمِّ كَافٍ وَ تَخْفِيفٍ بِـــــهِ وَرَدَا
وَ ظَاهِرُ القَوْلِ أَنَّ الرُّسْلَ قَدْ يَئِسُوا   مِن نَصْرِ جَمْعِهِمْ بِمَا بِهِ وُعِـــدَا
قُلْنَا كَمَا قَالَتِ المَوْلَاةُ عَائِشَـــــةٌ   مَا كَانَ يَأْسُهُمُ مِنْ رَبِّهِمْ أَبَـــدَا
وَ إِنَّمَا اسْـتَيْأَسُوا مِنْ نَصْرِ تُبَّعِهِمْ   لَهُمْ فَظَنُّوا بِأَنَّ وَعْدَهُمْ فَنَـــــدَا
وَ قِيلَ فَاعِلُ هَذَا الظَّنِّ تُبَّعُهُـــــمْ   لَمَّا رَأَوْا وَعْدَهُمْ بِالنَّصْرِ قَدْ بَعُـــدَا
وَ هَا هُنَا قَدْ رَوَى مُجَاهِدٌ كَذَبُـوا   بِفَتْحِ ذَالٍ مَعَ التَّخْفِيفِ وَهْوَ بَـــدَا
فَدَعْ شَوَاذَّ تَفَاسِيرٍ أَتَتْ بِسِـــوَى   مَا قَدْ ذَكَرْنَا مِنَ الحَقِّ الَّذِي اعْتُمِـدَا
فَغَيْرُهُ لَمْ يَكُنْ يَلِيقُ بِالعُلَمَـــــــا   فَكَيْفَ بِالأَنْبِيَا   وَهُمْ هُمُ الرُّشَـــــدَا
وَ فِي الحَدِيثِ أَتَى لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى   نَفْسِي وَ ذَلِكَ مِمَّا المُصْطَفَى شَهِـــدَا
فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ شَكٍّ عَرَاهُ وَ لَـــــــكِنْ مِنْهُ أَشْفَق مِمَّا فَتَّتَ الكَبِـــدَا
لَعَلَّ خِشْيَتَهُ مِنْ كَوْنِ قُوَّتِـــــهِ   فِيمَا رَأَى لَا تُطِيقُ حَمْلَ مَا وجَـــدَا
هَذَا عَلَى أَنَّ هَذَا كَانَ بَعْدَ لِقَـــا   ئِهِ لِجِبْرِيلَ وَ هْوَ فِي الصَّحِيحِ غَـــدَا
وَ قِيلَ من قَبْلِ لُقْيَاهُ وَ قَدْ عُرِضَتْ   عَلَيْهِ أَشْيَاءُ فِي رُؤْيَا بِهَا وَجَـــدَا
وَ قَدْ رَأَى مِثْلَهَا فِي حَالِ يَقْظَتِـــهِ   مِنْ بَعْدِ تَأْنِيسِهِ بِمَا لَدَيْهِ بَـــدَا
فَكَانَ أَوَّلَ مَا بِهِ النَّبِيُّ بَـــدَى   فِي القَوْمِ مِنْ وَحْيِهِ الرُّؤْيَا كَمَـا وَرَدَا

فَقَدْ أَتَى ذَاكَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةٍ   وَ فِيهِ ثُمَّ غَدَا فِي الغَارِ مُنْفَرِدَا
وَ لَمْ يَزَلْ مُتَرَدِّداً إِلَيْهِ إِلَى   أَنْ جَاءَهُ الحَقُّ فِيهِ فَاهْتَدَى وَ هَدَى
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الأَرْضَى لَقَدْ مَكَثَ النَّبِي بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ عَدَدَا
يَرَى سَنَى وَ لِصَوْتٍ كَانَ مُسْتَمِعاً   سَبْعاً وَ لَمْ يَرَ شَخْصاً فِي الَّذِي شَهِدَا
وَ قَدْ أَقَامَ ثَمَاناً فِي تَخَلُّلِهَا   يُوحَى إِلَيْهِ وَ هَذَا بِالسِّنِينِ غَدَا
وَ الحَقُّ أَنَّ النَّبِي مَا عَاشَ غَيْرَ ثَلاَ   ثَةٍ وَ سِتِّينَ عَاماً نَجْمُهَا صَعِدَا
فِي مَكَّةٍ قَدْ أَقَامَ بَعْدَ مَبْعَثِهِ   ثَلاَثَ عَشْرَةَ فِيهَا أَظْهَرَ الرَّشَدَا
وَ بِالمَدِينَةِ عَشْراً قَالَ بَعْضُهُمُ   دُونَ الزِّيَادَةِ وَ الوَفَاةِ ذَاكَ بَدَا
وَ لابْنِ إِسْحَاقَ فِيمَا قَالَ بَعْضُهُمُ   بِأَنَّ خَيْرَ الوَرَى فِي الغَارِ قَدْ رَقَدَا
فَجَاءَهُ جِبْرَئِيلُ وَ هْوَ فِيهِ ثَوَى   وَ فِيهِ قَالَ لَهُ اقْرَأْ تُحْرِزِ المَدَدَا
وَ فِيهِ ذِكْرُ الَّذِي قَالَتْهُ عَائِشَةٌ   مِنْ غَطِّهِ مَعَ مَا عَلَيْهِ قَدْ سُرِدَا
لَكِنَّ جِبْرِيلَ فِيهِ قَالَ إِنَّكَ يَا   مُحَمَّدٌ لَرَسُولٌ فَاحْمَدِ الصَّمَدَا
مِنْ بَعْدِمَا المُصْطَفَى قَدْ رَامَ يَطْرَحُ نَفْسَهُ النَّفِيسَةَ مِنْ طَوْدٍ لَهُ عَمَدَا
خَوْفاً عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يُقَالَ لَهُ   مَجْنُونٌ أَوْ شَاعِرٌ مِنْ قَوْمِهِ العُنُدَا
إِلَى تَمَامِ الحَدِيثِ وَ هْوَ دَلَّ عَلَى   أَنَّ النُّبُوَّةَ كَانَتْ بَعْدَ مَا جَهِدَا
وَ مِثْلُهُ ابْنُ شُرَحْبِيلَ الأَجَلُّ رَوَى   وَ عَنْ رِوَايَةِ حَمَّادٍ سَنَاهُ بَدَا
إِلَى خَدِيجَةَ أَفْشَى سِرَّهُ وَ لَهُ   قَدْ أَظْهَرَتْ رَأْيَهَا وَ رَأْيُهَا حَمِدَا
وَ كُلُّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْهُ يُفْهَمُ شَكٌّ كَانَ قَبْلَ نُبُوَّةٍ بِهَا وَفَدَا
فَكَيْفَ وَ البَعْضُ مِمَّا مِنْهُ يُفْهَمُ شَكٌّ لاَ يَصِحُّ لَدَى مَنْ حَقَّقُوا السَّنَدَا
وَ لَمْ يَصِحَّ لَدَيْهِمْ بَعْدَ مَبْعَثِهِ   مَا أَفْهَمَ الشَّكَّ مِمَّا قَدْ رَأَى أَبَدَا
وَ فِي ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ جُلِّ الشُّيُوخِ بِأَنَّ المُصْطَفَى كَانَ يَرْقَى فِي الَّذِي وَجَدَا
وَ بَعْدَمَا الوَحْيُ وَافَاهُ تَجَنَّبَهَا   لِأَنَّ سِرَّ القُرْآنِ لاَ يُغَادِرُ دَا
وَ مَا بِهِ اخْتَبَرَتْ خَدِيجَةُ المَلَكَ الَّذِي أَتَى لِلنَّبِي فِي حَقِّهَا وَرَدَا

فَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ أَمْرِ النَّبِي وَ لَكِنَّ ابْنَ نَوْفَلَ قَدْ أَفَادَهَا رَشَدَا
وَ ذَاكَ مِنْ أَمْرِهِ لَهَا لِتَخْتَبِرَ الَّذِي عَلَى الْمُصْطَفَى فِي بَيْتِهَا وَفَدَا
وَ بَعْدَهُ طَلَبَتْ مِنَ النَّبِيِّ إِذَا   أَتَاهُ يُخْبِرُهَا وَ عَنْهُ مَا بعدَا
فَجَاءَهُ فَاسْتَبَانَتْ أَنَّهُ مَلَكٌ   وَ آمَنَتْ بِالنَّبِي وَ زَادَهَا مَدَدَا
أَمَّا النَّبِي فَهْوَ لَمْ يَشُكَّ فِيهِ وَ مَا   فِي أَمْرِهِ عِنْدَهُ تَرَدُّدٌ وُجِدَا
وَ مَا رَوَى الْبَيْهَقِي عَنْ مَعْمَرٍ وَرَوَا   هُ أَحْمَدٌ فِي فُتُورِ الْوَحْيِ مَا اعْتُمِدَا
فَقَالَ إِنَّ النَّبِيَّ حَالَ فَتْرَةِ وَحْيٍ عَنْهُ قَدْ كَادَ يُرْدِي نَفْسَهُ كَمَدَا
فَلَمْ يحدثْ سِوَاهُ فِي الرُّوَاةِ بِهِ   وَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ لَنْ يردَا
وَ إِنَّ يصحَّ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ   لَكِنْ عَلَيْهِ بِحَالِ الْفَتْرَةِ انْتُقِدَا
أَوْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ حِينَ كَذَّبَهُ   مَنْ لَمْ يَكُنْ مُومِناً بِهِ وَ مَنْ عَنَدَا
وَ اللهُ أَشْفَقَ مِمَّا كَانَ حَلَّ بِهِ   وَ فِي لَعَلَّكَ بَاخِعٌ هُدَاهُ بَدَا
وَ قَدْ يصحح مَعْنَى ما تؤول قَوْ   ل مَعْمَرٍ هَا هُنَا بِهِ الَّذِي وَرَدَا
فَعَنْ شَرِيكٍ فَإِنَّ قَوْمَهُ اجْتَمَعُوا   وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَقُولُوا سَاحِرٌ شهدَا
فَاشْتَدَّ ذَاكَ إِذَنْ عَلَى النَّبِيِّ إِلَى   أَنْ جَاءَهُ جِبْرَئِيلُ بِالَّذِي حمدَا
أَوْ أَنَّهُ خَافَ أَنْ تَكُونَ فَتْرَتُهُ   عُقُوبَةً عُجِّلَتْ لَهُ بِهَا كَمَدَا
وَ مِثْلُ هَذَا رَأَوْا فِرَارَ يُونُسَ حِينَ لَمْ يُصِبْ قَوْمَهُ بِمَا لَهُمْ وَعَدَا
فَإِنَّهُ خَافَ أَنْ يُكَذِّبُوهُ فَفَرَّ عَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِنْ هُوَ افْتُقِدَا
فَإِنْ تَقُلْ كَيْفَ ظَنَّ فِي الْوُجُودِ بِأَنْ   لَنْ يَقْدِرَ اللهُ فِي الْوَرَى عَلَيْهِ يَدَا
قُلْنَا هُنَا الْقَدْرُ لِلرِّزْقِ الْمُقَدَّرِ لَا   مِنْ قُدْرَةٍ عِنْدَنَا اشْتِقَاقُهُ وُجِدَا
فَلَمْ يَشُكَّ نَبِيُّ اللهِ يُونَسَ فِي   كَمَالِ قُدْرَةِ رَبِّهِ كَمَا اعْتُقِدَا
وَ قَالَ مَكِّي بِأَنَّ يُونُساً طَمَعَتْ   بَيْنَ الْوَرَى نَفْسُهُ فِي اللهِ أَيْنَ غَدَا
فَظَنَّ أَنْ لَا يُضَيِّقَ الإِلَهُ عَلَيْهِ مَسْلَكاً فِي الْخُرُوجِ عِنْدَ ما حَرِدَا
وَ قِيلَ حَسَّنَ ظَنَّهُ بِخَالِقِهِ   أَنْ لَا يُعَاقِبَهُ فِيمَا لَهُ عَمَدَا

وَقِيلَ فِي ظَنِّهِ أَنْ لَا يُؤَاخِدَهُ   بِذَلِكَ الحَرَدِ الَّذِي بِهِ اجْتَهَدَا
وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَيْضاً لن يُقَدِّرَ مَا   أَصَابَهُ رَبُّهُ عَلَيْهِ فِي الشُّهَدَا
قَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَفِيهِ حَذْفُ هَمْزَةِ الإسْتِفْهَامِ وَهْوَ هُنَا فِي مِثْلِهِ اطُّرِدَا
فَكَانَ تَقْرِيرُ مَعْنَاهُ بِهَا أَتَظُنُّ وَالكَمَالُ لِذِي فَهْمٍ هُنَا شُهِدَا
وَلَا يَلِيقُ بِمَنْ حَوَى الرَّشَادَ بِأَنْ   يَظُنَّ جَهْلَ نَبِي بِرَبِّه أَبَدَا
وَكَيْفَ يَجْهَلُ مَنْ يَدْعُو إِلَيْهِ صِفَا   ته وَعِرْفَانه لَا يَنْتَهِي مَدَدَا
كَذَاكَ فِي قَوْلِهِ مُغَاضِباً فَعَلَى   مَا كَانَ مِنْ كُفْرِ قَوْمِهِ كَمَا اعْتُمِدَا
وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ مِنْهُ عَنْ مُغَاضَبَةِ ا   لإلهِ حَاشَاهُ فَهْوَ قَدْ حَوَى الرَّشَدَا
وَقِيلَ مُسْتَحْيِيّاً مِنْ قَوْمِهِ فَغَدَا   مُغَاضِباً إِذْ هُمُ نَمُّوا لَهُ الفَنَدَا
وَقِيلَ أَيْضاً مُغَاضِباً لِبَعْضِ مُلُو   كٍ رَامَ مِنْ يُونُسَ الأَمْرَ الَّذِي قَصَدَا
وَعَنْهُ يُونُسَ صَارَ فِي مُغَاضَبَةٍ   إِذْ لَمْ يُفِدْهُ اعْتِذَارٌ فِيهِ مُجْتَهِدَا
وَمَا تَنَبَّأَ إِلَّا بَعْدَ نَبْذَتِهِ   فَوْقَ العَرَا وَمَقَامُ فَضْلِهِ صَعِدَا
وَبَعْدَ ذَاكَ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَغَدَا   مِنْ صُفْوَةِ الصَّالِحِينَ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
إِنْ قِيلَ فِي الغَيْنُ مَا مَعْنَاهُ عِنْدَكُمُ   فَفِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ لَفْظُهُ وَرَدَا
قُلْنَا لَكَ احْذَرْ بِأَنْ تَظُنَّ ذَلِكَ عَنْ   رَيْبٍ وَوَسْوَسَةٍ فِي قَلْبِهِ وُجِدَا
فَالغَيْنُ كَالغَيْمِ جَاءَ دُونَ تَغْطِيَةِ السَّمَاءِ مِنْ رِقَّةٍ تَعْرُوهُ إِنْ شهدَا
ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِغَيْنِ القَلْبِ وَهْوَ هُنَا   مَا كَانَ يَشْغَلُ نَفْساً مِنْهُ أَوْ جَسَدَا
فَفِي مُقَاسَاتِهِ لِمَا أَلَمَّ بِهِ   يَسْهُو و يغفلُ عَنْ ذِكْرٍ بِهِ اجْتَهَدَا
وَذَا عَلَى قَوْلِ مَنْ أَجَازَ غَفْلَتَهِ   فِي غَيْرِ طُرْقِ البَلَاغِ جَاءَ مُنتقدَا
وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ نُقْصَانِ رُتْبَتِهِ   فِي طَاعَةِ الحَقِّ إِذْ بِالحَقِّ قَدْ عبدَا
وَكَانَ مِنْ رُتَبٍ يَرْقَى إِلَى رُتَبٍ   مُسْتَغْفِراً حِينَ يَرْقَى لِلَّذِي صَعِدَا
فَإِنَّهُ دَائِمُ الرُّقِيِّ فَهْوَ لِلاسْتِغْفَارِ يُكْثِرُ فَوْقَ عَدِّهِ عَدَدَا
وَنَزَّهَ المُتَصَوِّفُونَ رُتْبَةَ خَيْرِ الخَلْقِ عَنْ كُلِّ غَيْنٍ كَيْفَمَا وَرَدَا

فَلَمْ تَقَعْ غَفْلَةٌ مِنْهُ وَ لَا غَلَطٌ   وَ مَا يُشَابِهُهُ فَمِنْهُ قَدْ حمدَا
وَ إِنَّمَا غَيْنُهُ مِنْ أَجْلِ أُمَّتِهِ   مُسْتَغْفِراً لَهُمْ مَوْلَاهُ دُونَ مَدَى
وَ هَا هُنَا الغَيْنُ قَدْ قَالُوا سَكِينَتُهُ الَّـ   ـتِي مِنَ الحَقِّ تَغْشَى قَلْبَهُ الأَبَدَا
فَكَانَ يُبْدِي بِالإِسْتِغْفَارِ حِينَ خُضُو   عِهِ لِمَوْلَاهُ وَ هْوَ فِي كَمَالِ هُدَى
قَالَ الرِّضَى ابْنُ عَطَا اسْتِغْفَارُهُ انْتَفَعَتْ   فِي الكون أُمَّتُهُ بِهِ كَمَا شُهِدَا
تَنَبَّهَتْ فِي الوَرَى بِهِ لَهُ فَغَدَتْ   تَسْتَغْفِرُ اللهَ مِمَّا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
وَ غَيْرُهُ قَالَ أَنَّهَا بِهِ حذرتْ   مِنَ الرُّكُونِ كَمَا السِّوَى لَهُ اعتمدَا
وَ قَدْ يُفَسِّرُ هَذَا الغَيْنُ بَيْنَهُمُ   بِحَالَةِ الخَشْيَةِ الَّتِي بِهَا عَبَدَا
فَيَشْكُرُ اللهَ بِاسْتِغْفَارِهِ وَ بِهِ   قَدْ صَارَ عَبْداً شَكُوراً فِي العِبَادِ غَدَا
وَ هَذِهِ الأَوْجُهُ الَّتِي هُنَا ذُكِرَتْ   أَخِيرَةً نَاسَبَتْ مَعْنَى الَّذي وَرَدَا
فِيهِ الإِغَانَةُ جَاءَتْ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ   سَبْعِينَ وَ هْوَ لَهُ اسْتِغْفَارُهُ انْفَرَدَا
فَإِنْ تَقُلْ لِي فَمَا مَعْنَى الجَهَالَةِ فِي   فَلَا تَكُونَنَّ قُلْنَا قَوْلَةَ الرُّشَدَا
فَإِنَّهُ قَدْ نَهَاهُ الحَقُّ عَنْ جَزَعِ الـ   ـجُهَّالِ وَ الأَمْرُ بِالصَّبْرِ الَّذِي حُمِدا
فَمَنْ تَحَرَّجَ مِمَّا الجَاهِلُونَ بِهِ   تَحَرَّجُوا عُدَّ مِنْهُمْ يَوْمَنَا وَ غَدَا
وَ قِيلَ مَعْنَى خِطَابه لِأُمَّتِهِ   أَيْ لَا تَكُونُوا مِنَ الجُهَّالِ يَا سُعَدَا
وَ مِثْلُ ذَلِكَ جَاءَ فِي الخِطَابِ لِنُو   حٍ حَيْثُ رَامَ بِأَنْ يُنْجِي لَهُ الوَلَدَا
وَ البَحْثُ عَمَّا طَوَاهُ اللهُ مُمْتَنِعٌ   خَوْفَ التَّجَسُّسِ عَنْ غَيْبٍ بِهِ انْفَرَدَا
وَ اللهُ أَعْلَمَهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ بِأَنَّ   أَهْلَهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ لِذَا طُرِدَا
فَالأَنْبِيَا عُصِمُوا مِنَ الجَهَالَةِ وَ هْـ   ـيَ فِي الوَرَى شَرُّ وَصْفٍ بَيْنَهُمْ وُجِدَا
فَفِيهِمُ كَمُلَتْ لِلهِ مَعْرِفَةٌ   وَ نُورُهُمْ فِي طَرِيقِ الرُّشْدِ قَدْ وَقَدَا
فَإِنْ تَقُلْ فَإِذَا قَرَّرْتَ عِصْمَتَهُمْ   فَأَيُّ مَعْنَى إِذَنْ لِمَا بِهِ وَعَدَا
فَاللهُ قَدْ وَعَدَ النَّبِيَّ إِنْ فَعَلَ الـ   ـذِي نُهِي عَنْهُ بِالَّذِي شَوَى الكَبِدَا
كَآيَةِ الحَبْطِ لِلأَعْمَالِ هَلْ يَتَأَتَّـ   ـى مِنْهُ ذَلِكَ وَ هْوَ فِي الخِطَابِ بَدَا

وَ آيَة فِي دُعَاءِ غَيْرِ خَالِقِهِ   وَ مَا بِضِعْفِ الحَيَاةِ دُرُّهُ انْتُضِدَا
وَ آيَة الأَخْذِ بِاليَمِينِ قَدْ ذُكِرَتْ   وَ مِثْلُ ذَاكَ فَإِنْ يَشَا كَمَا سُرِدَا
وَ مِثْلُهَا إِنْ تُطِعْ وَ لاَ تُطِعْ وَ كَذَا   فِي الأَمْرِ قَدْ جَاءَ إِنْ لَمْ تَفْعَلِ الرَّشَدَا
فَاعْلَمْ وَ أَنَّ الرَّسُولَ لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ تَرْكُ تَبْلِيغِهِ لِمَا بِهِ وُجِدَا
وَ لاَ يُخَالِفُ أَمْرَ رَبِّهِ أَبَدَا   وَ لَمْ يَكُنْ مُشْرِكاً بِطَاعَةٍ أَحَدَا
وَ لاَ يُرَى مُتَقَوِّلاً عَلَيْهِ وَ لاَ   أَنْ يَفْتَرِي أَوْ يَضِلَّ عَنْ سَبِيلِ هُدَى
أَوْ يَخْتِمَ اللهُ فَوْقَ قَلْبِهِ وَ يُطِيعَ الكَافِرِينَ فَهَذَا لَمْ يَكُنْ أَبَدَا
لَكِنَّهُ فِي البَلاَغِ لِلمُخَالِفِ يَسَّرَ الإِلَهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ سَدَدَا
وَ إِنَّ إِبْلاَغَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِجَمِيعِهِمْ فَمَا بَلَّغَ الحَقَّ الَّذِي عضدَا
وَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالحِفْظِ أَخْبَرَهُ   بِعِصْمَةٍ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَيْنَ غَدَا
فَكَانَ خَيْرُ الوَرَى وَ رَبُّهُ مَعَهُ   يَرْعَاهُ وَ ازْدَادَ فِي إِبْلاَغِهِ مَدَدَا
فَلَمْ يَخَفْ أَحَداً فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ   إِذ سَكَّنَ النَّفْسَ مِنْهُ هَا هُنَا وَ غَدَا
فَطَابَ نَفْساً بِهَا مُحَمَّدٌ فَدَعَا   بِالحَقِّ لِلحَقِّ وَ هْوَ عِنْدَهُ حمدَا
وَ قَبْلَهُ قَالَ مُوسَى مَعْ أَخِيهِ هُدَى   قَدْ أَبْلَغَاهُ مَعَ الأَمْرِ الَّذِي وَجَدَا
وَ عَنْهُمَا ذَهَبَ الخَوْفُ الَّذِي خَشِيَا   هُ مِنْ أَعَادِيهِمَا فَأَبْلَغَا الرَّشَدَا
قَوَّى الإِلَهُ الجَمِيعَ فِي بُلُوغِهِمُ المُنَى بِإِبْلاَغِهِمْ لِلنَّاسِ خَيْرَ هُدَى
وَ المُصْطَفَى لَمْ يَذُقْ ضِعْفَ الحَيَاةِ لِأَنَّهُ تَقَوَّى وَ مَا تَقَوَّلَ الفَنَدَا
وَ لَمْ يَضِلَّ عَنِ السَّبِيلِ حَيْثُ أَطَا   عَ رَبَّهُ وَ المُطِيعُ لاَ يَرَى نَكَدَا
أَمَّا التَّوَعُّدُ بِالإِضْلاَلِ فَهْوَ لِمَنْ   أَطَاعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ قَدْ فَسَدَا
إِنَّ الخِطَابَ لَهُ وَ القَصْدُ أُمَّتُهُ   عِنْدَ الَّذِي فِي سَبِيلِ الحَقِّ مَا عَنَدَا
فَاللهُ مِنْ طَاعَةِ الكُفَّارِ حَذَّرَنَا   فِي آيَةٍ قَدْ دَرَاهَا مَنْ غَزَا أُحُدَا
وَ قَوْلُهُ إِنْ يَشَأْ يَخْتِمْ أُرِيدَ بِهِ   غَيْرُ النَّبِي وَ كَذَاكَ فِي الحبُوطِ بَدَا
فَإِنَّ إِشْرَاكَهُ مِنَ المُحَالِ فَلاَ   يَجُوزُ فِي حَقِّهِ وَصْفٌ بِهِ أَبَدَا

وَ لَا يُجَازَى بِخَتْمِ الْقَلْبِ غَيْرُ شَقِي   وَ رُبَّمَا جَازَ فِي التَّهْدِيدِ لِلسُّعَدَا
وَ مَجْلِسُ الْمُصْطَفَى لِلنَّاسِ قَاطِبَةً   وَ عَنْهُ مَا أَحَدٌ مِنْ صَحْبِهِ طُرِدَا
وَ النَّهْيُ عَنْ جَعْلِ شَيْءٍ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنْهُ فِعْلُهُ بِخِلَافِ الْأَمْرِ إِنْ وَرَدَا
فَطَرْدُهُمْ لَمْ يَكُنْ وَ النَّهْيُ عَنْهُ جَرَى   وَ كَمْ وَكَمْ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ قَدْ وُجِدَا

فصل

لِلْأَنْبِيَا عِصْمَةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِمُ   فَهُمْ بِهَا كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمُ انْفَرَدَا
فَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ مَعْصُومُونَ قَبْلَ نُبُوَّةٍ وَمِنْ بَعْدِهَا أَحْرَى لَدَى الرُّشَدَا
وَ هُمْ مِنَ الْجَهْلِ بِالْإِلَهِ قَدْ عُصِمُوا   فَلَا يُدَاخِلُهُمْ تَشَكُّكٌ أَبَدَا
وَ لَمْ يُصِفْهُمْ بِهِ بَيْنَ الْوَرَى أَحَدٌ   مَعْ أَنَّ فِيهِمْ عِدَاهُمْ أَكْثَرُوا اللَّدَدَا
فَلِلْجَمِيعِ بِهِ كَمَالُ مَعْرِفَةٍ   مُذْ وُلِدُوا وَ هُمُ مِنْ أَسْعَدِ السُّعَدَا
فَلَوْ رَأَوْا وَاحِداً مِنْهُمْ يُخَالِفُ مَا   أَتَى بِهِ نَوَّعُوا الْإِنْكَارَ وَ الْفَنَدَا
وَ مَا تَرَى السُّفَهَا قَامُوا بِهِ نُكُرَا   عَلَى النَّبِي عِنْدَ مَا لِقِبْلَةٍ قَصَدَا
وَ لَوْ رَأَوْا غَيْرَ هَذَا ضَاقَ صَدْرُهُمُ   عَلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ الْإِنْكَارِ أَيْنَ غَدَا
قَالَ الْقُشَيْرِي وَ فِي أَخْذِ الْإِلَهِ عَلَى   كُلِّ النَّبِيِّينَ مِيثَاقاً بِهِ شَهِدَا
أَجْلَى دَلِيلٍ عَلَى تَنْزِيهِ سَاحَتِهِمْ   مِنْ كُلِّ شِرْكٍ لَدَى مَنْ وَحَّدَ الْأَحَدَا
فَلَا يُجَوِّزُ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُمُ   فِي حَقِّهِمْ فِي الْوَرَى إِلَّا مَنِ الْتَحَدَا
فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ مَقْدِرَةٌ   عَلَيْهِمُ أَبَداً فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ الْمُصْطَفَى الْعَرَبِي قَدْ شُقَّ مِنْهُ مِرَا   راً صَدْرُهُ وَ مُلِي بِحِكْمَةٍ وَ هُدَى
وَ الْأَنْبِيَا مِثْلُهُ فِي عِصْمَةٍ فَهُمُ   قَبْلَ النُّبُوَّةِ حَازُوا فِي الْوَرَى الرَّشَدَا
وَ لَا الْتِبَاسَ هُنَا بِمَا الْخَلِيلُ بِهِ اسْتَدَلَّ فِي حَقِّ رَبِّهِ الَّذِي عَبَدَا
فَقَالَ فِي كَوْكَبٍ مَا قَالَ فِي الْقَمَرَيْنِ ثُمَّ صَرَّحَ بِالْحَقِّ الَّذِي اعْتَقَدَا
فَقِيلَ قَدْ كَانَ هَذَا مِنْهُ وَ هْوَ صَبِي   مِنْ قَبْلِ تَكْلِيفِهِ وَ فِي الْهُدَى اجْتَهَدَا
وَ قَالَ مُعْظَمُ أَهْلِ الْحِذْقِ قَوْلَتَهُ   هَذِي بِهَا بَكَّتَ الَّذِي لَهُ عَنَدَا

وَ قِيلَ مَعْنَاهُ الاسْتِفْهَامُ وَ هْوَ عَلَى ا   لإنْكَارِ جَاءَ بِهِ لِيهدِيَ الشُّهَدَا
كَأنَّهُ قَالَ هَلْ هَذَا يَلِيقُ بِـأنْ   يَكُونَ رَبِّي وَ رَبِّي لَمْ يَزَلْ أحَدَا
وَ قَالَ فِيهِ هُنَا الزَّجَاجُ رَبِّيَ هَـذَا عِنْدَكُمْ وَ هْوَ فِيهِ لَيْسَ معتقدَا
كَقَوْلِهِ أيْنَ يَا مُعَانِدِي شُرَكَـا   ـئِي أي لديكم وَ هَذَا لَيْسَ منتقدَا
وَ كَيْفَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ وَ هْوَ إلـى   عِبَادَةِ اللهِ يَدْعُو القَوْمَ مُجْتَهِدَا
وَ لَمْ يَزَلْ مُنْكِراً عَلَى أبِيهِ وَ قَـوْ   ـمِهِ عِبَادَتِهِمْ لِغَيْرِ مَنْ عَبَدَا
وَ قَالَ مَعْبُودُكُمْ غَيْرُ الإلَهِ عَـدُ   ـوٌّ لِي غَدَا دَائِماً وَ أنْتُمُ الشُّهَدَا
وَ جَاءَ لِلَّهِ بِالقَلْبِ السَّلِيمِ وَ بَيْنَـ   ـهم لشركهم في سقمه قعدا
وَ قَدْ دَعَا رَبَّهُ بِأنْ يُجَنِّبَـهُ   فِيهِمْ عِبَادَةَ أصْنَامٍ وَ مَنْ وَلَدَا
وَ قَالَ فِي حَذَرٍ مَا قَالَ بَعْدَ لَئِـنْ لَمْ يَهْدِنِي مُشْفِقاً لِمَنْ لَهُمْ وَفَدَا
فَإنَّهُمْ عَبَدُوا غَيْرَ الإلَـهِ وَ ذَا   هُوَ الضَّلَالُ وَ عَنْهُ صَارَ مُبْتَعِدَا
وَ لِلضَّلَالِ مَعَانٍ هَا هُنَا ذُكِـرَتْ   بِهَا يُفَسَّرُ مَا فِي الذِّكْرِ قَـدْ وَرَدَا
مِنْهَا العِبَادَةُ جَاءَتْ وَ المَحَبَّةُ وَ النِّسْيَانُ وَ الكُفْرُ بَلْ تَحَيُّرٌ عُهِدَا
وَ الجَهْلُ بِالحَقِّ وَ الخَفَاءُ بَلْ عَدَمُ الظُّهُورِ لِلشَّيْءِ وَ الخَطَا وَ مَا انْتُقِدَا
وَ مَا أتَى فِي الضُّحَى لَمْ يَجْتَرِئْ أحَدٌ   يَقُولُ فِيهِ بِمَعْنَى كَافِرٍ أبَدَا
بَلْ قِيلَ مَعْنَاهُ ضَالاً عَنْ نُبُوَّتِـهِ   أوْ بَيْنَ أهْلِ الضَّلَالِ قَدْ غَدَا فَهَدَى
هَدَى بِهِ الغَيْرَ حَقّاً أوْ هَدَاهُ إلَـى   كَمَالِ إيمَانِهِ فِي كُلِّ مَا اعتقدَا
أوْ كَانَ عَنْ شَرْعِهِ ضَالاً فَألْهَمَـهُ   إلَيْهِ بَعْدَ تَحَيُّرٍ بِهِ كمدَا
فَكَانَ مُنْفَرِداً يَخْلُو بِغَارِ حِـرَا   عَسَاهُ يُحْرِزُ فِيهِ مَا لَهُ قَصَدَا
حَتَّى هَدَاهُ إلِى الإسْلَامِ خَالِقُـهُ   فَجَاءَ مِنْ بَعْدِ ذَا يُبَلِّغُ الرَّشَدَا
وَ قِيلَ لَا يعرف الحَقَّ المُفَصَّلَ حَتَّـى حَازَهُ بِهُدَاهُ فِي طَرِيقِ هُـدَى
كَقَوْلِهِ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ فَعَلَّمَـهُ   سُبْحَانَهُ مَا بِهِ قَدْ صَارَ مُنْفَرِدَا
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الأجَلُ لَيْسَ ضَلَا   لُهُ ضَلَالَةَ عِصْيَانٍ بِهَا وُجِدَا

وَقِيلَ أَيْضاً هَدَاكَ لِلْمَدِينَةِ بَعْـــــــــدَمَا غَدَوْتَ إِلَيْهَا تَطْلُبُ الْـمَــدَدَا
وَبِالْبَرَاهِينِ بَيْنَ النَّاسِ بَيَّنَ أَمْــــــــرَكَ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ بِرَغْمِ عِـــدَا
وَقِيلَ أَلْفَاهُ هَادِياً فَأَرْشَدَ ضَـــــا   لاًّ فِي الْوُجُودِ بِهِ وَذَا قَدِ انْتُقِـــدَا
وَقِيلَ لَمْ يَكُ عَارِفاً مَحَبَّةَ رَبِّـــــــــهِ لَهُ فَهَدَاهُ فَاهْتَدَى وَهَـــدَى
وَفِي قِرَاءَةِ سِبْطِ الْمُصْطَفَى الْحَسَنِ ا   لأَجَلِّ ضَالٌّ بِرَفْعِ الضَّالِ وَهْوَ بَـــدَا
وَقِيلَ فِيهِ مُحِباً نَيْلَ مَعْرِفَتِـــي   وَقَدْ هَدَيْتُكَ فِي خَلْقِي لِغَيْرِ مَـــدَى
قَالَ الْجُنَيْدُ هَدَاهُ بَعْدَ حِيرَتِـــهِ   إِلَى بَيَانِ الَّذِي عَلَيْهِ قَــــدْ وَرَدَا
وَقِيلَ ضَالاًّ فَلَمْ يَعْرِفْكَ مِنْ أَحَــدٍ   حَتَّى هَدَى بِكَ بَيْنَ الأُمَّةِ السُّعَـــدَا
وَقِيلَ أَلْفَاكَ نَاسِياً وَقِيلَ بِــــهِ   فِي قَوْلِ مُوسَى مِنَ الضَّالِّينَ حَيْثُ غَدَا
وَقِيلَ فِيهِ مِنَ الضَّالِّينَ أَيْ خَطَـــأً   أَتَى بِذَاكَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ قَصَـــدَا
وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي تَفْسِيرِ أَوْ لَتَعُـــــــــدُنَّ الَّذِي عَوْدُنَا لَهُ هُنَا حُمِـــدَا
فَإِنَّ عَادَ بِمَعْنَى صَارَ وَهْيَ هُنَـــا   لَيْسَتْ بِمَعْنَى الرُّجُوعِ فَاعْرِفِ الرَّشَدَا
فَإِنْ عَرَفْتَ الَّذِي بَيَّنْتُ كُنْتَ بِـــهِ   مُفَسِّراً مَا هُنَا قَدْ أَوْرَدَ الْعُمَـــدَا
فَإِنْ تَقُلْ مَا رَأوا فِيمَا الْكِتَابُ وَلاَ ا   لإِيمَانُ قُلْنَا لَكَ اسْمَعْ مَا هُنَا سُـــرِدَا
فَقِيلَ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ قِرَا   ءَةَ الْقُرْآنِ وَكَيْفَ تُرْشِدُ الْعِبَـــدَا
وَقِيلَ مَعْنَى وَلاَ الإِيمَانُ فِيهِ وَلاَ ا   لأَحْكَامُ وَالْوَاجِبَاتُ بَيْنَ مَنْ سَعِـــدَا
وَفَسَّرَ الْعُلَمَاءُ الْغَافِلِينَ بُعَيْـــــــــدَ كُنْتَ لَمِن بِمَا أَبَانَ هُــدَى
فَعُدَّ فِي الْغَافِلِينَ عَنْ قَضِيَّةِ يُـــو   سُفَ الْكَرِيمِ إِلَى وَحْيٍ بِـــهَا وَرَدَا
وَلَمْ يُعَدَّ مِنَ الَّذِينَ قَدْ غَفَلُـــوا   عَنْ رَبِّهِمْ أَبَداً سَهْواً وَلاَ عَمَـــدَا
وَأَنْكَرَ الْمُرْتَضَى ابْنُ حَنْبَلٍ خَبَراً   عَنْ جَابِرٍ قَدْ أَتَى مُضَعَّفاً سَنَـــدَا
فَقَالَ كَانَ النَّبِي فِي مَشَاهِدِ أَهْـــــــــلِ الشِّرْكِ مَعْ مَنْ لَهَا مِنْ قَوْمِهِ شَهِدَا
فَجَاءَهُ مَلَكَانِ غَيْرَ أَنَّهُمَـــا   مِنْ خَلْفِهِ لَمْ يَقُومَا ثُمَّ قَدْ بَعُـــدَا
وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا قَدْ قَالَ كَيْفَ نَقُـــو   مُ خَلْفَهُ وَهْوَ لِلأَصْنَامِ قَدْ عَبَـــدَا

وَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَشْهَدْ مَشَاهِدَهُمْ   مَعَ الَّذِينَ لَهَا كَانُوا مِنَ الشُّهَدَا
وَ الحَقُّ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يُبْغِضُهَا   وَ كُلَّمَا ذُكِرَتْ فِي قَوْمِهِ حَرِدَا
وَ جَاءَهُ عَمُّهُ وَ قَدْ دَعَاهُ إِلَى   حُضُورِهِ مَعَهُ فِي مَشْهَدٍ شهدا
وَ قَدْ أَلَحَّ عَلَيْهِ وَ هُوَ مُمْتَنِعٌ   حَتَّى غَدَا مَعَهُ وَ قَلْبُهُ كَمِدَا
وَ عَادَ فِي حِينِهِ لِبَيْتِهِ جَزِعاً   وَ كَانَ بَيْنَهُمُ يُوَحِّدُ الأَحَدَا
وَ أَخْبَرَ القَوْمَ بِالَّذِي نَهَاهُ هُنَا   كَ عَنْ مُلاَمَسَةِ الأَصْنَامِ وَ ابْتَعَدَا
فَكَانَ أَبْيَضَ شَخْص قَدْ رَآهُ يَقُو   لُ أَلْزَمْ وَرَاءَكَ لاَ تَمُسَّهَا أَبَدَا
وَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَعُدْ لِعِيدِهِمُ   وَ لاَ لِمَا فِيهِ غَيْرُ اللهِ قَدْ عُبِدَا
وَ قَدْ دَعَاهُ بَحِيرَا حِينَ سَارَ إِلَى الشَّامِ مَعَ عَمِّهِ لَمَّا لَهُ قَصَدَا
مُسْتَحْلِفاً لِلنَّبِي بِاللاَّتِ مُخْتَبِراً   لَهُ بِمَا مِنْهُ فِي مَسِيرِهِ شهدا
فَقَالَ خَيْرُ الوَرَى لاَ شَيْءَ أَبْغَضَ مِنْهَا فِي الوُجُودِ مَعَ العُزَّى لَدَيَّ غَدَا
فَقَالَ بِاللهِ أَخْبِرْنِي فَقَالَ لَهُ   عَمَّا بَدَا لَكَ سَلْ إِنْ تَبْتَغِ الرَّشَدَا
وَ كَانَ فِي قَوْمِهِ مِمَّا بِهِ عُرِفَ النَّبِي فِي حَجِّهِمْ عَنْهُمْ بِهِ انْفَرَدَا
فَلَمْ يَقِفْ مَعَهُمْ إِذَا هُمُ وَقَفُوا   لَكِنْ إِلَى عَرَفَاتٍ لِلْوُقُوفِ غَدَا
وَ ذَاكَ مَوْقِفُ إِبْرَاهِيمَ لَيْسَ لَهُمْ   بِهِ وُقُوفٌ وَفِيهِ المُصْطَفَى عبدا
صَلَّى عَلَيْهِ الَّذِي لِلْخَيْرِ وَفَّقَهُ   مَعَ الصَّلاَةِ عَلَى إِخْوَانِهِ الرُّشَدَا
مَعَ السَّلاَمِ عَلَى جَمِيعِهِمْ وَ عَلَى   آلٍ وَ صَحْبٍ سَلاَماً طَاوَلَ الأَبَدَا

فصل

قَالَ المُؤَلِّفُ قَدْ بَانَتْ لَدَيْكَ عُقُو   دُ الأَنْبِيَاءِ بِمَا قَدَّمْتَ معتضدا
وَ مَا عَدَا ذَاكَ مِنْ عُقُودِ قَلْبِهِمُ   فَإِنَّ جُمْلَتَهُ فِيهَا الهُدَى حُشِدَا
وَ قَدْ حَوَتْ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ مَعْرِفَةً   فِيهَا انْطَوَى كَامِلُ العِلْمِ الَّذِي اعْتُمِدَا
وَ لَيْسَ يَبْلُغُ بَيْنَ الخَلْقِ شَأْوَهُمُ   سِوَاهُمُ فِي الَّذِي لَدَيْهِمُ وجدا
لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ الأَنْبِيَا جَهِلُوا   شُؤُونَ دُنْيَاهُمُ وَ هُمْ هُمُ الرُّشَدَا

وَ مَنْ لَدَيْهِ اعْتِنَاءٌ بِالحَدِيثِ وَ بِا   لأَخْبَارِ فَهْوَ بِمَا قُلْنَاهُ قَدْ شَهِدَا
لَكِنَّ أَحْوَالَهُمْ فِيهَا قَد اخْتَلَفَتْ   وَ مِنْهُمُ لَا يُرَى شَيْءٌ قَد انْتُقِدَا
وَ كُلُّ مَا لَا يَضُرُّ بِالدِّيَانَةِ لَا   يَضُرُّهُمْ جَهْلُهُ حَقّاً كَمَا وَرَدَا
فَإِنَّ هِمَّتَهُمْ بِالحَقِّ قَدْ علقت   وَ قَدْ كَفَاهُمْ لَدَيْهَا الهَمَّ وَ النَّكَدَا
وَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ جَهْلُ دِينِهِمُ   مِنْ بَيْنِ كُلِّ الوَرَى فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
لِأَنَّهُ حَاصِلٌ بِالوَحْيِ وَ هْوَ بِلَا   شَكٍّ لَدَيْهِمْ مِنَ الحَقِّ الَّذِي عُضِدَا
أَوْ حَاصِلٌ بِاجْتِهَادٍ مِنْهُمُ وَ عَلَى   كِلَا الطَّرِيقَيْنِ قَدْ نَالُوا كَمَالَ هُدَى
وَ سَائِرُ الأَنْبِيَا جَازَ اجْتِهَادُهُمُ   عَلَى الصَّحِيحِ وَ مَا رَأَوْهُ منتقدا
وَ لَا التِفَاتَ لِمَنْ فِي النَّاسِ خَالَفَ هَذَا كَيْفَ وَ الأَنْبِيَا قَدْ بَيَّنُوا الرَّشَدَا
قَالُوا وَ تَصْوِيبُ من بَيْنِ الوَرَى **اجْتَهَدُوا**   هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي قَدْ عُدَّ مُعْتَمَدَا
أَو الصَّوَابُ يُرَى مَعْ وَاحِدٍ وَسِوَا   هُ مُخْطِئٌ وَ يُثَابُ وِفْقَ مَا وَرَدَا
وَ عِصْمَةُ الأَنْبِيَا فِيهِمْ مُحَقَّقَةٌ   مِنَ الخَطَا دَائِماً لَدَى مَن اجْتَهَدَا
أَمَّا عِتَابُ النَّبِي فِي الإِذْنِ لِلْمُتَخَلِّفِينَ أَوْ نَحْوِهِ مِمَّا بِهِ انْتُقِدَا
فَإِنَّهُمْ حَمَلُوهُ لَا عَلَى خَطَإٍ   وَ إِنَّمَا تَرْكُهُ أَوْلَى كَمَا اعْتُمِدَا
وَ عِلْمُهُ بِقَضَايَا الشَّرْعِ كَانَ بِتَدْ   رِيجٍ إِلَى أَنْ أَحَاطَ المُصْطَفَى بِهُدَى
أَحَاطَ عِلْماً بِهَا حَقّاً مُفَصَّلَةً   بِالوَحْيِ وَ الإِذْنِ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
إِذْ لَا يَصِحُّ بِأَنْ يَدْعُو النَّبِيُّ إِلَى   مَا لَيْسَ يَعْلَمُ وَ هْوَ بِالهُدَى وَفَدَا
أَمَّا مَعَارِفُهُ فَلَيْسَ يَلْحَقُهُ   سِوَاهُ فِيهَا لِكَوْنِهِ بِهَا انْفَرَدَا
فَقَدْ أَحَاطَ بِعِلْمِ مَا يَكُونُ وَمَا   قَدْ كَانَ مِمَّا بِهِ المَوْلَى حَبَاهُ يَدَا
وَ لَيْسَ مُشْتَرَطاً تَفْصِيلُ سَائِرِهَا   لَدَى النَّبِي كَقَضَايَا الشَّرْعِ فِي الرُّشَدَا
فَاللهُ عَلَّمَهُ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ   وَ لَمْ يَزَلْ فِي الوَرَى يَزِيدُهُ مَدَدَا
وَ قَدْ دَعَا اللهَ بِالأَسْمَا الَّتِي عَلِمَ النَّبِي وَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمْ كَمَا وَرَدَا
بِهِ اسْتَدَلَّ عَلَى كَوْنِ الإِحَاطَةِ بِالمَعْلُومِ لِلهِ لَا لِغَيْرِهِ العُمَدَا

قَالُوا وَ مِنْ ذَاكَ كَوْنُ الحَقِّ قُرَّةُ أَعْـــيُنٍ فَقَدْ خَفِيتْ عَنْ كُلِّ مَنْ وُجِـــدَا
فَلَيْسَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ذَاكَ قَبْلَ لِقَـــا   ءِ الحَقِّ وَ هْوَ لَهَا أَسْدَى أَتَمَّ جَـــدَى
وَ مِنْهُ كَوْنُ الكَلِيمِ قَدْ أَتَى خَضِـــراً   لِكَيْ يُعَلِّمَهُ مِنْ عِلْمِهِ رَشَـــدَا
فَبَانَ أَنْ لاَ اشْتِرَاطَ فِي النَّبِيِّ بِـــأَنْ   يُحِيطَ بِالعِلْمِ وَ هْوَ لِلإِلَهِ هَـــدَى
قَالَ ابْنُ أَسْلَمَ فِي تَفْسِيرِ آيَـــةِ ذِي   عِلْمٍ عَلِيمٍ مَقَالاً لَيْسَ مُنْتَقَـــدَا
العِلْمُ لِلَّهِ لاَ لِلغَيْرِ أَجْمَعِـــهِ   قَد انْتَهَى وَ بِهِ فِي كَوْنِهِ انْفَـــرَدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ هَذَا لاَ خَفَاءَ بِـــهِ   كَمَا يَقُولُ بِهَذَا كُلُّ مَنْ رَشِـــدَا

فصـــل

قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ أَنَّ اللهَ قَدْ عَصَمَ الـــنَّبِيَّ مِنْ ضَرَرِ الشَّيْطَانِ أَيْنَ غَـــدَا
فَمَا تَسَلَّطَ فِي شَيْءٍ عَلَيْهِ بِـــمَا   أَصَابَ بِالسُّوءِ مِنْهُ نَفْساً أَوْ جَسَـــدَا
وَ فِي القَرِينِ الَّذِي بِهِ تَكَفَّلَ قَـــا   لَ قَد أُعِنْتُ عَلَيْهِ مِنْهُ بَيْنَ مَنْ وُجِـــدَا
عَلَيْهِ رَبِّي أَعَانَنِي فَأَسْلَـــمَ أَوْ   فَصَارَ يَأْمُرُنِي بِالخَيْرِ فِي السُّعَـــدَا
فَإِنْ يَكُ اللهُ قَدْ وَقَاهُ شَرَّ قَرِيـــنِهِ فَكَيْفَ بِمَنْ عَنْ نَفْسِهِ ابْتَعَـــدَا
وَ كَمْ تَعَرَّضَ شَيْطَانٌ لِيُؤْذِيَـــهُ   فَعَادَ مُنْقَلِباً فِي مَالِهِ قَصَـــدَا
أَتَى لَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لِقَطْعِ صَـــلاَ   تِهِ عَلَيْهِ وَ لَكِنْ عَنْهُ قَدْ طُـــرِدَا
فِي صُورَةِ الهِرِّ وَافَاهُ فَشَدَّ عَلَيْـــهِ ثُمَّ أَطْلَقَهُ وَ عَنْهُ قَدْ بَعُـــدَا
وَ جَاءَهُ مَرَّةً إِبْلِيسُ وَ هْوَ يُصَـــلِّي فَاسْتَعَاذَ فَعَادَ عَنْهُ مُرْتَعِـــدَا
وَ هَمَّ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ يُقَيِّـــدَهُ   حَتَّى يُرَى فِي الصَّبَاحِ وَ هْوَ قَدْ صُفِدَا
وَ جَاءَهُ لَيْلَةَ الإِسْرَا بِشُعْلَتِـــهِ   عِفْرِيتُ جِنٍّ فَكَانَ لِلـــرَّدَى وَرَدَا
تَعَوَّذَ المُصْطَفَى مِنْهُ تَعَوُّذَ جِبْـــرِيلَ الأَمِينِ فَلاَقَى الشَّرَّ وَ النَّكَـــدَا
وَ حِينَ لَمْ يقدر اللَّعِينُ مِنْهُ عَلَـــى   أَذَاهُ جَاءَ مِنَ الأَعْدَا بِكُلِّ عِـــدَا
عَلَيْهِ حَرَّضَهُمْ بِكُلِّ شَيْطَنَـــةٍ   وَ قَلْبُهُ لِرَسُولِ اللهِ قَدْ حَـــرِدَا
أَتَى إِلَيْهِمْ وَ هُمْ فِي دَارِ نَدْوَتِـــهِ   وَ اخْتَارَ رَأْيَ أَبِي جَهْلٍ لِسُوءِ رَدَى

فَقَالَ يَأْتِي إِلَى مُحَمَّدٍ فِئَةٌ   مِنْ فِتْيَةٍ مِنْ قَبَائِلِ ارْتَقَتْ عَدَدَا
وَ إِنْ هُمُ قَتَلُوهُ لَمْ تَكُنْ لِقُرَيْشٍ   قُدْرَةٌ فِي قِتَالِ قَوْمِهِمْ أَبَدَا
وَ إِنْ هُمُ طَلَبُوا فِي النَّاسِ دِيَتَهُ   فَنَحْنُ بَيْنَهُمُ نُعْطِيهِمُ القَوَدَا
فَجَاءَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِي وَ أَخْبَرَهُ   بِمَا هُمُ أَضْمَرُوا لَهُ إِذَا رَقَدَا
وَ قَالَ لِلْمُصْطَفَى سِرْ لِلمَدِينَةِ لاَ   تَخَفْ إِذَا مَا ارْتَحَلْتَ عَنْهُمُ أَحَدَا
فَسَارَ خَيْرُ الوَرَى إِلَى مَدِينَتِهِ   وَ بَثَّ فِي قَوْمِهِ هُنَالِكَ الرَّشَدَا
وَ جَاءَهُمْ مَرَّةً بِيَوْمِ بَدْرِهِمُ   وَ قَدْ تَصَوَّرَ فِي ابْنِ جعْشَمٍ بعدَا
وَ قَالَ إِنِّي لَكُمُ جَارٌ وَ زَيَّنَ أَعْمَالاً   لَهُمْ فَغَدَوْا طَرَائِقاً قِدَدَا
وَ حِينَ بَايَعَهُ أَنْصَارُهُ بِمِنَى السُّفْلَى   تَنَفَّسَ إِبْلِيسٌ بِهَا الصُّعَدَا
وَ قَالَ هَذَا مُحَمَّدٌ وَ شِيعَتُهُ   لِحَرْبِكُمْ حَبْلُ عَهْدِهِمْ قَد انْعَقَدَا
وَ قَدْ كَفَاهُ الإِلَهُ شَرَّهُمْ وَوَقَاهُ   مَكْرَهُمْ وَ عِدَاهُ قَدْ لَقُوْا كَمَدَا
وَ قَدْ كَفَى اللهُ عِيسَى قَبْلَهُ ضَرَرَ الشَّيْطَانَ   فِي السَّاعَةِ الَّتِي بِهَا وُلِدَا
فَجَاءَ يَطْعَنُهُ مِنْ فَوْقِ خَاصِرَةٍ   فَحَالَ عَنْهُ الحِجَابُ حِينَ مَدَّ يَدَا
وَ حِينَ لُدَّ رَسُولُ اللهِ مِنْ مَرَضٍ   وَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَنْ يقصد اللَّدَدَا
قَالُوا خَشْيْنَا بِأَنْ يَكُونَ دَاءَكَ ذَاتُ   الجَنْبِ وَ هْوَ اعْتِلاَلٌ يَعْتَرِي الكَبِدَا
فَقَالَ مَا سُلِّطَ الشَّيْطَانُ يَوْماً عَلَيَّ   وَ هْيَ مِنْهُ وَ لَمْ يَمُسَّنِي أَبَدَا
إِنْ قِيلَ مَا النَّزْغُ فِي قَوْلِ الإِلَهِ وَ إِمَّا   يَنْزَغَنَّكَ نَزْغٌ فَاحْذَرِ الحَرَدَا
قُلْنَا لَقَدْ قَالَ فِيهِ البَعْضُ جَاءَ بِمَعْنَى   يَسْتَخِفَّنَّكَ اعْلَمْ ذَا تَنَلْ رَشَدَا
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ إِفْسَادٌ بِوَسْوَسَةٍ   حَقّاً فَيَعْمَلَ مِثْلَ مَنْ بِهَا فَسَدَا
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ جَاءَ يُغْرِيَنَّكَ أَوْ   يُحَرِّكَنَّكَ مَا تَرَى مِنَ العُنَدَا
وَ النَّزْغُ بَيْنَ المَلاَ أَقَلُّ وَسْوَسَةٍ   لَدَيْهِمُ بِحَدِيثِ النَّفْسِ قَدْ وَرَدَا
وَ قَدْ أَتَى الأَمْرُ فِيهِ بِاسْتِعَاذَتِهِ   بِاللهِ مِنْهُ فَيَنْفِي عَنْهُ مَا وَجَدَا
أَمَّا تَعَرُّضُهُ لَهُ بِكُلِّ أَذَى   بِوَاقِعٍ وَ هْوَ مَحْفُوظٌ لِغَيْرِ مَدَى

وَ يَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِاسْتِعَاذَتِـــــــهِ   فِي دَفْعِهِ عَنْهُ بَيْنَ النَّاسِ أَيْنَ غَـــدَا
وَ مَا تصور لِلنَّبِيِّ بِالمَلَكِ الــــــــــشَّيْطَانُ وَ الحَقُّ لاَ يَخْفَى إِذَا شهدَا
بَلْ لاَ يَشُكُّ النَّبِي فِيمَا يَجِيءُ لَـــــهُ   مِنَ الإِلَهِ وَ لاَ عَنْهُ خَفَا أَبَـــــدَا
لَهُ بِهِ مِن ضَرُورِي العِلْمِ مَعْرِفَـــةٌ   أَو عَنْ بَرَاهِينَ حَقٍّ نُورُهَا اتَّقَـــدَا
بِذَاكَ تَمَّتْ بِحَقٍّ فِي الوَرَى كَلِمَـــا   تُ اللهِ صِدْقاً وَ عَدْلاً أَنْتَجَا الرَّشَـــدَا
فَإِنْ تَقُلْ مَا التَّمَنِّي بَلْ وَ أُمْنِيَـــــةٍ   فِي سُورَةِ النَّجْمِ حَيْثُ نَصُّهَا اعْتُمِـدَا
قُلْنَا أَقَاوِيلُهُمْ فِي ذَلِكَ اخْتَلَفَـــتْ   مِنْهَا السَّمِينُ وَ مِنْهَا الغَثُّ إِنْ نُقِـــدَا
وَ قَالَ جُمْهُورُهُمْ إِنَّ التَّمَنِّيَ قَــــدْ   أَتَى بِمَعْنَى تِلاَوَةٍ وَ مَا انْتُقِـــــدَا
وَ الشغْلُ عَنْهَا بِمَا بِالبَالِ يَخْطُرُ مِـــــــنْ أُمُورِ دُنْيَا هُوَ الإِلْقَا الَّذِي قُصِـدَا
فَيُدْخِل الوَهْمَ وَ النِّسْيَانَ مَعْ خَطَأٍ   عَلَيْهِ فِيمَا تَلاَهُ فِي طَرِيقِ هُـــدَى
فَيَسْمَعُ السَّامِعُونَ مَا يُعَابُ مِن الـــــــتَّحْرِيفِ أَوْ سُوءِ تَأْوِيلٍ لَدَى الرُّشَدَا
وَ أَنْكَرُوا قَوْلَ مَنْ يَقُولُ أَنَّ سُلَيْـــــــمَاناً عَلَيْهِ المَرِيدُ فِي عِدَاهُ عَـــدَا
فَقَالَ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ خَاتَــمَـــهُ   فَخَافَ مِنْهُ سُلَيْمَانُ وَ مِنْهُ عَـــدَا
وَ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّ اللهُ خَاتَمَـــــهُ   عَلَيْهِ ثُمَّ حَبَاهُ النَّصْرَ بَيْنَ عِــــدَا
وَ مِثْلُ هَذَا حَكَى القصاصُ قِصَّتَـــهُ   وَ لَمْ يَكُنْ فِي الحَدِيثِ مِثْلُهَـــا وُرِدَا
وَ نَحْوُ هَذَا سَيَأْتِي مُجْمَلاً وَ مُفَـــــــصَّلاً بِحَوْلِ إِلهٍ لِلصَّوَابِ هَـــدَى
وَ قَالَ مَكِي الأَجَلُّ لاَ يُؤَوَّلُ قَـــوْ   لُ اللهِ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ فِي الشُّهَـــدَا
فَفَاعِلُ الضُّرِّ وَ هُوَ اللهُ جَلَّ عَـــلاَ   وَ لَيْسَ ذَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ قَدْ وُجِـــدَا
وَ الشَّرُّ فِي ضُرِّهِ امْتِحَانُهُ لِيُتِيـــــــبَهُ عَلَيْهِ وَ كَشْف الضُّرِّ عَنْهُ بَـــدَا
وَ جَاءَ فِي الذِّكْرِ ذِكْرُ الأَنْبِيَاءِ لما الـــــــشَّيْطَان يجريه مما عندهم شهـــدا
فَجَاءَ عَنْ يُوشَعٍ وَ يُوسُفٍ وَ نَبِـــــــيِّنَا وَ مُوسَى مَقَالٌ أَذْهَبَ الكَمَـــدَا
وَ قَدْ جَرَى فِي كَلاَمِ العَرَبِ وَصْفُهُمُ الــــقَبِيحَ وَ الشَّرَّ بِالشَّيْطَانِ فِي الرَّشَـــدَا
فَفِي رُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ الدَّلِيلُ عَلَـى   مَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ مُطَّـــرِدَا

فَقَوْلُ يُوشَعَ كَانَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ وَ كَانَ رَافَقَ مُوسَى كَيْ يَنَالَ هُدَى
وَ قَوْلُ مُوسَى كَذَاكَ كَانَ قَبْلَ نُبُوَّةٍ وَ مَا عَمِلَ الشَّيْطَانُ فِيهِ يَدَا
وَ قَوْلُ يُوسُفَ كَانَ قَبْلَهَا وَ هُنَا قَوْلَانِ جَاءَا بِتَأْوِيلٍ وَ مَا انْتُقِدَا
فَصَاحِبُ السِّجْنِ أَنْسَاهُ اللَّعِينُ بِأَنْ يَحْكِي لِسَيِّدِهِ العَزِيزِ مَا شَهِدَا
أَوْ أَنَّ نِسْيَانَهُ فِي النَّاسِ لَيْسَ مِنَ الإِ غْوَاءِ حَتَّى يُقَالَ لَمْ يَكُنْ سَدَدَا
قَالُوا وَ مَا سُمِّيَ الإِنْسَانُ عِنْدَهُمُ إِلَّا لِإِنْسٍ وَ نِسْيَانٍ بِهِ وُجِدَا
فَمَا عَلَى يُوسُفٍ وَ يُوشَعٍ وَقَعَ التَّسَلُّطُ المُنْتَفِي عَنِ النَّبِي أَبَدَا
أَمَّا الحَدِيثُ الَّذِي قَدْ نَامَ فِيهِ بِلَا لُ عَنْ كَلَاءَةِ فَجْرٍ فَهْوَ قَدْ وَرَدَا
وَ فِيهِ لَمْ يُذْكَرِ الشَّيْطَانُ جَاءَ إِلَى النَّبِي بِوَسْوَسَةٍ فَلْتَعْرِفِ الرَّشَدَا

فصل

دَلِيلُ صِدْقِ النَّبِي فِي القَوْلِ مُعْجِزَةٌ   فِيمَا طَرِيقَتُهُ التَّبْلِيغُ فِي الشُّهَدَا
أَخْبَارُهُ كُلُّهَا فِي الخَلْقِ صَادِقَةً   لِكَوْنِ عِصْمَتِهِ لَمْ تَنْخَرِمْ أَبَدَا
فَلاَ يُرَى بِخِلاَفِ الوَاقِعِ الخَبَرُ الَّذِي   مِنَ الحَقِّ عَنْهُ لِلْوَرَى وَرَدَا
مَا كَانَ سَهْواً وَ لاَ عَمْداً تَعَمُّدُ خُلْفٍ   بَلْ وَ لاَ غَلَطاً فِي ذَاكَ مِنْهُ غَدَا
فَالشَّرْعُ قَدْ جَاءَ وَ الإِجْمَاعُ عَاضِدُهُ   مَعْ عِصْمَةٍ بِالَّذِي قُلْنَاهُ معتمدا
وَ إِنَّ مُعْجِزَةَ النَّبِيِّ قَاضِيَةٌ   بِالصِّدْقِ وَ الحَقُّ لاَ يَزَالُ معتضدا
وَ قَالَهُ الإِسْفَرَايِنِي وَ حَقَّقَهُ   عَنْهُ المُؤَلِّفُ وَ هْوَ عَنْهُ مَا انتقدا
وَ غَيْرُهُ عِنْدَهُ الإِجْمَاعُ قَالَ بِهِ   وَ الشَّرْعُ لاَ غَيْرَ مِنْ عقلٍ وَ مَا اعْتُمِدَا
فَإِنْ تَحقق أَنَّ المُعْجِزَاتِ بَدَتْ   مِنَ النَّبِي وَ هْوَ أَمْرٌ نُورُهُ اتقدا
جَاءَتْ عَلَى وفقِ قَوْلِ اللهِ عَبْدِيَ   صَادِقٌ وَ مَا قَالَهُ حَقٌّ لَكُمْ وَرَدَا
فَلاَ يَصِحُّ بِأَنْ يُلْفَى لَهُ خَطَأٌ   أَوْ وَهْمٌ أَوْ غَلَطٌ فِيمَا بِهِ وَفَدَا
فَالمُعْجِزَاتُ بِتَصْدِيقٍ لَهُ وَرَدَتْ   عَقْلاً وَ شَرْعاً وَ إِجْمَاعاً وَ مُعْتَقَدَا
فَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ خِلاَفَ   وَاقِعٍ فِي جَمِيعِ مَا بِهِ وَرَدَا
فَلاَ يَقُولُ سِوَى الحَقِّ المُؤَيَّدِ فِي   جَمِيعِ أَحْوَالِهِ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
فِي حَالِ عَمْدٍ وَ غَيْرِهِ وَ حَالِ رِضَى   وَ حَالِ سَقْمٍ وَ غَيْرِهِ لَدَى الرُّشَدَا
فَلَيْسَ يَنْطِقُ عَنْ هَوًى وَ عَنْ غَرَضٍ   لَكِنْ بِكَامِلِ وَحْيٍ بَيَّنَ الرَّشَدَا
وَ لَوْ يَجُوزُ عَلَيْهِ فِي الهُدَى غَلَطٌ   لَمَا تَمَيَّزَ عَمَّنْ يَدَّعِي الفَنَدَا

فصل

وَ هَا هُنَا بَعْضُ أَبْحَاثٍ لِمَنْ طَعَنُوا   تَوَجَّهَتْ مِنْهُمُ بِمَا رَأَوْهُ هُدَى
مِنْهَا حَدِيثُ الغَرَانِيقِ الَّذِي ذَكَرُوا   فِيهِ النَّبِي مَعَ أَهْلِ الشِّرْكِ قَدْ سَجَدَا
لَمَّا تَلاَ سُورَةَ النَّجْمِ الَّتِي سَطَعَتْ   أَنْوَارُهَا وَ بِهَا الحَقُّ المُبِينُ بَدَا
فَلَيْسَ يَنْطِقُ فِيهَا المُصْطَفَى بِهَوًى   وَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ وَحْيٍ لَهُ وَرَدَا

وَ الحَقُّ أَنَّ حَدِيثَهَا الَّذِي ذَكَـــرُوا   هُنَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ لَيْسَ مُعْتَمَـــدَا
فَلَمْ يخرجهُ أَهْلُ صِحَّةٍ وَ هُــــمُ   أَدْرَى بِمَا هُوَ مَقْبُولٌ وَ مَا انْتُقِـــدَا
وَ إِنَّمَا قَدْ حَكَاهُ المُولَعُونَ بِذِكْــــــــــرِ مَا هُنَالِكَ مِنْ جِنْسِ الغَرِيبِ غَـدَا
قَالَ الرِّضَى ابْنُ العَلاَ هَذَا الحَدِيثُ بِـــــهِ هُنَا تَعَلَّقَ مَنْ قَدْ صَارَ ملتحـــدَا
مَعْ ضُعْفِهِ اخْتَلَفَتْ فِيهِمْ رِوَايَتُـــهُ   بِمَا لَهُ اسْتَوْجَبَ الرَّدَّ الَّذِي اعتمـــدَا
وَ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ طَرِيقَةٍ سَلِمَـــتْ   مِنْ طَاعِنٍ وَ لَهُ لَمْ يَقْبَلُوا سَنَـــدَا
وَ لَمْ يَجِيءْ فِي الصَّحِيحِ ذِكْرُ مَا ذَكَرُوا   مِنَ الغَرَانِيقِ عِنْدَ سَائِرِ الشُّهَـــدَا
وَ لاَ يَصِحُّ بِحَالٍ حَيْثُ أَنَّ رَسُـــو   لَ اللهِ ذُو عِصْمَةٍ عَنْ مِثْلِهِ أَبَـــدَا
أَمَا تَمَنِّيهِ إِنْزَالَ الثَّنَاءِ عَلَـــى   مَعْبُودِهِمْ فَهْوَ كُفْرٌ عَنْهُ قَدْ بعـــدَا
وَ مَا تَسَوَّرَ شَيْطَانٌ عَلَيْهِ بِـــأَنْ   يُلَبِّسَ الحَقَّ وَ هْوَ بَاطِلٌ وُجِـــدَا
وَ كَيْفَ يَعْتَقِدُ النَّبِيُّ مَا هُوَ غَيْـــــرُ الحَقِّ حَقّاً يَحِقُّ عِنْدَ مَنْ سَعِـدَا
فَلَيْسَ يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ خَطَـــأٌ   فَكَيْفَ يَحْصُلُ مِنْهُ فِي الَّذِي اعتقـــدَا
وَ لَيْسَ يُشْتَبَهُ الشَّيْطَانُ بِالمَلَكِ الَّـــــذِي يُبَلِّغُهُ الوَحْيَ الَّذِي اعتمـــدَا
فَلاَ سَبِيلَ لِشَيْطَانٍ عَلَيْهِ وَ لَـــمْ   يَكُنْ تَقَوَّلَهُ عَنْ رَبِّهِ الفَنَـــدَا
وَ مُوجِبُ رَدِّهَا أَيْضاً لَدَي النظر اشْـــــتِمَالُهَا لِلثَّنَا وَ الذَّمِ فِي الشُّهَـــدَا
فَاللهُ قَدْ ذَمَّ أَهْلَ الشِّرْكِ قَاطِبَـــةً   وَ ذَمَّ فِي الخَلْقِ مَنْ بِبَاطِلٍ عبـــدَا
فَكَيْفَ يُثْنِي عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَمِّهِـــمُ   هَذَا مُحَالٌ وَ حَالُ الشِّرْكِ مَا حُـــمِدَا
وَوَجْهٌ آخرَ فِي تَوْهِينِ قِصَّتِهَـــا   كَوْنُ الشَّمَاتَةِ مِنْ عِدَاهُ مَا شُهِـــدَا
لَوْ كَانَ ذَاكَ صَحِيحاً لاسْتَدَلَّ عَلَـــى   تَنَاقُضِ الدِّينِ أَهْلُ الكُفْرِ فِي السُّعَـــدَا
وَ ارْتَدَّ مَنْ قَدْ غَدَا فِي قَلْبِهِ مَـرَضٌ   لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَرِدْ وَ لَنْ يَـــرِدَا
وَ انْظُرْ لِمَا لِقُرَيْشٍ مِنْ مُكَابَـــرَةٍ   وَ أَكْثَرُوا لَيْلَةَ الإِسْرَا بِهِ اللَّـــدَدَا
وَ انْظُرْ لِمَا أَوْقَعُوهُ فِي حُدَيْبِيَـــةٍ   فِيهَا النَّبِي بِدُخُولِ مَكَّةٍ وَعَـــدَا
فَارْتَدَّ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ بَعْضُ مَنْ ضَعُفَتْ   عُقُولُهُمْ بِاقْتِفَاءِ مَنْ لَهُ عَنَـــدَا

وَ لَوْ تَحَقَّقَ هَذَا الأَمْرُ بَيْنَهُمُ   لاَرْتَدَّ جُلُّهُمُ بِمَا بِهَا وَجَدَا
وَ إِنَّهَا فِتْنَةٌ فِي الدِّينِ لِلعُقَلاَ   فَضْلاً عَنِ الضُّعَفَا مِمَّنْ لَهَا شُهَدَا
فَكَانَ بُطْلاَنُهَا مِمَّا تَحَقَّقَ بِالــــحَقِّ المُبِينِ الَّذِي لَمْ يُنْتَقَضْ أَبَدَا
وَ لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ إِلاَّ المُغَفَّلُ مِنْ   أَهْلِ الحَدِيثِ وَ مَنْ لَهُ قَد اسْتَنَدَا
وَوَجْهٌ آخَرَ وَ هُوَ أَنَّ سُورَةَ وَ النَّــــجْمِ انْطَوَى ضِمْنُهَا مَا نَوَّرَ الخَلَدَا
كَادُوا بِأَنْ يَفْتِنُوا النَّبِيَّ لِيَفْتَرِيَ الــــغَيْرَ الَّذِي لَيْسَ بِالقُرْآنِ قَدْ وَرَدَا
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الأَرْضَى وَ لَفْظَةُ كَا   دَ أَوْ يَكَادُ لِغَيْرٍ مَا يَكُونُ غَدَا
وَ هَذِهِ آيَةٌ رَدَّتْ حَدِيثَهُمُ   لَوْ صَحَّ كَيْفَ وَ قَدْ أَتَاكَ مُنْتَقَدَا
قَدْ دَلَّ مَفْهُومُهُ عَلَى حِمَايَتِهِ   مِنَ الرُّكُونِ لَهُمْ أَوْ يَفْتَرِي الفَنَدَا
قَالَ القُشَيْرِي وَ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ وَعَدَتْ   قُرَيْشٌ المُصْطَفَى نَصْراً عَلَى العُنَدَا
إِنْ مَرَّ يَوْماً عَلَى أَصْنَامِهِمْ وَلَهَا   أَضْحَى المُعَظِّمَ وَ هُوَ عَنْهُمُ ابْتَعَدَا
فَلَمْ يَمُرَّ بِهَا طِبْقَ الَّذِي طَلَبُوا   مِنْهُ وَ لَمْ يَلْتَفِتْ لِمَا بِهِ وُعِدَا
وَ كَانَ أَحْرَصَ كُلِّ العَالَمِينَ عَلَى الإِيــــمَانِ مِنْهُمْ وَ أَنْ يُوَحِّدُوا الأَحَدَا
فَلَمْ يَكُنْ لاَ وَلاَ يَكُونُ مِنْهُ عَلَى   مَعْبُودِهِمْ مِنْهُ إِقْبَالٌ يُرَى أَبَدَا
وَ جَاءَ فِيهَا تَفَاسِيرٌ وَ أَحْسَنُهَا   مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ فِيهَا فِي طَرِيقِ هُدَى
لَمْ يَبْقَ إِلاَّ امْتِنَانُ اللهِ مِنْهُ عَلَى   نَبِيِّهِ لِكَمَالِ عِصْمَةٍ شَهِدَا
وَ مَا بِهِ كَادَهُ الكُفَّارُ بَيْنَهُمُ   وَ قَاهُ مِنْهُ بِرَغْمِ مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
وَ هَا هُنَا مَأْخَذٌ ثَانٍ يُبَيِّنُ مُــــشْكِلَ الغَرَانِيقِ وَ هُوَ لِلعُيُونِ بَدَا
وَ ذَاكَ مَبْنِي عَلَى تَسْلِيمِ صِحَّةِ ذَا   لِكَ الحَدِيثِ الَّذِي بِذِكْرِهَا وَرَدَا
جَاؤُوا بِأَجْوِبَةٍ مِنْهَا السَّمِينُ وَ مِنْــــهَا الغَثُّ وَ الحَقُّ لاَ يَخْفَى وَ لَوْ جُحِدَا
مِنْهَا بِأنْ كَانَ ذَاكَ مِنْهُ فِي سِنَةٍ   وَ ذَا جَوَابٌ غَدَا بِالحَقِّ مُنْتَقَدَا
وَ قِيلَ حَدَّثَ خَيْرُ العَالَمِينَ بِهِ   فِي نَفْسِهِ فَجَرَى لَفْظاً لَدَى الشُّهَدَا
بِهِ كَمَا قَدْ جَرَى فِي نَفْسِهِ نَطَقَ الــــشَّيْطَانُ يَحْكِيهِ صَوْتاً وَهُوَ مَا اعتَمَدَا

وَ قِيلَ قَدْ قَالَهُ سَهْواً فَأَحْزَنَهُ   وَ قَالَ هَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ قَدْ وُجِدَا
وَ قِيلَ قَدْ قَالَهُ مُوَبِّخاً لِجَمِيعِ حَاضِرِيهِ مِنَ الكُفَّارِ وَ العُنُدَا
مُسْتَهْزِئاً مُتَهَكِّماً بِمَا وصفتْ   بِهِ الغَرَانِيقُ وَ هُوَ جَاءَ مُطَّرِدَا
وَ كَانَ هَذَا الكَلَامُ فِي الصَّلَاةِ وَ لَمْ   يَكُنْ بِهَا قَبْلُ مَمْنُوعاً لَدَى الرُّشَدَا
وَقِيلَ كَانَ مُرَتِّلاً لِسُورَتِهَا   وَ عِنْدَهُ نَطق الشَّيْطَانُ وَ ابْتَعَدَا
فَظَنَّ مَنْ أَشْرَكُوا بِأَنَّ ذَاكَ ثَنَا   مِنَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
فَكَانَ حُزْنُ النَّبِيِّ مِنْ إِشَاعَتِهَا   عَنْهُ وَ مَا قَالَهَا بَيْنَ الوَرَى أَبَدَا
وَ المُسْلِمُونَ الَّذِينَ شُوهِدُوا مَعَهُ   لَمْ يَسْمَعُوهَا وَ هُمْ لِقَوْلِهِ شُهَدَا
وَ اللهُ سُبْحَانَهُ سَلَّى النَّبِيَ بِمَا   يُتْلَى مَدَى الدَّهْرِ وَ هُوَ يُذْهِبُ الكَمَدَا
وَ عَنْ مُجَاهِدَ فِيهَا وَ الغَرَانِقَةُ العُلَى بِعَطْفِ وَ لَا إِشْكَالَ مَعْهُ بَدَا
فَكَانَ مِمَّا مِنَ القُرْآنِ قَدْ نُسِخَتْ   حَقّاً تِلَاوَتُهُ مِنْ بَيْنِ مَا وَرَدَا
وَ بِالمَلَائِكَةِ الكَلْبِيُّ فَسَّرَهَا   هُنَا وَ لَوْ صَحَّ هَذَا اللَّفْظُ مَا انْتُقِدَا
فَإِنَّهَا تَرْتَجِي حقاً شَفَاعَتَهَا   لَكِنْ عَلَى قَوْلِهِ سِوَاهُ مَا اعتمدا
وَ إِنَّ إِنْزَالَهَا لِحِكْمَةٍ كَبُرَتْ   وَ نَسْخُهَا فِيهِ أَيْضاً حِكْمَةٌ وَ هُدَى
وَ كَمْ وَ كَمْ آيَةٍ لِحِكْمَةٍ نُسِخَتْ   مِنْ بَعْدِ مَا نَزَلَتْ وَ بَيَّنَتْ رَشَدَا
وَ قِيلَ أَنَّ الغَرَانِيقَ الَّتِي ذُكِرَتْ   جَاءَتْ مِنَ المُشْرِكِينَ بَيْنَ مَنْ عندا
خَوْفاً عَلَى هَجْوِهَا مِنَ النَّبِي لَهَا   لَمَّا تَعَرَّضَ لِلأَصْنَامِ فِي السُّعَدَا
فَهُمْ هُمُ سَبَقُوا لِمَدْحِهَا لِيُخَلِّطُوا بِهِ فِي الَّذِي يَتْلُوهُ مُتَّئِدَا
قَالُوا مَقَالَهُمُ وَ قَدْ تَقَوَّلَهُ   عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ فِي الضَّلَالِ غَدَا
وَ اللهُ قَدْ حَفِظَ الذِّكْرَ الحَكِيمَ مِنَ التَّغْيِيرِ أَوْ نَحْوِهِ فِينَا لِغَيْرِ مَدَى
وَ المُشْرِكُونَ وَ إِنْ فِي النَّاسِ فِيهِ لَغَوْا   فَلَغْوُهُمْ دَائِماً مُلْغَى لَدَى الرُّشَدَا
وَ أَوْرَدَ الطَّاعِنُونَ فِي نُبُوَّةِ يُونُسَ النَّبِي بِالَّذِي رَأَوْهُ منتقدا
قَالُوا لَقَدْ جَاءَ مُخْبِراً لِأُمَّتِهِ   وَ لَمْ يَقَعْ قَوْلُهُ لِذَاكَ قَدْ حَرِدَا

فَاعْلَمْ وَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ يُونُسَ لَمْ   يَكْذِبْ وَ لَمْ يَكُ مَا يَقُولُهُ فَنَدَا
وَ إِنَّمَا هُوَ قَدْ دَعَا وَ أَوْعَدَ إِنْ   لَمْ يُؤْمِنُوا وَقَعُوا فِيمَا بِهِ وَعَدَا
فَآمَنُوا عِنْدَ مَا رَأَوْا مَخَايِلَ صِدْ   قِهِ فَلَمْ يَقَعُوا فِي الخِزْيِ حَيْثُ غَدَا
وَ عَنْهُمْ قَدْ غَدَا مُغَاضِباً لَهُمُ   مِنْ أَجْلِ إِعْرَاضِهِمْ عَمَّا بِهِ وَفَدَا
وَ البُغْضُ فِي اللهِ مَحْمُودٌ وَ هَلْ غَضَبُ النَّبِيِّ فِي غَيْرِ ذَاتِ الحَقِّ مُذْ وُجِدَا
فَإِنْ تَقُلْ مَا تَرَى فِي فِرْيَةِ ابْنِ أَبِي   سَرْحٍ وَ كَيْفَ بِهِ يَرْتَدُّ بَعْدَ هُدَى
قُلْنَا قَد ارْتَدَّ ثُمَّ عَادَ وَ الخَبَرُ الَّذِي لَهُ نَسَبُوهُ عِنْدَنَا انْتَقَدَا
وَ هَلْ يُصَدَّقُ مُرْتَدٌّ وَ مُتَّهَمُ   بِفِرْيَةٍ وَ هْوَ فِيمَا يَفْتَرِي حقَدَا
وَ لَمْ يَرِدْ عَنْهُ بَعْدَ عَوْدَةٍ لِهُدَى   مَا قِيلَ عَنْهُ فَدَعْ مَقَالَةَ البُعَدَا
هَبْ أَنْ مَا قِيلَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَتَى   مَا كَانَ يقدحُ فِي وَحْي أَتَى أَبَدَا
فَقَدْ يَكُونُ الَّذِي أَمْلَى الرَّسُولُ وَ مَا   قَدْ قَالَهُ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ لَهُ وَرَدَا
وَ أَثْبَتَ المُصْطَفَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَا   يُتْلَى وَ لَمْ يثبت المَنْسُوخ لِلشُّهَدَا
وَ رُبَّمَا كَانَ فِي غَيْرِ القُرْآنِ أَتَى   مَا قِيلَ عَنْهُ مِنَ الوَصْفِ الَّذِي حمدَا
وَ غَايَةُ الأَمْرِ فِيهِ أَنَّهُ وَصَفَ المَوْلَى الكَرِيمَ بِوَصْفٍ قَدْرُهُ مَجُدَا

فصل

النَّاسُ مُتَّفِقُونَ فِي وُقُوعِ جَمِيعِ مَا بِهِ أَخْبَرَ النَّبِي وَ لاَ فَنَدَا
لاَ فَرْقَ فِي ذَاكَ مِمَّا كَانَ مَرْجِعُهُ   لِأَمْرِ دُنْيَاهُ أَوْ أُخْرَاهُ مُذْ وُجِدَا
فَهْوَ المُنَزَّهُ فِي الجَمِيعِ عَنْ خَطَاءٍ   فِي الجِدِّ وَ المَزْحِ لاَ سَهْواً وَ لاَ عَمَدَا
فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ صَحْبَهُ وَ هُمُ   أَهْلُ الذَّكَاءِ بِمَا وَافَى بِهِ شُهَدَا
أَخْبَارُهُ كُلُّهَا لَهُمْ بِهَا ثِقَةٌ   وَ يَا لَهَا ثِقَةً زَادُوا بِهَا رَشَدَا
مَا احْتِيجَ فِيهَا إِلَى اسْتِثْبَاتِ مَا سَمِعُوا   مِنْهُ وَ مَا قَدْ رَوَاهُ قَامَ أَوْ قَعَدَا
بَلْ عِنْدَهَا وَقَفُوا مُسْتَيْقِنِينَ بِهَا   وَ مَا تَوَقَّفَ فِيهَا وَاحِدٌ أَبَدَا
أَلاَ تَرَى ابْنُ أَبِي الحُقَيْقِ حَيْثُ أَتَى   إِلَى الرِّضَى عُمَرٍ عَلَيْهِ مُنْتَقِدَا

وَ قَالَ تُخْرِجُنَا مِنْ خَيْبَرٍ وَ بِهَـــا   أَقَرَّنَا المُصْطَفَى يَا ثَانِيَ الرُّشَـــدَا
فَقَالَ إِنَّ الرَّسُولَ قَالَ كَيْفَ بِكُـــمْ   يَا ابْنَ اليَهُود إِذَا أُخْرِجْتَ مُبْتَعَـــدَا
فَقَالَ تِلْكَ هُزَيْلَةٌ يُقَالُ لَـــــهُ   كَذَبْتَ يَا ابْنَ اليَهُودِ فَاتْرُكِ اللَّــــدَدَا
وَ لَمْ يَرِدْ عِنْدَ مَنْ عَنَوْا بِسِيرَتِهِ اسْـــــتِدْرَاكٌ وَ هُمْ عَلَيْهِ فِي الَّـــذِي وَرَدَا
لو أنه صدرت في حالة ريـــب   تَصَدَّرُوا لاِنْتِقَادِ مَا لَهُمْ نَقَـــدَا
وَ انْظُرْ لِقِصَّةِ تَأْبِيرِ النَّخِيلِ فَلَـــمْ   تَكُنْ مِنَ الخَبَرِ الَّذِي بِهِ وَفَـــدَا
لَكِنَّهَا مِنْ قَبِيلِ الرَّأْيِ وَ هْوَ لَـهُـــمْ   أَبْدَاهُ وَ هْوَ لِحَقٍّ كَانَ مُعْتَقِـــدَا
لَوْ أَنَّهُمْ مِثْلُهُ فِي ذَلِكَ اعْتَقَـــدُوا   لَكَانَ وِفْقَ الَّذِي أَبْدَاهُ حِينَ بَـــدَا
وَ كَانَ يَحْلِفُ عَنْ أَمْرٍ فيفعلـــهُ   مُكَفِّراً لِيَمِينِهِ الَّذِي عَقَـــدَا
وَ كَانَ يَقْضِي لِمَنْ يُدْلِي بِحُجَّتِـــهِ   فِي ظَاهِرٍ وَ هْوَ مَا لِلبَاطِنِ اعْتَمَـــدَا
وَ قَالَ لِلسَّيِّدِ الزُّبَيْرِ إِسْقِ إِلَـــى   أَنْ يَبْلُغَ المَاءُ لِلْجَذْرِ الَّذِي وطَـــبَدَا
قَضَى لَهُ وَ هْوَ لَمْ يُحَابِ فِيهِ لَـــهُ   مِنْ بَعْدِمَا قَالَ لاَ تَسْتَوْعِبِ المَــــدَدَا
وَ تَحْتَ ذَلِكَ أَسْرَارٌ وَ أَقْرَبُ مَـــا   لِلْفَهْمِ مِنْ ذَاكَ تَشْرِيعٌ أَبَانَ هُـــدَى
وَ بَعْدَ هَذَا سَنَاتِي بِالبَيَانِ لِمَـــا   قَدْ عُدَّ مِنْ مُشْكِلاَتِ مَا لَدَيْكَ غَـــدَا
وَلاَ خِلاَفَ بِأَنَّ مَنْ يَقُولُ خِـــلاَ   فَ وَاقِعٍ لَمْ يَكُنْ فِي الحَقِّ مُعْتَمَـــدَا
وَ كُلُّ مُتَّهَمٍ بِفِرْيَةٍ سَقَطَـــتْ   فِي النَّاسِ حُرْمَتُهُ وَ عُدَّ مُضْطَهَـــدَا
لِذَلِكَ العُلَمَا تَجَنَّبُوا فِئَـــةً   مَا حَدَّثُوا عَنْهُمُ وَ إِنْ عَلَوْا سَنَـــدَا
تَجَنَّبُوا مَنْ بِوَهْمٍ مِنْهُمُ عُرِفُـــوا   أَحْرَى الَّذِي مِنْهُمُ تَعَمَّدَ الفَنَـــدَا
وَ الأَنْبِيَا كُلُّهُمْ مُنَزَّهُونَ فَـــلاَ   يَرْمِيهِمُ أَحَدٌ بِالإِفْتِرَا أَبَـــدَا
وَ مَنْ رَمَى وَاحِداً مِنْهُمْ بِفِرْيَتِـــهِ   فَإِنَّهُ فِي ضَلاَلٍ لِلـــرَّدَى وَرَدَا
أَمَّا الصَّغِيرَةُ مِمَّا لاَ احْتِقَارَ بِـــهِ   قَبْلَ النُّبُوَّةِ فِيهِ الخُلْفُ قَدْ وُجِـــدَا
وَ الحَقُّ أَنَّهُمُ بِالحَقِّ قَدْ عُصِمُـــوا   مِنَ النَّقَائِصِ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَـــدَا
فَلاَ يُسَامَحُ مَنْ رَمَاهُمُ بِهَـــوًى   أَوْ بِاتِّسَامٍ بِمَا يَكُونُ غَيْرَ هُـــدَى

فَإِنَّ أَحْوَالَهُمْ بِعِصْمَةٍ حَسُنَـــتْ   وَ لَيْسَ يَصْدُرُ عَنْهُمْ غَيْرَ مَا حُمِـــدَا
وَ انْظُرْ لِحَالِ النَّبِي مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِـــهِ   وَ بَعْدِهِ بَيْنَ مَنْ كَانُوا لَهُ عُنَـــدَا
فَإِنَّهُ كَانَ فَرْداً فِي أَمَانَتِـــهِ   وَ لَمْ يَزَلْ بِكَمَالِ الصِّدْقِ مُنْفَـــرِدَا
إِنْ قُلْتَ بَيِّنْ لَنَا مَا فِي الحَدِيثِ أَتَـى   مِنْ قَوْلِهِ مَا نَسِيتُ طِبْقَ مَـــا وَرَدَا
فَقَدْ نَفَى القَصْرَ و النِّسْيَانَ فِيهِ مَعـــاً   مَعْ أَنَّ بَعْضَهُمَا فِي الحَالِ قَدْ وُجِـــدَا
قُلْنَا هُنَا عَنْهُ قَدْ جَاءُوا بِأَجْوِبَـــةٍ   مِنْهَا المُجِيزُ لِهَذَا السَّهْوِ و انتقـــدَا
وَ مَانِعُوا السَّهْوِ وَ النِّسْيَانِ عِنْدَهُـمُ   قَصْرُ الصَّلَاةِ هُنَا لَدَيْهِ قَدْ قُصِـــدَا
أَبْدَاهُ فِي صُورَةِ النَّاسِي لَهُمْ لِيُبَيِّـــــنَ جَبْرَهُمْ لِلصَّلَاةِ فِي طَرِيقِ هُـدَى
وَ عِنْدَ مَنْ جَوَّزُوا النِّسْيَانَ مِنْهُ لِغَيْـــــرِ القَوْلِ وَ المَنْعِ فِي سَهْوٍ لَدَيْهِ غَدَا
إِنْكَارُهُ القَصْرَ حَقٌّ وَهُوَ أَخْبَرَ فِي الـــــنِّسْيَانِ عَنْ فِعْلِهِ طِبْقَ الَّذِي اعتقـدَا
وَوَجْهٌ آخَر فِي سَلَامِهِ عَدَمُ الـــــنِّسْيَانِ كَانَ وَ هَذَا الوَجْهُ قَدْ بَعُـدَا
وَوَجْهٌ آخَر فِيهِ قِيلَ مَا اجْتَمَعَ الـــــنِّسْيَانُ وَ القَصْرُ وَ هُوَ لَيْسَ مُعْتَمَدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ وَ النِّسْيَانُ أَنْكَـــرَهُ   مِنْ نَفْسِهِ وَ هُوَ فِعْلُ الحَقِّ فِيهِ بَـــدَا
لَوْ قِيلَ فِي ذَاكَ هَلْ نَسِيتَ وَ هُوَ يُنَـــسَّى لَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِنْكَارٌ لَهُ أَبَـــدَا
وَ الفَرْقُ بَيْنَ نَسِي وَ بَيْنَ نُسِّيَ ظَـــا   هِرٌ وَ عِنْدَ السِّوَى مَعْنَاهُمَا اتَّحَـــدَا
وَوَجْهٌ آخَرَ فِيهِ الفَرْقُ بَيْنَ نَسِـــي وَا   فَى وَ بَيْنَ سَهَا وَ لَيْسَ مُنْتَقَـــدَا
فَكَانَ يَسْهُو وَ لَا يَنْسَى لِذَاكَ نَفَى الـــــنِّسْيَانَ عَنْ نَفْسِهِ طِبْقَ الَّـذِي وَرَدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ وَ النِّسْيَانُ جَاءَ بِمَعْـــــنَى التَّرْكِ عِنْدِي وَ هُوَ هَا هُنَا قُصِدَا
كَأَنَّهُ قَالَ مَا سَلَّمْتُ تَارِكَ إِتْـــــمَامِ الصَّلَاةِ وَ فِعْلُ اللهِ قَدْ حُـمِـدَا
أَمَّا قَضِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ فِي كَلِمَـــا   تِهِ فَفِيهَا بَدَا الحَقُّ الَّذِي عُضِـــدَا
فَإِنَّهَا فِيهِ مِنْ بَابِ المَعَارِضِ قَـــدْ   جَاءَتْ وَ مَا جَاءَ مِنْهَا لَمْ يَكُنْ فَنَـــدَا
فَإِنَّ مَعْنَى سَقِيم عِنْدَ بَعْضِهِـــمُ   أَنِّي سَأَسْقَمُ وَ هُوَ عُدَّ معتضـــدَا
وَ قِيلَ مَعْنَى سَقِيمٍ فِي المَقَالِ حَزِيـــــنٌ حَيْثُ قُدِّرَ أَنْ يَمُوتَ إِذْ وُجِـــدَا

وَ قِيلَ مَعْنَى سَقِيمٌ فِي المَقَالِ سَقِيــــــمُ القَلْبِ أَيْضاً بِمَا مِنْ كُفْرِهِمْ شَهِدَا
وَقِيلَ قَامَ بِمَا رَآهُ مُعْتَـــــذِ راً   لَدَيْهِمُ بِطُلُوعِ النَّجْمِ فِي الشُّهُـــدَا
فَكَانَ تَأْخُذُهُ الحُمَّى بِمَطْلِعِـــهِ   وَ قَدْ رَأَوْا مَا رَأَى وَ فِيهِ مَا اعتقَـــدَا
وَ قِيلَ كَانَ يَرَى سِقَامَ حُجَّتِــــهِ   حَتَّى تَوَفَّقَ فِيهَا فَاهْتَدَى وَ هَـــدَى
أَمَّا إِحَالَتُهُ عَلَى كَبِيرِهِـــــمُ   فِي كَسْرِ أَصْنَامِهِمْ مِنْ بَيْنِ مَنْ شَهِدَا
فَلَيْسَ فِيهِ افْتِرَ لِكَوْنِ فِعْلَتِــــهِ   بِهِمْ إِذَا كَانَ نُطْقٌ مِنْهُمُ وُجِـــدَا
وَ حَيْثُ لاَ نُطْقَ مِنْهُمْ إِنْ هُمُ سُئِلُوا   فَإِنَّهُ فِيهِ تَبْكِيتٌ لِمَنْ عَنَـــدَا
وَ قَوْلُهُ إِنَّهَا أُخْتِي فَزَوْجَتُـــــهُ   أُخْتٌ لَهُ دُونَ شَكٍّ فِي الَّذِي عَبَـــدَا
فَإِنْ تَقُلْ سُمِّيَتْ كَلْمَاتُهُ كَذِبَـــا   تٌ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ طِبْقَ مَا وَرَدَا
فَمَا الجَوَابُ إِذَنْ عَنْ ذَاكَ قُلْتُ نَعَمْ   فِي صُورَةِ الكَذْبِ قَدْ جَاءَتْ وَ لاَ فَنَدَا
وَ مَا تَكَلَّمَ مِمَّا كَانَ صُورَتُـــهُ   فِي صُورَةِ الكَذْبِ إِلاَّ ذَاكَ مُجْتَهِـــدَا
وَ لَمْ يَزَلْ مُشْفِقاً مِنْهَا مَخَافَـــةَ أَنْ   يُرَى بِهَا هَا هُنَا مُؤَاخذاً وَ غَـــدَا
وَ مَا بِهِ المُصْطَفَى وَرَّى مِنَ الغَزَوا   تِ فَهْوَ مِن سِتْرِهِ لِمَا لَهُ قَصَـــدَا
وَ لَيْسَ فِيهِ لِذِي عَقْلٍ يُرَى كَـذِبٌ   عِنْدَ التَّحَقُّقِ بِالأَمْرِ الَّذِي عُقِـــدَا
إِنْ قُلْتَ مَعْنَى مَقَالَةَ الكَلِيمِ أَنَـــا   فِي النَّاسِ أَعْلَمُ ثَمَّ فِي العِتَابِ غَـــدَا
وَ ذَاكَ يَقْضِي بِخلْفِ القَوْلِ قُلْتُ مَعَا   ذَ اللهِ فَالقَوْلُ مِنْهُ طِبْقَ مَا اعتقَـــدَا
وَ إِنَّمَا عَتْبُهُ وَ اللهُ أَعْلَمُ حَيْـــــــــثُ العِلْمُ مَا رَدَّهُ لِلّهِ فِي الشُّهُـــدَا
وَ العِلْمُ فِي رَدِّه لِلّهِ تُوجَدُ أَسْـــــــــرَارٌ وَ فِيهِ لِأَهْلِ الإِقْتِدَاءِ هُـــدَى
وَ إِن تَرْكَ ادِّعَاءَ الأَعْلَمِيَّـــــةَ أَوْ   لَى بِالنَّبِيِّ فَأَحْرَى الغَيْرِ فِي الرُّشَـدَا
وَ انْظُرْ لِقَوْلِ الرَّسُولِ فِي الحَدِيثِ وَلاَ   فَخْرَ فَعَنْ جَانِبِ الدَّعْوَى قَد ابْتَعَـــدَا
ثُمَّ الوَلِيُّ فَلاَ يَكُونُ أَعْلَمَ مِـــنْ   نَبِي وَ لَوْ كَانَ قَبْلَ بَعْثِهِ وُجِـــدَا
إِلاَّ النَّبِي مَعَ النَّبِي فَبَيْنَهُـــمُ   تَفَاوُتٌ فِي العُلُومِ طِبْقَ مَا شُهِـــدَا
لِذَاكَ قِيلَ بِأَنَّ الخَضْرَ كَانَ نَبِــــــــيّاً وَ هُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ لَيْسَ مُعْتَمَدَا

آمَّا وِلاَيَتُهُ فَإِنَّهَا اشْتَهَرَتْ   وَ كَوْنُهُ مَلَكاً قَوْلٌ قَد انْتُقِدَا
وَ أَمْرُهُ إِنْ يَكُنْ بِالوَحْيِ فَهْوَ نَبِي   أَوْ لاَ فَكَيْفَ إِذَنْ بِعِلْمِهِ انْفَرَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ هَيِّناً قَتْلُ الصَّبِيِّ بِلاَ   وَحْي وَ لَوْ كَانَ بِالإِلْهَامِ لِلسُّعَدَا
فَقِيلَ يُحْتَمَلُ الأَمْرُ الَّذِي مَعَهُ   فِي فِعْلِهِ عَنْ نَبِيٍّ آخَرٍ وُجِدَا
أَوْ عِلْمُهُ كَانَ مُخْتَصّاً بِبَعْضِ قَضَا   يَا دُونَ مُوسَى وَ هَذَا عُدَّ مُنْتَقَدَا
وَ قِيلَ أُلْجِىءَ مُوسَى فِي الذَّهَابِ لَهُ   لِأَجْلِ تَأْدِيبِهِ وَ قَدْ حَوى رَشَدَا

فصل

قَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ فِي الرَّشَادِ عَلَى   كَمَالِ عِصْمَةِ كُلِّ الأَنْبِيَا الرُّشَدَا
مِنَ الفَوَاحِشِ كُلٌّ فِي الوَرَى عُصِمُوا   قَوْلاً وَ فِعْلاً وَ عقداً فِي كَمَالِ هُدَى
وَ كُلُّهُمْ بَلَّغُوا لِلنَّاسِ مَا أُمِرُوا   بِهِ وَ لَمْ يَكْتُمُوا عَنْهُمْ هُدَى أَبَدَا
فَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ الهَوَى ابْتَعَدُوا   وِفْقاً لِعِصْمَتِهِمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ جَازَ فِي حَقِّهِمْ فِعْلُ الصَّغَائِرِ عِنْدَ بَعْضِ مَنْ سَلَفُوا وَ لَيْسَ مُعْتَمَدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ لاَ تَجُوزُ كَثْرَتُهَا   وَ لاَ تَكَرُّرُهَا سَهْواً وَ لاَ عَمَدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ مَا أَزْرَى بِهِمْ عُصِمُوا   مِنْهُ وَ لَوْ كَانَ مِنْ جِنْسِ المُبَاحِ غَدَا
وَ بِالتَّوَقُّفِ فِيهِ قَوْلُ طَائِفَةٍ   وَ الحَقُّ عِصْمَتُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا انْتُقِدَا
وَ بَعْضُهُمْ نَزَّهُوهُمْ مِنْ مُوَاقَعَةِ الْمَكْرُوهِ فَهْوَ لَهُمْ بِالفِعْلِ مَا قَصَدَا
دَلِيلُ عِصْمَتِهِمْ مِنَ الصَّغَائِرِ كَوْ   نُ الإِقْتِدَاءِ بِمِثْلِ فِعْلِهِمْ حُمِدَا
فَفِي التَّأَسِّي بِهِمْ فِي كُلِّ مَا فَعَلُوا   وَ لَوْ مُبَاحاً جَمِيعُ الخَيْرِ قَدْ وُجِدَا
قَدْ قِيلَ إِنْ لَمْ يَكُنْ يُخْتَصُّ ذَاكَ بِهِمْ   فَالإِقْتِدَا وَاجِبٌ فِيهِ لَدَى العُمَدَا
وَ قِيلَ ذَلِكَ مَنْدُوبٌ إِذَا جُهِلَ الْحُكْمُ المَنُوطُ بِهِمْ لِأَنَّهُمْ رُشَدَا
وَ قِيلَ ذَاكَ مِنَ الأَمْرِ المُبَاحِ إِذَا   لَمْ يَظْهَرِ الحُكْمُ فِيمَا مِنْهُم شُهِدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَيَّدَ اتِّبَاعَهُمْ بِأُمُو   رِ الدِّينِ أَوْ كَانَ فِيهِ قُرْبَةٌ وَ هُدَى
فَلَوْ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ فِعْلُ مَعْصِيَةٍ   لَمْ يَقْتَدِ أَحَدٌ بِفِعْلِهِمْ أَبَدَا

أَوْ لَمْ تَكُنْ عِصْمَةٌ لَدَيهِمُ ثبتتْ   لَمْ يَتْبَعِ النَّاسُ فِيهَا مِنْهُمُ أَحَدَا
لَاسِيَمَا عِنْدَ مَنْ يَرَى تَقَدُّمَ قَوْ   لِهِ عَلَى الفِعْلِ فِي تَعَارُضٍ وجَدَا
إِنَّ التَّعَارُضَ مَعْ جَهْلِ المُؤخر مِنْهُمَا قَضَى بِاخْتِلَافٍ وَ هْوَ فِيهِ بَدَا
وَ المُصْطَفَى لَا يقرُّ فِي مَشَاهِدِهِ   شَخْصاً عَلَى مُنْكَرٍ طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
فَكَيْفَ يَفْعَلُهُ فِي نَفْسِهِ وَ لَهُ   نَفْسٌ تَزِيدُ إِذَا خَلَا بِهَا رَشَدَا
وَ احْتَجَّتِ الصَّحْبُ فِيمَا يَفْعَلُونَ بِفِعْلِ المُصْطَفَى بَيْنَهُمْ وَ هُمْ هُمُ الرُّشَدَا
رموا خواتمهم حطوا نِعَالَهُمُ   بِالإِقْتِدَاءِ بِهِ فِي مَجْمَعِ الشُّهَدَا
يَكْفِيهِمُ أَنْ يَقُولُوا كَانَ يَفْعَلُهُ   وَ فِعْلُهُ عِنْدَهُمْ كَقَوْلِهِ اعْتُمِدَا
وَ كَمْ وَ كَمْ أَثَرٍ أَتَى بِذَاكَ وَ لَمْ   يَكُنْ عَلَى فِعْلِهِمْ سِوَاهُمُ انْتَقَدَا
وَ عِنْدَمَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَحَدِ الأَ   صْحَابِ تَرْكُ اقْتِدَا بِفِعْلِهِ حَرِدَا
وَ قَالَ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ وَ أَعْلَمُكُمْ   فَكَيْفَ لَا يَقْتَدِي بِفِعْلِهِ السُّعَدَا
وَ حَاصِلُ الأَمْرِ أَنَّ فِعْلَهُ رشد   مَا فِيهِ فِي الدِّينِ خلفٌ عِنْدَ مَنْ سَعِدَا
أَمَّا المُبَاحَاتُ فَهْيَ مِنْهُمُ وَقَعَتْ   وَ لَيْسَ فِي فِعْلِهَا مَا عُدَّ مُنْتَقَدَا
لَكِنَّهُمْ أَخَذُوا مِنْهَا ضَرُورَتَهُمْ   بِمَا بِهِ أَصْلَحُوا جَمِيعَ مَا فسدَا
فَكَانَ أَخْذُهُمُ مِنْهَا مِنَ القُرُبَا   تِ وَ هْيَ فِي صُورَةِ العَادَاتِ فِي الشُّهَدَا
وَ العَارِفُونَ اقْتَدَوْا بِهِ فَكَانَ لَهُمْ   فِي أَخْذِهَا حُسْنُ نِيَّاتٍ تُنِيلُ هُدَى

فصل

وَ عِصْمَةُ الأَنْبِيَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ مِنْ   كُلِّ المَعَاصِي بِهَا نَالَ الَّذِي اعْتُمِدَا
وَ كَيْفَ لَا وَ النَّوَاهِي وَ الأَوَامِرُ قَدْ   تَقَرَّرَتْ بَعْدَ مَا بِهَا النَّبِي وَرَدَا
وَ قَبْلَ مَبْعَثِهِ فَلَا يُقَالُ لَهُ   عَصَى وَ فِي قَوْمِهِ قَدْ وَحَّدَ الأَحَدَا

وَ فِي النَّبِي اخْتَلَفُوا هَلْ كَانَ مُتَّبِعاً   لِشَرْعِ مَنْ قَبْلَهِ أَوْ لاَ وَ فِيهِ هُدَى
فَقِيلَ لَمْ يَتَّبِعْ شَرْعَ السِّوَى وَ لَهُ الـ   ـقَاضِي أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الطَّيِّبِ اسْتَنَدَا
لَوْ كَانَ مُتَّبِعاً لِغَيْرِهِ نقلتْ   أَخْبَاره عِنْدَ كُلِّ مَنْ لَهُ شَهِدَا
فَإِنَّ ذَاكَ وَ مَا ضَاهَاهُ مَوْرِدُهُ النَّـ   ـقْلُ الصَّحِيحُ وَ لاَ نَقْلٌ هُنَا وُجِدَا
وَ قَالَ قَوْمٌ وَ هُمْ مِمَّنْ قَد اعْتَزَلُوا   لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَابِعاً أَحَدَا
وَ قَالَ غَيْرُهُمُ بِالوَقْفِ فِيهِ لِأَ   نَّ العَقْلَ لَمْ يَحِلِ الوَجْهَيْنِ إِنْ نقدَا
وَ لاَ اسْتَبَانَ لَدَيْهِ النَّقْلُ فِيهِ عَنِ الـ   ـثِّقَاتِ طِبْقَ الَّذِي يُعَدُّ مُعْتَمَدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ كَانَ عَامِلاً بِهُدَى   مَنْ قَبْلَهُ فِي الوَرَى حَيْثُ اهْتَدَى وَ هَدَى
لَكِنْ قَد اخْتَلَفُوا فَالبَعْضُ عَيَّنَ ذَاكَ الـ   ـشَّرْعَ وَ البَعْضُ عَنْ تَعْيِينِهِ قَعَدَا
ثُمَّ المُعَيِّنُ قَالَ كَانَ مُتَّبِعاً   نُوحاً وَ إِلاَّ فَإبْرَاهِيم فِي السُّعَدَا
وَ قِيلَ لاَ بَلْ لِمُوسَى كَانَ مُتَّبِعاً   وَ قِيلَ لاَ بَلْ لِعِيسَى فِي الهُدَى اسْتَنَدَا
وَ إِنَّ أَظْهَرَ مَا قَالُوهُ قَوْلُ أَبِي   بَكْرٍ وَ أَبْعَدَهَا مَا عَيَّنَ الرَّشَدَا
فَلَمْ يَكُنْ مِنْ نَبِي تعم دَعْوَتُهُ   غَيْرِ النَّبِي العَرَبِي وَ الحَقُّ مَعْهُ غَدَا
وَ لاَ دَلِيلَ عَلَى اتِّبَاعِهِ لَهُمُ   فِي الشَّرْعِ بَلْ ذَاكَ فِي التَّوْحِيدِ قَدْ وَرَدَا
وَ قَدْ تَخَالَفَ شَرْعُ جُلِّ جِلَّتِهِمْ   وَ هْوَ الأَجَلُّ الَّذِي بِشَرْعِهِ انفَرَدَا
وَ هَلْ سِوَى المُصْطَفَى لِغَيْرِهِمْ تَبِعُوا   قَبْلَ النُّبُوَّةِ أَوْلاَ وَ الخِلاَفُ بَدَا
وَ حَاصِلُ الأَمْرِ فِي أَهْلِ النُّبُوَّةِ قَبْـ   ـلَهَا بِأَنَّهُمْ بَيْنَ الوَرَى الرُّشَدَا
كَانُوا عَلَى الحَقِّ فِي سِرٍّ وَ فِي عَلَنٍ   وَ الحَقُّ أَيَّدَهُمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِمْ مَا انْجَلَتْ ظُلَمٌ   بِنُورِ هَدْيِهِمُ من بَيْنِ مَنْ وُجِدَا

فصل

وَ سَهْوُهُمْ بَعْدَ تَقْرِيرِ الشَّرِيعَةِ لاَ   أَفْعَالِهِمْ لاَ يَضُرُّهُمْ إِذَا وُجِدَا
إِذْ لاَ يُعَدُّ مَعَ النِّسْيَانِ مَعْصِيَةً   لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمُ قَصَدَا
فَمَا طَرِيقَتُهُ البَلاَغُ عِنْدَهُمُ   فَحُكْمُهُ حُكْمُ سَهْوِ القَوْلِ وَ هْوَ بَدَا

فَلاَ يَجُوزُ طُرُوُّهُ عَلَى أَحَـدٍ   مِنْهُمْ لِعِصْمَتِهِمْ مِمَّا قد انْتُقِدَا
وَ مَنْ يَقُولُ بِهَذَا القَوْلِ وَجَّهَ كُـــلَّ مَا عَنِ المُصْطَفَى فِي السَّهْوِ قَدْ وَرَدَا
وَ أَكْثَرُ الفُقَهَاءِ قَائِلُونَ بِـأَ   نَّ السَّهْوَ فِي الفِعْلِ مِنْهُمْ جَازَ وَ هْوَ هُدَى
وَ فِي الحَدِيثِ إِذَا نَسِيتُ بَيْنَكُـمُ   فَذَكِّرُونِي وَ لاَ تَأْوِيلَ فِيهِ غَـدَا
بَلْ حَالَةُ السَّهْوِ وَ النِّسْيَانِ مِنْهُ هُنَـا   فِيهَا البَيَانُ لِمَا يُعَدُّ مُعْتَمَـدَا
وَ ذَاكَ عُدَّ مِنَ التَّبْلِيغِ وَ هْوَ بِـهِ   يُوَضِّحُ العَمَلَ الَّذِي بِهِ وَفَـدَا
وَ هُمْ بِغَيْرِ تَرَاخٍ بَعْدَ سَهْوِهِـمُ   يُنَبَّهُونَ عَلَيْهِ مَنْ لَهُ شَهِـدَا
وَ قِيلَ تَنْبِيهُهُمْ عَلَيْهِ بَـانَ وَ إِنْ   قَبْلَ انْقِرَاضِهِمُ وَ الحَقُّ مَا جحَـدَا
وَ فِي الَّذِي لَمْ يَكُ البَلاَغُ مَـوْرِدُهُ   نِسْيَانُهُمْ جَائِزٌ مَعَ الشُّذُوذِ بَـدَا
وَقَالَ قَوْمٌ بِمَنْعِ سَهْوِهِمْ وَ لَـهُمْ   مَذَاهِبٌ فِي الَّذِي مِنْ ذَاكَ قَـدْ وَرَدَا

فصل

جَاءَتْ أَحَادِيثُ فِي سَهْوِ النَّبِيِّ وَ فِي الصَّـــلاَةِ مِنْهَا ثَلاَثٌ صُحِّحَتْ سَنَـدَا
فَفِي السَّلاَمِ مِن اثْنَتَيْنِ قَدْ نَقَلُـوا   عَنْ ذِي اليَدَيْنِ حَدِيثاً أَوْضَحَ الرَّشَـدَا
وَ فِي القِيَامِ مِنَ اثْنَتَيْنِ لابْنِ بجيــلَةَ الصَّحَابِي حَدِيثٌ عِنْدَهُـمْ وَرَدَا
وَ لابْنِ مَسْعُودٍ الأَرْضَى زِيَادَةُ رَكْعَـــةٍ لَدَى الظُّهْرِ سَهْواً فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ السَّهْوُ حِكْمَتُهُ البَلاَغُ فِيهِ بِفِعْــلٍ وَ هْوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلٍ لِمَنْ شهـدَا
وَ السَّهْوُ فِي الفِعْلِ وَ النِّسْيَانُ غَيْرُ مُضَا   دٍ مِنْهُ مُعْجِزَةٌ طِبْقَ الَّذِي اعتمـدَا
فَفِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ إِنِّي بَشَـرٌ   أَنْسَى كَمَا أَنْتُمْ تَنْسَوْنَ فِي الشُّهَـدَا
وَفِيهِ إِنِّي لأَنْسَى بَيْنَكُمْ لِأَسُـــنَّ أَوْ أُنَسَّى وَ هَذَا الشَّكُّ فِيهِ بَـدَا
وَ قِيلَ لاَشَكَّ فِي هَذَا الحَدِيثِ أَتَـى   وَ أَوْ هنَا فِيهِ لِلتَّقْسِيمِ قَدْ وجَـدَا
كَأَنَّهُ قَائِلٌ أَنْسَى أَنَا وَ يُنَسِّـــينِي الإِلَهُ وَ فِي الحَالِينَ قَدْ حمـدَا
وَ بَعْضُهُمْ مَنَعَ النِّسْيَانَ مِنْه وَ قَـا   لَ أنه مَعَ سَهْوٍ مِنْهُ قَدْ قصَـدَا

وَ ذَاكَ مِنْهُ بِأَمْرٍ قَدْ تَعَمَّدَهُ   لِكَيْ يُبَيِّنَ مَا يَكُون مُعْتَمَدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ يَسْهُو فِي الصَّلَاةِ وَلَا   يَكُونُ نِسْيَانُهُ فِيهَا وَ قَدْ نَقَدَا
وَ قَدْ نَحَا الإِسْفِرَايِنِي الْمُعَظَّمُ نَحْوَهُ وَ لَمْ يرضه السِّوَى مِنَ الْعُمَدَا
وَ حُكْمُ نِسْيَانِهِ لَمْ يُنْفَ عَنْهُ بِلَا   أَنْسَى كَمَا فِي حَدِيثٍ آخَرٍ وَرَدَا
وَ إِنَّمَا فِيهِ نَفْيُ لَفْظِهِ بِدَلِيلِ مَا بِهِ فِي الْهُدَى لِمَا بِهِ وَعَدَا
أَوْ إِنَّمَا فِيهِ جَاءَ نَفْيُ غَفْلَتِهِ   وَ اللَّهْوُ عَنْ طَاعَةٍ بِغَيْرِهَا أَبَدَا
فَكَانَ فِي شُغْلِهِ عَنِ الصَّلَاةِ بِهَا   لِكَيْ يُبَيِّنَ حُكْمَ السَّهْوِ لِلشُّهَدَا
وَ انْظُرْ إِلَى شُغْلِهِ عَنِ الصَّلَاةِ بِيَوْ   مِ خَنْدَقٍ وَ الصَّلَاةُ قَدْرُهَا صَعِدَا
فَإِنَّهُ كَانَ فِي عِبَادَةٍ شَغَلَتْهُ عَنْ إِقَامَتِهَا وَ الْكُلُّ فِيهِ هُدَى
وَ أَنَّهُ فِيهِ لَمْ يُصَلِّ غَيْرَ صَلَا   ةِ الصُّبْحِ حَيْثُ غَدَا فِي الحفْرِ مُجْتَهِدَا
فَكَانَ هَذَا دَلِيلًا لِلْمُؤَخِّرِ لِلصَّلَاةِ فِي الْخَوْفِ عَنْ وَقْتٍ لَهَا رُصِدَا
وَ الْحَقُّ أَنَّ صَلَاةَ الْخَوْفِ قَدْ فُرِضَتْ   مِنْ بَعْدِ غَزْوَةِ خَنْدَقٍ وَ مَا انْتُقِدَا
فَإِنْ تَقُلْ كَيْفَ نَامَ عَنْ أَدَاءِ صَلَا   ةِ الصُّبْحِ وَ هُوَ لَدَيْهِ الْقَلْبُ مَا رَقَدَا
قُلْنَا هُنَا عَنْهُ قَدْ جَاؤُوا بِأَجْوِبَةٍ   مِنْهَا التَّيَقُّظُ مِنْهُ غَالِباً وُجِدَا
وَ رُبَّمَا فِيهِ مِنْهُ غَفْوَةٌ وَقَعَتْ   وَ مِنْهُ لَمْ تَكُ حَالَ يَقْظَةٍ أَبَدَا
وَ مِثْلُ هَذَا يُرَى لِحِكْمَةٍ وَ لِحُكْمٍ قَدْ تَقَرَّرَ مِنْهُ وِفْقَ مَا عُهِدَا
وَ قِيلَ مِنْ ذَاكَ أَنَّ الْقَلْبَ مِنْهُ فَلَا   يَكُونُ مُسْتَغْرِقاً فِي النَّوْمِ أَيْنَ غَدَا
وَ مَا تَوَضَّأَ مِنْ نَوْمٍ لِأَنَّ لَدَيْهِ يَقْظَةٌ ضبطتْ مَا فِيهِ قَدْ وُجِدَا
يَغُطُّ فِي نَوْمِهِ وَ لَيْسَ يُنْتَقَضُ الْوُضُوءُ عَنْهُ وَ هَذَا لَيْسَ مُنْتَقَدَا
وَ قِيلَ لَمْ يَكُ عَنْهُ الوَحْيُ مُنْقَطِعاً   بِنَوْمِهِ فَهُوَ كَالْيَقْظَانِ فِي الشُّهَدَا
وَ لَيْسَ فِي قِصَّةِ الوَادِي الْمُنَوِّمِ إِلَّا نَوْمُ عَيْنَيْهِ بَيْنَ مَنْ لَهُ شَهِدَا
وَ غَمْضُهَا عَنْ شُهُودِ الوَقْتِ قَبْلَ طُلُو   عِ الشَّمْسِ مَا فِيهِ إِلَّا حِكْمَةٌ وَ هُدَى
إِنْ قُلْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي النَّوْمِ عَادَتُهُ اسْتِغْرَاقُ وَقْتٍ لَمَا بِلَالُهُ رُصِدَا

قُلْنَا لَقَدْ كَانَ خَيْرُ الخَلْقِ مُشْتَغِلاً   بِمَا أَهَمَّ لَدَى المَنَامِ فِي السُّعَدَا
وَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ الإِسْتِغْرَاقُ فِيهِ لِعَـا   دَةٍ وَ لَكِنْ بِهِ قَدْ بَيَّنَ الرَّشَدَا
وَ كَانَ مُشْتَغِلاً عَمَّا سِوَاهُ بِـهِ   قَدْ قَامَ بِالإِذْنِ مِنْهُ فِيهِ مُجْتَهِدَا
وَ عَنْهُ قَامَ بِلاَلٌ فِي مُرَاقَبَةِ الـــوَقْتِ النَّفِيسِ بِإِذْنٍ مِنْهُ فِي الرُّشَدَا
فَإِنْ تَقُلْ قَدْ نَهَى عَنْ أَنْ يُقَالَ نَسِيـــتُ وَ هُوَ قَالَ نَسِيتُ طِبْقَ مَا وَرَدَا
وَ قَالَ إِنِّيَ لاَ أَنْسَى وَ قَالَ وَ لَكِـــنِّي أُنَسَّى فَكَيْفَ الحَالُ إِنْ نَقَدَا
فَاعْلَمْ وَ أَنَّ الجَمِيعَ لاَ تَعَارُضَ فِيـــهِ عِنْدَ مَنْ حَقَّقُوا الحَقَّ الَّذِي اعتمدَا
فَإِنَّهُمْ حَمَلُوا النبي المَنُوطَ بِـهِ   عَلَى الَّذِي فِيهِ نَسْخٌ مِنْهُ قَدْ وُجِدَا
فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ نِسْيَانٌ وَ خَالِقُـهُ   هُوَ المُنَسِّيهِ وَ هُوَ طِبْقَ مَا اعْتَقَدَا
هَذِي الحَقِيقَةُ وَ المَجَازُ مِنْهُ أَتَـى   فِي حَالِ إِطْلاَقِهِ عَلَيْهِ وَ هُوَ بَدَا
وَ اللهُ أَنْسَاهُ كَيْ يَمْحُو وَ يُثْبِتُ مَـا   أَرَادَ سُبْحَانَهُ مِمَّا إِلَيْهِ هَدَى
وَ قِيلَ نَهْيُ النَّبِيِّ عَنْهُ جَاءَ عَلَـى   مِنْهَاجِ تَعْلِيمِهِ لِصَحْبِهِ السُّعَدَا
لِيَنْسِبُوا الفِعْلَ بَيْنَهُمْ لِخَالِقِـهِ   وَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِكَوْنِهِ انْفَرَدَا
وَ بَعْض مَا بَلَّغَ النَّبِيُّ جَازَ لَـهُ الإِ   سْقَاطُ مِنْهُ بِسَهْوٍ بَعْدَ مَا وَفَدَا
وَ رُبَّمَا اسْتَدْرَكَ النِّسْيَانَ مِنْهُ بِتَذْ   كِيرِ السِّوَى أَوْ بِتِذْكَارٍ لَدَيْهِ بَدَا
وَ مَا قَضَى اللهُ نَسْخَهُ فَلَيْسَ لَـهُ   تَذَكُّرٌ لاَ وَ لاَ تَذْكِيرُهُ لِـمَدَى
وَ قَدْ يُنَسَّاهُ مِنْ قَبْلِ البَلاَغِ بِـمَا   لَمْ يُبْدِ مِنْ خَلَلٍ فِيمَا بِـهِ وَرَدَا
وَ يَسْتَحِيلُ بَقَا النِّسْيَانِ مُنْسَحِباً   عَلَيْهِ فِيهِ وَ هَذَا لَيْسَ مُنْتَقَدَا

فصل

عَلَى النَّبِيئِينَ بَعْضُ النَّاسِ جَوَّزَ مِنْـــهُمُ الصَّغَائِرَ فِيمَا قَدْ خَفَا وَ بَدَا
وَ قَالَ غَيْرُهُمُ أَنَّ الصَّغَائِرَ تَفْـــضِي لِلْكَبَائِرِ فَهْيَ لَمْ تَكُنْ أَبَدَا
وَ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ مُجِيزُ ذَاكَ عَلَيْـــهِمُ فَفِيهِ مِنَ الأَبْحَاثِ مَا اعتمَدَا

وَ نَحْنُ نَأْتِي هُنَا مَعَ الإِشَارَةِ لِلتَّدْلِيلِ مِنْهَا بِمَا يُبَيِّنُ الرَّشَدَا
قَالُوا لَقَدْ خَاطَبَ اللهُ النَّبِي بِأَنَّهُ لَهُ يغفر الذَّنْبَ الَّذِي شهدَا
قُلْنَا قَد اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ هُنَا   فِيمَا الْمُرَادُ بِهَا وَ مَا بِهَا قُصِدَا
فَقِيلَ فِيهِ الَّذِي قَبْلَ النُّبُوَّةِ مَعْ   مَا بَعْدَهَا كَانَ مِمَّا فِيهِ قَدْ وُجِدَا
وَ قِيلَ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَ عِصْمَتُهُ   تَأَخَّرَتْ بَعْدَهُ بِمَا بِهِ انْفَرَدَا
وَ قِيلَ مَا كَانَ مِنْ ذَنْبٍ لَدَيْهِ وَ مَا   لَدَيْهِ لَمْ يَكُ فَهْوَ عَنْهُ قَدْ جُرِدَا
وَ قِيلَ مَا كَانَ عَنْ سَهْوٍ وَ قِيلَ بِأَنَّ الْقَصْدَ أُمَّتُهُ فِيمَا بِهِ وَعَدَا
وَ قِيلَ مَا لِأَبِيكَ آدَمِ مَعَ مَا   جَنَّتْهُ أُمَّتُكَ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
وَ مِثْلُ هَذَا جَرَى فِي قَوْلِ مُرْسِلِهِ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ فِيمَا قَالَهُ الرُّشَدَا
وَ قَالَ مَكِّي هُنَا الْمَقْصُودُ أُمَّتُهُ   مِنْ بَابِ إِيَّاكِ أَعْنِي وَ هْوَ فِيهِ بَدَا
وَ قَالَ فِيهَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَبَانَ لَهُ   مَآلَهُ وَ مَآلَ الْمُؤْمِنِينَ غَدَا
فَاسْتَبْشَرَ الْمُؤْمِنُونَ عِنْدَهَا وَ بِهَا الْكُفَّارُ قَلْبُهُمْ قَد امْتَلَا نَكَدَا
فَلَمْ يُؤَاخِذْ رَسُولُ اللهِ بَيْنَهُمُ   لَوْ كَانَ ذَنْبٌ لَهُ أَحْرَى وَ قَدْ رَشِدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ مَعْنَى الغفر جَاءَ هُنَا   تَنْزِيهُهُ مِنْ جَمِيعِ العَيْبِ فِي الشُّهَدَا
وَ مَا اسْتَدَلُّوا بِهِ مِنْ وَضْعِ وِزْرِهِ عَنْهُ فَهْوَ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ عُدَّ مُنْتَقَدَا
فَقِيلَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلِ النُّبُوَّةِ مِمَّا كَانَ فِي صُورَةِ الذَّنْبِ الَّذِي شهدَا
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ حِفْظُهُ وَ عِصْمَتُهُ   فَلَمْ يُرَى الظَّهْرُ مِنْهُ مُثْقَلًا أَبَدَا
وَ قِيلَ مَا كَانَ عَانَى فِي رِسَالَتِهِ   حَتَّى اسْتَرَاحَ وَ أَدَّاهَا أَتَمَّ أَدَا
وَ قِيلَ قَدْ حَطَّ عَنْهُ ثِقْلَ مَا صَنَعَتْهُ الجَاهِلِيَّةُ مِمَّا خَالَفَ الرَّشَدَا
وَ قِيلَ مَا شَغَلَ الأَفْكَارَ مِنْهُ إِلَى   أَن اهْتَدَى وَ إِلَى الحَقِّ الْمُبِينِ هَدَى
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ تَخْفِيفُ الَّذِي حَمَلَتْهُ نَفْسُهُ فَوَقَاهُ اللهُ كُلَّ رَدَى
إِذْ كَانَ ينقض ذَاكَ الظَّهْرَ مِنْهُ وَ لَكِنْ خَفَّفَ الحَقُّ عَنْهُ فِيهِ مَا وَجَدَا
فَكَانَ بِالأَمْرِ مُهْتَمًّا فَنَفَّسَ عَنْهُ الحَقُّ مَا مِنْهُ قَدْ تَنَفَّسَ الصُّعَدَا

وَ مَا اسْتَدَلُّوا بِهِ مِنْ ضِمْنِ جُمْلَةِ قَوْ   لِهِ عَفَا اللهُ عَنْكَ فِي الَّذِي وَرَدَا
فَلَمْ تَقُمْ حُجَّةٌ فِي العَالَمِينَ بِهِ   لِأَنَّهُ عَنْهُ مَا نَهَى بِنَهْجِ هُدَى
بَلْ ذَاكَ مَا فِيهِ لِلنَّبِي مُعَاتَبَةٌ   لَدَى ذَوِي العِلْمِ مِمَّنْ فَضْلُهُمْ شَهِدَا
وَ هَا هُنَا قَالَ نفطويه كَانَ رَسُو   لُ اللهِ فِي إِذْنِهِ مخيراً حَمِدَا
وَ اللهُ حَاشَاهُ مِنْ عِتَابِهِ وَ بِعَفْوٍ مِنْهُ خَاطَبَهُ وَ زَادَهُ رَشَدَا
قُلْنَا وَكَيْفَ وَ قَدْ قَالَ الإِلَهُ لَهُ   فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ بَيْنَ مَنْ قَعَدَا
وَ اللهُ أَطْلَعَهُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ   فَكَانَ فِي إِذْنِهِ سِرٌّ لَدَيْهِ بَدَا
وَ قِيلَ مَعْنَى عَفَا وَ هُوَ الصَّوَابُ هُنَا   لَمْ يلزم الله ذنباً لِلنَّبِي أَبَدَا
وَ قَالَ مَكِّي هُوَ اسْتِفْتَاحُ صَدْرِ كَلَا   مٍ مِثْلَ أَصْلَحَكَ اللهُ اعْرِفِ الرَّشَدَا
وَ قِيلَ مَعْنَاهُ عَافَاكَ الإِلَهُ وَ فِي   هَذَا دُعَاءٌ لَهُ وَ فِيهِ خَيْرُ هُدَى
وَ الداودِي قَالَ فِيهَا فَهْيَ تكرمةٌ   لِلْمُصْطَفى فِي خِطَابِهِ الَّذِي مجدَا
أَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِمَا بِوَقْعَةِ بَدْ   رٍ كَانَ من أَسْرِهِ الأَسْرَى فَمَا اعْتُمِدَا
فَمَا بِهِ لِلنَّبِي ذَنْبٌ وَ فِيهِ أَتَى   بَيَانٌ مَا خَصَّهُ بِهِ لَدَى السُّعَدَا
كَأَنَّهُ قَالَ لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِكَ هَذَا بَيْنَ أَهْلِ نُبُوَّةٍ وَ مَا انتقدَا
مِثْلُ الغَنَائِمِ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ فَلَمْ   تَحِلَّ إِلَّا لَهُ طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
فَإِنْ تَقُلْ عَرَض الدُّنْيَا يذم وَ هُمْ   هُنَا أَرَادُوهُ وَ الإِيرَادُ فِيهِ غَدَا
قُلْنَا النَّبِي لَمْ يُرِدْ مِن بَيْنِهِمْ عَرَضاً   وَ مَالَهُ غَرَضٌ إِلَّا بَيَانُ هُدَى
وَ قِيلَ قَدْ خُيِّرَ النَّبِيُّ فِيهِ هُنَا   فَكَانَ مَا اخْتَارَهُ الأَصْحَابُ خَيْرَ فِدَا
وَ قِيلَ قَدْ نَزَلَتْ حِينَ انْهِزَامِ عِدَا   هُ يَوْمَ بَدْرٍ وَ حَازَ صَحْبُهُ المَدَدَا
هُمْ قَد اشْتَغَلُوا بِغنمِ مَا وَجَدُوا   عَمَّنْ قَد انْهَزَمُوا مِنْ سَائِرِ العُنَدَا
حَتَّى لَقَدْ خَشِيَ المَوْلَى الرِّضَى عُمَرُ   مِنْ كَرَّةٍ لِلعِدَا عَلَيْهِمُ بعدَا
وَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي ذَاكَ قَالَ لَهُمْ   لَوْلَا كِتَابٌ وَ هَذَا لِلجَمِيعِ بَدَا
فَقِيلَ مَعْنَاهُ لَوْلَا السَّابِقِيَّةُ أَ   نَّ اللهَ مِنْ قَبْلِ نَهْيٍ لَمْ يُبِدْ أَحَدَا

لَعَذَّبَ اللهُ قَبْلَ النَّهْيِ مِنْهُ هُنَا   مَنْ خُوطِبُوا وَ هُمْ مِنْ جُمْلَةِ الشُّهَدَا
وَقِيلَ لَوْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ لَعُو   قِبْتُمْ عَلَى مَا مَدَدْتُمْ إِلَيْهِ يَدَا
وَقِيلَ لَوْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الغَنَائِمُ قَدْ   حلتْ لَكُمْ فِي الوَرَى عُوقِبْتُمْ بِرَدَى
فَكَانَ أَسْرُ الأُسَارَى غَيْرَ مَعْصِيَةٍ   هُنَا لِمَنْ عَرَفَ المَعْنَى الَّذِي قُصِدَا
وَقِيلَ خُيِّرَ فِي ذَاكَ النَّبِيُّ فَمَا   لَ صَحْبُهُ الحَاضِرُونَ عِنْدَهُ لِفِدَا
كَانَ اخْتِيَارُهُمُ الفِدَا وَ قَدْ قُتِلُوا   مِنْ بَعْدِ عَامِهِمْ بِقَدْرِهِمْ عَدَدَا
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ جَمْعَهُمُ   بِأَنْ يَمُوتُوا إِذَا اخْتَارُوا الفِدَا شُهَدَا
وَ لَمْ يَكُونُوا عُصَاةً فِي اخْتِيَارِهِمُ   لَكِنَّهُمْ فِيهِ كُلٌّ عُدَّ مُجْتَهِدَا
وَ اخْتَارَ قَتْلَ الأُسَارَى بَيْنَهُمْ عُمَرُ   وَ رَأْيُهُ هَا هُنَا عِنْدَ النَّبِي حُمِدَا
فَعَاتَبَ اللهُ غَيْرَ الآخِذِينَ بِرَأْ   يِهِ وَ إِنْ شَاهَدُوا وَ اسْتَشْهَدُوا أُحُدَا
وَ الدَّاوُدِي قَدْ نَفَى ثبوتَ مَا ذَكَرُوا   هُنَا مِنَ الخَبَرِ الَّذِي هُنَا وَرَدَا
فَقَالَ لَو صَحَّ تَخْيِيرُ النَّبِيِّ لَمَا   سَاغَ اجْتِهَادُ النَّبِي فِيمَا بِهِ اجْتَهَدَا
وَ ابْنُ العَلاَ قَالَ إِنَّ اللهَ أَخْبَرَهُ   بأن ما اختاره قد وافق الرشدا
قَدْ وَافَقَ السابقيةَ المُبِيحَةَ لِلفِدَا وَ غَنْمِ غَنَائِم لَهَا قصدا
وَ قَبْلَ هَذَا بِنَحْوِ العَامِ كَانَ فِدَا   عُثْمَان خدنَ ابْنِ كِيسَانَ الَّذِي سَعِدَا
وَ لَمْ يَقَعْ فِيهِ عتْبُ الحَقِّ مِنْهُ عَلَى   الفِدَاءِ مِنْهُمْ وَ لَكِنْ فِيهِ مَا انْتُقِدَا
فَمَا هُنَا مِنْ عِتَابِ الحَقِّ لَيْسَ بِعَتْبٍ بَلْ لتكرمةِ النَّبِي مَعَ الشُّهَدَا
وَ فِي احْتِجَاجِهِمُ بِقَوْلِهِ عَبَسَ اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ ذَنْبٌ مِنْهُ قَدْ وُجِدَا
وَ إِنَّمَا فِيهِ إِعْلاَمُ النَّبِيِّ بِأَ   نَّ مَنْ تَصَدَّى لَهُ عَنِ الهُدَى طُرِدَا
وَ أَنَّهُ لَوْ رَآهُ بَاطِناً لَتَصَدَّى عَنْهُ بِالصَّدِّ لِلأَعْمَى الَّذِي شهدَا
وَ كَانَ إِقْبَالُهُ عَلَيْهِ لاَ لِهَوَى   نَفْسٍ وَ لَكِنْ بِهِ أَطَاعَ مَنْ عبدَا
وَ قِيلَ إِنَّ الَّذِي لَدَيْهِ قَدْ عَبَسَ المَوْصُوفُ بِالكُفْرِ لاَ النَّبِيّ وَ انْتُقِدَا
أَمَّا احْتِجَاجُهُمُ بِأَكْلِ آدمَ مِمَّا اللهُ عَنْهُ نَهَاهُ فَهْوَ مَا اعْتُمِدَا

فَإِنَّ مَعْنَى عَصَى مِنْ بَعْده فَغَوَى   قَدْ ضَلَّ أَوْ أَخْطَأَ الْمُرَادَ مُجْتَهِدَا
وَ اللهُ أَخْبَرَنَا بِقَوْلِهِ فَنَسِي   وَ ذَاكَ فِي عُذْرِهِ عَمَّا لَهُ عهدَا
قَالَ ابْنُ زَيْدٍ لَقَدْ نَسَى عَدَاوَةَ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ الَّذِي عَلَيْهِ قَدْ حَقَدَا
وَ قِيلَ قَدْ غَرَّهُ بِمَا أَبَانَ لَهُ   مُخَادِعاً فَنَسَى الَّذِي بِهِ وُجِدَا
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الأَرْضَى وَ سُمِّيَ إِنْسَاناً لِنِسْيَانِهِ لِمَا لَهُ عُهِدَا
وَ قِيلَ بِالأَكْلِ لَمْ يَنْوِ مُخَالَفَةً   أَوْ كَانَ سَكْرَانَ حَالَ الأَكْلِ وَ انْتَقِدَا
قَالَ ابْنُ فُورَكَ مِنْ قَبْلِ النُّبُوَّةِ كَا   نَ أَكْلُهُ وَ هْوَ فِي الإِمْكَانِ مَا بَعُدَا
وَ قِيلَ بَلْ أَكْلُهُ قَدْ كَانَ فِيهِ مُوَ   وَّ لاَ لِجِنْسِ الَّذِي بِالنَّهْيِ قَدْ قَصَدَا
لِذَاكَ تَوْبَتُهُ كَانَتْ لِتَرْكِ تَحَفُّظٍ كَمَا قِيلَ لاَ لِلخلفِ فِي السُّعَدَا
وَ قِيلَ أَول نَهْيِّ الحَقِّ مِنْهُ لَهُ   بِكَوْنِهِ لَيْسَ لِلتَّحْرِيمِ أَيْنَ غَدَا
فَإِنْ تَقُلْ أنَّهُ قَدْ قَالَ فِيهِ عَصَى   وَ مُقْتَضَاهُ بِأَنَّ الذَّنْبَ مِنْهُ بَدَا
قُلْنَا سَيَأْتِي لَنَا الجَوَابُ عَنْهُ بِمَا   عَنْ ذِكْرِهِ هَا هُنَا فِيهِ الغِنَى وُجِدَا
وَ مَا بِيُونسَ حَلَّ فِي قَضِيَّتِهِ   فَلَيْسَ ذَنْباً لَدَى مَنْ يَبْتَغِي الرَّشَدَا
وَ إِنَّمَا نَقَمَ المَوْلَى عَلَيْهِ خُرُو   جَهُ عَنِ الأُمَّةِ الَّتِي لَهَا وَفَدَا
فَفَرَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي العَذَابُ لَهُمْ   مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ لَهُ إِذْ عَنْهُمُ بَعُدَا
وَ قِيلَ لَمَّا عَفَا عَنْهُمْ إِلَهُهُمُ   قَدْ قَالَ لَمْ أبقَ مَعْهُمْ كَاذِباً أَبَدَا
فَفَرَّ مِنْهُمْ فَعَابَ الحَقُّ ذَاكَ عَلَيْهِ حَيْثُ لَمْ يَبْقَ فِيهِمْ فِي كَمَالِ هُدَى
وَ قِيلَ قَدْ خَافَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ إِذَا افْتَرَى امْرُؤٌ بَيْنَهُمْ سَقَوْهُ كَأْسَ رَدَى
وَ قِيلَ عَنْ حَمْلِ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ قَدْ   أَضْحَى ضَعِيفاً وَ فَرَّ مِنْهُمُ حَرِدَا
وَ لَيْسَ فِي هَذِهِ الأَقْوَالِ مَعْصِيَةٌ   إِلاَّ عَلَى قَوْلِ مَنْ مَقَالُهُ انتقدَا
وَ الوَاسِطِي هَا هُنَا قَدْ قَالَ أَظْهَرَ يُو   نُسُ هُنَا أَدَباً عَلَيْهِ قَدْ حُمِدَا
فَإِنَّهُ نَسَبَ الظُّلْمَ المُلِمَّ بِهِ   لِنَفْسِهِ لاَ لِرَبِّهِ الَّذِي عبدَا
وَ مِثْلُهُ آدَمٌ بِالظُّلْمِ مُعْتَرِفٌ   وَ مَعْهُ حَوَّاء وَ هْوَ ملحظُ السُّعَدَا

وَمَا تَقَوَّلَهُ أَهْلُ الكِتَابِ وَعَنْهُمْ بَعْضُ مَنْ فَسَّرَ القُرْآنَ مَا وَرَدَا
فَجُلُّهُ كَذِبٌ مَا صَحَّ فِي خَبَرٍ   وَالحَقُّ مُتَّضِحٌ لِمَنْ يُرِيدُ هُدَى
أَمَا فَتَنَّاهُ فِي نَصِّ الكِتَابِ فَمَعْنَاهُ اخْتَبَرْنَاهُ فِي القَوْلِ الَّذِي اعْتُمِدَا
وَجَاءَ فِي لَفْظِ أَوَّابٍ لِطَالِبِ مَعْنَاهُ مُطِيع لَدَى مَن ابْتَغَى رَشَدَا
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الأَرْضَى وَغَايَةُ مَا   هُنَا تَشَوُّفُ دَاوُدُ لما شهدَا
فَقَدْ رَأَى امْرَأَةَ امْرِىءٍ فَقَالَ لَهُ   تَخَلَّ لِي فِي المَلاَ عَنْهَا تَنَلْ مَدَدَا
وَالحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي ذَاكَ عَاتَبَهُ   بِمَا بِهِ قَدْ أَنَابَ بَعْدَ مَا سَجَدَا
وَقِيلَ عَاتَبَهُ مِنْ أَجْلِ خُطْبَتِهِ   لَهَا عَلَيْهِ وَفِي عُلْيَاهُ قَدْ صَعِدَا
وَقِيلَ كَانَ مُؤَمِّلاً تَزَوُّجَهَا   وَزَوْجُهَا فِي المَلاَ لِغَزْوَةٍ قَصَدَا
أَحَبَّ فِيهَا لَهُ اسْتِشْهَادَهُ لِتَكُونَ بَعْدَهُ زَوْجَةً لَهُ وَقَدْ شهدَا
قَالَ الأَجَلُّ السَّمَرْقَنْدِي وَنِسْبَةُ دَاوُدَ إِلَى الخَصْمِ ذَاكَ الظُّلْم مُجْتَهِدَا
هُوَ الَّذِي اسْتَغْفَرَ الإِلَهَ مِنْهُ وَفِي   تِعْدَادِهِ مِنْ قَبِيلِ ذَنْبِهِ انتقدَا
وَالأَبْهَرِي وَابْنُ نَصْرٍ فِي المَلاَ نَفَيَا   مَا قِيلَ مِن هذه الأَخْبَارِ فِي الرُّشَدَا
وَالدَّاوُدِي قَالَ لَمْ يثبتْ بِهَا خَبَرٌ   وَكَيْفَ يَبْغِي نَبِيٌّ قَتْلَ مَنْ سَعِدَا
وَقِيلَ أَنَّ النِّعَاجَ وِفْقَ ظَاهِرِهَا   فِيهَا قد اخْتَصَمَ الخصمَانِ فِي الشُّهَدَا
وَقِيلَ ذَلِكَ مِنْهُ مِنْ تَخَوُّفِهِ   مِنْ فِتْنَةِ المُلْكِ وَالدُّنْيَا الَّتِي حشدَا
أَمَّا قَضِيَّةُ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ   فَمَا عَلَى يُوسُفٍ فِيهَا العِتَابُ غَدَا
وَمَا لِإِخْوَتِهِ نُبُوَّةٌ ثَبَتَتْ   حَتَّى يُقَالَ عَلَيْنَا فِعْلُهُمْ وَرَدَا
وَقِيلَ كَانُوا صِغَاراً حَالَ فعلتِهِمْ   بِهِ وَهَذَا غَدَا بِالحَقِّ منتقدَا
وَمَا أَتَى فِي الكِتَابِ مِنْ وَهَمَّ بِهَا   فَالهَمُّ غَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِهِ أَبَدَا
وَقِيلَ هَمَّ بِهَا بِزَجْرِهَا وَبِوَعْظِهَا وَقِيلَ بِهَا قَدْ أَوْدَعَ الكَمَدَا
وَقِيلَ هَمَّ بِهَا بِضَرْبِهَا وَبِدَفْعِهَا وَقِيلَ رَآهَا وَهْوَ قَدْ بعدَا
وَاللهُ قَدْ صَرَفَ الفَحْشَاءَ عَنْهُ فَكَيْفَ يَفْعَلُ السُّوءَ وَهْوَ فِي حِمَاهُ غَدَا

وَرَبِّيَ اللهُ فِي التَّفْسِيرِ جَاءَ وَقِيلَ رَبِّيَ المَلِكُ الَّذِي لَهُ اسْتَنَدَا
وَقِيلَ قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ مَبْعَثِهِ   وَالذَّنْبُ مِنْ قَبْلِهَا فِيهِ الخِلاَفُ بَدَا
وَقَالَ بَعْضُهُمُ مَا زَالَ يُوسُفُ فِي   مَيْلِ النِّسَاءِ لَهُ عَنْهُنَّ مُبْتَعِدَا
حَتَّى تَنَبَّأَ فَازْدَادَتْ مَهَابَتُهُ   وَصَارَ فِي مِنْعَةٍ بِالحُسْنِ مُنْفَرِدَا
وَبَعْدَ ذَاكَ قَطَعْنَ النَّاسَ مِنْهُ كَمَا   قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
أَمَّا قَضِيَّةُ مُوسَى وَالقَتِيلِ فَقَدْ   كَانَ القَتِيلُ مِنَ الأَعْدَا عَلَيْهِ عَدَا
وَقِيلَ كَانَ مِنَ القِبْطِ الَّذِينَ عَلَى   مِنْهَاجِ فِرْعَوْنَ لاَ يُوَحِّدُ الأَحَدَا
وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلِ النُّبُوَّةِ مِنْهُ وَاقِعاً وَهْوَ مَا لِقَتْلِهِ قَصَدَا
وَكُلُّ مَا كَانَ عَنْ غَيْرِ التَّعَمُّدِ لاَ   يُعَدُّ مَعْصِيَةً فِي مَنْهَجِ الرُّشَدَا
وَاللهُ سُبْحَانَهُ ابْتَلاَهُ وَهْوَ مُفَا   دُ قَوْلِهِ وَفَتَنَّاكَ اعْرِفِ السَّدَدَا
فَقِيلَ فِتْنَتُهُ بِنَفْسِ قِصَّتِهِ   وَمَا لَهُ كَانَ مَعْ فِرْعَونَ فِي الشُّهَدَا
وَقِيلَ إِلْقَاؤُهُ فِي اليَمِّ ذَاكَ وَقِيلَ فِيهِ مَعْنَاهُ أَخْلَصْنَاكَ فِي السُّعَدَا
وَلاَ تَعَدِّيَ فِيمَا كَانَ مِنْهُ هُنَا   وَلَطْم مَنْ لِانْتِشَالِ رُوحِهِ وَرَدَا
وَلَمْ يَكُنْ عَالِماً بِأَنَّهُ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي لَمْ يُقَاوِمْهُ امْرُؤٌ أَبَدَا
وَبَعْدَ إِخْبَارِهِ بِأَنَّهُ مَلَكٌ   أَلْقَى لَهُ النَّفْسَ وَهْوَ فِي كَمَالِ هُدَى
قَالَ الرِّضَى المَازِرِي وَقَدْ تَأَوَّلَ هَذِي القِصَّةَ العُلَمَا بِمَا قَد اعْتُمِدَا
فَلَطْمُهُ عِنْدَهُمْ بِحُجَّةٍ قَوِيَتْ   وَفَقْؤُهُ عَيْنَهُ بِهَا لَدَى العُمَدَا
أَمَّا سُلَيْمَانَ بَيْنَ الخَلْقِ فِتْنَتُهُ ابْتِلاَؤُهُ بِالَّذِي عَنِ النَّبِي وَرَدَا
فَإِنَّهُ لَمْ يُفَوِّضْ لِلمَشِيئَةِ فِي   مَا قَالَ لاَ بُدَّ لِي بِأَنْ أَرَى وَلَدَا
فَجَاءَ مِمَّا تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ   شِقٌّ وَأَضْحَى عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدَا
وَذَنْبُهُ حِرْصُهُ عَلَى تَعَدُّدِ أَوْ   لاَدٍ لَدَيْهِ عَلَى وفقِ الَّذِي قَصَدَا
وَقِيلَ فِيمَا تَمَنَّى ذَنْبُهُ وَلَوِ اسْتَثْنَى لَمَا عُدَّ ذَنْباً مَعْ كَمَالِ جَدَى
وَقِيلَ بَلْ ذَنْبُهُ فِيمَا أَحَبَّ بِقَلْبِهِ مِنَ النَّصْرِ لِلأَخْتَانِ فِي الشُّهَدَا

وَقِيلَ أُوخِذَ بِالذَّنْبِ الَّذِي اقْتَرَفَتْهُ بَعْضُ نِسْوَتِهِ وَمَا لَهُ شَهِدَا
وَقِيل فِتْنَتُهُ فِي سَلْبِ خَاتَمِهِ   عَنْهُ وَقَدْ كَانَ فِيهِ مُلْكُهُ وُجِدَا
وَلَا تَصِحُّ الْخُرَافَاتُ الَّتِي ذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ هُنَا لِكَوْنِهَا فَنَدَا
فَمَا عَلَى الأَنْبِيَا سُلْطَانُ شيطنةٍ   بِمِثْلِ مَا ذَكَرُوهَا هَاهُنَا أَبَدَا
إِنْ قِيلَ لِمْ لَمْ يُفَوِّضْ لِلْمَشِيئَةِ فِيمَا قَالَهُ هَاهُنَا وَسَعْيُهُ حَمِدَا
قُلْنَا الْجَوَابُ هُنَا عَنْهُ بِأَجْوِبَةٍ   أَسَدُّهَا أَنَّهُ نَسِيَ كَمَا وَرَدَا
وَقِيلَ لَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى مُذَكِّرِهِ   بِقَوْلِ إِنْ شَاءَ رَبِّي بِالَّذِي وَجَدَا
وَلَمْ يَكُنْ غِيرَةً مِنْهُ السُّؤَالُ مِنَ الْمَوْلَى لِمُلْكٍ لَهُ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدَا
وَإِنَّمَا قَصْدُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لِغَيْرِهِ سَبِيلٌ عَلَيْهِ فِي الَّذِي قَصَدَا
وَقِيلَ بَلْ قَصْدُهُ اخْتِصَاصُهُ بِمَزِيَّةٍ كَمَا خَصَّ كُلَّ الأَنْبِيَا الرُّشَدَا
وَقِيلَ كَيْ مَا يُرَى عَلَى نُبُوَّتِهِ   مِنْ أَقْطَعِ الْحُجَجِ الَّتِي تَزِيدُ هُدَى
أَمَّا قَضِيَّةُ نُوحٍ وَهْيَ وَاضِحَةٌ   فِي نَفْيِ مَعْصِيَةٍ عَنْهُ لَدَى الشُّهَدَا
فَقَوْلُهُ ابْنِي مِنْ أَهْلِي لَا يَدُلُّ عَلَى   وُقُوعِ شَكٍّ لَهُ فِيمَا بِهِ وعدا
لَكِنَّهُ عِنْدَ حَمْلِ أَهْلِهِ مَعَهُ   بِالأَمْرِ أَوَّلَ أَنَّ مِنْهُمُ الْوَلَدَا
فَاسْتَفْهَمَ الْحَقَّ عَنْ سِرٍّ أُنِيطَ بِهِ   فِي تَرْكِهِ الْوَلَدَ الَّذِي لَهُ وُلِدَا
فَبَيَّنَ الْحَقُّ أَنَّ الإِبْنَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَمْ يَكُ يَدْرِي أَنَّهُ طُرِدَا
فَخَافَ نُوحٌ بِعَتْبِ الْحَقِّ فِيهِ لَهُ   مَعْ أَنَّهُ مَالَهُ ذَنْبٌ هُنَا وُجِدَا
وَلَيْسَ فِي حَرْقِ بَعْضِ الأَنْبِيَاءِ هُنَا   لِقَرْيَةِ النَّمْلِ مِنْ ذَنْبٍ لَهُ وَرَدَا
وَإِنَّمَا فِعْلُهُ غَدَا لِمَصْلَحَةٍ   بِقَتْلِهِ ذَلِكَ النَّمْلَ الَّذِي احْتَشَدَا
وَصَبْرُهُ كَانَ أَوْلَى فِي تَحَمُّلِهِ   الأَذَى وَتَرْكُ التَّشَفِّي فِي الَّذِي شَهِدَا
وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ ذَاكَ الإِنْتِقَامُ لِنَفْسِهِ وَلَكِنْ لِدَفْعِ الضُّرِّ قَدْ عَمَدَا
فَإِنْ تَقُلْ غَيْرُ يَحْيَ قَدْ أَلَمَّ بِذَنْبٍ فِي الْوَرَى مَا تَقُولُ طِبْقَ مَا وَرَدَا
قُلْنَا أُجِيبَ بِأَنَّ كُلَّ مَعْصِيَةٍ   بَلْ فِعْلُهَا لَمْ يَكُنْ لِلأَنْبِيَا قَصَدَا

وَذَاكَ قَبْلَ نُبُوَّةٍ لِغَفْلَتِهِمْ   عَنْهَا وَلِلسَّهْوِ أَيْضاً طِبْقَ مَا اعْتُقِدَا

فصل

إِنْ قُلْتَ مَعْنَى عَصَى فِي حَقِّ آدَمَ ثُمَّ قِيلَ فِيهِ غَوَى فَبَيِّنِ الرَّشَدَا
فَإِنَّ كُلَّ المَعَاصِي عِنْدَكُمْ نفيتْ   عَنْ سَائِرِ الأَنْبِيَا فِيمَا خَفَا وَبَدَا
وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي القُرْآنِ بَلْ وَأَحَا   دِيثِ الصَّحِيحِ اعْتِرَافُ الأَنْبِيَا الرُّشَدَا
وَهَلْ عَلَى نَفْسِهِمْ كَانَ التَّخَوُّفُ مِنْ   لاَ شَيْءَ مُسْتَغْفِرِينَ اللهَ فِي الشُّهَدَا
فَاعْلَمْ وَأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ لَهُمْ   مَقَامُ مَعْرِفَةٍ بِاللهِ قَدْ صَعِدَا
وَلَمْ يَكُنْ لِسِوَاهُمْ مِثْلُ مَا عَرَفُوا   مِنَ الكَمَالِ الَّذِي بِهِ قَد انْفَرَدَا
لَهُ قَدَ اعْتَرَفُوا بِمَا بِهِ غَرَفُوا   مِنْ فَضْلِ إِحْسَانِهِ فَزَادَهُمْ مَدَدَا

وَكُلَّمَا زَادَهُمْ قُرْباً وَتكرمةً   زَادُوا خُضُوعاً وَخَوْفاً فِي كَمَالِ هُدَى
يخشُونَ فِي قُرْبِهِمْ مِنْ أَنْ يُؤَاخِذَهُمْ   بِمَا بِهِ لَمْ يُؤَاخِذْ غَيْرَهُمْ أَبَدَا
يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَى السِّوَى لِقُرْبِهِمُ   فِي الفِعْلِ وَالتَّرْكِ مِنْهُمْ هَاهُنَا وَغَدَا
فَيُكْثِرُونَ مِنَ اسْتِغْفَارِهِمْ وَجَلَيْنَ مِنْهُ مَعْ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ سُعَدَا
يَرَوْنَ ذَلِكَ وَ هُوَ خَيْرُ مَعْصِيَةٍ   كَأَنَّ أَكْبَرَ ذَنْبٍ مِنْهُمُ وُجِدَا
وَاللهُ عَاتَبَ مِنْهُمْ بَعْضَهُمْ وَعِتَا   بُهُ عِتَابُ مُحِبٍّ مُخْلِصٍ شهدَا
لَكِنْ عَلَيْهِمْ قَضَى إِجْلاَلَهُ وَجَلاَ   لُهُ تَخَوُّفَهُمْ مِنْهُ لِغَيْرِ مَدَى
مَعْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ عُدَّ مِنْ حَسَنَا   تِ غَيْرِهِمْ وَلَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ غَدَا
وَفِي الحَقِيقَةِ ذَاكَ غَيْرُ مَعْصِيَةٍ   زَادُوا بِهَا قُرْبَةً فِي حَضْرَةِ السُّعَدَا
فَهُمْ هُمُ الأَنْبِيَا المُقَرَّبُونَ مَعَا   صِيهِمْ هِيَ الحَسَنَاتُ لِلَّذِي سَعِدَا
أَمَّا غَوَى فَمِنَ الغَيِّ المُفَسَّرِ بِالْجَهْلِ المَنُوطِ بِمَا لِأَكْلِهِ عمدَا
لَمْ يَعْرِف الدَّوْحَةَ الَّتِي تَنَاوَلَ مِنْهَا الأَكْلَ وَهْوَ لَهَا مُؤَوِّلاً قَصَدَا
وَقِيلَ مَعْنَى غَوَى فِي الذِّكْرِ أَخْطَأَ فِي   قَصْدِ الخُلُودِ وَقِيلَ عَيْشُهُ فَسَدَا

فَانْظُرْ إِلَى يُوسُفَ الكَرِيمِ فَهْوَ بِمَا   قَدْ قَالَ أُوخِذَ فِي سِجْنٍ بِهِ قَعَدَا
لَوْلاَ مَقَالَتُهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ سِنِيناً يَرْقُبُ الفَرَجَ الَّذِي لَهُ وَرَدَا
قَالَ ابْنُ دِينَارٍ الأَرْضَى لِيُوسُفَ قَدْ   قِيلَ اتَّخَذْتَ وَكِيلاً دُونَ مَنْ عبدَا
فَقَالَ يَا رَبِّ أَنْسَتْنِي البَلِيَّةُ ذِكْرَكَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُنَوِّرُ الخَلَدَا
وَجَاءَ فِي قَوْلِ أَنْسَاهُ الضَّمِيرُ لِيُوسُفَ وَقِيلَ لِصَاحِبٍ لَهُ شَهِدَا
وَبَعْضُهُمْ قَالَ أن الأنبِيَاءَ يُؤَاخَذُونَ بِالذَّرِّ فِيمَا قَدْ خَفَا وَبَدَا
فَهُمْ لِرِفْعَتِهِمْ يُؤَاخَذُونَ بِمَا   بِهِ السِّوَى لَمْ يُؤَاخَذْ فِي طَرِيقِ هُدَى
إِنْ قُلْتَ إِنْ أُوخِذُوا بِذَاكَ دُونَهُمُ   كَانُوا بِأَسْوءِ حَالٍ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
فَاعْلَمْ وَأَنَّهُمُ يُؤَاخَذُونَ بِدُنْيَاهُمْ وَهُمْ فِي العُلاَ مَقَامُهُمْ صَعِدَا
لِذَاكَ قَدْ قِيلَ فِي زَلاَّتِهِمْ زلف   لَدَى الحَقِيقَةِ عِنْدَ مَنْ لَهُمْ شَهِدَا
وَجَاءَ ذَلِكَ تَنْبِيهاً لِغَيْرِهِمُ   أَيْضاً فَيَسْتَشْعِرُوا مَا زَادَهُمْ رَشَدَا
فَيلزَمُوا الشُّكْرَ مَعْ صَبْرٍ عَلَى مِحَنٍ   ويلزَمُوا الخَوْفَ مِمَّا مِنْهُمُ عهِدَا
لِذَاكَ صَالِحُ المرِّي يَقُولُ نَرَى   فِي ذِكْرِ قِصَّةِ دَاوودَ حَوَى مَدَدَا
فِيهَا نَرَى بسطةً لِلتَّائِبِينَ لِكَيْ   لاَ يَيْأَسُوا وَلَهُمْ فِيهَا الكَمَالُ غَدَا
وَقَالَ نَجْلُ عَطاء ذِكْرُ قِصَّةِ يُونُسَ بِهَا لِلنَّبِي اسْتِزَادَةٌ لِجَدَى
بِهَا عَلَى قَوْمِهِ الصَّبْرُ الجَمِيلُ لَهُ   وَلَيْسَ فِي ذَاكَ نَقْصٌ فِي الهُدَى وُجِدَا
وَللمُجِيزِ عَلَيْهِمْ ذَاكَ قِيلَ إِذَا الكَبَائِرُ اجْتُنِبَتْ فِيمَا خَفَا وَبَدَا
وَعِنْدَكُمْ غُفِرَتْ تِلْكَ الصَّغَائِرُ مَا   مَعْنَى المُؤَاخَذَةِ الَّتِي بِهَا انتقَدَا
فَمَا أَجَبْتُمْ بِهِ فَهْوَ الجَوَابُ لَنَا   فَنَحْنُ لِلأَنْبِيَا بِعِصْمَةٍ شُهَدَا
وَقِيلَ تَوْبَةُ الأَنْبِيَا وَكَثْرَةُ الإِسْتِغْفَارِ مِنْهُمْ خُضُوعٌ لِلَّذِي عبدَا
قَدْ لاَزَمُوا ذَاكَ شُكْراً فِي الوُجُودِ لَهُ   وَقِيلَ كَيْ يقتدى بِهِمْ بِنَهْجِ هُدَى
قَالَ الإِمَامُ المُحَاسِبِي مَخَافَةُ الأَنْبِيَا مَخَافَةُ إِعْظَامٍ بِهِمْ عهدَا
فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ مَعْ مَلاَئِكَةٍ   لَكِنْ تَعَبُّدُهُمْ يقْضِي بِمَا شهدَا

وَقِيلَ ذَاكَ لِمَعْنَى وَهْوَ عِنْدَهُمُ اسْتِدْعَاءُ حُبِّ الإِلَهِ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
فَاللهُ سُبْحَانَهُ لِلتَّائِبِينَ وَمَنْ   تَطَهَّرُوا قَدْ أَحَبَّ طِبْقَ مَا وَعَدَا
وَأَنَّهُ أَمَرَ النَّبِي الرَّسُولَ بِتَسْبِيحٍ لَهُ مَعَ الاسْتِغْفَارِ دُونَ مَدَى
وَتَابَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ وَهْوَ لَهُ   غَفَّارُ ذَنْبٍ وَهَلْ ذَنْبٌ لَهُ وُجِدَا

فصل

قَد اسْتَبَانَ بِمَا قررت عِصْمَة خَيْرِ الخَلْقِ عَنْ كُلِّ وَصْفٍ لَمْ يَكُنْ حمدَا
مُنَزَّهٌ عَنْ جَمِيعِ الجَهْلِ مُتَّصِفٌ   بِالعِلْمِ بِاللهِ وَهْوَ أَفْضَلُ الشُّهَدَا
قَدْ بَلَّغَ القَوْمَ مَا عَلَيْهِ أَنْزَلَهُ الرَّبُّ الَّذِي قَدْ حَبَاهُ فِي الوَرَى الرَّشَدَا
قَبْلَ النُّبُوَّةِ بَلْ وَبَعْدَهَا كَمُلَتْ   لَهُ المُرُوءَةُ وَهْوَ سَيِّدُ الرُّشَدَا
الحَقُّ شِيمَتُهُ وَالصِّدْقُ قولتُهُ   وَالرِّفْقُ عَادَتُهُ فِيمَا خَفَا وَبَدَا
فَحَقَّ أَنْ تَتَلَقَّى بِالقَبُولِ جَمِيعَ مَا هُنَا قُلْتُ فِي النَّبِي تَفُزْ بِهُدَى
فَالنَّقْلُ قَالَ بِهِ وَالعَقْلُ عَاضَدَهُ   وَالحَقُّ فِي الخَلْقِ لاَ يَزَالُ معتضدَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَارِفاً بِمَا اسْتُحِقَّ لَهُ   فَرُبَّمَا لِلْخَطَا قَدْ صَارَ مُعْتَقِدَا
وَمَنْ يُنَزِّهْهُ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِهِ   يَحْظَى بِأَكْمَلِ إِيمَانٍ وَخَيْرِ جَدَى
وَمَنْ يَظُنَّ بِهِ مَا لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ يَلْقَ إِثْماً وَيَهْوَى فِي حَضِيضِ رَدَى
فَقَالَ هَذِي صَفِيَّةٌ وَقَوْلَتُهُ   تَنْفِي الَّذِي مِنْهُمَا يُشَوِّشُ الخَلَدَا
مُبَيِّناً لَهُمَا أَنَّ اللَّعِينَ جَرَى   مَجْرَى دَمٍ مِنْ بَنِي الإِنْسَانِ أَيْنَ غَدَا
هَذِي تُرَى هَاهنا إِحْدَى فَوَائِدِ مَا   قُلْنَا بِهَذِي الفُصُولِ فَاعْرِفِ السَّدَدَا
وَرُبَّمَا قَالَ ذُو جَهْلٍ وَذُو خَطَأٍ   تَرْكُ الكَلاَمِ عَلَى هَذَا لَدَيَّ هُدَى
مَعْ أَنَّ هَذِي الفُصُولَ فِي الهُدَى جَمَعَتْ   مَا صَارَ عِنْدَ ذَوِي الإِيمَانِ مُعْتَمَدَا
وَمَا بِهِ يَنْجَلِي تَشْغِيبُ مُخْتَلِفِي الأَعْلاَمِ فِي عِدَّةٍ مِنْهَا بِحُسْنِ أَدَا
وَذَلِكَ الحُكْمُ فِيمَا قَالَ أَوْ فَعَلَ النَّبِي وَمَنْصِبُهُ فِي الصِّدْقِ قَدْ صَعِدَا

وَفِي مُضَمَّنِهَا تَحْقِيقُ مَا الحَكَمُ التُّرْضَى حُكُومَتُه يحتاجُ مَا وجَدَا
يُفْتِي وَ يَحْكُمُ فِيمَنْ قَدْ أَضَافَ إِلى النَّبِيِّ شَيْئاً عَلَى وفقِ الَّذِي اعتمَدَا
وَكَيْفَ يُفْتِي وَ يَقْضِي مَنْ لِذَلِكَ لَمْ   يَعْرِفْ وَجَاهِلُ ذَاكَ لَنْ يَنَلْ رَشَدَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ   بِالحَقِّ لَمْ يَدْرِ حُكْماً بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
وَرُبَّمَا الجَاهِلُ القَاضِي بِشَهْوَتِهِ   وَلَوْ يُصَادِفُ حَقّاً لِلتَّرَدَى وَرَدَا
فَإِنَّهُ رُبَّمَا أَفْتَى بِسَفْكِ دَمٍ   بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَدْ يَرَى الخَطَا سَدَدَا
مُضَيِّعاً حُرْمَةَ النَّبِيِّ مُجْتَرِئاً   عَلَى بَرَاءَةِ مَنْ قَدْ عُدَّ ملتحدَا
وَ عِصْمَةُ الأَنْبِيَاءِ مَعْ مَلَائِكَةٍ   يَقْضِي بِهَا كُلُّ مَنْ قَد اهْتَدَى وَهَدَى
فَكُنْ بِهَا فِي ذَوِي الإِيمَانِ مُعْتَرِفاً   إِنْ كُنْتَ مُغْتَرِفاً مِنَ الهُدَى سَدَدَا

فصل

في القول في عصمة الملائكة عليهم السلام

قَدْ أَجْمَعَ المُؤْمِنُونَ بِالمَلَائِكَةِ الكِرَامِ أَنَّهُمُ قَدْ أَحْرَزُوا الرَّشَدَا
وَأَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ عُصِمُوا   مِنَ الخَطَا وَالخَطَايَا فِي كَمَالِ هُدَى
وَقَالَهُ العُلَمَا مِنْهُمْ كَمَا اتَّفَقُوا   عَلَيْهِ فِي رُسْلِهِمْ كَالأَنْبِيَا الرُّشَدَا
قَد بَلَّغُوا لَهُمُ فِي النَّاسِ مَا أُمِرُوا   حَقّاً بِتَبْلِيغِهِ كَمَا قَد اعْتُمِدَا
وَقَالَ بَعْضُهُمُ فِي غَيْرِ مُرْسَلِهِمْ   مَا قَالَ فِي بَعْضِهِمْ وَقَوْلُهُ انْتُقِدَا
وَبَعْضُهُمْ قَالَ فِي تَحْقِيقِ عِصْمَتِهِمْ   لاَ يَنْبَغِي لِفَقِيهٍ فِيهِمُ اعْتَقَدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ لاَ بَلِ الكَلَامُ هُنَا   مِثْلُ الكَلَامِ الَّذِي فِي الأَنْبِيَاءِ بَدَا
فَفِي الكَلَامِ عَلَيْهَا كَمْ فَوَائِدَ إِلاَّ   فِي الَّذِي مِنْهُمُ حَقّاً خَفَا وَرَدَا
فَنَحْنُ لَمْ نَطَّلِعْ إِلاَّ عَلَى جُمَلٍ   مِنْ مُجْمَلِ القَوْلِ فِيهِمْ نَوَّرَ الخَلَدَا
وَاحْتَجَّ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِعِصْمَةِ لِجَمِيعِهِمْ بِمَا لَمْ يَصِحَّ فِيهِمُ سَنَدَا

وَمَا أَتَى فِي القُرْآنِ مِنْ مَقَالَةِ هَا   رُوتَ وَمَنْ مَعَهُ فَفِيهِ خَيْرُ هُدَى
وَقَدْ أَطَالَ هُنَا المُفَسِّرُونَ بِمَا   فِي القَوْمِ مَا نَقَلُوهُ فِيهِمَا انتقدا
وَهَلْ عَلَى المَلَكَيْنِ السِّحْرُ أُنْزِلَ إِلاَّ   فِتْنَةً لِلَّذِي عَلَيْهِمَا وَفَدَا
هُمَا يَقُولاَنِ لاَ تَفْعَلْ كَذَا وَكَذَا   فَإِنَّ فَاعِلَهُ مِنَ الوَرَى طُرِدَا
فَكَانَ فِي ذَلِكَ امْتِحَانُهُ وَهُمَا   قَدْ حَذَّرَاهُ مِنَ الكُفْرِ الَّذِي قَصَدَا
قَالَ التجِيبِي وَمَا فِي الذِّكْرِ نَافِيَةٌ   كَأَنَّهُ قَالَ لَمْ يُنْزَلْ فخدا رشدا
وَلِلأَجَلِّ ابْنِ عَبَّاسٍ نُمِي وَلَدَ   يْهِ اللاَّمُ فِي المَلَكَيْنِ كَسْرُهَا اعْتُمِدَا
وَمَا عَلَى المَلَكَيْنِ اللهُ أَنْزَلَهُ   يُقَالُ لَيْسَ بِسِحْرٍ عِنْدَهُمْ وُجِدَا
هُمَا سُلَيْمَانُ مَعْ دَاوُدَ فِي نَظَرٍ   وَقِيلَ عِلْجَانَ أَوْ سِوَاهُمَا فسدا
وَقِيلَ جِبْرِيلُ مَعْ مِيكَائِلَ وَهُمَا   المُرَادُ بِالمَلَكَيْنِ فَاعْرِفِ الرَّشَدَا
عَلَيْهِمَا قَدْ تَقَوَّلَ اليَهُودُ كَمَا   تَقَوَّلُوا فِي سُلَيْمَانَ النَّبِي الفَنَدَا
حَاشَا ذَوِي العِصْمَةِ الرَّفِيعِ مَنْصِبِهِمْ   مِمَّا تَقَوَّلَهُ اليَهُودُ وَالعُنَدَا
فَالأَنْبِيَاءُ مَعَ الأَمْلاَكِ قَاطِبَةً   مُنَزَّهُونَ عَنِ العِصْيَانِ دُونَ مَدَى
أَمَّا قَضِيَّةُ إِبْلِيسَ الَّتِي ذَكَرُوا   فَلَمْ يَكُنْ مَلَكاً بَيْنَ الوَرَى طُرِدَا
لَكِنَّهُ لِجَمِيعِ الجِنِّ كَانَ أَباً   وَطَالَمَا عَبَدَ المَوْلَى وَمَا سَعِدَا
قَالَ ابْنُ حَوْشَبَ وَاسْتَثْنَى اللَّعِينَ مِنَ   الأَمْلاَكِ وَهْوَ سِوَاهُمْ فِي اللُّغَا اطُّرِدَا
فَلَيْسَ إِبْلِيسُ مِنْهُمْ فِي الحَقِيقَةِ لاَ   وَلاَ المَجَازِ وَلَكِنْ فِي الضَّلاَلِ غَدَا
لِآدَمٍ أَمَرَ الأَمْلاَكَ بَيْنَهُمُ   إِبْلِيسَ أَنْ يَسْجُدُوا وَمَا لَهُ سَجَدَا
مِنْ بَيْنِهِمْ هُوَ لَمْ يُؤْمَرْ وَأَدْخَلَ نَفْسَهُ وَأَبْدَى إِبَايَةً بِهَا طُرِدَا
وَمَا أَبَى غَيْرُهُ مِنَ السُّجُودِ وَمَا   فِيهِمْ يَقُولُ ذَوُوا الأَخْبَارِ مَا وَرَدَا
حَاشَا المَلاَئِكَةَ المُطَهَّرِينَ مِنَ العِصْيَانِ بَيْنَ الوَرَى فِيمَا خَفَا وَبَدَا
عَلَيْهِمُ وَعَلَى كُلِّ النَّبِيئِينَ مِنْ   رَبِّي الصَّلاَةُ مَعَ السَّلاَمِ دُونَ مَدَى
مَعَ السَّلاَمِ عَلَى كُلِّ الصَّحَابَةِ   وَالآلِ الكِرَامِ وَمَنْ قَدِ اهْتَدَى وَهَدَى

الباب الثاني

فيما يخصهم عليهم السلام في الأمور الدنيوية
ويطرأ عليهم من العوارض البشرية

قَدْ مَرَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ظَاهِرُهُ   يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الأَعْرَاضِ مَا شهدَا
عَلَيْهِ قَدْ جَازَ مَا عَلَى سِوَاهُ يَجُو   زُ مِنْ حَمَامٍ وَمَا يُهَيِّجُ الكَمَدَا
أَصَابَهُ الحَرُّ مَعْ قَرٍّ وَأَدْرَكَهُ   جُوعٌ وَضُرٌّ بِمَا يُفَتِّتُ الكَبِدَا
وَحَسْبُهُ الضُّعْفُ وَالإِعْيَاءُ وَالضَّجَرُ المُلِيمُ وَالغَضَبُ المُلِمُّ بِالرُّشَدَا
وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ أُصِيبَ بِهِ السَّوَى وَلَمْ يَكُ عَيْباً بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
وَالأَنْبِيَاءُ أُصِيبُوا قَبْلَهُ بِأُمُو   رٍ جَلَّ مَوْقِعُهَا وَسَعْيُهُمْ حُمِدَا
وَلَيْسَ يَلْحَقُهُمْ فِي ذَاكَ منقصةٌ   وَالنَّقْصُ فِي الأَنْبِيَاءِ لَم يجزْ أَبَدَا
فَمِنْهُمُ مَنْ رُمُوا فِي النَّارِ أَوْ نُشِرُوا   أَوْ قُتِّلُوا وَهُمُ مِنْ أَفْضَلِ الشُّهَدَا
وَمِنْهُمُ مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ عِدَا   هُ مِثْل خَيْرِ الوَرَى فَلَمْ يُصِبْهُ رَدَى
لأن أَصَابَ النَّبِي مِن ابْنِ قَمِئَةَ مَا   أَدْمَاهُ فِي أُحُدٍ لَمَّا عَلَيْهِ عَدَا
وَعَنْ عُيُونِ العِدَا مَا صَارَ مُحْتَجِباً   فِي الطَّائِفِ المُصْطَفَى وَقَدْ دَعَا لِهُدَى
فَاللهُ غَطَّى عَلَى عُيُونِهِمْ فَغَدَا   لِلغَارِ فِي رُفْقَةِ الصِّدِيقِ مُتَّئِدَا
وَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ فِي المَسِيرِ سُرَا   قَةَ الَّذِي قَدْ سَرَى إِلَيْهِ مُجْتَهِدَا
وَغَاصَ فِي الأَرْضِ حَتَّى كَادَ تبلعُهُ   فَاسْتَرْحَمَ المُصْطَفَى وَعَادَ مُرْتَعِدَا
وَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ سَيْفَ غَوْرَثَ حِينَ جَاءَهُ وَهْوَ حَالَ نَوْمِهِ انْفَرَدَا
وَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ مَا أَرَادَ أَبُو   جَهْلٍ بِهِ وَهْوَ فِي صَلَاتِهِ سَجَدَا
أَرَادَ يُلْقِي عَلَيْهِ حَالَهَا حَجَراً   لَكِنْ بِهِ يَبِسَتْ يَدَاهُ فِي البُعَدَا
وَإِنْ يَكُ المُصْطَفَى مَوْلَاهُ لَمْ يَقِهِ   مِن ابْنِ أَعْصَم سِحْراً طِبْقَ مَا وَرَدَا
فَقَدْ وَقَاهُ مِنَ السُّمِّ الَّذِي نَطَقَتْ   بِهِ الذِّرَاعُ لَهُ فَعُدَّ فِي الشُّهَدَا

وَهَكَذَا الأَنْبِيَاءُ مُشْتَكِي وَمُعَا   فَى مِنْهُمُ لِبَدِيعِ حِكْمَةٍ وجَدَا
فِيهِ الثَّوَابُ لَهُمْ فِيهِ الكَمَالُ لَهُمْ   فِي الخَلْقِ يَفْعَلُ مَا قَدْ شَاءَ مُنْفَرِدَا
فِيهِ انْكِشَافُ التِبَاسٍ عَنْ عُقُولٍ ضِعَا   فِ خَشْيَةَ الشِّرْكِ مِثْل مَنْ لَهُمْ عَبَدَا
وَكُلُّ مَا بِهِمُ قَدْ حَلَّ مِنْ عَرَضٍ   مَحَلُّهُ مِنْهُمُ مَا جَاوَزَ الجَسَدَا
أَمَّا بَوَاطِنُهُمْ فَكُلُّهَا سَلِمَتْ   مِنَ الطَّوَارِئِ فِي القَوْلِ الَّذِي اعْتُمِدَا
فَهُمْ هُمُ لَمْ يَكُونُوا مِثْلَ غَيْرِهِمُ   فِيمَا بِبَاطِنِهِمْ بَيْنَ العِبَادِ غَدَا
قُلُوبُهُمْ لَمْ تَنَمْ إِذَا هُمُ رَقَدُوا   لِذَاكَ خَيْرُ الوَرَى لَمْ يُحْدِثْ إِنْ رَقَدَا
فَهُمْ بِحَالِ المَنَامِ حَالُ يَقْظَتِهِمْ   وَإِنَّمَا الغَمْضُ فِي عُيُونِهِمْ شُهِدَا
وَهَلْ هُمُ فِي الشُّهُودِ مِثْلَ غَيْرِهِمُ   وَهُمْ قَد اسْتَسْلَمُوا للحَقِّ فِي الشُّهَدَا
قَد اطْمَأَنَّتْ بِرَبِّهِمْ صُدُورُهُمُ   فَلَا تَرَى مِنْهُمُ مِنْ جَازِعٍ أَبَدَا
وَلَيْسَ يَصْدُرُ عَنْهُمْ مَا يخلُّ بِهِمْ   فِيمَا يَحِلُّ بِهِمْ مِمَّا خَفَا وَبَدَا

فصل

وَالسِّحْرُ مِن جُمْلَةِ الأَمْرَاضِ يَلْحَقُهُمْ   وَبَعْضُهُمْ قَالَ لَا يُصِيبُهُمْ أَبَدَا
وَمَا أَتَى فِي الصَّحِيحِ وَهْوَ مُتَّفَقٌ   عَلَيْهِ أَنْكَرَهُ فَعُدَّ مُلْتَحِدَا
فَلَيْسَ يَقْدَحُ فِي التَّبْلِيغِ ذَلِكَ إِذْ   ثُبُوتُ عِصْمَةِ خَيْرِ الخَلْقِ قَدْ عُهِدَا
أَمَّا تَخَيُّلُهُ لِلشَّيْءِ يَفْعَلُهُ   وَلَيْسَ يَفْعَلُهُ فَالأَمْرُ فِيهِ بَدَا
فَإِنَّهُ مِنْ شُؤُونِ نَفْسِهِ وَطُرُوِّ   هِ عَلَيْهِ مَعَ التَّشْرِيعِ لَنْ يَرِدَا
وَقَدْ أَتَى فِي الحَدِيثِ مَا يُفَسِّرُهُ   مِنْ كَوْنِ إِتْيَانِهِ لِأَهْلِهِ افتقدَا
لَهُ يُخَيَّلُ أَنْ يَأْتِي لَهُنَّ وَلَا   يَأْتِي لَهُنَّ عَلَى وِفْقِ الَّذِي قَصَدَا
وَلَمْ يرِدْ فِي الحَدِيثِ مَا يُخَالِفُ مِنْهُ القَوْلَ فِعْلاً مَعَ الحَالِ الَّذِي شهدَا
وَإِنَّمَا حَالُهُ فِي ذَاكَ حَالُ مَرِيضٍ يَعْتَرِيهِ مِنَ الأَحْوَالِ مَا وَجَدَا
وَقِيلَ تَخْيِيلُهُ لِلشَّيْءِ لَيْسَ يُنَا   فِي مَا تَحَقَّقَهُ مِمَّا قَد اعتقدَا
فَإِنَّ أَقْوَالَهُ جَمِيعَهَا حُمِلَتْ   مَعَ اعْتِقَادَاتِهِ عَلَى كَمَالِ هُدَى

قَالَ المُؤَلِّفُ هَذَا مَا تَقَرَّرَ فِي   هَذَا الحَدِيثِ لَدَى مَنْ فِي النَّبِي اعْتَقَدَا
وَفِيهِ عِنْدِي تَأْوِيلٌ يُؤَيِّدُهُ   مِنَ الأَحَادِيثِ مَا مِنْ أَهْلِهَا وَرَدَا
فِيهَا أَتَى أَنَّهُ قَدْ كَادَ ينكرُ مَا   يَرَاهُ مِنْ شِدَّةِ السِّحْرِ الَّذِي وَجَدَا
وَجَاءَ أَيْضاً بِأَنَّ حَبْسَهُ سَنَةً   عَنْ مَسِّ عَائِشَةَ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
فَبَانَ مِمَّا سَمِعْتَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ   يَصِلْ إِلى القَلْبِ مِنْهُ مَا اعْتَرَى الجَسَدَا
وَلَمْ يَكُنْ حَبْسُهُ عَنْهَا بِمَنْقَصَةٍ   لَهُ وَلَوْ أَنَّهُ عَنْ مَسِّهَا عُقِدَا
فَإِنَّ ذَاكَ عَنِ التَّبْلِيغِ مُبْتَعِدٌ   وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي التَّبْلِيغِ مَا انتقَدَا

فصل

ولا يضرُّ النَّبِيَّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الدُّنْيَا أُمُورٌ تُرَى خِلَافَ مَا اعْتَقَدَا
فَقَدْ يَرَى الشَّيْءَ ثُمَّ لَا يَكُونُ كَمَا   رَآهُ مِنْهَا وَذَا لِحِكْمَةٍ وُجِدَا
وَفِيهِ قَدْ بَانَ عِنْدَ العَارِفِينَ بِهِ   كَمَالُ مَعْرِفَةٍ بِرَغْمِ مَنْ عَنَدَا
وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ بِالإِخْبَارِ عَنْ بَلَهٍ   أَوْ غَفْلَةٍ ذَلِكَ الأَمْرُ الَّذِي شهدَا
وَفِي الحَدِيثِ أَتَى إِذَا أَمَرْتُكُمُ   بِالشَّيْءِ مِنْ دِينِكُمْ خُذُوا بِهِ أَبَدَا
وَمَا بِدُنْيَاكُمُ أَمَرْتُكُمْ فَلَكُمْ   أَنْ تَعْمَلُوا بِالَّذِي لَدَيْكُمُ عُهِدَا
فَكَانَ مَا قَالَ فِي الدُّنْيَا الخيَارُ لَهُمْ   لَا فِي الَّذِي بَيْنَهُمْ فِي شَرْعِهِ اجْتَهَدَا
فَلَا نَقِيصَةَ فِيمَا فِيهِ شَاوَرَهُمْ   وَمَا أَشَارُوا بِهِ قَدْ وَافَقَ الرَّشَدَا
فَكَانَ يَعْمَلُ بِالرَّأْيِ المُشَارِ بِهِ   عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَهَذَا الأَمْرُ قَدْ حُمِدَا
فَانْظُرْ لَهُ كَيْفَ أَبْدَى مِنْهُ مَعْذِرَةً   مِنْ بَعْدِ تَأْبِيرِهِمْ لِلنَّخْلِ فِي الشُّهَدَا
وَانْظُرْ إِلى قَوْلِهِ لابْنِ الحُبَابِ لَقَدْ   أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ وَالإِنْصَافُ مِنْهُ بَدَا
فَقَالَ نَنْزِلُ فِي أَدْنَى مِيَاهِ عِدَا   نَا نتوى ونرى فيهم شديد صدا
فِيهِ اسْتِشَارَتُهُ الأَنْصَارَ فِي ثُلُثِ   تَمْرِ المَدِينَةِ فِي صُلْحٍ لَهُ عمدَا
قَدْ أَخْبَرُوهُ بِرَأْيِهِمْ فَأَعْجَبَهُ   فَلَمْ يُصَالِحْ بِهِ العِدَا كَمَا وَرَدَا
وَمِثْلُ هَذَا مِنَ الأُمُورِ لَيْسَ يُرَى   نَقْصٌ بِهِ لِلنَّبِيِّ عِنْدَ مَنْ رَشَدَا

فَالمُصْطَفَى قَلْبُهُ مَلآنُ مَعْرِفَةً بِالحَقِّ وَهْوَ بِهِ المَشْغُولُ دُونَ مَدَى
وَلَمْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا فتشغلُهُ فِي كُلِّ حَالٍ عَنِ الحَقِّ الَّذِي قَصَدَا
مَعْ أَنَّهُ عَارِفٌ كَمَالَ مَعْرِفَةٍ بِمَا العَدُوُّ لَهُ بِالفَضْلِ قَدْ شَهِدَا
سَاسَ العِبَادَ فَسَادَ الكُلَّ حَيْثُ بِهِ قَد أَصْلَحَ اللهُ مَا فِي الكَوْنِ قَدْ فَسَدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الإِلَهُ كُلَّ آوِنَةٍ مَعْ آلِهِ وَجَمِيعِ صَحْبِهِ السُّعَدَا

فصل

أَحْكَامُ خَيْرِ الوَرَى بِالحَقِّ مُبْرَمَةٌ وَحَبْلُهَا غَيْرُ مُنْحَلٍّ إِذَا عُقِدَا
يقضي عَلَى نَحْوِ مَا قَدْ كَانَ يَسْمَعُهُ مِمَّنْ قد اخْتَصَمُوا وَالحَقُّ مَعْهُ بَدَا
وَحَذَّرَ الخَصْمَ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ مِنْ أَخِيهِ كَيْلاَ يَحُوزَ حَقَّهُ فَنَدَا
أَحْكَامُهُ كُلُّهَا تَجْرِي عَلَى حَسَبِ الـ ـظَّنِّ القَوِيِّ وَمَا يَرَاهُ معتمدَا
فَإِنَّ بِالظَّاهِرِ الأَحْكَامُ مِنْهُ جَرَتْ لاَ بِالَّذِي البَاطِنُ اقْتَضَاهُ فِي الشُّهَدَا
يقْضِي بِشَاهِدِ عَدْلٍ و اليَمِينِ وَمَعْ قَرَائِنِ الحَالَةِ الَّتِي لَهَا شهدَا
وَبِالشَّهِيدَيْنِ وَالإِقْرَارِ وَهْوَ أَحَـ ـقُّ مَا بِهِ الحُكْمُ يَجْرِي عِنْدَ مَنْ رَشِدَا
وَنَحْو ذَلِكَ مِمَّا الشَّرْعُ جَاءَ بِهِ لُطْفاً بِنَا حَيْثُ لَمْ يحكُمْ بِمَا اعتقدَا
لَوْ أَنَّهُ قَدْ قَضَى بِعِلْمِهِ لَقَضَى مِنْ بَعْدِهِ مُدَّعٍ لِلْعِلْمِ فِي الرُّشَدَا
إِذْ لاَ سَبِيلَ لِعِلْمِ مَا النَّبِيُّ بِهِ فِي الحُكْمِ بِالبَاطِنِ الَّذِي لَهُ اسْتَنَدَا
وَلاَ يفيدُ يقيناً مَا الوَلِيُّ عَلَـ ـيْهِ صَارَ مُطَّلِعاً فِي حُكْمِهِ أَبَدَا
فَكَانَ فِي حُكْمِهِ بِظَاهِرٍ لِيَتِـ ـمَّ الإِقْتِدَاءُ بِهِ فِيمَا خَفَا وَبَدَا
إِذِ البَيَانُ بِفِعْلٍ مِنْهُ أَوْقَعُ فِي الـ ـنُّفُوسِ مِنْ كَوْنِهِ بِالقَوْلِ معتمَدَا
وَلَيْسَ يقدحُ حُكْمُ المُصْطَفَى بِظَوَا هِرِ الأُمُورِ الَّتِي لَهَا قَد اعْتَمَدَا
فَإِنَّ طَيَّ بِسَاطِ الغَيْبِ عَنْ عَمَلٍ بِهِ يناسب شرعاً أَيَّدَ الرُّشَدَا
وَالمُصْطَفَى حَازَ عِلْمَ الأولينَ وَعِلْـ ـمَ الآخِرِينَ وَهَلْ نَظِيرُهُ وُجِدَا
صَلَّى عَلَيْهِ الذي قَدْ خَصَّ جَانِبَهُ بِرِفْعَةٍ شَأْنُهَا قَدْ طَاوَلَ الأَبَدَا

كَلَّا فَلَا أَحَدَ وَ اللهِ مَاثَلَــــــــهُ   عِلْماً وَعَقْلاً وَفَضْلاً فِي كَمَالِ هُـدَى

فـــصـــل

أَخْبَارُ خَيْرِ الوَرَى عَنْ كُلِّ حَالَتِهِ الَّـــــتِي تَعَلَّقَتِ الدُّنْيَا بِهَا اعتمــــــدَا
كَذَاكَ أَخْبَارُهُ عَنْ غَيْرِ حَالَتِـــــهِ   فِيهَا وَعَنْ فِعْلِهِ مِمَّا خَفَا وَبَـــــدَا
فَالخلفُ مُمْتَنِعٌ فِيهَا عَلَيْهِ وَكَيْــــــــفَ لَا وَعِصْمَتُهُ بِهَا قَد انفَـــرَدَا
وَفِي معاريضه تَأْنِيسُ أُمَّتِـــــهِ   وَكَمْ حَدِيثٍ بِهَا فِي مَزْحِـهِـمْ وَرَدَا
وَمَزْحُهُ كُلُّهُ جِدٌّ وَقَوْلَتُــــــهُ   حَقٌّ وَعَنْ صَحْبِهِ بِهِ نَفَى الكَمَـــدَا
كَقَوْلِهِ لامْرِئٍ لَأَحْمِلَنْكَ عَلَى ابْـــــــنِ نَاقَةٍ وَهْوَ مَزْحٌ نَوَّرَ الخَلَـــدَا
وَقَالَ لامْرَأَةٍ عَنْ زَوْجِهَا سَأَلَـــتْ   أَهْوَ الَّذِي عَيْنُهُ بِهَا البَيَاضُ بَـــدَا
وَفِي مَغَازِيهِ قَدْ ورى لِمَصْلَحَـــةٍ   وَلَيْسَ فِي ذَاكَ مَا يُعَدُّ مُنْتَقَـــدَا
وَلَمْ يَكُنْ فِي الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّـــةِ مِنْ   شَيْءٍ يُرَى مِنْهُ مَعْ خِلَافِ مَا قَصَـدَا
فَأَمْرُهُ بَلْ وَنَهْيُهُ يُوَافِقُ مَـــا   لَدَيْهِ مِنْ غَيْرِ خُلْفٍ عِنْدَهُ وُجِـــدَا
حَاشَا تَكُون لَهُ فِي العَيْنِ خَائِنَـــةٌ   فَكَيْفَ فِي قَلْبِهِ تُرَى وَفِيهِ هُـــدَى
أَمَّا قَضِيَّتُهُ مَعَ ابْنِ حَارِثَـــــةٍ   فَلَيْسَ فِيهَا خِيَانَةٌ تُرَى أَبَـــدَا
سَمَّاهُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ابْنَهُ فَحَـوَى   بِذَاكَ زَيْدٌ كَمَالَ رِفْعَةٍ وَجَـــــدَا
وَبَعْدَمَا قَدْ قَضَى مِنْ زَوْجِهِ وَطَراً   تَزَوَّجَ المُصْطَفَى بِهَا كَمَـــا وَرَدَا
وَقَدْ أَبَانَ الإِلَهُ سِرَّ ذَاكَ لَنَـــا   وَكَمْ وَكَمْ ضِمْنَ ذَاكَ مِنْ هُدَى وَجَدَا
وَمَا عَلَى المُصْطَفَى فِي ذَاكَ مِنْ حَرَجٍ   لِأَنَّهُ كَانَ بِالأَمْرِ الَّذِي اعتمــدَا
إِنْ قُلْتَ كَانَ النَّبِي يَدْرِي تَزَوُّجَـهُ   بِهَا لِمَ الأَمْرُ بِالإِمْسَاكِ مِنْهُ غَـــدَا
فَقَالَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَيْدُ زَوْجَكَ وَاتَّـــــقِ الإِلَهَ فَمَا مَعْنَاهُ فِي الرُّشَـــدَا
وَكَيْفَ أَخْفَى النَّبِي عَنْهُ تزوجـــه   بِهَا إِذَا طلقت طِبْقَ الَّذِي شهــدَا
قُلْنَا لِذَلِكَ قَدْ قَالُوا فَوَائِدَ مِنْـــــــهَا كَوْنُ ذَاكَ مُبَاحاً لَيْسَ مُنْتَقَـدَا
وَقِيلَ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ مَقْمَعَـــــةً   لِشَهْوَةِ النَّفْسِ مِنْهُ بَيْنَ مَنْ رَشَـدَا

وَ اللهُ نَزَّهَهُ عَمَّا تَقَوَّلَـــهُ   فِي ذَلِكَ المُرْجِفُونَ فَاهْتَدَى وَ هَدَى
وَ اللهُ عَاتَبَهُ هُنَا لِخَشْيَتِـــهِ   عِتَابَ لُطْفٍ بِهِ قَدْ زَادَهُ مَـــدَدَا
فَكَانَ ذَلِكَ مِثْلَ مَا بِسُورَةِ تَـحْـــرِيمِ أَتَى عِنْدَ مَنْ نَالُوا بِهِ رَشَـــدَا
وَ جُلُّ مَا خَالَفَ المُفَسِّرُونَ بِـــهِ   هُنَا الَّذِي قُلْتُهُ خَافٍ قَد انْتُقِـــدَا
وَ الوَحْيُ لَوْ كَتَمَ النَّبِيُّ مِنْهُ عَـــنِ   الأَقْوَامِ شَيْئاً لَكَانَ مَا هُنَا وُجِـــدَا
فَهَا هُنَا عَتْبُهُ وَ اللهُ أَظْهَرَ مَـــا   أَخْفَى فَتَبْلِيغُهُ لَمْ يَنْخَرِمْ أَبَـــدَا

فصل

إِنْ قُلْتَ أَنَّكَ قَدْ قررت عصمتـــه   قَوْلاً وَ فِعْلاً عَلَى وفْقِ الَّذِي اعتقـدَا
فَأَيُّ مَعْنَى تَقُولُ فِي وَصِيَّتِهِ الَّـــتِي بِحَالِ احْتِضَارٍ مِنْهُ قَدْ قَصَـدَا
فَقَالَ للصَّحْبِ إِئْتُونِي لِأَكْتُبَ مَـــا   فِيهِ هُدَى لَنْ تَظِلُّوا بَعْدَهُ أَبَـــدَا
فَقَالَ عِنْدَئِذٍ لِصَحْبِهِ عُمَـــرُ   إِنَّ القُرْآنَ لَدَيْنَا فِيهِ كُلُّ هُـــدَى
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ يَهْجُرُ النَّبِيُّ وَ قَـــا   لَ غَيْرُهُ هَجَرَ النَّبِي بِمَا وجَـــدَا
وَ عِنْدَهُ كَثُرَ النِّزَاعُ بَيْنَهُـــمُ   فَقَالَ قُومُوا وَ لاَ تَسْتَكْثِرُوا اللَّـــدَدَا
قُلْنَا الأَئِمَّةُ قَالُوا الهَجْرُ لَيْسَ يَصِـــحُّ مِنْهُ وَ هْوَ الَّذِي قَد اهْتَدَى وَ هَدَى

تعليق للناظم رحمه الله نصه

الحمد لله . لقد ظهر لنا لدى قولنا :

إِنْ قُلْتَ كَانَ النَّبِي يَدْرِي تَزَوُّجَـــهُ   بِهَا لِمَ الأَمْرُ بِالإِمْسَاكِ مِنْهُ غَـــدَا
فَقَالَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَيْدُ زَوْجَكَ وَ اتَّـقِ   الإِلَهَ فَمَا مَعْنَاهُ فِي الرُّشَـــدَا

ما نقوله هنا زيادة على ما قاله المصنف و الشراح ،وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامور بأمره بإمساكها فبلغ الأمر إليه ،ألا ترى إلى أنه لو قال لزيد :إنك مأمور بطلاقها لأتزوجها ،ما وسع زيد إلا طلاقها امتثالا للأمر ،لأنه لا يداخله ريب في ذلك ،لتحققه بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم لا ينطق عن الهوى ،إن هو إلا وحي يوحى.و لك أن تقول :إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،إنما أمره بإمساكها حتى لا تشعر زينب رضي الله عنها بكون النبي صلى الله عليه و سلم يريد تزوجها ،بعد طلاق زيد لها ،فلا يكون بشعورها بذلك مما يحملها على النفور من زيد، وتزدادا نشوزا منه ،فيكون ذلك من قبيل التخليق ،و حاشا رسول الله صلى الله عليه و سلم من ذلك. أو كان ذلك منه صلى الله عليه و سلم تأكيدا لزيد فيما عسى أن يكون توهمه من كون النبي صلى الله عليه و سلم يريد تزوجه بها بعد طلاقه لها،فأمره بإمساكها . و قد كان الأنصار رضي الله عنهم يخير الواحد منهم الآخر في إحدى زوجاته ليتخلى له عنها ليتزوجها ،و كل ذلك بطيب نفس منهم رضي الله عنهم ، فأراد زيد أن يعمل عملهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمره رسول الله صلى الله و سلم بإمساكها ، ثم لما طلقها جبر رسول الله صلى الله عليه و سلم انكسار قلبها فتزوجها،كما وقع ذلك لإحدى أمهات المؤمنين قبل تزوج النبي صلى الله عليه وسلم في كون الله أبدلها خيرا من مفارقها ، و الله أعلم .ثم لم يبق القول إلا في كون زيد لم يمتثل أمر الرسول عليه السلام بإمساكه لها.

يؤخذ من الحديث أعلاه أنه يسوغ للشخص أن يضمر النية بالتزوج بامرأة و هي عند زوجها، فيتزوجها بعد طلاقه لها ، إلا أنه لا يخلقها عليه ، ولا يفسدها عليه ، فيكتم أمره إلى أن يباينها، وتتم عدتها. قاله وكتبه عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله .

وَ لاَ اخْتِلاَلَ يُرَى فِي القَوْلِ مِنْهُ وَلاَ   يَكُون مِنْهُ الَّذِي فِي الدِّينِ قد فَسَدَا
وَ مَا هُنَا فِيهِ الإِسْتِفْهَامُ صَحَّ عَلَى   الإِنْكَارِ لاَ فِي الَّذِي بِدُونِهِ وجَدَا
كَأَنَّهُ قِيلَ لِمْ لاَ تَكْتُبُونَ كَمَا   أَرَادَ هَلْ قَوْلُهُ هُجْرٌ وَ قَدْ وَرَدَا
أَوْ لِمْ هَجَرْتُمْ لَدَيْهِ إِنَّ هَجْرَكُمُ   فِي الحَالِ لاَ يَنْبَغِي يَا أَيُّهَا الشُّهَدَا
أَوْ قَالَ ذَلِكَ بَعْضُ الصَّحْبِ مُنْدَهِشاً   فِي حِيرَةٍ مِنْ عَظِيمِ مَا بِهِ شَهِدَا
لَم يَضْبِطِ القَوْلَ مِنْهُ حِينَ شَاهَدَهُ   فَقَالَ هجْراً عَلَى خِلاَفِ مَا اعتقَدَا
وَ شِدَّةُ الحُبِّ قَدْ تُفْضِي بِصَاحِبِهَا   بِأَنْ يَقُولَ مَقَالاً رُبَّمَا انتقَدَا
وَ رُبَّمَا حَمَلَتْهُ أَنْ يسِيءَ ظُنُو   ناً بِالَّذِي سَعْيُهُ لَدَيْهِ قَدْ حمِدَا
فَانْظُرْ لِصَحْبِ النَّبِيِّ وَ هْوَ مُعْتَصِمٌ   بِعِصْمَةِ اللهِ بَيْنَ النَّاسِ أَيْنَ غَدَا
وَ هُمْ لِحِرْصِهِمُ عَلَى حِرَاسَتِهِ   قَامُوا بِهَا وَهْوَ فِي الهَنَاءِ قَدْ قَعَدَا
وَ هَكَذَا الهُجْرُ مِمَّنْ جَاءَ مِنْهُ هُنَا   فِي حَقِّهِ حَمَلُوهُ فَاتْبَعِ الرَّشَدَا
وَ مَا أَتَى وَ هْوَ لاَ اسْتِفْهَامَ فِيهِ هُنَا   عَلَيْهِ قَدْ حَمَلُوهُ كَيْفَمَا وَرَدَا
إِنْ قُلْتَ مَعْنَى الَّذِي قَدْ قَالَ آمِرُهُمُ   وَ كَيْفَ قَد تَرَكُوا الأَمْرَ الَّذِي قصَدَا
فَقِيلَ قَدْ فَهِمُوا مِنْهُ اسْتِشَارَتَهُمْ   لاَ الأَمْرَ مِنْهُ لَهُمْ بِكَتْبِ ذَاكَ غَدَا
فَكَانَ فِي ذَاكَ مِنْهُ الإِخْتِيَارُ لَهُمْ   وَ حُكْمُ ذَلِكَ بِالقَرَائِنِ اعْتُمِدَا
وَ مَنْ مِنَ الحَاضِرِينَ اسْتَفْهَمُوهُ وَ قَـــــالَ لاَ اخْتِيَارَ لَهُمْ وَ الأَمْرُ فِيهِ بَدَا
وَ لِاخْتِلاَفِهِمُ قَدْ وَافَقُوا عُمَراً   وَ اسْتَصْوَبُوا رَأْيَهُ الَّذِي بِهِ انْفَرَدَا
وَ كَانَ ذَاكَ مِنَ الإِشْفَاقِ مِنْهُ عَلَى الـــمُخْتَارِ وَ هْوَ بِتِلْكَ الحَالِ قَدْ شَهِدَا
وَ قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ اشْتَدَّ ذَا الوَجَعُ ا   لَّذِي بِهِ وَ لَهُ مِنْ بَيْنِنَا وَجَدَا
وَ قَوْلُهُ حَسْبُنَا الكِتَابُ رَدَّ بِهِ   عَلَى مُنَازِعِهِ فِيمَا بِهِ اجْتَهَدَا
وَ قِيلَ ذَلِكَ مِنْهُ كَانَ خَشْيَةَ أَنْ   يَكُونَ فِي الكَتْبِ مَا يُفَتِّتُ الكَبِدَا
وَ قَدْ رَأَى أَنَّ فِيمَا قَالَهُ سَعَةً   وَ الرِّفْق بِالأُمَّةِ الَّتِي لَهَا وَفَدَا
فَرُبَّمَا عَجَزُوا عَمَّا يُفَاجِئُهُمْ   بِكَتْبِهِ بَعْدَ تَقْرِيرِ لِمَا اعتمَدَا

وَ رُبَّمَا كَانَ فِيمَا قَدْ رَأَى عُمَـــــر   دَفْع التَّقَوُّلِ مِمَّنْ لِلنَّبِي عَنَــــدَا
فَيَمْتَرِي كُلُّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَـــرَضٌ   و يطرقون بِهِ طَرَائِقاً قِـــــدَدَا
وَ كَمْ هَوَىً حَمَلَ الْمُسْتَهْتِرِينَ بِـــهِ   عَلَى أُمُورٍ بِهَا قَد أَكْثَرُوا الْفَنَـــدَا
مِثْلُ الرَّوَافِضِ قَدْ قَالُوا الْمُرَادُ هُنَــا   كَتْبُ الوَصِيَّةِ بَيْنَ صَحْبِهِ الشُّهَـــدَا
وَ قِيلَ إِنَّ النَّبِي قَدْ رَامَ كَتْبَ جَــوا   ب مَنْ لَهُ سَأَلُوا عَمَّا خَفَا وَ بَـــدَا
وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِالأَمْرِ مُبْتَدِئــــاً   بَلْ ذَاكَ مِنْهُ جَوَابٌ كَانَ قَدْ قصــــدَا
وَ غَيْرُهُمْ لِلسُّؤَالِ عَنْهُ قَدْ كَرِهُــوا   لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِمَّا عُدَّ معتمــــــدَا
وَ هَاهُنَا انْظُرْ إِلى قَوْلِ العلى عَلِي   وَ مَا أَجَابَ ابن عباس بِهِ بِهُـــدَى
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ انْطَلِقْ إِلَيْهِ بِنَـــا   لِنَعْرِفَ الأَمْرَ فِيمَنْ بَعْدَهُ وجـــدَا
إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَاهُ وَ إِنْ يَكُ فِي الـــــــسِّوَى يُوَصِّي عَلَيْنَا بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
فَقَالَ لاَ لَمْ أَكُنْ عَنْهُ بِسَائِلِـــهِ   وَ إِنْ يَكُنْ ذَاكَ فِينَا نُعْطِهِ الرَّشَـدَا
فَبَانَ أَنَّ الَّذِي قَدْ كَانَ أَمَّ لَــــهُ   كَتْب الخِلاَفَةِ بَيْنَ صَحْبِهِ السُّعَـــدَا
وَ أَنَّهُ عِنْدَمَا رَآهُمُ اخْتَلَفُــــوا   قَالَ اتْرُكُونِي فَقَدْ أَفَدتكُمْ رَشَـــدَا
فَالخَيْرُ لِي فِي الَّذِي فِيهِ أَنَا فَدَعُــو   نِي وَ اقْتَدُوا فِي طَرِيقِ الحَقِّ بِالرُّشَدَا
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِ فَهْوَ أَفْضَلُ مَــنْ   فِي العَالَمِينَ اهْتَدَى وَ لِلرَّشَادِ هَدَى
مَعَ السَّلاَمِ عَلَيْهِ وَ الصَّحَابَةِ مَـــا   لِلَّهِ أَخْلَصَ عَبْدٌ فِي الَّذِي عَبَـــدَا
وَ أَرْتَجِي لِي الشِّفَاءَ بِالصَّلاَةِ فَقَـدْ   أَلَمَّ بِي أَلَمٌ قَدْ أَوْهَنَ الجَسَـــدَا
وَ مَنْ يُقَدِّمْ صَلاَةَ اللهِ شَافِعَــــةً   لَهُ يَنَلْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مَا قَصَـــدَا
فَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَمُدَّنِي بِيَـــــدِ   مِنْ فَضْلِهِ فَأَنَالَ مِنْهُ خَيْرَ جَـــدَا
فَأُحْرِزَ القَصْدَ فِي الدَّارَيْنِ فِي فَرَحٍ   تَامٍ بِكَامِلِ وِدٍّ مِنْهُ دُونَ مَــدَى

فصـــــل

إِنْ قُلْتَ صَحَّ عَنِ النَّبِي دَعْوَتُــــهُ   لِمَنْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ قَدْ دَعَا بِـــرَدَى
كَمَنْ عَلَيْهِ أَقَامَ حَدَّ مَعْصِيَـــــةٍ   بِأَنْ يَنَالَ بِذَاكَ مِنْهُ خَيْرَ جَــــدَا

فَكَيْفَ يَصْدُرُ مِنْهُ مِثْلُ ذَاكَ لِمَـــــنْ   لَا يَسْتَحِقُّ الدُّعَا عَلَيْهِ أَوْ جَلَـــدَا
مَعْ أَنَّهُ الْمُصْطَفَى الْمَعْصُومُ مِنْ خَطَـاءٍ   فَكَيْفَ يَغْضِبُ وَ هْوَ فِي كَمَالِ هُدَى
قُلْنَا النَّبِيُّ لَهُ فِي كُلِّ نَازِلَـــــةٍ   حُكْمٌ عَلَى وِفْقِ مَا فِيهَا لَدَيْهِ بَـــدَا
وَ لَيْسَ يَنْظُرُ فِي الْقَضَا لِبَاطِنِهَـــا   لِأَنَّهُ لِلْعُمُومِ بِالْهُـــــدَى وَرَدَا
وَ السَّبُّ وَ اللَّعْنُ بَلْ وَ الْحَدُّ إِنْ يَكُ مِنْ   خَيْرِ الْوَرَى فَهْوَ عَنْ إِذْنٍ لَهُ حمـدَا
فَلَيْسَ يَنْطِقُ عَنْ هَوىً وَ رَأْفَتُـــهُ   دَعَتْهُ لِلنَّاسِ يَدْعُو الْوَاحِدَ الْأَحَـدَ
فَكَانَ مِنْهُ الدُّعَا لِمَنْ عَلَيْهِ قَضَـــى   بِمُقْتَضَى الظَّاهِرِ الَّذِي لَهُ اسْتَنَـدَا
وَ فَوَّضَ الْأَمْرَ لِلْمَوْلَى لِبَاطِنِـــهِ   لِكَيْ يُقَابِلَهُ الْمَوْلَى بِخَيْرِ جَـــدَى
وَ عَاهَدَ اللهَ أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُـــهُ   لِمَنْ عَلَيْهِ دَعَا خَيْراً كَمَا عَهِـــدَا
وَ ذَاكَ مِنْ حُسْنِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ وَ مِنْ   عَظِيمِ إِشْفَاقِهِ فِي النَّاسِ أَيْنَ غَـدَا
لِنَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ يُرَى غَضَـــبٌ   وَ لَنْ تَرَاهُ عَلَى أَيِّ امْرِىءٍ حَقَـــدَا
وَ إِنَّمَا الْغَضَبُ الَّذِي يَقُومُ بِـــهِ   لِلَّهِ لَا لِلسِّوَى مِنْ بَيْنِ مَنْ وُجِـــدَا
وَ بَعْضُهُمْ حَمَلَ الدُّعَاءَ مِنْهُ عَلَـــى   مَا قَدْ جَرَى قَوْمُهُ عَلَيْهِ فِي الشُّهَدَا
كَقَوْلِهِ فِي الدُّعَا عَلَى مُعَاوِيَــــةٍ   لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ كَمَـــا وَرَدَا
وَ قَوْلِهِ فِي الدُّعَا حَلْقَى لِبِنْتِ حُيَـــــي بَعْدَ عَقْرَى وَ مِنْهُ قَدْ تَرِبَتْ يَـدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ يحمل الدُّعَاءُ عَلَـــى   كَفَّارَةِ الذَّنْبِ مِمَّنْ سَبَّ أَوْ جَلَـــدَا
بِأَنْ يَكُونَ لَهُ حَدُّ الْعُقُوبَةِ فِي الــــدُّنْيَا وَ أَنْ لَا يُحَافِيهِ الْإِلَهُ غَـــدَا
وَ جَاءَ عَنْ أَنَسٍ فِي النَّاسِ لَمْ يَـكُ فَـــحَّاشاً نَبِيَّ الْهُدَى وَ لَمْ يَعِبْ أَحَـدَا
وَ إِنَّمَا الْقَوْلُ مِنْهُ عِنْدَ مَعْتَبَـــةٍ   لَفْظِي وَ مَا فِيهِ مَعْنَى الشَّرِّ قَدْ قصدَا
وَ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَغْضَبْ عَلَى أَحَـدٍ   وَ فِي الْخَلِيقَةِ حَقّاً شَيَّدَ الرَّشَـــدَا
إِنْ قُلْتَ إِنَّ النَّبِيَّ لِلزُّبَيْرِ قَضَـــى   بِالسَّقْيِ مِنْ قَبْلِ مَنْ لِحُكْمِهِ انْتَقَـدَا
وَ قَدْ تَلَوَّنَ وَجْهُ الْمُصْطَفَى لِمَقَـــا   لِهِ فَكَيْفَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَجَـــدَا
حَتَّى قَضَى بِالَّذِي بِهِ عَلَيْهِ قَضَـــى   هَلْ حُكْمُهُ لِلتَّشَفِّي هَا هُنَا وُجِـــدَا

قُلْنَا النَّبِيُّ قَضَى بِالصُّلْحِ ثُمَّ قَضَى   بِكَامِلِ الحَقِّ لِلزُّبَيْرِ فِي السُّعَدَا
وَ حَاشَ يبرمُ حكماً مِنْهُ عَنْ غَضَبٍ   أَوْ لِانْتِصَارٍ لِحَظِ نَفْسِهِ أَبَدَا
بَلْ أَنْصَفَ المُصْطَفَى مِنْ نَفْسِهِ لِأُنَا   سٍ طَالَبُوهُ بِمَا عَنْهُ قد ابْتَعَدَا
هَذَا عُكَاشَةُ يَوْماً قَامَ يَطْلُبُهُ   خَيْرُ البَرِيَّةِ بَيْنَ صَحْبِهِ القَوَدَا
عَنْ ضَرْبِهِ بِالقَضِيبِ فِي تقدمهِ   عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَ هْوَ فِيهِ هُدَى
فَقَالَ خَيْرُ الوَرَى هَاكَ القَضِيبَ فَقُمْ   فَاضْرِبْ وَ عَرَّى لَهُ عَنْ بَطْنِهِ فَغَدَا
وَقَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَقْتَصُّ مِنْكَ وَ أَنْتَ خَيْرُ مَنْ لِلنَّجَاةِ فِي الوُجُودِ هَدَى
تَفْدِيكَ نَفْسِي وَ أُمِّي مَعْ أَبِي وَ لِيَ الْبُشْرَى مَتَى لَكَ كُنْتُ فِي الأَنَامِ فِدَا
فَقَالَ خَيْرُ الوَرَى هَذَا رَفِيقِيَ فِي الْجِنَانِ فَلْتَنْظُرُوهُ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ قَالَ لِلغَيْرِ خُذْ مِنِّي لِنَفْسِكَ حَقَّهَا فَإِنِّيَ قَدْ مَدَدْتُ فِيكَ يَدَا
فَقَالَ إِنِّي عَفَوْتُ عَنْكَ يَا سَنَدِي   وَكَيْفَ أَقْتَصُّ مِمَّنْ صَارَ لى سندا
وَ كَانَ ذَلِكَ عَنْ ضَرْبٍ أَقَامَ بِهِ اعْوِجَاجَهُ وَ النَّبِيُّ فِعْلُهُ حَمِدَا
فَقَدْ تَعَلَّقَ فِي زِمَامِ نَاقَتِهِ   وَ مَا انْتَهَى بَعْدَ نَهْيِهِ وَ قَدْ عَنَدَا
وَ قَالَ تدركُ مَا تَبْغِي فَدَعْ فَأَبَى   فَكَانَ تَأْدِيبُهُ بَعْدَ الإِبَا سَدَدَا
فَأَشْفَقَ المُصْطَفَى مِنْ أَنْ يَكُونَ لِحَظِّ نَفْسِهِ ذَاكَ وَ هْوَ مَا عَلَيْهِ عَدَا
وَعَنْ سَوَادِ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ جِئْتُ إِلَى النَّبِي فَأَوْجَعَنِي ضَرْباً بِمَا شهدا
أَتَيْتُهُ مُتَخَلِّقاً بِطِيبِ نِسَا   فَقَالَ وَرْسٌ وَ لِي بِالضَّرْبِ مَدَّ يَدَا
فَقُلْتُ هَلْ لِي قِصَاصٌ مِنْكَ قَالَ نَعَمْ   فَاقْتَصَّ إِن شِئْتَ أَوْ عَنِّي اعْفُ نِلْتَ هُدَى
وَ ذَاكَ أَنَّ النَّبِي بِالضَّرْبِ نَبَّهَهُ   لِمُنْكَرٍ قَدْ رَآهُ مِنْهُ فِي الشُّهَدَا
وَ لَمْ يُرِدْ مِنْهُ إِيجَاعاً بِضَرْبَتِهِ   لَكِنْ لِلإِيجَاعِهِ اسْتَحَلَّهُ القَوَدَا
فَانْظُرْ إِلَى المُصْطَفَى وَحُسْنِ خَشْيَتِهِ   مِنْ رَبِّهِ قَبْلَ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْهُ غَدَا
وَ فِيهِ أَكْمَلُ تَهْذِيبٍ لِأُمَّتِهِ   لِيَهْتَدِي مِنْهُمُ بِهِ الَّذِي رَشَدَا

عَلَيْهِ خَيْرُ الصَّلَاةِ وَ السَّلَامِ بِلَا انْتِهَا مَعَ الآلِ مَعْ أَصْحَابِهِ السُّعَدَا

فصل

فِعْلُ النَّبِي الدُّنْيَوِيِّ كُلُّهُ حُمِدَا   وَ مَا عَلَيْهِ يُرَى شَيْءٌ قَد انْتُقِدَا
بَلْ كُلُّهُ قدجَرَى مَجْرَى العِبَادَةِ مَنْ   بِهِ تَمَسَّكَ بَيْنَ الخَلْقِ نَالَ هُدَى
وَ فِعْلُهُ البَعْض مِمَّا عَنْهُ كَانَ نَهَى   فَإِنَّهُ عِنْدَهُ لِحِكْمَةٍ وَجَدَا
وَ لَيْسَ يَقْدَحُ شَيْءٌ فِي نُبُوَّتِهِ   إِذْ كُلُّ مَا قَدْ أَتَى بِهِ يُرَى سَدَدَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ جَاءَ بِالتَّشْرِيعِ وَ هْوَ بِهِ   قَدْ قَامَ كَانَ بِكُلِّ دُنْيَوِي زَهِدَا
وَ مَا تَنَاوَلَ إِلَّا مَا ضَرُورَتُهُ   تَقْضِي عَلَيْهِ بِهِ مِمَّا خَفَا وَ بَدَا
وَمَا عَلَى سِرِّهِ تَعْدُو الضَّرُورَةُ لَكِنْ كَوْنَهُ بَشَراً بِهَا يَمُدُّ يَدَا
مِمَّا قِوَامُ الحَيَاةِ كَانَ مِنْهُ بِهِ   وَمَا يُقَوِّي لَدَيْهِ الرُّوحَ وَ الجَسَدَا
وَفِيهِ مَصْلَحَةٌ لِكُلِّ أُمَّتِهِ   دِيناً وَدُنْيَا بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ عَنَدَا
أَمَّا الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِهِمْ   فَبَيْنَ بِرٍّ وَخَيْرٍ مِنْهُ قَدْ شهِدَا
أَوْ قَوْلِ خَيْرٍ لَهُمْ لَا شَكَّ يَنْفَعُهُمْ   أَوْ دَفْعِ شَرٍّ وَجَلْبٍ لِلَّذِي شَرُدَا
فَهْوَ المُؤَلِّفُ مِنْ بَيْنِ القُلُوبِ وَكَشَّافِ الكُرُوبِ وَشَافِ مَنْ حَوَى حَسَدَا
وَ مِثْلُ هَذا مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ فَمِنْ   أَعْمَالِهِ الصَّالِحَاتِ فِي سَبِيلِ هُدَى
وَرُبَّمَا خَالَفَ السِّوَى لِمَصْلَحَةٍ   يَقْضِي بِهَا الحَالُ مِمَّا عُدَّ مُعْتَمَدَا
لِكُلِّ أَمْرٍ يُعِدُّ مَا يُنَاسِبُهُ   وَمَا يُوَافِقُ بِالحَالِ الَّذِي قَصَدَا
أَعَدَّ لِلخَيْرِ خَيْلاً فِي مُسَارَعَةٍ   لَدَى مُصَارَعَةٍ وَغَوث كُلِّ نِدَا
وَيَفْعَلُ الشَّيْءَ مِمَّا الإِخْتِيَارُ لَهُ   يُرِيدُ خَيْراً وَعَنْهُ يكشفُ الكَمَدَا
وَ يَتْرُكُ الشَّيْءَ مِمَّا الإِخْتِيَارُ لَهُ   فِيهِ وَ يَفْعَلُهُ فِي مَشْهَدِ الشُّهَدَا
وَ ذَاكَ مِثْل خُرُوجٍ مِنْ مَدِينَتِهِ   مَعْ صَحْبِهِ الأَتْقِيَا وَ قَصْدُهُ أُحُدَا
وَ كَانَ مَذْهَبُهُ مَعْهُمْ تَحَصُّنُهُ   بِهَا وَ لَكِنَّهُ قَدْ سَاعَدَ السُّعَدَا
هُمُ أَلَحُّوا عَلَيْهِ فِي الخُرُوجِ فَلَمْ   يَدَعْ دُعَاءَهُمُ لَهُ يَضِيعُ سُدَى

وَ مِثْلُ ذَلِكَ تَرْكُ قَتْلِهِ لِأُنَـا   سٍ نَافَقُوهُ وَ شَأْنُهُمْ لَدَيْهِ بَـدَا
وَقَدْ رَعَى فِيهِمُ كُلَّاً قَرَابَتَهُـمْ   و دفع قدح العِدَا بِمَا يرونَ عَـدَا
وَ تَرْكُهُ لِبِنَاءِ كَعْبَةٍ شَرُفَـتْ   عَلَى قَوَاعِدِ إبراهيمَ فِي الرُّشَـدَا
رِفْقاً بِقَوْمٍ هُمُ فِي الشِّرْكِ قَدْ نَشَـأُوا   وَ رُبَّمَا ذَاكَ مِنْهُمْ حَرَّكَ الحَـرَدَا
وَ كَانَ يَعْمَلُ بِاسْتِشَارَةٍ وَ إِشَـا   رَةٍ عَلَيْهِ وَ لَا يُحِبُّ مَنْ عَنَـدَا
يَسْعَى لِإِدْخَالِهِ السُّرُورَ مِنْهُ عَلَـى   كُلِّ الصِّحَابِ وَ عَنْهُمْ كَفَّ كَفَّ عِـدَا
وَ يَبْسُطُ الوَجْهَ مِنْهُ لِلْعَدُوِّ رَجَـا   إِيلَافِهِ وَ يُدَارِيهِ بِمَا وَجَـدَا
وَ كَمْ تَحَمَّلَ مِنْ أَهْلِ العُتُوِّ وَ مِـنْ   أَهْلِ الجَهَالَةِ مَا يُفَتِّتُ الكَبِـدَا
فَكَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ يَلْطُفُ بِالْـجَافِي وَ يَمْنَحُهُ مِنْهُ هُدًى وَجَـدَا
محبباً بِجَمِيلِ الصَّبْرِ مِنْهُ لَـهُ   شَرِيعَةً قَدْ أَبَانَتْ حِكْمَةً وَ هُـدَى
فِي بَيْتِهِ يَتَوَلَّى شَأْنَ مِهْنَتِـهِ   بِنَفْسِهِ وَ يُعِينُ الأَهْلَ وَ الحَشَـدَا
يَزْدَادُ حُسْنَ بَهَاءٍ فِي مَلَاءَتِـهِ   بَيْنَ المَلَا سِيَمَا إِذَا ارْتَدَى بُـرُدَا
حَتَّى إِذَا مَا تَبَدَّى فِي مَجَالِسِـهِ   كَادَتْ مَهَابَتُهُ تذيبُ مَنْ شهـدَا
يَغْدُو مُجَالِسُهُ مُطَأْطِئاً أَدَبَـا   كَأَنَّمَا الطَّيْرُ فَوْقَ الرَّأْسِ مِنْهُ هَـدَا
تَرَاهُ مَعْ صَحْبِهِ مِمَّا يُعَامِلُهُـمْ   أَباً وَ كُلُّهُمُ أَعَزُّ مَا وُلِـدَا
حَدِيثُهُ مَعَهُمْ حَدِيثُ أَوَّلِهِـمْ   مِمَّا جَرَى مِنْ قَدِيمٍ عِنْدَهُمْ حمـدَا
وَ يَضْحَكُ المُصْطَفَى لِمَا لَهُ ضَحِكُوا   وَ لَمْ يَزَلْ مَعَهُمْ عَلَى صَفَـاءٍ وِدَا
قَدْ عَمَّ بِشْراً جَمِيعَ مَنْ لَهُ حَضَرُوا   وَ عَمَّ بِالعَدْلِ كُلَّ النَّاسِ أَيْنَ غَـدَا
وَ لَيْسَ يَزْعَجُهُ مِنْ غَيْرِهِ غَضَـبٌ   وَ لَا يَرُدُّ الَّذِي لِخَيْرِهِ قَصَـدَا
وَ لَيْسَ يبطن شَيْئاً عَنْ مَجَالِسِـهِ   وَ لَا يخون بِطَرْفِ عَيْنِهِ أَحَـدَا
إِنْ قُلْتَ مَعْنَى الَّذِي أَبْدَى لِعَائِشَـةٍ   فِي ابْنِ العَشِيرَةِ مِمَّا عَنْهُ قَـدْ وَرَدَا

فَقَالَ فِي حَقِّهِ بِئْسَ ابْنُهَا وَ لَـــهُ   أَلَانَ فِي القَوْلِ لَمَّا عِنْدَهُ قَعَــدَا
وَ عَنْهُ قَدْ سَأَلَتْ فَقَالَ إِنَّ أَشَـــــــرَّ النَّاسِ مَنْ يَتَّقِيهِ النَّاسُ خَوْفَ رَدَى
قُلْنَا أَلَانَ لَهُ فِي قَوْلِهِ لِيَكُـــو   نَ اللِّينُ أَنْفَعُ فِيهِ فِي طَرِيقِ هُـدَى
وَ مِنْ سِيَاسَتِهِ الدينيةِ انْجَذَبَـــتْ   إِلَيْهِ جُلُّ قُلُوبِ تَآلَفَ الـــحَرَدَا
وَ كَانَ يَسْتَأْلِفُ العِدَا بِخَيْرِ عَطَـا   فَكَيْفَ بِاللِّيْنِ مِنْ قَوْلٍ حَوَى رَشَـدَا
قَدْ قَالَ صَفْوَانُ مَازَالَ النَّبِيُّ يُــوَا   لِينِي وَ يَمْنَحُنِي خَيْراً وَ خَيْرَ جَــدَا
حَتَّى غَدَا لِي أَحَبَّ النَّاسِ بَعْدَ عَدَا   وَتِي لَهُ وَ إِلَيْهِ انقدت فِي السُّعَــدَا
وَ لَيْسَ فِي قَوْلِهِ أَخُو العَشِيرَةِ غِيـــــــبَةٌ وَ لَكِنْ لَهَا أَبَانَ مَا عَهِــدَا
أَبَانَ ذَاكَ لَهَا لِكَيْ تَكُونَ عَلَـــى   بَصِيرَةٍ مِنْهُ فِي الَّذِي لَهُ عَمَــدَا
لَاسِيَمَا وَ هْوَ مَتْبُوعٌ لَهُ خَـــوَلٌ   فَالِاحْتِرَازُ يَحِقُّ مِنْهُ حَيْثُ غَــدَا
وَ مِثْلُ هَذَا يَجُوزُ مِثْلُ مَا فَعَلَ الـــــــمُحَدِّثُونَ الَّذِينَ جَرَّحُوا عَــدَدَا
إِنْ قِيلَ بَيِّنْ لَنَا مَعْنَى حَدِيث بَرِيـــــــرَةَ الَّتِي بِاشْتِرَاطِ لِلْـــوِلَا وَرَدَا
فَقَالَ خَيْرُ الوَرَى لِلسِّتِّ عَائِشَـــةٍ   لِتَشْتَرِيهَا مَعَ الشَّرْطِ الَّذِي قَصَــدَا
وَ بَعْدَ مَا فَعَلَتْ قَامَ النَّبِيُّ خَطِيـــــــباً يبطلُ الشَّرْطَ فِيمَا مِثْله عقــدَا
وَ حَرَّمَ الغِشَّ وَ الخِدَاعَ وَ هْوَ هُنَا   حَاشَاهُ مِنْهُ فَكَيْفَ الحَالُ إِنْ نقــدَا
قُلْنَا لَقَدْ نَزَّهَ اللهُ النَّبِيَّ عَنِ الَّـــــــذِي بِهِ للجَهُولِ شَوَّشَ الخَلَــدَا
أَمَّا الحَدِيثُ فَقَدْ نَفَتْ زِيادَةَ قَــوْ   لِ المُصْطَفَى اشْتَرِطِي قوم رَعُوا سَنَدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ إِنَّ اللَّامَ فِي لَهُـمُ   جَاءَتْ بِمَعْنَى عَلَى كَمَا قَد اطّــرَدَا
كَقَوْلِهِ جَلَّ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَـــــا   وَ الزَّجْرُ فِي شَرْطِهِمُ مِنَ النَّبِيِّ بَـدَا
كَأَنَّهُ قَالَ بَلْ عَلَيْهِمُ اشْتَرِطِـــي   لَكِ الوِلَا وَ الوِلَا لِمُعْتِقٍ عُهِــدَا
وَ الزَّجْرُ مِنْهُ لَهُمْ لِيَنْتَهُوا وَ يَكُـــــــفُّوا عَنْهُ فِي مَرَّةٍ أُخْرَى لِغَيْرِ مَـدَى

وَوَجْهٌ آخَرَ قَدْ قَالُوهُ فِي اشْتَرِطِي   لَهُمْ عَلَى غَيْرِ مَعْنَى الأَمْرِ مِنْهُ غَدَا
وَ إِنَّمَا الأَمْرُ هَا هُنَا لِتَسْوِيَـــــةٍ   فِي الفِعْلِ وَ التَّرْكِ لِلشَّرْطِ الذي انْعَقَدَا
كَأَنَّهُ قَالَ بِالمَعْنَى لَهَا اشْتَرِطِــي   أَوْ لاَ فَشَرْطُهُمُ مُلْغَى إِذَا قصـــــدَا
وَ أَنَّ تَفْرِيعَهُ لَهُمْ يَدُلُّ عَلَــــــى   اطِّلاَعِهِمْ أَنَّ هَذَا الشَّرْطَ عُدَّ سُدَى
وَوَجْهٌ آخَرَ فِيهِ يُبَيِّنِي لَـــهُـــمُ   أَنَّ الوَلاَ إِنَّمَا لِلمُعْتِقِ احتشـــــدَا
وَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالتَّوْبِيخِ قَامَ لِمَـــنْ   قَدْ خَالَفُوا فِيهِ مَا قَدْ كَانَ فِيهِ بَـــدَا
فَإِنْ تَقُلْ مَا تَقُولُ فِي الَّذِي فَعَلَ الـــــــــــــنَّبِيُّ يوسُفُ وَ الأَسْبَاطُ فِي الرُّشَـــدَا
فَإِنَّهُ بِاسْمِ سَارِقِ السِّقَايَةِ قَـــدْ   دَعَاهُمُ وَ أَخُوهُ مَعْهُمُ انْفَـــرَدَا
وَ مِنْهُ أَخْرَجَهَا وَ كَانَ أَوْدَعَهَـــا   فِي رَحْلِهِ كَيْفَ هَذَا مِنْهُمُ شُهِـــدَا
فَاعْلَمْ هُدِيتَ بِأَنَّ فِعْلَ يُوسُفَ عَنْ   أَمْرٍ إِلهِي كَمَا فِي الذِّكْرِ قَدْ سُـــرِدَا
فَاللهُ كَادَ لَهُ لِيَاخُذَ الأَخَ بَيْـــــــــــــنَهُمْ وَ هُمْ نَطَقُوا بِحِكْمِ مَا قَصَـــدَا
فَلاَ اعْتِرَاضَ إِذَنْ بِفِعْلِهِ بِهِـــمُ   لِأَنَّ مَا كَانَ عَنْ إِذْنٍ نَفَى الكَمَـــدَا
وَ لْتَعْلَمْ أَيضاً بِأَنَّهُ بِوفقِ أَخِيـــــــــــــهِ مَعْهُ قَدْ كَانَ مَا قَدْ كَانَ منعقـــدَا
وَ إِنْ يَكُنْ ذَاكَ فِيهِ غَمٌّ وَالِـــدِهِ   فَلاَ عُقُوقَ بِهِ فَالقَصْدُ قَدْ حمـــدَا
وَ قَوْلُهُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ فَلَيْـــــــــــــسَ ذَاكَ مِنْ قَوْلِ يوسفَ النَّبِيِّ بَـــدَا
فَلَيْسَ مِنْ شُبْهَةٍ هُنَا فَيَلْزَمُنَـــا   عَنْهَا الجَوَابُ فَكُنْ لِلحَقِّ مُعْتَمِـــدَا
وَ رُبَّمَا كَانَ مَنْ قَدْ قَالَ ذَاكَ لَهُمْ   لِصُورَةِ الحَالَةِ الَّتِي رَأَى اسْتَنَـــدَا
فَإِنَّهُمْ بِالسِّقَايَةِ الَّتِي افْتُقِـــدَتْ   مِنْ بَيْنِهِمْ طَالَبُوهُمْ بَيْنَ مَنْ شهـــدَا
فَاسْتَخْرَجَ ابْنُ الكَرِيمِ وَهْوَ يُوسُفُ ذَا   كَ مِنْ أَخِيهِ و بِالَّذِينَ مَعْهُ بَـــدَا
وَقِيلَ قَدْ قَالَ ذَاكَ حَيْثُ هُمْ فَعَلُوا   بِهِ الَّذِي فَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ حَسَـــدَا
وَقِيلَ فِي ذَاكَ غَيْرُ مَا ذكرت وَ لاَ   نَقُولُ الأَنْبِيَا مَا لَمْ يَكُنْ سَـــدَدَا
حَتَّى نُطَالَبَ بِالجَوَابِ عَنْهُ بِمَـــا   يُرَى الخَلاَصُ بِهِ مِنْ طَعْنِ مَنْ عَنَـــدَا
وَ لَيْسَ يلزم عَنْ زَلاَّتِ غَيْرِهِمُ اعْـــــــــــــتِذَارُ مُعْتَذِرٍ قَدْ أَحْرَزَ الرَّشَـــدَا

مِنِّي السَّلَامُ عَلَى النَّبِي وَ عِتْرَتِهِ   وَصَحْبِهِ وَ عَلَى مَن اهْتَدَى وَ هَدَى

فصل

إِنْ قُلْتَ مَا الوَجْهُ فِي ابْتِلَاءِ صَفْوَةِ خَلْقِ اللهِ وَ الأَنْبِيَا مِنْ بَيْنِ مَنْ وُجِدَا
مَا حِكْمَةُ اللهِ فِيمَا قَدْ جَرَى لَهُمُ   مِنَ امْتِحَانٍ وَ أَمْرَاضٍ وَ شَرِّ رَدَى
وَ هُمْ أَجَلُّ عِبَادِ اللهِ قَاطِبَةً   وَ هُمْ هُمُ السُّعَدَا وَ هُمْ هُمُ الشُّهَدَا
فَاعْلَمْ وَ أَنَّ الَّذِي ابْتَلَاهُمُ حَكَمٌ   أَفْعَالُهُ كُلُّهَا عَدْلٌ كَمَا اعْتَقَدَا
وَ لَا مَرَدَّ لِمَا قَضَاهُ فِي أَزَلٍ   وَ قَوْلُهُ الصِّدْقُ لَا يَزَالُ مُعْتَمَدَا
قَد ابْتَلَى خَلْقَهُ طُرًّا لِيَبْلُوَهُمْ   وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ الحَائِزِينَ هُدَى
وَ الامْتِحَانُ لَهُمْ زِيَادَةٌ بِهِمُ   فِي قُرْبِهِمْ وَ هُمُ فِي مَنْصِبٍ صَعِدَا
وَ بِامْتِحَانِهِمُ اسْتِخْرَاجُ حَالَةِ صَبْرِهِمْ وَ تَسْلِيمِهِمْ وَ شُكْرِهِمْ أَبَدَا
مَعَ التَّوَكُّلِ وَ الرِّضَى وَ حُسْنِ دُعَا   مَعَ التَّضَرُّعِ وَ التَّفْوِيضِ دُونَ مَدَى
وَ فِيهِ تَأْكِيدُ مَالَهُمْ مِنَ الرَّحَمَا   تِ بِالمُصَابِ لِيمنحُوا لَهُ المَدَدَا
وَ فِيهِ تَذْكِرَةٌ لِغَيْرِهِمْ وَ بِهِمْ   حَقُّ التَّسَلِّي وَ الاقْتِدَاءِ فِي السُّعَدَا
وَ فِيهِ مَحْوُ هَنَاتٍ مِنْهُمُ فرطتْ   وَ غَفْلَةٍ سَلَفَتْ مِمَّا خَفَا وَ بَدَا
لِيَلْقَوْا اللهَ وَ النُّفُوسُ طَيِّبَةٌ   مِنْهُمْ مُهَذَّبَةٌ وَ نُورُهَا اتَّقَدَا
فَعَظَّمَ اللهُ بَيْنَ الخَلْقِ أَجْرَهُمُ   وَ مِنْهُ يُجْزَوْنَ فِي الأُخْرَى كَمَالَ جَدَا
فَفِي الحَدِيثِ أَشَدُّ النَّاسِ بَيْنَهُمُ   بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ فِي سَبِيلِ هُدَى
فَالأَمْثَلُ الأَمْثَلُ الَّذِي اقْتَدَى بِهِمُ   وَ مَنْ بِإِخْلَاصِهِ لِلّٰهِ قَدْ عَبَدَا
وَ الأَجْرُ لِلْعَبْدِ فِيمَا قَدْ أُصِيبَ بِهِ   فِي الذِّكْرِ نَصٌّ وَ فِي الحَدِيثِ قَدْ وَرَدَا
وَ لَا يَزَالُ البَلَا بِالعَبْدِ يَصْحَبُهُ   حَتَّى يُلَاقِي الإِلَهَ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
وَ العَبْدُ إِنْ عُجِّلَتْ لَهُ عُقُوبَتُهُ   فَقَدْ أُرِيدَ بِهِ الخَيْرُ الَّذِي حُمِدَا

وَ العَبْدُ إِنْ يَبْتَلِيهِ اللهُ كَانَ لَهُ لَدَيْهِ حُبٌّ بِهِ يَضْحَى مِنَ السُّعَدَا
وَ إِنْ أَحَبَّ الإِلَهُ العَبْدَ كَانَ لَهُ وَ مَنْ لَهُ كَانَ نَالَ كُلَّ مَا قَصَدَا
يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ المَوْلَى تَضَرُّعَهُ إِنَّ التَّضَرُّعَ لِلمَوْلَى بِهِ عَبَدَا
قَالَ الإِمَامُ السَّمَرْقَنديُّ أَكْرَمُ خَلْقِ اللهِ فِيهِمْ أَشَدُّهُمْ بَلَا وَرَدَا
وَ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ اللُّجَيْنُ مَعَ الإِبْرِيزِ يُخْتَبَرَانِ عِنْدَ مَنْ نَقَدَا
وَ المُؤْمِنُ المُؤْمِنُ اخْتِبَارُهُ بِبَلاَ لِذَلِكَ الصَّبْرُ عِنْدَ الإِبْتِلاَ حَمِدَا
وَ قَدْ حكوا فِي ابْتِلاَ يَعْقُوبَ أَنَّ لَهُ الشَّقَاتَةُ لِابْنِهِ الَّذِي بِهِ وَجَدَا
فَوَاخَذَ اللهُ يَعْقُوبَ الكَرِيمَ بِهَا لِغَيْرَةِ الحَقِّ فِي حُبٍّ بِهِ انْفَرَدَا
وَ قِيلَ بَلْ ذَاكَ الابْتِلاَءُ كَانَ لِأَكْلِهِ لِلَحْمٍ حنيذٍ مَعْهُ وَقْتَ غَدَا
وَ جَارُهُ شَمَّهُ وَ مَا تَفَقَّدَهُ يَعْقُوبُ مِنْ أَجْلِهِ لِيُوسُفَ افْتَقَدَا
فَعَاقَبَ اللهُ يَعْقُوبَ الكَرِيمَ بِذَا كَ مِثْلَ يوسف بِافْتِرَاقِهِ لِمَدَى
وَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي وَقْتِ الغَدَاءِ غَدَا يَدْعُو لِأَجْلِ الغَدَاءِ مَعْهُ مَنْ وَجَدَا
وَ قِيلَ أَنَّ بَلاَ أَيُّوبَ كَانَ لِأَجْلِ الرِّفْقِ مِنْهُ بِذِي ظُلْمٍ لَدَيْهِ عَدَا
وَ رِفْقُهُ لَمْ يُصَادِفْ مِنْهُ مَوْضِعَهُ إِذْ حَقُّهُ العُنْفُ مِمَّا مِنْهُ قَدْ عَهِدَا
وَ لِامْتِحَانِ سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ حَكَوْا مِنْ أَجْلِ أَصْهَارِهِ بِمَا لَهُمْ قَصَدَا
لَقَدْ تَمَنَّى لَهُمْ بِأَنْ لَوْ انْتَصَرُوا عَلَى خُصُومِهِمُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
وَ قِيلَ مِنْ أَجْلِ أَشْيَاءٍ تَقَوَّلَهَا الْيَهُودُ مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَ هْيَ لَنْ تَرِدَا
فَلْتَعْرِفِ الأَوْلِيَاءَ بِابْتِلاَئِهِمُ وَ فِيهِمُ كُنْ بِحُسْنِ الظَّنِّ مُعْتَقِدَا
جَازُوا بِمِنْحَتِهِمْ فِي طَيِّ مِحْنَتِهِمْ وَ النَّقْصُ لَمْ يَكُ بِامْتِحَانِهِمْ وُجِدَا
وَ المُصْطَفَى المُجْتَبَى مُحَمَّدٌ العَرَبِي أَشَدُّهُمْ فِي الَّذِي قَاسَاهُ مُنْفَرِدَا
فَأَعْظَمَ اللهُ فِيهِ أَجْرَ أُمَّتِهِ وَ فِيهِمُ أَعْظَمُ اللهُ لَهُ المَدَدَا
وَ الأَوْلِيَا يَفْرَحُونَ بِالبَلاَءِ كَمَا يَسُرُّ غَيْرَهُمُ إِحْرَازُ خَيْرِ جَدَى
وَ قَدْ رَوَى أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ فَمَنْ بِالإِبْتِلاَءِ رَضَى فَلِلرِّضَى وُجِدَا

وَ مَنْ بِهِ حَلَّ ثُمَّ صَارَ فِي سَخَطٍ   عَلَيْهِ فَهْوَ بِهِ فِي السخْطِ قَدْ قُصِدَا
وَ عَنْ أُبَيٍّ يُجَازَى بِالمَصَائِبِ مَـنْ   يَعْمَلْ بِسُوءٍ تكفرْ مِنْهُ مَا حَصَدَا
وَ مِثْلُهُ عَنْ مُجَاهِدٍ وَ عَائِشَةٍ   عَنِ النَّبِيِّ وَ هَذا بَعْضُ مَـا وَرَدَا
وَ مِنْهُ مَنْ يُرِدِ الخَيْرَ الإِلَهُ بِـهِ   يُصَبْ وَقَدْرُ الجَزَا بِقَدْرِ مَا وَجَدَا
هَبْ أَنَّهَا شَوْكَةٌ بِحَيْثُ شِيكَ بِهَا   يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ مِنْ خطَاهُ غَدَا
وَ عَنْهُ حتتْ خَطَايَاهُ مَصَائِبُـهُ   كَمَا تحت مِنَ الأَشْجَارِ مَا نضدَا
وَ هَا هُنَا حِكْمَةٌ أُخْرَى وَ ذَلِـكَ أَ   نَّ الضُّرَّ يُوهِنُ بِالتَّعَاقُبِ الجَسَدَا
فيسهل المَوْتُ من ضُعْفِ القَوِي وَ يَخِــــفُ النَّزْعُ لِلرُّوحِ مِمَّنْ كَابَدَ الكَمَدَا
خِلَافُ مَنْ فَجْأَةً حَلَّ الحَمَامُ بِـهِ   فَإِنَّهُ فِي عَظِيمِ شِدَّةٍ شهِدَا
فَإِنَّهَا رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ أَخْــــذَةٌ لِأَهْلِ الفُجُورِ هَا هُنَا وَ غَدَا
فَالمُؤْمِنُ الهَيِّنُ المَهْدِي كَخَامَةِ زَرْ   عٍ كُلَّمَا الرِّيحُ هَبَّ انْقَادَ مُتَّئِدَا
تُفِينُهَا الرِّيحُ لُطْفاً هَاكَذَا وَ كَذَا   مَعَ اعْتِدَالٍ إِذَا مَا الرِّيحُ قَدْ خَمِدَا
وَ لِانْفِرَاجِ البَلَا تَلْفِيهِ مُنْتَظِراً   وَ يَشْكُرُ اللهَ إِنْ عَنْهُ البَلَا ابْتَعَدَا
وَ الكَافِرُ الجلدُ مِثْلُ أُرْزَةٍ صَلُبَتْ   لَا تَنْثَنِي دُونَ قَصْمِ مَتْنِهِ أَبَدَا
تَرَاهُ فِي نَفْسِهِ مُمَتَّعاً وَ إِذَا   هَلَاكُهُ حَانَ حَلَّ فِي سَحِيقِ رَدَى
فَأَخْذُهُ بَغْتَةً وَ لَا شُعُورَ لَـهُ   بِمَا يُرَادُ بِـهِ إِذَا رَدَى وَرَدَا
وَ هَا هُنَا حِكْمَةٌ أُخْرَى لِمَنْ نَزَلَ الـــــبَلَا بِهِ فَيُعِدُّ لِلْبَلَى عُدَدَا
فَيَسْتَعِدَّ جَمِيلَ ظَنِّهِ لِلِقَـا   ءِ رَبِّهِ وَ يَمُدَّ بِالجَمِيلِ يَدَا
مِنْ قَلْبِهِ يُخْرِج الدُّنْيَا وَ يَجْنَح لِـلأُ   خْرَى وَ يُوصِي بِمَا عَنْهُ نَفَى الكَمَدَا
يُمَكِّنُ النَّاسَ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَ يُـؤَدِّ   ي مَا عَلَيْهِ لَهُمْ بِالحَقِّ خَيْرَ أَدَا
وَ انْظُرْ لِخَيْرِ الوَرَى وَ لَا ذُنُوبَ لَهُ   كَيْفَ افْتَدَى نَفْسَهُ فِي الصَّحْبِ خَيْرَ فِدَا
قَدْ قَامَ فِيهِمْ خَطِيباً طَالِباً لِتَنَــــصُّلٍ لَهُ مِنْ حُقُوقِ الطَّالِبِ القَوَدَا
أَوْصَى بِعِتْرَتِهِ جَمِيعَ أُمَّتِـهِ   وَ بِالكِتَابِ العَزِيزِ سَائِرَ الشُّهَدَا

وَ هَكَذَا سَائِرُ المَحْمُودِ سِيرَتهُمْ   قَدْ خَلَّفُوا بَعْدَهُمْ مَا فِي الوَرَى حمِيدَا
وَ غَالِباً جُرِمَ الكُفَّارُ مِنْهُ لِإمْلَاءِ الإِلَهِ لَهُمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
فَالمَوْتُ فِي غَالِبِ الأَحْوَالِ تَحْضُرُ ذَا   الإِيمَانِ وَ هْوَ بِالاسْتِعْدَادِ نَالَ هُدَى
وَ تَحْضُرُ الكَافِرِينَ فِي غوَايَتِهِمْ   وَ هُمْ لَهَا مَا اسْتَعَدُّوا الخَيْرَ وَ السَّدَدَا
فِرَاقُهُمْ لِلحَيَاةِ قَدْ أَضَرَّ بِهِمْ   وَ لَيْسَ يلفُونَ مِنْ شَرِّ المَمَاتِ فِدَا
فَلَا يُحِبُّ لِقَاءَ اللهِ سَائِرُهُمْ   وَ يَكْرَهُ اللهُ مِنْهُمُ اللِّقَاءَ غَدَا
فَنَسْأَلُ اللهَ جَلَّ أَنْ يَكُونَ لَنَا   قَبْلَ المَمَاتِ وَ بَعْدَهَا لِغَيْرِ مَدَى
وَ أَنْ يُعَافِيبا مِمَّا أَلَمَّ بِنَا   وَ أَنْ يُهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدَا
حَتَّى نَكُونَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ رَبُّنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الصُّلَّاحِ وَ الشُّهَدَا
فِي زُمْرَةِ المُصْطَفَى خَيْرِ البَرِيَّةِ صَلَّى اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ دَائماً أَبَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَيْهِ وَ السَّلَامِ عَلَى   أَتْبَاعِهِ كُلِّهِمْ وَ سَائِرِ السُّعَدَا

القسم الرابع

في تصرف وجوه الأحكام

فيمن تنقصه و سبه عليه السلام

قَالَ الإِمَامُ عِيَاضُ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ   حُقُوقِ خَيْرِ الأَنَامِ مَا لَدَيْكَ بَدَا
مِمَّا الكِتَابُ مَعَ الإِجْمَاعِ نَصَّ عَلَيْهِ بَعْدَ سُنَّتِهِ الَّتِي تبينُ هُدَى
وَ ضِمْنَ ذَلِكَ مَا تجلُّ حُرْمَتُهُ   بِهِ لَدَى كُلِّ مَنْ قَدْ أَحْرَزُوا الرَّشَدَا
فَحَرَّمَ اللهُ مِنْ كُلِّ الوُجُوهِ أَذَاهُ طِبْقَ مَا فِي الكِتَابِ نَصُّهُ وَرَدَا
وَ قَتْلُ مُنْتَقِصٍ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ   لَهُ عَلَيْهِ غَدَا الإِجْمَاعُ مُنْعَقِدَا
وَ اللهُ قَدْ لَعَنَ المُؤْذِيهِ ثُمَّ لَهُمْ   مِنْهُ العَذَابُ الأَلِيمُ فِي سَحِيقِ رَدَى
وَ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ مِنْهُ مهينَ عَذَابٍ لَا يُطَاقُ بِنَارٍ جَمْرُهَا اتَّقَدَا
وَ قَدْ نَهَى اللهُ عَنْ قَوْلِ اليَهُودِ لِأَفْضَلِ الوَرَى رَاعِنَا يَا أَحْمَدَ السُّعَدَا
يُعَرِّضُونَ بِهَا مِنَ الرُّعُونَةِ لَا   مِنَ الرِّعَايَةِ أَوْ مِنْ لَفْظِهَا انْجَرَدَا

أَوْ قَصْدهمْ ارْعِنَا وَ هُمْ هُمُ السُّفَهَا   إِذِ الرُّعُونَةُ عَنْهُمْ قُبْحُهَا وُجِدَا
أَوْ قَصْدهمْ ارْعِنَا سَمْعاً لتسمعَ مِنَّا وَارْعَ جَانِبَنَا فِي مَشْهَدِ الشُّهَدَا
أَوْ فِي مُضَمَّنِهَا الدُّعَا عَلَيْهِ فَلاَ   رَعَى الإِلَهُ الحَفِيظُ مِنْهُمْ أَحَدَا
وَ النَّهْيُ لِلمُؤْمِنِينَ فِيهِ أُرْغِمَ أَنْفُ كُلِّ أَهْلِ النِّفَاقِ فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ النَّهْيُ قَدْ صَحَّ عَنْ تَشَبُّهٍ بِهِمُ   إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالأَعْدَاءِ فِيهِ عَدَا
كَانُوا يَقُولُونَهَا بِالغَمْزِ بَيْنَهُمُ   لَهُ وَ هُمْ بِالنِّفَاقِ قَدْ غَدَوْا بُعُدَا
أَوْ فِي مُضَمَّنِهَا الإِعْرَاضُ عَنْ أَدَبٍ   مَعَ النَّبِيِّ وَ حَطُّ قَدْرِهِ حَسَدَا
وَ عِنْدَ أَنْصَارِهِ إِطْلاَقُ لَفْظَتِهَا   عَلَى ارْعَنَا نَزْعَكَ اعرَفْهُ تَحُزْ رَشَدا
وَ المُصْطَفَى فِي الوَرَى حَقَّتْ رِعَايَتُهُ   لِذَاكَ عَنْ رَاعِنَا نَهُوا اتْبَعِ السَّدَدَا
كَذَا نَهَى عَنْ تَكَنِّيهِمْ بِكُنْيَتِهِ   صِيَانَةً عَنْ أَذَاهُ طِبْقَ مَا وَرَدَا
فَإِنَّهُمْ رُبَّمَا نَادَوْهُ ثُمَّ إِذَا اسْتَجَابَ قَالُوا سِوَاكَ عِنْدَنَا قُصِدَا
وَ تِلْكَ مِنْ عَادَةِ المجان حَسْبُهُمُ   إِزْرَاؤُهُمْ بِذَوِي القَدْرِ الَّذِي صَعِدَا
وَ بَعْضُهُمْ جَعَلَ النَّبِي المَنُوطَ بِهَا   قَيْدَ الحَيَاةِ كَمَا فِي الإِسْمِ مِنْهُ غَدَا
وَ إِنَّ هَذَا مِنَ الحَقِّ الَّذِي ذَكَرُوا   لِأَجْلِ تَوْقِيرِهِ وَ هُوَ الَّذِي اعتمدَا
مَا كَانَ فِي صَحْبِهِ بِالإِسْمِ بَيْنَهُمُ   يُدْعَى وَ لَكِنْ بِنَحْوِ يَا نَبِيَّ هُدَى
وَ فِي التَّسَمِّي بِهِ قَدْ صَحَّ عَنْ أَنَسٍ   إِنْ لَمْ يُوَقَّرْ شَدِيدُ الكُرْهِ فِيهِ بَدَا
وَ الكُتْبُ مِنْ عُمَرٍ لِأَهْلِ كُوفَتِهِ   أَتَى بِأَنْ لاَ تُسَمُّوا بِاسْمِهِ أَحَدَا
وَ قَالَ لابْنِ أَخِيهِ لَنْ تُسَمَّى بِهِ   مَا دُمْتُ حَيّاً وَ كَانَ بِاسْمِهِ حَمِدَا
وَ غَيَّرَ الإِسْمَ مِنْهُ بِاسْمِ آخَرَ بَعْدُ مِثْل تَغْيِيرِهِ اسْمَ بَعْضِ مَنْ شَهِدَا
كَانُوا تَسَمَّوا بِأَسْمَا الأَنْبِيَا وَ رَأَى   إِمْسَاكَهُ بَعْدَ ذَاكَ عَنْهُمُ سَدَدَا
وَ الحَقُّ فِي كُنْيَةٍ وَ اسْمٍ جَوَازُهُمَا   لِأَنَّ أَصْحَابَهُ سَمَّوْا بِهِ عَدَدَا
وَ قَدْ رَوَوْا فِيهِ إِذْنَ المُصْطَفَى لِعَلِي   مَعْ كُنْيَةٍ إِنْ يَلِدْ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدَا
وَ قَالَ فِي اسْمِ الرِّضَى المَهْدِي وَكُنْيَتِهِ   كَمَا لَهُ وَ كَمَا لَهُ قد انفَرَدَا

وَ المُصْطَفَى بِاسْمِهِ سَمَّى ابْنَ بَعْضِ صِحَابِهِ وَ حَضَّ عَلَى التَّسْمِيَّةِ الشُّهَدَا
فَقَالَ مَا ضَرَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمُ   مُحَمَّدَانِ فَأَعْلَى بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ هَذَا القِسْمُ فِيهِ يُرَى   بَابَانِ طِبْقَ الَّذِي قَدَّمْتُ مُقْتَصِدَا

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه عليه الصلاة و السلام سب أو نقص من تعريض أو نص

مَنْ سَبَّ خَيْرَ الوَرَى يُقْتَلْ وَ يُدْخَلُ فِي   مَنْ سَبَّهُ كُلُّ مَنْ لِنَقْصِهِ عَمَدَا
سَيَّانِ أَلْحَقَ مِنْهُ النَّقْصَ فِي نَسَبٍ   لَهُ وَ فِي حَسَبٍ دُنْيَا وَ مُعْتَقَدَا
مِنْ كُلِّ مُنْتَقِصٍ لَهُ وَ مُجْتَرِىءٍ   عَلَيْهِ فِيمَا أَهَانَ النَّفْسَ أَوْ جَسَدَا
وَ كُل مُحْتَقِرٍ لِشَأْنِهِ فَغَدَا   بِالنَّقْصِ مِنْهُ يُحَاكِي مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
أَوْ مَنْ عَلَيْهِ دَعَا بِالسُّوءِ أَوْ نَسَبَ الَّذِي لَهُ لَمْ يَلِقْ أَوْ كَانَ مُنْتَقِدَا
أَوْ مَنْ تَمَنَّى لَهُ ضُرّاً وَ قَائِلُ زُو   رٍ فِيهِ أَوْ عَابِثٌ بِمَا بِهِ انْفَرَدَا
أَوْ مَنْ بِشَيْءٍ لَهُ جَرَى فَعَيَّرَهُ   بِهِ وَ لَوْ بِالَّذِي لَدَيْهِ قَدْ عَهِدَا
ثُمَّ الَّذِي قُلْتُهُ هُنَا عَلَيْهِ جَرَى الإِ   جْمَاعُ مُنْذُ زَمَانٍ صَحْبِهِ الرُّشَدَا
وَ قَتْلُ مَنْ سَبَّهُ بِلَا اسْتِتَابَتِهِ   وَ قِيلَ مِنْ رِدَّةٍ فِيهَا ارْتَدَى بِرَدَى
وَ حُكْمُ تَكْذِيبِهِ كَحُكْمِ تَبْرِئَةٍ   مِنَ النَّبِي وَ هْوَ مِثْلُ الأَوَّلِ اعْتُمِدَا
وَ قَالَ سَحْنُونُ إِنَّ السَّبَّ زَنْدَقَةٌ   وَ الحُكْمُ مُخْتَلِفٌ فِيهَا لَدَيْهِ بَدَا
هَلْ قَتْلُهُ حَدٌّ أَوْ كُفْرٌ وَ تَوْبَتُهُ   تُجْدِيهِ أَوْلَا وَ هَلْ تَكْفِيرُهُ حُمِدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ لَا خِلَافَ نَعْلَمُهُ   فِي قَتْلِهِ هَدَرَ الدَّمِ اعْرِفِ الرَّشَدَا
وَ قَدْ أَشَارَ ابْنُ حزمٍ لِلخِلَافِ بِمَنْ   قَد اسْتَخَفَّ بِهِ لَكِنَّهُ انْتَقَدَا
وَ قَالَ سَحْنُونُ أَيْضاً أَجْمَعَ العُلَمَا   فِي شَاتِمِيهِ عَلَى تَكْفِيرِهِمْ أَبَدَا
حَتَّى لَقَدْ قَالَ فِيمَنْ لَمْ يَقُلْ كَفَرُوا   فَإِنَّهُ كَافِرٌ لِلنَّارِ بَعْدُ غَدَا
وَ قَالَ فِي الشَّتْمِ وَ التَّنْقِيصِ طَائِفَةٌ   فِي القَتْلِ بِالصَّلْبِ حَيّاً مَنْ لَهُ عَمَدَا

كَالسَّبِّ دُونَ اسْتِتَابَةٍ وَ خُيِّرَ فِـــي   قَتْلٍ وَ صَلْبٍ أَمَامَهُ بِمَا اجْتَهَـــدَا
وَ الْحُكْمُ فِي الأَنْبِيَا حُكْمُ النَّبِيِّ بِتَصْـــلِيبٍ وَ قَتْلٍ لِمَنْ مِنْهُمْ جَفَا أَحَـــدَا
وَ أصبغٌ قَالَهُ بِلاَ اسْتِتَابَتِـــهِ   سَيَّانَ مِنْهُ خَفَا مَا قَالَ أَوْ شهـــدَا
وَ لاَ اسْتِتَابَةَ فِيمَنْ بِالْهَلاَكِ دَعَـــا   عَلَى نَبِيٍّ وَ حُكْمُ قَتْلِهِ اطَّـــرِدَا
وَ مَالِكٌ قَالَ مَنْ يَقُولُ إن رِدَا الـــرَّسُولِ مُتَّسِخٌ وَ عَابَهُ طُـــرِدَا
وَ مِثْلُهُ زِرُّهُ بَلْ كُلُّ مَلْبَسِـــهِ   فَحُكْمُهُ الْقَتْلُ عِنْدَهُ بِغَيْرِ مَـــدَى
وَ الْقَابِسِي قَالَ حُكْمُ مَنْ يعيبُ رَسُو   لَ اللهِ بِالْيُتْمِ قَتْلٌ بَيْنَ مَنْ وُجِـــدَا
وَمَنْ يُشَبِّهُ وَجْهَ الْمُصْطَفَى بِقَبِيـــحِ الْوَجْهِ مُسْتَهْزِئاً فَالْحُكْمُ فِيهِ بَـــدَا
لاَسِيَّمَا إِنْ يَقُلْ قَدْ كَانَ يَشْبَـــهُ ذَا   فَقَتْلُهُ دُونَ تَوْبَةٍ قَد اعْتُمِـــدَا
أَفْتَى بِذَا ابْنَ أَبِي زَيْدٍ وَ قَالَ عَلَـــى   هَذَا الْغَبِي لَعْنَةٌ كَيْفَ افْتَرَى فَنَـــدَا
وَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ بِقَتْـــلِ مَنْ يَقُولُ النَّبِي اسْوِدَادُهُ وُجِـــدَا
وَ قَالَ فِي حَقِّ مَنْ قَدْ قِيلَ فِيهِ لَـــهُ   أَبْدَى الْبَذَا فِي الرَّسُولِ ثُمَّ قَدْ جحـــدَا
وَ قَالَ قَصْدِيَ بِالرَّسُولِ صَاعِقَـــة   لاَ الْمُصْطَفَى وَ لَدَيْهِ لَمْ تَكُنْ شُهَـــدَا
فَقَالَ لِلسَّائِلِ اشْهَدْ لِي فَأَقْتُلُـــهُ   أَكُونُ مَعْكَ شَرِيكاً فِي الثَّوَابِ غَـــدَا
قَالَ الرِّضَى ابْنُ الرَّبِيعِ لاَ يُؤَوَّلُ قَوْ   لُهُ الصُّرَاحُ بِمَا ادَّعَاهُ فِي الرُّشَـــدَا
بَلْ أَخْذُهُ وَاجِبٌ إِذَا الشُّهُودُ بِـــمَا   قَدْ قَالَهُ مِنْ بَذَا وَ الْحَقُّ فِيهِ بَـــدَا
وَ قَالَ مَنْ قَالَ فِيهِ مَا ينقصُ يُقْـــتَلْ دُونَ مَا تَوْبَةٍ لِأَنَّهُ طُـــرِدَا
فَمِنْ فَتَاوِي ابْنِ عَتَّابٍ هُنَا ذكـرت   فَتْوَى تُنَاطُ بِعَشَّارٍ رَمِي بِـــرَدَى
لِقَوْلِهِ لِامْرِىءٍ لِي الْمَكْسُ أَدِّ وَبِـــي   أَشْكُو لِلنَّبِيِّ وَ هَلْ يُجْدِيكَ غَيْـــرُ أَدَا
وَ قَالَ قَوْلاً أحاشي النَّظْمَ عَنْهُ وَ لَـــكِنْ حُكْمُهُ الْقَتْلُ عِنْدَ كُلِّ مَنْ رَشَـــدَا
وَ قَالَ أَيْضاً يَحِقُّ قَتْلُ مَنْ بِـــأَذَا   هُ الْمُصْطَفَى وَ لَهُ بِالنَّقْصِ قَدْ قَصَـــدَا
مُعَرِّضاً كَانَ أَوْ مُصَرِّحاً وَ لَو أَنَّـــهُ ينيلُ وَ هَذَا الْقَوْلُ فِيهِ هُـــدَى
أَمَّا ابْنُ حَاتِمِ الطُّلَيْطِلِيُّ فَقَـــدْ   لاَقَى الْوَبَالَ بِمَا عَلَيْهِ قَدْ شُهِـــدَا

سَمَّى النَّبِيَّ يَتِيماً فِي مُنَاظَرَةٍ   وَ قَالَ مِنْ فَقْدِهِ دُنْيَاهُ قَدْ زَهِدَا
وَ قَالَ مَا قَالَ وَ الأَعْلَامُ قَدْ حَكَمُوا   عَلَيْهِ بِالصَّلْبِ ثُمَّ لِلرَدَى وَرَدَا
وَهَكَذَا فُقَهَاءُ القَيْرَوَانِ فَقَدْ   أَفْتَوْا بِقَتْلِ الفَزَارِي بَيْنَهُمْ كَمَدَا
عَلَيْهِ قَدْ رُفِعَتْ مَنَاكِرُ اشْتَهَرَتْ   فِي جَانِبِ الأَنْبِيَاءِ مِنْهُ فِي شُهَدَا
فَكَانَ فِي قَتْلِهِ احْتِرَامُ جَانِبِهِمْ   وَ رَدْعُ مَنْ فِي هَوَاهُ مِثْلُهُ قَعَدَا
وَ قَدْ حَكَى بَعْضُهُمْ بِأَنَّ خَشْبَتَهُ   بِهِ اسْتَدَارَتْ لِغَيْرِ قِبْلَةِ السُّعَدَا
مِنْ بَعْدِ مَا رُفِعَتْ لِصَلْبِهِ وَ بِهِ   قَدْ صَارَ مُعتبراً لِمَنْ لَهُ شَهِدَا
وَمَنْ يَقُلْ هُزِمَ النَّبِي يُعَاقَبُ إِ   لَّا أَنْ يَتُوبَ وَ إِلَّا قَتْلُهُ حمِدَا
أَوْ بِانْهِزَامٍ لِبَعْضِ جَيْشِهِ أَوْ أَذَى   مِنَ العَدُوِّ وَكُلُّ مَنْ لَهُ حَسَدَا
أَوْ شِدَّةٌ مِنْ زَمَانِهِ أُصِيبَ بِهَا   فِي الصَّحْبِ أَوْ نقصه بِفَقْدِهِ الوَلَدَا
أَوْ مَيْلُهُ لِلنِّسَاءِ وِفْقَ شَهْوَتِهِ   حَاشَاهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ فِي العِبَادِ بَدَا
وَ هَكَذَا كُلُّ مَا لِلنَّقْصِ مَرْجِعُهُ   فَقَتْلُ قَائِلِهِ قَدْ عُدَّ مُعْتَمَدَا

فصل

في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه صلى الله عليه وسلم

فِي الذِّكْرِ لَعْنُ الَّذِي آذَى النَّبِيَّ وَمَنْ   يُلْعَنْ غَدَا كَافِراً مِنْ رَحْمَةٍ طُرِدَا
وَ لَعْنُ قَاتِلِ ذِي الإِيمَانِ جَاءَ كَمَنْ   قَدْ حَارَبَ المُصْطَفَى وَ مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
وَ لَا خِلَافَ يُرَى فِي قَتْلِ مَنْ لِإِلَهِ العَرْشِ سَبَّ وَ لِلنَّبِيِّ قَدْ عَمَدَا
وَ فِي أَذَى المُؤْمِنِ النِّكَالُ فِي أَدَبٍ   لِفَاعِلِيهِ بِقَدْرٍ مَالَهُ قَصَدَا
وَ القَتْلُ جَاءَ بِمَعْنَى اللَّعْنِ فِي لُغَةٍ   فَكَانَ مَعْنَاهُمَا فِي الذِّكْرِ مُتَّحِدَا
وَ مَنْ يُنَقِّصْ رَسُولَ اللهِ فَهْوَ بِمَا   قَدْ كَانَ مِنْهُ يَحُلُّ فِي سَحِيقِ رَدَى
وَ اللهُ قَدْ سَلَبَ الإِيمَانَ عَنْ خَصِمٍ   فِي نَفْسِهِ حَرَجاً بِمَا قَضَى وَجَدَا
وَ إِنْ يُسِيءْ أَحَدٌ مَعَ النَّبِي أَدَبَاً   تُحْبَطْ لَهُ سَائِرُ الأَعْمَالِ فِي الشُّهَدَا

فَالسُّوءُ حِينَئِذٍ كُفْرٌ لِأَنَّ حُبُـو   طَهَا بِهِ لاَ بِغَيْرِهِ كَمَا اعتمَـدَا
حَسْبُ اليَهُودِ مَعَ المُنَافِقِيـنَ أَذَى   جَهَنَّم فَهْيَ فِيهِمْ جَمْرُهَا اتَّقَـدَا
كَانُوا يُحَيُّونَهُ بِالسَّامِ وَ هُوَ بِـمَـا   عَلَيْهِمْ عَادَ دَاعٍ فِي طَرِيـقِ هُدَى
وَ مِنْهُمُ مَنْ يَقُولُ أَنَّـهُ أُذُنٌ   نَعَمْ غَدَا أُذُنَ خَيْرٍ عِنْدَ مَنْ سَعِـدَا
أَمَّا الَّذِينَ هُمُ رَامُو أَذَاهُ بِهَـا   لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا لَدَيْهِ فِـدَا
وَ مَنْ يَقُلْ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْـعَبْ هُم بِقَوْلِهِمُ مَا لاَ يَلِيقُ عِـدَا
وَ مَنْ يُعَادِيهِ فَهْوَ كَافِرٌ وَ لِـذَا   قَدْ قَالَ فِيهِمْ كَفَرْتُمْ طِبْقَ مَـا وَرَدَا
وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ حُكْمَ مُنْتَقِصِيـهِ القَتْلُ وَ هُوَ بِهِ الإِجْمَاعُ قَدْ عُقِـدَا
أَمَّا الأَحَادِيثُ وَ الآثَارُ فَهْيَ كَثِيـرَةٌ وَ أَذْكُرُ مِنْهَا مَا هُنَا سَـرَدَا
فَالأَمْرُ مِنْهُ بِقَتْلِ مَنْ يَسُبُّ نَبِـيّاً جَاءَ وَ الصَّحْبُ من يَسُبُّهُمْ جُلِـدَا
وَوَجَّهَ المُصْطَفَى إِلى ابْنِ أَشْرَفَ حَيْـثُ كَانَ يُؤْذِيهِ مَنْ يُسْقِيهِ كَاسَ رَدَى
وَ الفَخْرُ لِابْنِ عتيك قاتل ابْنِ أَبِي الـحقيقِ إِذْ كَانَ يُؤْذِي المُصْطَفَى حَسَدَا
أَتَى إِلَى حِصْنِهِ وَقَدْ تَحَيَّلَ حَـتَّى حَلَّهُ وَ لَهُ فِي بَيْتِهِ قَصَـدَا
وَ فِيهِ أَثْخَنَهُ ضَرْباً فَأَهْلَكَـهُ   وَ عَادَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ لَمْ يَخَفْ أَحَـدَا
حَتَّى أَتَى لِلَّذِينَ رَافَقُوهُ وَ قَـدْ   رَأَوْهُ يُشْبِهُ فِي الجرَاءَةِ الأَسَـدَا
ثُمَّ انْتَهَوْا لِلنَّبِي وَ حَدَّثُوهُ بِمَـا   جَرَى فَمَدَّ لَهُ النَّبِيُّ مِنْهُ يَـدَا
أَزَالَ مِنْ رِجْلِهِ بِمَسْحِهَا أَلَـماً   أَصَابَهُ عِنْدَ بَابِ القَصْرِ حِينَ غَـدَا
وَ أَهْدَرَ الدَّمَ يَوْمَ الفَتْحِ مِنْ رَجُـلٍ   قَدْ كَانَ ذَا خطل لَسَبِّهِ قَعَـدَا
مَعَ اللَّتَيْنِ هُمَا مُضَافَتَانِ لَـهُ   تُغَنِّيَانِ بِمَا فِيهِ أَذَاهُ بَـدَا
وَ قَالَ فِي رَجُلٍ مَنْ يَكْفِنِيهِ فَإِنَّـهُ عَدُوِّي وَ بِالأَذَى عَلَيَّ عَـدَا
فَقَالَ خَالِدُ الأَرْضَى أَنَا وَ لَـهُ   غَدَا فَأَسْقَاهُ مِنْ يَدَيْهِ كَـأْسَ رَدَى
وَ قَدْ كَفَاهُ الزُّبَيْرُ فِي الصِّحَابِ أَذَى   عُدُوَّهُ فِي أَعَادٍ مَا حَوَوْا رَشَـدَا
وَ لَمْ يقلْ مِنْ أَذَاهُ شر شِرْذِمَـةٍ   بَلْ فِي الصِّحَابِ بِقَتْلِ جُلِّهِمْ عُهِـدَا

مِنْ قَبْلِ فَتْحٍ وَ بَعْدَ الفَتْحِ قَدْ قُتِلُوا   إِلاَّ المُبَادِر لِلإِسْلَامِ مُعْتَقِدَا
سَقَى الرَّدَى ابْنَ مُعَيْطٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ   قُتِلْتَ مِنْ أَجْلِ مَا افْتَرَيْتَ مُتْ كَمَدَا
كَذَاكَ قَدْ بَعَثَ النَّبِي الإِمَامَ عَلِي   مَعَ الزُّبَيْرِ لِقَتْلِ مُفْتَرٍ فَنَدَا
وَ لَمْ يشقَّ عَلَى النَّبِيِّ قَتْلُ أُنَا   سٍ مِنْ أَقَارِبِهِمْ كَمَنْ لَهُمْ ولَدَا
وَ قَالَ لاَ تَنْتَطِحْ عَنْزَانِ فِي امْرَأَةٍ   هَجَتْهُ قَدْ قُتِلَتْ وَ قَوْمُهَا شُهَدَا
وَ قَدْ أَتَى مِنْ أَبِي بَكْرٍ بِأَنَّ حُدُو   دَ الأَنْبِيَا لَمْ تُشَابِهْ غَيْرَهَا أَبَدَا
فَلاَ يُخَفَّفُ فِيهَا فِي الوُجُودِ بِمَا   لِلأَنْبِيَاءِ مِنَ القَدْرِ الَّذِي مَجُدَا
وَ سَبَّ شَخْصٌ أَبَا بَكْرٍ بِحَضْرَتِهِ   مَنْ قَالَ دَعْنِيَ أَضْرِبْ عُنْقَهُ حَرَدَا
فَقَالَ لاَ لَمْ يَكُنْ هَذَا لِغَيْرِ نَبِي   لِأَنَّ سَبِّيَ لَيْسَ مِثْله وجَدَا
وَ ابْنُ العَزِيزِ إِلَى هَذا نَحَا فَإِذَنْ   لاَ قَتْلَ فِي سَبِّ غَيْرِ الأَنْبِيَا أَبَدَا
وَ القَتْلُ قَدْ كَانَ مِنْ أَجْلِ الأَذَى لَهُمُ   وَ لَيْسَ مِنْ أَجْلِ إِشْرَاكِ الَّذِي التحَدَا
وَ ذَا هُوَ الحَقُّ عِنْدَ مَالِكٍ وَ بِهِ   أَفْتَى الرَّشِيدُ وَ قَدْ نَفَاهُ مَنْ رَشِدَا
وَ قَالَ لاَ خَيْرَ فِي بَقَاءِ أُمَّتِهِ   مِنْ بَعْدِ مَا شُتِمَ النَّبِيُّ فِي الشُّهَدَا
مَنْ سَبَّ خَيْرَ الوَرَى يُقْتَلْ بِلاَ مَهَلٍ   وَ مَنْ يَسُبُّ امْرِأً مِنْ صَحْبِهِ جُلِدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ لاَ أَدْرِي خِلاَفَ مَقَا   لِ مَالِكٍ لِعِرَاقِي هَا هُنَا عهِدَا
إِلاَّ حِكَايَةَ مَنْ قَامُوا بِتَرْجَمَةٍ ا   لإِمَامِ هَذَا وَ قَالُوا عَنْهُمُ وَرَدَا
وَ لاَ أَرَى أَنَّهَا فَتْوَى لِمُعْتَبَرٍ   مِنْهُمْ يُرَى عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ مُعْتَمَدَا
وَ يَقْتَضِي النَّظَرُ الصَّحِيحُ أَنَّ أَذَى   خَيْرِ الوَرَى مُوجِبٌ لِلقَتْلِ دُونَ فِدَا
لِأَنَّ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ قَدْ ظَهَرَتْ   عَلاَمَةُ المَرَضِ القَلْبِي وَ فَقْد هُدَى
وَ هَا هُنَا اخْتَلَفُوا فِي حَقِّ شَاتِمِهِ   هَلْ قَتْلُهُ حَدٌّ أَوْ كُفْرٌ قَد اطَّرِدَا
فَقَدْ رَوَى الشَّامِيونَ حُكْمَ رِدَّتِهِ   عَنْ مَالِكٍ قَتْلُهُ كُفْراً كَمَا اعْتُمِدَا
وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى الحُكْمُ فِيهِ لَهُ   فِي القَتْلِ حَدّاً لِقَذْفِ الأَنْبِيَا السُّعَدَا
وَ كَيْفَ لاَ تُقْتَلُ الأَعْدَا وَ هُمْ كَفَرُوا   مِنْ بَعْدِ إِسْلاَمِهِمْ وَ هُمْ هُمُ البُعَدَا

تَقَوَّلُوا كَلِمَاتِ الكُفْرِ بَيْنَهُـــمُ   عَلَى النَّبِيِّ الَّذِي فِي المَجْدِ قَدْ صَعِـدَا
قَالُوا إِذَا كَانَ حَقّاً مَا يَقُولُ مُحَـــــمَّدٌ فَهُمْ حُمُرٌ مِنْ بَيْنِ مَنْ حَمِـــدَا
وَ قِيلَ قَوْلُهُمُ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَـــــزُّ لِلأَذَلِّ أَذَلَّ اللهُ مَنْ عَنَـــدَا
هُمُ الكِلَابُ أَذَلَّ اللهُ جَمْعَهُـــمُ   إِذْ كَانَ خَيْرُ الوَرَى مِنْ بَيْنِهِمْ أَسَـدَا
وَ قِيلَ مَنْ قَالَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِهِـمُ   يُعَدُّ مِمَّنْ لِطَرْحِ دِينِهِ عَمَـــدَا
وَ مَنْ يُغَيِّرُ فِي قَوْمٍ دِيَانَتَـــهُ   فَحُكْمُهُ القَتْلُ حَقّاً طِبْقَ مَـــا وَرَدَا
وَ حُرْمَةُ المُصْطَفَى جَلَّتْ مَكَانَتُهَـا   وَ لَا يُسَامَحُ فِيهَا مَنْ أَجَالَ يَـــدَا
لَهُ المَزَايَا الَّتِي تَمَّتْ فَكَانَ لَـــهَا   عَلَى العِبَادِ احْتِرَامٌ عَمَّ دُونَ مَـــدَى
فَاعْرِفْ بِهَا وَ الْتَزِمْ مَعَ النَّبِي أَدَباً   فَمَنْ قَدِ الْتَزَمَ الآدَابَ نَالَ جَـــدَا

فصل

إِنْ قُلْتَ لِمْ لَمْ يُؤَاخِذْ أَفْضَلُ الرُّسُلِ الَّـــذِي عَلَيْهِ دَعَا بِالسَّامِ فِي الشُّهَــدَا
وَ قَائِلاً أَنَّ هَذِي قِسْمَةٌ قُسِمَـــتْ   وَ مَا بِهَا مِنْكَ وَجْهُ اللهِ قَدْ قُصِـــدَا
حَتَّى تَرَحَّمَ عَنْ مُوسَى وَ قَالَ لَقَـدْ   أُوذِي بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا كَمَـــا وَرَدَا
وَ لَمْ يُعَجِّلْ بِإِجْرَاءِ العُقُوبَةِ لِلْـــمُنَافِقِينَ وَ مَنْ قَدْ أَكْثَرُوا اللَّـــدَدَا
فَاعْلَمْ هُدِيتَ بِأَنَّ سَيِّدَ الرُّسُلِ الْـــمُخْتَارِ مِنْ خَلْقِهِ وَافَى بِخَيْرِ هُـدَى
فَكَانَ مُسْتَأْلِفاً قُلُوبَ أُمَّتِـــهِ   بِمَا جَرَى عَنْهُمُ يُنْفِي بِهِ الكَمَـدَا
مُحَبِّباً لَهُمُ فِي اللهِ رَبِّهِـــمُ   عَلَيْهِ دَلَّهُمُ لِيَبْلُغُوا الرَّشَـــدَا
وَ قَالَ لِلصَّحْبِ بَشِّرُوا العِبَـادَ وَ لَا   تُعَسِّرُوا وَ أَنِيلُوهُمْ هُدَى وَجَـــدَا
فَكَانَ يُغْضِي عَنِ الجَافِي وَ يَحْمِلُ مِنْ   أَذَاهُمُ فِي ابْتِدَاءِ الأَمْرِ مَا وَجَـــدَا
دَارَى الأَعَادِيَ مِنْ مُنَافِقِينَ وَ مِـنْ   كُفَّارِهِمْ بِالَّتِي حَقّاً بِهَا حُمِـــدَا
وَ أَظْهَرَ الدِّينَ مَوْلَاهُ عَلَى يَـــدِهِ   وَ أَيَّدَ المُؤْمِنِينَ مَعْهُ أَيْنَ غَـــدَا
فَعِنْدَ ذَاكَ أَقَامَ الحَدَّ مِنْهُ عَلَــى   جَمِيعِ مَنْ قَدْ تَعَدَّى الحَدَّ فِي الشُّهَدَا
فَلَمْ يُسَامِحْ مُسِيئاً فِي جَرَاءَتِـــهِ   عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ مَا دِينُ الهُدَى وَطَـدَا

كَفِعْلِهِ بِاليَهُودِي ابْنِ الخَطَا خَطَـــلٍ   وَ مَنْ بِقَتْلِهِمُ مِنْ بَعْدِهِ عَهِـــدَا
وَ قَتْلُهُ غِيلَةً مِنَ اليَهُودِ جَمَـــا   عَةً وَ مَنْ هُمْ عَنِ النَّهْجِ السَّوِي طردَا
وَ قَدْ أَتَتْ زُمْرَةٌ إِلَيْهِ تَائِبَـــةً   مِمَّنْ عَلَيْهِ غَدَا أَوْ كَانَ مُنْتَقِـــدَا
كَابْنِ الزِّبَعْرِي وَ كَعْبٍ مِنْ صَحَابَتِهِ   وَ عَنْهُمَا قَدْ عَفَا فَأَحْرَزَا الـــمَـــدَدَا
أَمَّا الَّذِينَ هُمُ قَدْ نَافَقُوا فَأُمُـــو   رُهُمْ قَد اسْتَتَرُوا فِيهَا عَنِ الشُّهَـــدَا
وَ المُصْطَفَى حُكْمُهُ عَلَى ظَوَاهِرِهِمْ   لاَ عَنْ بَوَاطِنِهِمْ مِمَّا لَدَيْهِ بَـــدَا
وَ كَانَ يَطْمَعُ فِي خُلُوصِ نِيَّتِهِـــمْ   وَ كَمْ وَ كَمْ عَادَ فِيهِ البَعْضُ مُعْتَقِـــدَا
وَ قَامَ لِلدِّينِ مِنْهُمْ زُمْرَةٌ نَفَـــعَ الـــلَّهُ العِبَادَ بِهِمْ إِذْ أَصْبَحُوا سُعَـــدَا
بِذَا أَجَابَ جَمَاعَةٌ مِنَ العُلَمَـــا   وَ غَيْرُهُمْ قَالَ قَوْلاً لَيْسَ مُنْتَقَـــدَا
قَالُوا لَعَلَّ النَّبِيَّ لَمْ يُبَالِ بِمَـــا   قَالَ العِدَا حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ شُهَـــدَا
وَ نَبَّهَ المُصْطَفَى عَلَى السَّلَامِ مِنَ الـــيَهُودِ بِالسَّامِ مَنْ إِلَى الرَّشَادِ هَـــدَى
فَقَالَ إِنْ سَلَّمُوا عَلَيْكُمُ فَلَهُـــمْ   قُولُوا عَلَيْكُمْ فَهُمْ يَلْقَوْنَهُ بِـــرَدَى
وَ أَهْلُ بَغْدَادَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِهَـــذَا القَوْلِ وَ هْوَ لَدَيْهِمْ عُدَّ مُعْتَمَـــدَا
وَ قِيلَ لَوْ أَنَّ خَيْرَ الخَلْقِ قَدْ قَتَلَ الـــمُنَافِقِينَ لَقَالُوا الشَّرَّ وَ الفَنَـــدَا
يَقُولُ مِنْهُمْ أُنَاسٌ أَنَّ قَتْلَهُـــمُ   قَدْ كَانَ عَنْ تَرَةٍ بِهَا لَهُمْ ـــــدَا
وَ يَنْفِرُونَ مِنَ الإِسْلَامِ خَشْيَـــةَ أَنْ   يَكُونَ قَتْلُهُمُ بِهِ لَهُمْ عَمَـــدَا
وَحَاشَ حَاشَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَرَضٍ   فِي قَتْلِ أَصْحَابِهِ وَ قَدْرُهُمْ صَعِـــدَا
وَ لَيْسَ يُقْتَلُ إِلاَّ المُعْتَدِينَ وَ مَـــنْ   يَسْتَوْجِبُ الحَدَّ مِمَّنْ بِالهَوَى عَنَـــدَا
وَ مَا هُنَا قُلْتُهُ قَدْ قِيلَ قَالَ بِـــهِ   إِمَامُنَا مَالِكٌ وَ قَوْلُهُ اعْتُمِـــدَا
مَا الحُكْمُ إِلاَّ عَلَى مَا الشَّخْصُ أَظْهَرَهُ   أَوْ مَا عَلَيْهِ بِهِ فِي النَّاسِ قَدْ شُهِـــدَا
لِذَاكَ لَوْ أَظْهَرَ النِّفَاقَ مُنْفِقُـــهُ   عِنْدَ النَّبِي كَانَ حُكْمُ القَتْلِ فِيهِ غَـــدَا
وَ هْوَ الَّذِي قَالَهُ جَمَاعَةٌ وَ بِـــهِ   قَتَادَةٌ قَالَ وَ السِّوَى لَهُ اسْتَنَـــدَا
فَإِنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ ثُقِفُـــوا   وَ قُتِّلُوا إِذْ عَلَيْهِمُ النِّفَاقُ بَـــدَا

وَقِيلَ فِي جَاهِدِ الْكُفَّارَ قَدْ نُسِخَتْ   بِمَا أَتَى قَبْلَهَا فِي الذِّكْرِ قَدْ سَرَدَا
وَبَعْضُهُمْ قَدْ رَأَى أَنَّ النَّبِيَّ رَأَى   فِي الْقَائِلِ اعْدِلْ بِهَذِي الْقِسْمَةِ السَّدَدَا
كَأَنَّهُ قَدْ رَأَى فِي رَأْيِهِ غَلَطاً   فَلَمْ يُؤَاخِذْهُ حَيْثُ ظَنَّهُ اجْتَهَدَا
وَمَا رَأَى ذَاكَ فِيهَا يَسْتَحِقُّ بِهِ   مَا يَسْتَحِقُّ الَّذِي آذَاهُ مُنْتَقِدَا
كَذَاكَ فِي السَّامِ فِي قَوْلِ الْيَهُودِ فَلَمْ   يَكُنْ بِسَبٍّ صَرِيحٍ عِنْدَ مَنْ شَهِدَا
وَإِنَّمَا فِيهِ مَعْنَى الْمَوْتِ وَهْوَ بِمَا   لَابُدَّ يَلْحَقُ كُلَّ النَّاسِ دُونَ فِدَا
وَقِيلَ فِي السَّامِ مِنْ لَفْظِ السَّآمَةِ مُشْتَقٌّ وَلَيْسَ بِخَافٍ مَا بِهِ قُصِدَا
فَهُمْ عَلَيْهِمْ دَعَوْا أَنْ يَسْأَمُوا وَيَمَلُّوا الدِّينَ وَهْوَ عَنِ السَّبِّ الصَّرِيحِ عَدَا
ثُمَّ الدُّعَاءُ بِهِ سَبٌّ وَقِيلَ أَذَى   وَقِيلَ تَعْرِيضُهُمْ بِذَيْنِكَ اتَّحَدَا
قَالَ الْمُؤَلِّفُ إِنَّ السَّبَّ مِثْلُ أَذَا   فِي حَقِّ خَيْرِ الْوَرَى وَالْحُكْمُ فِيهِ بَدَا
وَقَالَ قَالَ ابْنُ نَصْرٍ وَالْحَدِيثُ هُنَا   مَا فِيهِ حال الْيَهُودِي بِالْوُضُوحِ غَدَا
هَلْ هُوَ ذمي أَوْ حَرْبِي لِيَعْمَلَ فِي   كُلٍّ بِمَا يَقْتَضِيهِ حُكْمُهُ سَدَدَا
وَلَيْسَ يَتْرُكُ مُوجِبَ الْأَدِلَّةِ مِنْ   أَجْلِ احْتِمَالِ السِّوَى كَمَا قَد اعتمدا
وَالْحَقُّ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ أَظْهَرَهَا   مِنْ كَوْنِ إِيلَافِهِمْ لَدَيْهِ قَدْ قُصِدَا
إِذْ لَمْ يَزَلْ صَابِراً خَيْرُ الْوَرَى لَهُمُ   حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْهُمْ فَاهْتَدَى وَهَدَى
وَاقتص مِمَّنْ عَلَى الْأَذَى اسْتَمَرَّ وَلَمْ   يَسْلَمْ سِوَى مَنْ إِلَيْهِ انْقَادَ مُعْتَقِدَا
وَمِنْ صَيَاصِيهِمُ بِالْإِذْنِ أَنْزَلَهُمْ   وَخَرَّبَ اللَّهُ مِنْ بُيُوتِهِمْ عَدَدَا
إِنْ قُلْتَ قَدْ قَالَتِ الْمَوْلَاةُ عَائِشَةٌ   لِنَفْسِهِ الْمُصْطَفَى لَمْ يَنْتَقِمْ أَبَدَا
إِلَّا إِذَا انْتُهِكَتْ لِلَّهِ حُرْمَتُهُ   فَالِانْتِقَامُ لَهُ فِيمَا خَفَا وَبَدَا
فَاعْلَمْ وَأَنَّ انْتِقَامَ الْمُصْطَفَى لِأَذَا   هُ لَمْ يَكُنْ حَظُّ نَفْسٍ مِنْهُ قَدْ وُجِدَا
وَإِنَّمَا مِنْهُ ذَاكَ الِانْتِقَامُ لِرَبِّهِ   بِإِذْنٍ لَهُ فِي كُلِّ مَا شهدا
وَمَا لَهُ الْعَفْوُ فِيهِ لَمْ يُحَافِ بِهِ   وَلَا يُحَابِي لَدَى حَقٍّ بَدَا أَحَدَا
فَلَا يُؤَاخِذُ أَعْرَابِي بِجَفْوَتِهِ   وَلَا بِمَا كَانَ مِنْ عَادَاتِهِمْ عَهِدَا

مِثْلُ الَّذِي المُصْطَفَى مِنْهُ اشْتَرَى فَرَساً   وَ بَعْدَ إِمْضَائِهِ لِبَيْعِهَا جَحَدَا
فَعِنْدَ ذَاكَ أَتَى خُزَيْمَةٌ وَ عَلَى   تَصْدِيقِ خَيْرِ الأَنَامِ بِالشِّرَا شَهِدَا
وَ مِثْلُ ذَاكَ يُرَى فِيمَنْ تَظَاهَرَتَا   عَلَيْهِ وَ هْوَ لِمَا قَدْ قَالَتَا اشْتَدَا
وَ نَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا الصَّفْحُ يحسنُ عَنْهُ   وَ هْوَ يَوْماً بِهِ فِي قَوْمِهِ انْفَرَدَا
وَ قَالَ بَعْضُ فُحُولِ العِلْمِ أَنَّ أَذَى النَّبِي حَرَامٌ وَ لَوْ بِمَا أُبِيحَ غَدَا
وَ مِنْهُ نَهْيُ عَلِي عَلَى تَزَوُّجِهِ   عَلَى البَتُولِ بِبِنْتِ شَرٍّ مَنْ عَنَدَا
وَ قَالَ فَاطِمَةٌ مِنِّي وَ لَيْسَ أَذَا   هَا هَيِّناً حَيْثُ يُؤْذِيهِ كَمَا وَرَدَا
وَ مِثْلُهُ العَفْوُ عَنْ لبيدَ سَاحِرِهِ   رَجَاءَ إِسْلَامِهِ وَ كَانَ مُلتحدَا
وَ عَنْ يَهُودِيَةٍ سَمَّتْهُ كَانَ عَفَا   لَكِن لِنَجْلِ البراءِ اسْتَخْلَصَ القوَدَا
كَمَا عَفَا عَنْ مُرِيدِ قَتْلِهِ وَ لَقَدْ   رَآهُ فِي نَوْمِهِ عَنْ قَوْمِهِ انْفَرَدَا
وَ كَمْ عَفَا عَنْ أُنَاسٍ كُلُّهُمْ حَقَدُوا   عَلَيْهِ وَ هْوَ عَلَيهِمْ لَمْ يَكُنْ حقدَا
وَ قَدْ رَجَا مِنْهُمُ اسْتِيلَافَ أَنفُسِهِمْ   لِيَأْمَنُوا فَرَآى فِي الجُلِّ مَا قَصَدَا
وَ اللهُ سُبْحَانَهُ موفق لِطَرِيقِ الحَقِّ بِالحَقِّ مَنْ قَدِ اهْتَدَى وَ هَدَى
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَى مَاحِي الضَّلَالَةِ بِالهُدَى مَعَ الآلِ وَ الأَتْبَاعِ دُونَ مَدَى

فصل

قَالَ المُؤَلِّفُ أَنَّ مَا تَقَدَّمَ فِي   قَتْلِ الَّذِي سَبَّ خَيْرِ الخَلْقِ فِيهِ هُدَى
كَمَا تَقَدَّمَ حُكْمُ الإِزْدِرَاءِ بِهِ   وَ الإِحْتِقَارِ وَ مَا بِهِ أَذَاهُ بَدَا
وَ ذَاكَ وَجْهٌ وَ لاَ إِشْكَالَ فِيهِ وَهَا   ثَانِي الوُجُوهِ هُنَا بِمَا مَضَى اتَّحَدَا
حَكْمُ الَّذِي قَالَ فِي حَقِّ النَّبِيِّ بِلاَ   قَصْدٍ لِسَبٍّ كَحُكْمِ مَنْ لَهُ قَصَدَا
وَ السَّبُّ يَشْمَلُ كُلَّ مَا أَذَاهُ بِهِ   مِمَّا يُضَافُ لَهُ قَوْلاً وَ مُعْتَقَدَا
كَاللَّعْنِ وَ الغَمْضِ مِنْ حُقُوقِ جَانِبِهِ   وَ نَفْيِّ حَقٍّ لَهُ بَيْنَ العِبَادِ غَدَا
وَ مِثْلُ تَكْذِيبِهِ إِلْحَاقُ مَنْقَصَةٍ   بِهِ كَكِتْمَانِهِ تَبْلِيغ مَا شَهِدَا
أَوْ رَمْيِهِ بِافْتِرَاءٍ أَوْ مُدَاهَنَةٍ   أَوْ أَنَّهُ لِزُرُوعِ الذَّنْبِ قَدْ حَصَدَا

وَ الغَضُّ مِنْ رُتْبَةٍ فِي النَّاسِ حَلَّ بِهَا   وَ الحَطُّ مِنْ رِفْعَةٍ فِي أَوْجِهَا صَعِدَا
وَ النَّقْصُ مِنْ نَسَبٍ لَهُ وَمِنْ حَسَبٍ   بِهِ وَ مَا حَازَ مِنْ فَضْلٍ بِهِ انْفَرَدَا
وَ الحَطُّ مِنْ عِلْمِهِ الَّذِي حَوَاهُ وَ مَا   عَنْهُ تَوَاتَرَ عَنْ قَصْدٍ بِهِ انتقدَا
وَ مِثْلُ ذَاكَ مِنَ القَوْلِ القَبِيحِ وَ مَا   يَقُولُهُ سُفَهَا أَهْلِ الهَوَى حَسَدَا
وَ نِسْبَةُ الشَّيْءِ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ   إِلَيْهِ مِمَّا بِهِ يَكُونُ مُنْتَقِدَا
وَ غَيْرُ قَاصِدِ ذَمٍّ مِثْلُ قَاصِدِهِ   فِي مِثْلِ هَذَا وَ لَوْ فِي جَهْلِهِ قَعَدَا
أَوْ قَالَهُ قَلِقاً مِمَّا أَلَمَّ بِهِ   أَوْ عَنْ تَهَوُّرِهِ فِي القَوْلِ ملتحدَا
فَالحُكْمُ فِي الكُلِّ قَتْلٌ دُونَ مَعْذِرَةٍ   بَلْ لَا تَلَعْثُمَ فِيهِ بَيْنَ مَنْ سَعِدَا
فَالكُفْرُ لَا عُذْرَ فِيهِ عِنْدَ مَنْ عَرَفُوا   وَ لَوْ بِدَعْوَى انْزِلَاقِ النُّطْقِ فِي شُهَدَا
إِلَّا إِذَا كَانَ مُخْتَلاًّ وَ لَيْسَ لَهُ   عَقْلٌ وَ لَمْ يَكُ عَنْ سُكْرٍ بِهِ افْتَقَدَا
إِلَّا إِذَا كَانَ مُكْرَهاً عَلَيْهِ وَ قَلْـــــبُهُ بِإِيمَانِهِ اطْمَأَنَّ مُعْتَقِدَا
بِمِثْلِ ذَا كَانَ أَفْتَى أَهْلُ أَنْدَلُسٍ   عَلَى ابْنِ حَاتِمٍ الَّذِي ارْتَدَى بِرَدَى
وَمِثْلُ ذَلِكَ مَأْمُورٌ يَسُبُّ بِلَا   إِكْرَاهِ المُصْطَفَى فَقَتْلُهُ اعْتُمِدَا
إِلَّا إِذَا ارْتَدَّ فَالحُكْمُ اسْتِتَابَتُهُ   فَإِنْ أَصَرَّ فَقَتْلُهُ كَمَا عُهِدَا
وَ القَابِسِيُّ يَقُولُ قَتْلُ شَاتِمِهِ   فِي السُّكْرِ لَاشَكَّ فِيهِ إِذْ بِهِ طُرِدَا
فَالسُّكْرُ لَا يُسْقِطُ الحَدَّ المَنُوطَ بِهِ   لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَعْرِفُ الرَّشَدَا
فَقَدْ تَسَبَّبَ فِي ارْتِكَابِ مُنْكَرِهِ   بِشُرْبِهِ وَ لِفَقْدِ عَقْلِهِ عَمَدَا
لِذَاكَ نلزِمُهُ كُلَّ الحُدُودِ مَعَ الطَّـــــلَاقِ وَ العِتْقِ مَعْ جِنَايَةٍ بِهُدَى
وَ مَا أَتَى هَا هُنَا بِلَا مُؤَاخَذَةٍ   بِهِ فَذَلِكَ قَبْلَ حُرْمَةٍ وَرَدَا
وَ لَا اعْتِرَاضَ بِمَا قَدْ قَالَ حَمْزَةُ لِلـــــنَّبِي يَوْماً وَ قَدْ رَآهُ فِي الشُّهَدَا
فَقَالَ مَا أَنْتُمُ إِلَّا عبيد أَبِي   وَ أَعْرَضَ المُصْطَفَى عَنْهُ بِمَا شَهِدَا
فَالحُكْمُ مِنْ قَبْلِ تَحْرِيمٍ رَآوْهُ كَحَا   لِ نَائِمٍ أَوْ دَوَاءٍ لِلْمُعَالِجِ دَا
وَ العَفْوُ فِيهِ إِلَى أَنْ نَصَّ فِيهِ عَلَى   تَحْرِيمِهِ المُصْطَفَى فِيمَا خَفَا وَ بَدَا

فصل

وَ هَا هُنَا ثَالِثُ الوُجُوهِ مُتَّضِحٌ   مَا فِيهِ مِنْ حُكْمِ مَنْ لِلْمُصْطَفَى جَحَدَا
بِحَيْثُ كَذَّبَهُ فِيمَا يَقُولُ وَ مَا   بِهِ أَتَى مِنْ رِسَالَةٍ بِهَا وَفَدَا
أَوْ قَالَ هَذَا النَّبِيُّ لاَ وُجُودَ لَهُ   فَكُفْرُهُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ فِي الرُّشَدَا
فَإِنْ يُصَرِّحْ بِهَذَا فَهُوَ أَشْبَهُ بِالْـ   ـمُرْتَدِّ وَ الخلفُ فِي اسْتِتَابِهِ وُجِدَا
كَذَاكَ مَنْ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَ يَقُو   لُ جَاءَهُ مَلَكٌ بِالوَحْيِ فِي الشُّهَدَا
دَعَا لِذَلِكَ سِرّاً فِيهِ أَوْ عَلَناً   وَ لَوْ يَكُونُ يَهُودِياً إِلَيْهِ هَدَى
وَ القَتْلُ فِي حَقِّهِ إِذَا أَصَرَّ كَانْ   أَتَى بِنَقْصٍ بِهِ عَلَيْهِ قَدْ شُهِدَا
وَ إِنْ يَكُنْ بِالبَذَاءِ مِنْهُ مُسْتَتِراً   فَحُكْمُهُ حُكْمُ زِنْدِيقٍ كَمَا عُهِدَا
وَ قَالَ سَحْنُونُ مَنْ فِيمَا النَّبِيُّ أَتَى   بِهِ يَشُكُّ يُعَدُّ كَافِراً عَنَدَا
وَ حُكْمُهُ القَتْلُ مِثْلُ مَنْ يَقُولُ بِأَ   نَّ المُصْطَفَى أَسْوَدٌ وَ العَيْبُ فِيهِ بَدَا
أَوْ قَالَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ مَا التَحَى وَ نَفَى   وُجُودَهُ بِالحِجَازِ أَوْ بِهِ التَحَدَا
وَ كَاتِمُ البُغْضِ زِنْدِيقٌ وَ مُظْهِرُهُ الْـ   ـمُرْتَدُّ فِي الدِّينِ وَ هُوَ المُرْتَدِي بِرَدَى
وَ لاَ اسْتِتَابَةَ فِي الزِّنْدِيقِ وَ هِيَ لِمُرْ   تَدٍ فَإِنْ لَمْ يَتُبْ فَقَتْلُهُ رُصِدَا

فصل

وَ هَا هُنَا رَابِعُ الوُجُوهِ فِيهِ هُنَا   قَد اسْتَبَانَ اخْتِلاَفَ مَنْ قَد اجْتَهَدَا
وَ ذَاكَ فِيمَنْ أَتَى بِمَحْتَمِلٍ وَ لِلَفْـ   ـظِ مشكلٍ فِي الَّذِي لِنَقْصِهِ عَمَدَا
لَمْ يَدْرِ هَلْ قَصْدُهُ النَّبِي بِقَوْلَتِهِ   أَوْ غَيْرِه أَوْ هُمَا بِمَا خَفَا وَ بَدَا
فَبَعْضُهُمْ نَظَرَتْ عَيْنَاهُ حُرْمَتَهُ   وَ غَضَّ طَرْفاً عَنِ الذَّمِ الَّذِي ضَهَدَا
فَقَالَ يُقْتَلُ حَيْثُ كَانَ مُنْتَهِكاً   لِجَانِبٍ لَمْ يُسَامَحْ مَنْ عَلَيْهِ عَدَا
وَ بَعْضُهُمْ دَرَأَ الحَدَّ المَنُوطَ بِهِ   بِشُبْهَةٍ لِاحْتِمَالِ القَوْلِ فِي الشُّهَدَا
وَ قَدْ تَخَالَفَتِ الأَقْوَالُ فِي رَجُلٍ   أَتَى بِقَوْلٍ عَلَيْهِ صَارَ مُنْتَقَدَا
فَقِيلَ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ قَالَ فَلاَ   صَلَّى الإِلَهُ عَلَى مَنْ قَالَهَا أَبَدَا

فَقَالَ سَحْنُونُ لَمْ يشتمْ مَلَائِكَـــةً   بِقَوْلِهِ حَيْثُ قَالُوهَا وَ قَدْ حَــــرَدَا
فِي مِثْلِ هَذَا ابْنُ مِسْكِينٍ يَقُولُ كَمَـا   يَقُولُ بِالقَتْلِ غَيْرُهُ مِنَ الرُّشَـــدَا
وَ القَابِسِي قَالَ بِالتَّضْيِيقِ فِي رَجُلٍ   قَدْ قَالَ قَوْلاً يَعُمُّ الأَنْبِيَا السُّعَـــدَا
فَقَالَ فِي كُلِّ فُنْدُقٍ وَ صَاحِبِـــهِ   قَرْنَانِ أَضْحَى وَ لَوْ يَكُنْ نَبِيَ هُـــدَى
وَ لَايَزَالُ مُضَيِّقاً عَلَيْهِ إِلى اسْـــــــتِفْسَارِهِ وَ ظُهُورِ مَا الَّذِي قَصَـــدَا
وَ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهِ عَنْهُ يُفْــــرَجُ أَوْ   يُقْضَى عَلَيْهِ بِقَتْلٍ بَيْنَ مَنْ شَهِـــدَا
وَ لَا عَنِ العُرْبِ طُرّاً ثُمَّ قَالَ قَصَدْ   تُ ظَالِمِيهِمْ فَغَيْرُ قَتْلِهِ اعْتُمِـــدَا
لَكِنْ يُؤَدَّبُ تَأْدِيباً يَلِيقُ بِـــهِ   بِقَدْرِ مَا الحَكَمُ التُّرْضَى بِهِ اجْتَهَـــدَا
وَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي لَعْنِ ابْــنِ آدَمَ أَوْ   أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ فِي قَوْلِ الَّذِي رَشَـــدَا
وَ هُوَ الَّذِي قَدْ حَكَى عَنِ الرِّضَى ابْنِ أَبِي   زَيْدٍ وَ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ انْتَقَـــدَا
وَ جَاهِلٌ لِحَدِيثٍ سَبَّ نَاقِلَـــهُ   أَوْ سَبَّهُ وَ الحَدِيثُ ثَابِتٌ سَنَـــدَا
أَوْ سَبَّ مَنْ حَرَّمَ الإِسْكَارَ مُدَّعِيـاً   جَهْلاً وَ مَا قَصَدَ النَّبِيَّ وَ الصَّمَـــدَا
فَحُكْمُهُ الضَّرْبُ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَـــهُ   عِلْمٌ فَيُقْتَلُ كُفْراً فِي الَّذِي قَصَـــدَا
وَ مِثْلُ هَذَا جَرَى لِلنَّاسِ بَعْضِهِمُ   فِي سَبِّ بَعْضٍ بِمَا يَعُمُّ مَنْ وَلَـــدَا
كَأَنْ يَقُول لَهُ هُوَابْنُ أَلْفِ حِـمَـا   رٍ أَوْ مُشَابِهَ هَذَا القَوْلِ إِنْ سُــرِدَا
وَ فِيهِ لَاشَكَّ أَنْ يَكُونَ قُعْــدُدُهُ   مِنْهُ لِآدَمَ فِيهِ كَمْ نَبِي وُجِـــدَا
فَيَنْبَغِي الزَّجْرُ فِي هَذَا وَ لَوْ عُلِمَتْ   فِي سَبِّ بَعْضِهِمْ قَرِينَةٌ طَــــرَدَا
وَ الطَّرْدُ لَعْنٌ وَ مَنْ يُلْعَنْ فَإِنَّ عَلَيْـــــــهِ الحُكْمُ بِالقَتْلِ يَجْرِي فِيهِ دُونَ فِـدَا
وَ مِثْلُهُ سَبُّ أَبْنَا هَاشِمٍ وَ يَقُــــو   لُ ظَالِمِيهِمْ قَصَدْتُ بَيْنَ مَنْ رَشَـــدَا
وَ مِثْلُ ذَاكَ قَبِيحُ القَوْلِ فِي رَجُلٍ   مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِي مِمَّنْ لَهُ عَمَـــدَا
لَكِنَّهُ جَاهِلٌ بِالإِنْتِسَابِ لَـــــهُ   وَ السَّبُّ مِنْهُ بِإِخْرَاجِ النَّبِيِّ بَـــدَا
أَمَّا إِذَا شَمِلَ السَّبُّ النَّبِيَّ بِـمَـا   عَلَيْهِ دَلَّ فَحُكْمُ القَتْلِ قَـــدْ وَرَدَا
قَالَ الرِّضَى ابْنُ مَنَاسٍ فِي الَّذِي لَعَنَ امْــرِىءً إِلى آدَمٍ فِي مَجْمَعِ الشُّهَـــدَا

فَإِنَّ قَائِلَ هَذَا اللَّعْنِ يُقْتَلُ حَيْثُ الأَنْبِيَا بَعْضُهُمْ فِي أَصْلِهِ وُجِدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ هَا هُنَا قَد اخْتَلَفَتْ   أَشْيَاخُنَا فِي الَّذِي عَلَى سِوَاهُ عَدَا
وَ قَالَ إِن تُتَّهَمْ فَالأَنْبِيَا اتُّهِمُوا   فَكَيْفَ أَنْتَ وَ أَنْتَ تَعْرِفُ الشُّهَدَا
فَكَانَ شَيْخِي ابْنُ جَعْفَرٍ يَرَى لِبَشَا   عَةٍ بِذَا اللَّفْظِ قَتْلَهُ بِغَيْرِ فِدَا
وَ لاحْتِمَالِ اتِّهَامِ الكَافِرِينَ لَهُمْ   تَوَقَّفُ البَعْضُ فِي القَتْلِ الَّذِي اعْتُمِدَا
وَ شَدَّدَ العَالِمُ القَاضِي الأَجَلُّ أَبُو   مُحَمَّدٍ وَ بِسِجْنٍ عِنْدَهُ صفدَا
وَ بَعْدَ طُولِ امْتِحَانٍ مِنْهُ أَطْلَقَهُ   بَعْدَ اليَمِينِ بِمَا قَدْ كذبَ الشُّهَدَا
كَذَاكَ أَفْتَى بِسِجْنٍ مَنْ تَنَقَّصَهُ   شَخْصٌ فَقَالَ لَهُ وَ النَّقْصُ فِيهِ بَدَا
إِنِّي أَنَا بَشَرٌ وَ النَّقْصُ يَلْحَقُ مَنْ   يَكُونُ مِنْ بَشَرٍ حَتَّى نَبِيَ هُدَى
لَكِنْ هُنَا البَعْضُ مِنْ أَعْلَامِ أَنْدَلُسٍ   أَفْتَى بِقَتْلٍ وَ لَكِنْ لَيْسَ مُعْتَمَدَا
كَذَا ابْنُ عِيسَى قَضَى بِسِجْنِهِ رَجُلاً   لِسَبِّ مَنْ اسْمُهُ مُحَمد عَمَدَا
بِرِجْلِهِ قَدْ رَمَى كَلْباً وَ قَالَ لَهُ   قُمْ يَا مُحَمَّدُ وَ هْوَ خَصْمُهُ قَصَدَا
وَ حَيْثُ لَمْ يَلْفِ مَنْ عَلَيْهِ يَشْهَدُ بِاسْتَرَابَةِ الدِّينِ لَمْ يَقْتُلْهُ إِذْ جَحَدَا

فصل

وَ هَا هُنَا خَامِسُ الوُجُوهِ وَ هْوَ مَنُو   طٌ بِالَّذِي لَمْ يَكُنْ لِلنَّقْصِ قَدْ قَصَدَا
لَكِنَّهُ قَدْ أَتَى بِهِ لِتَرْفِيعِ نَفْسٍ مِنْهُ أَوْ غَيْرِهِ فِي مَشْهَدِ الشُّهَدَا
أَتَى بِهِ ضَارِباً لِنَفْسِهِ مَثَلاً   لاَ لِلتَّأَسِّي بِهِ فِيمَا قَد انتقدَا
أَوْ جَاءَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ التَّشَبُّهِ وَالتَّمْثِيلِ مَعْ عَدَمِ التَّوْقِيرِ مِنْهُ بَدَا
كَقَوْلِ بَعْضِهِمُ إِنْ قِيلَ فِيَ قَبِيحُ   فَالنَّبِي قَالَ فِيهِ السُّوءَ مَنْ عَنَدَا
أَوْ إِنْ أَنَا كَذَّبَتْنِي النَّاسُ بَيْنَهُمُ   فَالأَنْبِيَا كُذِّبُوا وَ هُمْ هُمُ السُّعَدَا
أَوْ إِنْ أَكُنْ فِي الوَرَى اقْتَرَفْتُ مَعْصِيَةً   فَالأَنْبِيَا أَذْنَبُوا وَ هُمْ هُمُ الرُّشَدَا
أَوْ كَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ نَاسِي وَ مَا سَلِمَتْ   بَيْنَ الوَرَى الأَنْبِيَا مِنْ نَاسِهِمْ أَبَدَا
أَوْ قَدْ صَبَرْتُ كَأُولِي العَزْمِ إِذْ صَبَرُوا   أَوْ صَبْرِ أَيُّوبٍ أَوْ صَبْرِ النَّبِي لِعِدَا

وَ نَحْوُ هَذَا مِنَ القَوْلِ الَّذِي السُّفَهَـــا   تَسَاهَلُوا فِيهِ وَ هُوَ عُدَّ مُنْتَقَـــدَا
وَ كَمْ وَكَمْ مِثْلُ هَذَا القَوْلِ لِلشُّعَــرَا   وَ مَا بِهِ شَعَرُوا حَتَّى ارْتَدَوْا بِرَدَى
فَلِلْمَعَرِّي معَرَّاتٌ وَ لِلْمُتَنَـــــبِّي هَا هُنَا مِنْ سَخِيفِ القَوْلِ مَا نقدَا
وَ قَوْلُ غَيْرِهِمَا مِمَّنْ تَعَجْرَفَ فِـــي   نَظْمٍ وَ نَثْرٍ بِهِ لِلرُّشْدِ مُذْ فقَـــدَا
وَ هَا هُنَا قَدْ حَكَى فِي الأَصْلِ أَمْثِلَـــةً   تَرَكْتُ نَظْمِي لَهَا لِمقْصِدٍ حُـــمِدَا
وَ قَدْ تَسَاهَلَ قَوْمٌ فِي الوُلُوجِ بِهَــــذَا البَابِ وَ هُوَ بِهِمْ يُفْضِي لِكُلِّ رَدَى
لَاسِيَمَا الشُّعَرَاءُ مِنْهُمْ وَ هُــــمُ   فِي النَّاسِ أَجْرَؤُهُمْ عَلَى الَّذِي انْتُقِـدَا
مِثْلُ ابْنُ هَانِي فَقَدْ أَتَى بِعَجْرَفَـــةٍ   فِي القَوْلِ مِثْلُ المَعَرِّي فِي هَوَاهُ غَدَا
فَفِي كَلَامِهِمَا الكُفْرُ الصَّرِيحُ مَعَ اسْــــتِخْفَافِ شِعْرِهِمَا بِالأَنْبِيَا الرُّشَـــدَا
فحقٌّ مِثْلِهِمَا التَّعْزِيرُ بِالأَدَبِ الَّـــــذِي يُنَاسِبُهُ فِي مَجْمَعِ الشُّهَـــدَا
وَ لَمْ يَزَلْ يُنْكِرُ الأَعْلَامُ مَا عَثَــرُوا   عَلَيْهِ مِمَّا بِهِ قَدْ فَسَّقُوا عَـــدَدَا
قَالَ الإِمَامُ وَ مَنْ يخطىء فيمنـع أَنْ   يَقُولَ أَخْطَأَ قَبْلِي الأَنْبِيَا السَّـــدَدَا
وَ مَنْ يُعَرِّضْ بِهِمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِمْ   مِنَ التَّجِلَّةِ فِي مَقَالِهِ جُلِـــدَا
قَالَ ابْنُ عَبْدِ العَزِيزِ لِي انْظُرُوا عَرَبِـــيّاً كَاتِباً لِيَكُونَ كَاتِباً رَشَـــدَا
فَقَالَ كَاتِبُهُ كَانَ النَّبِيُّ أَبُـــو   هُ كَافِراً وَ لِرَبِّ أَعْجَمِي حمـــدَا
فَقَالَ تَجْعَلُ هَذَا هَا هُنَا مَثَـــلاً   لَا كُنْتَ لِي كَاتِباً مِنْ بَعْدِهَا أَبَـــدَا
وَ كَانَ سَحْنُونُ يكْرَهُ الصَّلَاةَ عَلَى الـــنَّبِيَ عِنْدَ تَعَجُّبٍ لِمَا شَهِـــدَا
وَ قَالَ لَا يَنْبَغِي الصَّلَاةُ مِنْ أَحَـــدٍ   بِلَا احْتِسَابٍ وَ لَا مَثُوبَةٍ قَصَـــدَا
وَ القَابِسِي قَالَ فِيمَنْ قَالَ وَجْهُ نَكِيـــرٍ مِثْلُ هَذَا القَبِيحِ ضَرْبُهُ اعْتُمِـــدَا
وَ مِثْلُ ذَلِكَ إِنْ يَقُلْ عبُوسَتُـــهُ   تَحْكِي عبُوسَةَ مَالِكٍ إِذَا اعتمـــدَا
فَإِنْ هُمَا قَصَدَا ذَمّاً فَقَتْلُهُمَـــا   عُقُوبَةٌ لَهُمَا وَ هُوَ الَّذِي اعْتُمِـــدَا
وَ قَالَ يُزْجَرُ مَنْ قَدْ قَالَ إِنْ أَكُ أُمِّـــيّاً فَقَدْ كَانَ أُمِّيّاً نَبِيٌّ هُـــدَى
مِنْ بَعْدِ مَا شَنَّعُوا عَلَيْهِ قَوْلَتَـــهُ   وَ صَارَ فِي نَدَمٍ قَدْ كَابَدَ الكَمَـــدَا

لَكِنْ إِذَا اسْتَغْفَرَ المَوْلَى وَ أَصْبَحَ فِي   فَرْطِ انْزِعَاجٍ يكفُّ عَنْهُ فِي الشُّهَدَا

فصل

وَ هَا هُنَا سَادِسُ الوُجُوهِ جِئْتُ بِهِ   فِي حَقِّ مَنْ قَدْ حَكَى قَوْلَ الَّذِي التحَدَا
وَ فِيهِ أَرْبَعُ أَوْجُهٍ بِحُرْمَتِهِ   وَ الكرْهُ وَ النَّدْبُ جَاءَتْ وَ الوُجُوبُ بَدَا
فَيَنْبَغِي عِنْدَ تَعْرِيفٍ بِقَائِلِهِ إلا   عْلاَمُ وَ هُوَ بِهِ عَلَيْهِ قَدْ شهدَا
فَإِنْ حَكَى ذَاكَ عَنْهُ فِي مُكَاتَبَةٍ   أَوْ مَجْلِسٍ فَبِهِ التَّفْصِيلُ قَدْ وُجِدَا
فَمَنْ تَصَدَّى لِتَعْلِيمٍ وَ كَانَ بِهِ الإِ   لْحَادُ حُقَّ بِهِ الإِعْلاَمُ فِي الرُّشَدَا
وَ مِثْلُهُ كُلُّ مُفْتٍ فِي الحُقُوقِ وَ مَنْ   فِي مِثْلِ ذَلِكَ صَارَ لِلوَرَى سَنَدَا
وَ الوَاجِبُ البُعْدُ مِنْهُ مَعْ إِشَاعَةِ مَا   بِهِ يَقُولُ مِنَ الإِلْحَادِ فِي الشُّهَدَا
لاَسِيَمَا إِنْ يَكُنْ فِي النَّاسِ وَاعِظاً أَوْ   مُؤَدِّباً لِيَرَاهُ النَّاسُ ملتحدَا
فَلاَ يَمِيلُ إِلَى مَقَالِهِ أَحَدٌ   وَ لاَ يَكُونُ لِأَهْلِ الدِّينِ مُعْتَمَدَا
أَمَّا سِوَاهُمْ فَحَقُّ اللهِ يَلْزَمُ سَا   مِعِيهِ نُصْرَتَهُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
حَتَّى إِذَا انْفَصَلَتْ بِهِمْ قَضِيَّتُهُ   لَمْ يَأْثَمِ الكُلُّ بِالفَرْضِ الَّذِي اضطهدَا
وَ النَّدْبُ يَبْقَى عَلَى البَاقِينَ مُنْسَحِباً   فِي عَضْدِ تَحْذِيرِ مَنْ مِنْ بَيْنِهِمْ وُجِدَا
وَ حَالُ رَاوِي الحَدِيثِ حقّ شهرتهَا   فَكَيْفَ حَالَةُ مَنْ فِي دِينِهِ التحَدَا
قَالَ الرِّضَى ابْنُ أَبِي زَيْدٍ وَ يَلْزَمُ مَنْ   أَصْغَى لِهَذَا أَدَاءَ مَالَهُ شَهِدَا
إِذَا رَجَا الحُكْمَ مَنْ أَدَّا شَهَادَتَهُ   أَوْ حسنَ تَأْدِيبِ مَنْ عَلَيْهِ قَدْ شَهِدَا
أَمَّا حِكَايَةُ قَوْلِ المُلْحِدِينَ لِغَيْرِ مَا تَقَدَّمَ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ بِهُدَى
إِلاَّ لِرَدٍّ كَمَا جَاءَ الحَدِيثُ بِهِ   وَ مِثْلُهُ فِي كِتَابِ اللهِ قَدْ سُرِدَا
فَإِنَّ تَحْذِيرَ كُلِّ النَّاسِ مِنْهُ بِتِبْيَانِ الخَطَا لِاجْتِنَابِهِ يُرَى سَدَدَا
بِذَلِكَ انْعَقَدَ الإِجْمَاعُ حَيْثُ حَكَوْا   أَقْوَالَهُمْ وَ رَمُوهَا فِي سَحِيقِ رَدَى
أَمَّا ابْنُ حَنْبَلَ فَهْوَ لاَ يُجَوِّزُ أَنْ   تُحْكَى مَقَالَةُ مَنْ فِي دِينِهِ التحَدَا

وَرَدَّ فِيهِ عَلَى المُحَاسِبِي وَ رَأَى   تَرْكَ الحِكَايَةِ أَوْلَى طِبْقَ مَا اجْتَهَدَا
لَكِنَّهُ حِينَ رَدَّ قَوْلَ جَهْمِيَـةٍ   حَكَاهُ مِثْلَ المُحَاسِبِي الَّذِي نقَدَا
وَ زَجْرُ حَاكِيهِ فِي قِيلَ وَ قَالَ وَ مَا   لاَ يَنْبَغِي مُتَأَكِّدٌ لَدَى الرُّشَدَا
فَإِنْ يَعُدْ لِلَّذِي حَكَى يَحُلُّ بِهِ التَّـ   ـأْدِيبُ عِنْدَ الَّذِي قَدْ صَارَ مُجْتَهِدَا
فَقَدْ أَتَى مَالِكاً شَخْصٌ يُسَائِلُـهُ   عَمَّنْ يَرَى خَلْقَ قُرْآنٍ لَنَا مَجُدَا
فَقَالَ مَالِكٌ اقْتُلُوهُ فَهْوَ لَنَـا   قَدْ قَالَهُ لاَ سِوَاهُ أَيُّهَا الشُّهَدَا
فَكَانَ هَذَا مِنَ الإِمَامِ أَعْظَمَ تَعْـ   ـزِيرٍ لَهُ لِيَتُوبَ مَنْ لَهُ اعْتَقَدَا
وَ حَيْثُ يُتَّهَمُ الحَاكِي بِقَوْلَةِ كُفْـ   ـرٍ فِي الَّذِي قَدْ حَكَاهُ عُدَّ مُنْتَقِدَا
لاَسِيَمَا إِنْ رَوَى هَجْوَ النَّبِيِّ وَ كَا   نَ مُولَعاً بِالَّذِي يَحْكِيهِ فِي الشُّهَدَا
فَحُكْمُ هَذَا كَحُكْمِ السَّابِّ يُقْتَلُ مِنْ   غَيْرِ تَرَاخٍ وَ عَنْ حِمَى الهُدَى طُرِدَا
وَ بَعْضُهُمْ ذَكَرَ الإِجْمَاعَ جَاءَ عَلَى   تَحْرِيمِ حِفْظِ هِجَاءٍ فِي نَبِيِّ هُدَى
قَالَ ابْنُ سَلاَّمٍ الأَرْضَى وَ حَافِظُ شِطْـ   ـرٍ مَنْ هَجَاهُ يُعَدُّ كَافِراً بعدَا
وَ لِاتِّقَاءِ الأَذَى قَدْ أَسْقَطَ العُلَمَـا   مِنَ المَغَازِي أُمُوراً جُلُّهَا انْتُقِدَا
وَ قَدْ تَحَرَّى ابْنُ سَلاَّمٍ فَأَعْرَضَ عَنْ   ذِكْرِ الأَهَاجِي الَّتِي لَمْ يُرْضِهَا الرُّشَدَا
فَلَمْ يُصَرِّحْ بِهَجْوِ مَنْ يُسَاءُ بِهَـا   فِي كُتْبِهِ حَيْثُ كَنَّى عَنْهُ مُجْتَهِدَا
فَكَيْفَ فِي حَقِّ خَيْرِ الخَلْقِ لاَ يَدَعُ الـ   ـحَاكِي الَّذِي ذِكْرُهُ يُفْضِي بِهِ لِرَدَى
وَ جَانِبُ المُصْطَفَى مَازَالَ مُحْتَرَماً   وَ مَنْ يُرِدْهُ بِسُوءٍ لِلرَّدَى وَرَدَا

فصل

وَ هَا هُنَا سَابِعُ الوُجُوهِ يَفْصَحُ عَنْ   حُكْمِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِلسَّبِّ قَدْ قَصَدَا
فَإِنَّ ذَاكِرَ مَا عَلَى الرَّسُولِ يَجُو   زُ لَيْسَ فِيهِ يُرَى عَلَيْهِ مُنتَقدَا
كَذِكْرِ مَا امْتُحِنَ النَّبِي بِهِ وَ كَذَا   مَا كَانَ كَابَدَهُ مِمَّا شَوَى الكَبِدَا
وَ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا فِي مُذَاكَرَةٍ   بِهِ اسْتِفَادَةُ عِلْمٍ أَوْ بُلُوغُ هُدَى
وَ لَيْسَ فِي ذَاكَ مِنْ غَمْصٍ وَ مَنْقَصَةٍ   فِي ظَاهِرِ اللَّفْظِ وَ المَعْنَى الَّذِي قُصِدَا

وَ كُلُّ مَا أَنْتَجَ التَّشْوِيشَ لَيْسَ يَـجُـو   زُ ذِكْرُهُ لِلْعَوَامِ كَيْفَ مَـــا وَرَدَا
فَفِي ضِعَافِ الْعُقُولِ الْفِتْنَةُ انْتَشَرَتْ   بِقَدْرِ مَا فهمتْ مِمَّا خَفَا وَ بَــــدَا
لِذَاكَ مَا عَلِمَ النِّسَاءُ سُورَةَ يُـــو   سُفَ الأجلةِ كَيْ يَسْلِمْنَ مُعْتَقَـــدَا
وَ الأَصْلُ فِي ذِكْرِ مَا يَجُوزُ لِلْعُلَمَـــا   مَا أَخْبَرَ الْمُصْطَفَى عَنْ نَفْسِهِ الرشدَا
فَقَالَ مَا مِنْ نَبِي إِلاَّ رَعَى غَنَمَـــاً   وَ فِي رِعَايَتِهِ لَهَا اهْتَدَى فَهَـــدَى
وَ اللهُ أَخْبَرَنَا عَنِ الْكَلِيمِ بِـــذَا   كَ وَ هْوَ لاَ غَمْصَ فِيهِ عِنْدَ مَنْ رَشَدَا
بَلْ فِيهِ لِلأَنْبِيَاءِ حِكْمَةٌ وَ كَـــرَا   مَةٌ بِهَا قَدْرُهُمْ فِي قَوْمِهِمْ صَعِـــدَا
وَ أَخْبَرَ اللهُ أَيْضاً عَنْ كَرَامَةِ خَيْـــــــرِ الْخَلْقِ فِي يُتْمِهِ مِنْ بَيْنِ مَنْ وُجِدَا
حَتَّى أَرَاهُ الإِلَهُ مَا أَرَاهُ مِنَ الْـــــــفَتْحِ الْمُبِينِ بِمَا قَدْ طَاوَلَ الأَبَـــدَا
وَ اللهُ أَيَّدَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ بِرَغْـــــــمِ جَاحِدِيهِ وَ قَهْرِ كُلِّ مَنْ عَنَـــدَا
وَ لَمْ يَكُ ابْنُ مَلِيكٍ قَامَ يَطْلُبُ مُلْـــــــكَ وَالِدَيْهِ وَ لَكِنْ قَامَ مُنْفَـــرِدَا
فَقَامَ يَدْعُو الْوَرَى حَقّاً لِخَالِقِـــهِ   حَتَّى أَطَاعُوا لَهُ وَوَحَّدُوا الأَحَـــدَا
وَ انْظُرْ خِطَابَ هِرَقْلَ فِي حَدِيثِ أَبِي   سُفْيَانَ تَرْدَدْ بِهِ فِيمَا مَضَى رَشَـــدَا
وَ فِي كِتَابِ النَّبِي أَرْمِيَاءَ أَتَـــى   وَصْفُ النَّبِي بِالْيَتِيمِ فَاعْرِفِ السَّدَدَا
كَذَاكَ قَدْ جَاءَ فِي قَوْلِ ابْنِ ذِي يَزَنٍ   وَصْفُ النَّبِي بِالْيَتِيمِ طِبْقَ مَـــا وَرَدَا
كَذَاكَ قَالَ بَحِيرَا إِذْ رَآهُ لِعَـــــــمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَ النُّورُ مِنْهُ بَـــدَا
كَذَاكَ يُوصَفُ بِالأُمِّيِّ مُعْجِـــزَةً   لَهُ وَ مَفْخَرَةً مَقَامُهَا صَعِـــدَا
وَوَصْفُهُ بِالنَّبِي الأُمِّيِّ زَادَ بِهِ الْـــــــقُرْآنُ أَعْجَبَ إِعْجَازٍ بِنَهْجِ هُـــدَى
سُبْحَانَ مَنْ قَدْ أَجَلَّ قَدْرَهُ بِأُمُـــو   رٍ حَطَّ قَدْرَ السِّوَى بِهَا لَدَى الشُّهَـــدَا
وَ فِي رَدَى مَنْ عَدَاهُ مِنْ عِدَاهُ وَ مِنْ   كُلِّ الأَنَامِ حَيَاتُهُ لَدَى الرُّشَـــدَا
فَكَانَ فِي شَقِّ قَلْبِهِ الْحَيَاةُ لَـــهُ   وَ ذَاكَ فِيمَنْ سِوَاهُ كَانَ شَـــرَّ رَدَى
وَ هَكَذَا كُلُّ مَا حَوَتْهُ سِيرَتُـــهُ   فِي الْخَلْقِ وَ هْوَ بِحُسْنِ الْخَلْقِ قَدْ حمدَا
وَ مورِدُ الشَّيْءِ مِنْهُ فِي مَـــوَارِدِهِ   يجلُّ أَوْ لاَ يُلاَقِي طِبْقَ مَا قصــدَا

كَذَاكَ لَا يَنْبَغِي التَّحْدِيثُ بِالْخَبَرِ الـــغَيْرِ الصَّحِيحِ الَّذِي فِي الْأَنْبِيَا انْتُقِدَا
وَ اللهُ يَرْحَمُ مَالِكاً فَقَدْ كَرِهَ الـــتَّحْدِيثَ بِالْمُوهِمِ التَّشْبِيهِ لِلْبُلَــدَا
قَالُوا ابْنَ عَجْلَانَ مِنْهَا لِلرِّجَالِ رَوَى   فَقَالَ فِي الْفُقَهَاءِ لَيْسَ مُعْتَمَــدَا
وَ لَيْتَ مَنْ فُقِّهُوا قَدْ وَافَقُوهُ عَلَــى   مَا قَالَ فِي تَرْكِ مَا يُشَوِّشُ الْخَلَــدَا
وَ قَدْ حَكَى بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضِ مَنْ سَلَفُوا   كَرَاهَةَ الْقَوْلِ فِيمَا يُنْتِجُ اللَّــدَدَا
فَتَرْكُ مَا لَيْسَ يُلْفَى تَحْتَهُ عَمَــلٌ   أَوْلَى وَ لَوْ كَانَ مِمَّا قَدْ عَلَا سَنَــدَا
فَالْمُصْطَفَى فِي بَلِيغِ الْقَوْلِ أَوْرَدَهَــا   عَلَى أُنَاسٍ لَهُمْ فَهْمٌ بِمَا قَصَــدَا
وَ هُمْ هُمُ الْعُرْبُ لَا تَخْفَى حَقَائِقُهَــا   عَنْهُمْ وَ مَا فَهِمُوا مِنْ لَفْظِهَا اعْتَمَــدَا
وَ عِنْدَ مَا غلبتْ فِي النَّاسِ عُجْمَتُهُمْ   تَفَرَّقُوا عِنْدَهَا طَرَائِقاً قِــدَدَا
أَمَّا الَّذِي لَا يَصِحُّ لَا يَجُوزُ بِــأَنْ   يُرْوَى وَ إِبْطَالُهُ مِنْ شِيمَةِ الرُّشَــدَا
وَ هَا هُنَا أَنْكَرُوا عَلَى ابْنِ فُــورَكَ إِذْ   أَتَى بِمُشْكِلِهِ الْكَلَامِ مَا انتقــدَا
وَ كَانَ مِنْ حَقِّهِ تَرْكُ الضَّعِيفِ مَعَ الـــمَوْضُوعِ مَعْ مَا يُضَاهِي ذَيْنَ إِذْ وُجِدَا
إِذِ الْكَلَامُ عَلَى إِيضَاحِ مُشْكِلِهَــا   أَوْ مَتْنِهَا صَحَّ لَكِنْ عُدَّ مُنْتَقَــدَا
وَ الْهَدْمُ لِلْأَصْلِ دَاعٍ لِانْهِدَامِ فُــرُو   عٍ شُيِّدَتْ فَوْقَهُ فِيمَا خَفَا وَ بَــدَا
فَلَيْسَ يَحْتَاجُ فِيهَا لِلْجَوَابِ عَلَــى   مَا أَوْرَدُوهُ عَلَيْهَا وَ هْوَ مَــا وَرَدَا

فصــل

وَ لَازِمٌ هَا هُنَا الْتِزَامُ حَالِ تَــأَ   دُّبٍ مَعَ الْمُصْطَفَى فِيمَا خَفَا وَ بَــدَا
مِنْ كُلِّ مَا قَدْ ذَكَرْنَا مِنْ مُذَاكَــرَةٍ   فِيمَا عَلَيْهِ يَجُوزُ عِنْدَ مَنْ رَشَــدَا
وَ حِينَ يَذْكُرُ مَا قَاسَاهُ يَذْكُــرُهُ   مَعَ التَّأَسُّفِ وَ التَّوْقِيرِ فِي الشُّهَــدَا
يَوَدُّ فِيهِ فِدَا النَّبِيِّ مِنْهُ بِكُـــلِّ مَا يَكُونُ وَ مَا فِي الْكَوْنِ قَدْ وُجِدَا
يَوَدُّ نُصْرَتَهُ لَوْ أَمْكَنَتْهُ مَعَ الـــحُضُورِ مَعْهُ فَيَفْدِيهِ بِخَيْرِ فِــدَا
مُرَاقِباً نَفْسَهُ بِحِفْظِ مَنْطِقِــهِ   كَيْ لَا يَقُولَ مَقَالَ مَنْ قَدِ التَحَــدَا
فَلَا يَقُولُ بِجَهْلٍ أَوْ بِمَعْصِيَــةٍ   أَوِ افْتِرَا فِي نَبِيٍّ مِثْلَ مَنْ عَنَــدَا

مُرَاعِياً أَدَباً فِيمَا تَقَوَّلَهُ   أَهْلُ الهَوَى وَ عَلَيْهِمْ صَارَ مُنْتَقِدَا
يَقُولُ مَعْ أَدَبٍ فَهَلْ يَجُوزُ كَذَا   أَوْ لَا يَجُوزُ كَذَا فِي الأَنْبِيَا السُّعَدَا
وَ لْيَحْذَرِ النَّقْصَ فِيمَا صَارَ يُنْسِبُهُ   لَهُمْ وَ يحضرَ بَالَهُ بِمَا اعْتَقَدَا
فَرُبَّمَا ذَلَعَ اللِّسَانُ دُونَ تَعَـــــــمُّدٍ وَ رُبَّ غَبِي لِلنَّقْصِ قَدْ عَمَدَا
يَقُولُ الْمُصْطَفَى مَا لَمْ يَقُلْهُ وَ يُبْـــــــدِي مِنْ تَهَوُّرِهِ مَا لَمْ يَكُنْ سَدَدَا
فَإِنْ يَكُ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَمِدُوا   آدَابَهُمْ فِي النَّبِي أَوْلَى بِمَا حَمِدَا
فَهُوَ الأَحَقُّ بِهَا فِي حَقِّ جَانِبِهِ   لِأَنَّهُ بِكَمَالِ الرِّفْعَةِ انْفَرَدَا
وَ جَيِّدُ القَوْلِ فِيهِ زَادَ رَوْنَقَهُ   لِأَنَّ كُلَّ جَمَالٍ فِيهِ قَدْ شُهِدَا
وَ إِنَّ سِحْرَ البَيَانِ مِنْهُ مَظْهَرُهُ   وَ إِنَّ دُرَّ المَعَانِي مِنْهُ قَدْ نُضِدَا
فَلْيَفْرِغِ الْمُتَكَلِّمُ البَلِيغُ بَدِيـــــــعَ القَوْلِ فِيهِ عَلَى وفقِ الَّذِي اعْتُقِدَا
فَإِنَّ فِيهِ مَجَالاً وَاسِعاً وَ لَهُ   فِي الحُسْنِ أَعْلَى مَجَالٍ نُورُهَا اتَّقَدَا
فَحَقُّ سَامِعِ ذِكْرِهِ القِيَامُ لَهُ   وَ لَا يُلَامُ إِذَا بِمَدْحِهِ وَجَدَا
فَالنَّاسُ مِمَّنْ مَضَوْا بِحُبِّهِ شَغَفُوا   وَ كَمْ وَكَمْ كَامِلٍ لِآيَةٍ سَجَدَا
وَ كُلَّمَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمُ خَضَعُوا   لَهَا وَ زَادَتْهُمُ فِي حُبِّهِ رَشَدَا
أَحْوَالُهُمْ فِي السَّمَاعِ عِنْدَهَا اخْتَلَفَتْ   بِمَا بِهِ أَرْغَمُوا أُنُوفَ مَنْ عَنَدَا
فَبَعْضُهُمْ صَارَ مِنْ مَتْلُوِّهَا حَرَضاً   لَدَى حِكَايَةِ قَوْلِ مَنْ حَوَى حَرَدَا
وَ هَكَذَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ   يُعَظِّمُوا المُصْطَفَى وَ الأَنْبِيَا السُّعَدَا
فَلَا يَمِيلُ إِلَى مَا قَالَهُ السُّفَهَا   فِي الأَنْبِيَا أَحَدٌ قَدْ وَحَّدَ الأَحَدَا
و يخفضُ الصَّوْتَ مِنْهُ فِي حِكَايَتِهِ   لِقَوْلِهِمْ وَ عَلَيْهِمْ قَامَ مُنْتَقِدَا
مُعَظِّماً رَبَّهُ فِيمَا يُقَاوِمُهُمْ   بِهِ لِتَقْوِيمِهِمْ بِالحَقِّ فِي الشُّهَدَا
مُبَاعِداً عَنْهُمُ بِنَفْسِهِ وَ لَهُمْ   فِي اللهِ بِالبُغْضِ يَرْمِيهِمْ بِكُلِّ رَدَى
بِالْمُصْطَفَى مُسْتَجِيرٌ مِنْ سَفَاهَتِهِمْ   وَ مُسْتَجِيزٌ لَهُ فِي نَيْلِ كُلِّ هُدَى
فَهُوَ الكَرِيمُ الَّذِي مَا خَابَ سَائِلُهُ   دُنْيَا وَ أُخْرَاهُ فِيمَا مِنْهُ قَدْ قَصَدَا

صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِ قَدْرَ رُتْبَتِهِ   لَدَيْهِ دُونَ انْتِهَاءِ فِي كَمَالٍ جَدَا
مَعَ السَّلَامِ عَلَيْهِ طِبْقَ مُنْيَتِهِ   فِي ضِمْنِهَا آلِهِ وَ صَحْبُهُ الرُّشَدَا

لباب الثاني

في حكم سابه و شانئه و منتقصه و مؤذيه

و عقوبته و ذكر استتابه ووراثته

سَبُّ النَّبِي أَوْ أَذَاهُ الحُكْمُ فِيهِ كَمَا   تَقَدَّمَ القَتْلُ عِنْدَ كُلِّ مَنْ رَشَدَا
وَ القَتْلُ حَدّاً لَدَى الجُمْهُورِ مِنْ سَلَفٍ   مَعْ مَالِكٍ إِنْ يَتُبْ مِنْهُ الَّذِي التحَدَا
وَ القَتْلُ لَابُدَّ مِنْهُ تَابَ مِنْهُ أَوِ اسْـ   ـتَدَامَ فِيهِ عَلَى الإِلْحَادِ فِي الشُّهَدَا
وَ لَيْسَ يُجْدِيهِ نَفْعاً فِيهِ تَوْبَتُهُ   وَ لَوْ أَتَى تَائِباً يَسْتَنْتِجُ الرَّشَدَا
بِهِ ابْنُ سَحْنُونَ قَالَ وَ الرِّضَى ابْنُ أَبِي   زَيْدٍ مَعَ القَابِسِي الأَرْضَى بِغَيْرِ فِدَا
وَ قَالَ بَعْضُ الهُدَاةِ إِنَّ تَوْبَتَهُ   تُدَافِعُ القَتْلَ عَنْهُ فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الزِّنْدِيقِ حَيْثُ أَتَى   بِنَفْسِهِ تَائِباً وَ لَمْ يَكُنْ صفدَا
قَدْ قَالَهُ أَصْبَغٌ لِكَوْنِ تَوْبَتِهِ   مَقْبُولَةً حَيْثُ لَمْ يوسرْ بِمَنْ شَهِدَا
وَ مَالِكٌ قَالَ إِنْ يقدرْ عَلَيْهِ فَلَا   تُقْبَلْ لَهُ تَوْبَةٌ لِكَوْنِهِ طُرِدَا
وَ اللَّيْثُ قَالَ بِهِ أَيْضاً وَ قَالَ بِهِ   إِسْحَاقُ مَعْ أَحْمَدٍ وَ قَوْلُهُمْ حُمِدَا
وَ الشَّافِعِي قَالَ إِنْ يَتُبْ فَتَوْبَتُهُ   تُجْدِيهِ نَفْعاً وَ قَدْ رَآوْهُ مُعْتَمَدَا
وَ عَنْ عَلِي يُسْتَتَابُ ثُمَّ لِلحَنَفِي   وَ اليُوسُفِي الخلْفُ نَقْلاً عَنْهُمَا وُجِدَا
وَ المُسْلِمُ السَّابُّ لِلنَّبِيِّ يُقْتَلُ حَـ   ـدّاً مُطْلَقاً وَ هْوَ طِبْق مَا مَضَى اعْتُمِدَا
لِأَنَّ حَقَّ النَّبِي بِهِ تَعَلَّقَ بَيْـ   ـنَ النَّاسِ يُقْتَلُ حَدّاً فِيهِ أَيْنَ غَدَا
فَإِنْ جَنَى أَوْ زَنَى المُرْتَدُّ فَهُوَ مُطَـ   ـلَبٌ بِحَدِّهِمَا وَ إِنْ يَتُبْ أَبَدَا
وَ هَكَذَا سَائِرُ الحُدُودِ تَلْزَمُهُ   وَدُونَهَا عَنْهُ حُكْمُ الرِّدَّةِ ابْتَعَدَا
نَعَمْ إِذَا لَمْ يَتُبْ فَالقَتْلُ حَلَّ بِهِ   لِكُفْرِهِ دُونَ قَتل السبِّ فِي الشُّهَدَا
وَ السَّابُّ فِي حُكْمِهِ وَ يُسْتَتَابُ وَ بَعْـ   ـدَ التَّوْبَةِ القَتْلُ حَدّاً فِيهِ قَدْ شُهِدَا

فَإِنْ أَصَرَّ وَ لَمْ يَتُبْ يُحَدُّ بِهِ   كُفْراً وَ هَذَا الَّذِي قَدْ قُلْتُ فِيهِ بَدَا
وَ الحُكْمُ فِي سَبِّ كُلِّ الأَنْبِيَاءِ كَسَبِّ   وَاحِدٍ مِنْهُمُ بِالقَتْلِ قَدْ عَهِدَا
فَالحَقُّ سُبْحَانَهُ لاَ نَقْصَ فِيهِ وَ مَنْ   يُنْسِبْ لَهُ النَّقْصَ فَهْوَ أَحْمَقُ البُلَدَا
وَهَا هُنَا قَدْ أَتَى القَاضِي المُؤَلِّفُ بِالتَّحْرِيرِ فِي مُقْتَضَى السَّبِّ الَّذِي انْتُقِدَا
وَ فَصَّلَ الحُكْمَ تَفْصِيلاً وَ بَيَّنَهُ الفَاسِي أَو القَابِسِي فِي نُسْخَةٍ وُجِدَا
وَقِيلَ يُقْتَلُ كُفْراً بَعْدَ تَوْبَتِهِ   وَ قِيلَ بَلْ قَتْلُهُ حَدّاً كَمَا اعْتَمَدَا
وَ نَبْسُطُ القَوْلَ فِيهِ هَا هُنَا فَنَقُو   لُ وَ المُؤَلِّفُ فِي الفَتْوَى لَهُ اسْتَنَدَا
فَمَنْ يَرَى قَتْلَهُ حَدّاً يَرَاهُ مَعَ الإِ   قْلاَعِ أَوْ ذَاكَ مَعْ تَكْذِيبِهِ الشُّهَدَا
وَ زُبْدَةُ القَوْلِ مَا قَدَّمْتُ مُتَّضِحاً   وَ قَدْ تَكَرَّرَ مِنَّا القَوْلُ مُطَّرِدَا
فَالسَّبُّ كُفْرٌ وَ لَكِنْ لاَ يُعَامَلُ فِيهِ بِالَّذِي يَقْتَضِيهِ الكُفْرُ فِي الرَّشَدَا
إِنْ قُلْتَ لِمْ لاَ هُنَا بِحُكْمِ تَوْبَتِهِ   يُقْضَى عَلَيْهِ كَمُرْتَدٍّ فَمَا طَرَدَا
فَإِنَّهُمْ قَبِلُوا المُرْتَدَّ بَعْدَ رُجُو   عِهِ وَ مَا قَتَلُوهُ بَعْدَ مَا عَنَدَا
قُلْنَا لَكُمْ فِيهِ لَمْ نَقْطَعْ عَلَيْهِ بِكُفْرٍ كَيْفَ وَ هْوَ هُنَا قَدْ وَحَّدَ الأَحَدَا
وَ غَيْرُ ممتنعٍ بِأَنْ يُعَامَلَ مِنْ   وَجْهٍ وَ يُتْرَكُ مِنْ وَجْهٍ كَمَا شهدَا
كَقَتْلِ مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ فَهْوَ إِذَنْ   عَلَيْهِ حَدّاً جَرَى طِبْقَ الَّذِي اعْتُمِدَا
وَ الشَّافِعِي قَالَ بَلْ كُفْراً وَ سَائِرُ أَهْلِ الدِّينِ قَالُوا بِحَدِّ الكُفْرِ إِنْ جَحَدَا
أَمَّا الَّذِي سَبَّهُ فَالقَتْلُ يَلْزَمُهُ   كُفْراً وَ لاَسِيَمَا إِنْ حِلَّهُ اعْتَقَدَا
كَمَا إِذَا سَبَّهُ فِي نَفْسِهِ نَظَراً   لِكُفْرِهِ حَيْثُ سَاءَ فِيهِ مُعْتَقَدَا
وَ أَمْرُهُ أن يَتُبْ لِلّهِ وَ هْوَ وَ إِنْ   يَتُبْ فيقتلَ حَدّاً فَاعْرِفِ الرَّشَدَا
وَ اعْرِفْ بِهَذَا البَيَانِ مَا يَقُولُ هُنَا   الأَعْلاَمُ وَ لْتَتَّخِذْهُمْ فِي الهُدَى سَنَدَا

فصل

لاَشَكَّ فِي السَّابِّ وَ المُرْتَدِّ أَنَّهُمَا   فِي الإِسْتِتَابَةِ فِي قَوْلٍ بِهَا اتَّحَدَا
وَ إِنَّمَا الخُلْفُ فِيهَا كَيْفَ صُورَتُهَا   مَعَ الوُجُوبِ لَهَا وَ هَلْ لَدَيْهِ هُدَى

فَعِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ العِلْمِ دُونَ مِـرَا   أَنَّ الَّذِي ارْتَدَّ يُسْتَتَابُ فِي الشُّهَـدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ لاَ لَكِنْ سَتَنْفَعُـهُ   بِالحَقِّ تَوْبَتُهُ عِنْدَ الإِلَهِ غَـدَا
وَ لَيْسَ تَدْرَأُ عَنْهُ القَتْلَ حَيْثُ غَـدَا   مُبَدِّلَ الدِّينَ بَعْدَمَا حَوَى رَشَـدَا
وَ عَنْ عَطَاءٍ رَوَوْا لاَ يُسْتَتَابُ سِوَى   مُرْتَدُّ دِينٍ وَ فِي الإِسْلاَمِ مَا ولـدا
وَ الحُرُّ وَ العَبْدُ وَ الأُنْثَى سَوَاسِيَـةٌ   فِي حُكْمِ رِدَّتِهِمْ وَ هْوَ الَّذِي اعْتُمِـدَا
وَ عَنْ عَلِي فِي الَّتِي ارْتَدَّتْ يَقُولُ بِالاسْـتِرْقَاقِ فِيهَا بِلاَ قَتْلٍ لَدَى الرُّشَـدَا
قَالَ الأَجَلُّ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ مَا قُتِلَـتْ   فِي الرِّدَّةِ امْرَأَةٌ وَ لَمْ تُصَبْ بِـرَدَى
فَقَدْ نَهَى المُصْطَفَى عَنْ قَتْلِهَـا وَ رَأَى   أَبُو حَنِيفَةَ فِيهَا حَبْسَهَا أَبَـدَا
وَ قَالَ جُمْهُورُهُمْ مِقْدَارُ مُدَّتِهَـا   تَرَى ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ بِهَا صفـدا
وَ مَالِكٌ قَالَ بِالتَّأْخِيرِ وَ هْوَ لَـهُ   مُسْتَحْسِنٌ وَ هْوَ مِنْ قَوْلَيْنِ قَدْ حُمِـدَا
وَ قَالَهُ أَحْمَدٌ وَ الشَّافِعِي وَ لَدَيْـهِ قَوْلٌ آخَرَ فِيهِ عُدَّ مُجْتَهِـدَا
وَ مَالِكٌ بِالَّذِي قَدْ قَالَهُ عُمَـرٌ   يَقُولُ يُحْبَسُ أَيَّاماً مَضَتْ عَـدَدَا
وَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ اسْتِتَابَةُ امْـرَأَةٍ   فَلَمْ تَتُبْ فَسَقَاهَا مِنْهُ كَـأْسَ رَدَى
وَ قَالَهُ الشَّافِعِي فَاخْتَارَهُ المزَنِـي   مُسْتَحْسِناً وَ عَلَيْهِ صَارَ مُعْتَمِـدَا
وَ عَنْ عَلِي يُسْتَتَابُ بَعْدَ رِدَّتِـهِ   شَهْرَيْنِ ثُمَّ إِذَا لَمْ يذ طُـرِدَا
وَ قِيلَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ بَعْدَ جَفَـا   نِهِ ثَلاَثَ مِرَارٍ بَعْدَهَا فُنِـدَا
وَ بِاسْتِتَابَتِهِ الثَّوْرِي وَ النَّخَعِـي   مَادَامَ تَوْبَتُهُ تُرْجَى وَ لَوْ أَبَـدَا
وَ يُسْتَتَابُ لَدَى أَبِي حُنَيْفَةَ مَـرَّا   تٍ ثَلاَثاً وَ يُرْمَى بَعْدَهَا بِـرَدَى
يُدْعَى لَهَا كُلَّ يَوْمٍ قَالَ أَوْ جُمُعـاً   تَفَرَّقَتْ كُلَّ جُمْعَةٍ لَهَا شُهَـدَا
وَ هَلْ يُهَدَّدُ فِي أَيَّامِهَا وَ بِـلاَ   بَلاَئِهِ قَالَ مَالِكٌ لِأَهْلِ هُـدَى
وَ قَالَ أَصْبَغُ بِالتَّهْدِيدِ مِنْهُ وَ لِـلإِ   سْلاَمِ يُدْعَى بِهِ وَ عَدَّدَ العَـدَدَا
وَ قَالَ يُوقَفُ مِنْهُ المَالُ وَ هْوَ غَـدَا   فِي السِّجْنِ مَعْ غَيْرِهِ جمعاً وَ مُنْفَرِدَا
وَ الطَّابِثِي قَالَ فِي حَالِ اسْتِتَابَتِـهِ   بِالوَعْظِ أَيَّامَهَا يُسْدَى إِلَيهِ يَـدَا

وَ يُسْتَتَابُ إِذَا اسْتَهْوَتهُ رِدَّتُهُ   وَ لَوْ مِرَاراً وَ هَذَا الأَمْرُ قَدْ وَرَدَا
فَالمُصْطَفَى عِنْدَهُ نبهان عَادَ مَعَ ارْتِدَادِهِ أَرْبَعاً أَوْ خَمْسَةً لِهُدَى
وَ الشَّافِعِيُّ وَ مَالِكٌ وَ أَحْمَدُ قَدْ   قَالُوا بِهَذَا وَ قَدْ عَدُّوهُ مُعْتَقَدَا
وَ قَالَ إِسْحَاقُ يُرْدَى عِنْدَ رَابِعَةٍ   وَ لَا يُؤَدَّبُ فِي الأُولَى كَمَا اعْتُمِدَا
وَ قَالَ بِالقَتْلِ أَهْلُ الرَّأْيِّ حَيْثُ يُرَى   فِي الأَرْبَعِ المَاضِيَاتِ لَمْ يَنَلْ رَشَدَا
بِلَا اسْتِتَابَتِهِ يُرْدَى وَ يُضْرَبَ أَنْ   يَتُبْ وَ يُسْجَنَ كَيْ يَعُودَ مُعْتَقِدَا

فصل

قَالَ المُؤَلِّفُ هَذَا حُكْمُ مَنْ شَهِدَتْ   عَلَيْهِ بِالسَّبِّ أَوْ بِالرِّدَّةِ الشُّهَدَا
وَ مِثْلُهُ حُكْمُ مَنْ دَهَتْهُ زَنْدَقَةٌ   وَ قَدْ دَعَتْهُ إِلَى مَا سَاءَ مُعْتَقَدَا
وَ يَدْرَأُ الحَدَّ عَنْهُ الإِحْتِمَالُ وَ نُقْصَانُ الشَّهَادَةِ أَو ارْتَابَ فِي الرُّشَدَا
لَكِنْ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ يُعَزِّرُهُ   إِمَامُهُ المُرْتَضَى فِي الحُكْمِ مُجْتَهِدَا
يُضَيِّقُ الحَبْلَ فِي عُنُقِ السَّفِيهِ وَأَنْ   يُذِيقَ أَهْلَ المُجُونِ فِي السُّجُونِ رَدَى
لَكِنْ يُخَفِّفُ عَنْهُ فِي ضَرُورَتِهِ   حَتَّى يُؤَدِّي مَا يُرِيدُ خَيْرَ أَدَا
وَ هَكَذَا حُكْمُ مَنْ بِهِ تربّص عَنْ   قَتْلٍ لِمَعْنَى إِلَى وَقْتٍ لَهُ وطدَا
وَ فِي الَّذِي احْتُمِلَتْ مِنْهُ مَقَالَتُهُ   قَوْلٌ بِرِدَّتِهِ لِمَالِكٍ وُجِدَا
وَ قَالَ أَشْهَبُ عَنْهُ لَا عُقُوبَةَ لِلْمُرْتَدِّ إِنْ تَابَ وَ هْوَ عُدَّ مُعْتَمَدَا
وَ القَابِسِي وَ ابْنُ عَتَّابٍ قَد اتَّفَقَتْ   فِي السَّابِّ فَتْوَاهُمَا إِنْ تنقصِ الشُّهَدَا
قَالَا يُقَيَّدُ فِي سِجْنٍ وَ يُوجَعُ ضَرْ   باً حَيْثُ يَفْصَحُ عَنْهُ فِي الَّذِي اعْتَقَدَا
وَ أَن يُجَرِّحْ شُهُوداً بِالعَدَاوَةِ أَوْ   بِشَيْءٍ آخَرَ لَمْ يُقْتَلْ كَمَا اعْتُمِدَا
وَ لَا تُرَاقُ الدِّمَا إِلَّا بِمُتَّضِحٍ   بِلَا احْتِمَالٍ وَ هَذَا لَيْسَ مُنْتَقَدَا
وَ أَنْ يُعَاقَبْ بِضَرْبٍ كَانَ أَلْيَقَ بِالْجَسُورِ مِنْ أَجْلِ ظَنِ صِدْقِ مَنْ شَهِدَا
قَالُوا وَ لِلحَاكِمِ القَاضِي هُنَا نَظَرٌ   فِي أَنْ يُؤَدِّبَهُ بِمَا قَد اجْتَهَدَا

فصل

وَ إِنْ يَكُ الذَّمُّ لِلنَّبِيِّ جَاءَ مِنَ الذِّمِّي بِمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ كُفْرِهِ طُرِدَا
سِيَّانَ صَرَّحَ أَوْ بِهِ اسْتَخَفَّ وَ لَوْ   بِأَنْ يُعَرِّضَ حُكْمُ الْقَتْلِ فِيهِ بَدَا
وَ لَا خِلَافَ يُرَى فِي قَتْلِهِ فَإِذَا   إِسْلَامُهُ صَحَّ لَمْ يُقْتَلْ كَمَا عُهِدَا
وَ إِنَّمَا عُومِلَ الذِّمِّي بِحُرْمَتِهِ   مَادَامَ لَمْ يَنْتَهِكْهَا لَمْ يُصَبْ بِرَدَى
وَ ذِمَّةُ الحَقِّ مِنْهُ فِي الوَرَى بُرِنَتْ   بِالسَّبِّ لِلْمُصْطَفَى وَ قَتْلُهُ اعْتُمِدَا
هَذَا الَّذِي قَالَهُ الأَعْلَامُ دُونَ أَبِي   حَنِيفَةٍ وَ لَهُ الثَّوْرِيُّ قَدْ عضدَا
قَالَا يُؤَدَّبُ دُونَ القَتْلِ حَيْثُ غَدَا   فِي الشَّرِّ بِالشِّرْكِ وَ هْوَ شَرٌّ مَا وُجِدَا
وَقَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ إِنَّ إِنْ نَكَثُوا   قَد اسْتدلّ بِهَا لِلْقَتْلِ فِي الرُّشَدَا
وَ يُسْتَدَلُّ هُنَا أَيْضاً بِقَتْلِ رَسُو   لِ اللهِ بَعْضَ اليَهُودِ بِالَّذِي انْتَقَدَا
وَ نَحْنُ لَمْ نُعْطِهِمْ فِي النَّاسِ ذِمَّتَهُمْ   فِيمَا الْتَزَمْنَا عَلَى هَذَا لَدَى الشُّهَدَا
وَ فِي النَّوَادِرِ مِثْلُهُ وَ لَيْسَ لَهُ   إِظْهَارُ سَبِّ النَّبِي وَ إِنْ يَكُنْ جحدَا
وَ حَيْثُ كَانَتْ عَلَيْهِمُ الحُدُودُ جَرَتْ   فَالأَخْذُ بِالسَّبِّ أَوْلَى عِنْدَ مَنْ رَشَدَا
وَ حِينَ يَذْكُرُهُ الذِّمِّي بِمَا عَرَفُوا   مِنْ كُفْرِهِ فَالخِلَافُ فِيهِ قَدْ وُجِدَا
حَكَى أَبُو المُصْعِبِ الخِلَافَ فِيهِ وَإِنْ   يَسْلِمْ فَفِيهِ كَذَاكَ الخلْفُ قَدْ عُهِدَا
فَقِيلَ يُقْتَلُ حَيْثُ الكُفْرُ قَامَ بِهِ   وَ لَا يُسَامَحُ فِيمَا مِنْهُ قَدْ شُهِدَا
وَ نَحْنُ نَعْلَمُ مِنْهُ بُغْضَهُ وَ مَنَعْنَا مِنْهُ إِظْهَارَهُ فَإِنْ أَبَى طُرِدَا
وَ الطَّرْدُ يَلْزَمُ فِيهِ القَتْلُ حَيْثُ أَتَى   وَ حَيْثُ يسلم لَمْ يُطْرَدْ كَمَا وَرَدَا
وَ انْظُرْ لِإِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ فَلَقَدْ   جَاءَتْ بِتَكْفِيرِ مَا كَانُوا بِهِ بُعَدَا
وَ الحُكْمُ فِي المُسْلِمِ الَّذِي يَسُبُّ وَ تَا   بَ القَتْلُ حَدّاً كَمَا قَدَّمْتُ مُعْتَمَدَا
إِذْ كَانَ بَاطِنُهُ فِي حُكْمِ ظَاهِرِهِ   لَكِنَّ بَاطِنَهُ بِالسَّبِّ مِنْهُ بَدَا
وَ لَيْسَ يُومنُ فِي مَا تَابَ مِنْهُ لِأَنَّهُ رُبَّمَا لَمْ يُبْدِ مَا اعْتَقَدَا
لِذَاكَ يُقْتَلُ حَدّاً بَعْدَ تَوْبَتِهِ   وَ لَيْسَ تُقْبَلُ مِنْهُ تَوْبَةٌ أَبَدَا
وَ إِنْ يَكُنْ مُسْلِماً وَ لَيْسَ تُقْبَلُ مِنْهُ تَوْبَةٌ كَيْفَ مِنْ ذِمِّي بِهَا وجدَا

وَ قَدْ تَرَدَّدَ مَالِكٌ فَقَالَ بِقَتْلِ   كَافِرٍ سَبَّ ثُمَّ تَابَ وَ انْتَقَدَا
وَ قَالَ أَيْضاً يُخَلَّى عَنْهُ حَيْثُ يَتُو   بُ مِنْ مَقَالَتِهِ الَّتِي بِهَا طُرِدَا
وَ قَالَهُ ابْنُ حَبِيبٍ فِي كِتَابَتِهِ   عَنْهُ كَمَا هُوَ لابْنِ **القَاسِمِ** اعْتَمَدَا
وَ أَصْبَغٌ قَالَ حَقّاً لاَ يُقَالُ بِهِ   أَسْلِمْ لِتَسْلَمَ أَوْلاَ فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ قَدْ تَنَاوَلَ يَوْماً رَاهِبٌ جِهَةَ الـــنَّبِي بِسُوءٍ وَ كَانَ عَادِماً رَشَدَا
فَقَالَ فِيهِ ابْنُ حِبِّ المُصْطَفَى عُمَرٌ   هَلاَّ قَتَلْتُمْ عَدُوَّ اللهِ فِي الشُّهَدَا
وَ إِنْ يَهُودِي يَقُلْ لَمْ يُرْسَلِ العَرَبِي   إِلاَّ إِلَيْكُمْ فَلاَ يُرْمَى بِهِ لِرَدَى
وَ إِنْ يَقُلْ لِمُؤَذِّنٍ كَذِبْتَ لَدَى   تَشَهُّدٍ فَهُوَ فِي السِّجْنِ الطَّوِيلِ غَدَا
وَ مِثْلُهُ إِنْ يَقُلْ لَهُ كَذَلِكَ يُعْـــطِيكُمْ إِلاَهُكُمْ وَ لِلْهِجَا قَصَدَا
وَ إِنْ يَقُلْ فِيهِ قَوْلاً قَدْ تَقَوَّلَهُ   فَالقَتْلُ إِنْ لَمْ يَتُبْ قَدْ عُدَّ مُعْتَمَدَا
وَ كَافِرٌ إِنْ أَسَاءَ بَيْنَنَا أَدَباً   وَ سَبَّ خَيْرَ الوَرَى يُقْتَلْ بِغَيْرِ فِدَا
فَإِنْ يَقُلْ دِينُكُمْ دِينُ الحَمِيرِ وَ نَحْـــو ذَاكَ مِمَّا بِهِ قَد اعْتَدَى جُلِدَا
بِذَا يَقُولُ ابْنُ سَحْنُونَ وَ قَالَ بِهِ   أَبُوهُ لَكِنَّهُ قَدْ عُدَّ مُنْتَقِدَا
وَ لَمْ يجزْ أخذ جِزْيَةٍ وَ دَافِعُهَا   يَسُبُّ خَيْرَ الوَرَى بَلْ قَتْلُهُ اطُّرِدَا
بَلْ ينقض العهد مِمَّنْ سَبَّهُ وَ يَحِـــل سَفْكُنَا دَمَهُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ وَ هُوَ فِيهِ خَالَفَ قَوْ   لاً لابْنِ قَاسِمِهِمْ فَانْظُرْهُ مُتَّئِدَا
فَالسَّبُّ يُوجِبُ قَتْلاً مُطْلَقاً وَ إِذَا   مَا أَسْلَمَ السَّابُّ لَمْ يُقْتَلْ كَمَا اعْتُمِدَا
وَ هَا هُنَا لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ مَا كَفَرُوا   بِهِ وَ بَيْنَ سِوَاهُ طِبْقَ مَا شَهِدَا
أَمَّا ابْنُ سَحْنُونَ فَهُوَ اعْتَادَ تفرقةً   فَقَالَ بِالضَّرْبِ فِيمَا مِنْهُمُ عَهِدَا
وَ إِنَّمَا القَتْلُ فِي سَبٍّ وَ لَمْ يَكُ مِـــمَّا كُفْرُهُمْ عِنْدَهُمْ يُجِيزُهُ أَبَدَا
وَ قَوْلُ سَحْنُونَ أَيْضاً خَالَفَ المَدَنِـــيِّينَ الَّذِينَ غَدَوْا لِمَالِكٍ عَضُدَا
هَذَا أَبُو المُصْعَبِ الأَرْضَى اسْتَبَاحَ دَمَ الَّـــذِي بِتَفْضِيلِ عِيسَى قَالَ فِي الشُّهَدَا
وَ زَادَ بَعْدَ رَدَاهُ فِي عُقُوبَتِهِ   بِرَمْيِهِ لِلْكِلاَبِ حَيْثُ قَدْ بَعُدَا

كَذَاكَ أَفْتَى بِقَتْلِ مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ   خَلْقَ عِيسَى لِخَيْرِ الخَلْقِ مِنْهُ غَدَا
وَ مَالِكٌ قَالَ فِي مُسْتَهْزِىءٍ مُتَعَرِّضٍ لِعِرْضِ النَّبِي بِالقَتْلِ إِنْ عَنَدَا
كَمَا إِذَا قَالَ قَوْلاً ضِمْنَهُ أَسَفٌ   مَعَ التَّهَكُّمُ وَ الإِزْرَاءُ مِنْهُ بَدَا
كَمَا إِذَا قَالَ مِسْكِينٌ مُحَمَّدُكُمْ   لَوْ كَانَ يَنْفَعُكُمْ بِالنَّفْسِ مِنْهُ بَدَا
وَ قَالَ بِالحَرْقِ فِي المَبْسُوطَةِ ابْنُ كِنَا   نَةَ الرِّضَى لِيَهُودِي قَامَ مُنْتَقِدَا
وَ مِثْلُهُ فِي النَّصَارَى قَالَ إِنْ شَتَمُوا   مِنَ النَّبِيئِينَ يَوْماً فِي الوَرَى أَحَدَا
وَ فُوِّضَ الأَمْرُ لِلإِمَامِ فِيهِ بِمَا   يَرَاهُ حَيّاً وَ لَوْ يقدُّهُ قددَا
وَ قَوْلَةُ المُرْتَضَى ابْنُ القَاسِمِ انْتَشَرَتْ   فِي الشَّاتِمِ الحَرْقُ وَ هُوَ لِلإِمَامِ بَدَا
كَذَاكَ أَفْتَى ابْنُ يَحْيَ وَ الرِّضَى ابْنُ لُبَابَةَ بِقَتْلِ الَّتِي نَفَتْ هُنَا الأَحَدَا
وَ صَرَّحَتْ أَنَّ عِيسَى ابْنُ الإِلَهِ وَ أَنَّ   اللهَ عِيسَى وَ فِيهِ حَلَّ متحدَا
وَ كَذَّبَتْ عَلَناً مُحَمَّداً وَ لَهُ   إِنْ أَسْلَمَتْ بَعْدَ ذَاكَ لاَ تَخَافُ رَدَى
قَالاَ كَغَيْرِهِمَا الإِسْلاَمُ يَنْفَعُهَا   لِأَنَّ تَوْبَتَهَا قَبُولُهَا اعْتُمِدَا
قَال ابْنُ جَلاَّبِهِمْ عَنِ ابْنِ قَاسِمِهِمْ   مَنْ سَبَّ خَالِقَهُ أَوِ النَّبِي طُرِدَا
وَ قَتْلُهُ مُطْلَقاً بِلاَ اسْتِتَابَتِهِ   رَدْعاً لِأَمْثَالِهِ فِي مَشْهَدِ الشُّهَدَا
وَ فِيهِ قَالَ ابْنُ نَصْرٍ عَنْهُ جَاءَ رِوَا   يَتَانِ بِالقَتْلِ إِنْ يَسْلِمْ وَ مَا انْتُقِدَا
وَ هَا هُنَا ابْنُ الرِّضَى سَحْنُونُ قَالَ حُقُو   قُ الخَلْقِ مَطْلُوبَةُ الأَدَاءِ أَيَّ أَدَا
لاَبُدَّ فِيهَا مِنَ الحُدُودِ إِنْ وَجَبَتْ   وَ لَيْسَ يُسْقِطُهَا الإِسْلاَمُ أَيْنَ غَدَا
كَالقَذْفِ فَاعِلُهُ يُحَدُّ وَ هُوَ بِقَتْلٍ أَوْ بِجِلْدٍ لِحَقِّ المُصْطَفَى وَجَدَا
فَالفَارِسِيُّ يَقُولُ القَتْلُ فِيهِ وَ لَوْ   يَتُوبُ مِنْهُ وَ عِنْدَ غَيْرِهِ جُلِدَا

فصل

في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه و سلم و غسله والصلاة عليه

فِي إِرْثِ سَابِّ النَّبِي أَعْلاَمُنَا اخْتَلَفُوا   مِنْ بَعْدِمَا قَتْلُه بِالحُكْمِ قَدْ شُهِدَا

فَقَالَ سَحْنُونُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَهُـــمْ   مِيرَاثُهُ مِثْلُ زِنْدِيقٍ بِهِ اطَّــــرَدَا
وَ قَالَ أَصْبَغُ بَلْ يُقْضَى لِوَارِثِـــهِ   فِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى وِفْقِ الَّذِي عُهِــدَا
وَ الْقَابِسِي قَالَ إِنْ يُنْكِرْ وَ يُقْتَلَ فَالْـــمِيرَاثُ أَيْضاً لِأَهْلِ إِرْثِهِ حُشِــدَا
كَذَلِكَ الْحُكْمُ فِي الْإِقْرَارِ مِنْهُ بِــهِ   وَ تَابَ وَ الْحُكْمُ حُكْمُ الْكُفْرِ إِنْ عَنَــدَا
وَ الْإِرْثُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ وَ هْوَ بِــلاَ   غَسْلٍ يُوَارَى كَكُفَّارٍ غَدَوْا بُعَــدَا
وَ مَا أَتَى الْخلْفُ فِي الزِّنْدِيقِ حَيْثُ تَمَا   دَى وَ هْوَ فِي حُكْمِ أَهْلِ الْكُفْرِ قَدْ صفدَا
فَإِنْ يَتُبْ ذَلِكَ الزِّنْدِيقُ فَهْوَ عَلَى الْـــخِلاَفِ فِي الْإِرْثِ فِيهِ لَمْ يَنَلْ رَشَــدَا
قَالَ الرِّضَى ابْنُ حَبِيبٍ مَنْ يُكَذِّبُ خَيْـــرَ الْخَلْقِ مِيرَاثُهُ لِلْمُسْلِمِينَ غَــدَا
وَ مِثْلُهُ مُعْلِنُ الْكُفْرِ الَّذِي بَرِئَـــتْ   مِنْهُ الذِّمَامُ فَحَلَّ فِي سَحِيــقِ رَدَى
وَ لاَ تَجُوزُ بِلاَ شَكٍّ وَصِيَّتُـــهُ   وَ عِتْقُهُ كَيْفَ وَ هْوَ لِلــرَّدَى وَرَدَا
كَذَلِكَ الْحُكْمُ فِي الْمُرْتَدِّ عِنْدَ إِمَــا   مِنَا الرِّضَى مَالِكٍ لِلْمُسْلِمِينَ بَــدَا
وَ الشَّافِعِي وَ أَبُو ثَوْرٍ مَعَ ابْنِ أَبِــي   لَيْلَى وَ غَيْرُهُمُ لِمَالِكٍ شَهِــدَا
وَ عَنْ عَلِي وَ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ غَيْرِهِمَا   قَالُوا لِوَارِثِهِ مِيرَاثُهُ نقَــدَا
وَ قِيلَ ذَلِكَ فِيمَا قَبْلَ رِدَّتِــهِ   قَدْ كَانَ فِي كَسْبِهِ مُذْ صَارَ مُجْتَهِــدَا
أَمَّا الَّذِي نَالَهُ مِنْ بَعْدِهَا فَلِجَمْـــعِ الْمُسْلِمِينَ وَ هَذَا الْقَوْلُ عُدَّ سُدَى
قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَأْيُ أَصْبَغٍ بِخِــلاَ   فِ مَا لِسَحْنُونَ عِنْدَ مَنْ لَهُ شهِــدَا
تَفْصِيلُ ذَلِكَ عِنْدَ الْقَابِسِي حَسَــنٌ   وَ الْكُلُّ مَرْجِعُهُ لِمَالِكٍ عُهِــدَا
فَتَارَةً عِنْدَهُ الزِّنْدِيقُ وَارِثُـــهُ   وُرَّاثُهُ الْمُسْلِمُونَ إِنْ يَتُبْ لِهُــدَى
لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْإِسْلاَمَ مِثْلَ مُنَــا   فِقٍ عَلَى عَهْدِ خَيْرِ الْخَلْقِ قَدْ وُجِــدَا
وَ مَرَّةً قَالَ أَنَّ مَالَهُ تَبَــعٌ   لَهُ فَلِلْمُسْلِمِينَ وَ هْوَ مَا انْتُقِــدَا
كَأَنْ يَتُبْ بَعْدَ الْإِعْتِرَافِ وَهْوَ لِــوَا   رِثِيهِ إِنْ لَمْ يُقِرَّ مَاتَ أَوْ طُــرِدَا
حَكَتْهُ عُتْبِيَةٌ عَنِ ابْنِ قَاسِمِهِـــمْ   فَاعْرِفْ بِهِ سَنَداً إِنْ تَبْتَغِ السَّنَــدَا
وَعَنْ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْكَاتِبِ اخْتُصِرَتْ   بِهَا رغم مَنْ لِلْمُصْطَفَى عَنَــدَا

فَقَالَ فِي كَافِرٍ سَبَّ النَّبِي فَلِجَمْعِ المُسْلِمِينَ جَمِيعُ مَالِهِ حُشِدَا
وَ لَيْسَ ذَاكَ عَلَى وَجْهِ التَّوَارُثِ لَكِنْ عُدَّ مِنْ فَيْنِهِمْ فِي مَشْهَدِ الشُّهَدَا

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى و ملانكته و أنبيانه و كتبه و آل النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه و أزواجه

قَالَ المُؤَلِّفُ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمُ   فِي حُكْمِ سَابِّ الإِلَهِ القَتْلُ دُونَ فِدَا
وَ فِي اسْتِتَابَتِهِ أَعْلَامُنَا اخْتَلَفُوا   فَمَالِكٌ قَالَ لَا وَ هْوَ الَّذِي اعْتُمِدَا
إِلَّا إِذَا دَانَ دِيناً فِيهِ أَظْهَرَهُ   فَيُسْتَتَابُ وَ إِلَّا لَا وَ حَلَّ رَدَى
قَالَ ابْنُ مَسْلَمَةٍ وَ يُسْتَتَابُ قُبَيْلَ مَوْتِهِ مُسْلِمٌ أَوْ كَافِرٌ عَنَدَا
فَهُمْ إِذَا لَمْ يَتُوبُوا يُقْتَلُوا وَ إِذَا   تَابُوا فَحُكْمُهُمُ فِي رِدَّةٍ شُهِدَا
قَالَ الرِّضَى ابْنُ أَبِي زَيْدٍ وَ لَاعِنُ رَبِّهِ وَ إِنْ زَلَّ نُطْقاً قَتْلُهُ وَرَدَا
وَ هَا هُنَا ابْنُ حَبِيبٍ مَعْ جَمَاعَتِهِ   بِطَرْحِ قَتْلِ أَخِيهِ خَالَفُوا الرَّشَدَا
أَخُوهُ هَارُون كَانَ صَدْرُهُ حَرِجاً   فَقَالَ فِي مَرَضٍ مَا قَالَهُ حَرِدَا
قَدْ قَالَ قَاسَيْتُ مَا لَوْ كَانَ قَتْلُ أَبِي   بَكْرٍ عَلَى يَدِهِ لَمْ يُلْقِهِ كَمَدَا
فَاسْتَوْجَبَ القَتْلَ عِنْدَ القَائِلِينَ بِهِ   لِنِسْبَةِ الظُّلْمِ لِلْمَوْلَى الَّذِي عبدا
وَ قَدْ رَأَى ابْنُ سُلَيْمَانَ النكَالَ بِهِ   فِي حَبْسِهِ لِلَّذِي بِهِ اسْتَحَقَّ رَدَى
فَوَجْهُ مَنْ قَالَ فِي السَّبِّ اسْتِتَابَتَهُ   بِأَنَّهُ مَحْضُ رِدَّةٍ لَدَى العُمَدَا
فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ حَقِّ اللهِ نَاطَ بِهِ   لِذَاكَ عُدَّ كَمَنْ لِلْكُفْرِ قَدْ قَصَدَا
وَوَجْهُ مَنْ قَدْ رَأَى تَرْكَ اسْتِتَابَتِهِ   اتِّهَامُهُ وَ لِأَجْلِ السَّبِّ قَدْ طُرِدَا
فَكَانَ فِي ذَاكَ كَالزِّنْدِيقِ تَوْبَتُهُ   مَرْدُودَةٌ وَ هْوَ فِيهَا لِلْرَّدَى وَرَدَا

فصل

لِلَّهِ مَا لَا يَلِيقُ لَا يُضَافُ وَ قَدْ   قَالُوا بِتَكْفِيرِ مَنْ لِلْبِدْعَةِ اعْتَقَدَا
كَمُثْبِتٍ صِفَةً لِلنَّقْصِ دَاعِيَةً   وَ مَنْ نَفَى مَا كَمَالُ الحَقِّ فِيهِ بَدَا

وَ مَالِكٌ مَعَهُ أَصْحَابُهُ اتَّفَقُوا   عَلَى قِتَالِ الَّذِي قَدْ سَاءَ مُعْتَقَدَا
إِذَا هُمُ فِي الوَرَى تَحَيَّزُوا فِئَةً   وَ يُسْتَتَابُونَ حَتَّى يَعْرِفُوا الرَّشَدَا
فَإِنْ أَصَرُّوا عَلَى اعْتِقَادِ بِدْعَتِهِمْ   يُقَاتِلُوا غَيْرَ مَنْ مِنْهُمْ قَد انْفَرَدَا
فَتَرْكُ تَكْفِيرِهِمْ وَ تَرْكُ قَتْلِهِمُ   قَالَ الإِمَامُ بِهِ وَ هْوَ الَّذِي اعْتُمِدَا
وَ قَالَ زَجْرُهُمُ بِطُولِ سِجْنِهِمُ   لِيَقْلَعُوا عَنْ عَمَاهُمْ فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ ذَاكَ مِثْلُ صَنِيعِ المُرْتَضَى عُمَرٍ   فِي زَجْرِهِ لِصَبِيغٍ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
فَقَدْ تَتَبَّعَ فِي القُرْآنِ مُشْكِلَهُ   وَ لَمْ يَزَلْ عُمَرٌ عَلَيْهِ مُنْتَقِدَا
حَتَّى أَتَى مَرَّةً إِلَيْهِ زَائِرَهُ   فَقَامَ يَضْرِبُهُ ضَرْباً بِهِ ارْتَعَدَا
حَتَّى غَدَا ظَهْرُهُ كَمِثْلِ بَرْدَعَةٍ   بِضَرْبِهِ وَ بِهِ فِي سِجْنِهِ قَعَدَا
وَ فِي الخَوَارِجِ هَذَا قَالَهُ العَلَمُ ابْنُ   المَاجِشُونُ وَ مَنْ أَضْحَى لَهُ عَضُدَا
وَ قَالَ سَحْنُونُ هَذَا الحُكْمُ عَمَّ ذَوِي   الأَهْوَاءِ كُلًّا وَ مَنْ لِوِرْدِهِمْ وَرَدَا
وَ لابْنِ عَبْدِ العَزِيزِ هَا هُنَا القَدَرِ   يُّ يُسْتَتَابُ فَإِنْ أَبَى ارْتَدَى بِرَدَى
وَ قَالَهُ الغَافِقِي عِيسَى الأَجَلُّ عَنِ ابْنِ القَاسِمِ المُرْتَضَى فِي الكُلِّ وَ اعْتَمَدَا
وَ مِثْلُهُ مَنْ نَفَى التَّكْلِيمَ وَ هْوَ أَتَى   فِي الذِّكْرِ وَ الذِّكْرُ لاَ يُنْفِيهِ مَنْ سَعِدَا
وَ كُلُّ مَنْ خَالَفُوا الجَمَاعَةَ ابْتَدَعُوا   وَ كُلُّ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَبْلُغِ الرَّشَدَا
مِثْلُ الإِبَاضِيَّةِ الَّتِي تُكَفِّرُ مَنْ   قَدْ خَالَفُوهَا فَضَلَّتْ عَنْ طَرِيقِ هُدَى
وَ كَفَّرَ ابْنُ حَبِيبٍ مِثْلَ مُرْجِئَةٍ   مِنْ كُلِّ مَنْ فِي الوَرَى اعْتِقَادُهُ فَسَدَا
وَ عِنْدَ سَحْنُونَ مَنْ يَقُولُ لَيْسَ لِرَبِّنَا كَلَامٌ يُعَدُّ كَافِراً عَنَدَا
ثُمَّ الرِّوَايَاتُ عَنْ إِمَامِنَا اخْتَلَفَتْ   فِيهِمْ بِتَكْفِيرِهِمْ أَوْلَا وَ ذَا اعْتُمِدَا
وَ قَالَ لِلْمُسْتَشِيرِ فِي تَزَوُّجِهِ   لِبِنْتِهِ قَدَرِيّاً لَا فَقَدْ طُرِدَا
وَ قَالَ يُقْطَعُ كُلُّ مَا أُشِيرَ بِهِ   لِلْحَقِّ مِمَّا بِهِ يُشَبَّهُ الجَسَدَا
وَ قَالَ فِيمَنْ يَرَى خَلْقَ القُرْآنِ لَدَ   يَّ كَافِرٌ قَتْلُهُ إِنْ لَمْ يَتُبْ شُهِدَا
وَ فِي رِوَايَةِ بِشْرٍ أَنَّ تَوْبَتَهُ   حَتَّى يَتُوبَ وَ فِيهِ عِنْدَهُ جُلِدَا

وَ البَرْنَكَانِي وَ مَعَهُ التُّشْتُرِي رَآيَا   اخْتِلَافَ رَأْيِ الإِمَامِ طِبْقَ مَا اجْتَهَدَا
وَ ذَاكَ مُخْتَلِفٌ بِقَتْلِ دَاعِيَةٍ   مُسْتَبْصِرٍ فِي الَّذِي انْتَحَى وَ قَدْ حُمِدَا
وَ فِي الإِعَادَةِ لِلصَّلَاةِ خَلْفَهُمُ الخِلَافُ مَبْنِي عَلَى الخلْفِ الَّذِي سُرِدَا
فَتَارَةً قَالَ فِيهَا لَا تُعَادُ وَ فِي   أُخْرَى تُعَادُ عَلَى وفقِ الَّذِي قَصَدَا
وَ الشَّافِعِي لَا يَرَى اسْتِتَابَةَ القَدَرِي   وَ قَوْلُهُ مِثْلُ قَوْلِ جُلِّ مَنْ رَشَدَا
وَ جُلُّ مَنْ سَلَفُوا فِي أَهْلِ بِدْعَتِهِمْ   يَرَوْنَ تَكْفِيرَهِمْ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
كَذَاكَ قَدْ كَفَّرُوا أَهْلَ التَّوَقُّفِ فِي   هَذِي الأُصُولِ وَ مَنْ شَكُّوا مِنَ البُلَدَا
وَ تَرْكُ تَكْفِيرِهِمْ قَوْلُ الإِمَامِ عَلِي   وَ ابْنِ الرِّضَى عُمَرٍ مِنْ قَادَةٍ رُشَدَا
وَ حُجَّةُ القَوْمِ فِي تَوْرِيثِ أَهْلِ حَرُورَاءَ انْجَلَتْ وَ هْوَ قَوْلٌ عُدَّ مُعْتَمَدَا
وَ هَا هُنَا قَالَ ذُو الفِقْهِ المُحَرِّرِ إِسْمَاعِيلُ فِيمَا إِمَامُنَا إِلَيهِ هَدَى
وَ هَلْ جَزَاءُ الَّذِينَ بِالفَسَادِ سَعَوْا   إِلَّا الجَزَاءُ الَّذِي فِي الذِّكْرِ قَدْ وَرَدَا
وَ هَؤُلَاءِ لِإِفْسَادِ القُلُوبِ سَعَوْا   وَ إِنَّ إِفْسَادَهَا مِنْ شَرِّ مَا وُجِدَا
فَفِي اسْتِتَابَتِهِمْ أَتَمُّ مَصْلَحَةٍ   وَ القَتْلُ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا يكشفُ الكَمَدَا
فَالقَتْلُ لَمْ يَكُ لِلكُفْرِ المَنُوطِ بِهِمْ   وَ إِنَّمَا هُوَ فِي دَفْعِ الفَسَادِ بَدَا
وَ فِي قِتَالِ المُحَارِبِينَ نَيْلُ هَنَا   وَ تَرْكُهُمْ لِلعِنَا دَاعٍ كَمَا شُهِدَا
وَ لِلعَدَاوَةِ أَسْبَابٌ وَ أَكْثَرُهَا   مِمَّا تُوَلِّدُهُ الأَهْوَا بِغَيْرِ هُدَى

فصل

في تحقيق القول في إكفار المتأولين

مَضَى لَنَا القَوْلُ فِيمَا قَالَ سَالِفُنَا   فِي حُكْمِ مَنْ سَاءَ بِالأَهْوَاءِ مُعْتَقَدَا
وَلِاخْتِلَافِهِمُ تَخَالَفَ الفُقَهَا   فِي ذَلِكَ الحُكْمِ وَ هْوَ لِلْعِيَانِ بَدَا
فَمِنْ مُصَوِّبِ التَّكْفِيرَ بَيْنَهُمُ   وَ مِنْهُمُ مَنْ أَبَاهُ فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ قَالَ إِنَّهُمُ مِنَ العُصَاةِ وَ قَدْ   فَرُّوا مِنَ الكُفْرِ وَ التَّكْفِيرُ أَعْظَمُ دَا
لِذَاكَ سَحْنُونُ لَا يَرَى إِعَادَةَ مَنْ   صَلَّى وَرَاءَهُمُ صَلَاتَهُ أَبَدَا

وَ قَدْ تَوَقَّفَ آخَرُونَ وَ اضْطَرَبُوا   اضْطِرَابَ رَأْيٍ عَلَيْهِمْ عُدَّ مُنْتَقَدَا
مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الْقَاضِي وَ قَالَ مَآ   لُ قَوْلِهِمْ لَمْ يُكَفِّرْ مِنْهُمُ أَحَدَا
وَ الأَشْعَرِي اضْطَرَبَتْ فِيهِمْ مَقَالَتُهُ   وَ مَالَ عَنْ مَذْهَبِ التَّكْفِيرِ وَ ابْتَعَدَا
وَ مَا رَأَى الْكُفْرَ إِلاَّ خَصْلَةً رَجَعَتْ   لَدَيْهِ لِلْجَهْلِ بِالبَارِي وَ مَا انْتَقَدَا
وَ مِثْلُهُ قَامَ فِي تَوْضِيحِ مُشْكِلِهَا   أَبُو الْمَعَالِي وَ سَاقَ مَا نَفَى الْكَمَدَا
وَ قَالَ إِنَّ الْجَوَابَ فِي قَضِيَّتِهَا   صَعْبٌ لَدَى كُلِّ مَنْ يُرَاقِبُ الأَحَدَا
فَإِنَّ إِدْخَالَ شَخْصٍ فِي شَرِيعَتِنَا   صَعْبٌ وَ إِخْرَاجُهُ مِمَّا شَوَى الْكَبِدَا
وَ قَالَ غَيْرُهُمَا أَنَّ الْخَطَا خَطَرٌ   فِي الْقَتْلِ وَ التَّرْكِ أَوْلَى عِنْدَ مَنْ رَشَدَا
فَالْمُسْلِمُونَ الدِّمَاءُ مِنْهُمُ عُصِمَتْ   بِمَا بِهِ اعْتَرَفُوا فِي مَشْهَدِ الشُّهَدَا
وَ لاَ سَبِيلَ هُنَا لِرَفْعِ عِصْمَتِهِمْ   عَنْهُمْ بِغَيْرِ الَّذِي عَنِ النَّبِي وَرَدَا
وَ مَا أَتَى هَا هُنَا مِنْ لَعْنِ رَافِضَةٍ   وَ الْكُفْرِ لِلْقَدَرِي لاَ يَقْطَعُ اللَّدَدَا
فَقَدْ أَتَى مِثْلُهَا عَنِ النَّبِيِّ عَلَى   طَرِيقِ تَغْلِيظِ تَقْرِيعٍ لِمَنْ عَنَدَا
وَ مِثْلُهُ فِي الزِّنَى وَ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ   قَدْ جَاءَ مَا لاَ يَكُونُ قَاطِعاً بِهُدَى
وَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الْخَوَارِجِ اشْتَهَرَتْ   حَقّاً أَحَادِيثُ وَ هْيَ صُحِّحَتْ سَنَدَا
وَ قَتْلُهُمْ وَرَدَ الأَمْرُ الشَّرِيفُ بِهِ   وَ هَا هُنَا شُبْهَةُ الْكُفْرِ الَّذِي انْتُقِدَا
فَقَالَ عَنْهَا الْمُجِيبُ إِنَّ قَتْلَهُمُ   حَدٌّ لِبَغْيِهِمُ وَ كُلُّهُمْ مُرَدَا
فَانْظُرْ إِلَى خَالِدٍ وَ قَوْلُهُ لِرَسُو   لِ اللهِ دَعْنِيَ أَضْرِبْ عُنْقَهُ حَرَدَا
فَقَالَ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ لاَ فَلَعَـ   ـلَّهُ يُصَلِّي فَهَذَا كُفْرُهُ ابْتَعَدَا
وَ هَا هُنَا احْتَجَّ لِلتَّكْفِيرِ غَيْرُهُمُ   بِكَوْنِ إِيمَانِهِمْ لَمْ يَدْخُلِ الْخَلَدَا
وَ لاَ يُجَاوِزُ ذِكْرُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ   وَ أَنَّهُمْ مَرَقُوا طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
فَقَالَ عَنْهَا الْمُجِيبُ لاَ يُجَاوِزُ أَيْ   لاَ يَفْهَمُونَ الَّذِي بِلَفْظِهِ قُصِدَا
وَ يَقْتَضِي الشَّكُّ فِي حَالِ الْخَوَارِجِ قَوْ   لُ الْمُصْطَفَى يَتَوَارَى السَّهْمُ حَيْثُ عَدَا
وَ إِنْ هُنَا احْتَجَّ أَيْضاً مَنْ يُكَفِّرُهُمْ   بِمَا رَوَوْهُ عَنِ الْخُدْرِيِّ فِي الرُّشَدَا

فَقَالَ فِي أُمَّةِ الرَّسُولِ قَدْ خَرَجُوا   وَ لَمْ يَقُلْ مِنْهُمُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
فَقَالَ عَنْهَا المُجِيبُ إِنَّ لَفْظَةَ فِي   لاَ تَقْتَضِي كَوْنَهُمْ مِنْ غَيْرِهَا أَبَدَا
خِلاَفُ لَفْظَةِ مِنْ فَإِنَّهَا وَرَدَتْ   فِيمَا رَوَاهُ عَلِي وَ الحَقُّ مَا جُحِدَا
وَ لَفْظُ مِنْ مَعَ لَفْظِ فِي قَد اشْتَرَكَا   فِي الجَرِّ ثَمَّتَ فِي النِّيَابَةِ اتَّحَدَا
هَذَا الَّذِي حَرَّرَتْهُ هَا هُنَا العُلَمَا   مِنْ أَهْلِ سُنَّةِ خَيْرِ الخَلْقِ لِلشُّهَدَا
وَ مِنْ سِوَاهُمْ مَقَالاَتٌ قَد اضْطَرَبَتْ   فِيهَا عَلَى قَائِلِيهَا العالم انتقدا
وَ قَوْلُ جَهْمٍ هُنَا لِلْفَهْمِ أَقْرَبُهَا   وَ مِثْلُهُ عِنْدَنَا لِلأَشْعَرِي عُقِدَا
لَكِنَّ جَهْماً هُنَا قَدْ زَادَ فِيهِ وَلاَ   تَكْفِيرَ يُلْفَى بِغَيْرِ الجَهْلِ أَيْنَ غَدَا
وَ قَالَ مِنْهَا أَبُو الهُذَيْلِ كُلُّ مُشَبِّهٍ لِخَالِقِهِ بِخَلْقِهِ طُرِدَا
كَذَاكَ كُلُّ مُجَوِّزٍ لَهُ وَ مُكَذِّبٍ بِمَا فِي كِتَابَ اللهِ قَدْ سُرِدَا
وَ كُلُّ مُثْبِتِ شَيْءٍ كَانَ فِي قِدَمٍ   وَ لاَ يُسَمِّي الإِلَهَ كَافِرٌ صُفِدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ مَنْ لِلأَصْلِ يَعْرِفُ ثُمَّ أَوَّلَ الحَقَّ طِبْقَ مَا هَوَى بَعُدَا
فَالحَقُّ لاَ عُذْرَ فِي تَأْوِيلِهِ فَلِذَا   مَنْ يَجْهَلِ الحَقَّ سَاءَ فِيهِ مُعْتَقَدَا
وَ الفِسْقُ يلزمُ فِي تَأْوِيلِ بَاطِلِهِ   بِالحَقِّ وَ العَكْسُ مِنْهُ لَمْ يَنَلْهُ هُدَى
فَإِنْ يَكُنْ جَاهِلاً لِمَا بَنَاهُ عَلَيْهِ صَارَ فِي خَطَإٍ عَنْ كُفْرِهِ ابْتَعَدَا
وَ العَنْبَرِي خَالَفَ الأَعْلاَمَ حَيْثُ رَأَى   تَصْوِيبَ مَنْ فِي أُصُولِ دِينِهِ اجْتَهَدَا
وَ الحَقُّ أَنَّ طَرِيقَ الحَقِّ وَاحِدَةٌ   وَ كُلُّ مَنْ حَادَ عَنْهَا أَخْطَأَ الرَّشَدَا
وَ مِثْلُهُ لِإِمَامِ الظَّاهِرِيَّةِ وَ ابْنِ الطَّيِّبِ المَالِكِي حَكَاهُ مُنْتَقِدَا
وَ قَالَ قَالاَ بِأَنَّ كُلَّ مَنْ عَلِمَ المَوْلَى جَمِيلَ اجْتِهَادِهِ حَبَاهُ هُدَى
فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الضَّلاَلِ حَيْثُ أَتَى   بِطَاقَةِ الوسْعِ فِي الحَقِّ الَّذِي قَصَدَا
وَ قَدْ نَحَا نَحْوَ هَذَا القَوْلِ جَاحِظُهُمْ   فِي عَامَّةِ البُلْهِ وَ النِّسَاءِ وَ البُلَدَا
وَ قَالَ لاَ حُجَّةَ عَلَى الجَمِيعِ وَ لَوْ   مِنَ النَّصَارَى وَ هَذَا الرَّأْيُ مَا حُمِدَا
وَ كُلُّ مَنْ قَالَ هَذَا القَوْلَ بَيْنَهُمُ   فَإِنَّ إِجْمَاعَهُمْ بِكُفْرِهِ انْعَقَدَا

سِيَّانَ قَالَ بِتَوْقِيفٍ لِيَبْرَأَ مِنْ   تَكْفِيرِهِمْ وَ يَشُكَّ فِيهِ مُجْتَهِدَا
لِأَنَّ تَوْقِيفَهُ وَ الشَّكُّ آلَ بِهِ   قَطْعاً لِتَكْذِيبِ مَا يُتْلَى وَ مَا وَرَدَا

فصل

في بيان ما هو من المقالات كفر و ما يتوقف أو يختلف فيه و ما ليس بكفر

اعْلَمْ بِأَنْ لَا مَجَالَ لِلْعُقُولِ هُنَا   وَ الْكَشْفُ عَنْهُ بِمَا فِي الشَّرْعِ قَدْ وَرَدَا
وَ الْقَوْلَةُ الْفَصْلُ فِي هَذَا لِطَالِبِهَا   تَكْفِيرُ مَنْ لَمْ يَكُنْ يُوَحِّدُ الْأَحَدَا
كَذَاكَ مَنْ صَرَّحُوا بِنَفْيِّ خَالِقِهِمْ   أَوْ مَنْ لِغَيْرِ الْإِلَهِ فِي الْوَرَى عَبَدَا
كَالْمَانَوِيَّةِ وَ الْقَوْمِ الْمَجُوسِ وَ دِيـ   ـصَانِيَّةٍ وَ هُمُ مِنْ أَبْعَدِ الْبُعَدَا
وَ مِثْلُهُمْ فِي الْوَرَى مَنْ لَا كِتَابَ لَهُ   إِلَيْهِ يَرْجِعُ فِي الدِّيَانَةِ الرَّشَدَا
كَذَاكَ أَهْلُ الْحُلُولِ وَ التَّنَاسُخِ لِلْأَ   رْوَاحِ فِي جَسَدٍ إِنْ فَارَقَتْ جَسَدَا
كَذَا قَرَامِطَةٌ وَ هْيَ الَّتِي قَصَدَتْ   إِبْطَالَ شَرْعٍ بِمَا اسْتَغْوَتْ بِهِ الْبُلَدَا
وَ الْبَاطِنِيَّةُ قَوْمٌ مِنْ مَلَاحِدَةٍ   أَيْضاً أَضَلَّتْ وَ ضَلَّتْ عَنْ طَرِيقِ هُدَى
كَذَا بَيَانِيَّةٌ تَقُولُ أَنَّ عَلِـ   ـي بَعْدَ النَّبِيئِينَ رُوحُ اللَّهِ فِيهِ غَدَا
كَذَا غُرَابِيَّةٌ وَ هْيَ المفوضَةُ الْـ   ـتِي تَقُولُ النَّبِي بِالْعَالَمِ انْفَرَدَا
قَدْ فَوَّضَ اللَّهُ فِي خَلْقِ الْجَمِيعِ لَهُ   فَكَانَ مُوجِدَهَا فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
تَقُولُ أَنَّ عَلِيّاً وَ النَّبِي اشْتَبَهَا   عَلَى الْأَمِينِ الرِّضَى جِبْرِيلَ مُذْ وَفَدَا
أَتَى يُؤَدِّي إِلَى عَلِي رِسَالَتَهُ   فَمَدَّهَا غَلَطاً لِلْمُصْطَفَى وَ غَدَا
كَذَا هِشَامِيَّةٌ تَقُولُ مِنْ سَفَهٍ   لِلَّهِ مضت صورة بِهَا شهدا
وَ مِثْلُهُمْ مَنْ يَقُولُ لَا حَيَاةَ لَهُ   أَوْ أَنَّهُ مُحْدَثٌ فِي الْمَجْدِ قَدْ صَعِدَا
كَذَاكَ مَنْ يَدَّعِي لِلَّهِ صَاحِبَةً   أَوْ وَالِداً فِي الْوُجُودِ جَلَّ أَوْ وَلَدَا
كَذَاكَ مَنْ يَنْتَحِي مَنْحَى فَلَاسِفَةٍ   فَإِنَّهُ كَافِرٌ بِعَقْلِهِ صفدا
كَذَا الطَّبِيعِيُّ وَ الْمُنَجِّمُونَ وَ مَنْ   يَرَى شَرِيكاً مَعَ الْإِلَهِ قَدْ وُجِدَا

← كَذَاكَ مَنْ يَدَّعِي لَهُ مُجَالَسَةً   مَعَ الإِلَهِ وَ فِي سَمَائِهِ صَعِدَا
← أَوْ يَدَّعِي مَعَ رَبِّهِ مُكَالَمَةً   أَوْ أَنَّهُ جَلَّ شَأْناً فِي السِّوِى اتَّحَدَا
كَذَاكَ مَنْ يَدَّعِي لِلعَالَمِ القِدَمَ الَّذِي بِهِ الحَقُّ لَا يَزَالُ مُنْفَرِدَا
كَذَاكَ مَنْ قَالَ بِالتَّوْحِيدِ ثُمَّ نَفَى   نُبُوَّةَ الأَنْبِيَا وَ لِلنَّبِي جَحَدَا
مِثْلُ البَرَاهِمَةِ الَّتِي تَقُولُ بِجَهْلٍ لَا نُبُوَّةَ عَقْلاً فِي بُلُوغِ هُدَى
مِثْلُ الأُرُوسِيَةِ الَّتِي تَقُولُ بِأَنَّ   لِلإِلَهِ العَلِي رُوحاً بِهَا انْفَرَدَا
كَذَا مُعَطِّلَةٌ وَ هْيَ الَّتِي زَعَمَتْ   أَنَّ لَا إِلَهَ وَ لَا نَبِي وَ لَا رُشْدَا
و العَنْبَرِيَّةِ قَالَتْ وَ هْيَ كَافِرَةٌ   بِرَفْضِهَا وَ بِمَا اخْتَارَتْهُ مُعْتَقَدَا
وَ المُنْتَمُونَ لِإِسْمَاعِيلَ مِثْلُهُمُ   تِلْكَ القَرَامِطَةُ الَّتِي ارْتَدَتْ بِرَدَى
كَذَا عبيديةٌ وَ هْيَ الَّتِي لِعَلِي   عَلَى النَّبِي فَضَّلَتْهُ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
وَ رُبَّمَا أَشْرَكَتْ هَذِي الطَّوَائِفُ فِي اعْتِقَادِ مَا غَيْرِه قَدْ صَارَ مُنْتَقَدَا
كَذَاكَ مَنْ جَوَّزُوا عَلَى النَّبِيِّ وَ كُلِّ الأَنْبِيَا فِي الَّذِي جَاءُوا بِهِ فَنَدَا
وَ كُلُّ مَنْ قَالَ أَنَّ الشَّرْعَ ظَاهِرَهُ   خِلَافُ بَاطِنِهِ فَكَافِرٌ طُرِدَا
وَ مِثْلُهُ مَنْ تَصَوَّفُوا وَ قَدْ جَنَحُوا   لِلْبَاطِنِيَّةِ فَاجْتَاحُوا بِنَهْجِ هُدَى
كَمَنْ تَفَلْسَفَ فِي مَعْنَى الجِنَانِ وَ مَعْنَى النَّارِ مُبْتَدِعاً بِمَا لَهُ قَصَدَا
كَذَاكَ مَنْ لِلنَّبِي أَضَافَ منقصَةً   أَوْ سَائِرِ الأَنْبِيَا بِمَا قَد انْتَقَدَا
كَذَاكَ مَنْ قَالَ مِثْل قَوْلِهِ القُدَمَا   فِي كُلِّ جِنْسٍ نَبِي مِنْ جِنْسِهِ وُجِدَا
كَذَاكَ مَنْ قَدْ نَفَى عَنِ النَّبِي صِفَةً   مَعْلُومَةً فِيهِ بَيْنَ سَائِرِ الشُّهَدَا
كَمَنْ نَفَى كَوْنَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بَلْ   يَقُولُ مِنْ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمُ وَفَدَا
كَذَاكَ مَنْ لِسِوَاهُ يَدَّعِي مَعَهُ   نُبُوَّةً أَوْ لِمَنْ مِنْ بَعْدِهِ شَهِدَا
كَالعِيسَوِيَّةِ قَالُوا فِي رِسَالَتِهِ   بِالعُرْبِ مُخْتَصَّةً أَبْغِضْ بِهِمْ عُنُدَا
كَذَلِكَ الخُرَّمِيَّةُ الَّتِي اعْتَقَدَتْ   فِي كُلِّ عَصْرٍ نَبِيّاً عِنْدَهُمْ وُجِدَا
كَذَا البَزِيغِيَةُ الَّتِي انْتَمَتْ لِبَزِيغٍ وَ هْوَ بَيْنَهُمُ قَالُوا نَبِيَّ هُدَى

كَذَاكَ مَنْ قَالَ فِي النَّبِي رِسَالَتُهُ   فِيهَا يُشَارِكُهُ عَلِي وَ مَعْهُ هُدَى
وَ مِنْهُمُ مَنْ يَرَى أَنَّ النُّبُوَّةَ قَدْ   سَرَتْ لِكُلِّ إِمَامٍ بَعْدَهُ وُجِدَا
وَ كُلُّ مَنْ جَوَّزُوا اكْتِسَابَهَا بِصَفَا   ءِ الْقَلْبِ مِنْ بَيْنِ مَنْ لَمْ يَبْلُغِ الرَّشَدَا
كَذَاكَ مَنْ قَالَ وَحْيُ اللهِ جَاءَ لَهُ   وَ هْبَهُ لَمْ يَدَّعِي نُبُوَّةً أَبَدَا
كَذَاكَ مَنْ يَدَّعِي دُخُولَ جَنَّتِهِ   أَوْ أَنَّهُ لِلسَّمَا بِجِسْمِهِ صَعِدَا
فَكُلُّ مَنْ يَدَّعِي هَذَا نُكَفِّرُهُ   حَيْثُ ادَّعَى مَا بِهِ تَكْذِيبُ مَا وَرَدَا
وَ كُلُّ مَنْ عَارَضَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَإِنَّهُ تَعَرَّضَ فِي أَهْلِ الْهُدَى لِتَرَدَى
كَذَاكَ مَنْ أَبْطَلُوا مَا أَجْمَعَ الْعُلَمَا   عَلَيْهِ مِمَّا غَدَا نَصّاً قَد اعْتُمِدَا
كَذَاكَ مَنْ لَم يُكَفِّرْ مِنْ دِيَانَتِهِ   غَيْرَ الشَّرِيعَةِ مِمَّنْ دِينُهُمْ فَسَدَا
كَذَاكَ مَنْ صَحَّحُوا لَهُمْ مَذَاهِبَهُمْ   وَ لَوْ بِإِسْلَامِهِمْ كَانُوا مِنَ الْعُمَدَا
كَذَا كُمَيْلِيَةٍ مِمَّنْ هُمُ كَفَرُوا   إِذْ كَفَّرُوا بَعْدَ مَوْتِ الْمُصْطَفَى الرُّشَدَا
قَالُوا الصَّحَابَةُ بَعْدَ مَوْتِهِ كَفَرُوا   لِأَنَّهُمْ ضَيَّعُوا الْحَقَّ الَّذِي ضهدَا
قَالُوا أَخَلَّ أَبُو بَكْرٍ بِحَقِّ عَلِي   إِذْ لِلْخِلَافَةِ بَعْدَ الْمُصْطَفَى حفدَا
وَ كَانَ حَقٌّ عَلِي أَنْ لَا يُسَلِّمَهَا   لَهُ وَيَنْصُرَهُ جَمِيعُ مَنْ شَهِدَا
فَهُمْ هُمُ كَفَرُوا قَطْعاً لِقَطْعِهِمُ   نَقْلَ الشَّرِيعَةِ عَمَّنْ عِنْدَهُمْ طُرِدَا
كَمَا هُمُ قَطَعُوا نَقْلَ الْقُرْآنِ عَنِ الَّذِي هُمُ كَفَّرُوهُ وَ هْوَ قَدْ سَعِدَا
لِذَاكَ أَفْتَى إِمَامُنَا بِقَتْلِهِمُ   لِأَنَّهُمْ كَفَّرُوا الصَّحَابَةَ الشُّهَدَا
كَذَا يُكَفِّرُ مَنْ يَنْمِي لِأُمَّتِهِ   تَضْلِيلَهَا بِالَّذِي قَدْ صَارَ منتقدَا
يَقُولُ قَوْلاً بِهِ إِلَى ضَلَالَتِهَا   مُوَصِّلاً هَبْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ اعْتَقَدَا
كَذَا يُكَفِّرُ مَنْ قَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَا   بِكُفْرِ مَنْ فَعَلُوهُ بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
مِثْلُ السُّجُودِ لِشَمْسٍ أَوْ إِلَى صَنَمٍ   كَذَا التَّزَيِّ بِزَيِّ مَنْ لَهَا سَجَدَا
وَ شَدِّ زُنَّارِهِمْ وَ السَّعْيِ لِلْبِيَعِ الَّتِي لَهَا قَدْ سَعَوْا فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
فَهَذِهِ كُلُّهَا فِي النَّاسِ شَاهِدَةٌ   بِكُفْرِ فَاعِلِهَا وَ هْوَ الَّذِي اعْتُمِدَا

كَذَا يُكَفَّرُ مَنْ قَدْ اسْتَحَلَّ زِنَى   وَ مِثْلُهُ كُلُّ مَا تَحْرِيمُهُ عُهِدَا
كَذَاكَ مَنْ كَذَّبُوا فِي الشَّرْعِ قَاعِدَةً   وَ أَنْكَرُوهَا وَ إِجْمَاعٌ بِهَا انْعَقَدَا
وَ نَفْيُ مَا فَعَلَ الرَّسُولُ بَعْدَ تَوَا   تُرٍ تَأَكَّدَ بِالإِجْمَاعِ فِي الرُّشَدَا
كَمَنْ نَفَى لِلْوُجُوبِ فِي الصَّلَاةِ وَ مَا   عَلَيْهِ قَدْ بُنِيَتْ فِي مَجْمَعِ الشُّهَدَا
أَوْ قَالَ هَذِي الشُّرُوطُ وَ الصِّفَاتُ تُرَى   وَ لَمْ تَكُنْ فِي القُرْآنِ فَهْيَ لَنْ تَرِدَا
وَ إِنَّمَا وَجَبَتْ مِنْ غَيْرِ كَيْفِيَةٍ   وَ لَمْ يَقُلْ بِالَّتِي قَدْ عُدِّدَتْ عَدَدَا
أَوْ إِنَّمَا طَرَفَا النَّهَارِ قَدْ جعِلَا   وَقْتاً لَهَا وَ سِوَى هَذَيْنِ مَا وَرَدَا
أَوْ قَالَ إِنَّ الفَرَائِضَ الَّتِي اشْتَهَرَتْ   أَسْمَاءُ قَوْمٍ لَدَيْنَا حُبُّهُمْ حُمِدَا
كَذَا المَحَارِمُ أَشْخَاصٌ وَ بُغْضُهُمُ   حَتْمٌ وَ هَذَا مِنَ الضَّلَالِ قَدْ شُهِدَا
كَذَاكَ مَنْ قَالَ فِي النُّفُوسِ إِنْ طَهُرَتْ   عَنْهَا التَّكَالِيفُ حُطَّتْ بَيْنَ مَنْ وُجِدَا
كَذَاكَ مُنْكِرُ بَيْتِ اللهِ أَوْصِفَةِ الـ   ـحَجِّ الَّذِي حَفِظَتْهَا سَائِرُ السُّعَدَا
أَوْ أَنْكَرَ القِبْلَةَ الَّتِي عَلَتْ شَرَفاً   أَوْ عَاقَهُ الشَّكُّ فِي جَمِيعِ مَا وَرَدَا
أَوْ قَالَ فِيهِ بِوَهْمٍ كُلُّ مَا نَقَلُو   هُ بِالتَّوَاتُرِ حَتَّى الآنَ مُنْتَقَدَا
فَإِنَّ هَذَا الَّذِي قَدْ شَكَّ فِيهِ هُنَا   يُفْضِي لِهَدْمِ مشِيدِ الدِّينِ مُنْذُ بَدَا
وَ الإِسْتِرَابَةُ فِيمَا الشَّرْعُ جَاءَ بِهِ   هُوَ الضَّلَالُ المُبِينُ عِنْدَ مَنْ رَشَدَا
إِلَّا إِذَا كَانَ فِي الإِسْلَامِ مُعْتَرِفاً   حَدِيثَ عَهْدٍ بِهِ فَلْيَطْلُبِ الرَّشَدَا
وَ لَا يُكَفَّرُ هَذَا فِيهِ عَنْ خَطَاء   لَكِنْ يُكَفَّرُ فِيهِ كُلُّ مَنْ عَنَدَا
كَذَاكَ مَنْ أَنْكَرَ القُرْآنَ أَوْ ذَكَرَ الـ   ـتَّغْيِيرَ فِيهِ وَ لَا يَرَاهُ مُعْتَمَدَا
كَمَا الصَّيْمَرِيُّ و الفُوطِيُّ قَدْ رَأَيَا   وَ ذَاكَ قَطْعاً هُمَا بِهِ قَدْ التَحَدَا
كَذَاكَ قَدْ كَفَرَا قَطْعاً بِقَوْلِهِمَا   **لَا** حُجَّةَ لِلنَّبِيِّ فِيمَا بِهِ وَفَدَا
قَالَا وَ هَذَا الوُجُودُ لَا يَدُلُّ عَلَى   وُجُودِ خَالِقِهِ يَا قُبْحَ مَا اعْتَقَدَا
كَذَا نُكَفِّرُ مَنْ لِلنَّصِّ أَنْكَرَ بَعْـ   ـدَ عِلْمِهِ أَنَّهُ فِي الذِّكْرِ قَدْ وَرَدَا
فَفِيهِ تَجْوِيزُ وَ هُمْ نَاقِلِيهِ وَ تَكْـ   ـذِيبُ القُرْآنِ وَ هَذَا الكُفْرُ فِيهِ بَدَا

كَذَاكَ مَنْ أَنْكَرَ المَعَادَ فَهْوَ بِـــهِ   لِلْحَشْرِ وَ النَّارِ وَ الجِنَانِ قَدْ جَحَـــدَا
كَذَاكَ مَنْ بِالجَمِيعِ كَانَ مُعْتَرِفـــاً   لَكِنَّهُ قَالَ فِي تَأْوِيلِهَا فَنَـــــدَا
فَقَالَ إِنَّ المُرَادَ غَيْرُ ظَاهِرِهَـــا   كَمَا يَقُولُ بِهِ مَنْ سَاءَ مُعْتَقَـــدَا
كَذَا نُكَفِّرُ مَنْ أَعْلَى الأَئِمَّةَ فَـــوْ   قَ الأَنْبِيَا وَ هُمُ سَادَاتُنَا الرُّشَـــدَا
وَ لاَ يُكَفَّرُ مَنْ لاَ شَيْءَ يَلْزَمُ عَـــنْ   إِنْكَارِهِ مِنْ أُمُورٍ جَحْدُهَا انْتُقِـــدَا
إِلاَّ الَّتِي هَدَّمَتْ فِي الدِّينِ قَاعِـــدَةً   مِثْلَ الَّذِي قَدْ مَضَى مِمَّا قَد اعْتُمِـــدَا
فَلاَ يُكَفَّرُ فِي إِنْكَارِ مِثْل وُجُـــو   دِ غَزْوَةٍ أَوْ أَبِي بَكْرٍ لَدَى الشُّهَـــدَا
إِلاَّ إِذَا قَالَ بِاتِّهَامِ نَاقِلِـــــهِ   أَوْ أَوْهَمَ المُسْلِمِينَ فِيهِ مُنْتَقَـــدَا
وَ كُلُّ مَنْ خَالَفَ الإِجْمَاعَ يكفرُ إِلاَّ   أَنْ يَكُنْ شَرْطُهُ فِي الصِّحَّةِ افتقَـــدَا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ فِيهِ بِالتَّوَقُّفِ مُطْـــــلَقاً وَ عَنْ نَظَرٍ لِلْبَعْضِ إِنْ وُجِـــدَا
وَ هَا هُنَا كَفَّرُوا النظَّامَ حَيْثُ نَفَـــى   احْتِجَاجَهُمْ فِي الهُدَى بِهِ لِنَيْلِ هُـــدَى
قَالَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ ثَلاَثُ أُمُـــو   رٍ لَمْ يُكَفَّرْ بِغَيْرِهَا امْرُؤٌ أَبَـــدَا
مِنْهَا يَرَى الجَهْلَ بِاللهِ العَلِـــيِّ لِأَ   نَّ الجَهْلَ بِاللهِ فِيهِ الشَّرُّ قَدْ حُشِـــدَا
مِنْهَا يُرَى فِعْلٌ أَوْ قَوْلٌ قَد اتَّفَقُـــوا   بِأَنَّ مَنْ بِهِمَا جَهْلاً أَتَى طُـــرِدَا
مِثْلُ السُّجُودِ لِأَصْنَامٍ وَسَبِّ نَبِـــي   فَكُفْرُ فَاعِلِ هَذَا كُلّه اطُّـــرِدَا
كَذَا نُكَفِّرُ مَنْ عَنْهُ نَفَى صِفَةَ الـــــكَمَالِ وَ هْوَ مَعَ اسْتِبْصَارِهِ جحدَا
كَقَوْلِهِ لَيْسَ بِالمُرِيدِ جَلَّ عَـــلاَ   أَوْ لَيْسَ بِالقَادِرِ الَّذِي عُلاَهُ بَـــدَا
فَإِنَّ إِنْكَارَهُ لِمِثْلِ ذَلِكَ قَـــدْ   أَفْضَى لِإِنْكَارِهِ القُرْآنَ فِي الشُّهَـــدَا
أَمَّا الَّذِي جَهِلَ الكَمَالَ فَاخْتَلَفَـــتْ   فِي كُفْرِهِ العُلَمَاءُ بِالَّذِي قَصَـــدَا
فَالمُرْتَضَى الطَّبَرِي هُنَا يُكَفِّـــرُهُ   وَ قَالَ لاَ الأَشْعَرِي وَ هْوَ الَّذِي اعْتُمِدَا
وَ قَدْ أُقِيمَ هُنَا لِقَوْلِهِ حُجَـــجٌ   مِنْهَا الَّذِي هُوَ فِي السَّوْدَاءِ قَـــدْ وَرَدَا
مِنْهَا لَعَلِّي أَضِلُّ اللهَ جَاءَ وَ فِـــي   أُخْرَى لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيَّ غَـــدَا
قَالُوا وَ لَوْ أَنَّ جُلَّ النَّاسِ قَدْ بَحَثُـوا   عَنِ الصِّفَاتِ لَضَلُّوا عِنْدَهَا السَّـــدَدَا
أَجَابَ مَنْ كفرُوا عَنْهَا بِأَجْوِبَـــةٍ   تُوَافِقُ الغَرَضَ الَّذِي بِهَا انتقَـــدَا
فَقَالَ فِيهَا مِنَ التَّقْدِيرِ لاَ قَدَرَ الـــــتِي مِنَ القُدْرَةِ اشْتُقَّتْ كَمَا عُهِـــدَا

فَلَيْسَ فِي القُدْرَةِ الشَّكُّ اعْتَرَاهُ عَلَى   إِحْيَائِهِ بَلْ لَهُ قَدْ كَانَ مُعْتقدا
وَ إِنَّمَا شَكُّهُ فِي البَعْثِ وَ هُوَ مِنَ النَّبِي يدري وَ عَنْهُ بَعْدَهُ وَرَدَا
وَ قَدْ يُقَالُ هُنَا مَعْنَاهُ ضَيِّقٌ إِذْ   أَضْحَى عَلَى نَفْسِهِ مُضَيِّقاً حَرَدَا
وَ كَانَ مِنْ أَهْلِ فَتْرَةٍ وَ مَا بَلَغَتْهُ دَعْوَةٌ لِنَبِيٍّ فِي طَرِيقِ هُدَى
وَ مَنْ يَكُنْ فِي زَمَانِ فَتْرَةٍ فَلَهُ النَّجَاةُ وَ هُوَ عَلَى القَوْلِ الَّذِي اعْتُمِدَا
وَ قِيلَ قَدْ قَالَ ذَاكَ وَ هُوَ لَيْسَ لَهُ   عَقْلٌ بِمَا قَدْ عَرَاهُ فِي الَّذِي شهدَا
وَ قِيلَ هَذَا مِنَ المَجَازِ حَيْثُ أَتَى   بِالشَّكِّ وَ هُوَ بِهِ التَّحْقِيقُ قَدْ قُصِدَا
أَمَّا مَن أُثْبَتَ وَصْفاً بَلْ نَفَى صِفَةً   فِي مَذْهَبِ الإِعْتِزَالِ الخلْفُ فِيهِ بَدَا
فَكُفْرُهُمْ لاَزِمٌ مِنْ قَوْلِهِمْ مَثَلاً   فِي عَالِمٍ مَالَهُ عِلْمٌ وَ هَلْ وُجِدَا
وَ مَنْ نَفَى الكُفْرَ عَنْهُمْ لاَ يُؤَاخِذُهُمْ   بِمَا يَئُولُ إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ أَبَدَا
لِأَنَّهُمْ لَنْ يَقُولُوا إِنْ هُمُ وَقَفُوا   عَلَيْهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ لَدَى الرَّشَدَا
وَ الكُلُّ قَالَ بِكُفْرِ مَنْ نَفَاهُ وَ لَكِنْ عِلْمُهُ عِنْدَهُمْ بِالذَّاتِ قَدْ عُهِدَا
وَ الحَقُّ لاَ كُفْرَ مِنْهُمْ فِيهِ يَلْزَمُهُمْ   وَ حُكْمُهُمْ مِثْلُ حُكْمِ المُسْلِمِينَ غَدَا
لَكِنْ يُغَلَّظُ بِالزَّجْرِ الشَّدِيدِ عَلَى   كُلِّ الَّذِي مِثْل مَا لَدَيْهِمُ اعْتَقَدَا
وَ يُهْجَرُونَ إِلَى أَنْ يَرْجِعُوا لِهُدَى   لِأَنَّ ذَاكَ مِنَ الفِسْقِ الَّذِي انْتُقِدَا
وَ مَنْعُ إِكْفَارِ مَنْ قَالُوا بِخَلْقِهِمُ   لِلفِعْلِ قَالَ بِهِ مَنْ يَبْتَغِي الرَّشَدَا
وَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي إِنْكَارِ رُؤْيَةِ حَقٍّ وَ اللُّزُوم لِوَعْدٍ فِي الَّذِي وَعَدَا
وَ نَحْوُهُ مِنْ بَقَا الأَعْرَاضِ عِنْدَهُمُ   مَعَ الوَعِيدِ وَ قَوْلُ الحَقِّ مَا جُحِدَا
لاَسِيَمَا عِنْدَ مَنْ تَأَوَّلُوا فَهُمُ   قَدْ بَرَّؤُهُمْ مِنَ الإِكْفَارِ فِي الشُّهَدَا
وَ الجَهْلُ مِنْهَا بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ يُرَى   جَهْلٌ بِحَقٍّ فَكُنْ لِلحَقِّ مُعْتَقِدَا

فصل

لِلَّهِ دَرُّ الهِزَبْرِ بْنِ الرِّضَى عُمَرٍ   إِذْ سَلَّ سَيْفاً صَقِيلاً طَالَمَا غمدَا
أَتَى إِلى مَجْمَعٍ فِيهِ تَنَاوَلَ ذِمِّي   حُرْمَةَ الحَقِّ مِمَّا لَمْ يسغْ أَبَدَا
وَ قَالَ أَيْنَ الَّذِي سَبَّ الإِلَهَ هُنَا   كَيْمَا يُفَارِقَ مِنْهُ رَأْسَهُ الجَسَدَا
فَسَارَ فِي الفَزَعِ الذِّمِّيُّ فِي جَزَعٍ   وَ لَمْ يَزَلْ فِي اخْتِفَاءٍ مِنْهُ مُرْتَعِدَا

وَهَكَذَا حُكْمُ مَنْ يَسُبُّ خَالِقَهُ   مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ يَسُوغُ عِنْدَهُ اطَّرَدَا
مِنَ النَّصَارَى وَمِنْ كُلِّ اليَهُودِ لَدَى   إِمَامِنَا وَهْوَ حَقٌّ عِنْدَهُ اعْتُمِدَا
إِذْ حُكْمُهُ القَتْلُ مِنْ غَيْرِ اسْتِتَابَتِهِ   فِي الشَّرْعِ وَهْوَ الَّذِي يَقْضِي بِهِ الرُّشَدَا
إِلَّا إِذَا جَاءَ طَوْعاً مُسْلِماً فَرَآى ابْـ   ـنُ القَاسِمِ التَّرْكَ لِلْقَتْلِ الَّذِي عُهِدَا
كَذَاكَ لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ عُبَيْـ   ـدُ اللهِ مَنْ سَبَّهُ مَعَ النَّبِي طُرِدَا
وَمُطْلَقاً يُسْتَتَابُ لِابْنِ مسلمةٍ   وَقِيلَ لَا مُطْلَقاً وَالقَتْلُ فِيهِ بَدَا
وَإِنْ تَزَنْدَقَ ذِمِّي فَالإِمَامُ هُنَا   يَقُولُ لَاقَتْلَ فِيهِ عِنْدَهُ أَبَدَا
وَلِلأَجَلِّ الرِّضَى ابْنِ المَاجِشُونَ هُنَا   قَوْلٌ بِقَتْلٍ بِهِ فِي المَذْهَبِ انْفَرَدَا

فصل

وَمَنْ عَلَى رَبِّهِ قد افْتَرَى كَذِباً   فَحُكْمُهُ بِاخْتِلَافِ مَا ادَّعَاهُ بَدَا
وَمَنْ يَقُلْ مَا لَهُ رَبٌّ وَلَيْسَ لَهُ   مِنْ خَالِقٍ فَهْوَ حَقّاً كَافِرٌ طُرِدَا
كَمُدَّعٍ سَفَهاً مِنْهُ أُلُوهِيَةً   أَوْ مُدَّعٍ أَنَّهُ حَقّاً نَبِيُّ هُدَى
لَكِنَّ تَوْبَتَهُ فِي النَّاسِ تَنْفَعُهُ   فَلَيْسَ يُقْتَلُ لَكِنْ فِي النَّكَالِ غَدَا
إِلَّا إِذَا مِنْهُ ذَاكَ قَدْ تَكَرَّرَ مِـ   ـمَّا قَدْ نَفَى التَّوْبَةَ الَّتِي لَهَا اسْتَنَدَا
فَحُكْمُهُ حُكْمُ زِنْدِيقٍ يُسَاقُ إِلَى   قَتْلٍ وَتَوْبَتُهُ لَمْ تُجْدِهِ أَبَدَا
وَفَاقِدُ العَقْلِ فِي السُّكْرِ المُلِمِّ بِهِ   فِي الحُكْمِ لَاشَكَّ كَالصَّاحِي لَدَى الرُّشَدَا
وَلَا تَعَرُّضَ لِلْمَجْنُونِ فَهْوَ مَعَ الْـ   ـمَعْتُوهِ عَنْ مَعْرِضِ التَّكْلِيفِ قَدْ بَعُدَا
لَكِنْ إِذَا كَانَ مَعْهُ المِيزُ أُدِّبَ حَـ   ـتَّى لَا يَعُودَ إِلَى مَا مِنْهُ قَدْ شُهِدَا
مِثْلُ البَهِيمَةِ فِي التَّأْدِيبِ فَهْيَ بِهِ   تُرَاضُ وَهْوَ بِهِ يَنْكَفُّ فِي الشُّهَدَا
هَذَا الإِمَامُ عَلِي فِي النَّاسِ أَحْرَقَ مُـ   ـدَّعِي أُلُوهِيَةٍ لَهُ بِهَا قَصَدَا
فَقَالَ لَسْتُ أَنَا الإِلَهُ يَا ابْنَ سبَا   فَقَالَ لَا فَرَمَاهُ فِي سَحِيقِ رَدَى
كَذَا ابْنُ مَرْوَانَ مِنْهُ الحَارِثُ المُتَنَـ   ـبِي نَالَ قَتْلاً وَصَلْباً فِي سَبِيلِ هُدَى
وَهَكَذَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الأُمَرَا   وَفِعْلُهُمْ عُدَّ فِي أُولِي الهُدَى سَدَدَا

وَ أَجْمَعُوا أَنَّ مَنْ أَضْحَى مُخَالِفَهُمْ   فِي كُفْرِ مَنْ كَفَّرُوهُ كَافِرٌ عَنَدَا
وَ هَا هُنَا قَتَلُوا الحَلَّاجَ مِثْلَ أَبِي   العَزَافِرِ المُدَّعِي لِمَا بِهِ التَحَدَا
قَالَ ابْنُ قَاسِمِهِمْ فِيمَنْ تَنَبَّأَ يُسْتَتَابُ وَ هْوَ كَمُرْتَدٍ لَدَيْهِ غَدَا
وَ قَالَ أَشْهَبُ فِيمَنْ لَمْ يَتُبْ وَ قَد   ادَّعَى النُّبُوَّةَ فَهْوَ كَافِرٌ طُرِدَا
وَ هَا هُنَا ابْنُ أَبِي زَيْدٍ يَقُولُ بِأَنْ   لَا عَنِ الحَقِّ يُرْمَى فِي سَحِيقِ رَدَى
وَ لَيْسَ تُقْبَلُ مِنْهُ فِيهِ مَعْذِرَةٌ   وَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلَعْنِهِ قَصَدَا
وَ القَابِسِي قَالَ فِي سَكْرَان قَالَ أَنَا ا   للهُ العَلِي إِنْ يَتُبْ تَأْدِيبُهُ حُمِدَا
وَ إِنْ يَعُدْ فَهْوَ كَالزِّنْدِيقِ يَلْزَمُهُ الحُكْمُ الَّذِي قَالَهُ بَيْنَ الوَرَى الرَّشَدَا

فصل

إِذَا تَكَرَّرَ مِنْ شَخْصٍ تَلَاعُبُهُ   فَدِينُهُ عُدَّ مِمَّنْ عَنْهُ قَدْ طُرِدَا
كَذَا إِذَا هُوَ صَارَ يَسْتَخِفُّ بِمَا   الإِلَهُ عَظَّمَهُ فِيمَا خَفَا وَ بَدَا
كَنَاطِقٍ بِسَخِيفِ اللَّفْظِ أَوْ سَقَطِ المَقُولِ فِي رَبِّهِ لِلْكُفْرِ مَا قَصَدَا
وَ لَمْ يُبَالِ بِمَا يَقُولُهُ مَثَلاً   فَمَثَّلَ الخَلْقَ بِالحَقِّ الَّذِي مَجَدَا
أَوْ شَبَّهَ الخَلْقَ بِالَّذِي الإِلَهُ هُنَا   أَضَافَهُ لِعُلَاهُ أَوْ بِهِ انْفَرَدَا
كَقَوْلِهِ لِامْرِىءٍ يَا ذَا الجَلَالِ وَ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ وَ أَنْتَ كَعْبَةُ السُّعَدَا
وَ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا الإِنْتِهَاكُ بِهِ   لِحُرْمَةِ اللهِ فِيهِ الكُفْرُ قَدْ شُهِدَا
وَ هَا هُنَا ابْنُ حَبِيبٍ كَفَّرَ ابْنَ أَخِي   الَّتِي لَهَا عَجَب اسْمٌ بَيْنَ مَنْ رَشَدَا
إِذْ نَزَّلَ اللهَ كَالخَرَّازِ فِي عَمَلٍ   لَهُ وَ يَا قُبْحَ تَشْبِيهٍ لَهُ عَمَدَا
وَ لَمْ يُوَافِقْهُ فِي فَتْوَاهُ بَعْضُ مُعَا   صِرِيهِ بَلْ هُمْ تَوَقَّفُوا وَ هُمْ عُمَدَا
وَ قَدْ أَشَارُوا إِلَى تَأْدِيبِهِ وَ رَأَوْا   هَذَا السَّخِيفَ مِنَ القَوْلِ الَّذِي انْتُقِدَا
وَ قَدْ رَأَى ابْنُ زِيَادٍ أَنْ يُوَافِقَهُمْ   فَأَنْكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ قَوْلَهُمْ سَدَدَا
وَ قَالَ فَلْتَقْتُلُوهُ وَ اجْعَلُوا دَمَهُ   يَا قَوْمِ فِي عُنُقِي فَإِنَّهُ مَرَدَا
أَيُشْتَمُ الرَّبُّ ثُمَّ لَا نَقُومَ إِلَى انْتِصَارِهِ إِنَّنَا إِذَنْ مِنَ البُعَدَا

وَ كَانَ عِنْدَ أَمِيرِ وَقْتِهِ عَجَـــبٌ   مِنَ الخَطَايَا الَّتِي لَهَا يُطِيلُ يَـــدَا
وَ عِنْدَمَا بَلَغَتْهُ قَوْلَةُ ابْنُ أَخِيـــــــهَا وَ الَّذِي قَالَهُ أَعْلَامُهُ الرُّشَـــدَا
قَضَى عَلَيْهِ بِمَا قَدْ قَالَهُ ابْنُ حَبِيـــــــبِ نَاصِراً قَوْلَهُ وَ اخْتَارَهُ سَنَـــدَا
وَوَبَّخَ الفُقَهَا المُخَالِفِينَ لَـــهُ   وَ قَالَ لِابْنِ زِيَادٍ لَسْتَ مُعْتَمَـــدَا
وَ حَطَّ رُتْبَتَهُ مِنْ أُفُقِ خِطَّتِـــهِ   بِالعَزْلِ متهما فِيمَا لَهُ اسْتَنَـــدَا
وَ قَالَ أَسْخَطْتَ رَبّاً فِي رِضَا عَجَبٍ   وَ بِالسَّخِيفِ رَمَى إِلَى سَحِيـــقِ رَدَى
أَمَّا الَّذِي صَدَرَتْ عَنْ فَلْتَةٍ هَنَـــةٌ   مِنْهُ وَ لَمْ يَكُ لِانْتِقَاصِهِ قَصَـــدَا
فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ قَدْرَهَا أَدَبـــاً   بِالضَّرْبِ وَ السِّجْنِ فِي مَشَاهِدِ الشُّهَدَا
أَمَّا السَّفِيهُ هُنَا التَّأْدِيبُ يَلْزَمُـــهُ   وَ يُزْجَرُ الجَاهِلُ الَّذِي لَهُ عَمَـــدَا
نَعَمْ يعلم بَعْدَهَا وَ يَكْفُرُ مَـــنْ   بِذَاكَ أَنْزَلَهُ كَالرَّبِّ مُعْتَقِـــدَا
هَذَا الَّذِي قَالَهُ هُنَا المُؤَلِّفُ فِـــي   قَوْلِ ابْنِ قَاسِمِهِمْ طِبْقَ الَّذِي اعتمـــدَا
وَ هَا هُنَا كَمْ مُجَازِفٍ مِنَ الشُّعَـــرَا   عَلَى مَجَازِ المَقَالِ لَمْ يَنَلْ رَشَـــدَا
وَ كَمْ وَكَمْ مِنْهُمُ مَنْ عُدَّ فِي السُّخَفَـــا   إِذْ لَمْ يُبَالِ بِمَا بِهِ الـــتَّرَدَى وَرَدَا
وَ هَا هُنَا قَدْ تَرَكْنَا نَقْلَ شِعْرِهِـــمُ   تَنَزُّهاً عَنْ مَقَالٍ عُدَّ مُنْتَقِـــدَا
لَوْلَا مَسَائِلُ فِي فُصُولِهَا اتَّضَحَـــتْ   لَمَا حَكَيْنَا هُنَا مَعْنَى بِهَا قصـــدَا
أَمَّا الَّذِي مِنْ أَغَالِيطِ اللِّسَانِ فَـــلَا   يُرَى لَدَى مَنْ هُنَا يُرَاقِبُ الأَحَـــدَا
كَقَوْلِ بَعْضِهِمُ رَبّ العِبَادِ فَمَـــا   لَنَا وَ مَالَكَ وَ هْوَ عِنْدَنَا انْتَقِـــدَا
وَ نَحْوِهِ مِنْ كَلَامِ الجَاهِلِينَ وَ مِـــــــمَّنْ يَسْتَحِقُّونَ تَأْدِيباً لَدَى الرُّشَـــدَا
وَ يُؤْمَرُوا بِاقْتِنَاءِ العِلْمِ بَيْنَهُـــمُ   لِيحْرِزُوا بِسَدِيدِ رَأْيِهِمْ سَـــدَدَا
فَاللهُ قَدْ جَلَّ عَنْ تَهَوُّرِ السُّخَفَـــا   وَ فِي تَنَزُّهِهِ بِالعِزَّةِ انْفَـــرَدَا
وَ لْيَنْبَغِي أَنْ يُعَظِّمَ الإِلَهَ فَـــلَا   يَذْكُرْ بِغَيْرِ احْتِرَامٍ جَلَّ فِي الشُّهَـــدَا
فَلَيْسَ يذكرُ إِلَّا عِنْدَ طَاعَتِـــهِ   عِنْدَ الَّذِينَ ارْتَقُوا فِي مَنْصِبٍ صَعِـــدَا
وَ هَا هُنَا المُرْتَضَى الشَّاشِي يُعِيبُ عَلَى   أَهْلِ الكَلَامِ وَ مَنْ لِنَصْرِهِمْ قَصَـــدَا

فَإِنَّهُمْ يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ بِلاَ احْـــــــــــتِرَامِ جَانِبِهِ وَ قَدْرُهُ مَجِـــــــدَا
وَ إِنَّهُمْ يَتَمَنْدَلُونَ فِيهِ بِـــــــلاَ   رِعَايَةِ الأَدَبِ الَّذِي يُنِيلُ هُـــــدَى
وَ الحَقُّ جَلَّ عُلاَهُ لَيْسَ يُذْكَـرُ إِلاَّ   عَنْ كَمَالِ احْتِرَامٍ عِنْدَ مَنْ رَشَـــدَا
وَ نَزَلَ القَوْلُ فِي ذِكْرِ الإِلَهِ هُنَـــا   تَنْزِيلَ سَابِّ النَّبِي وَ الحُكْمُ فِيهِ بَـــدَا

فــصـــل

الأَنْبِيَاءُ عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ هُنَـــا   فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ حُكْمٍ قد اعْتُمِــــدَا
لاَ فَرْقَ بَيْنَهُمُ مِثْلَ المَلاَئِكِ فِـــي   كَوْنِ الَّذِي سَبَّهُمْ عَنِ الهُدَى طُـــرِدَا
فَمَنْ يُكَذِّبُ مِنْهُمْ وَاحِداً فَكَــــــــــــأَنَّهُ لِخَيْرِ الأَنَامِ المُصْطَفَى جَحَــدَا
وَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي الذِّكْرِ بَيَّنَ مَـــا   لِكُلِّهِمْ مِنْ كَمَالٍ فِي العُلَى صَعِـــدَا
فَالسَّابُّ يُقْتَلُ مِنْ غَيْرِ اسْتِتَابَتِـــهِ   وِفْقَ المُحَرَّرِ مِمَّا قَالَهُ العُمَـــــدَا
إِلاَّ إِذَا كَانَ كَافِراً فَأَسْلَــــمَ أَوْ   فِي دِينِهِمْ كَانَ ذَاكَ السَّبُّ قَدْ عُهِــدَا
وَرِدَّةٌ لَزِمَتْ فِي المَذْهَبِ الحَنَفِــي   لِمَنْ لَهُمْ نُسِبَ النُّقْصَانُ وَ الفَنَـــدَا
وَ مَالِكٌ قَالَ فِيمَنْ قَالَ أَخْطَأَ جِبْــــــــــــرِيلُ اسْتُتِيبَ وَ إِلاَّ قَتْلُهُ حُمِـــدَا
كَشَتْمِهِ مَلَكاً مِنَ المَلاَئِكِ فِيــــــــــــمَا قَالَ سَحْنُونُ لِلَّذِي ابْتَغَى رَشَــدَا
وَ كَفَّرَ القَابِسِي مَنْ قَالَ فِي رَجُـلٍ   غضبانَ هَذَا كَمَالِكٍ إِذَا حَـــــرِدَا
وَ حُكْمُهُ القَتْلُ إِنْ تَكُ نْ مَقَالَتُـــهُ   فِي ذَمِّهِ مَالِكاً فِي مَجْمَعِ الشُّهَـــدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ هَذَا كُلُّهُ اتَّضَحَ الكَــلاَ   مُ فِيهِ وَ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُ هُـــــدَى
أَمَّا الَّذِي لَمْ يُعَيِّنْهُ الكِتَابُ لَنَـــا   وَ لاَ الصَّحِيحُ وَ لاَ الإِجْمَاعُ فَهْوَ سُدَى
لَكِنْ يُؤَدَّبُ بِانْتِهَاكِ حُرْمَتِـــــهِ   بِقَدْرِهَا عِنْدَ مَنْ كَانُوا مِنَ الرُّشَـــدَا
وَ مُنْكِرٌ لِلَّذِي انْتَفَتْ نُبُوَّتُـــــهُ   لاَشَيْءَ يَلْزَمُهُ طِبْقَ الَّذِي اعْتَقَـــدَا
نَعَمْ إِذَا كَانَ ذَا جَهْلٍ يُـــؤَدَّبُ إِنْ   يَعُدْ لَهُ بَعْدَ زَجْرٍ عَنْه فِي الشُّهَـــدَا
وَ مِثْلُهُ حُكْمُ مَنْ فِيهِ الخِلاَفُ جَرَى   هَلْ كَوْنُهُ مَلَكاً أَوْ لاَ كَمَا اعْتُمِـــدَا
وَ قَالَ سَالِفُنَا تَرْكُ الكَلاَمِ هُنَـــا   أَوْلَى فَفِي النَّفْيِ وَ الإِثْبَاتِ مَا انْتُقِــدَا

وَ كُلُّ مَا لَيْسَ يُجْدِي تَحْتَهُ عَمَلٌ   فَالْخَوْضُ فِيهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِي الرُّشَدَا
فَكَيْفَ بِالْعَامَّةِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ   عِلْمٌ وَ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْرِفُ الرَّشَدَا

فصل

الْمُسْتَخِفُّ بِمَا الْقُرْآنُ جَاءَ بِهِ   يُعَدُّ كَالْكَافِرِ الَّذِي لَهُ جَحَدَا
وَ مَنْ نَفَى مِنْهُ مَا بِالنَّصِّ أَثْبَتَهُ   أَوْ أَثْبَتَ النَّفْيَ فَهْوَ كَافِرٌ عَنَدَا
وَ كَانَ مَنْ شَكَّ فِي شَيْءٍ تَضَمَّنَهُ   مِنْ حُكْمٍ أَوْ خَبَرٍ وَ نَحْوِهِ طُرِدَا
وَ مَنْ يُكَذِّبُ حَرْفاً مِنْهُ فَهْوَ كَمَنْ   لِلْكُلِّ كَذَّبَ بَيْنَ سَائِرِ الشُّهَدَا
قَدْ قَالَ ذَاكَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَ قَالَ بِهِ   جَمَاعَةٌ وَ عَلَيْهِمْ أَصْبَغُ اسْتَنَدَا
كَذَا مَنِ انْتَحَلَ التَّوْحِيدَ قَالَ بِهِ   وَ كَيْفَ يُنْفِيهِ مَنْ قَد وَحَّدَ الأَحَدَا
وَ كُلُّ مَنْ سَبَّهُ أَوْ سَبَّ مُنَزِّلَهُ   فَكَافِرٌ مِثْلُ سَبِّ مَنْ بِهِ وَفَدَا
فَهْوَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ لَيْسَ فِيهِ مِرَا   إِنَّ الْمِرَا فِيهِ كُفْرٌ عِنْدَ مَنْ رَشَدَا
قَالَ الإِمَامُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ جَاحِدُ آ   يَةٍ بِهِ قد مِنْهُ الْعُنُقُ أَيْنَ غَدَا
كَذَلِكَ الْحُكْمُ فِي الْكُتْبِ الَّتِي نَزَلَتْ   فَالْمُسْتَخِفُّ بِهَا فَالْكُفْرُ مِنْهُ بَدَا
وَ مَا حَوَى الدَّفَّتَانِ فَهْوَ مُصْحَفُنَا   الَّذِي بِهِ الْمُصْطَفَى لاَشَكَّ قَدْ وَرَدَا
وَ اللهُ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ فَهْوَ إِلَى   يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَحْفُوظٌ وَ فِيهِ هُدَى
وَ كُلُّ مَا فِيهِ حَقٌّ مَا تَطَرَّقَهُ   رَيْبٌ بِزَيْدٍ وَ لاَ نَقْصٌ لِغَيْرِ مَدَى
لِذَا رَأَى مَالِكٌ فِي حَقِّ عَائِشَةٍ   بِقَتْلِ مَنْ سَبَّهَا وَ فَضْلُهَا شُهِدَا
لِأَنَّهُ خَالَفَ الْقُرْآنَ وَ هْوَ بِمَا   قَدْ سَبَّهَا كَافِرٌ قَدْ أَعْظَمَ الْفَنَدَا
كَذَاكَ مَنْ عَنْ كَلِيمِ اللهِ أَنْكَرَ كَوْ   نَ الْحَقِّ كَلَّمَهُ طِبْقَ الَّذِي وَرَدَا
وَ مَنْ عَنِ الذِّكْرِ قَدْ نَفَى الْمُعَوِّذَتَيْـــــنِ فَهْوَ إِنْ لَمْ يَتُبْ يُرْمَى بِكُلِّ رَدَى
كَذَا يُكَفَّرُ مَنْ عَلَيْهِ يَشْهَدُ عَدْ   لٌ فِيهِ مَعْ نَفْيِ أُخْرَى آخَرٌ شَهِدَا
فَإِنَّهُ هَا هُنَا عَدْلاَنِ قَدْ شَهِدَا   بِأَنَّهُ كَذَّبَ الرَّسُولَ ملتحدا
وَ بَعْضُهُمْ قَالَ إِنِّي مَا قَرَأْتُ بِذَا   لَكِنْ بِذَا قَدْ قَرَأْتُ لَسْتُ مُنْتَقِدَا

خَوْفاً عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ نَفَى   حَرْفاً فَيُرْمَى بِكُفْرٍ فِي الَّذِي جَحَدَا
وَهَا هُنَا القَابِسِي أَجَابَ سَائِلَهُ   عَنْ مُسْلِمٍ لَعَنَ التَّوْرَاةَ إِذْ حَرَدَا
وَاللَّعْنُ قَامَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ وَعَلَيْهِ آخَرٌ بِالَّذِي قَدْ بَدَّلُوا شَهِدَا
فَقَالَ لَا يُوجَبُ القَتْلُ المَنُوطُ بِهِ   بِلَعْنِهِ وَهْوَ لِلتَّعْلِيقِ قَدْ قَصَدَا
فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ إِلَّا مُبَدَّلَةً   وَحَرَّفَتْهَا اليَهُودُ الأَشْقِيَا البُعَدَا
وَلَوْ هُنَا اتَّفَقَ العَدْلَانِ ضَاقَ نِطَاقٌ عِنْدَ تَأْوِيلِ مَا ادَّعَاهُ فِي الرُّشَدَا
وَهَا هُنَا لِابْنِ شُنْبُوذَ القِرَاءَةُ بِالشَّاذِّ الَّذِي وَافَقَ الإِعْرَاب كَيْفَ بَدَا
فَأَنْكَرَ ابْنُ مُجَاهِدٍ عَلَيْهِ مَعَ الأَعْيَانِ مِنْ فُقَهَا بَغْدَادَ فِي الشُّهَدَا
وَأَلْزَمُوهُ الرُّجُوعَ لِلصَّوَابِ بِأَنْ   يَتْلُو بِغَيْرِ الشَّوَاذِ فَارْتَضَى السَّدَدَا
وَتَابَ لِلَّهِ مِمَّا كَانَ شَذَّ بِهِ   وَلَمْ يَعُدْ لِلشَّوَاذِّ فِي طَرِيقِ هُدَى
وَسُجِّلَتْ فِي سِجِلِّ القَوْمِ تَوْبَتُهُ   وَالحَقُّ مَعْهُمْ يُرَى وَالحَقُّ مَا جُحِدَا
وَهَا هُنَا ابْنُ أَبِي زَيْدٍ أَجَابَ بِتَأْدِيبِ الَّذِي لَعَنَ ابْناً قَدْ حَوَى رَشَدَا
فَقَامَ يَلْعَنُهُ مَعْ مَا تَعَلَّمَهُ   وَقَالَ لَمْ أَقْصِدِ القُرْآنَ فِي شُهَدَا
وَلَا عَنِ المُصْحَفِ الكَرِيمِ يكفر وَهْوَ عَنْ طَرِيقِ الهُدَى فِي النَّاسِ قَدْ طُرِدَا

فصل

السَّبُّ فِي الآلِ لَا يَجُوزُ مِنْ أَحَدٍ   وَلَا تَنَقُّصهمْ فِيمَا خَفَا وَبَدَا
كَذَاكَ فِي أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ جَمِيعاً لَا يَجُوزُ وَلَا فِي صَحْبِهِ الرُّشَدَا
وَكَمْ حَدِيثٍ صَحِيحٍ فِي فَضَائِلِهِمْ   وَمَنْعِ سَبِّهِمُ عَنِ النَّبِي وَرَدَا
فَقَالَ فِي الصَّحْبِ مَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي قَدْ أَحَبَّهُمُ مِنْ بَيْنِ مَنْ سَعِدَا
وَفِيهِ قَدْ جَاءَ مَنْ فِي النَّاسِ أَبْغَضَهُمْ   يَوْماً فَذَاكَ بِبُغْضِي عُدَّ فِي البُعَدَا
وَيُوشِكُ اللَّهُ بَيْنَ القَوْمِ يَأْخُذُهُ   وَمَنْ يُوَاخِذْهُ يَحُلُّ قَعْرَ رَدَى
فَأَعْلَمَ المُصْطَفَى بِأَنَّ مُؤْذِيهِمُ   مُؤْذِيهِ وَالسَّبُّ فِيهِمْ سَبُّهُ وجدا
وَقَالَ مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي اضْرِبُوهُ وَمَنْ   آذَاهُمُ فَعَلَيْهِ اللَّعْنَةُ الأَبَدَا

لَا يَقْبَلُ اللهُ مِمَّنْ سَبَّ جَانِبَهُمْ   فِي النَّاسِ صرفاً وَ لَا عَدْلاً بِنَهْجِ هُدَى
وَ قَدْ نَهَى الصَّحْبُ عَنْ إِيذَاءِ عَائِشَةٍ   وَ أَنَّ مُؤْذِيَهَا لَن يُحْرِزَ الرَّشَدَا
وَ قَالَ فَاطِمَةٌ مِنِّي فَكَانَ لَهَا   كَمَالُ فَضْلٍ بِمَا بِهِ لَهَا شَهِدَا
وَ هَا هُنَا اخْتَلَفَ الأَعْلَامُ فِي الأَدَبِ الَّذِي قَد اسْتَوْجَبَ المُؤْذِيهِ أَيْنَ غَدَا
فَمَالِكٌ فِي الَّذِي آذَى النَّبِيَّ يَرَى   قَتْلاً وَ مُؤْذِيهِ فِي صُحْبٍ بِمَا اجْتَهَدَا
وَ مَنْ يَقُلْ بِالضَّلَالِ فِي مُعَاوِيَةٍ   يُقْتَلْ كَذَلِكَ فِي عَمْرُو وَ فِي الرُّشَدَا
وَ إِنْ بِشَتْمِهِمُ قَدْ قَالَ دُونَ ضَلَا   لِهِمْ وَ لَا كُفْرِهِمْ فَجَلْدُهُ اعْتَمِدَا
وَ قَالَ سَحْنُونُ أَنَّ مَنْ يُضَلِّلُهُمْ   بِالضَّرْبِ يُوجَعُ فِي مَشَاهِدِ الشُّهَدَا
لَكِنَ حَكَى عَنْهُ سَحْنُونُ الأَجَلُّ كَقَوْ   لِ مَالِكٍ هَا هُنَا وَ الحُكْمُ فِيهِ بَدَا
وَ بَعْضُ عُثْمَانَ يَقْضِي بِالعُقُوبَةِ أَوْ   تَشْتَدُّ إِنْ زَادَ فِي الشَّيْخَيْنِ مَا انْتَقَدَا
وَ مَالِكٌ قَالَ أَيْضاً سَابُّ عَائِشَةٍ   يُقْضَى عَلَيْهِ بِقَتْلٍ فِي سَبِيلِ هُدَى
وَ قَالَ فِي مَرَّةٍ أُخْرَى وَ سَابُّ أَبِي   بَكْرٍ وَ لَوْ مَرَّةً بَيْنَ المَلَا جُلِدَا
وَ قَالَ عَنْهُ ابْنُ شَعْبَانَ الأَجَلُّ بِكُفْرٍ لَا لِمَنْ لَمْ يَعُدْ لِمِثْلِهِ أَبَدَا
وَ لِلصِّقِلِّي هُنَا عَنِ ابْنِ طَيِّبِهِمْ   فِي سَبِّ عَائِشَةٍ قَوْلٌ حَوَى رَشَدَا
إِذْ سَبَّحَ اللهُ نَفْسَهُ وَجَلَّ عَلَا   فِيمَا لَهُ نسبت أَعْدَاؤُهُ الوَلَدَا
وَ جَاءَ تَسْبِيحُهُ فِيمَا لَهَا نَسَبَتْ   أَعْدَاؤُهَا إِذْ عَلَيْهَا نَوَّعُوا الفَنَدَا
وَ إِنَّ تَسْبِيحَهُ فِي الحَالَتَيْنِ لَهَا   كَمَالُ تَبْرِئَةٍ فِي مَلْحَظِ السُّعَدَا
وَ ذَا دَلِيلٌ عَلَى مَا قَالَ مَالِكُهُمْ   فِي سَبِّ مَنْ سَبَّهَا لِمَنْ لَهُ اسْتَنَدَا
وَ سَبُّهَا مِثْلُ سَبِّ المُصْطَفَى وَ أَذَا   هُ فِي أَذَاهَا وَ هَذَا الحُكْمُ فِيهِ بَدَا
وَ جَاءَ عَنْ عُمَرٍ نَذْرٌ بِقَطْعِ لِسَا   نِ شَاتِمٍ لِلرِّضَى المِقْدَادِ فِي الشُّهَدَا
وَ قَالَ يَا أَيُّهَا القَوْمُ اتْرُكُونِي أُقَطِّعْهُ لِكَيْلَا يَعُودَ شَاتِماً أَحَدَا
فَلَا يَعُودُ إِلَى شَتْمِ الصَّحَابَةِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْماً وَ هُمْ بِالمُصْطَفَى سُعَدَا
وَ بَعْضُهُمْ شَتَمَ المَوْلَاةَ عَائِشَةً   وَ شَتْمُهُ ابْنُ أَبِي لَيْلَى بِهِ شَهِدَا

وَ قَدْ أَتَوْا لابْنِ عِيسَى بِالذَّمِيمِ وَ عِنْـدَهُ بِمَا قَالَهُ فِيهَا الشَّقِي جُلِـدَا

وَ بَعْضُهُمْ قَدْ هَجَا الأَنْصَارَ ثُمَّ بِـهِ   أَتَوْا إِلى عُمَرَ الَّذِي حَوَى رَشَـدَا

فَقَالَ إِنَّ لَدَيْهِ صُحْبَةٌ ثَبَـتَـتْ   لَوْ لَمْ تَكُنْ لَكُفِيتُمْ شَرَّهُ الأَبَـدَا

فَمَالِكٌ قَالَ لاَسَهْمَ لِمُنْتَقِـصٍ   لِلصَّحْبِ فِي الفَيْءِ بَيْنَ مَنْ لَهُ شَهِدَا

فَالفَيْءُ أَصْحَابُهُ ثَلاَثَةٌ وَ سِـوَا   هُمْ لاَ نَصِيبَ لَهُ فِي الفَيْءِ أَيْنَ غَدَا

مُهَاجِرُونَ وَ أَنْصَارٌ وَ مَنْ لَهُـمُ   دَعَوْا بِمَغْفِرَةٍ وَوَحَّدُوا الأَحَـدَا

وَ مَنْ تَنَقَّصَهُمْ فَلاَ نَصِيبَ لَـهُ   فِي الفَيْءِ فِي المُسْلِمِينَ عِنْدَ مَنْ رَشَدَا

وَ مَنْ لِبَعْضِهِمُ قَالَ ابْنَ زَانِيَـةٍ   وَ أُمُّهُ أَسْلَمَتْ فَالحَدُّ فِيهِ بَـدَا

حَدَّانِ قَدْ لَزِمَا لِأَجْلِهِ وَ لِأَجْـلِ أُمِّهِ كُلُّ حَدٍّ مِنْهُمَا انْفَـرَدَا

وَ قَالَ هَذَا ابْنُ شَعْبَانَ الأَجَلُّ وَ لَـمْ   يَكُنْ كَقَذْفِ جَمَاعَةٍ لَدَيْهِ غَـدَا

لِأَنَّ فَضْلَ الصَّحَابِي فِي العِبَادِ عَلاَ   عَلَى سِوَاهُ وَ كَمْ فَضْلٍ لَـهُمْ وَرَدَا

مِنْ ذَاكَ مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي اجْلِدُوهُ وَ فِي   رِوَايَةٍ فَاضْرِبُوهُ فَاعْرِفِ الرَّشَـدَا

وَ إِنْ تَكُنْ أُمُّهُ بِاللهِ كَافِـرَةً   يُحَدُّ حَدّاً لِأَنَّهُ افْتَرَى فَنَـدَا

لِأَنَّ ذَاكَ مِنَ السَّبِّ القَدِيحِ لَـهُ   وَ سَبُّهُ يُوجِبُ التَّأْدِيبَ بِالشُّهَـدَا

وَ لِلإِمَامِ قَبُولُ القَائِمِينَ بِـهِ   سَيَّانَ كَانُوا مِنَ القُرْبَى أَوِ البُعَـدَا

وَ لَيْسَ هَذَا يُرَى كَحَقِّ غَيْرِهِـمُ   لِأَنَّهُمْ بِالنَّبِي مَقَامُهُمْ صَعِـدَا

وَ لِلإِمَامِ القِيَامُ بِالسَّمَاعِ بِـهِ   نَصْراً لِحَقِّ الصَّحَابِي غَابَ أَوْ شَهِدَا

قَالَ ابْنُ شَعْبَانَ ثُمَّ غَيْرِ عَائِشَـةٍ   فِي السَّبِّ لِلأُمَّهَاتِ مِثْلُهَا وُجِـدَا

وَقِيلَ لاَ بَلْ كَمِثْلِ الصَّحْبِ فِيهِ يُرَى   تَأْدِيبُهُ ثُمَّ عِنْدِي الأَوَّلُ اعْتُمِـدَا

وَ عَنْ أَبِي مُصْعَبٍ عَنِ الإِمَامِ رَوَى   تَأْدِيب مَنْ يَنْتَمِي لِلمُصْطَفَى فَنَـدَا

فَلَيْسَ يَدْخُلُ فِي آلِ النَّبِي العَرَبِـي   سِوَاهُمُ وَ الدَّخِيلُ فِيهِمُ جُلِـدَا

وَ حَبْسُهُ لاَزِمٌ حَتَّى يَتُـوبَ وَ أَنْ   يَصِيرَ مُشْتَهَراً فِي سَائِرِ الشُّهَـدَا

وَ المَالِكِي المَالِقِي الشَّعْبِيُّ سَفَّهَ مَنْ   فِي السَّبِّ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ بِذَاهُ بَـدَا

إِذْ قَالَ فِي امْرَأَةٍ لَوْ أَنَّهَا هِيَ هِـي   حَلَّفْتُهَا بِالنَّهَارِ بَيْنَ مَنْ شَهِدَا
فَقَالَ مِنْ حَقِّ هَذَا السِّجْنُ وَ الأَدَبُ الْوَجِيعُ فِي الجُرْأَةِ الَّتِي بِهِ بَعُدَا
فَإِنَّ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ يُرَادُ بِهَا الْمَوْلاَةُ عَائِشَةُ الَّتِي حَوَتْ رَشَدَا
وَ ذِكْرُهَا هَا هُنَا لاَ يَنْبَغِي وَالأَحَقُّ بِالسَّفِيهِ الرَّدَى الَّذِي بِهِ جُلِدَا
فَاعْرِفْ بِقَدْرِ الإِمَامِ المَالِقِي وَ بِمَا   رَاعَاهُ مِنْ أَدَبٍ بِهِ يَزِيدُ هُدَى
وَ مَنْ يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ شَهَادَتُهُ   لَيْسَتْ تَجُوزُ عَلَيْهِ فِي الَّذِي شَهِدَا
لاَشَيْءَ يَلْزَمُهُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ فِيمَا فِيهِ لاَبُدَّ مِنْ عَدْلَيْنِ مِنْ شُهَدَا
وَ إِنْ أَرَادَ سِوَى هَذَا فَيُضْرَبُ ضَرْ   بًا فِيهِ يبلغُ حَدَّ المَوْتِ فِي الرُّشَدَا
قَالَ المُؤَلِّفُ هَا هُنَا انْتَهَى الغَرَضُ الَّذِي انْتَحَيْنَاهُ وَ هْوَ نِعْمَ مَا قُصِدَا
وَ شَرْطُنَا قَدْ أَتَى مَعَ الوَفَاءِ كَمَا   نَحْنُ اشْتَرَطْنَاهُ وَ هْوَ لِلْعِيَانِ بَدَا
مِمَّا رَجَوْتُ بِأَنْ يَكُونَ فِيهِ لِكُلِّ طَالِبٍ مَقْنَعٍ وَ مَنْزَعٌ حُمِدَا
وَ قَدْ سَفَرْتُ بِحَمْدِ اللهِ عَنْ نُكَتٍ   بَدِيعَةٍ فِيهِ مِمَّا يُبْهِرُ الشُّهَدَا
وَرَدْتُ فِيهِ مِنَ التَّحْقِيقِ مَوْرِدَهُ   مِمَّا لَهُ قَبْلُ غَيْرِي لَمْ يَكُنْ وَرَدَا
وَ فِيهِ فَصَّلْتُ دُرًّا كَانَ مُنْتَظِمًا   وَ فِيهِ نَظَّمْتُ مَا قَدْ كَانَ مُنْتَضِدَا
وَدِدْتُ لَوْ كَانَ غَيْرِي فِيهِ أَلَّفَ حَتَّى أَرْتَوِي مِنْهُ مَا عَنِّي يزِيلُ صَدَا
فَأَكْتَفِي بِالَّذِي أَرْوِيهِ عَنْهُ هُنَا   بِمَا أُرَوِّيهِ لِلَّذِي ابْتَغَى الرَّشَدَا
وَ اللهَ أَرْجُو قَبُولَ مَا جَمَعْتُ هُنَا   بِمَنِّهِ فَهْوَ فَرْدٌ لَمْ يَزَلْ صَمَدَا
وَ أَرْتَجِي العَفْوَ عَمَّا قَدْ تَخَلَّلَهُ   مِنَ التَّصَنُّعِ لِلسِّوَى لِنَيْلِ جَدَا
فَيَجْعَلِ اللهُ ذَاكَ مِنْهُ مَوْهِبَةً   لِمَا ظَنَنَّاهُ فِيهِ هَاهُنَا وَ غَدَا
وَ مَا جَمَعْنَاهُ فِيهِ مِنْ جَمِيلِ صِفَا   تِ المُصْطَفَى خَيْرُ مَنْ لِلَّهِ قَدْ سَجَدَا
وَ مِنْ كَمَالٍ وَ مِنْ فَضْلٍ وَ مِنْ شَرَفٍ   وَ مِنْ أَتَمِّ مَقَامَاتٍ بِهَا انْفَرَدَا
بِذَاكَ نَسْأَلُهُ حِمَايَةً كَمُلَتْ   حَتَّى نَحُوزَ مِنَ الرِّضَى جَمِيلَ رِدَا
حَتَّى نَفُوزَ بِخَصِّيصِي عِنَايَتِهِ   بِزُمْرَةِ المُصْطَفَى وَ مَنْ بِهِ سَعِدَا

تَحْظَى بِنَيْلِ الأَمَانِي فِي جَمَاعَتِهِ   وَ بِالأَمَانِ الَّذِي لَمْ يَنْخَرِمْ أَبَدَا
وَ الحَمْدُ لِلَّهِ فِي بَدْءٍ وَ مُخْتَتَمٍ   حَمْداً كَثِيراً عَلَى مَالِي إِلَيْهِ هُدَى
فَإِنَّهُ المُلْهِمُ المُمِدُّ سَائِلَهُ   بِمَا بِهِ قَدْ كَفَاهُ الهَمَّ وَ الكَمَدَا
وَ العَوْذُ بِاللَّهِ مِمَّا لَيْسَ يَنْفَعُنَا   مِنَ العُلُومِ وَ مَا يُشَوِّشُ الخَلَدَا
وَ العَوْذُ بِاللَّهِ مِنْ رَدِّ الدُّعَاءِ وَ مِنْ   جَهْدِ الشَّقَاءِ وَ أَعْمَالٍ تُرَدُّ غَدَا
وَ العَوْذُ مِنَّا لَهُ مِمَّا يَضُرُّ بِنَا   دُنْيَا وَ دِيناً وَ مِنْ شَرِّ الَّذِي حَسَدَا
فَهْوَ الجَوَادُ الَّذِي بِمَنِّهِ شَمَلَ الـــــوُجُودَ فَضْلاً وَجُوداً قَدْ خَفَا وَ بَدَا
فَلَا يُخَيِّبُ مَنْ فِي الخَلْقِ أَمَّلَهُ   وَ لَا يُرَدُّ دُعَاءُ مَنْ لَهُ قَصَدَا
وَ هْوَ الَّذِي بِيَدَيْهِ كَشْفُ كُلِّ عَنَا   عَنَّا وَ يُصْلِح مِنَّا كُلَّ مَا فَسَدَا
وَ حَسْبُنَا اللَّهُ فِي الدَّارَيْنِ فَهْوَ لَنَا   نِعْمَ الوَكِيل عَلَيْهِ كُلُّنَا اعْتَمَدَا
مُسَلِّماً خَيْرَ تَسْلِيمٍ عَلَى العَرَبِي   مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ بَيْنَ الوَرَى وُجِدَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَ الصِّلَاتُ إِلَيْـــــنَا وَ اصِلَات بِهَا لَا تَنْقَضِي أَبَدَا
وَ الشُّكْرُ لِلَّهِ فِي إِتْمَامِ نِعْمَتِهِ   فَإِنَّهُ بِكَمَالِ المِنَّةِ انْفَرَدَا